



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة لونيبي علي - البليدة 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ و علم المكتبات
- شعبة التاريخ -

نشاط الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا
وتأثيره في الثورة التحريرية 1954 - 1962

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ل م د (LMD)

تخصص (المهاجرون المغاربة بفرنسا ودورهم الوطني والقومي 1871 - 1962)

إشراف الأستاذ:

أ.د. الصادق دهاش

إعداد الطالبة:

ليندة عمراوي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أحمد عصماني	أستاذ تعليم عالي	جامعة البليدة 2	رئيسا
الصادق دهاش	أستاذ تعليم عالي	جامعة البليدة 2	مشرفا ومقررا
عبد النور أيت بعزیز	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
عبد الرحمن بوسليماني	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
عبد القادر فكايير	أستاذ تعليم عالي	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا
عبد العزيز وابل	أستاذ محاضر أ	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1444-1445هـ/2024-2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا بِنَفْسِكُمْ لِلَّهِ لَكُمْ
وَلِإِذَا قِيلَ آنشُرُوا فَآنشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(الآية 11 سورة المجادلة)

قال رسول الله ﷺ ﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى
الْجَنَّةِ﴾

الترمذي (2682)

"الأبطال لا يموتون وإنما تنزع عنهم الأبصار"

شكر وعرافان

أتقدم بالشكر الجزيل والعرافان بعد إتمام هذه الأطروحة إلى:

. المشرف الدكتور "دهاش الصادق" لقبوله الإشراف على هذه الأطروحة، كما أشكره على تكبّده عناء متابعة وتصحيح هذا العمل.

. الزوج الفاضل الذي يُعدّ سندا حقيقيا لي في رحلتي العلمية، وهو أكبر من أعانني في إنجاز هذه الرسالة وإتمامها، حيث قاسمني أتعابي واجتهد ليوفّر لي دوما جو العمل المريح.

. كل من قدّم لي يد المساعدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لإتمام هذا العمل، وأخص بالذكر إدارة المتحف الولائي للمجاهد بسطيف.

. أعضاء اللجنة المناقشة على كرم مناقشة وإثراء هذه الأطروحة.

إهداء

- . إلى كل شهدائنا الأبرار الذين رروا بدمائهم الزكية أرض الجزائر ليعيش أبنائها الحرية والاستقلال.
- . إلى كل أبناء الجالية الجزائرية في المهجر الذين عانوا كل أشكال التعسف الاستعماري من أجل أن تحيا الجزائر وتستعيد عزتها وكرامتها.
- . إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في أعمارهما.
- . إلى قرة عيني أولادي حفظهم الله وجعلهم ذخرا لهذا الوطن.
- . إلى حماتي الغالية حفظها الله تعالى وأطال في عمرها وأنعم عليها داوم الصحة والعافية.
- . إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

المختصرات:

1 . باللغة العربية:

"إ.د.ب.ج"	الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.
"إ.ع.ط.م.ج"	الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.
"إ.ع.ع.ج"	الاتحاد العام للعمال الجزائريين.
"إ.ع.ن.ع.ج"	الاتحاد العام للنقابات العمالية الجزائرية.
"إ.ع.ن.ج"	الاتحاد العام للنقابات الجزائرية.
"إ.ن.ع.ج"	اتحاد نقابات العمال الجزائريين.
"ح.إ.ح.د"	حركة انتصار الحريات الديمقراطية.
"ح.ش.ف"	الحزب الشيوعي الفرنسي.
"ح.ش.ج"	حزب الشعب الجزائري.
"ح.م.ج.ج"	الحكومة الجزائرية المؤقتة.
"ح.و.ج"	الحركة الوطنية الجزائرية.
"ج.ت.و"	جبهة التحرير الوطني.
"ف.ج.ت.و"	فدرالية جبهة التحرير الوطني.
"و.ع.ع.ج"	الودادية العامة للعمال الجزائريين

2 . باللغة الفرنسية:

"A.E.M.A.F"	Association des étudiants musulmans algériens, France.
"AEMAN"	Amicale étudiants musulmans pour l'Afrique du nord.
"AGEA"	Assemblée générale des étudiants algériens.
"AGTA"	Amitié générale des travailleurs algériens
"CCE"	Comité de cordination et d'exécution.
"CFDT"	Confédération française du travail.
"CGT"	Confédération générale des travailleurs
"CGTU"	Confédération générale des travailleurs unifiés.
"FLN"	front de libération nationale
"F.P.A"	Forces auxiliares de Police.
"GPA"	gouvernement provisoire algérienne
"MTLD"	Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques
"MNA"	Le Mouvement national algérien
"OAS"	Organisation de l'armée secrète.
"PCE"	Parti communiste Algérien
"PPA"	Parti du peuple algérien
"P.R.C"	Parti de la révolution socialiste.
"S.A.S"	Sections administratives Specialisees.
"S.C.A.A"	Service de Coordination des Affaires Algérienne.
"UDMA"	Union démocratique du manifeste Algérien
"UGEMA"	Union générale des étudiants musulmans algériens
"UGTA"	Union générale des travailleurs algériens

مقدمة

مقدمة:

. التعريف بالموضوع:

بدأت ملاحقة فرنسا للمهاجرين الجزائريين منذ بداية نشاط الحركة الوطنية خصوصا بميلاد حزب نجم شمال إفريقيا على أراضيها سنة 1926، حين بدأ تفاعل الجالية الجزائرية في العمق الفرنسي مع الجهاد الوطني في الداخل الجزائري وضحت من أجل وطنها الأم بالنفس والنفيس، متحديّة بعزم وإصرار كل المضايقات الفرنسية والأساليب الاستعمارية المُنتهجة لعزلها وتضييق الخناق عليها من أجل إبعادها عن كل ما يحدث في الجزائر، غير أن كل محاولاتها في احتواء هذه الفئة بالمهجر وتطويقها قد باءت بالفشل، حيث ظلت هذه الجالية لا تدّخر جهدا في ربط مصيرها دوما بمصير بلادها، ومشاركة إخوانهم في الجزائر كل تفاصيل حياتهم المأساوية جرّاء السياسة الاستعمارية وقوانينها الجائرة ضدهم.

وما إن اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 حتى لبّى المهاجرون الجزائريون النداء وأفصحوا عن وطنيتهم العالية، فأنشأوا "اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا" لتأطير الطبقة العاملة بالمهجر، وربط نضال الداخل بالخارج وتطويره، حتى جعلوا من فرنسا ولاية ثورية تابعة للثورة في الجزائر، وحيّروا مختلف الحكومات والسلطات الفرنسية التي سعت إلى تطهير الجبهة الفرنسية الداخلية من هؤلاء الثوريين الذين أسمتهم الإرهابيين والخارجين عن القانون.

إن التطرق لتاريخ الثورة التحريرية على الأراضي الفرنسية يفرض علينا الحديث عن رموز ساهمت بشكل أو بآخر في نجاح مسيرة النضال الثوري للمهاجرين الجزائريين في أوروبا عامة وفي فرنسا بشكل خاص، ولعبت أدوارا بالغة في معركة تحرير البلاد من ويلات احتلال غاشم دام أزيد من مائة سنة، ارتكب خلالها ما لا يتخيله عقل، ولا يصدّقه منطق، ولا يتحمّله بشر.

لقد آمن هؤلاء الرجال بقضية وطنهم وأقسموا أن يعيشوا فوق الأرض أحراراً وأعزّاء أو يموتون ويُدفنون تحتها شهداء، وهذا ما كان لهم في النهاية حيث نال الكثير منهم شرف الشهادة في سبيل الله والوطن، في حين عاش بعضهم في أحضان الحرية والاستقلال وحققوا هدفهم الأول بتحرير بلادهم من براثن الاستعمار، وشكّلوا بذلك رموزا وطنية فاعلة ارتبط اسمها بتاريخ فدرالية جبهة التحرير الوطني والثورة التحريرية بفرنسا.

إن الحديث عن المسيرة النضالية لهذه الشخصيات وتتبع كفاحها على جميع الأصعدة لاسيما السياسية والعسكرية ليس بالأمر الهين واليسير، نظرا لما يشوب مسارها النضالي من غموض وتداخل، لهذا فإن دراستنا هذه هي محاولة لإزالة الغموض عن أهم هذه الشخصيات الوطنية الفاعلة في المسار التحرري للجزائر، على غرار رؤساء فدرالية جبهة التحرير الوطني وهم "محمد مشاطي"، "صالح الوانشي"، و"عمر بوداود"، إضافة إلى أهم عناصر المنظمة العسكرية الخاصة لجبهة التحرير بفرنسا وهم "محمد آكلي بن

يونس" المدعو "دانيال"، "عبد الرحمن مزيان شريف" المدعو "علاوة"، و"محمد غفير" المدعو "موح كليشي"، والعديد من بقية المناضلين المهاجرين الذين تركوا بصمة كبيرة في مسار النضال الوطني والكفاح الثوري بالمهجر، ومن هنا تتضح أهمية موضوعنا الذي جاء بعنوان "نشاط الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا وتأثيره في الثورة التحريرية 1954 . 1962".

. أسباب اختيار الموضوع:

إن أهمية الموضوع الذي اخترته لهذه الأطروحة يطرح عدة قضايا مهمة ومتعددة، غير أن المحور الذي ينبغي التركيز عليه حسب اعتقادي هو إسهامات الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا لاسيما فترة الثورة التحريرية ما بين 1954 و1962، لذلك تتجلى الدوافع التي حفزني لاختيار هذا الموضوع تحديدا في جملة من الأسباب منها الذاتية والموضوعية، والتي سأقتصر على ذكر خمسة منها فقط:

أولاً: أن أكثر الدراسات والبحوث السابقة التي تم إعدادها حول نشاط المهاجرين الجزائريين بفرنسا قد تمحورت على "ف.ج.ت.و" مع إبراز عدد قليل جدا من مسؤوليها ومناضليها وبشكل سطحي فقط دون تعمق في أدوارهم وإسهاماتهم النضالية، وغالبا ما كان حقل دراستها يركز بشكل كبير على نشاطات الفدرالية خاصة السياسية والعسكرية، أما الكتابة على مسؤوليها وأشهر مناضليها فلا تزال حسب اطلاعي شحيحة ومقتصرة على أعمدة بعض الصحف والجرائد، والمذكرات الشخصية لبعض المجاهدين، ومن هذا المنطلق أردنا توسيع مجال البحث في هذا السياق.

ثانياً: التعريف بهذه الشخصيات المهاجرة التي لا تزال مجهولة لدى غالبية الجزائريين باعتبار أن نشاط الثورة التحريرية بفرنسا مُغَيَّب إلى حد كبير من المنظومة التربوية والوسائل الإعلامية، حيث يتم التركيز بشكل أكبر على التاريخ المحلي الداخلي، لذلك حاولت من خلال هذا البحث رصد مختلف تلك الشخصيات المهاجرة وإبراز أدوارهم البالغة وتطورها عبر مختلف مراحل الثورة، وتأثيرهم الكبير في مسار الكفاح الثوري المسلح.

ثالثاً: التعريف بالجهود الجبارة لهؤلاء المهاجرين فوق الأراضي الفرنسية والتي أبهروا بها مختلف الحكومات الفرنسية المتعاقبة وصولاً إلى الجمهورية الفرنسية الخامسة بزعامة "ديغول" الذي عزم على استئصال نشاطهم الثوري وإيقاف ولائهم الكامل لـ"ج.ت.و" لكن دون جدوى، إذا أنه فشل مثل سابقه في تحقيق هذا الحلم، واستمرت الجبهة في النشاط في أوساط الجالية الجزائرية، وكان الانتصار في النهاية ترجمة لقوة وإرادة هؤلاء المغتربين وصلابة موقفهم في انتمائهم التام للثورة التحريرية ودفاعهم المستميت عن قضيتهم الوطنية.

رابعاً: القيمة العلمية والمعرفية التي ستقدمها هذه الدراسة للأجيال الحالية والقادمة ومساعدتها على إدراك أهمية الوزن الكبير للجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا في رسم قواعد العلاقات بين البلدين على مختلف الأصعدة والميادين، كما أنها ستساعد الشعبين الجزائري والفرنسي على بناء علاقات حسنة حاضرا ومستقبلا

بعد التحرر من عقد الماضي نظرا لامتلاك كل منهما نفوذا قويا لدى الآخر، لذلك يتوجب على البلدين التعاون فيما بينهما لتعزيز أواصر التبادل الإنساني والأمني بين الشعبين من باب المصلحة المشتركة والجوار الاستراتيجي.

خامسا: الرغبة في تقديم بحث أصيل يعتمد على المصادر الأولى المتمثلة في الوثائق الأرشيفية والمذكرات الشخصية والشهادات الشفوية لهؤلاء المهاجرين خاصة من بقي منهم على قيد الحياة، وإضافة لبنة جديدة إلى صرح تاريخ الثورة التحريرية بالأراضي الفرنسية.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في محاولة معرفة وتسليط الضوء على النشاط النضالي في فدرالية جبهة التحرير الوطني خاصة والثور التحريرية عامة بفرنسا، وإسهامات العديد من الشخصيات الوطنية المهاجرة بفرنسا، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

. ما مدى تأثير الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا وحجم مساهمتها في دعم الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي.

ولإطاحة بالموضوع من مختلف زواياه، رأينا من الضروري تفكيك الإشكالية إلى عدة أسئلة فرعية أهمها:

. من هي هذه الشخصيات وكيف كانت نشأتها وهجرتها إلى فرنسا ثم التحاقها بالثورة.

. ما هي أهم البصمات التي تركتها في ميدان النضال الوطني، وكيف كانت عاملا حاسما في نجاح مساره.

. فيما تمثلت أهم أدوارها وحجم إسهاماتها في استكمال الكفاح الثوري المسلح.

. أين اتّضحت مجالات نشاط هذه الشخصيات المهاجرة، وما انعكاسات هذا النشاط على الثورة التحريرية.

. ما نوع الدعم الذي قدّمته للثورة وما هي حدوده.

. فيما تجسدت الأدوات التي استعملتها لإقناع الجالية الجزائرية بفرنسا للالتحاق بالثورة التحريرية والابتعاد

عن كل منافسيها خصوصا الحركة الوطنية الجزائرية.

. كيف تعاملت السلطات الفرنسية مع نشاط المهاجرين من جهة ومع تلك الشخصيات المهاجرة من جهة

أخرى.

. كيف كان مصير فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا ومصير قادتها وروّادها بعد استقلال الجزائر.

حدود الدراسة:

تنحصر الفترة التي تناولتها بالدراسة ما بين 1954 . 1962، وهي الفترة التي استغرقتها الثورة

التحريرية الجزائرية، ورغم أنها مرحلة زمنية قصيرة في الواقع إلا أنها تُعدّ أغنى محطة تاريخية في مسيرة

الشعب الجزائري على الإطلاق، لأنها مرحلة حافلة بالأحداث التي لها وقع مباشر ليس على الجزائريين

فحسب بل على العديد من شعوب العالم الثالث وحتى الشعوب الأوروبية، بعد أن أصبحت هذه الثورة مثالا

لهم في تصفية الاستعمار ومكافحة الإرهاب والاستبداد.

أما من حيث الإطار المكاني فإن الشخصيات المهاجرة المقصودة هنا بالدراسة هي التي كانت مغتربة بالتراب الفرنسي، لأننا استبعدنا باقي المغتربين في بقية الدول الأوروبية لاسيما المجاورة للحدود الفرنسية لكون هذه الأخيرة هي من كانت مركزا لنشاط الثورة التحريرية باعتبارها مستقطبة لأكبر عدد من هؤلاء المهاجرين، وحتى الأعمال النضالية التي عرفتها تلك الدول إنما كانت امتدادا لنشاط فدرالية الجبهة بفرنسا، وتنفيذا للأوامر التي كانت تؤخذ من القيادة السياسية المتواجدة هناك، باستثناء انتقال الفدرالية في مرحلتها الأخيرة إلى ألمانيا الفدرالية لظروف القاهرة وضرورة قصوى، لكنها رغم ذلك ظلت برئاسة "عمر بوداود" الذي عاش ودرس وتكوّن في فرنسا.

المناهج المتبعة في الرسالة:

لدراسة هذه الإشكالية اعتمدنا على عدة مناهج متكاملة لفهم موضوع الدراسة من مختلف الزوايا والجوانب وأهمها:

أولاً: المنهج التاريخي الوصفي الذي يهتم بعرض الوقائع والأحداث التاريخية ذات الصلة بموضوع البحث ووضعها في إطارها الزمني والمكاني، ووصفها وصفا كرونولوجيا متسلسلا لتسهيل فهم هذه الأحداث.

ثانياً: المنهج التحليلي الذي أخذ الحيز الأكبر في الدراسة وتحليل المادة العلمية التي تم توظيفها في موضوع البحث من منطلق أن هذا الأخير قد اعتمد في جزئه الأكبر على المصادر الأرشيفية التي تحتاج إلى تحليل مضامينها واستشعار الظروف التي تمت فيها تحرير عشرات التقارير والمراسلات والأخبار من مختلف الأطراف الفاعلة في موضوع الدراسة.

ثالثاً: المنهج المقارن من أجل مقارنة الوقائع الماضية والأحداث المعاصرة، وإيجاد علاقات وروابط فيما بينها ومن ثمّ الاهتداء إلى فهم الخلفيات الإيديولوجية والمواقف التاريخية التي يعرضها موضوع البحث.

صعوبات البحث:

خلال مختلف محطات ومراحل إنجاز البحث العلمي واجهتني صعوبات جمة أذكر من جملتها، طبيعة الدراسة التي تظهر صعوبتها كونها تعالج أحداثا لم تقع على الأراضي الوطنية الجزائرية بل كانت خارج الوطن وفي عمق أرض العدو، وهذا ما يبيّن أهمية الموضوع كون التخطيط والتنفيذ على أرض العدو نفسه ليس بالأمر الهين.

أما الصعوبة الثانية التي واجهتني فهي صعوبة الحصول على العديد من الوثائق والملفات الأرشيفية ذات الأهمية البالغة، المحفوظة في الأرشيف الوطني ببيتر خادم بالعاصمة بسبب أنها غير متاحة للنشر وممنوع الإطلاع عليها من قبل الباحثين، حيث اقتضت الإدارة على منحي حق الإطلاع على عناوينها فقط دون رؤية محتواها.

الصعوبة الثالثة تمثلت في نقص المصادر والمادة الخبرية التي تخدم الموضوع باللغة العربية، وكتابة أغلبها باللغة الأجنبية ما يتطلب التحكم بشكل أكبر في مفتاح اللغة الفرنسية بحيث لا تقتصر في البحث

على الترجمة الحرفية بل على فهم وتحليل المعنى الحقيقي للوثائق الأرشيفية والمذكرات الشخصية والتي غالبا ما تكون فيما بين السطور، وهذا ما كان يستوجب منّي صبرا أكثر وجهدا أكبر ووقتا أطول للتعَمّق في فهم المحتوى وتحليله من مختلف الزوايا رغم أنني أجيد اللغة الفرنسية.

إضافة إلى صعوبة الحصول على المادة العلمية التي ركّزت فيها على الوثائق الأرشيفية والمذكرات الشخصية لأهم الفاعلين، والشهادات الشفوية للعديد من المجاهدين من كانوا مهاجرين بفرنسا وساهموا في دعم ف.ج.ت.و كل حسب قدرته وإمكانيته المتوفرة، وهذا ما استوجب منّي الترحال والتنقل بين مختلف أقطار وربوع التراب الوطني، حيث قمت بزيارة مركز الأرشيف الوطني بالعاصمة والمركز الوطني للبحث والدراسات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر مرات عديدة، وكذلك مركز الأرشيف الجهوي لولاية قسنطينة، كما كانت زيارتي المتكررة إلى مركز الأرشيف لولاية سطيف، والمتحف الولائي للمجاهد لمدينتي سطيف وبسكرة ثمرة إلى حد كبير إذ تحصّلت على عدد معتبر من الوثائق الأرشيفية ذات الصلة بموضوع الدراسة، ولم أكتفي بالمصادر المكتوبة فقط بل اعتمدت أيضا على المصادر الشفوية، وقمت في هذا السياق بزيارات عديدة للكثير من المجاهدين في مختلف ولايات الوطن على غرار خنشلة، أم البواقي، سطيف، المسيلة، بسكرة، بجاية، واد سوف، العاصمة وغيرها من المدن.

أما خارج الوطن فقد سافرت إلى تونس وقمت بزيارة دار الكتب الوطنية ومركز الأرشيف الوطني التونسيين بحثا عن مصادر جديدة تفيد البحث أكثر، وقد نجحت في الحصول على عدد لا بأس به من الوثائق الأرشيفية ذات الصلة بموضوع البحث والدراسة، في حين كانت رحلتي العلمية إلى الأراضي الفرنسية شاقة جدا وغير موفقة، ومُترجمة لمشاق البحث العلمي، بعد أن قطعت عديد الكيلومترات ولم أجد ضالتي لأنني وجدت مركز أرشيف ما وراء البحار المتواجد بمدينة (Aix-en-Provence) "إكس - آن - بروفانس" مغلق لمدة تزيد عن ثلاثين يوما كاملة بسبب عمليات الترميم، في شهر فيفري 2024.

إضافة إلى صعوبة الوصول إلى العديد من الشخصيات المهاجرة التي لم تنل حقها بعد من الدراسة وظلت حبيسة النسيان حيث تعدّر علينا إيجاد سيرتها، لذلك اكتفيت بذكرها ضمن السياق التي وردت فيها، كما تعدّر عليّ عقد لقاء مع العديد من الشخصيات الفاعلة لظروف مختلفة على رأسها الحالة الصحية المتدهورة لهم على غرار "أحمد دوم"، "عبد القادر بخوش"، "علي هارون"، "رابح عقون"، "خالد بشير"، وغيرهم حيث فشلت كل محاولاتي المتكررة لعدة مرات والمساعي التي بذلتها لعقد مقابلات شخصية معهم والاستفادة من تجاربهم النضالية في صفوف الفدرالية بفرنسا.

ورغم كل هذه العراقيل والمعيقات إلا أن توفيق الله لي كان أكبر وقد بذلتُ كل ما بوسعي لتذليلها، وتمكّنت من تجاوزها، ووصلت بالبحث إلى النهاية دون أي إهمال أو تقصير إلا ما ورد سهوا أو خطأ، من أجل إخراج الأطروحة كما تصوّرتها من حيث الشكل والمضمون حتى تكون إضافة جديدة لحقل البحث

العلمي، والفضل في ذلك يعود إلى تشجيع زوجي المستمر لي بضرورة المواصلة وتقديمه الدعم الكامل لي ماديا ومعنويا ومرافقته لي في جميع زياراتي البحثية ورحلاتي العلمية.

وصف خطة البحث:

لمعالجة إشكالية هذا البحث تدرجت في إتباع خطة تتضمن فصل تمهيدي وخمسة فصول أخرى، إضافة إلى الملاحق وفهارس الأعلام والأماكن والبلدان، وكان الختام بالقائمة البيبليوغرافية للمصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

تضمنت المقدمة تعريفا شاملا للموضوع وأهميته وأسباب اختياره، وكذلك إشكالية البحث وحدودها الزمانية والمكانية، والمناهج المتبعة في الدراسة وشرح لخطة البحث، مع ذكر أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في دراسة الموضوع.

في الفصل التمهيدي رأيت أنه من الأنسب الحديث عن تطور الهجرة الجزائرية نحو الأراضي الفرنسية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية سنة 1945، مع تحديد الظروف والأجواء والأوضاع التي ميّزتها وانعكاساتها على معيشة المهاجرين الجزائريين في فرنسا من مختلف الجوانب والأصعدة، باعتبار أن هذه المرحلة هي القاعدة التي ستشكل منطلقا حقيقيا للثورة التحريرية بعد تيقن الجزائريين بعدم جدوى أساليب النضال السلمية في مناهضة السياسة الاستعمارية التعسفية إثر مجازر الثامن ماي، إضافة إلى تشكّل العالم على أساس إيديولوجي، وانتشار موجة التحرر في العالم الثالث بظهور هذا الصراع المذهبي بين المعسكرين الغربي والشرقي وتبني هذا الأخير دعم المستعمرات.

الفصل الأول خصّصته للحديث عن تنظيم وتطور الهيكلية السياسية والعسكرية للثورة التحريرية بفرنسا وقسمته إلى ثلاثة مباحث، تطرقت في المبحث الأول إلى جذور وظروف نشأة ف.ج.ت. و بفرنسا، ورصدت في المبحث الثاني التأسيس والتطور القيادي للفدرالية حيث قمت بتشخيص مراحلها الثلاث بدءا من تأسيسها سنة 1955 إلى غاية تحقيق الاستقلال في 1962، أما في المبحث الثالث فقد أبرزت الأهداف التي سعت الفدرالية إلى تحقيقها من خلال تقسيم التراب الفرنسي حسب تركّز الجالية الجزائرية ومحاولة احتواء هذه الأخيرة وتوسيع نشاطاتها السياسية والعسكرية، إضافة إلى تعزيز مصالح الفدرالية من أجل مجابهة كل الخصوم والأعداء لاسيما المصاليين، وكسب تأييد الرأي العام سواء الفرنسي أو العالمي، في حين جاء المبحث الثالث مترجما لنجاح الفدرالية في تأدية مهامها وتفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي بعد تأكّدت سيطرتها الكاملة على الجالية الجزائرية مع إبراز المحاولات الفرنسية اليائية للحدّ من نشاط الجبهة على التراب الفرنسي وتزايد صيتها لدى الفرنسيين الذين أعلن الكثير منهم عدالتها ومشروعيتها

خصوصا التيار اليساري بمختلف توجهاته الحزبية، لاسيما خلال ما وقع في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 ومظاهرات ميترو شارون بالعاصمة باريس في 08 فيفري 1962.

في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان "النضال السياسي والثوري للفئات الجماهيرية في فرنسا وآليات كفاحها"، وقد تضمن ثلاثة مباحث تمحور الأول حول الفئات العمالية كونها أكثر من ساعد الثورة بالاشتراكات والتبرعات المالية، خصوصا بعد تأسيس "و.ع.ع.ج"، وتحدثت في المبحث الثاني عن الفئات الطلابية وإسهاماتها في التعريف بالثورة التحريرية في الأوساط الفرنسية لاسيما المثقفة منها وذلك بعد انضوائهم تحت راية الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في حين رصدت في المبحث الثالث أدوار الطبقات والنخب الفرنسية المثقفة التي لعبت هي الأخرى دورا حاسما في دعم ومساندة الثورة عسكريا وسياسيا ودبلوماسيا، من خلال تأسيسها لعدة شبكات ممونة للعمل الثوري وداعمة لاستمراره، مع ذكر أسماء العديد من هذه الشخصيات الفرنسية التي تركت بصمات واضحة في تاريخ مساندة كفاح الجزائريين ومواقف مشرفة في تحدي القوانين التعسفية لحكومتهم.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لتوضيح ردود الفعل الفرنسية لاحتواء وتطويق نشاط الثورة التحريرية بفرنسا، وتضمن أيضا ثلاثة مباحث تطرقت في الأول إلى المحاولات الفرنسية لتشتيت صفوف المهاجرين الجزائريين من خلال تعميق محاور الصراع ضد "ف.ج.ت.و" من خلال الوقوف إلى جانب الحركة المصالية ضد الجبهة وكل المؤيدين لها، ثم توضيح إستراتيجيات الرد من الجبهة في المبحث الثاني على الاستفزازات الفرنسية والمصالية والتي شملت مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية، أما المبحث الثالث فقد وضّحت فيه إصرار السلطات الفرنسية على التفتن في عمليات التعذيب وسياسات التنكيل البدنية والنفسية بأفراد الجالية الجزائرية بعد الفشل في القضاء على استمرار النشاط الثوري لفدرالية الجبهة في أوساطهم.

وجاء الفصلين الرابع والخامس ليعالجا صلب موضوع البحث حيث خصصتهما للحديث عن أبرز الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا وإسهاماتها في الثورة التحريرية، وقد أبرزت الشخصيات السياسية في الفصل الرابع وركزت على مسؤولي فدرالية الجبهة وهم كل من "محمد مشاطي"، "صالح الوانشي"، و"عمر بوداود"، وفي الفصل الخامس على أهم مناضلي المنظمة العسكرية الخاصة بالفدرالية وهم كل من "محمّد آكلي بن يونس"، "عبد الرحمن مزيان الشريف"، و"محمد غفير"، حيث تطرّقت إلى نشأة هذه الشخصيات اجتماعيا وبيّنت كيف كانت ظروف حياتهم القاهرة سببا ودافعا قويا للوقوف في وجه الاستعمار الغاشم، وعدم الاكتفاء بذلك فحسب بل الانتقال والهجرة إلى فرنسا نفسها لمواجهة هذا الاستعمار فوق أراضيه وفي عقر داره، مع التأكيد على المسيرة النضالية لهذه الشخصيات وكل ما تعرّضت له في مختلف السجون والمعتقلات الفرنسية من تعذيب وتنكيل، وصولا إلى مصيرهم بعد استرجاع الاستقلال والمهام الوظيفية التي قاموا بها في ما تبقى من حياتهم، ولم أكتفي بدراسة هذه الشخصيات فقط بسبب ضيق

الوقت ومدة الدراسة، بل استغلّيت الفرصة لذكر العديد من الشخصيات الأخرى التي لم لعبت هي الأخرى دورا فاعلا لا يقل أهمية عن دور هؤلاء المسؤولين، وربطت علاقات نضال وطيدة فيما بينها باعتبار أن لها هدفا مشتركا هو استعادة الحرية والاستقلال مهما كانت التضحيات، وكان أهمها "محمد لبجاوي"، "علي هارون"، "مراد طربوش"، "عبد الكريم السويسي"، "قدور العدلاني"، "محمد العربي ماضي"، "محمد حربي"، "فضيل بن سالم"، "أحمد دوم"، وغيرهم كثيرون.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

لدراسة موضوع البحث وفق الخطة المعتمدة اعتمدت على مصادر متنوعة كتابية وشفوية والتي تمكنت من الإطلاع عليها، وفي مقدمتها المادة الأرشيفية الموجودة في المركز الوطني للأرشيف بالعاصمة الجزائرية المصنّفة ضمن "أرشيف ف.ج.ت.و"، والتي تحتوي على علب عديدة ذات صلة بموضوع الدراسة، وكذلك الأرشيف الوطني التونسي والمصنّف ضمن ثلاث مجموعات هي (série K "carton 01, dossier 43) (Série G02, carton 195, dossier 27), (série K cartone 01, dossier 49) وتضم كل واحدة منها عدة علب تحتوي على معلومات تاريخية قيّمة متعلقة بالثورة الجزائرية في مختلف محطاتها النضالية، وكذلك الأرشيف الجهوي لولاية قسنطينة المصنّف في جرائد "البرق" El Bark (L'Eclair) و"الأمة" EL- OUMA، "الجزائر" AL DJAZAIR وغيرها، وكذا أرشيف ولاية سطيف المصنّف بدوره في جريدتي "l'observateur de moyen-orient du l'Afrique" بعدة أعداد ومقالات صحفية وتقارير إخبارية، إضافة إلى أرشيف الولاية التاريخية السادسة المتواجد بالمتحف الوطني للمجاهد العقيد شعباني بمدينة بسكرة، وكل هذه المراكز الأرشيفية بما تحتويه من وثائق تاريخية تضمّ في طياتها تقارير إخبارية ومراسلات سياسية وعسكرية، ومقالات صحفية وطنية وفرنسية وأجنبية، واستعلامات ووثائق ذات صلة بموضوع البحث.

النوع الثاني من المصادر هو الجرائد سواء الوطنية أو الفرنسية المترجمة مع الأحداث كونها صادرة في تلك الفترة تحديدا وتؤرّخ للأحداث في زمن وقوعها، وهي تحتوي على مادة خبرية مهمة لموضوع البحث، وفي مقدمتها "جريدة المجاهد"، "يومية الشعب"، "البصائر"، "le monde"، "l'humanité"، "le Combat".

النوع الثالث هو مذكرات الشخصيات الفاعلة والصانعة للأحداث على غرار مذكرات "محمد مشاطي"، "صالح الوانشي"، "عمر بوداود"، "مهند آكلي بن يونس"، "عبد الرحمن مزيان الشريف"، "محمد غفير"، "علي هارون"، "محمد حربي"، "محمد طالب الإبراهيمي"، "حسين آيت أحمد"، "نصر الدين آيت مختار"، "بن يوسف بن خدة"، "الخضر بورقعة"، "سعد دحلب"، "أحمد دوم"، "عبد الرحمن فارس"، "رضا ملك"، "أحمد بن بلة".... وغيرها، وكلهم كانوا قادة ومسؤولين أو مناضلين أكفاء في "ف.ج.ت.و" بفرنسا

أو في "ج.ت.و" في الجزائر، إضافة إلى مؤلفات الفاعلين في مختلف الأحداث من الفرنسيين أنفسهم أمثال "موريس بابون" "Maurice Papon" "les chevaux du pouvoir"، "جون لوك إينودي" "Jane Louk Inoudi" "La baille de Paris 17 octobre 1961"، "فرانسيس جونسون" "Sarter Jean Paul" "L'Algérie hors la loi"، "جون بول سارتر" "Jeanson Francis" "position anticolonialistes"، "جاك فيرجاس" "Jacques" "la colonisation en"، "procès"، "هنري آلاغ" "La question"، "فرانز فانون"، "جاك شاربي" "Jacques"، "Charby" "les porteurs d'espoir"، "كريو إيفان" "Mémoire d'un dinosaure"، "trotskyte" وغيرهم.

النوع الرابع هو الرواية الشفوية لعدد من المجاهدين الذين عايشوا أحداث الثورة التحريرية فوق الأراضي الفرنسية، وكانوا مناضلين فاعلين في مختلف النشاطات والمهام الموكلة لهم من قبل "ف.ج.ت.و" بفرنسا، وتعدّ هذه الرواية من المصادر الأولية للمعرفة التاريخية المعاصرة وتملك دورا هاما في توثيق الحقائق والأحداث التاريخية، وقد ساعدتني هذه المقابلات الشخصية مع المجاهدين في كشف مساحات معتمة أو متجاهلة أو مُهمّشة لم تشر إليها المصادر والكتب التاريخية، لاسيما أن رواّتها قد عايشوا الأحداث وكانوا شهود عيان عليها، لكن لم يكن لهم الوقت الكافي لكتابة مذكراتهم حول كل ما عاشوه وعاشوه من وقائع وحقائق تاريخية.

أما المراجع فقد تنوّعت أيضا بين الكتب والرسائل الجامعية والمقالات والملتقيات العلمية والتاريخية.

بالنسبة للكتب المرجعية فقد امتزجت بين المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية، ومن أهمها كتاب "المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، تاريخ الكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني في فرنسا (1956 . 1962) لمؤلفه "دحو جربال"، كتاب "تريستان آن" الذي حمل عنوان "صمت النهر أكتوبر 1961"، كتاب "الجندي خليفة" بعنوان "حوار حول الثورة، دوافع نقل الثورة إلى فرنسا (الرد والردع)"، كتب "سعدى بزيان" ومنها "جثث جزائرية تطفو فوق نهر السين"، "جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بيجو إلى الجنرال أوساريس"، "جرائم فرنسا في الجزائر"، "جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 . 10 . 1961"، "دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954" وغيرها، وكتب "يحي بوعزيز" ومنها كتاب "الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية"، "الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية"، "الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني"، "السياسة الاستعمارية من خلال حزب الشعب الجزائري"، "سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية" وغيرها، وكذلك كتب "أبو القاسم سعد الله" خاصة "الحركة الوطنية بمختلف أجزائها، ومؤلفات "أحسن بومالي" خاصة كتاب "أول نوفمبر 1954، بداية النهاية لخرافة الجزائر

الفرنسية"، كتاب "العمال الجزائريون بفرنسا" لعمار بوحوش، كتاب "أحمد صاري" بعنوان " دور المهاجرين الجزائريين في الثورة"، في حين ركزت بالنسبة للمراجع الفرنسية على كتاب "ليندة عميري" "Amiri" Linda الذي حمل عنوان "la Bataille de France, la guerre d'Algérie en France"، وكتاب Derder Peggy بعنوان "l'immigration Algérienne et les pouvoirs public dans le département de la Seine 1954 – 1962"، وكذلك كتاب Einaudi Jean Luc بعنوان "la bataille de Paris 17 octobre 1961"، إضافة إلى كتاب Belloula Tayeb "les Algériens en France"، وكتاب Chabrun Laurent, "la guerre de l'ombre, RG contre FLN"، وكتاب Chapsal Jacque بعنوان "la vie politique en France , depuis 1940 à 1958"، وغيرها من الكتب مثل Emmanuel Blanchard, "Algériens et algériennes dans les manifestations D'Octobre 1961"، وكتاب "Le 17 octobre un crime d'état"، وكتاب Granmaison Olivier بعنوان "Paris 1961"، وكتاب House Jim et Mac master بعنوان "Neil, les Algériens la terreur d'état et la mémoire".

أما بالنسبة للرسائل الجامعية فقد استعنا ببعض رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه من أهمها أطروحة دكتوراه بعنوان "شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957 . 1962)" لـ شعبان إيّدو، من جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، وأطروحة بن زروال جمعة من جامعة الحاج لخضر بباتنة، والموسومة بعنوان "الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية (1954 . 1962)"، وكذلك رسالة جبلي الطاهر المعنونة بـ "شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية 1954 . 1962"، وهي من جامعة أبو بكر بلقايد، بتلمسان، ورسالة "الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954 . 1962"، لصاحبها خلوفي بغداد من جامعة وهران، إضافة إلى رسائل ماجستير وأهمها "الحركة الوطنية الجزائرية المصالية وموقفها من الثورة (1954 . 1962)" لـ جمعة بن زروال، ورسالة زويدي لخضر من جامعة الجزائر، التي حملت عنوان "فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1957 . 1962"، وكذلك رسالة قليل مليكة من جامعة باتنة، بعنوان "هجرة الجزائريين من الأوراس إلى فرنسا (1900 . 1930)".

أتمنى في النهاية أن أكون قد وفّقت في إضافة الجديد إلى هذا الموضوع ومساعدة الباحثين مستقبلا على التعمق أكثر في توضيح واستنتاج إسهامات المهاجرين الجزائريين بفرنسا في دعم الثورة التحريرية ورفع الراية الوطنية والدفاع عنها في المهجر وفي كل المحافل الدولية.

الفصل

التمهيد

الفصل التمهيدي:

التطور الوطني لدى المهاجرين الجزائريين بفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية.

.المبحث الأول: تطور هجرة الجزائريين إلى فرنسا بعد 1945.

.المبحث الثاني: مناطق استقرار المهاجرين الجزائريين بفرنسا.

.المبحث الثالث: أوضاع الجالية الجزائرية بفرنسا قبيل اندلاع الثورة.

.المبحث الرابع: الانعكاسات الإيجابية للهجرة على الجالية الجزائرية بفرنسا.

المبحث الأول: تطور هجرة الجزائريين إلى فرنسا بعد 1945.

عرفت الجزائر خلال سنوات طويلة من الاحتلال الفرنسي وسياسته التعسفية التي شملت جميع المجالات، عدة هجرات داخلية وخارجية نحو مناطق مختلفة عربية وأوروبية، وإذا كانت هذه الهجرات قد ارتكزت في السنوات الأولى للاحتلال على دول المشرق والمغرب العربيين، فإنها اتجهت في فترة ما بين الحربين العالميتين نحو الدول الأوروبية خصوصا "فرنسا" وذلك لأسباب تاريخية استعمارية وأخرى اجتماعية واقتصادية، وقد شملت جميع الشرائح والفئات من عمال، تجار، مجندين، طلبة... الخ، وبمرور السنوات تأثر هؤلاء المهاجرون بالجو العالمي السائد في أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وتعزفوا على طبعة الحياة الديمقراطية هناك، فاکتشفوا أساليب ووسائل نضال جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل في الجزائر، ما جعلهم يحاولون التأثير بمجريات الأحداث العالمية والتأثير فيها.

مثلما كانت فرنسا أرضا للعدالة والأخوة والمساواة من خلال شعار ثورتها، كانت عاصمتها باريس منطلقا للديمقراطية من خلال احتضانها لمؤتمر الصلح عقب انتهاء المواجهة العسكرية الأولى سنة 1919، ما جعلها ميدانا خصبا للتفاعلات الإيديولوجية وملقى للتيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية، وقد ساهم كل من التيارين الديمقراطي والشيوعي في تحويل المهاجرين الجزائريين من رعاة وبائعين متجولين لا يفقهون شيئا في الحياة السياسية والتطورات الدولية إلى عمال وتجار ذوي كفاءات نقابية ومطالب سياسية واجتماعية، وكان من نتائج هذا التحول انخراطهم في معترك التفاعلات وتغييرات العلاقات الدولية، واكتسابهم لمفاهيم جديدة وأساليب نضال حديثة جمعت بين وعيهم الفكري بواقع جديد أملت عليه ظروف الاستعمار، وبين تمسكهم بوطنية خالصة لبلدهم الأم رغم بعدهم الجغرافي عنه.

تؤدي العوامل الاقتصادية عادة إلى الهجرات الطوعية، بخلاف العوامل السياسية والعسكرية التي تؤدي إلى هجرات اضطرارية وإجبارية¹، يقول الكاتب الفرنسي "و. مارسي": "إن الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من بين الأسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية، فقد كان ذلك يعني أنه لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم القديمة كما كانوا سابقا²، وهذه إشارة إلى أن هجرة الجزائريين إلى فرنسا اختلفت باختلاف الظروف والمراحل التاريخية التي مرّ بها البلدين، حيث ترتفع أحيانا وتنخفض أحيانا أخرى حسب الحاجة الاقتصادية والعسكرية خصوصا لفرنسا.

لكن هجرة الجزائريين لم تكن غاية في حد ذاتها بل كانت الوسيلة الوحيدة التي لجأوا إليها نتيجة الأوضاع السيئة التي أصبحت عليها البلاد، وظروف القهر التي سلكها المستعمر الفرنسي سواء في المدن أو

1 أعمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص64.

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 . 1930)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص122.

الأرياف والتي أصبحت في ضوئها الحياة والتعايش مع القوات الاستعمارية ضربا من المستحيل، وهو ما حدا بالعديد من الأسر والعائلات إلى الهجرة.¹

يتضح من هذا المنطلق أن الأغلبية الساحقة من المهاجرين الجزائريين كانت هجرتهم إلى فرنسا اضطرارية وإجبارية وليست طوعية واختيارية بحكم ارتباطهم الوثيق بأرضهم التي كانوا يعتبرونها بمثابة عرضهم الذي لا يمكن المساس به أو المساومة عليه، وهذا ما تفتّنت له الإدارة الفرنسية فركّزت منذ وطأت الجزائر سنة 1830 على استهداف الأراضي ومصادرتها بالدرجة الأولى وتشجيع سياسة الاستيطان فيها من أجل ضرب الفرد الجزائري في الصميم من خلال تعذيبه نفسيا بانتزاع أغلى ما يملك، وقهره اقتصاديا بتجويعه باعتبار الأرض مصدر رزقه الوحيد، وتهميشه سوسيولوجيا بتفكيك تركيبته الاجتماعية خصوصا بمصادرة أراضي العرش وانتزاع الملكيات الجماعية.

أجبرت ظروف المواجهة العسكرية الثانية فرنسا على العودة إلى انتهاج الأسلوب الذي طبّقه خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال تجنيد مئات الآلاف من الجنود الذين وُجد بعضهم على التراب الفرنسي سنة 1940م، بينماتم سجن بعضهم وتوظيفهم كعمال في ظروف عمل جد قاسية²، كما أن المتتبع لعدد المجندين الجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية يجده مرتفعا مقارنة بسنوات المواجهة العسكرية الأولى، إذ وصل تعدادهم ضمن الجيش الفرنسي حتى جوان 1940 إلى حوالي 110000 مجنّد، ذلك لأن وتيرة التجنيد كانت سريعة ويتّضح هذا من خلال ارتفاع عدد المجندين بالجيش الفرنسي الذي بلغ 26000 عسكري مجنّد خلال الأشهر الأولى للحرب.³

وكانت وزارة العمل الفرنسية قد قرّرت في شهر جانفي سنة 1940 استدعاء عدد منالعمال الجزائريين للقدوم إلى فرنسا وأخذ مكان الفرنسيين والقيام بالأعمال التي كانوا يقومون بها⁴، كما قامت وزارة الدفاع بتوجيه نداء للعمال الجزائريين الذين سبق لهم العمل في المصانع الفرنسية وذلك لسد الفراغ الذي تركه الجنود الفرنسيين بسبب توجّههم إلى جبهات القتال.⁵

وتّم التحاق بضعة آلاف من العمال الجزائريين، حيث كان الموكب الأول يتكون من 300 عامل وصلوا إلى فرنسا في 1 مارس 1940، وقد انتقلوا بواسطة بواخر وسفن في مجموعات شبه عسكرية، وكان

1 خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900. 1956، ج1، ط2، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص ص230. 231.

2 مليكة قليل، هجرة الجزائريين من الأوراس إلى فرنسا (1900. 1930)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2009، ص140.

3Belkacem Becham, les musulmans Algériens dans l'Armée Française (1919 – 1945), édition L'Harmattan, Paris, 1996, p218.

4محمد يحيى، النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة إبان مرحلة الاحتلال 1830. 1962، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 292. 293.

5عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص139.

يُقصّ من أجورهم تكلفة السفر والنقل واللباس والإيواء والغذاء، حيث لا يبق للمهاجر سوى مبلغ قليل، ولهذا السبب لم يتطوع الكثير، ولكنهم أُجبروا بالقوة على الهجرة إلى فرنسا، بينما كان بينهم من تراوح أعمارهم ما بين 25 . 30 عام، وكلّهم متزوجون وأرباب أسر يبحثون عن عمل قريب من عائلاتهم.¹

ثم تسبّب تطور وتسارع الأحداث بين فرنسا وألمانيا في التأثير على الكثير من العمال الجزائريين وأصبح السفر إلى باريس من اختصاص وزارة الحرب الفرنسية التي جنّدت نصف مليون جزائري لخدمة مصالح فرنسا الحربية، ثم توقفت الهجرة خلال الاحتلال الألماني لفرنسا ما بين 1940 . 1944، لتعود للارتفاع تدريجيا مع اختلال ميزان القوة وترجيح الكفة لصالح الحلفاء بعد تدخل الولايات المتحدة الأمريكية ووقوفها إلى جانب فرنسا وقد نجحوا بذلك في حسم الحرب لصالحهم سنة 1945.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عرف المهاجرون الجزائريون بفرنسا تطورا إيديولوجيا كبيرا خاصة في الفكر الاستقلالي التحرري، وهو ما كوّن أرضية صلبة للعمل من أجل تأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات والنوادي الثقافية التي ستساهم عند اندلاع الثورة التحريرية في تقديم يد العون لها ودعمها فكريا وماديا، خصوصا فئتي العمال والتجار الذين سيكوّنون مصدر الدعم المالي الأكبر للثورة والسند الأعظم لاستمرارها، لاسيما أن فرنسا كانت قد تحمّ عليها الاستعانة باليد العاملة الجزائرية لإعادة بناء اقتصادها المنهار جرّاء الحرب، وأصبح الإشراف على اليد العاملة المهاجرة نحو فرنسا من اختصاص "المكتب الوطني للهجرة" الذي تنوعت نشاطاته واتسّعت صلاحيته مع مرور الوقت نظرا لتزايد طلبات الراغبين على الهجرة.

غير أن هذا المكتب لم يكن عاملا مساعدا للهجرة إلى فرنسا لأن معاملته مع تلك الطلبات لم تكن معاملة حسنة، كما أنه يضع إلى جانب ذلك شروطا تعجيزية ويطلب ملفات إدارية ضخمة حتى لا تُمنح التأشيرة وترفض طلبات الهجرة للراغبين فيها، لهذا فهو لم يحقق النجاح المرجو حيث لم يتجاوز 20 %، وباقي النسب كان المهاجر يستعمل طريقته الخاصة في المرور إلى فرنسا لأنه لم يكن له الوقت الكافي لانتظار المكتب للرد على طلبه نظرا للمماطلة المتعمدة.²

بعد أن كانت الهجرة السابقة فردية يمارسها الرجال فقط عزّابا، ومتزوجون يتركون زوجاتهم وأطفالهم بالجزائر لظروف القاهرة بحثا عن تحسين الظروف المعيشية، أصبحت عائلية بعد 1945، وصارت أيضا فعّالة ومنظمة، حيث ارتفع عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا سنة 1947 إلى حوالي 67000 عامل، ثم وصل في 1948 إلى 70000 عامل.³

1 بوحوش، العمال الجزائريون، مرجع سابق، ص 139.

2 محمد قريشي، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع ثورة التحرير الكبرى (1945 . 1964)، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 . 2002، ص ص 204 . 205.

3 بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 140.

والشيء الذي يؤكد بروز ظاهرة الهجرة العائلية هو الرقم المرتفع للمهاجرين سنة اندلاع الثورة 1954 والذي تجاوز 195.000 مهاجر وهو أكبر عدد من المهاجرين إلى فرنسا، منهم حوالي 3000 امرأة، وأكثر من 5000 طفل، في الوقت الذي كان فيه عدد العائلات الجزائرية التي كانت تقطن الأراضي الفرنسية عام 1945 حوالي 5000 عائلة جزائرية¹، كما أن أحداث 8 ماي 1945 قد خلقت أثرا عميقة وكان في نتائجها تشرد الكثير من العائلات وانتشار البطالة والفقر، لذلك ارتفع عدد المهاجرين نحو فرنسا حيث كانت هذه الهجرة تعني بالدرجة الأولى البحث عن مصادر رزق جديدة، أو الهروب من جحيم البطالة وسوء معاملة الكولون في الجزائر.²

بدأت قضية الهجرة الجزائرية تأخذ منحى سياسي بعد نهاية الحرب الكونية الثانية وذلك بسبب المواقف البطولية التي قام بها المجندون الجزائريون مع فرنسا، ودورهم الفعّال والبارز في تحريرها من الاحتلال النازي، وقد ذكر "مزيان الشريف" في هذا الصدد: "بعد الحرب العالمية الثانية قامت فرنسا بتجنيد الكثير من الجزائريين بهدف إعادة تعمير البلد الذي يحتل أرضهم"³، لذا قامت السلطات الفرنسية بإلغاء جميع القوانين والمراسيم التي كانت تعيق هجرة الجزائريين نحو فرنسا⁴، لتتحرر أكثر من القيود والضغوطات الاستعمارية بعد صدور قانون 20 سبتمبر 1947 الذي نصّ على حرية التنقل، وساوى نظريا بين جميع المواطنين الفرنسيين، وألغى جميع القوانين الاستثنائية التي تطبق في المعاملات التجارية بأية طريقة عنصرية.⁵ وكانت نتيجة ذلك تدفق هجرات جزائرية كبيرة نحو الأراضي الفرنسية بوتيرة متزايدة، وقد كان لهذا القرار السياسي هدف اقتصادي تمثل في استفادة الاقتصاد الفرنسي من اليد العاملة الجزائرية في إعادة بناء ما خربته الحرب في فرنسا.⁶

إضافة إلى المساواة ركزت الإدارة الفرنسية على ضرورة إلغاء القرارات التي من شأنها أن تزعزع ثقة المهاجرين في الإدارة الفرنسية خاصة بعد مشاركتهم في الحرب ونمو الوعي العسكري والثقافي لديهم، إذ أن المهاجرين أصبحوا يتحدثون عن الحرية والديمقراطية وغيرها من المصطلحات التي تحرك الوعي القومي لدى الشعوب المستعمرة حتى تطالب بالحرية والاستقلال، في الوقت الذي كانت فرنسا تسعى فيه إلى توفير مختلف الأجواء التي تدفع الجزائريين في الداخل والخارج إلى الإيمان بفكرة الاندماج والعيش تحت رحمة سياستها الرامية إلى السيطرة العسكرية والاقتصادية والثقافية على الشعب الجزائري.

1 محمد قريشي، مرجع سابق، ص 216. 217.

2 هواري قبائلي، حركة الهجرة الجزائرية وفرنسا 1830 - 1962، مجلة المرفق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 03، معسكر، الجزائر، 2010، ص 291.

3 Abderrahmane Meziane Cherif, la guerre d'Algérie en France, Mourepiane: L'Armée des ombres, préface de Jacques Vergès, éditions Publisud, Paris, 2010, p15.

4 محمد يحيى، مرجع سابق، ص 194.

5 عمار بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 140.

6 أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص 155.

لقد نتج عن سياسة فتح باب الهجرة وعن تردّي الأوضاع في الجزائر سنة 1948 عن تزايد وإقبال أعداد كبيرة من الجزائريين والتحاقهم بإخوانهم المهاجرين بفرنسا حتى بلغ عددهم بعد سنتين من انتهاء الحرب (1947) حوالي 67.000 عامل، وإذا قورنت هذه الأعداد بالعدد الذي عاد إلى الجزائر قبل سنة من ذلك (1946) والذي كان حوالي 22.300 عامل فإنه يتضح أن عدد الجزائريين الذين بقوا في فرنسا بلغ حوالي 45.000 وهو أكبر عدد للجزائريين المستقرين بفرنسا خلال سنة واحدة.¹

استمر تفوّق عدد المهاجرين على عدد العائدين طيلة سنة 1948، لتصبح الزيادة سنة 1949 تنمو بشكل متوازي للزيادة المطردة في السكان²، وقد ميّز هذه الفترة العديد من الوقائع والأحداث التاريخية للمهاجرين بيّنت بوضوح تطوّرهم الإيديولوجي في فرنسا خاصة وفي أوروبا بشكل عام لاسيما الفكر الاستقلالي التحرري، كما أنها هيأت لهم الأرضية للعمل من أجل تأسيس العديد من الأحزاب والجمعيات والنوادي التي ساهمت فيما بعد في تقديم الدعم الفكري والمادي للثورة الجزائرية، ولن ينقص عدد المهاجرين عن 83.000 إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية³، حين عاد الكثير منهم إلى أرض الوطن بهدف الالتحاق بصوف الثورة.

ازداد تدويل القضية الجزائرية في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بسبب ارتفاع نسب الهجرة إلى فرنسا، حيث بدأت تطفو إلى الواجهة الإعلامية بعدما بادر الكاتب والفيلسوف الفرنسي "فرانسيس جونسون" "Francis Janson"، الذي اكتشف القضية الجزائرية وأيدها، فعمل في الجرائد وتعرّف عن قرب على مأساة الجزائريين⁴، وكان قد قدّم إلى الجزائر في الفترة الممتدة من سبتمبر 1948 إلى ماي 1949 مع زوجته "كوليت" "Colette" للإقامة فيها وهدفهما الاتصال ببعض قادة اللجنة الثورية للوحدة والعمل للتعرف على الواقع المعيشي وإرهاصات العمل الثوري وقد ذكر في هذا الصدد: "حللت بمدينة الجزائر في شهر فيفري 1945 قابلت في بداية الأمر صديقين لي من المناضلين في صفوف "UDMA" وهما "علي بومنجل" والدكتور "فرانسيس" وكان موقفهما يتّهم كثيرا عن الاحتراس إزاء اندلاع الانتفاضة المسلحة، ثم التقيت ببعض مناضلي "MTLD"... وهناك اكتشفتُ مناضلين حقيقيين وأدركتُ أن اللجنة الثورية للوحدة والعمل تتمتع بسمعة شعبية حقيقية، وفي آخر المطاف أي عشية مغادرتي الجزائر قابلتُ "صالح لوانشي" الذي كان مطلوبا من طرف مصالح الأمن منذ الإعلان عن حظر ح.إ.ح.د.⁵

1 عمار بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 140.

2 أنظر الملحق رقم 01

3 عمار بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 142.

4 عبد الله مقلاتي، "المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية (فرانسيس جونسون نموذجا)"، مجلة المصادر، ع 21، 2010، ص ص 234-235.

5 رشيد خطاب، أصدقاء الخاوة. الدعم العالمي للثورة التحريرية الوطنية الجزائرية، قاموس جغرافي، تر: مصطفى ماضي، دار خطاب، الجزائر، 2013، ص ص 143-144.

على ضوء المحادثات والمناقشات التي أجراها مع المناضلين الجزائريين اكتشف "جونسون" مطالبهم السياسية، ثم زار الجزائر مرة أخرى سنة 1950 ووقف مجددا على مظاهر البؤس والحرمان التي يحياها الجزائريون، في الوقت الذي كان المستوطنون وقادتهم الغلاة يعيشون في وضع مناقض تماما لوضع الجزائريين، حيث كانوا يحيون حياة الرفاهية والغطرسة وقد علّق على ذلك بقوله: "إن ما رأيته وسمعته من خلال هذه المرحلة شكّل الصفحة الثابتة من معلوماتي عن الجزائر فمشهد الحكام والمستوطنين هذه الطبقة المغرورة بامتيازاتها، يوضّح بجلاء التحليل الذي قدّمه أصدقاؤني الجزائريين، وعندما شعرتُ بمدى اتساع عمليات القمع التي مورست في سنة 1945 وقد أراني أحد المستوطنين يوما ثلّة من في الساحة الرئيسية في إحدى القرى وقال بلهجة المنتصر وهو يشير إليها أنظر: لقد تأرنا لكل واحد منا بألف".¹

ومن هنا شقّت الهجرة الجزائرية طريقها من جديد إلى فرنسا وعرفت ازديادا في عدد المهاجرين حتى فترة الثورة التحريرية، بسبب الضغط السياسي والإرهاب الاستعماري والحصار الإعلامي والعسكري الذي طبقته إدارة الاحتلال الفرنسية، وقد غيرت الثورة الجزائرية بعمق وضعية المهاجر الجزائري في فرنسا، فبعد أن كانت الدوافع الرئيسية للهجرة تكمن في محاولة البحث عن مصادر أو مداخيل مكّملة لما توفره أرض الوطن، ومن موارد محلية أخذت تتقلص لفعل ما لحق بالجزائر من عمليات مختلفة، أدّت إلى زعزعة البنى الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري، أصبحت الهجرة في هذه المرحلة تكتسي صبغة سياسية حيث تطلّع بعض المهاجرين إلى طرح قضاياهم السياسية والتحريرية التي تعدّ من الأمور المحظورة في بلدهم الأصلي.²

في سنة 1949 قدّم السيد "M,J,Rager" دراسة للحاكم العام للجزائر حول الهجرة إلى فرنسا، بعد أن قدّم له رؤساء البلديات المختلطة ملفا حول كل ما يتعلق بالمهاجرين الجزائريين إلى فرنسا من حيث أعدادهم، أسماؤهم، مناطق هجرتهم، وأماكن استقرارهم...) وكانت نتائج تلك الدراسة أن نُشرت في كتاب له بعنوان "المسلمون الجزائريون في فرنسا وفي البلدان الإسلامية سنة 1950"، وقد وصلت هذه الإحصائيات إلى مجموع 142,200 مهاجرا³، مقسّمين عبر كامل أنحاء الجزائر، حيث ضمّت عمالة قسنطينة 74420 بنسبة 52.3%، وضمت عمالة وهران 15382 بنسبة 10.8%، في حين ضمّت عمالة الجزائر 4907 بنسبة 34.5%، وإقليم الجنوب أيضا ضم 3472 بنسبة وصلت إلى 2.4%⁴.⁵

1 مقلاطي، المثقفون الفرنسيون...، مرجع سابق، ص 235.236.

2 مليكة قليل، مرجع سابق، ص 14.

3 صاري، قداش، الجزائر في التاريخ (05). المقاومة السياسية 1900.1954 الطريق الإصلاحي والثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 221.222.

4 قليل، مرجع سابق، ص 156.

5 أنظرالملحق رقم 02

يتجلى بوضوح من هذه الدراسة أن الهجرة إلى فرنسا قد شملت جميع مناطق وأنحاء الجزائر دون أي استثناء رغم تركزها في مناطق أكثر من أخرى مثل الشرق ومنطقة القبائل، إلا أنها كانت شاملة للشرق والغرب وكذا الشمال والجنوب، وهذا ناتج عن شمولية السياسة الاستعمارية التعسفية لكامل التراب الوطني. في سنة 1954 وصل عدد الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا 200.000 نسمة، فبعد اندلاع الثورة فضّل العديد من الشباب الالتحاق بجيش التحرير على البحث عن العيش في فرنسا لذلك قلّت الهجرة في بداية الثورة مقارنة بالفترة التي سبقتها، حيث ارتفع عدد الذين التحقوا بفرنسا من 142.671 في سنة 1951 إلى 201.828 سنة 1955، ولكن العدد انخفض في السنوات الخمس التي أعقبت ذلك¹، كما ارتفعت هجرة النساء الجزائريات إلى فرنسا لأول مرة، إذ بعد أن كانت 2,2 سنة 1946 وصلت سنة 1954 إلى 7,1 من تعداد المهاجرين المقيمين بالأراضي الفرنسية.²

وفي عام 1956 هاجر إلى فرنسا من الجزائريين ما يفوق 85.640 شخصا وعاد في الوقت نفسه إلى الجزائر 81.874 مهاجرا، وطيلة سنوات الحرب تقريبا يكاد يساوي عدد المهاجرين بعدد العائدين³، ثم انخفضت الهجرة في السنوات الخمسة ولم يتجاوز عدد المهاجرين 93.088 في أي في الفترة ما بين 1956 إلى 1960، لأن هذه السنوات كانت الحاسمة في تاريخ الثورة حيث كانت الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين محركها الرئيسي الذي زوّدها بالطاقة الأساسية لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي، لذلك تناقصت خلال هذه السنوات كون الكثير من الشباب قد ربطوا مستقبلهم بمصير الثورة في البلاد.⁴

ثم عاد عدد المهاجرين إلى الارتفاع عندما أوشكت الثورة التحريرية على الانتهاء، ففي أكتوبر 1961 كان عدد الجزائريين بفرنسا يقدر بـ 400.000 شخص منهم 300.000 رجل و 25.000 امرأة و 75.000 طفل، ومن بين 300.000 رجل الذين لا يبلغ عمر ثلاثة أرباعهم الثلاثين سنة هناك 236.000 أجير مُصرّح بهم لدى الضمان الاجتماعي و 20.000 غير مُصرّح بهم، و 20.000 تاجر و 30.000 عاطل عن العمل أو مريض أو معوق أو موضوع تحت الإقامة الجبرية أو مسجون، رغم أن نصف الرجال تقريبا متزوجون إلا 05% فقط منهم توجد معهم زوجاتهم وأبنائهم، يسكن قرابة نصف هؤلاء في باريس ونواحيها، أما البقية فيتوزعون في المناطق الصناعية، 25.000 في الشمال و 40.000 في الشرق و 400.000 في منطقة ليون، و 35.000 في منطقة مرسيليا، كما توجد تجمعات جزائرية أخرى

1 سعدي بزيان، دور الطبقة الجزائرية العاملة في المهجر في ثورة نوفمبر 1954 (التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال، مطبعة هومة، الجزائر، 2008، ص 13.

2 صاري الجلالي، الهجرة الجزائرية نحو أوروبا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 25.

3 سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة ...، مرجع سابق، ص 216 . 217.

4 بوحوش، العمال الجزائريون ...، مرجع سابق، ص 142.

معتبرة في كل من "ديجون" "Dijon"، "تولوز" "Toulouse"، "بورديو" "Bordeaux"، و"رين" "Rennes".¹

لكن عددهم بدأ يرتفع عندما أوشكت حرب التحرير الجزائرية على الانتهاء، حيث أصب يتجاوز 100.000 نسمة قبل التوقيع على وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، وفي الحقيقة جاءت هذه الزيادة برغبة من الرئيس ديغول في إجراء محادثات سياسية مع قادة جبهة التحرير الوطني وإنهاء الحرب، وقد كانت هذه السياسة تعني بالنسبة لعدد كبير من الجزائريين المتعاونين مع الإدارة الفرنسية اعتراف فرنسا بالأمر الواقع الذي يتمثل في إنهاء سيطرتها والاعتراف بحق الجزائريين في تسيير شؤونهم بأنفسهم وبما أن العناصر الموالية لفرنسا قد ربطت مصيرها بوجود الإدارة الفرنسية في البلاد فإن عددا منهم قد قرروا الهجرة إلى فرنسا في سنتي 1961 و1962²، وهذا ما أكدته جريدة "la semaine en Algérie" حين أوردت في عددها 98 أن أعداد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا ظل يرتفع بمرور السنوات حتى في السنوات الأخيرة للثورة التحريرية.³

المبحث الثاني: مناطق استقرار المهاجرين الجزائريين بفرنسا

اختار المهاجرون الجزائريون في فرنسا مناطق للاستقرار دون أخرى بناء على عدة عوامل طبيعية جغرافية واقتصادية نفعية، تتمثل أساسا في المناخ واختيار المناطق التي يتشابه مناخها مع المناخين المتوسطي والقاري من جهة مثل مناطق جنوب ووسط فرنسا، والمراكز الصناعية التي تعرف تطورا كبيرا والتي هي بحاجة إلى اليد العاملة المهاجرة من جهة أخرى، فمثلا كانت المناطق الأولى التي استقر بها هؤلاء هي وسط فرنسا نظرا لاعتدال المناخ فيها، ومناطق الألب الفرنسية ثم انتشروا بسرعة في جميع الأنحاء الفرنسية خاصة حول المراكز الصناعية، حيث يتواجدون بكثرة في باريس وضواحيها حتى شكّلوا أحياء كاملة خاصة بالمهاجرين من شمال إفريقيا خصوصا الجزائريين، وهذا ما يدل على وجود فكرة الاتحاد والتكتل لدى الجزائريين وشعورهم بالانتماء إلى الدائرة المغاربية، العربية والإسلامية بدليل تضامنهم مع بعض وإقبالهم على مناطق استقرار إخوانهم التونسيين والمغاربة، وسيبقى هذا الشعور بالانتماء قائما لديهم ليترجم عند تأسيس نجم شمال إفريقيا ثم عند اندلاع الثورة التحريرية.

إضافة إلى العوامل العرقية حيث كانوا يختارون المناطق التي يتواجد بها أكبر عدد من أقاربهم أو أقرانهم من أصول ومناطق واحدة في الجزائر (الشاوية، القبائل، السطايفية، القسنطينية...الخ) حتى لا يشعر المهاجر بأنه في الغربة بعيدا عن وطنه الأم بل يحس أنه بين أهل بلده، وبذلك يكون التعاون والتضامن

1 ميشيل لوفين، حملة أكتوبر العقابية، اغتيال جماعي باريس في 1961، تر: عبد القادر بوزيدة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص72.

2 عمار بوحوش، مرجع سابق، ص142.

3 La migration algérienne en France, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 98°, semaine du 20 au 26 Octobre 1960, pp 19 - 20.

بينهم على مستوى عال، كما يكون الاندماج مع المهاجرين الجدد سهلاً، ومن هذا المنطلق فإن هذا الاستقرار العرقي قد تمّ لاعتبارات نفعية أكثر منها جهوية وهي تفيد المهاجرين الجزائريين في بلاد المهجر، فالجزائري الوافد حديثاً إلى فرنسا يتوجه آلياً إلى ناس قريته لكي يتلقّى المساعدة اللازمة، وفي بعض الأحيان يحرص على عدم الهجرة إلا بعد الحصول على موافقتهم.

تحدث "بوداود" عن استقرار المهاجرين الجزائريين بمختلف المناطق الفرنسية حسب مناطقهم الأصلية في وطنهم الأم فقال: "لقد تميّزت الجالية الجزائرية في فرنسا بنفس الخصوصيات التي تميّز مناطقها الأصلية في الجزائر وكذا مختلف المجموعات الألسنية، فهي لم تكن تشكّل كُلاًّ منسجماً رغم اشتراكها في ثقافة دينية واحدة، ذلك أن العامل الجزائري كان يهاجر إلى فرنسا لهدف وحيد هو تحسين أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية لهذا كان حريصاً على المحافظة دائماً على العادات والتقاليد والأعراف التي تميز وسطه العائلي ومنطقته الأصلية، وعلى هذا الأساس كانت كل مجموعة تشكل جماعة على حدة منفردة بفنادقها وبمقاهيها ومطاعمها... وعند وصول المهاجرين الجدد إلى فرنسا كان ملاذهم الطبيعي لدى أقاربهم المنتمين إلى نفس القرى، وهكذا يضمّنون لهم المأوى والمأكل في انتظار إيجاد منصب عمل".¹

لم يكن الجزائريون المهاجرون إلى فرنسا يتوزعون عشوائياً بل كانوا يتجمّعون في أماكن فرنسية معينة حسب أصولهم بالدرجة الأولى بناء على تجارب من سبقوهم من قراهم ودواويرهم إلى الهجرة والاستقرار بتلك الأقاليم على أساس رابط القبيلة أو القرابة، فمثلاً كان المهاجرون من دوار "بني يني" يتجمّعون في الأحياء التالية: (Puteaux – Billancourt – Boullongne)، والمهاجرون من دوار "آيت عيسى"، و"بني محمود" كانوا يتجمعون في الدائرة العشرين (arr20) وفي (Courbevoie)، في حين كان المهاجرون من منطقة القبائل الصغرى بشمال سطيف والتي شملت كل من بوقاعة وآيت لعرج وماوكلان وبني معاوش وبني شبانة ودار العيد وذراع كبيلا، وحربيل واخليجان وبني ورثلان في أحياء (Clichy – Grésillons- Choisy – Montreeuil- Charonton- Ivry- Leroi- Colombes)، وكانوا يتمركزون أيضاً في الدوائر الخامسة والثانية عشر والسابعة عشر²، وهذا ما نستنتجه من خلال وجود أحد أعضاء "ف.ج.ت.و" بمنطقة "كليشي" وهو "محمد غفير" المدعو "موح كليشي" نسبة لمنطقة كليشي الفرنسية التي كان مستقراً بها ومناضلاً في صفوف الجبهة انطلافاً منها، والمعروف أنه من منطقة "قنزات" بشمال سطيف.

بينما مهاجرو الغرب الجزائري مثل مغنية وندرومة كانوا يتمركزون في Alfortville, Planizan, Neuilly, Raincu, Rosny, Boulongne, Ivry, Arcueil, Noicy-le-Sec، ويوجد لهم

1 عمر بوداود، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، تر: أحمد بن محمود باكلي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 102. 104.

2 مليكة قليل، مرجع سابق، ص 151.

مراكز أخرى في الدائرة السادسة عشر، أما المهاجرين من أولاد نايل فقد كان أهل المسيلة يتواجدون في الدائرة الخامسة، في حين يكثر أهل عين التوتة وعين القصر وبوزينة وإشمول في (St-Ouen, Ivry)، وكثير تواجد الشاوية في المناطق التالية: (Le Rhone, La Moselle, Meurthe et Moselle, Les Bouches-du-Rhone, La Loire, Le Nord, La haut Savoie, L'Isère et Le Gard, La Seine, Le Calvados, Le Bas-Rhin, Le Haut-Rhin, Marne, Le Doubs, Dole, Manosque) وغيرها من المناطق التي تواجدوا فيها لكن بنسبة أقل.¹

تمثلت أهم المناطق الجزائرية الأكثر دفعا بأبنائها إلى الهجرة في المناطق الجبلية والفقيرة والمعزولة لهذا ندرك أن أهم المناطق الفرنسية التي توجه إليها الجزائريون هي المناطق الصناعية الكبرى الأكثر تطورا²، وذلك بهدف البحث عن العمل إذ كانت الحاجة الملحة ونقص فرص الرزق وانخفاض الأجر هي العوامل التي تضافرت لتدفع بالجزائريين إلى الانتقال للعيش في فرنسا، ومن الطبيعي أن يبحث المهاجر عن مدخل أوسع يجد فيه عملا دائما مقابل أجرة تلبى احتياجاته ولعلها تسمح له بالادخار لمحاولة إرساله لعائلته الموجودة في أرض الوطن³، فكانت المنطقة الباريسية تمثل أضخم تجمع للمهاجرين الجزائريين، لأن تفوق الصناعات المختلفة فيها جعل ثلث 1/3 الجالية الجزائرية تتمركز بها، حيث كان الجزائريون يعملون في صناعة التعدين (السيارات، محطات تخزين الطاقة، المصاهر)، كذلك تتمركز المهاجرون في مناطق الشمال⁴، كما كان البعض منهم يشتغلون في مصفاة "سالي" في شركة "أمينيس" وفي ورشات مختلفة في منطقة العاصمة باريس⁵، التي كانت حسب شهادات العديد من المعاصرين الأكثر استقطابا لاستقرار المهاجرين الجزائريين.⁶

أكد "دومونديون" "Demondion" هذا الطرح بأن المنطقة الباريسية هي الأكثر استقطابا للمهاجرين والعمال الجزائريين حين أورد نهاية سنة 1950 توزيعا شاملا لهؤلاء العمال بمختلف المناطق الفرنسية والبالغ عددهم أزيد من 96 ألفا مع تحديدها بنسب مئوية دقيقة، حيث مثلت المنطقة الباريسية أكثر المناطق جذبا لهؤلاء العمال إذ وصل عددهم فيها إلى 24 ألف و848 عاملا بنسبة 25,86%، تليها "المنطقة الشمالية" بـ 18 ألف و875 عاملا بنسبة 19,64%، لتأتي منطقة "الرون" و"المنطقة الشرقية" بعدهما بنسب متقاربة حيث تركز 16 ألف و915 عاملا في "الرون" بنسبة 17,6%، وتواجد 16

1ملكية قليل، مرجع سابق، ص ص152. 156.

2 صالح عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830. 1930، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 103.

3ناصر الدين سعيدوني، وراثة جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 489.

4عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914. 1939 نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 28.

5محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، تر: أمحمد البار، ج1، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، 2008، ص 242.

6مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر. الإعادة الرابعة 1427هـ. 2006م، ط2، 2004، ص 145.

ألف و196 عامل في "المنطقة الشرقية" بنسبة 16,85%، في حين توزّع أزيد من 11 ألف و110 عامل في باقي المناطق الفرنسية بنسبة 11,56%، و8 آلاف و156 عامل في منطقة "الساحل المتوسطي" بنسبة 08,49%¹.

هكذا كان تفضيل المهاجرين الجزائريين بفرنسا للقطاع الصناعي على حساب باقي القطاعات الاقتصادية الأخرى، حيث كان استقرارهم بالأرياف الفرنسية ضئيل جدا إذ لم يتجاوز عدد العمال الجزائريين في الميدان الزراعي 931 عاملا في شهر نوفمبر سنة 1950، في حين كان عدد الممارسين للتجارة أيضا قليل حيث لم يتجاوز 730 تاجرا، ومعظمهم أصحاب مقاهي ومطاعم وفنادق، إذ وُجد منهم 600 تاجر في العاصمة باريس، و100 في مرسيليا و100 أخرى في ليون و30 في بوردو²، إضافة إلى ممارسة أعدادا أخرى لا بأس بها للتجارة المتجولة كونها الأسهل ولاسيما في الفترات الأولى لبداية استقرارهم بالتراب الفرنسي، على غرار "مصالي الحاج" الذي كانت بدايته بفرنسا كتاجر متجول.

كما اعتبرت مقاطعة "أسن" القديمة إحدى أهم المراكز الرئيسية لتمرکز الجزائريين، إلى جاني منطقة "تراكوان"³ "Tourcoing"، إضافة إلى مناطق أخرى خاصة المناجم على غرار منجم "بادي كالييه" - Pas-de-Calais، و"ليل" - "Lille"، ومصانع باريس Paris⁴، "الأردن" - "Jordanie"، "الأيزن" - "Aisne"، و"المارن" - "Marne"، وتمركزوا أيضا في الجنوب بمدن "ليون" - "Lyon"، "سان إيتيان" - "Saint-Etienne"، و"مرسيليا" - "Marseille"، وكانت كثافتهم تزيد سنة بعد أخرى في المدن الكبرى، وكذا في المناطق الريفية حيث كانوا يتجمعون أسرا أسرا أو مناطق مناطق حسب أصولهم العرقية ومناطقهم الأصلية في الجزائر⁵، أما بالنسبة لفئة الطلبة من المهاجرين فإنهم كانوا يستقرون بشكل كبير في العاصمة باريس "Paris" ثم بدرجة أقل في باقي الأقاليم الفرنسية والتي كان أهمها المناطق التالية: - "Toulouse" - "Montpellier" - "Strasbourg" - "Caen" - "Rennes" - "Nancy - Bordeaux" - "Lyon" - "Grenoble" - "Poitiers".⁶

من مميزات تمرکز المهاجرين حسب أصولهم العرقية أن كان أغلبهم يمارسون نفس المهنة ويزاولون حرفة تميزهم عن باقي المناطق، فكان مثلا أغلبية المهاجرين من منطقة "ذراع الميزان" في باريس يعملون في مصانع رونو، بينما يشتغل أبناء منطقتي "فرقور" و"مجانة" في مصانع الغاز، أما أبناء "وادي المرسى"

1 Pierre Demondion, les problèmes de l'emploi, 1^{ère} édition, édition Berger Levrault, Nancy, France, 1960, p124.

2 بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 - 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص 218 - 219.

³ أندري لوكرتول، جزائر الخمسينيات، شهادة قس، تر: عبد القادر بوزيدة لزهاري لبتير، د ط، الجزائر، د س، ص 23.

4 Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien 1919 - 1939, Tome 1, édition EDIF, 2000, 2003, pp159-160.

5 ليندة عميري، معركة فرنسا حرب الجزائر بفرنسا، تر: برمالة فضيل، منشورات الشهاب، الجزائر، 2013، ص 47.

6 غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 - 1962، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 31.

و"المسيلة" و"خرطة" في معامل السيارات¹، في حين كانت "مرسيليا" وضواحيها تضم العناصر المهاجرة التي تعمل في المرافئ والعربات العمومية وورشات البناء، إضافة إلى العناصر العاملة في شركة العربات العمومية والمترو التي كانت متركزة بشكل خاص في المنطقة الباريسية²، ثم سيقطن المهاجرون الجزائريون بمرور الوقت في جميع المقاطعات والمناطق الفرنسية شمالا وجنوبا، شرقا وغربا حتى لا تكاد توجد منطقة أو إقليما يخلو منهم.

إذا أمعنا النظر جيدا فإننا نجد أن طبيعة الفرد الجزائري هي التكتل والميل إلى الاتحاد والجماعة من خلال العيش مع أبناء نفس العرش أو الدوار، خصوصا في بعض المناطق التي كانت بارزة بشكل واضح، وقد انتبه لها حتى الأجانب ممن دخلوا الجزائر أو استقروا بها لفترات زمنية معينة مثل الرحالة المسلمين والأوروبيين والضباط والمؤرخين الفرنسيين وغيرهم، الذين تحدثوا في رحلاتهم ومذكراتهم ومؤلفاتهم عن نظام الجماعة "ثاجماث" الذي كان يميز منطقة القبائل في الشمال، ومجلس العزابة الذي ميز منطقة بنو ميزاب في الجنوب، وأراضي الأعراش التي كانت منتشرة في مختلف المناطق الجزائرية شرقا وغربا والتي كانت تجمع وتوحد بين عدة قبائل ودواوير، وهي النزعة نفسها التي جسدها المهاجرون في مختلف المناطق الفرنسية من خلال استقرارهم في أماكن موحدة في شكل جماعات حسب أصولهم العرقية ومناطقهم الجبلية في الجزائر، وهذه السياسة هي في الحقيقة ناتجة عن النمط الفلاحي، لأن المجتمع الجزائري تاريخيا هو مجتمع زراعي ورعوي بدرجة أولى ما أثر على توطيد العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين أبناء المنطقة الواحدة.

سعت "ج.ت.و" باعتبارها منظمة وطنية تكافح من أجل الجزائر بكل امتدادها وحدودها، إلى إحلال الروح الوطنية وتطوير الوعي السياسي، من خلال القضاء على انتشار هذا الفكر القبلي بين المهاجرين وتحيزهم لمناطقهم الأصلية في الجزائر، وعملت على تغيير تلك القنوات تدريجيا، للتغلب على تلك الخصوصية التي تربط الرجال بالجهة التي ينتمون إليها وإنهاء الروح القبلية المتمكنة في نفوسهم من خلال إعادة هيكلتهم حسب التعليمات الجبلية، وعدم إبقائهم سجناء الذهنية القبلية، في الوقت الذي تجنّدت فيه الجزائر برمتها من أجل تحرير كافة ترابها، بتعددية كبيرة جسّدت تنوعا ثقافيا حقيقيا يرفض كل صلة بالجهوية، وقد بيّن مسؤولو الجهة ذلك منذ البداية حيث تولّى "ديدوش" وهو ابن العاصمة الجزائرية قيادة المنطقة الثانية في الشمال القسنطيني، وتولّى "بيطاط" وهو ابن قسنطينة قيادة المنطقة الثورية الرابعة التي شملت العاصمة وضواحيها، كما قاد "ابن مهدي" الغرب الجزائري وهو ابن الشرق³، وقد تمكّنت في النهاية من تأسيس عقيدة إيديولوجية وسياسية جديدة مناسبة لتحقيق المطامح الوطنية.

1 زوزو، الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص 31.

2 الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 220.

3 بوداود، مصدر سابق، ص 193 . 194.

المبحث الثالث: أوضاع المهاجرين الجزائريين بفرنسا قبيل اندلاع الثورة

عاش الجزائريون في فرنسا أوضاعا صعبة للغاية طبعتها عدة مشاكل وعراقيل، منها ما انعكس عليهم سلبا وزاد من حدة تخلفهم ومنها ما أخذ كحافز للمضي قدما نحو مستقبل أفضل لهم ولبلدhem الأصلي، ويتضح بأن حياتهم اليومية كانت بسيطة ومؤلمة ومتشائمة أحيانا بالنظر إلى عدم حصولهم على ظروف اجتماعية واقتصادية مناسبة تسمح لهم بالعيش الكريم، لكن هذا الواقع الأليم قد يتحول أحيانا إلى حياة مناسبة وظروف معيشية أفضل وفق سياسة اجتماعية وثقافية معينة.

كان المهاجرون الجزائريون بفرنسا يعانون في شتى المجالات المادية والاجتماعية والنفسية والصحية، حيث أسند إليهم أقسى وأشد الأعمال ضررا بالصحة وتم استغلالهم بشكل منقطع النظير، خصوصا في المناجم والسكك الحديدية وورشات الفحم الحجري وغيرها من الأشغال التي كان يترفع عليها الفرنسيون ويرفضونها، فتم إسنادها للجزائريين من دون أدنى الامتيازات والحقوق التي يتمتع بها باقي العمال ليس في فرنسا فحسب بل في أي مكان من العالم.

أولا: البطالة وانعدام فرص العمل:

اتخذ الجزائريون من الهجرة مخرجا لهم من حياة الاضطهاد والحرمان، لكنهم فوجئوا بواقع مر في المهجر ولا يقل سوءا عن الوضع الذي عاشوه في الجزائر من قبل، فقد اصطدم بشبح البطالة التي كانت أحد أهم أسباب هجرتهم ومغادرتهم للجزائر، ذلك أن اعتقادهم بأن الهجرة إلى فرنسا سوف تساعدهم على التحسين من أوضاعهم جعلهم يقبلون عليها بكل أنواعها، هجرة مؤقتة ومرحلية ودائمة، وكان دافع البحث عن الوظيفة سببا لهجرتهم غير أنهم تفاجئوا بواقع آخر جعلهم يعيشون بطالة لم يتوقعوها، وهذا ما يفسر أن أغلبهم كانوا من فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و40 سنة حيث لديهم القدرة والرغبة في العمل والإنتاج.

عانى المهاجرون الجزائريون أوضاعا متردية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية لاسيما سنوات 1949 و1950 نتيجة مخلفات الحرب وانهايار الاقتصاد الفرنسي حيث كانت فرنسا الميدان الرئيسي للحرب والسيطرة النازية على غرار العديد من الدول الأوروبية، ما أدى إلى تأزم الوضع الاجتماعي بانتشار كبير للبطالة، حيث تفيد الإحصائيات أن عدد القادمين من شمال إفريقيا إلى فرنسا بلغ 80.000 من بينهم 75.000 جزائري وصرحت جريدة "جين باترون" في عددها لشهر نوفمبر سنة 1950 أن مئات الآلاف من مهاجري شمال إفريقيا كانوا بطالين وعاطلين عن العمل وأن عدد 21.000 فقط منهم من كان يشتغل في المصانع الفرنسية بصفة منتظمة.¹

1 يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008، ص 249.

يعود السبب الرئيسي الذي أدى إلى تطور نسبة البطالة في وسط المهاجرين الجزائريين إلى سوء سياسة الحكومة الفرنسية في استغلال اليد العاملة الجزائرية، وكذلك بسبب عدم تخصص المهاجر الجزائري في أية مهنة، حيث أنه لم يسبق له أن زار مركز مهني بالجزائر لظروفه القاهرة، فكان غير مرغوب فيه ليتم بعد ذلك رفض طلبه ويُسرح نحو البطالة، أو تُعرض عليه الأعمال الشاقة، حيث كانوا يقبضون أقل الأجور كما يتعرضون إلى التمييز وكان يُفرض عليهم العمل من 12 إلى 14 ساعة يوميا¹، وبالرغم من زيادة نسبة البطالة إلا أننا نلاحظ ارتفاعا في صفوف المهاجرين الجزائريين، ولم تتوقف الهجرة إطلاقا نحو فرنسا بل بقي هذا التزايد مستمرا إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية في 1954.²

انتشرت ظاهرة البطالة في صفوف المهاجرين الجزائريين بفرنسا نتيجة سوء سياسة الحكومة الفرنسية في استغلال اليد العاملة الجزائرية وكذلك افتقار هؤلاء المهاجرين لإتقان أية مهنة، فهو لم يتمكن من الاستفادة من أي نشاط تعليمي بسبب سياسة فرنسا التجهيلية في الجزائر، لذلك كانوا غير مرغوب فيهم ويتم رفض جميع طلباتهم في الحصول على عمل مناسب، أو تُعرض عليه الأشغال الخطيرة بظروف عمل أصعب وبأجور ورواتب أقل، ناهيك عن سياسة التمييز العنصري التي كانت تطالهم يوميا باعتبارهم مجرد رعايا أو عبيد ومشردين لا يمكنهم الارتقاء حتى لرتبة المواطن البسيط.

ذكر المجاهد "عيسى بلبصير"³ أن فرنسا تطورت في جميع المجالات لاسيما الاقتصادية منها، على أكتاف العمال الجزائريين الذين دفعتهم ظروفهم القاهرة للعمل في أي منصب أو وظيفة مهما كانت صعبة وقاسية من أجل لقمة العيش حتى وإن كانت الأجور زهيدة ولا تلبي المتطلبات الأساسية للعيش الكريم.⁴

لقد كان وضع الجزائريين في المجتمع الفرنسي صعب للغاية فقد كانوا يعانون في شتى المجالات المادية والاجتماعية وحتى الصحية حيث أُسندت لهم أشد الأعمال ضررا بالصحة، أي أنهم كانوا يُستغلون

¹La situation des Nord- Africains en France et l'officine de la rue Lecomte jugées par une française, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans Algériens Marocains et Tunisiens, N° 65, Vendredi 22 Avril 1935.

²عمار قليل، مرجع سابق، ص213.

³عيسى بلبصير، ولد يوم 1 نوفمبر 1942 بولاية بسكرة ناضل ضمن صفوف فدالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا توفي والده بشير سنة 1947 وظل رفقة والدته وأخيه في حالة فقر كبير فغادرت الأسرة إلى بسكرة واشتغل في مقهى "بركاتي مسعود" ثم اتصل بأبناء خالته وهما "سماحي محمد" و"بن ناصر إبراهيم" الذين كانا في فرنسا وشجعا على الانتقال إلى المهجر وتلقي المساعدة منهما، والذين كانا مناضلين في فدالية الجبهة، فانتقل إلى فرنسا سنة 1961، وقد استطاع الحصول على مهنة في المخبرة في سان دوني بالشمال الغربي لباريس والتي كانت مقرا لعدد كبير من المهاجرين الجزائريين الذين كانوا يمتلكون عددا من المقاهي والفنادق هناك، ثم إصالحه إلى فدالية الجبهة ضمن مجموعة فدائية قد تولى مهمة إيصال وتوزيع الرسائل على المناضلين مستغلا شاحنة نقل الخبز وبالتالي كان بعيدا عن شكوك الشرطة الفرنسية، إضافة إلى الحراسة لتأمين الطرق والمسالك والمناطق التي يتم فيها عقد اجتماعات فدالية الجبهة، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، يوم 05 فيفري 2018.

⁴عيسى بلبصير، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، يوم 05 فيفري 2018.

إلى أبعد الحدود، خاصة في أعمال العتالة، والحمل في ورشات الفحم الحجري حيث كانوا يتعرضون لخطر السقوط والمرض، كما أسندت لهم أعمال صب الحديد في الأفران وما يصاحبها من أخطار وكذلك عملية وضع القضبان في السكك الحديدية... وغيرها من الأشغال الشاقة التي تحتاج إلى صحة جيدة وقوة بدنية كبيرة وظروف معيشية ملائمة ومحفزة على الإنتاجية والمساهمة في خدمة الاقتصاد الفرنسي.

ثانيا: التمييز العنصري:

تعتبر هذه الظاهرة أحد أهم المحطات السوداء في تاريخ فرنسا الاستعمارية حيث عاش المهاجرون الجزائريون مختلف أشكال وألوان التمييز العنصري، رغم كل الخدمات الجليلة التي كانوا يقدمونها للاقتصاد الفرنسي والدولة الفرنسية من خلال العمل أكثر من الحجم الساعي لباقي العمال في المصانع والورشات، والمشاركة في الحروب دفاعا عن أمن فرنسا كالمواجهتين الأولى والثانية حيث كانوا دائما في الصفوف الأولى للجيش الفرنسي، فقد كانت الامتيازات التي طالما منحتها فرنسا للفرنسيين والأوروبيين غالبا ما تركز التمييز العنصري ضد أفراد الجالية الجزائرية في المهجر، فدائما ما يُنظر إليهم على أنهم مجرد أهالي قديموا من مستعمرة فرنسية وكان التعامل معهم يتم على هذا الأساس.

كما أن الفرنسيين لم يعترفوا لهؤلاء المهاجرين بالحق في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين واستمرت الملامح الاضطهادية والقاسية ضدهم، وكان العمال الجزائريون الأسوأ حالا في فرنسا، وقد انقسمت نظرة الفرنسيين لهم بين من يراهم مهاجرين فارين من بلادهم لغرض البحث عن فرص عمل، وبين من يراهم مجرد مرتزقة لا ينبغي إعطاؤهم أية قيمة في فرنسا، ومهما بلغت مجهوداتهم البدنية وكفاءاتهم الفنية ومستوياتهم الثقافية فإنهم يبقوا غير فرنسيين ويُعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية.

عانى المهاجرون الجزائريون في المجتمع الفرنسي من التفرقة بينهم وبين أقرانهم الفرنسيين ماديا واجتماعيا بشكل واضح، وفي كل مجال من مجالات العمل حيث أسندت لهم أشد الأعمال صعوبة وضرا بالصحة¹، فقد كان الجزائريون يشتغلون في المصابين والمصافي والمناجم والصناعات الكيماوية²، وغيرها من الأشغال المرهقة التي كان الفرنسيون يرفضونها، فالعمل في ورشات الفحم الحجري وأعمال البناء والحفر والمصانع التي تصدر نفايات هائلة وروائح كريهة كمصانع المواد الدهنية والنحاسية، والأكثر من ذلك أنهم كانوا يعملون مقابل أجور جد منخفضة لا تلبي حتى احتياجاتهم من متطلبات الحياة الضرورية والتي لا يرض بها العامل الفرنسي وقد تسببت للاقتصاد الفرنسي نتيجة ذلك المحافظة على توازنه وعدم الوقوع في تضخم مالي مضر به.³

1 ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين، مطبعة سامي الاسكندرية، مصر، 2001، ص 140.

2Kaddach, op.cit, pp159-160.

3 بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 172، 173.

ظهر العديد من الكتّاب والشخصيات الفرنسية التي هاجمت المهاجرين الجزائريين ونادت بضرورة إعادة ترحيلهم إلى بلدهم الأصلي كونهم يشكلون خطراً حقيقياً على الأمن الفرنسي في فرنسا، على غرار الباحث ديون "Depont" الذي دعا إلى اتخاذ تدابير صارمة ضدهم وكتب دراسة بعنوان "البربر في فرنسا"، مُعبِّراً فيها عن مخاوفه من تزايد نشاطهم لاسيما في المجال النقابي والسياسي خاصة ما تعلق بمبدأ تقرير المصير للشعوب، وهي حسبه أمور محظورة إذ كيف لهم أن يطالبوا بأمور لا يتمتعون بها ولا يمكن لهم حتى التحدث عنها في بلدانهم الأصلية، واعتبر ذلك أمراً سيئاً وجريئاً جداً قد يؤدي إلى كارثة إذا استمر تغافل الإدارة الفرنسية عن نشاطهم¹، حيث ذكر في كتابه: "... في فرنسا هناك عدد لا بأس به من البربر المثقفين الثائرين، على علاقة مع جماعة كبيرة من عمال المصانع، وهي أيضاً مُشجعة ومدعومة من طرف صحافة متطرفة في معركة ستظل مستمرة، وهي تعمل دون انقطاع لنشر البرنامج الإسلامي... وكان هدف هذه التهديدات هي استهداف الأمن المدني، وتكمن في طرد الرومي من أرض الإسلام".²

كان الفرنسيون ينظرون إلى المهاجرين شمال إفريقيايين بنظرة دونية فهم في نظرهم بدو، قليلو التربية ولا علاقة لهم بالمدينة والحضارة، ولا باحترام القوانين السائدة في البلاد، وأمّيون جهلة لا يفقهون من الحياة شيئاً، كما أنهم فئات متشردة شوّهت شوارع المدن والأحياء الفرنسية ولا بد من التخلص منهم، حيث ذكر Depont أنهم: "شعب قليلاً ما تهيأ للتربية والانتباه والإرادة"³، وكنتيجة لهذه السياسة العنصرية كانت العلاقات الاجتماعية بين الفرنسيين وهؤلاء المهاجرين محدودة جداً⁴، حتى في المصانع وورشات العمل حيث يفضلون عدم إقامة أية علاقة صداقة أو زمالة مع المهاجرين خوفاً من عدوانيتهم، وكونهم أدنى منهم مستوى وتحضراً.

وفي نفس السياق كان الطالب الجزائري يشعر بالمعاناة من عنصرية المجتمع المسيطر وفي علاقاته مع السكان الأوروبيين خصوصاً حين يبحث عن غرفة يأوي إليها، ذلك أن فئة المؤجرين كانت ترفض تأجير الغرف للطلبة الجزائريين، أو تفرض عليهم دفع أسعار إيجار خيالية في بعض الفنادق، وقد انتقد "أمقران ولد عودية" هذه الذهنية الاستعمارية حين قال: "لا داعي إلى التذكير بأشكال التمييز السياسي والعنصري الكامن وراء إجراءات توزيع المنح المدرسية"، كما تجسّد التمييز العنصري في تسامح المصالح الإدارية مع بعض مؤجري الغرف الذين يرفضون تأجيرها للطلبة الجزائريين، وكانت تلك المصالح تغض الطرف عن الشروط

1 زوزو، الأوراس إبان الاستعمار، ج2، مرجع سابق، ص ص26. 27.

2Octave Depont, les troubles en Afrique du nord et les franchises indigènes en Algérie, Revue politique et parlementaire, Paris, 1935, p71.

3Ibid, p74.

4Louis Chevalier, le problème démographique nord- africain, travaux et document, cahier N⁰⁶, PUF, Paris, p 188.

المجحفة والقاسية التي كانت مفروضة على الطلبة الجزائريين لتعمد منهم من الاستفادة من السكن في الأحياء الجامعية كسائر أقرانهم.¹

استمرت عنصرية الفرنسيين خاصة المتطرفين منهم ضد المهاجرين الجزائريين المغلوبين على أمرهم، فكانوا يتهمونهم ظلما وزورا بمخالفات لم يرتكبوها أصلا ولم تكن لهم أية علاقة بها، وكانوا يمثلون بالنسبة لهم عناصر بذيفة مكانها الحقيقي إما السجون وإما المستشفيات²، وغير ذلك لا مكان يحتاجهم لأنهم عاجزين تماما عن تقديم أية فائدة أو إضافة في مكان آخر، ومن هذا المنطلق ضلّت دعواتهم حثيثة للسلطات الحكومية بضرورة إعادتهم إلى الجزائر وتخليص المجتمع الفرنسي منهم، فهم أشدّ خطورة على فرنسا من الألمان إذ لا يؤتمن جانبهم ولا ثقة فيهم لأنهم يمثلون الإرهاب والتطرف، كما أن وجودهم في فرنسا يبيّن ثقافة الخوف والترهيب ومن ثمة فإن الوقوف في وجههم رسالة سامية ومقدسة نظرا لثقافة التعصب والطائفية التي يحملونها في أذهانهم.

غير أن الحقيقة كانت عكس ما روج له هؤلاء المتطرفين فهم من كان يمثل قمة الظلم والإرهاب حيث لم يكن هؤلاء المهاجرين سوى مغتربين غادروا بلادهم مرغمين بحثا عن فرص للعمل لتحسين واقعهم وواقع عائلاتهم البأس، ولم تكن لهم أية نوايا لإيذاء الفرنسيين المدنيين، وهذا ما تجسّد في انضمام بعض الفرنسيين إلى القضية الجزائرية والدفاع عنها والإقرار بعذالتها خصوصا في فترة الثورة التحريرية، كما يدل هذا أيضا على أن هؤلاء المهاجرين في فرنسا استطاعوا إثارة إعجاب الفرنسيين بأخلاقهم الحسنة والتزامهم بالنظام العام وتفانيهم في تأدية المهام التي تُسند لهم بكل إتقان، ولم يتسبّبوا في إثارة أية فوضى أو إحداث المشاكل التي حدّر منها هؤلاء المتطرفون، وحتى الهجمات التي استهدفوا بها المصالح الاقتصادية والعسكرية الفرنسية فترة الثورة كانت تدخل في سياق الجهاد ضد السياسة التعسفية التي زادت وطأتها على الجزائريين ولم تكن مستهدفة للمدنيين الفرنسيين.

التزمت "ف.ج.ت.و" بعدم المساس بالمدنيين أو التعرض لهم أو تعريض حياتهم للخطر بأي شكل من الأشكال، وكان ذلك مبدأ من مبادئها الأساسية، وهذا ما أكدّه أحد قادتها وهو "مزيان الشريف" في مذكراته بقوله: "كنت أعلم كوني أعيش بينهم أن أغلبية الفرنسيين منخدعون بالدعاية الاستعمارية الماكرة التي تجعلهم لا يفكرون، فكان لزاما أن تنقل الحرب وفضاعتها إلى فرنسا بطريقة مدوية لكي تسمح القوات النشطة لهذا البلد أصواتهم... كان التزام إخوة الكفاح كليا على تفادي سقوط ضحايا مدنيين بتجني إثارة غضب الشعب الفرنسي بالرغم من الأعمال الوحشية المقترفة في بلادنا باسمه، والتزما بإقناعه أننا لسنا إرهابيين كما تم تعريفنا في الصحافة الاستعمارية، بل جنودا منضبطين ضمن جيش يكافح من أجل الحرية".³

1 قليل، مرجع سابق، ص 206 . 207.

2Jean Blanchard, le problème Algérien, réalité et perspectives, PUF, Paris, 1955, p55.

3Meziane Cherif,op, cit, pp 114 – 115.

مثلما كان الوضع في الجزائر والأسلوب الاستعماري العسكري الاستيطاني المنتهج ضدها مختلف عن الأوضاع في تونس والمغرب المجاورتين لها وأسلوب الحماية الفرنسية المطبق عليها، كانت أوضاع المهاجرين من هذه البلدان في فرنسا مختلف أيضا، حيث عانى المغتربون الجزائريون هناك أكثر من غيرهم من باقي المهاجرين ذوو الجنسيات الأخرى من سوء المستوى المعيشي والصحي والاقتصادي ومن سياسة التمييز العنصري ضدهم مهما كانت كفاءاتهم كبيرة وأخلاقهم عالية، وقد ذكر الأشرف في هذا السياق أن: "الطلبة الجزائريون بفرنسا كانوا أكثر طلبة بلدان المغرب العربي فقرا، وأنهم كانوا يتوجب عليهم إكمال دراساتهم مع التكفل ببعض الأعمال الصغيرة الشاقة لكسب قوة يومهم، كما أنهم تعرضوا أكثر من غيرهم من الأجانب للتمييز العرقي والإهمال".¹

لم يكتفي الفرنسيون بالتنمر ولا حكومتهم بالتمييز العنصري ضد المهاجرين بل مارسوا سياسة التفرقة حتى فيما بين هؤلاء المهاجرين سواء بين المغتربين من شمال إفريقيا عامة أو حتى بين أفراد الجالية الجزائرية أنفسهم، وذلك من خلال انتهاج سياسة فرق تسد، حيث ظهرت قضية التمييز بين العرب وغير العرب من البربر وغيرهم²، خصوصا عندما يتعلق الأمر بإطار التشغيل والتوظيف، فقد كانت جلّ الوظائف المتوفرة تُمنح في أغلب الحالات للمهاجرين من منطقة القبائل مع تفضيلهم على أقرانهم من العرب المهاجرين من بقية المناطق الجزائرية الأخرى³، في محاولة فرنسية لتشتيت الصف الجزائري وتنمية الكراهية والحقد بين أبناء الشعب الواحد وتجسيد الدراسات الفرنسية في هذا المجال والتي قادها العديد من المؤرخين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لإبعاد الجزائريين عن الانتماء العربي والإسلامي من خلال محاولة غسل أدمغة الكثيرين منهم بأن البربر هم الأصل في الجزائر وأن ما دونهم جميعا أجنبي وغزاة، ومن ثم وجب طردهم ومساعدة الفرنسيين في تحقيق هذا الهدف وإعادة شمال إفريقيا إلى ما كانت عليه قبل وصول الإسلام إليها.

استمرت السلطات الفرنسية في اتباع سياسة التمييز العنصري ضد الجزائريين، ومحاولة التأثير عليهم بأن مستقبلهم مرتبط بوجود فرنسا، وأنهم غير قادرين على العيش من دونها، لكونها السبيل الأفضل للتوفيق بين العرب والبربر تحت حكومة واحدة وموحدة، مؤكدة أن أغلبهم يفضلون الاندماج مع فرنسا باعتباره أفضل حل لانتهاء مشاكلهم وتحسين أوضاعهم⁴، وهذا ما أكده الرئيس "غي مولي" عندما ذكر قوله: "إن

1 مصطفى لأشرف، أعلام ومعالم ومآثر عن الجزائر المنسية، تر: أحمد بن محمد بن علي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 140.

2 حل قضية الجزائر في نظر فرنسا، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en

Afrique, 01^{er} année, N° 08, 24 Octobre 1956, Paris, p05.

3 Louis Chevalier, le problème démographique Nord-Africain, travaux et document, cahier N°6, PUF, Paris, 1947, p172.

4 Le PPA célèbre la mémoire de l'Emire Khaled, ancien capitaine e l'armée française mort en terre d'exil, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des Musulmans Algériens Marocains et Tunisien. 1 Septembre 1947.

الجزائر غير قادرة على العيش بأمان وازدهار إلا في نطاق التعاون الجدي بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة...¹

لم تقتصر سياسة التمييز العنصري المطبقة في فرنسا على العرب واليهود فحسب، بل وصل الأمر إلى ممارستها ضد الفرنسيين أنفسهم سواء المؤيدين للقضية الجزائرية، أو الفرنسيات اللواتي ارتبطن بمهاجرين جزائريين، حيث عانين من السخرية في مواطن إقامتهن، ومن الظلم في أماكن عملهن، ولم تشفع لهن لا كفائتهن العالية ولا وطنيتهن وجنسيتهن الفرنسية، فبمجرد زواجهن من جزائريين تم اعتبارهن فرنسيات من الدرجة الثانية.²

ثالثا: الظروف المعيشية المزرية: أزمة السكن

عاش أغلب المهاجرين الجزائريين ظروف معيشية قاسية جدا وغير ملائمة تماما وليست محفزة على العمل والإنتاج، فبالإضافة إلى العمل الشاق الذي كان نادرا، كان العمال المهاجرون يعانون من مشكلة السكن حيث يعيشون في أماكن مظلمة ورطبة ينعدم فيها الماء والهواء، وغالبا ما تكون عبارة عن أقبية العمارات ومخازن تابعة لورشات العمل أو منازل قصديرية، ومنهم من كانوا يبيتون في العراء دون أمن ولا استقرار ولا أي خدمات اجتماعية، حيث اتخذوا من الجسور والطرقات، والشوارع والغابات أماكن تحتويهم في ظروف معيشية مزرية، وهو الشيء الذي أثار من جهة حملة قمعية من الفرنسيين ضد الذين وُصفوا بالمتشردين.

لم يقتصر هذا الوضع المزري على العمال بل تعتبر هذه المشكلة معظلة لجميع الجزائريين المنتشرين في كل المدن الفرنسية حتى الطلبة المهاجرين، حيث كان يصعب عليهم العثور على مأوى يقيهم برد الشتاء القارص الذي يتميز به المناخ الفرنسي، وكانت هذه العراقيل تبدأ فور وصولهم إلى فرنسا إذ أنهم لا يجدون مراكز استقبال ولا فنادق ولا ديار مخصصة لهم على عكس باقي الطلبة القادمين من باقي المستعمرات الذين يتم التكفل بهم فور وصولهم، فمَثَل الجزائريون الفئة الأكثر تهميشا حيث كان الكثير منهم يسكنون مثنى وثلاث في حجرات لا تسع إلا طالب واحد، ولا يستفيدون من جناح خاص في الحي الجامعي ولا فندق خاص بهم، كما كان أغليبتهم مجبرون على السكن في فندق أو لدى الخواص بأجر لا يناسب مكائنتهم.³

¹فرنسا تبسط حل قضية الجزائر، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 20, 16 Janvier 1957, Paris.

²Mahand Zeggagh, prisonniers politiques du FLN en France 1954 – 1962, la prison, un champ de bataille, préface de Mohammed Harbi, Chihab Editions, Alger, 2015, p37.

³كمال بوقصة، مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، تر: ميشيل سطوف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص139.

كانت الجالية الجزائرية تقطن ثلاثة أصناف من السكنات حيث يقيم البعض مع عائلاتهم أي رفقة زوجاتهم وأبنائهم وعادة ما يسكن هؤلاء في شقق صغيرة يستأجرونها بصعوبة كبيرة وهذا الصنف كان قليلا جدا، وغالبا ما يجدون أنفسهم مُجبرين على الإقامة والعيش في مساكن غير لائقة لا يقبل بها الأوروبيون لأنفسهم، أما الصنف الثاني فمثله العمال العزّاب وهم الأشخاص الذين كانوا يعيشون بمفردهم في فرنسا دون أسر بعد أن تركوا زوجاتهم وأبنائهم في موطنهم الجزائر، ويعيش هؤلاء غالبا في فنادق يسيّرهم جزائريون حيث يتداولون على السرير الواحد وكان يوجد منهم من يعمل بالليل ومن يشتغل بالنهار، أما الصنف الثالث فتمثّل في فئة الجزائريين الذين يعيشون في شبه سكنات مهتأة للمبيت بنتها المصالح الفرنسية خصيصا لهم حتى توطّر هذه المجموعات السكانية وتضعها تحت الرقابة المستمرة... كان الغرض من إنشاء هذه المجموعات السكانية هو ضرب جبهة التحرير الوطني وعزلها عن أكبر عدد من المتخرجين¹.

ذكر "محمد غفير" المدعو "موح كليشي" معاناة المهاجرين الجزائريين من أزمة السكن وأنهم كانوا محرومين من الملكية بل وحتى الإيجار أو الكراء، فقال: "كانوا يسكنون في فنادق حقيرة في باريس وفي الأحياء القصديرية مثل حي "لافولي" في "نانتير" أو مخيمات بانيو الموجودة غير بعيد من هنا في بالونشو، إن الفقر يضاف إلى رفض الملاك الفرنسيين بأن يكروا لهم شققا مريحة، من التراكم السكاني والعزلة هم شغلهم الشاغل كل يوم"².

نفس الملاحظة قدّمها المجاهد "أحمد بوضياف"³ (حمادي) في شهادته، لاسيما أنه كان واحدا من المهاجرين الذين عايشوا الأحداث في فرنسا وعانى شخصا من مشكلة السكن والإيواء، حيث ذكر أن: "أوضاع الإقامة في فرنسا كانت كارثية وقاسية جدا على المهاجرين الجزائريين الذين ذكر أنهم كانوا يقطنون أحياءا قصديرية وأكواخ بالية لا تصلح حتى لعيش البهائم والحيوانات ولو للحظات نظرا لكثرة الرطوبة والأوساخ والحشرات الضارة، وكثرة أعداد المقيمين فيها من هؤلاء المهاجرين، وقال أن أقل غرفة في تلك الأحياء كانت تضم أزيد من 70 مهاجر"⁴.

1 محمد آكلي بن يونس، ص ص 73. 74.

2Mohammed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris droit d'évocation et de souvenance, préfaces Jean Luc Einaudi, Boualem Aidoun, Editions Encyclopedia, Alger, 2012, pp237- 238.

3أحمد بوضياف، من مواليد 03 مارس 1936 بأوريسيا التابعة لولاية سطيف، ابن السعيد وزرقان العمري، كان شاهدا على مجازر الثامن ماي وهو في عمر التسع سنوات، والتي راح ضحيتها أخوه الكبير عبد الله، بسبب تأزم وضع عائلته في جميع المجالات هاجر إلى فرنسا سنة 1952، واستقر في مدينة ليون، واشتغل عاملا في مصنع الأفرشة رفقة أخيه وأبناء عمه، وكان عضوا في فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية بمدينة ليون، وبعد اندلاع الثورة التحق بـ"ج.ت.و" سنة 1956 وأصبح مسؤول قسمة 341 بليون، شارك في الصراع مع المصاليين لتعزيز نفوذ الجبهة وكان ذلك سببا في إلقاء القبض عليه يوم 23 ديسمبر سنة 1957 ومنذ ذلك الوقت وهو ماكث في مختلف السجون الفرنسية في فرنسا ثم في الجزائر والتي بلغ عددها 10 سجون ومعتقلات منها سجن فورمولوك بليون، ثم سجن بومات بمرسيليا، ثم الجراش، ومعتقل بني مسوس، إلى بطوية بوهران، ثم بوسوي ببلعباس، وبعدها سجن سيدي شحمي بوهران، ثم سجن أركول بوهران، إلى سجن بول غزال في الصحراء ولم يطلق سراحه إلا بعد تحقيق الاستقلال في 24 مارس 1962.

4أحمد بوضياف (حمادي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 30 : 09. 12.30، 24 أكتوبر 2024.

كانت مشكلة السكن إحدى أهم مظاهر الفقر والحرمان التي كان يعاني منها أغلب المهاجرين الجزائريين بفرنسا، ولم تكن هذه الأزمة لتحل من طرف الحكومة الفرنسية وكان العمال يتحملون مسؤولياتهم في إيجاد سكن يأويهم فمنهم من يحصل عليه من طرف المؤسسات التي يعمل فيها، أو المؤسسات الخاصة أو المراكز المقامة ما بين المؤسسات أو حتى الجمعيات الخاصة¹، وفي الوقت الذي حُرِم فيه الطلبة الجزائريون من أدنى حقوق السكن والإيواء كان إخوانهم من تونس والمغرب يتمتعون ببعض الامتيازات أفضل منهم، وهذا ما نستنتجه من قول لشرف: "...دون أن ننسى ما حضي به إخواننا المغاربة من فرصة الحصول على جناح خاص بطلبة المغرب في الحي الجامعي المشهور، أما بالنسبة لطلبتنا الجزائريين فقد كانوا محرومين من كل شيء، ولم يكن من السهل عليهم الحصول على سكن عند بعض الخواص... ما خفف من عزلتهم وعهدهم الأول بالمنفى في فرنسا، هو ما وجدوه في ضيافة أخوية في 115 شارع سان ميشال، مقر نادي الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين. كانوا يجتمعون هناك في أوقات الأكل بإخوانهم التونسيين، بينما كان الطلبة المغاربة مدللين أكثر من طرف بلدهم وجمعياته التضامنية، فكان لهم في باريس في نفس الحي اللاتيني بنهج Serpente مقرا خاصا بهم، حيث كانوا يضيفوننا أحيانا".²

بقي أغلب المهاجرين الجزائريين بفرنسا يعانون من مشكلة الإيواء، وقد شمل هذا الوضع حتى من كان يملك سكنا، خصوصا الذين كانوا يعيشون في الأقبية تحت المنازل، وهي أماكن منخفضة وبالتالي نسبة الرطوبة فيها كانت عالية، لأنها في الأصل لم تكن مخصصة للسكن بل هي مخازن للخمر ومختلف البضائع، حيث لا تملك من النوافذ ما يسمح بالتهوية الكاملة لأنها لا تملك سوى باب واحد يفضي على الطريق العام، كما كانت هناك مطاعم شعبية تُعَد في أقبيتها أسرة على شكل موائد من الخشب حُصِّصت للنوم، ورغم ذلك كانت تأوي أعدادا كبيرة من هؤلاء المهاجرين حيث مثَّل نحو 50 مهاجرا جزائريا متوسط من كانوا ينامون فيها.³

في تلك الأماكن التي لم تكن تصلح للإقامة عانى المهاجرون الجزائريون إضافة إلى ذلك من مدهامات الشرطة الفرنسية التي كانت تتم بصورة متواصلة ومن دون أي سابق إنذار، ما صعب من معيشة العامل الجزائري الذي لم يكن يستطيع حتى النوم لمدة ثماني ساعات هادئة⁴، بسبب تلك المدهامات والظروف المزرية التي تحيط به من كل جانب، إلى درجة ظهور بعض النداءات الإنسانية من طرف بعض الفرنسيين لإغاثة هؤلاء المهاجرين وتحسين ظروف معيشتهم وإيجاد حلول لمشاكلهم الاجتماعية.

1Jean- Jacques Rager, L'émigration en France des musulmans d'Algérie principaux aspects démographiques, économiques et sociaux, documents Algériens, service d'Information, Alger, n 49-5, Juillet, 1956, p109.

2 مصطفى لشرف، أعلام ومعالم. مآثر عن جزائر منسية، ذكريات الطفولة والشباب، تر: أحمد بن محمد باكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 140. 141.

3 بوعزيز، مرجع سابق، ص 223.

4 بريستير ايفه، في الجزائر يتكلم السلاح، نضال الشعب من أجل التحرير، تر: عبد الله كحيل، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1989، ص 61.

في هذا السياق ظهرت اللجنة التي حملت اسم "لجنة الصداقة الإفريقية" من طرف الماريشال "فرانشي ديسبيري" "Franchi Disviriez" في 06 مارس سنة 1936 وانتشرت في عدة مدن فرنسية خصوصا في العاصمة وضواحيها وقامت بإنشاء مقرات إيواء لجمع مهاجري شمال إفريقيا عرفت باسم "دار العسكري"، التي حاولت التخفيف من وطأة وقسوة الظروف المعيشية لهؤلاء العمال المهاجرين، ومن اهتماماتها أنها قامت بمراعاة حتى الجوانب النفسية لهم حيث كانت تعمل على التخفيف من ألم الغربة لديهم وتمنحهم فرصة للعيش في أجواء تشبه أجواء بلدانهم الأصلية من خلال اعتمادها الطابع شمال الإفريقي والمغاربي في الزخرفة والديكور".¹

رغم كل مجهودات هذه الجمعية بقي الكثير من هؤلاء العمال يعانون في ظروف معيشية صعبة بسبب أعدادهم الكبيرة مقارنة بالإمكانات المحدودة لتلك الجمعيات.

تجلّت معاناة هؤلاء العمال أكثر في بقية الأقاليم الفرنسية التي لم تجد حلا لمشكلة الإيواء إلا بإقامة ثكنات محاطة بأسوار عالية، ضمت أعدادا هائلة من هؤلاء العمال حتى صارت تبدو كأنها محتشدات تفتقر لأدنى متطلبات الإقامة العادية أو الشروط المعيشية اللائقة حيث لا فراش ولا تدفئة ولا حتى نظافة إذ كانوا ينامون على ألواح خشبية، وإلى جانب ذلك عمدت السلطات أيضا إلى الاستعانة بالمعسكرات القديمة للأسرى التي تحتوي أكواخا متناثرة بعيدة عن مراكز المدن ولا تصلح للإقامة، مثلما كان الأمر في "لوهافر" "Le Haver" و"مالرباخ" "Malerbach" وغيرها من المناطق.²

رابعا: انعدام الرعاية الصحية:

نظرا لانعدام الظروف المعيشية وأدنى متطلبات الحياة الكريمة عانى أغلب المهاجرين الجزائريين من أوضاع صحية مزرية وتفشي كبير للأمراض في أوساطهم منها القابلة للعلاج لكن غياب الأدوية زاد من تفاقمها وخطورتها، ومنها المعدية والمزمنة التي لا علاج لها وقد حصدت آلاف الأرواح منهم عبر فترات زمنية عديدة، فقد أدى عدم الاستقرار الاجتماعي إلى انتشار الأمراض بين المهاجرين الجزائريين جراء إقامتهم في أماكن ومناطق لا تصلح للسكن بشكل نهائي على غرار الأكواخ المبنية من صفائح الحديد³، وهو ما زاد عبئ العناية الصحية ذات التكاليف المرتفعة وغير المتاحة لهم أصلا مثل الفرنسيين.⁴

انتشرت أمراض كثيرة وخطيرة وسط المهاجرين الجزائريين أشهرها "مرض السل" الذي زادت حدته بسبب العمل المستمر وقسوة المناخ حيث كان ينتشر في أوساطهم بسرعة كبيرة ومخيفة، زادت أكثر بسبب سوء التغذية وغياب السكن والظروف المعيشية المناسبة فكان يحصد المئات من الأرواح سنويا، حيث

1Nabhani Kouriba, Jean Charbonneau Gal, des Africains s'interrogent, 1^{er} édition, éditions la Colombier, Paris, Janvier 1955, P151.

2 بوعزيز، السياسة الاستعمارية...، مرجع سابق، ص 224 . 225.

3 بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 178.

4 بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري...، مرجع سابق، ص 251.

وصلت نسبته إلى تسعة أعشار من مجموع عدد الوفيات في أوساط هؤلاء المهاجرين، إضافة إلى مرض "الزهري أو السلفس" الذي عرف هو الآخر انتشار كبير في أوساط المهاجرين الجزائريين، وخلف هو الآخر ضحايا بسبب الاتصالات الجنسية غير الشرعية الطائشة، وكان عدد المصابين به مرتفعا جدا، حتى صار الجزائريون يطلقون عليه اسم "المرض الإفرنجي" لأنهم لم يعرفوه إلا على يد الفرنسيين.¹

ازداد تفاقم الوضع الصحي سوءا مع تفاقم مشاكل التغذية وعدم قدرة المهاجرين على توفير المواد الغذائية على الأقل الضرورية منها، وكانوا يعانون من تغذية غير كافية وغير صحية لاسيما مع المجهود البدني الضخم الذي كانوا يقدمونه من خلال ممارساتهم لمختلف الأعمال الشاقة مقابل أجور زهيدة كانوا مجبرين على عدم إنفاقها كاملة بل عليهم ادخار جزء منها لعائلاتهم وأسرههم بالجزائر²، ما تسبب في إضعاف جهازهم المناعي فأصبحوا عرضة لشتى أنواع الأمراض والإصابات وانتقال العدوى سواء فيما بينهم في فرنسا أو حتى في الجزائر بعد عودتهم إلى عائلاتهم فيتسببون في نقل الأمراض إلى مناطق إقامتهم وذويهم.

اعترف بعض الفرنسيين بقسوة المعاناة التي تسببت فيها بلادهم للمهاجرين الشمال إفريقيين، خاصة اليساريين منهم الذين لطالما كانوا عوناً للجزائريين في حربهم ضد الاستعمار والإمبريالية بشكل عام، فكانت صحفهم وأحزابهم بين الحين والآخر تكشف حقيقة الأوضاع المزرية الناتجة عن السياسة الاستعمارية الهمجية سواء في الجزائر أو في فرنسا، وفي هذا السياق قرأ النائب الشيوعي "جاك ديكلور" Jacques "Déclaire" تقرير الأكاديمية الطبية الفرنسية حول الوضع الصحي المتدهور للعمال المهاجرين ومن بين ما ورد فيه أن "العامل الجزائري يُصاب بمرض الربو بعد سنتين أو ثلاثة من وصوله إلى فرنسا، وهذا ما يؤكد أنه لم يكن مريضا عند مجيئه ولا يعرف هذا المرض في بلاده، بل سببته له ظروف المعيشة القاسية والسكن غير اللائق والغذاء غير الصحي الذي كان يعاني منه رفقة أقرانه من المهاجرين الشمال إفريقيين بفرنسا".³

من هذا المنطلق كان الجانب الصحي هو الآخر من بين المشاكل التي لاحقت المهاجرين الجزائريين، وذلك بسبب الظروف السكنية غير الصحية من جهة، والأشغال الشاقة المفروض عليهم إنجازها من جهة أخرى، وغالبا ما تؤدي إلى تعرّضهم للأخطار وإصابتهم بالأمراض على اختلاف خطورتها، وفي الحقيقة حتى وإن استطاع المهاجر الجزائري أن يحصل على عمل وتحسّن وضعه المادي نوعا ما فإنه وبدون شك سوف يقع في قبضة الأمراض الخطيرة وعند إصابته لن يعد بمقدوره أداء عمله بأكمل وجه، وفي هذه الحالة سيضطرّ صاحب العمل للاستغناء عن خدماته، وفي الوقت نفسه لن يتمكن من الحصول على أية تعويضات مادية أو ضمانات ومنح اجتماعية، وعلى هذا الحال يبقى الجزائريون في المهجر يعانون إلى جانب الغربة الأمرين وسط ظروف جدّ قاسية، وسياسة دولة لا ترحم.

1 بوعزيز، السياسة الاستعمارية...، مرجع سابق، ص 235.

2 Rager, op.cit,p111.

3 بريستير، مصدر سابق، ص 59.

خامسا: الجهل والأمية:

كان الواقع الثقافي للمهاجرين الجزائريين بفرنسا هو الآخر ضعيفا ومترديا ولم يكن تأثير الهجرة عليهم إيجابيا إلا بقدر قليل جدا لأنهم كانوا محرومين من مزاولة الدراسة أو التعلم، رغم أن رغبتهم في الحصول على شهادات علمية ومؤهلات ثقافية ومهنية وكفاءات فنية للحصول على عمل لائق كانت من أسباب هجرتهم، وفي الوقت نفسه كان التأثير السلبي عليهم كبيرا نظرا لتغير البيئة عليهم واختلافها عن بيئتهم الأصلية في الجزائر خصوصا من الناحية الدينية والعقائدية فما وجدوه من مغريات في فرنسا ساهم في تغيير الشخصية الدينية والمرجعية للعديد منهم، وهو ما كان يشكل خطرا حقيقيا بالنسبة لهم كمسلمين.

بسبب سياسة التجهيل التي مارستها الإدارة الفرنسية في الجزائر عانى الجزائريون من أمية خانقة أثرت على المجتمع الجزائري بجميع أطيافه، ولم يكن المهاجرون منهم إلى الأراضي الفرنسية بمنى عن هذه السياسة بل عانوا من تهميش وإقصاء كبيرين من جزاءها، حيث لم تكن لديهم شهادات جامعية ولا مستويات ثقافية معينة، وهذا ما زاد من معاناتهم بالمهجر، إذ كان يُنظر لهم باحتقار كبير بسبب ضعف مستواهم الثقافي وعدم تكوينهم وتعلمهم ولم يكن يُسمح لهم بالدخول إلى الاجتماعات ولا بالتفرغ لتحسين مستواهم الثقافي والمعرفي¹، حتى لا يرتقي هؤلاء المهاجرين لمستوى يؤهلهم للمطالبة بحقوقهم المشروعة ما سيزعزع استقرار فرنسا واقتصادها، بل وحتى مكانتها الدولية لأنهم سيفتقدون الأكاذيب الفرنسية وسيكشفون للعالم أجمع سياستها التعسفية ضد الجزائريين، من هذا المنطلق عملت فرنسا كل جهدها للإبقاء عليهم جهلة وأميون.

إن الطلبة الجزائريون كانوا يعانون من هذا الجانب، أنهم عند وصولهم إلى باريس لم يجدوا مراكز استقبال ولا فنادق ولا ديار مخصصة للجزائريين، فالطلبة الجزائريين من بين كل الطلبة القادمين من المستعمرات، هم الفئة الوحيدة التي لم تحظى بالتكفل العقلائي، فإن الكثير منهم يسكنون مثنى وثلاث في حجرات لا تسع طالب واحد، أي أنهم لا يستفيدون من جناح خاص في الحي الجامعي، ولا فندق مخصص لهم وكان أغلبهم مُجبرون على السكن في فندق أو لدى الخواص بأجر لا يناسب مكانتهم².

لخص "بريفيلي" "Guy Previllé" معاناة الطلبة الجزائريين في المهجر بقوله: "كان المطعم الخاص بالطلبة الجزائريين ضيقا، وكانت أثمان الوجبات في مطاعم المسلمين مرتفعة وأسعار الكتب باهظة، وتكاليف التسجيل مرتفعة وكان لتلك العوامل كلها تأثير سلبي على ميزانية كل طالب،... لقد راح الكل ضحية غلاء المعيشة وكانوا يشعرون بالحرمان وهم ينظرون إلى الطلاب الأجانب المستفيدين من منح وامتيازات، وما زادهم حسرة وغيظا كون بعض تلك المنح كانت على عاتق الحكومة الفرنسية"³.

1 عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 214.

2 كمال بوقصة، مرجع سابق، ص 139.

3 بريفيلي، مرجع سابق، ص 84-87.

رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهها المهاجرون الجزائريون بفرنسا إلا أنهم استطاعوا في مدة وجيزة من تعلم اللغة الفرنسية وتعلم القراءة والكتابة، وقد بلغت نسبة المتعلمين من العمال المهاجرين 56,8%، غير أن عدد كبير منهم كانوا يجيدون التحدث بالفرنسية دون القدرة على الكتابة، وعلى هذا الأساس منعت السلطات الفرنسية عليهم الحق في تحسين مستواهم الثقافي حتى لا يكون لهم الحق في الترقية في مهنتهم وهي السياسة نفسها التي تعمد تطبيقها أرباب العمل في فرنسا.¹

يتضح من هذه السياسة حجم القهر الذي كان يعاني منه أفراد الجالية الجزائرية في فرنسا فإلى جانب حرمانهم من المنح والعطل وكافة الامتيازات التي كان يتمتع بها كافة العمال الفرنسيين واشتغالهم لأعمال شاقة وبساعات أكبر حُرِموا أيضا من الترقية حتى يزداد وضعهم سوءا.

إن العراقيل التي صادفت الطلبة الجزائريين أثناء سعيهم لتعلم اللغة واكتساب الثقافة الفرنسية ولم يكونوا قادرين على الالتحاق بالجامعات الفرنسية، نظرا لوضعهم الاجتماعي الصعب فمثلا كان من الصعب جدا على الخمّاس أو الأجير اليومي إرسال أبنائه للدراسة في الجزائر كان الوضع لدى المهاجرين منهم في فرنسا، فإلى جانب سياسة التمييز العنصري التي كانت تطالهم، كانت إمكانياتهم المادية والمالية غير كافية لمزاولة وإكمال الدراسات العليا في الجامعات الفرنسية، واستمر الوضع على حاله طيلة فترة تواجدهم بفرنسا.

كان "فرحات عباس" قد أشار إلى هذه المعوقات من قبل عندما ذكر سنة 1927 قوله: "معظمنا ناس فقراء جئنا من الدواوير من عائلات بسيطة للحصول على شهادة الباكلوريا ولم نكن ندري كيف السبيل إليها"²، وظلّت العوامل المثيرة لاستياء الطلبة الجزائريين طيلة مدة تكوينهم الدراسي، في جميع النواحي سواء ما تعلق بالظروف القانونية للدراسة أو العراقيل المادية أو العزلة المعنوية الناتجة عن الغربة وسياسة التمييز العنصري ضدهم³، وتحدث "مصطفى لشرف" أيضا عن سوء أحوال الطلبة الجزائريين في فرنسا ليس فقط بالنسبة للفرنسيين والأوروبيين بل حتى بالنسبة للطلبة التونسيين والمغاربة، فذكر: "فبالإضافة إلى كون أغلبية الطلبة التونسيين والمغاربة فقد أتوا من أوساط ميسورة ماديا، فقد كانوا محظوظين بالاستفادة من منح حُصّصت لقدماء الصادقية أو المجمع العلوي، وحتى من مختلف الدواوين الاقتصادية في كل من تونس والمغرب الممثلة في باريس... أما بالنسبة لطلبتنا الجزائريين فقد كانوا محرومين من كل شيء..."⁴

كما أشار طالب جزائري آخر للصعوبات الجمة التي كانت تواجههم في المهجر وهو "مالك بن نبي" الذي ذكر في مذكراته أن ظروف الحياة الطلابية للجزائريين كانت جد قاسية لاسيما الجانب النفسي

1 عمار بوحوش، ص 215.

2 بريفيلي، مرجع سابق، ص 46. 47.

3 نفسه، ص 79. 80.

4 مصطفى لشرف، مرجع سابق، ص 140. 141.

المعنوي حيث كانوا يقاومون عزلة معنوية كبيرة ناتجة بدرجة أولى عن نظرة الاستعلاء اتجاههم، إضافة إلى تدخل الاعتبار السياسي الذي كان يحول دائما دون ترقية الطلبة الجزائريين أو توظيفهم في أية مناصب مهما كانت بسيطة¹، لأنهم في نظر الفرنسيين مصدر خطر دائم على الأمن الفرنسي، لهذا فكثير ما برهن العديد من الطلاب الجزائريين عن كفاءات عالية في التسيير والتنظيم لكن لا يتم توظيفهم بأي حال من الأحوال لا لشيء فقط لأنهم جزائريين يُنظر لهم كفرنسيين من درجة ثانية أو ثالثة.

وتبقى هذه الفئة المثقفة رغم اختلاف توجهاتها الفكرية والإيديولوجية حيث ضمت في صفوفها العديد من الطبقات الاجتماعية والمستويات التعليمية، الأكثر تأثيرا على فرنسا والأكثر إصرارا على التغيير والجهد بكل الوسائل المتاحة، نظرا لما تملكه من مؤهلات ساعدتها على مواجهة السياسة الاستعمارية التغريبية التي كثيرا ما لجأت إلى أسلوب العنف والمراوغة لإسكات الشعب الجزائري، لقد كان نشاط هذه الفئة يخدم القضية الجزائرية في كل المجالات سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ما سبب توترا لفرنسا خاصة مع زيادة تبلور الوعي الوطني وتطوره، ولم تعش يوما على هامش الأحداث التاريخية بل نشطت في الحركة الوطنية وساندت الثورة التحريرية والالتزام بمبادئها وكلها إصرار على طرد الاستعمار من الجزائر بشكل نهائي.

سادسا: انتشار ظاهرة الزواج المختلط

عاشت الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا بين جاذبية الاختلاط ومحاولة الانصهار ضمن مجتمع قد لا يتماشى بأي حال من الأحوال مع إمكانياتها وانتماءها الديني، لكن رغم هذا نجح أغلب أفرادها في تغليب الأصل على الفرع من خلال الثبات على العيش وفق نمط يتماشى والانتماء إلى الوطن الأم، أو حتى إلى محاولة توفير الظروف الاجتماعية المناسبة التي من شأنها أن تتيح للفرد جلب أسرته وأبنائه للعيش معه هناك بالمهجر، أو العودة إلى الجزائر قصد الزواج من نفس المجتمع ثم الرجوع مرة أخرى إلى بلاد المهجر فرديا أو رفقة العائلة، وهذا يفسر أيضا قلة المهاجرين إلى فرنسا من فئة النساء حيث كان عددهن محدود جدا نظرا لاختلاف العادات والتقاليد بن المجتمعين الجزائري والفرنسي.

كما كتبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المدافع الأكبر على الهوية ومقومات الشخصية الوطنية عن حال نسبة من المهاجرين بفرنسا في جريدة البصائر في العدد 29/04 أوت 1947 مقالا جاء فيه: "جمعية العلماء تعلم وتأسف أن مسلمي فرنسا مُعرضون للتحلل من الإسلام والعروبة بطول الأمد وتأثير الوسط، وتعلم أن الأولاد الذين يولدون هناك من أمهات أوروبيات، يكونون أوفر سهما من شروط هذا

1 مالك بن نبي، مصدر سابق، ص 146.

التحلّل، فإذا لم تتعهدهم الجمعية بالوعظ والإرشاد لكبارهم وتعليم الدين والعربية لصغارهم، ضاع على الأمة آلاف من أبنائها يندمجون في دين غير دينها وجنس غير جنسها".¹

من هذا المنطلق كان "ابن باديس" قد أصدر فتوى بعدم جواز الزواج للجزائري من أجنبية غير مسلمة. فرنسية. حفاظا على تربية النشء وحماية هويته الدينية والوطنية، ذلك أن الأم هي أكبر من يؤثر على الطفل من خلال أن هذا الأخير يبقى لصيق أمه لسنوات طويلة خاصة في المراحل الأولى لتكوين شخصيته، كما استدل "ابن باديس" أن المرأة لها تأثير كبير على زوجها، وعلى هذا الأساس فإن صلاح الأسرة ومن ثمة المجتمع مرتبط بصلاح المرأة وفسادها مرتبط أيضا بفسادها.

وقد أيده "الشيخ الإبراهيمي" أيضا في موقفه هذا، بدليل ما تحدّث به حين قال عن زواج الجزائريين بالأجنبيات: "وتزوج كثير منهم من أوروبيات عاملات وولد لهم في أرض مسيحية من زوجات مسيحيات، فكانت النتيجة اللازمة لهذا أن الآباء أضاعوا دينهم بتأثير البيئة، فضلا عن الأبناء الذين اجتمعت عليهم البيئة والأمهات والقانون، إنهم بلا شك ينشئون مسيحيين خالصين"²، ويظهر هنا جليا من خلال قول "الإبراهيمي" أن ظاهرة الهجرة هي مجال واسع ومؤثر في ميدان الدين والأخلاق، فالزواج من أجنبيات قد يقود الفرد المسلم إلى التأثر بالعادات والتقاليد الغربية بدل أن يؤثر هو فيها عكسيا، ويفرض ذلك على المهاجر ضرورة الانصياع وراء الأفكار والمعتقدات الغربية بسبب الظروف الاجتماعية القاسية والتي غالبا ما تتحسن بفعل هذا الزواج من المرأة الأجنبية العاملة والتي تصبح هي المسيرة للحياة الزوجية كونها تمتلك الميزانية المناسبة للعيش الكريم.³

وبناء على ذلك تمّ تعيين "الفضيل الورتلاني" وتكليفه بحماية هؤلاء المهاجرين ودراسة حال الجالية الجزائرية انطلاقا من العاصمة الفرنسية باريس⁴، وشرع رفقة العديد من الشخصيات الأخرى التي بعثتها الجمعية لذات الغرض في تنبيه المهاجرين بدءا بفئة العمال التي يسهل الالتقاء بها في أماكن مختلفة وتوعيتهم بضرورة المحافظة على المبادئ الدينية والشعائر العقائدية والقيم الاجتماعية التي نشأوا وتربوا عليها في الجزائر، كما تمّ تشجيعهم على التضامن فيما بينهم واكتساب المعرفة من مصادر مختلفة حتى يسهل عليهم فهم حقيقة الأوضاع سواء في الجزائر أو في فرنسا أو حتى في العالم بأسره.

1 رابح تركي عامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931. 1956 ورؤساؤها الثلاثة، ط1، 2004، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص38.

2 أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1952. 1954)، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص168.

3 كمال كاتب، أوروبيون أهالي ويهود بالجزائر 1830. 1962 تمثيل وحقائق السكان، دار المعرفة، ص60.

4 عبد الحفيظ امقران الحسني، "المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية؟ إلى ثورة التحرير الوطني 1900. 1959"، مجلة الثقافة، السنة الثامنة عشر، ع100، الجزائر، 1988، ص67.

لتحقيق ذلك كان لابد من تكوين كتائب للنضال والكفاح المعرفي قبل السياسي والعسكري وهو الهدف نفسه الذي سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تحقيقه في الجزائر منذ تأسيسها في 5 ماي 1931 بنادي الترقى بالعاصمة الجزائر، ما يثبت أن نضالها كان تربويا توعويا بدرجة أولى ممهدا لتكوين شخصيات ستقود ما تبقى من الكفاح السياسي والمسلح ضد الاستعمار الغاشم، وبالفعل كان أغلب مفجري ومؤطري ثورة نوفمبر 1954 خريجو مدارس الجمعية سواء في الجزائر أو في المهجر، وهو ما دفع فرنسا إلى اتهام الثورة بأنها إسلامية متطرفة وأن مفجروها ذوو توجهات إرهابية جهادية في محاولة منها لإقناع الرأي العام الفرنسي والعالمي.

نجح الورثاني بفرنسا رغم صعوبة المهمة من تكوين وتأسيس العديد من النوادي في باريس ومختلف الأقاليم والمدن الفرنسية الأخرى خصوصا تلك التي تستقطب أعداد كبيرة من المهاجرين الجزائريين¹، وكان لها دور كبير وبارز في نشر الوعي في أوساطهم، كيف لا وهي التي كانت تؤدي رسالة تعليمية هادفة وتربوية سامية مبنية أساسا على ترسيخ مبادئ الإسلام إلى جانب تعليم اللغة العربية عن طريق المحاضرات الدينية والاجتماعية والدروس التعليمية للكبار وأخرى للصغار²، حتى يُشعروا هؤلاء المهاجرين بأنهم في أوساطهم العائلية والاجتماعية التي عاشوها في وطنهم الأم، وقد أصبحت تلك النوادي محل إقبال كبير من طرف أفراد الجالية الجزائرية³، كبار وصغارا وهدفهم الحفاظ على دينهم ولغتهم ومصير حياتهم ووطنهم⁴، باسترجاع حريته وحريةهم والوقوف نداءً قويا وحصنا منيعا لاستعمار عزم بكل قوته طمس هوية شعب بأكمله، على غرار ما فعل في مختلف المستعمرات الإفريقية كدول الساحل الإفريقي وغيرها التي نجح فيها من فرض هيمنته عليها سياسيا عسكريا اقتصاديا وثقافيا.

كان من الأسباب الرئيسية التي دفعت المهاجرين الجزائريين للزواج من الفرنسيات هو البحث عن الاستقرار وتسوية الوضعية القانونية بهدف الحصول على سائر حقوق وامتيازات السكان الأصليين، والتخلص من نظرة الاحتقار التي كانت تشملهم من طرف الجميع وحرمانهم من أدنى متطلبات الحياة، إضافة إلى تعرّفهم على نظام جديد من الحرية لم يعتادوه في الجزائر قبل هجرتهم، واعتقدوا بذلك أن هذه الخطوة ستقدهم من براثن البيئة المعادية التي كانوا يعيشون فيها، ومظاهر البؤس التي كانت بادية على وجوههم، وفي هذا السياق كان أغلبهم يفضلون الارتباط بالمغتربات الجزائريات في فرنسا لأنهن يسهّلن لهم مهمة الاندماج وتربية الأبناء في الوقت نفسه مع المحافظة على قيم ومبادئ الأجداد، وتوريثها للأحفاد.

1 أمقران الحسيني، نفسه، ص 67.

2 الجمعي خمري، "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ودور الأستاذ الفاضل الورثاني"، مجلة الحوار الفكري، ع 05 أوت 2003، ص 118.

3 خمري، نفسه، ص 118.

4 أمقران الحسيني، مرجع سابق، ص 67.

يتضح جليًا كيف كانت فرنسا بالنسبة للمهاجرين الجزائريين جحيما حيث عاشوا فيها ظروفًا مزرية جدا واستغلالا كارثيا منقطع النظير لمن أجل خدمة لمصالحها في شتى المجالات¹، إذ كانت حياتهم مزيجا من الأعمال الشاقة، وسوء المعاملة والتمييز العنصري، والوضع الصحي والمعيشي المتدهور التي نتج عنه انتشار مختلف الأمراض النفسية والجسدية التي جعلت حياتهم دوما في خطر ونكد.

المبحث الرابع: الانعكاسات الإيجابية للهجرة على الجالية الجزائرية بفرنسا

لم يستسلم المهاجرون الجزائريون بفرنسا لقسوة الظروف المحيطة بهم من كل جانب، بل رفعوا التحدي لإكمال الحياة بإرادة وصبر، فاختلطوا مع مرور الوقت بأوساط جديدة وانتشر الوعي لديهم بعد إطلاعهم على أوضاع العالم وما يحدث فيه من تغيرات شاملة في جميع المجالات، لذلك قرّر أغلبهم المكوث والبقاء في المهجر وتعيين أنفسهم سفراء من أجل وطنهم ونقل معاناتهم ومعاناة شعبهم جزاء الاستعمار للعالم بأسره²، فمنهم من انخرط في النقابات الفرنسية ومنهم من دخل جو الأحزاب السياسية لاسيما اليسارية منها، كما خصّص الكثير منهم وقتا لحضور الاجتماعات وتبادل الأفكار السياسية، إضافة إلى تعلّم أغلبهم اللغة الفرنسية³، حتى يسهل عليهم الاندماج في المجتمع الفرنسي وفهم العقليات المتباينة التي يحتويها، ومن ثم يسمح لهم هذا الاحتكاك من تعلم مفاهيم جديدة وفهم الأحداث المحلية والعالمية وفق نظرة ورؤية سديدة.

أولا: تعلم مهن وحرف جديدة:

إن حاجة فرنسا للإمدادات العسكرية ومشاركة الجزائريين في حروبها ساعدت الكثير من المهاجرين في التعرّف على الثقافة الأوروبية، والتكنولوجيا المتطورة في تلك البلاد، وسمحت لهم أيضا بالاحتكاك بالطبقة البروليتاريا الفرنسية في المصانع والورشات وجبهات القتال، فنشأت بينهم علاقة حميمة حين شعر الجزائريون بالمعاملة الحسنة لأنهم احتكوا هناك بالمجتمع الفرنسي الحقيقي وكانت علاقتهم بهم على عكس العلاقات الموجودة بالفرنسيين في الجزائر⁴، وقد بدأ المهاجرون الجزائريون يكتشفون أن هناك فروق كبيرة بين الفرنسيين القاطنين في فرنسا كشعب واعٍ ومتحضر لا يعرف ما يرتكبه جيشه من جرائم وسياسات قمعية في المستعمرات، وبين الفرنسيين المتواجدين في الجزائر وباقي المستعمرات من مستوطنين وجنود عسكريين سمتهم الأساسية الغرور والغطرسة وقمع المستضعفين.

1 محمد الصالح صديق، أيام خالدة في حياة الجزائر، الجزائر، 2009، ص 233.

2 محمد قنانش، تأسيس نجم شمال إفريقيا، أعمال الملتقى الوطني حول نجم شمال إفريقيا والحركة الوطنية، المنعقد في باريس من 27 فيفري إلى 01 مارس 1987، منشورات الديوان الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 09.

3 سعد الله، الحركة الوطنية...، ج2، مرجع سابق، ص 128.

4 عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص 64.

كما تمكن المهاجرون الجزائريون نتيجة احتكاكهم بالمجتمع الفرنسي من تعلم مهن جديدة وحرف عديدة غير متوفرة في الجزائر ولم تكن لهم دراية بها من قبل¹، فمثلا كانت نتيجة احتلال ألمانيا لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية أن نشأت بعض الصناعات الخفيفة في الجزائر سنة 1944 للمرة الأولى، واستطاع بذلك المهاجر الجزائري في فرنسا من ضمان عمل عند عودته إلى بلده، خاصة وأن قيام بعض الصناعات في الجزائر كان يتطلب مزيدا من الفنيين الذين لهم إلمام كبير بالمشاكل الفنية.²

لقد نجح هؤلاء المهاجرون من تعلم العديد من الحرف واكتساب الكثير من التجارب، فكانوا مستعدين للعمل كعمال موانئ وعمال يدويين في الصناعات المحلية، ومزارعين وموظفين في القطارات والبريد، وحُدد منازل عند المستوطنين، وهذا يؤكد أن الحرب لم تخلق بلوريتاريا جديدة لأنها كانت أصلا موجودة في الجزائر، بل قامت بزيادة اليقظة السياسية ونشاط الضمير الوطني لهذه الطبقة³، ورغم الأجور الزهيدة التي كانوا يتقاضونها إلا أنهم كانوا يدركون أنها كانت أوفر بكثير مما يتقاضاه الجزائريون في وطنهم⁴، وهو ما زاد من تعاستهم وشقائهم حيث رسموا مأساة حقيقية تجلّت مظاهرها في مجالات مختلفة.

إن قبول المهاجرين الجزائريين القيام بالعديد من الأعمال الشاقة والمتعبة التي كان يترفع عنها الفرنسيون والأجور الرخيصة التي كانوا يتقاضونها قد أعجب الفرنسيين كثيرا وزاد من بهجتهم، كونهم كانوا يأبون القيام بها⁵، بسبب صعوبتها لكنهم كانوا يعلمون أنها مهمة جدا لدفع عجلة التنمية في الاقتصاد الفرنسي، ورغم تقديم هؤلاء المهاجرين خدمات جليلة لهذا الاقتصاد إلا أن السلطات الفرنسية قد لاحقتهن بكل أنواع المتاعب وسلّطت عليهم كل أنواع الذل والهوان⁶، في معاملة عنصرية فضيعة وقسوة شديدة لا تسمح بها أية قوانين سياسية أو أعراف دولية.

رغم قسوة الظروف التي عانى منها هؤلاء المهاجرين إلا أن إرادتهم في التحدي وفرض أنفسهم كمواطنين من الدرجة الأولى داخل المجتمع الفرنسي كانت أقوى من كل العراقيل التي وضعتها السلطات الفرنسية أمامهم، فقد واصلوا العمل ونجح العديد منهم في جمع رؤوس أموال طوال سنوات من الكدّ

¹Activité du parti du peuple Algérien, nos meetings à paris, à Clichy, à Lyon, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans nord-africains, N°54, Vendredi 11 Mars 1938, Paris.

² نبيل أحمد بلاسي، تاريخ الهجرات الجزائرية إلى فرنسا ودوافعها (1912 . 1955)، كلية الآداب، جامعة الزقازقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، ص51.

³ سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، مرجع سابق، ص287286.

⁴ احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص356.

⁵ شارل رويبر أجيريون، المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871 . 1919، تر: حاج مسعود وع بلعربي، دار الكتاب، الجزائر، 2007، ص400.

⁶ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري...، مرجع سابق، ص68 . 69.

والتعب، وتمكّنوا من الاستثمار في تسيير محلات تجمع بين نشاطي المقهى والفندقة، كما توّصل بعضهم في وقت لاحق حتى إلى اقتناء مؤسسات خاصة بهم.¹

ثانيا: زيادة نمو الوعي الوطني

استفاد المهاجرون الجزائريون في فرنسا من خبرة سياسية نتجت عن احتكاكهم بشعوب كثيرة مختلفة عنهم سواء الفرنسية أو الجاليات الأجنبية التي كانت تعيش في المهجر، حيث اكتشفوا لأول مرة أساليب نضال جديدة لم تكن معروفة لديهم من قبل لاسيما السياسية والنقابية منها، ما زاد من نمو الوعي الفكري والقومي لديهم وانتشاره في أوساطهم وكان كفيل بتنظيم صفوفهم ضمن نمط سياسي ونقابي ممنهج تجسّد في تأسيس العديد من الأحزاب والجمعيات والتنظيمات والنقابات، بل تعدّى الأمر إلى حد المطالبة بحق التمثيل النيابي للمهاجرين لدى المؤسسات الحكومية الفرنسية كالبرلمان وغيره، وخلق قنوات التواصل السياسي بينهم وبين هذه المؤسسات بما يكفل لهم وسط سياسي واجتماعي مناسب يضمن لهم كامل الحقوق والحريات.

من خلال مقارنة حياة المهاجرين الجزائريين في دول المشرق العربي وفي فرنسا، شعر المهاجرون في هذه الأخيرة رغم صعوبة الحياة بخيرّة أكبر، خصوصا حين أُتيحت لهم الفرصة في الإسهام في الأحزاب السياسية، والصحافة وحرية الاجتماع وتبادل الأفكار، وهو الأمر الذي قادهم إلى دراسة اللغة الفرنسية والتعمّق فيها أكثر، والتعرّف على الثقافة الفرنسية وكذا حضور المحاضرات وقراءة الصحف والجرائد، فأخذوا المبادئ الأساسية التي يتطلبها العامل السياسي، وكان ذلك بعد انخراطهم في نقابات مختلفة للدفاع عن حقوقهم²، كما استفادوا من حرية التنقل داخل فرنسا عكس ما كان عليه الحال في الجزائر من تقييد للحريات.³

وتكوّنت بذلك جالية جزائرية استطاعت أن تتعرف على قيم النضال من أجل التحرر⁴، وقد ذكر سعد الله في هذا الإطار: "إن الاحتلال لم يخلق الوطنية الجزائرية لكنه أيقضها"⁵، وقد نتج عن احتكاكهم بالعالم الخارجي وتعرفهم على ما يجري في هذا الأخير من حركات سياسية وكفاح ضد الاستعمار، وإطلاع على الهيئات السياسية والتعرف على النظم والقوانين وأساليب الحكم فيها، أن أدركوا الفرق الكبير بين ما يجري في العالم وما يُطبّق في الجزائر⁶، ما جعلهم يتعرفون على واقع مغاير تماما لواقعهم الأصلي في الوطن الأم فسعوا انطلاقا من ذلك إلى تغييره نحو الأفضل ومواكبة تطور الأحداث في العالم.

1 بوداود، مصدر سابق، ص104.

2 إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830 . 1962)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ج1، 2006، ص298.

3 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص128.

4 الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919 . 1962)، د.م.ج، دار الطليعة، الجزائر، 1988، ص9.

5 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص56.

6 يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912 . 1948)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص16.

بعد أن تعرف المهاجرون الجزائريون على أحوال الفرنسيين في بلدهم الأصلي، عاشوا موجة واسعة من الهستيريا التي يرجع سببها إلى الحرية التي ينعم بها الأوروبيون مقابل حالة الضغط التقني والاجتماعي المفروضة على الجزائريين في بلدهم حيث صرّح فرحات عباس قائلا: "إن للأحداث الكبرى نتائج غير متوقعة على الرجال، فقد كانت من نتائج الحرب الكبرى أن تعرّف الجزائريون على فرنسا أثناء كفاحهم عنها حتى بدت لهم كأنها أرض الميعاد"¹، ويظهر من خلال هذا القول مدى تأثر الجزائريين في فرنسا بالحياة الاجتماعية والثقافية والنقابية بعد معيشتهم الحياة اليومية مع الفرنسيين، حيث يتطلب منهم التعامل معهم ضرورة التحكّم في اللغة الفرنسية، والانخراط والانضمام إلى النقابات من أجل المطالبة بحقوقهم المهضومة.

كما أن هؤلاء المهاجرين قد كوّنوا صورة عامة عن فرنسا شبهها "عباس" بأرض الميعاد، وهذا يوحي أن الحرية وحياة الرفاهية التي شاهدها المهاجرون جعلتهم يطمحون إلى البقاء في فرنسا حتى ينعموا بما ينعم به الفرنسيون أنفسهم في بلادهم، لكن بالمقابل كان لهذا الأثر وقعه النفسي الإيجابي من خلال تساءل الجزائريين عن معاني بعض المصطلحات التي سمعوا بها كالحرية والديمقراطية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، فانتهى الأمر بالكثير من روادهم إلى الانخراط في النقابات والأحزاب السياسية الفرنسية أمثال "الحاج علي عبد القادر"، "أحمد بهلول"، "مصالي الحاج"، "شبيبة الجيلالي"، "معروف محمد" وغيرهم، حيث بدأ هؤلاء حياتهم السياسية كأعضاء في النقابات العمالية الفرنسية، وقد أدّت هذه المساهمة إلى خلق ذهنية جديدة لدى العمال الجزائريين من شأنها أن تتركّس نشاطا سياسيا وحزبيا واسعا في أوساطهم.

إن الأوضاع المزرية التي عاشها المهاجرون الجزائريون بفرنسا قادتهم إلى الوعي الاجتماعي والثقافي والسياسي بعد أن شاعت بينهم أفكار جديدة وتعلّموا لغات مختلفة، ومارسوا عادات جديدة، واكتسبوا تجارب عديدة²، وما ظهور النضال السياسي بينهم إلا دليل واضح على ذلك، حيث أصبحوا يطالبون بالمساواة مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات خاصة الفئات العمالية التي انتفضت للمطالبة بتوفير العوامل المساعدة على الإنتاج كالسكن والمنح الاجتماعية والتعويضات عن البطالة والحصول على العطل في المناسبات والأعياد الإسلامية، وكلها مطالب شرعية بالنسبة لهؤلاء المهاجرين لكنها كانت تبدو تمردا بالنسبة للإدارة الفرنسية ومن ثمة سعت لإفشال وقمع كل الجهود النقابية لهم من خلال توريطهم في قضايا قانونية شائكة وإضعافهم بواسطة المحاكمات والسجون، إضافة إلى الملاحقات البوليسية المستمرة والتي لا يكاد يخلو يوم منها.

لكن إصرار المهاجرين الجزائريين على تحقيق مطالبهم كان أقوى إذ أدركوا أنها لا يمكن أن تتحقق من غير عمل نقابي منظم، لذا قاموا باستغلال كل العوامل الإيجابية التي يمكن استغلالها لصالحهم، على

1Ferhat Abbas, la colonie vers la première, Paris, 1931, p31.

2Activité du parti du peuple Algérien à Clichy, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans nord-africains, N°51, 01 Juin 1937, Paris, p04.

غرار أعدادهم الكبيرة، وانتشارهم في مختلف المقاطعات الفرنسية والتي كانت تتزايد بمرور الوقت والسنوات، وتضامن مهاجرو شمال إفريقيا معهم باعتبارهم ضحايا لنفس الاستعمار الفرنسي الغاشم، وهو ما تجسّد في العديد من مواقف النضال والكفاح المشترك فيما بينهم، وتزايد النشاط النقابي والحزبي وتأسيس الجمعيات والأحزاب واللجان التي اضطلعت بمهام الإشراف على عمال شمال إفريقيا وتنظيمهم في شكل "هيئات وجمعيات نقابية وأحزاب سياسية اتسمت بسمة دينية قوامها التعاطف والتعاون بين أعضائها، والتنسيق من أجل وضع قاعدة مشتركة للعمل على مستوى شمال إفريقيا على غرار "لجنة إغاثة المغاربة" و"نجم شمال إفريقيا" وغيرها.

أشار "Depont" إلى التطور الكبير الذي عرفه أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا نتيجة نمو الوعي الوطني والسياسي لديهم بعد عيشهم بفرنسا لمدة معينة واحتكاكهم بالفرنسيين فذكر: "...عنصر آخر من السكان الشمال إفريقيين، حيث تطوّرهم المدهش الذي لعب دورا كبيرا أيضا في الحركة الوطنية، كان قد أسس من قبل خلال وبعد الحرب من طرف الآلاف من العمال البربر الذين يعملون في مصانعنا، وهي ظاهرة غير متوقعة، لأنها تدحرج عادات شعب قليلا ما تهيا للتربية والانتباه والإرادة التي يتطلبها العمل الصناعي في الميتروبول... محرضو العمال الشمال إفريقيين أصبحوا يملكون صحافة مزدوجة عربية وفرنسية، ومقامهم ودوائهم منتشرة ومركزة في ضاحية العاصمة باريس خصوصا جهة "كليشي" و"جونفياغ" "Clichy", "Gennevilliers"¹، وهذا ما دفع السلطات الفرنسية إلى فرض رقابة مشددة على كل المهاجرين ومحاولة فصلهم قدر المستطاع عن مختلف الأوساط الفرنسية بهدف تطويقهم وإبقائهم محصورين في إطار مغلق وجعلهم يعيشون في عالم من العزلة.

عبر المهاجرون الجزائريون بفرنسا عن إيديولوجية واضحة وعميقة جسّدت الرفض القاطع للرضوخ لسياسة الاستعمار القمعية المنتهجة ضدهم في فرنسا وضد إخوانهم وعائلاتهم في الجزائر، لاسيما بعد أن تعرّفوا عن قرب على وضعية الفرنسيين الحسنة في بلادهم، وقد تشجّعوا أكثر بعد تخرج الدفعات الأولى من الطلبة الجزائريين في المدارس الفرنسية، ما شجّعهم على ظهور بوادر العمل السياسي وقادهم إلى تأسيس الأحزاب السياسية كخطوة مبدئية لمجابهة الإمبريالية الأوروبية²، وقد أثمرت جهودهم في تأسيسهم لحزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926 الذي ارتبط في تكوينه ارتباطا وثيقا بهجرتهم إلى الأراضي الفرنسية حيث اختلط هؤلاء بأوساط جديدة تتبعوا من خلالها أحوال العالم وتقلباته.³

أشار "عباس" إلى التطور الكبير الذي عرفه المهاجرون جرّاء احتكاكهم بالأوروبيين عامة وبالفرنسيين خاصة بقوله: "إن للأحداث الكبرى نتائج غير متوقعة على الرجال، فقد كانت من نتائج الحرب

1Depont, op.cit, p74.

2 عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، ط2، الجزائر، 1979، ص100.

3 Slimane Chikh, l'Algérie en Arme ou le temps des certitudes, 2^{eme} édition, édition economica, Paris, 1981, p54.

الكبرى أن تعرّف الجزائريون على فرنسا أثناء كفاحهم عنها حتى بدت لهم كأنها أرض الميعاد¹، وقد ساعد ذلك على تدفق أعداد أخرى من الجزائريين على أوروبا وتضاعف نسب المهاجرين طيلة فترات، وتراجعها في فترات أخرى حسب التطورات المحلية والعالمية خصوصا الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين 1919 - 1939 بسبب ثرائها بالأفكار السياسية "الديمقراطية، الشيوعية، الديكتاتورية كالنازية والفاشية".

لقد عرفت الهجرة الجزائرية نحو فرنسا تغيرا واضحا بقدوم الحرب العالمية الثانية فتباطأت وأصبحت الرحلات تشهد رقابة مشددة، ولا يُسمح للعمال بالهجرة إلا عبر دفعات منظمة، وفي شهر جانفي 1940 قررت وزارة العمل الفرنسية استدعاء عدد من العمال الجزائريين إلى فرنسا خصوصا من كانت لهم خبرة العمل سابقا في المصانع الفرنسية للقيام ببعض الأعمال التي كان يزاولها الفرنسيون بسبب توجههم إلى ساحات القتال.²

بعد الحرب العالمية الثانية 1945 تمخّض ميلاد وعي سياسي هام لدى أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا بادر من خلاله المهاجرون الجزائريون إلى تأسيس العديد من الأحزاب والجمعيات والنقابات بعد أن تغيرت العلاقات الدولية قاطبة نتيجة تعيّر موازين القوى وخروج الزعامة السياسية للعالم من أوروبا إلى المعسكرين الشرقي والغربي بقيادة كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وإعلان تأييدهما لحق الشعوب في تقرير مصيرها والعيش بحرية من خلال تأسيس هيئة الأمم المتحدة في 24 أكتوبر 1945 التي كان هدفها الأساسي حماية الأمن والسلم في العالم، وقد أفضت كل هذه التحولات إلى خلق نشاط سياسي غير مسبوق لدى المهاجرين الجزائريين بعد خروجهم من هذه الحرب بوعي جديد وروح وطنية عالية مع تزايد انتشار الأفكار التحررية في العالم بأسره وموجة التحرر من الاستعمار في دول العالم الثالث.

ظلّ قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)﴾³، شعار المهاجرين الجزائريين، وظلّت فكرة الهجرة تراود الكثير منهم رغم الإجراءات غير المحفزة، والعراقيل المتتالية التي انتهجتها الحكومة الفرنسية ضدهم، وكل ما عانوه سواء خلال فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية أو ما بينهما من أوضاع متردية وظروف معيشية قاسية، لهذا تركّزت مطالبهم الاجتماعية على المعاملة على قدم المساواة في الأجور والعلاوات مع العمال الفرنسيين. وذلك بعد أن تعرّفوا على عقلية الطبقة العاملة في المجتمع الفرنسي والاطلاع على الاتجاهات السياسية هناك.

ثالثا: التمسك بالروح الوطنية العالية

1Ferhat Abbas, la colonie vers la première, Paris, 1931, p31.

2 عمار بوحوش، العمال الجزائريون...، مرجع سابق، ص 139.

3سورة النساء، الآية 100.

لعب الجزائريون المهاجرون بفرنسا دور الداعم الأكبر للكفاح التحرري في الجزائر منذ بداية هجرتهم إلى فرنسا واستقرارهم بها، حيث لم ينسوا للحظة أنهم جزائريون رغم اختلاف الواقع والمجتمع بين الجزائر وفرنسا، وأن مشكلتهم الأساسية سواء في الجزائر أو في فرنسا هي الاستعمار الليبرالي وسياسته القمعية، وظل هدفهم الرئيسي استعادة السيادة الوطنية وبناء الدولة الجزائرية، عكس ما دّعا "جون جاك روجر" "Jean Jacques rager" الذي ادّعى أن الهجرة أثّرت على الجزائريين بفرنسا وأنستهم قضيتهم الأم، ومسحت وطنيتهم أو خفقت منها إلى درجة أنهم أصبحوا لا يشكّلون أي خطر على فرنسا وتواجدها بالجزائر، بعد أن انفتحوا على ثقافتها وانبهروا بحضارتها فذكر: "لا يمكن إغفال الجانب الإيجابي من هجرة الجزائريين لبلادهم نحو فرنسا من حيث الانفتاح الثقافي ونمو الوعي السياسي، إضافة إلى حالة السلم المنقطعة النظير بالجزائر البلد الأم نظير غيابهم عن الوطن وتلاشي فكرة التمرد على المستعمر الفرنسي".¹

اتفق أغلب الكتاب والمؤرخين أن هجرة الجزائريين إلى فرنسا زادتهم وعيا ونضجا وأكسبتهم خبرة سياسية وعسكرية حيث ذكر "سعد الله" نقلا عن كاتب فرنسي: "أن الجزائريين قد جربوا الحياة الأوروبية ولا مست عقولهم أفكار لم تتسرب أبدا إلى مخ أجدادهم، وكان من رأي هذا الكاتب أن عودة هؤلاء الجزائريين الجدد من هجرتهم إلى قراهم قد تكون عملا دعائيا لصالح فرنسا، ولكن نفس الكاتب قد عبّر عن خوفه من أن هذه القرى قد تصبح أيضا مراكز عداوة ضد فرنسا"²، ويبدو أن خوف الكاتب كان في محله إذ أن الحركة الوطنية الجزائرية قد شهدت ميلادها في باريس وفي أحضان الجالية الجزائرية المهاجرة.³ إضافة إلى أن ميلاد الحركة النقابية كان أيضا في المهجر حيث تكوّنت النواة الأولى للمناضلين النقابيين الجزائريين داخل اللجنة العامة للعمال، واللجنة العامة للعمال المتحدين، ذلك أن التضامن الطبقي بين العمال الجزائريين والفرنسيين لم يصطدم بالتباعد الذي كان موجودا في الجزائر بين الفئتين في إطار الوضع الاستعماري⁴، كما أشار "مزيان الشريف" أيضا لهذا التطور بقوله: "كان المغتربون الجزائريون وهم بعيدون عن أرض الوطن، متشبعون بالأجواء الجديدة والإرهاصات التي سبقت التحولات الكبرى التي كانت تبدو في أفق العشرية القادمة"⁵، ويقصد بها فترة الثورة التحريرية.

يتضح أنه رغم كل ما تعرضت له الطبقة العاملة من شتى أنواع الاستغلال والظلم من حيث سوء المعاملة وقلة الأجور وكل أشكال التمييز العنصري، ورغم قسوة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الصعبة التي واجهتهم، إلا أن عددهم كان يتزايد سنة بعد سنة وفترة تلوا الأخرى، وظلّوا دائما يمثلون النبض

1Jean Jacques rager, les musélement Algériennes en France et dans les payes islamique, Paris, 1950, p15.

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860 . 1900، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، صص 284 . 285.

3 عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي . التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 . 1939، ج2، تر: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، صص 2726.

4 عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث . دراسة سوسيولوجية . تر: فيصل عباس، مرا: خليل أحمد خليل، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981، صص 150. 151.

5Abderrahmane Meziane Cherif, op.cit, p15.

الحي لقضيتهم الوطنية، هذه الأخيرة التي كانت تعيش دوما في وجدانهم وتسيطر بشكل كامل على تفكيرهم، مما جعلهم دائما في طليعة الكفاح التحرري وفي صدارة النضال الوطني.

لقد ساهمت الهجرة الجزائرية إلى فرنسا في تعزيز الهوية الوطنية لدى الجزائريين من خلال أنها كانت أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تقهقر الشعور لديهم بالانتماء إلى القبيلة ليحل محله الشعور بالانتماء إلى الجزائر، فتراجعت بذلك الهوية القبلية لتعوض الهوية الوطنية الجزائرية، أي بعبارة أدق بسبب الهجرة ظهر الجزائري الجديد الذي أصبح يشعر بالانتماء إلى وطن واسع وشامل أوسع بكثير من وطنه السابق المتمثل في القبيلة¹، وهذا الشعور ستحاول "ف.ج.ت.و" فيما بعد استغلاله في صراعها مع "ح.و.ج" التي كان يقودها "مصالي الحاج" بعد إقناعهم أن الولاء يكون للوطن وليس للأشخاص مهما كانت مكانتهم التاريخية لديهم، وما انضمامهم لمصالي في البداية إلا جهلا منهم بحقيقة الوضع في الجزائر، وبمجرد تأكدهم من أن جبهة التحرير هي المسؤولة عن تفجير الثورة أعلنوا مباشرة ولائهم لها، وفي الوقت نفسه أكدوا عداوتهم للمصاليين والحركي وكل من وقف ضد الثورة واستقلال الجزائر.

لقد ظل المهاجرون الجزائريون بفرنسا متمسكون بوطنيتهم رغم غربتهم وبعدهم عن وطنهم، وظلّ هذا الأخير حاضرا في وجدانهم مُتجسدا في أفعالهم وتضامنهم الدائم مع عائلاتهم وإخوانهم في الجزائر، تجلّى ذلك في انضمامهم لنجم شمال إفريقيا واهتمامهم بجميع القضايا الوطنية، ثم مواكبتهم لجميع التطورات والتغيرات المحلية والعالمية وتقديمهم خدمات جليلة للاقتصاد الفرنسي على أمل وفاء فرنسا بوعودها لهم بالاستقلال خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية نظير ما قدّموه اقتصاديا في المصانع وعسكريا في جبهات القتال ضد ألمانيا النازية، ثم ازداد دعمهم الفكري والمادي بشكل أكبر خلال الثورة التحريرية فكانوا يمثلون الورقة الضاغطة التي تضغط بها ج.ت.و على فرنسا حكومة وشعبا من أجل إيجاد حل نهائي للقضية الجزائرية.

نستنتج أن هجرة الجزائريين إلى الأراضي الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية قد تحكّمت فيها عدة عوامل تمحورت حول عدة مجالات أهمها الاجتماعية والاقتصادية بالبحث عن فرص جديدة للعمل بسبب سياسة الفقر والحرمان التي انتهجتها السلطات الفرنسية في الجزائر، أملا في الحصول على حياة أفضل، لهذا كانوا يقدمون خدمات جليلة للاقتصاد الفرنسي رغم المخاطرة والأجور الزهيدة التي لا تكفي حتى لمتطلبات اليوم الواحد.

اختلفت الأسباب التي دفعت الجزائريين للهجرة إلا أنها تمحورت حول البحث عن لقمة العيش خارج الوطن بعد أن كانت بلادهم مظمورة أوروبا، ذلك أن الاستعمار قد جعل أبنائها يموتون جوعا ودفعهم للبحث عن مصدر رزق خارج حدودها.

1 عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين...، مرجع سابق، ص 176.177.

قدّم هؤلاء المهاجرين حياتهم من أجل وطنهم، خاصة حينما رفعوا التحدي وجعلوا من الغربة عاملاً أساسياً للإبداع، وأثبتوا بأن الوطن له دين على الجميع وأن الوجود الفردي قد يتلاشى إذا تلاشى الوطن الذي يعدّ الفضاء والمجال الحيوي لتحقيق الإنجازات، والمزيد من الإبداع، فوجهوا للجميع رسالة حب الوطن وضرورة الدفاع عنه مهما كانت التضحيات وإعادة بناءه بكل الإمكانيات المتاحة.

الفصل الأول

الفصل الأول:

تنظيم وتطور الهيكلية السياسية والعسكرية للثورة التحريرية بفرنسا

1954. 1962.

. المبحث الأول: جذور وظروف نشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1951. 1954

المطلب الأول: جذور النشأة والتأسيس

المطلب الثاني: ظروف النشأة بالأراضي الفرنسية

. المبحث الثاني: التطور القيادي لفدرالية الجبهة بفرنسا وأهدافها 1955. 1962

المطلب الأول: مراحل التطور القيادي لفدرالية جبهة التحرير الوطني

المطلب الثاني: أهداف فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا.

. المبحث الثالث: نجاح الفدرالية في تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي والمواقف المتباينة منه

1958. 1962

المطلب الأول: تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي

المطلب الثاني: ردود الفعل الفرنسية لوأد كفاح المهاجرين الجزائريين (المواقف المتباينة منه)

المبحث الأول: جذور وظروف نشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1951. 1954

المطلب الأول: جذور النشأة

لم تنشأ "ف.ج.ت.و" كتنظيم سياسي مع "ج.ت.و" كحزب في الجزائر سنة 1954، بل سبقتها في الظهور إذ كانت متواجدة من قبل بسنوات لأنها كانت تابعة لـ "ح.ش.ج" ثم "ح.إ.ح.د" بزعامه "مصالي الحاج"، الذي أطلق سراحه في 11 أوت 1946 بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وغادر على إثرها الجزائر باتجاه فرنسا لإكمال نضاله السياسي، ويذكر "علي هارون" في هذا الصدد: "...ولما كانت المعركة قد أصبحت سياسية وتجري في الجزائر نقص دور المهاجرين لحساب الناكبين الجزائريين، في هذا الوقت بالذات ظهرت إلى الوجود فدرالية فرنسا التابعة لـ "ح.إ.ح.د"، والحقيقة أن الفدرالية جهاز خارجي فلم تتمتع بوزن وقوة نجم شمال إفريقيا".¹

كانت "ح.إ.ح.د" التي تضم زهاء 24 ألف مناضل في الجزائر سنة 1953 حسب إحصائيات الشرطة الفرنسية، تضم أيضا إلى جانب ذلك حوالي 09 آلاف منخرط في أوساط العمال المغتربين في فرنسا²، ونظرا لسمعة مصالي الكبيرة وسط المهاجرين باعتباره أب الحركة الوطنية فقد انضوى أغلبهم في تلك المرحلة تحت لوائه، إضافة إلى أن حزبه كانت له قاعدة جماهيرية كبيرة بين المهاجرين لأنهم وجدوه بمثابة المعبر الحقيقي عن تطلعاتهم في النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي واستعادة السيادة الوطنية.

منذ تأسيسها في 05 أوت 1951 من طرف "مصالي" مثلت "ف.ج.ت.و" الدور الهام الذي لعبه المهاجرون الجزائريون في النضال، وكان مقرها في العاصمة الفرنسية باريس وبالضبط في حي "إلو سانت سيفران" "Ilot Saint Severin" الذي كان يقيم به أفراد من مختلف الطبقات الاجتماعية للمهاجرين، وقد تأسست خلال جولة قام بها مصالي إلى مدينة "كراي" "Creil" بفرنسا قبل مغادرته إلى الحج، وكانت الفيدرالية تشغل أربعة طوابق من أحد العمارات، لجعل طابقها الأول كمقهى ومطعم يتردد عليه المهاجرون خصوصا من فتي العمال والطلبة.³

ومع تركيزها على الطبقة المثقفة امتلكت فدرالية "ح.إ.ح.د" "MTLD" شعبة جامعية جمعت أكثر من 70 طالبا جامعي⁴، ثم أصدرت جريدة "المهاجر" إلى جانب "النجم الجزائري" بهدف جعلها جسرا يربط بين العمال والمثقفين، وكان الطلبة هم من يتولّى مهمة تحرير المقالات من أجل توعية العمال الجزائريين في المهجر.⁵

1 Ali Haroun, la 7^E Wilaya la guerre du FLN en France 1954 – 1962, Casbah Editions, Alger, 2005, p12.

2Meziane Cherif, op.cit, p37.

3Mohammed Harbi, une vie debout , mémoires politiques 1945-1962, Tome 1, Casbah éditions, Alger, 2001, p97.

4Guy Pervillé, les étudiants Algériens de l'université Française 1880 -1962, préface de Charles-Robert Agéron, édition CNRS, Paris, 1984, p110.

5Mohammed Harbi, les archives de la révolution Algérienne, 1^{ère} édition, Paris, les éditions Jeune, 1985, p75.

بهدف إسماع صوتها للرأي العام الفرنسي والعالمي عمد مناضلو الفدرالية الذين كانوا يشكلون^{1/4} من مناضلي "ح.إ.ح.د" إلى الانضواء تحت الكنفدرالية العامة للعمال (CGT) والحزب الشيوعي الفرنسي (PCE)، وقد ساهمت منذ 1950 في التعريف بالحزب وبطموحات الشعب الجزائري في أوساط الجماهير الفرنسية وفي توسيع دائرة أصدقاء القضية الجزائرية سياسيا في الأوساط الديمقراطية وترأست نفوذها في الهجرة الجزائرية.¹

وفي نفس السياق كان مناضلو الفدرالية يستغلون المناسبات العالمية والفرنسية مثل اليوم العالمي للعمال المصادف لـ1 ماي من كل سنة، وعيد الثورة الفرنسية الموافق لـ14 جويلية للمشاركة في المظاهرات الباريسية وتأكيد اختلافهم عن باقي الوفود الفرنسية المشاركة.

حلّ "مصالي" بمدينة الأصنام (الشلف حاليا) في 13 ماي 1952 وقام بجولة عبر التراب الوطني يلقي خطبا حماسية كانت تحضرها جماهير غفيرة منها التي حدثت في قاعة الكوميديا التي نشبت فيها مواجهات عنيفة، دفعت وزير الداخلية الفرنسي إلى إصدار قرار في 15 ماي يقضي بمنع "مصالي" من التجوال في كامل ربوع التراب الفرنسي وفي الجزائر باعتبارها حسبهم إقليما فرنسا، فأقام مجبرا بمنفاه في مدينة "نيور" "Niort" الفرنسية، وفي 23 ماي من السنة نفسها كانت ردة فعل المهاجرين الجزائريين على هذا القرار قوية، حيث أعلنوا عن إضرابات عامة وشاملة في الضاحية الباريسية وفي شمال وشرق مرسيليا "Marseille"، ليون "Lyon"، دول "Dole"، وسانت ايتيان "Saint- Etienne"، مُطالبين بـعدول الإدارة الفرنسية عن قرار اعتقال مصالي وضرورة الإفراج عنه.²

لكن الأزمة التي شهدتها "ح.إ.ح.د" قد امتدت إلى المهجر حيث انتقلت الخلافات التي نشأت في الجزائر بين المصاليين والمركزيين إلى المهاجرين في فرنسا، ما جعل السنوات التي سبقت ظهور المنظمة الخاصة هناك سنوات مجابهات دامية بين الإخوة الأعداء في الحركة الوطنية حتى قبل بيان أول نوفمبر 1954، وكان التنظيم السياسي للاتجاه الوطني آنذاك ممثلا من قبل وفد دائم للجنة المركزية، والذي كان مُترئسا فيدرالية امتدت سيطرة هيكلها على كامل أنحاء التراب الفرنسي، بعد ما تمّ تعيين مسؤولي مناطق وقادة ولايات لضمان سيرورة العمل السياسي بكل سلاسة وتأطير الجالية الجزائرية.

حاول مصالي شرح الأزمة للمهاجرين مُحاولا كسب تأييدهم له، حيث وجّه رسالة إلى مناضلي الحركة الوطنية وكل المتعاطفين معه، وضّح فيها الأزمة الخطيرة التي يمر بها حزبه على مستوى القيادة، وأوضاع المهاجرين بفرنسا خصوصا من الناحية السياسية بقوله: "...وخلال إقامتي بـ"شانتني" أو "نيور" استقبلتُ مئات المناضلين، وحتى المسؤولين الذين ندّدوا بصمت الحزب وجموده من الوضع السائد سواء

1 عبد الرحمن كيوان، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 (ثلاثة نصوص أساسية لحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات

الديمقراطية)، تر: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 106.

2 محمد ياحي، النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، مرجع سابق، ص 196.

في الجزائر أو في فرنسا، إضافة إلى تنديدهم أيضا حول أسباب صمت الحزب حول الأحداث التي عرفتھا الدول المجاورة للجزائر تونس و المغرب¹.

في نهاية سنة 1952 اتّجه "الطيب بولحروف"² المطلوب في القضية المسماة بـ"مؤامرة المنظمة الخاصة إلى فرنسا بعد مغادرته للجزائر. والتحق بكل من رفاقه في النضال "يزيد محمد" المدعو "الزويير" المكلف بالتنسيق مع اللجنة المركزية للحركة)، و"بولكرووا موسى" (رئيس اللجنة الفيدرالية)، و"منجي زين العابدين"³ المدعو "حسين"، و"بن مهل توفيق" (المكلف بالصحافة)، وكانوا يمثلون جميعا أعضاء الوفد الدائم للحركة بفرنسا، وبعد سنة أي في 1953 اعتقلته الشرطة الفرنسية⁴ برفقة "أحمد مزغنة"⁵ وبحوزتهما جوازا سفر مزوران ومسودة رسالة موجهة إلى القاهرة، والسبب في ذلك يعود إلى أن مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح كانت في الجزائر تثير نقاشات في صفوف الحركة وكان النقاش حول طرق ووسائل الثورة قد بدأ يُظهر انشقاقات خطيرة في المنظمة وكل أطراف النزاع تسعى إلى التأثير في أكثر عدد ممكن من أعضاء القيادة لترجح ميزان القوى لصالحها.⁶

ظَلَّت النقاشات قائمة في الحلقة الضيقة لأعضاء اللجنة المركزية لـ"ح.إ.ح.د" وقيادة الحزب خلال نهاية 1953 وبداية 1954، حيث يذكر "قدروج مسعود" في هذا الصدد نقاشا دار بين "مصطفى بن بولعيد" و"مراد ديدوش" و"الطيب بولحروف" حول إمكانية وضرة التحول إلى العمل المسلح، وكان ذلك عند اختتام مؤتمر بلكور - بلوزداد (13-16 أوت 1954) وهم على متن قطار العودة إلى قسنطينة، لأن

1Mohamed Harbi, les archives de la révolution Algérienne...,op.cit, p52.

2الطيب بولحروف، مناضل قديم في حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية سُجن إثر أحداث 8ماي 1945، عين في اللجنة المركزية للحزب سنة 1949، وفي سنة 1951 التحق باتحادية الحزب بفرنسا غداة اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 وعمل بها إلى غاية 1958، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عين ممثلا لها في روما وجنيف، وبعد الاستقلال التحق بالسلك الدبلوماسي كسفير للجزائر بعدة عواصم إلى غاية 1984 = محمد عباس، رواد الوطنية، (شهادة 28 شخصية وطنية)، ط2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص157.

3زين العابدين مونجي المدعو حسين، ولد يوم 20جانفي 1926 في حي بلكور بالجزائر، ناضل في صفوف حزب الشعب ثم في فدرالية حركة انتصار بفرنسا وبعدها ضمن فدرالية جبهة التحرير بفرنسا سنة 1956، اعتقل سنة 1958 وأطلق سراحه سنة 1961، وبعد الاستقلال تقلد عدة مناصب سياسية في الدولة = للمزيد أنظر Acheur Cheurfi, dictionnaire de la révolution algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique, Casbah Editions, Alger, 2011, p257.

4دحو جربال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، تاريخ الكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني في فرنسا (1956 . 1962)، تر:سيناء بوزيدة، منشورات الشهاب، 2013، ص19.

5مزغنة، (1907 . 1982) زعيم وطني ثم قائد مصالي 1954، وُلد في البلدة في 29أفريل 1907، عمل إسكافيا ثم عامل ترام بمدينة الجزائر، عضو المجلس المركزي خلال المؤتمر الوطني الأول للحزب الذي انعقد في 15فيفري 1947 بيلكور، مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية في لجنة التنسيق للمنتخبين الديمقراطيين سنة 1948 بباريس انحاز لمصالي وأصبح ضمن القيادة المصالية بالجزائر، أشرف على مؤتمر هورنو الذي أكد الانفصال التام ما بين المركزين والمصاليين، تنكّر له مصالي فاعتقل مزغنة رفقة الشاذلي المكي بالقاهرة في 11جويلية 1955 من طرف السلطات المصرية ليطلق سراحه قبيل الاستقلال وتوفي في المنفى بفرنسا= أنظر عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962، تر: مختار عالم، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 326 . 327.

6 جربال، مرجع سابق، ص ص 19 . 20.

المؤتمر لم يسمح بالتعمق في مسألة التحول في النضال، إذ يبدو أن النقاشات كانت سياسية حيث تمحورت حول مسألة القيادة في الحركة التي ثار الخلاف حولها بين أنصار "مصالي" وأنصار "الحول حسين" و"بن يوسف بن خدة"، وفي القطار استؤنف النقاش بين "بولحروف" و"قدروج" من جهة و"بن بولعيد" و"ديدوش" من جهة أخرى، وبعد أن سئم هذا الأخير من حجج معارضيه قال لهم: "على أي حال سننتقل إلى العمل المسلح، وأنتم سيتم القبض عليكم جميعا لو احدثلوا الآخر".¹

في خضم تفاقم الأزمة في الحزب وتمسك كل طرف بموقفه، تأسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 23 مارس 1954 لمحاولة إعادة توحيد الصفوف من جديد وإيجاد الحلول المناسبة، وقد سعى أعضاء اللجنة للتقريب بين رئيس الحزب "مصالي الحاج" وأعضاء اللجنة المركزية، ولما فشلوا في التوفيق بين الطرفين كرّسوا نشاطاتهم لتنظيم العمل الثوري السريع²، لكن انعقاد مؤتمرين منفصلين للمصاليين والمركزيين قد أدى إلى القضاء نهائيا على آمال الوحدة ومساعدتها، وفي هذه الظروف عاد كل من "محمد بوضياف"³ و"ديدوش مراد" اللذين كانا لا يزالان مطلوبين وفي حالة فرار إلى فرنسا حيث شغل الأول منصب المسؤول وشغل الثاني منصب نائب له في تنظيم اللجنة الفيدرالية، وقد واجها فيما بعد معارضة شديدة من قبل مؤيدي "مصالي" الذين كانوا يرون فيهما عنصرين مقربين من المركزيين ما جعلهما يضطرّان إلى العودة على جناح السرعة إلى الجزائر بعد أن هُددوا بالضرب المبرح في موقف يكشف مدى عدائية المصاليين وتهديدهم لكل معارضيتهم أو أي منافس لهم⁴.

لم يقتصر التهديد قبل اندلاع الثورة التحريرية على "بوضياف" و"ديدوش" فحسب بل تعداه إلى مناضلين آخرين ذكر "هارون" اثنين منهم هما "حمر العين" و"محنّد آكلي بومدين" اللذين كانا معارضين "المصالي" حيث تعرضا إلى اعتداء مباشر بالعاصمة باريس من طرف الأوفياء للزعيم، وكانا بذلك أولى الضحايا للصدامات العنيفة التي سبقت الفاتح من نوفمبر⁵.

تدل هذه التهديدات من قبل المصاليين على التعصّب لموقفهم، ورفضهم فتح المجال لأية معارضة مهما كان نوعها وأيا كانت الجهة المسؤولة عنها، من جهة، وعلى خبرتهم السياسية التي ولّدت لديهم حنكة استشرافية في تحليل المعطيات في الحاضر مع إمكانية التنبؤ بتأثيراتها وانعكاساتها المستقبلية من جهة ثانية، حيث كانوا متأكدين أن ظهور جهة ثانية تقود الكفاح في الجزائر سيستقطب الشعب الجزائري

1 جريال، مرجع سابق، ص ص 20. 21.

2 عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، الفترة الثالثة 1947. 1954، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 402. 403.

3 محمد بوضياف، ولد في 23 جوان 1919 بالمسيلة، لعب دورا هاما في توحيد الرأي العام لصالح العمل العسكري، كما شارك بفعالية في اللجنة الثورية، =محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد، الجزائر، 2006، ص 108.

4 دحو جريال، مرجع سابق، ص 22.

في الداخل والمهاجرين منهم في الخارج، ما سيقدمهم قيادة المشهد النضالي وقاعدتهم الجماهيرية التي كانوا يتمتعون بها، وهذا ما يثبت من جهة ثالثة تورط حركتهم الوطنية بعد اندلاع الثورة في تدشين دوامة العنف ضد مناضلي "ف.ج.ت.و" بالمهجر وأن موقف هذه الأخيرة كان رد فعل طبيعي على استمرار تعصب المصاليين وتهديداتهم.

كما يدل حضور "بوضياف" و"ديدوش" ضمن اللجنة الثورية للوحدة والعمل على الحضور القوي لـ "ف.ج.ت.و" فيها، ويؤكد في الوقت نفسه أن الاختلاف في الحزب لم يكن مقتصرًا على المصاليين والمركزيين فحسب بل كان موجودًا حتى في صفوف مناضلي الفدرالية، بدليل أن أبرز أعضائها كانوا يسعون في خضم ذلك الخلاف إلى الإسراع في التحضير للكفاح المسلح، دون الالتفات لرأي وموقف قائدهم الأول "مصالي" وأتباعه، وهؤلاء هم من مثل أوائل المناضلين وكبار المسؤولين في فدرالية "ف.ج.ت.و" فيما بعد فكانوا بذلك النواة الأولى للثورة التحريرية بفرنسا¹.

تم حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في 20 جويلية 1954 لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الإعداد العسكري للثورة من جهة ولتفويت الفرصة على كل الأطراف المتصارعة داخل "ف.ج.ت.و" من جهة ثانية، وعلى العدو الفرنسي الذي كان يراقب هذا الانقسام عن كثب ويراها فرصة مناسبة لاستمرار خدمة مصالحه في الجزائر من جهة ثالثة، وبعد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات في 25 جويلية و 10 أكتوبر من السنة نفسها كان آخرها يوم 23 أكتوبر وقد تقرر فيه بشكل نهائي تحديد تاريخ اندلاع الثورة وإطارها السياسي والعسكري المتمثلين في جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وستفتح الثورة أحضانها لجميع الطاقات الراغبة في تحرير البلاد آخذة بذلك بعدا وطنيا، ومتجنبّة تلك الحسابات الحزبية الضيقة التي قد تؤثر على العمل الثوري².

وفي نفس الفترة الزمنية كان الوفد الدائم قد توقف عن العمل كأداة مراقبة لفدرالية فرنسا لـ "ف.ج.ت.و" ما جعل النزاع يمتد تدريجيا إلى المستويات المتوسطة ليطال في النهاية جميع المناضلين في المنظمة³، ثم سرعان ما حسم مصالي النزاع لصالحه حيث انضم المناضلين في المهجر لجبهته بعد مؤتمري "هورنو" (13 . 14 جويلية 1954)، ما أدى إلى ظهور الجناح المصالي من المهاجرين في فرنسا الذين اختلفت حركتهم ووقد تميّزوا بميزتين أساسيتين هما ارتفاع معدل سنّهم وضعف مستواهم العلمي⁴، وقد ظلّ

¹ أنظر الملحق رقم 02.

² أبوبكر حفظ الله، التموين والتسلّح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013، ص 18-19.

³ جريال، مرجع سابق، ص 21.

⁴ Gilbert Meynier, histoire intérieure du FLN 1954-1962, Casbah editions, Alger, 2003, p 117.

أغلب عمال المهجر مؤيدين لمصالي ما دام مسؤول الناحية وقتاً للقائد الوطني لمدة طويلة فإن الأمر يبقى سارياً على المناضلين التابعين له.¹

توجه كل من "الحول حسين" و"محمد يزيد" في شهر أكتوبر 1954 إلى القاهرة لطلب مساندة "محمد خيضر" و"أحمد بن بلة" و"حسين آيت أحمد" (هذا الثلاثي سيمثل فيما بعد الوفد الخارجي للثورة)، وكانوا قبل ذلك قد مروا بباريس أين التقوا "بمحمد العربي ماضي"²، و"محمد حربي" الذين كانا مسؤولين عن الطلاب الجزائريين، وقد قال لهما يزيد: "سيشرعون في التنفيذ بالتأكيد، لكننا نجهل متى سيكون ذلك،... وفي العاصمة لا يريدون الإصغاء لأي رأي آخر، لذلك سنذهب إلى القاهرة لمحاولة إقناع الوفد الخارجي بتأجيل تاريخ تفجير الثورة حتى ينعقد المؤتمر الوطني".³

اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 وشملت جميع التراب الوطني مازجة بين الأسلوبين السياسي بقيادة "ج.ت.و" والعسكري بقيادة جيش التحرير الوطني، وبين المستويين الداخلي والخارجي ففي الوقت الذي ستقود الجبهة كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري وثورته في الداخل ستؤسس فدرالية لها في المهجر لنقل الكفاح المسلح إلى أرض العدو وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي من جهة، وتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية والعالمية ومن ثم كسب تأييد الرأي العالمي لها من جهة أخرى.

تأسست "ف.ج.ت.و" على أنقاض فدرالية "ح.إ.ح.د" التي كانت مُشكّلة من مؤيدي اللجنة المركزية وما تبقى من أعضاء المنظمة الخاصة لحزب الشعب الجزائري منهم مسؤولي مناطق أمثال "مراد طربوش"⁴ و"قدور لدلاني" و"مصطفى عمرون" الذي كان مسؤولاً عن المنطقة الباريسية، والأعضاء الدائمين أمثال "علي خنشول" و"العربي ماضي محمد" الذي كان ممثلاً للطلبة، إضافة إلى قدماء المنظمة الخاصة لـ"ج.ش.ج" "PPA"، و"ح.إ.ح.د" أمثال "عبد الرحمن غراس"⁵ الذي كان معروفاً باسم "فرحات صايد"، الذين تسلّلوا عبر الحدود بوثائق هوية مزوّرة مما سهّل عمل "بوضياف" في ضمّهم إلى "ج.ت.و".

1Boualem Bourouiba, les syndicalistes Algeriens leurs combat de l'éveil à libération 1936-1962, co- édition Dahleb- ENAG, Alger, 2001, p 378.

2 العربي ماضي، ولد يوم 29 سبتمبر 1928 وهو المسؤول عن فرع الطلبة ضمن حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1953، التحق بالثورة التحريرية فور اندلاعها وأصبح أحد المؤسسين لفدرالية جبهة التحرر الوطني بفرنسا، أعتقل سنة 1955 رفقة مراد طربوش في الحراش، وبعد خروجه من السجن سنة 1958 قتل على يد أفراد الدرك الفرنسي في سوق أهراس = Cheurfi Achour, op, cit, p 224.

3 جريال، مرجع سابق، ص ص 21. 22.

4 مراد طربوش، هو أول من مثل فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا سنة 1955 بعدما عينه محمد بوضياف، مثل حركة انتصار الحريات

الديمقراطية في نانسي سنة 1951، اعتقلته الشرطة الفرنسية في 26 ماي 1955، ثم أطلق صراحه سنة 1961 = Acheur Cheurfi, op.cit, p 326.

5عبد الرحمن غراس، ولد بقسنطينة يوم 21 جانفي 1921 ، ناضل في صفوف المنظمة الخاصة وبعد اكتشافها سنة 1950 انتقل مهاجراً إلى فرنسا وعين فيها ممثل جهوي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في منطقة ليون سنة 1952، ثم أصبح عضواً في فدرالية الجبهة بعد اندلاع الثورة ومكلفاً بالشؤون السياسية رفقة محمد مشاطي ونور الدين بن سالم = Ibid, p174.

المطلب الثاني: ظروف نشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بالأراضي الفرنسية

عند اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر في الفاتح من نوفمبر 1954 كان المهاجرون الجزائريون بفرنسا في حيرة تامة حول حقيقة هذا الكفاح المسلح والمسؤول عنه، رغم أن الجميع كان مؤيدا للثورة ومُطالباً بحدو حذو التونسيين والمغربيين، مع اعتقاد الأغلبية الساحقة منهم بقيادة "مصالي الحاج" للثورة، باستثناء عدد قليل من كان يعرف أنها ليست من صنعه بل هي من فعل حركة حديثة النشأة وغير معروفة، وهم قدماء المناضلين على غرار "السعيد عمرون"، "عيسى بلعلي"، "فضيل بن سالم"، "عبد الرحمن غراس"، "مراد طربوش"، "عمار العدلاني"، "محمد مرار"، "أحمد دوم"، إضافة إلى أعضاء اللجنة الفدرالية لـ"ح.إ.ح.د." أمثال "محمد بوضياف"، "الطيب بولحروف"، "موسى بلكورة"، "مراد ديدوش"، و"محمد يزيد".¹

في الوقت الذي كان فيه القادة المصاليون يعلمون أن من فجر الثورة في الجزائر لم يكونوا ممثليهم، كانوا يحاولون استغلال الفرصة ونسبها لهم لاسيما وأنهم يمتلكون قاعدة جماهيرية كبيرة في المهجر باعتبارهم ممثلي الحزب الوحيد الذي كان يطالب بالاستقلال التام للجزائر، وكانت له محاولات أولى في التحضير للكفاح المسلح بعد تأسيسهم للجناح العسكري للحزب وهو "المنظمة الخاصة"، إضافة إلى أن مفجري الثورة الحقيقيين لم يكونوا معروفين على الساحة السياسية لدى الشعب سواء داخل الجزائر أو خارجها.

استغل المصاليون فرصة السمعة الكبيرة التي يتمتع بها زعيمهم وقوة شخصيته التي اكتسبها من وجوده الطويل بالأراضي الفرنسية²، وبالمقابل غياب الأخبار الحقيقية عن الوضع في الجزائر بالنسبة للمهاجرين الذين كانوا يجهلون تماما أسماء المفجرين الحقيقيين للثورة³، لذلك التحقت أعداد كبيرة من أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا وبلجيكا بالـ"ح.و.ج." التي أسسها مصالي في 05 ديسمبر 1954 نظرا لكون أغلبها تحت تأثير هذه الحركة وزعيمها، لأنها كانت تنشط آنذاك وحدها ميدانيا كحزب منظم فعلا بالمهجر.⁴

من هذا المنطلق وبهدف الوقوف في وجه المصاليين وكشف حقيقة المفجر الحقيقي للثورة ومسؤولية "ج.ت.و" عنها، حاول كل من "بوضياف" و"ديدوش" من جهة، و"يزيد" و"الحول" من جهة أخرى كسب المنظمة الخارجية لـ"ح.إ.ح.د." إلى صفهم، حيث التقى "بوضياف" بعدد من المناضلين على غرار "مراد طربوش" و"عبد الرحمن غراس" و"عمرون" و"خنشول" و"الدلاني" وكذا "أحمد دوم"، كما قدّم

1Jacques Simon, Algérie le passé, l'Algérie française, la révolution 1954- 1962, Harmattan, 2007, p445.

2Peggy Derder, l'immigration Algérienne et les pouvoirs public dans le département de la Seine 1954 – 1962, Harmattan, 2005, p58.

3Yves Courrier, la guerre d'Algérie, Tome5, SGED, Paris, 2001, p2285.

4 علي هارون، الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954 . 1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص24.

"ديدوش" رسائل "المحمد حربي" يطلب فيها منه الاتصال بكل من "أحمد محساس"¹، و"حسين منجي" ويأمرهم بمغادرة الجزائر للحفاظ على القادة السياسيين حتى يقوموا بالدعاية للثورة بالخارج والاستفادة من تجربتهم وخبرتهم السياسية في نقل العمل الثوري إلى التراب الفرنسي، وتحويل فرنسا بذلك إلى ساحة للعمل العسكري في محاولة لنقل معاناة الشعب الجزائري من السياسية التعسفية الفرنسية للرأي العام الفرنسي والعالمي وتدويل القضية الجزائرية.

حاول المركزيون من جهتهم أيضا و"أحمد محساس" أن يتحاوروا مع المصاليين بهدف تشكيل جبهة وإعادة تنظيم الحزب في فرنسا، لكن المصاليين حرموا المركزيين من تولي التمثيل في الهيئات القيادية إذ لم يمنحوا لهم إلا مركزا واحدا عوض اثنين، كما كان كل من "بن مهل" و"بولحروف" يطالبان بتوليتهما ضمن فدرالية فرنسا، وفي العشر من فيفري 1955 جرى نقاش بالقاهرة بين "بن بلة" و"خضر" و"آيت أحمد" و"بوضياف" و"مزغنة" الذي كان ممثلا بمصالي لمحاولة إيجاد أرضية مشتركة، وتلاحقت اللقاءات بين مسؤولين منتقلين إلى مختلف الاتجاهات، إبان تلك الفترة الانتقالية لنهاية عام 1954 وبداية 1955 وانطلق سباق سريع لمعرفة من سيرث هيكل فدرالية فرنسا التابعة لـ"ح.إ.ح.د"²، حيث ظهر ثلاثة أقطاب متنافسين هم شركاء أزمة الحركة "المصاليون" و"المركزيون" إضافة إلى ظهر قطب آخر ثالث معهم وهو الوفد الخارجي لـ"ح.إ.ح.د" بالقاهرة والذي سيتحول عند اندلاع الثورة إلى وفد خارجي لـ"ج.ت.و".

ظلت الثورة التحريرية تسعى لإيجاد تنظيم لـ"ج.ت.و" في أوروبا عامة، وفي فرنسا بشكل خاص، ذلك أن الاتجاه الاستقلالي كان وليد تلك المنطقة. حزب نجم شمال إفريقيا. كما أن الطبقة العاملة هناك بعددها الكبير سيكون لها الأثر البالغ في دفع عجلة الثورة نحو الأمام من حيث قيمة الاشتراكات والأموال المقدمة، إضافة إلى تزويدها بالسلاح ونقل الثورة إلى التراب الفرنسي لكسب الرأي العام الفرنسي والعالمي، ويذكر "جيلبار مايني" "Gilbert Meynier" في هذا الصدد: "كانت فدرالية فرنسا بكرة حلوب لميزانية جبهة التحرير الوطني..."³

اشتد الخلاف بين اللجنة المركزية لـ"ح.إ.ح.د" والمنظمة الخاصة حول طرق ووسائل التحرير الوطني واتسع تباين وجهات النظر، خاصة بعد أن اختلف في قضية عمليات الفرار من سجن البليدة وعنابة، حيث اقتنع أعضاء المنظمة الخاصة بأنه قد تم التخلي عنهم وأن قيادة الحزب قد انحرفت، وقد أدى هذا الموقف إلى وقوف كل من نجا من الاعتقال ضد القيادة بعد أن نُصّبوا خارج الهيكل التنظيمي، حيث اتهم

1 أحمد محساس، ولد بيومرداس يوم 17 نوفمبر 1923 ناضل في حزب الشعب في سن مبكرة وتعرض للاعتقال مرات عديدة، رفض الانخراط في الصراع بين المصاليين والمركزيين، التحق بالثورة التحريرية في ديسمبر 1954 ويعد من الأوائل المؤسسين لفدرالية الجبهة بفرنسا، وبعد الاستقلال تولى العديد من المناصب السامية في الدولة = للمزيد انظر. Cheurfi, op, cit, pp 225 – 226 أو عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية 1954. 1962، تر:عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 316.

2 جريال، مرجع سابق، ص 23. 24.

3 Gilbert, op, cit, p 474.

"محساس" و"بن بلة" بعدم الانضمام وُيخّا لأنهما فرا من السجن بقرار شخصي، لذلك قرّرا مغادرة الجزائر سرّا واتفقا على أن يذهب الأول إلى فرنسا والثاني إلى مصر لتهيئ الظروف للكفاح المسلح في سنة 1953، وهو يمر من فرنسا التقى "محساس" ب"بن بلة" و"ديدوش" الذي كان مساعدا لـ"بوضياف" وكان مسؤول التنظيم في فدرالية فرنسا لـ"ح.إ.ح.د"، وهناك جمع حوله جزءا من الأعضاء المتبقين من المنظمة الخاصة المنحلة، فكان لقاء غير متوقع بين المسؤولين الثلاثة تم الاتفاق فيه على خطورة الانحراف الذي اقترفته قيادة الحزب وقرّروا الانكباب على العمل لإرساء هياكل الثورة بقيادة "بوضياف" في الجزائر و"محساس" في فرنسا و"بن بلة" في مصر.¹

تفاقت الأزمة أكثر ما بين سنتي 1953 و1954 بين صفوف "ح.إ.ح.د" في فرنسا فضاعف "محساس" وكثّف الاتصالات مع الإطارات والمناضلين لمحاولة تحقيق الوحدة في الصفوف على المستوى القاعدي رفقة البعض منهم على غرار "محمد يزيد"، "عبد المالك بن حبيلس"، و"بصطالي أمير"، حيث رأوا أنه من الضروري تحديد الأسباب الحقيقية للأزمة، وتحقيق وحدة المناضلين على وجه الخصوص لشن الكفاح المسلح، وبسبب انزعاجهم وقلة شهرتهم في صفوف "ح.إ.ح.د" في فرنسا جعلوا "بلقاسم راجيف" وهو أحد رموز الحركة الوطنية لدى جماعة المهجر يمضي النداء، وكان موقفهم يهدف إلى الحفاظ على مجموعة المناضلين من آثار الأزمة التي كانت تهمزّ القمة، وكانوا ملتزمين بموقف "الحياد الإيجابي".²

أكد "محساس" في مقابلة شفوية للأستاذ "دحو جريال" أنه من تولّى مسؤولية القيادة الجديدة للتحضير للانتقال إلى الكفاح المسلح في فرنسا بتعاون وثيق مع "بن بلة" وجماعة القاهرة في الفترة ما بين 1953 و1954 مُشكلاّ بذلك النواة الأولى لما سيصبح فيما بعد فدرالية فرنسا لـ"ج.ت.و"، حين جمع من حوله "خنشول" و"العربي ماضي" و"محمد زروقي"³ و"مراد طربوش"⁴، وهذه رواية مختلفة عن تلك التي قدّمها "محمد حربي" و"موسى لقبايلى" و"علي هارون" حين أكدوا بأن النواة الأولى لفدرالية فرنسا للجهة قد تجمّعت حول "مراد طربوش" وبمبادرة من "محمد بوضياف" وليس "أحمد محساس".⁵

¹Khalifa Mamari, Abane Ramdane documents et vérités, 02^{ème} Edition augmentée, Edition Mehdi, Tizi Ouzou, Algérie, 2007, pp37 – 38.

²جريال، مرجع سابق، ص 27 . 28 .

³ محمد زروقي، ولد بمدينة الجزائر يوم 19 أوت 1925، ناضل في صفوف حزب الشعب ثم حركة الانتصار، ثم أصبح مسؤول الكشافة الإسلامية الجزائرية، و بعد اندلاع الثورة شارك في تأسيس فدرالية الجهة إلى جانب محساس وأصبح مسؤولا عن الخزينة وظل مناضلا في صفوف الفدرالية ما بين 1956 و1957. = Cheurfi, op, cit, p364.

⁴ مراد طربوش، هو أول من مثل فدرالية الجهة التحرير الوطني بفرنسا سنة 1955 بعدما عينه محمد بوضياف، مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية في نانسي سنة 1951، اعتقلته الشرطة الفرنسية في 26 ماي 1955، ثم أطلق صراحه سنة 1961 = Acheur Cheurfi, op.cit, p 326.

⁵جريال، مرجع سابق، ص 28.

ومن بين ما جاء على لسان حربي في هذا السياق: "...كان أول اتصال بين الجالية الجزائرية و"ج.ت.و" قد حدث عن طريق "محمد بوضياف"، ففي بداية عام 1955 عقد هذا الأخير اجتماعا في لوكسمبورغ، شارك فيه قادة شرقي فرنسا فورباش . مولهوز . سوشو...¹، وبوضياف في موضع آخر: "عقد "بوضياف" اجتماعا حضرته عدة شخصيات مناضلة تمثل الطبقة العاملة المهاجرة في تولوز وسوشو، وفي هذه المرة تمّ إرساء قواعد الفيدرالية وتنظيم التراب الفرنسي وتوزيع المسؤوليات".²

إذن تعود المحاولات الأولى لتأسيس تنظيم تابع لـ "ج.ت.و" في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة إلى نهاية سنة 1954 ومطلع عام 1955³ حين تولّى "بوضياف" مهمة تحقيق الفكرة⁴، حيث أسفر اللقاء الثنائي السري بينه وبين "طربوش" بسويسرا عن تكوين هيئة تنظيمية للجبهة بالمهجر بمشاركة كل من "علي محساس"، "محمد زروق"، "عبد الرحمن غراس"، "الطالب مهدي"، ثم لحق بهم "أحمد دوم" و"شوقي مصطفى" و"محمد الشريف ساحلي"⁵، كما عمد "بوضياف" استدعاء مناضلين تمّ إقصائهم بسبب الأزمة البربرية سنة 1949 على غرار محمد أمقران خليفاتي، رابح أوموسي⁶، واستهدف من جمع هؤلاء واستدعائهم إنشاء شبكة من النشطين وليس حزبا سياسيا لتحرير الطبقة العاملة وإنما مراقبة هذه الفئة بواسطة هيئة شبه عسكرية.⁷

كما قدّم لهم صورة عن الوضع الراهن بفرنسا وقائمة بـ 7000 مناضل، ومبلغ 300 جنيه مصري ونسخة من بيان أول نوفمبر 1954 ليعود بعدها "طربوش" إلى ميدان عمله بفرنسا حيث التقى مع قدماء مناضلي حركة الانتصار وتم تشكيل الخلية الأولى التي بدأت نشاطها تحت لواء جبهة التحرير بفرنسا، وشرع في تنظيم المهاجرين وتوعيتهم للدور المنوط بهم وقد استجاب آلاف العمال لهذا التنظيم.⁸

اعتمد "بوضياف" عند دعوته لإنشاء الفدرالية على عدة خطط لإنجاح مهامها، منها ضم كل معارضي مصالي والمركزيين والحياديين من أعضاء المنظمة الخاصة المتسللين عبر الحدود بوثائق هوية مزورة وأسماء مستعارة⁹، التركيز على المناطق الفرنسية ذات الكثافة العالية للجالية الجزائرية كالعاصمة باريس وضواحيها وكذا المناطق الجنوبية، مع توسيع العمل ليشمل الدول الأوروبية المجاورة كألمانيا وإسبانيا،

1 محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قصير داغر، مؤسسة الأبحاث، بيروت، 1983، ص134.

2 Harbi, une vie debout, mémoires politiques 1945-1962, op.cit., p54.

3 Ahmed Doum, de la Casbah d'Alger à la prison de Fresnes 1954-1962, préface de Ahmed Taleb- Ibrahimi, Casbah Editions, Alger, 2013, p64.

4 محمد العربي الزبيري، الثورة في عاملها الأول، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص125.

5 سعدي بزيان، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961، منشورات ثالة، الجزائر، 003، ص11.

6 Benjamin Stora, ils venaient d'Algérie l'immigration algérienne en France 1912- 1992, édition Fayard, 1992, p155.

7 Jacques Simon, l'immigration Algériennes en France, des origines à l'indépendance, édition Paris – Méditerranée, 2000, p383.

8 سعدي بزيان، جنث جزائرية تطفو فوق نهر السين، جوانب مضيق من نضال عمالنا المهاجرين في سبيل استقلال الجزائر، ثورة الجزائر،

أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية آثار الثورة في الأوراس، 1994، ص73.

9 Bourouiba, op.cit, p378.

بلجيكا وإيطاليا وسويسرا من خلال إيجاد فرق التدخل في هذه الدول¹، للاستعانة بها عند الحاجة لاسيما عندما يتعلق الأمر بإحباط مخططات الشرطة الفرنسية في ملاحقتهم وتتبع آثارهم.²

لم تتضح الأمور أكثر إلا بعد سنة 1955 إذ كانت هناك محاولة إعادة تشكيل قيادة، غير أنها لم تضم إلا المركزين وقدماء المنظمة السرية رغم بقاء الأغلبية من القاعدة الراديكالية منحازة لمصالي، واستمرار مهاجمتها لكل منافسيها، وكان "محمد بوضياف" يريد السيطرة على فدرالية فرنسا لـ "ح.إ.ح.د" لمعرفته بقدراتها، خصوصا وأنه كان في مرحلة هذه الحركة مسؤولا إقليميا فيها وبقي على اتصال دائم مع مجموعة المهجر (مكوّنة من بن سالم، غراس، دوم، ومشاطي) بقيادة مراد طربوش، وقد مثلت هذه المجموعة النواة الصلبة والقاعدة الأساسية التي شكّلت اللجنة الأولى لفدرالية جبهة التحرير في المهجر.

كانت "ح.إ.ح.د" قد استقطبت أعدادا هائلة من المهاجرين الذين رحّبوا باندلاع الثورة التحريرية وأعلنوا تأييدهم لها، وكان أغلب ظنهم أن "مصالي الحاج" هو من كان وراء تفجيرها، وهذا ما يُبرّر انضمامهم لـ "ح.و.ج" التي أسسها فيما بعد، ووضع مناضلوها في أذهانهم الفكرة الإجرامية لوقف المقاومة في وقت كانت الجزائر تعيش فيه فترة عصيبة لاسيما بعدما تجرّؤوا على ضرب مناضلي الجبهة، التي ردّت بدورها بدعوة مناضليها الأوائل إلى مواصلة حملة الشرح للأخوة الذين ضلّلتهم الدعاية الكاذبة³، وظلّوا على ذلك الحال إلى غاية سنة 1956 عندما بدأت "ج.ت.و" نشاطها في فرنسا من طرف "بوضياف" بوضع النواة الأولى لتأسيس "ف.ج.ت.و" بفرنسا.⁴

أكّد "هارون" هذه الوقائع بقوله: "بعد محاولة أولى أجهضت ولم تكتمل، عُقد اجتماع في نهاية شهر ديسمبر سنة 1954 أو بداية شهر جانفي 1955 بلوكسمبورغ رسم خلاله "بوضياف" باسم تمثيلية القاهرة وأمام عشرات المسؤولين عن المنطقة الشرقية، الظروف التي دفعت "ج.ت.و" إلى خوض المعركة... وبداية من هذه اللحظة أصبح الاتصال مع باريس منتظما أين كان "مراد طربوش" المعين من قبل "بوضياف" الذي التقى به بسويسرا قد قام بتشكيل النواة الأولى لـ "ف.ج.ت.و" رفقة "طربوش"، "أحمد محساس"، "محمد زروقي"، "طالب العربي ماضي"، و"عبد الرحمن غراس" وكذا "أحمد دوم"⁵، ثم التحق بهم مناضلين آخرين أهمهم "بن مهل"، "بن فرحات بوسعيد"، "بلوشراني عمر" وغيرهم.⁶

بالنظر إلى الدور الكبير الذي لعبه "بوضياف" في إعادة الحياة للمنظمات والجمعيات التي اختارت الحياد أثناء الأزمة التي شهدتها حزب "ح.إ.ح.د"، وكان قد كلّف في الوقت نفسه "طربوش" في اجتماع له

1 أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص 157.

2 Mohamed Labdjaoui, vérités sur la révolution algérienne, ANEP, Alger, 2005, p74.

3 Ali Haroun, op, cit, p14.

4 صباح نوري هادي، حنان طلال جاسم، "تنظيمات العمال والطلبة المهاجرين ودورهم في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي"، مجلة

ديالي، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي، ع 52، العراق، 2001، ص 06.

5 Ali Haroun, op, cit, p15.

6 Benjamine Stora, ils venaient d'Algérie... op, cit, p155.

بإطارات الجبهة الشرقية بفرنسا للقيام بضم كل من معارضي مصالي والمركزيين القدامى والمحايدين وكل المناضلين الذين توقفوا عن النشاط السياسي نتيجة الصراعات الداخلية للحزب وكل المترددين من الثورة، فإنه يبدو أن شهادة "حربي" و"قبايلي" و"هارون" هي الأقرب للصحة والأكثر إقناعاً، كما أنه وأمام تسارع الأحداث ما بين 1953 و1954 فقد سعى "بوضياف" جاهداً لإيجاد تنظيم جديد لتجاوز الأزمة وتسوية الأوضاع فكان ذلك سببا في ظهور "ف.ح.ت.و" بفرنسا، واستجاب الآلاف من العمال لهذا التنظيم ما دفعه إلى توسيع وإنشاء خلايا أخرى وسط العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا، وهكذا توصلوا إلى إنشاء نظام الجبهة بفرنسا من أجل تعميم الثورة وتمكين المهاجرين من معرفة حقيقة الوضع¹، وفي ظل الهيمنة شبه التامة لمصالي على المهاجرين فإن هذه الفدرالية قد مالت لصالحه باستثناء بعض الخلايا ذات الأهمية المحدودة التي كانت منتشرة في مناطق محدودة.²

رغم أن "محساس" كان ضمن النواة الأولى لـ"ج.ت.و" رفقة "مصطفاي" و"بن مهل" و"محمد زروقي" ومناضلين آخرين، إلا أن مهمة تشكيل هذه النواة والجهود المبذولة لإنجاحها كانت من نصيب "بوضياف" بالتنسيق مع "أحمد يزيد" ومائة مناضل من إطارات "ح.إ.ح.د" الموالين للعمل المسلح والرافضين إتباع مصالي أثناء أزمة الحركة، ومنهم مناضلي باريس (بومدين محند آكلي، سلايمي سعيد ومراد)، مناضلي مرسيليا (أحمد حداد، سي أرزقي)، مناضلي سوشو (أحمد دوم، محمد مرار)، مناضلي ليون (نوي هيسي، مسلي، سي العربي، محمد ساحلي، سي محمد، سي حامد)، ومناضلي منطقة ليل (أوجدي جيلالي دمجري)، كما انضمت إليهم عناصر وطنية أخرى على غرار "بولحروف"، "بن مهل"، "بولكورة موسى"، "ديدوش"، "بن فرحات بوسعيد"، "بلعلي عيسى"، "عمر بلوشراني"، و"سعيد عمرون".³

وهم أقلية إذا ما قُورنوا بسبعة آلاف مناضل لصالح المصاليين⁴، يتحدث "دوم" عن دور "بوضياف" في تأسيس الفدرالية بدءاً من نواتها الأولى فيقول: "أظهر بوضياف اهتماماً خاصاً بفدرالية فرنسا، التي أرادها قوية ومهيكلية، تضم أقصى عدد ممكن من الجزائريين، وهو مالا يمكن تحقيقه إلا بحرمان "ح.و.ج" من فرقها، وكان رجل القرارات الفعالة الصارمة، منضبطاً وصارماً حيويًا وعازماً فصيحاً ومقنعاً، وكان إيمانه بنجاح الثورة لا ينضب له معين"⁵، انطلاقاً من تجربته الكبيرة وخبرته الطويلة في المجال السياسي لاسيما في "ح.إ.ح.د" في الجزائر وفدراليتها في فرنسا، هذه الأخيرة التي كانت قاعدة لتأسيس "ف.ح.ت.و" وتأطير الجالية الجزائرية لتزويد الثورة بالكوادر والإطارات المناسبة⁶، وذكر أيضاً لبجاوي قوله: "تأسست أول

1نوري، مرجع سابق، ص06.

2Pervillé, op,cit, p141.

3Benjamin Stora, ils venaient d'Algérie...op, cit, p155.

4 Ibid, p141.

5 أحمد دوم، من حي القصة إلى سجن فرين 1945 . 1962 (مذكرات مناضل)، تق: أحمد طالب الإبراهيمي، تر: أحمد بن محمد باكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص ص131.134.

6Mohammed Harbi, les archives de la révolution Algérienne, édition jeune Afrique, Paris, 1981, pp74-75.

"ف.ج.ت.و" بأمر من بوضياف بعد مشاورات واجتماعات عقدت في الاتحادية بلكسمبورغ جمعته خاصة مع مراد طربوش وأحمد محساس...¹.

لقد كان تأسيس "ف.ج.ت.و" في فرنسا انتصارا كبيرا للثورة حيث أعطتها نفسا جديدا داخل التراب الفرنسي، وحملت على عاتقها مسؤولية نقل إيديولوجية "ج.ت.و" والتعريف بها لدى الأوساط الجزائرية المغتربة التي كانت تدين بالولاء للمصاليين، وهو ما صعب أكثر من مهمتها الوطنية المتمحورة حول إقناع هذه الشريحة بضرورة الانضمام إلى الثورة والمساهمة في إنجاحها²، لاسيما أن المهاجرين كانوا تحت تأثير مصالي معتقدين أنه من فجر الثورة فانضموا إلى الحركة الوطنية التي أسسها وظلوا على هذا الحال إلى غاية سنة 1956 أين بدأ موقفهم يتغير بظهور "ج.ت.و" كمنافس قوي للحركة المصالية في فرنسا ومحاولاتها إفهامهم حقيقة الوضع في الجزائر وكشف حقيقة مصالي المزيفة، والمسؤول الحقيقي عن تفجير الثورة التحريرية.³

المبحث الثاني: التطور القيادي لفدرالية الجبهة بفرنسا وأهدافها 1955 . 1962

المطلب الأول: مراحل التطور القيادي لفدرالية جبهة التحرير الوطني

تشكلت فدرالية جبهة التحرير الوطني على الأراضي الفرنسية سنة 1955 ومّرت بثلاث مراحل أساسية على مستوى قيادتها كانت على النحو التالي:

* المرحلة الأولى 1955. 1956:

قاد الفدرالية في هذه المرحلة "مراد طربوش" الذي كان قد عينه "محمد بوضياف" في اجتماع سويسرا أو لوكسمبورغ حيث هناك اختلاف في تحديد المكان الدقيق، وكان أول ممثل لج.ت.و في أوساط المهاجرين الجزائريين بفرنسا، وقد ساعده كل من "أحمد دوم"، "نور الدين بن سالم"، "عبد الرحمن غراس"، "صالح الوانشي"، "محمد ماضي"، "عبد الكريم سويس"، و"أحمد طالب الإبراهيمي".⁴

مثلما جمعت الثورة التحريرية في الجزائر بين العاملين السياسي FLN والعسكري ALN سارت أيضا على نفس الأسلوب في المهجر حيث جمعت قيادة فدرالية الجبهة بفرنسا بين الأسلوبين، إذ كانت تنقسم إلى فرعين يهتم الأول بالتنظيم السياسي ويرأسه كل من "غراس" و"مشاطي" و"بن سالم"، والثاني عسكري مكلف بالعمل المسلح برئاسة "أحمد دوم".

التقى "طربوش" مع "بوضياف" بسويسرا وقدم له تقريرا عن تطورات الأوضاع، وتلاه بعد ذلك إنشاء وزرع خلايا وسط العمال المهاجرين، وهكذا تواصل انتشار نظام الجبهة بفرنسا في ظروف تميزت بالغموض

1Mohammed Lebjaoui, vérités sur la révolution Algérienne, éditions Gallimard, Paris, 1970, p7.

2 صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008، ص42.

3 محمد حربي، جبهة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع...، مرجع سابق، ص134.

4 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص114.

والتشابك من أجل إيصال رسالة الثورة، وتمكين المهاجرين من الإطلاع على حقيقة الوضع، وقد قام "طربوش" بجولة عبر مدن فرنسية في سنة 1955، وقام بجمع اشتراكات لتمويل نشاط الثورة، كما كُلف بمهام صعبة أبرزها إقامة تنظيم للعمال الجزائريين في خلايا وفروع لتوظيف الإمكانيات المادية والبشرية في خدمة الثورة.¹

يعترف "هارون" أن مهمة القيادة الأولى كانت شاقة للغاية حيث كانت تعمل في جو مليء بالمخاطرة، في وقت كانت أية محاولة شرح مخالفة للوضع السائد تصطدم حتما بمعارضة رجال مازالوا يقدسون "مصالي" وهو ما صعب مهمة تجنيد عناصر جديدة، وعلى هذا الأساس كان نشاط "ج.ت.و" في فرنسا خلال الثلاثي الثاني من سنة 1955 يتمحور أساسا في شروح جوهرية موجهة للقاعدة والصدام مع الإطارات المصالية أمام مرأى ومسمع المهاجرين ما يضاعف مخاوفهم وشكوكهم من كلا الطرفين، ويخلق جوا مكهربا ومتوترا يؤثر على العقول ومصداقية المسؤول عن حقيقة الأحداث النضالية الدائرة.²

يؤكد اعتراف "هارون" أن تشكيل الفدرالية بفرنسا قد اكتنفه صعوبات جمّة أثّرت على مردودية نشاطها في تنصيب الخلايا وسط الجالية الجزائرية بحكم استمرار الحركة المصالية في ممارسة سلطتها على نسبة كبيرة من العمال الجزائريين والغموض المهيمن على النفوس³، حيث كانت تسيطر على حصة الأسد من المهاجرين الجزائريين بفرنسا، وفقدان فدرالية الجبهة الاتصال بالداخل (العاصمة الجزائر) في صائفة 1955 مما حرم المناضلين من تلقي الأوامر والتعليمات الدقيقة والعمل ضمن الصلاحيات التنظيمية⁴، إضافة إلى احتدام المواجهات في الجزائر بين التيارين الجبهوي والمصالي وانتقالها بسرعة كبيرة إلى التراب الفرنسي.

اتبّع التيار الجبهوي في هذا الإطار أساليب عديدة في محاولة إقناع المهاجرين بقيادة الجبهة للثورة وإبعاد مصالي وأعوانه عنها، ومن تلك الأساليب الأكثر منطقية اقتراح تعيين المهاجرين لعناصر منهم للذهاب إلى الجزائر، والتأكد يقينا عنم يخوض الكفاح حقا، ويكون ذلك باستخدام رسائل مشفرة لا يفهمها إلا مبعوثو هؤلاء المهاجرين لإعطاء العملية المصداقية الكاملة، مع تجسيد أموالهم واشتراكاتهم إلى حين التأكد بأنفسهم من حقيقة الأوضاع في الجزائر ومسؤولية جبهة التحرير عن العملية الثورية، وقد كانت نتائج هذه الخطة مثمرة جدا بالنسبة للجبهة حيث أخذت الحقيقة تتجلى للمهاجرين تدريجيا مع مرور الوقت.⁵

1 أحمد صاري، "دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية"، مجلة مصادر، ع1، 1999، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة

الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 242.

2 Haroun, op, cit, pp18 - 19.

3 Lebdjaoui, vérité ..., op.cit, p75.

4 Stora, ils venaient..., op.cit, p156.

5 Haroun, op, cit., pp19 - 20.

في الوقت ذاته تحوّلت المقاربات التي اتخذتها الأحزاب المتعارضة إزاء مختلف مكونات الطبقة السياسية الجزائرية لصالح "ج.ت.و" في ربيع 1955، حيث تفوق الخط السياسي لـ"عبان رمضان" الذي كان قد وصل على رأس المنظمة السياسية لـ"ج.ت.و" بعد خروجه من السجن، ولأنه كان مسؤولاً تنظيمياً في العديد من مناطق البلاد في فترة "ح.إ.ح.د"، فقد عمل على استقطاب ممثلي مختلف التيارات السياسية الجزائرية بدون أي تمييز باستثناء "ح.و.ج" التي كان يقودها "مصالي الحاج".

كان بروز "عبان" ضمن الصراع الخفي حول قيادة الثورة مع "محمد بوضياف" الذي سبق له أن أشرف على وضع النواة الأولى للجبهة وانطلاق المنظمة رفقة "طربوش" بمشاركة قادة شرقي فرنسا خاصة منطقة سوشو التي كان فيها "أحمد دوم"¹، وكان سبب الخلاف هو تقدير مكان ارتباط الفدرالية بالداخل أم بالخارج، ففي الوقت الذي رأى "بوضياف" ربطها بالقاهرة، رأى "عبان" أن مكان ارتباطها المناسب هي الجزائر نظراً لعلاقات العمال المهاجرين الدائمة مع عائلاتهم داخل الوطن، وقد شبّه "هارون" حال الفدرالية بسبب هذا الاختلاف بالباخرة التي قطعت حبالها وفقدت الاتصال بين ميناءين هما القاهرة والجزائر ولم يكن بمقدورها الإبحار مدة أطول دون بوصلة.²

بهدف سد هذا الفراغ وإصلاح الوضع، وتعزيز الارتباط بقيادة الكفاح التحرري، وبعد التشاور والتفكير الجيد تقرّر الاتصال بمدينة الجزائر بواسطة مبعوث يكون من نفس المنطقة في شهر أوت 1955 بعد أسابيع قليلة من إنشاء الفدرالية، فكان "دوم" المرشح للقيام بهذه المهمة، وكان الهدف من ذلك هو تحقيق نقطتين أساسيتين أولهما إرسال محاربين إلى فرنسا للتأكيد بأن "ج.ت.و" هي من تسيّر الكفاح مما سيساعد على قلب العملية لصالح الثورة، وثانيهما إصدار الأوامر للمجاهدين بتوجيه رسائل لأقاربهم وأحبائهم المقيمين في فرنسا، تؤكد لهم أن "ح.و.ج" غريبة عن عملية تفجير الكفاح المسلح، غير أن هذا الطلب رُفض في الواقع ولم يُسمح بأي اتصال مع المحاربين لذا يذكر "دوم" أنها كانت زيارة ومقابلة مخيبة للآمال³، غير أنه تمكّن من خلالها إيصال "الوانشي" على رأس الفدرالية بفرنسا وفريقه المتمكون من "مصطفى"، "شريف ساحلي"، "فرانز فانون"، ومن المركزين كل من "بولحروف"، "زين العابدين مونجي"، "الحاج شرشالي"، و"عبد الرزاق شتوف" و"الأشرف".⁴

بقي "عبان رمضان"⁵ مصرّاً على ضرورة الاتصال بين فدرالية الجبهة بفرنسا والجزائر العاصمة فقام بتعيين "الوانشي" على رأس اللجنة الفدرالية في نوفمبر سنة 1955، وبحكم أنه كان صديقاً لـ"دوم" فقد قدّم

1 محمد حربي، جبهة التحرير: الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 134.

2 Haroun, op, cit, pp18 - 19.

3 أحمد دوم، مصدر سابق، ص ص 116. 117.

4 Jacques Simon, Algérie la passé...; op, cit, p446.

5 عبان رمضان، (1920. 1957) عضو لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة، ساهم في التحضير لمؤتمر الصومام وقاد معركة الجزائر في ديسمبر 1956 = دليلاً بركات، من شهداء الثورة الجزائرية، المكتبة العصرية، الجزائر، 2002، ص ص 3029، أو Jean Lartéguy، l'Algérie avant L'ONU, Lorsqu'ils furent arrêtés, Ben belle et Khidder étaient déjà supplantés par les chefs

له عرض آخر للسفر ثانية إلى مدينة الجزائر للاتصال مع قادة الثورة¹، وفي الوقت ذاته أظهر "بوضياف" اهتماما خاصا بفدرالية فرنسا التي أرادها مهيكلية بالشكل الأمثل، كما كان يقينه وإيمانه بنجاح الثورة راسخا.²

يبدو أن الخلاف بين الرجلين لم يكن عميقا ومُهدِّدا لمستقبل الثورة وفدراليتها بفرنسا بقدر ما كان مؤكّدا لحرصهما الشديد على المصلحة العليا للوطن، وبحثهما عن أنجع السبل المؤدية لتحقيق النصر للثورة، ففي الوقت الذي ظلّ فيه "بوضياف" يسعى لتدويل القضية الجزائرية خارجيا من خلال كسب دول جديدة وصديقة للثورة بدء من القاهرة التي لطالما وقفت إلى جانبها، كيف لا وهي من أعلنت أولا عن خبر اندلاعها بإصدار بيان أول نوفمبر من إذاعتها صوت العرب، ظلّ "عبان" في المقابل يؤكد مبدأ أولوية الداخل عن الخارج ويسعى لإثبات وطنية الثورة وإفشال كل المحاولات الفرنسية القائلة بأنها مؤامرة خارجية مدعّمة من الحكومة المصرية، لذا تمسّك بربط فدرالية الجبهة بالوطن حتى لا يتم تأويل ربطها بمناطق أخرى على مقاس الادّعاءات الفرنسية.

في غضون اشتداد منافسة "ح.و.ج" لـ"ج.ت.و" على الصعيدين السياسي والعسكري استطاعت الجبهة ترجيح كفة الصراع لصالحها خصوصا بعد فرض مبادئها وشروطها بانضمام باقي الأحزاب السياسية في الجزائر ومسؤوليها إليها فرادى، والاعتراف بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري وثورته، وبعد أن انضم "الحول حسين" (الذي بقي في القاهرة) و"بن يوسف بن خدة" والمركزيين إليها، جاء سريعا دور حزب "إ.د.ب.ج" و"ج.ع.م.ج" لينضمّوا بدورهم، بل وحتى العديد من عناصر الحزب الشيوعي الجزائري من فضلوا الانسحاب نهائيا من الحزب والاتحاق رسميا بصفوف الجبهة.

قسّمت الفدرالية التراب الفرنسي إلى مناطق عمليات وعددها أربعة هي ولاية الشمال وكانت محصورة لقربها الجغرافي من بلجيكا التي تعتبر المركز الأول للمصاليين وبالتالي فهم الأكثر سيطرة عليها، ولاية الشرق الفرنسي، ولاية الوسط والجنوب وتضم مرسيليا، ليون وبوردو، أما ولاية باريس فكانت تنقسم إلى قسمين هما ولاية باريس الأولى وتشمل الضفة اليسرى لنهر السين، وولاية باريس الثانية وتشمل الضفة اليمنى لهذا النهر.³

تشكّلت الهيئة الأولى من المؤسس "مراد طربوش"، "نور الدين بن سالم"، "صالح الوانشي"، "عبد الرحمن غراس"، "عبد الكريم سويسبي"، و"طالب الإبراهيمي"، وتولّت القيام بعدة مهام كان أهمها شرح

Kabyles, Change de têtes, (MNT), Sér K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

KhalfaMameri, Abane – Krim, de la double méprise au double assassinat, leçon et apaisement, 2ème édition Augmentée, Editions El- Amel, 2017, pp 32 – 33.

1دوم، مصدر سابق، ص124.

2 نفسه، ص ص131.134.

3 Mohammed Lebjaoui, vérité sur la révolution...op, cit, p75.

أهداف الثورة لاسترجاع المناضلين لصالح الجبهة خصوصا من اتّبع منهم جماعة مصالي، لكنها لم تعمّر طويلا وسرعان ما تمّ تفكيكها حيث نجحت الشرطة الفرنسية في إلقاء القبض على "محساس" و"طربوش"، وكذا "زروقي" و"ماضي" في بداية أبريل 1955.¹

كانت أعين المخابرات السويسرية قد نجحت في ترصد تحركات مناضلي جبهة التحرير فتعاونت مع نظيرتها الفرنسية وأرسلت لها تقريرا عن تلك التحركات، ما جعل حياة اللجنة الفدرالية الأولى لـ"ج.ت.و" لم تدم طويلا بعد أسابيع قليلة من تشكيلها، وبذلك تفكّكت الفدرالية الأولى، غير أن هذا الاعتقال لم يثني الاتحادية على السير فُدما نحو الأمام، حيث قامت بتشكيل جماعة أخرى تسيّر هذا النظام²، وأعيد تشكيل اللجنة ثانية بواسطة "فضيل بن سالم" في شهر ماي 1955.³

لقد شكّل التنظيم السياسي العمود الفقري للفدرالية الجديدة لـ"ج.ت.و" في فرنسا، حيث تضاعفت أعداد المنخرطين ما أجبر على ضرورة مضاعفة الخلايا الموجودة، قصد تقليص عدد المناضلين في كل خلية حتى إذا فشلت إحداها ستتمكن الأخرى من الحلول محلها وضمان استمرارية نشاط الجبهة، إضافة إلى ضرورة زيادة عدد مسؤولي المناطق مما سيّمكن من الحصول على حركية وسيولة أكبر، وقد تمثّلت خارطة التنظيم بتعيين مسؤول منطقة على رأس كل مجموعة قسّمات، يشكل الرباط بينها وبين اللجنة الفدرالية، فكانت هذه الخارطة من القاعدة إلى القمة على النحو التالي: الخلية، القسمة، المنطقة، اللجنة الفدرالية، زيادة على الهيكلين - التنظيم السياسي والتنظيم شبه العسكري، وتم تكليف ثلاث مكاتب بمهام الطباعة المالية، العلاقات الخارجية من مدينتي الجزائر والقاهرة.⁴

تمّ تشكيل قيادة جديدة مكوّنة من أربعة أعضاء قسّمت التراب الفرنسي تقريبا بنفس الطريقة السابقة⁵، مع تغيير في وظائف المسؤولين عليها حيث عُيّن "دوم" مسؤولا على باريس وضواحيها مكلفا بالمالية، و"مشاطي" مسؤولا بشرق فرنسا وكلف بالإعلام والأخبار والنشر والتوزيع، أما "بن سالم" فتّم تعيينه على منطقة الشمال وتكليفه بمسائل الطبع، في حين عادت مسؤولية الوسط والجنوب إلى "غراس" وكلف بالإعلام والأخبار، ونظرا لتزايد عدد مناضلي الجبهة تم توسيع قيادة اللجنة الفدرالية بإضافة أعضاء جدد

1 علي هارون، مصدر سابق، ص22.

2 سعدي بزيان، "صفحات عن دور العمال في المهجر في ثورة نوفمبر 1954"، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، ع3، المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص176.

3 سعدي بزيان، جرائم موريس... مرجع سابق، ص11.
أنظر الملحق رقم 03.

4 أحمد دوم، مصدر سابق، ص138، 141.

5 جيلالي تكران، "فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، دراسة في التنظيم والهيكلية 1954.1957"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسينية بن بوعلّي، الشلف، الجزائر، ع19، 2018، ص22.

حيث تم تعيين "طالب الإبراهيمي" في مارس 1956، مكلفا بمهام الدعاية¹، و"بولحروف"، و"منجي"²، وبذلك أصبحت الفدرالية تتكون من ثمانية أعضاء متساوون جميعا في المسؤولية.³

شهدت فرنسا بذلك طوال سنتي 1955. 1956 توارد المسؤولين السياسيين لـ"ج.ت.و" الذين كانوا يحاولون إدراج الهيكل الفيدرالي ضمن أهداف إستراتيجية وضعتها مجموعات قيادية مختلفة ونفذتها، وارتفع عدد أتباع الفدرالية ليلعب في جوان 1956 ما يزيد عن 8000 فرد، ثم وصل سنة 1957 إلى 15000 شخص⁴، كما جاء عدد من إطارات المركزين ليعطي لـ"عبان" مكانة غالبية، ولكن كان عليه كذلك أن يأخذ بعين الاعتبار "محمد بوضياف" والرجال الذين بقوا مخلصين له في المنطقة، ويشير "حربي" إلى هذا في شهادته بصفته عضوا سابقا في "PPA" وممثل المناضلين الشبان الوطنيين في فرنسا بقوله: "كان عليّ أن ألتقي ببوضياف قبل وقت قصير من اعتقاله، كان ينوي الذهاب إلى تونس ثم الانطلاق من هناك ليتجه سرّا إلى مدريد أين كان عليّ أن ألتحق به لمناقشة ما قد يمكننا فعله في باريس، كان أخوه حمدان مكلفا بترتيب مقابلتنا لكن ألقى عليه القبض في هذه الأثناء ولم أعرف قط ما حدث بينه وبين قيادة الجزائر العاصمة".⁵

مثّلت السيطرة على فدرالية فرنسا ومنطقة الجزائر العاصمة بالنسبة لكل من "بوضياف" و"عبان" رهانا أساسيا في قيادة الثورة التحريرية، ويبدو أن "عبان" في ربيع 1955 هو من تفوّق ضمن "ف.ج.ت.و" بفرنسا، حيث تعزّزت الفكرة التي جاء بها في 20 سبتمبر 1955 التي نصّت على أولوية الداخل على الخارج والتي ستظهر بشكل أكثر جدية في مؤتمر الصومام، فيشتدّ الخلاف بين "عبان" وجماعة الخارج بصفة عامة وعلى رأسهم "بوضياف" بشكل خاص⁶، لكن هزيمة جماعة "بوضياف" لم تعزز بالضرورة مواقف ممثل الجزائر، ولم تعترف جماعة الأربعة الفيدراليين الذين عيّنوا أنفسهم بأنفسهم بـ"لوانشي" اعترافا تاما.⁷

واجه "لوانشي" ظروفًا صعبة للغاية وتحديات كبيرة عند بداية مشواره في الفدرالية، تجسّدت أهمها في قلة الإمكانيات المادية وكثرة النزاعات الدموية مع المصاليين، لهذا حاول قد المستطاع المحافظة على اللجنة الاتحادية التي كانت مُشكلة قبل مجيئه، بغرض تجنب إحداث تركيز جديد للجهاز والحفاظ على

1 غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880. 1962، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 267.
2 Ali Haroun, op.cit, p24.

3 علي هارون، مصدر سابق، ص 29.

4 Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie coloniale (1830 - 1954), la découverte, Paris, 1991, p41.

5 جريال، مرجع سابق، ص 31.

6 Mabrouk Bel-Houcine, le courrier Alger- le Caire (1954-1962), et le congrès de la Soummam dans la révolution, Casbah édition, Alger, 2000, p154.

7 خليفة الجنيدي، حوار حول الثورة، دوافع نقل الثورة إلى فرنسا (الرد والردع)، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 199. 205.

الاتصالات الوثيقة التي كانت تتم بين أعضائها، مع السعي في الوقت نفسه في عملية تنظيم وهيكلية الجالية الجزائرية بالمهجر.

لقد طرح من جديد وصول مسؤول عينته الجزائر المشكل القديم المتعلق بالاستقلال النسبي للفدرالية عن القيادة المركزية وشروط تعيين القادة، وأدى وصول الإطارات المركزيين إلى إحياء الولاءات القديمة لـ "ح.ش.ج" التي تعود إلى زمن المنظمة الخاصة، في حين أن زيادة الانضمام على المستوى القاعدي وتنوع الخيارات السياسية للوافدين الجدد جلبت معها هي كذلك حصتها من النزاعات، لم يكن "الوانشي" وهو يفتقر إلى اتصالات موثوقة يملك وسائل التدخل لتخفيف الضغائن أو إيجاد حل سياسي مُرض لها¹، ما جعل الفيدرالية تظهر لها قيادة جديدة تضم ثمانية مسؤولين، أربعة من القادة السابقين وهم "مشاطي"، "دوم"، "غراس"، "بن سالم"، وأربعة آخرين التحقوا بهم فيما بعد وهم "عبد الملك بن حبيلس"، "بولحروف"، "طالب الإبراهيمي"، "حسين مونجي"، و"الوانشي"، وبذلك تبلورت الصيغة النهائية لها.²

مع ازدياد حجم وسعة الفدرالية كان ضروريا إعادة تنظيمها وتوسيع لجنتها الفدرالية، إلى غاية ذلك الوقت كان المسؤولون الفدراليون يجوبون المناطق الواقعة تحت مسؤولياتهم لملاقاة المناضلين، للتنظيم، للهيكلية، وللشرح، وهي مهام صارت تزداد امتصاصا للوقت، فتبينت ضرورة تعيين لجنة للتنظيم، تكلف لتلك التنقلات، قصد السماح "لغراس" بالانشغال بالتنظيم العام للفدرالية، كانت الظروف والوقائع توجب إعادة الهيكلية، في هيكلية أولى كانت الفدرالية مقسمة إلى مناطق حسب التقسيم الساري في زمن "ح.إ.ح.د" لكن صار ضروريا إعادة النظر في كل ذلك للتكيف مع المعطيات الجديدة، وبعد المناقشة تم الاتفاق على إنشاء تنظيم سياسي سري في المقام الأول، يتوافق مع الوضعية الجديدة الناجمة عن ثورة أول نوفمبر، وبسبب إلحاح مدينة الجزائر على الانتقال إلى العمل كان من الضروري وضع تنظيم شبه عسكري في وقت قريب أيضا.³

أخذت الفدرالية في تنفيذ خططها التنظيمية داخل التراب الفرنسي من خلال تشكيل فرق شبه عسكرية لتأطير أفواج العمل ضمن حيز جغرافي انطلاقا من الخلية التي تضم أربعة أشخاص ومسؤول، ويضم كل فوج أربعة خلايا تتكون من ستة عشر شخصا، والفرقة تضم ثلاثة أفواج مكونة من اثنا عشر شخصا، والقسم تحتوي على ثلاثة فرق وتتكون من ستة وثلاثون شخصا، في حين يضم القطاع ثلاثة قسّمات وتضم الناحية ثلاثة قطاعات، وتضم المنطقة إجمالا من ثلاثة إلى أربعة نواحي وتشمل المنطقة الكبرى منطقتين،

1 جريال، مرجع سابق، ص32.

2 Benjamin Stora, ils venaient..., op.cit, p158.

3 محمد حربي، جبهة التحرير الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص137.

أما الولاية باعتبارها الأكبر في التنظيم فكانت تشمل منطقتين كبيرتين، وكانت فدرالية الجبهة تضم في البداية ستة ولايات ثم أصبحت سبعة ابتداء من صيف 1961.¹

ونظرا لطابع السرية التي كان يتبعها مناضلو الجبهة بفرنسا بسبب المراقبة الشديدة والمستمرة للشرطة الفرنسية فقد كانت تلك التقسيمات الجغرافية تخضع دائما لتغييرات مستمرة، وكان المسؤول عن التنظيم الإداري يسمى "بالفدرالي" أو "الأخ الكبير" ويدعمه مسؤول المنظمة الخاصة وثلاثة مساعدين قضائي وعسكري ودعائي خاص بالصحافة.²

استطاعت الفدرالية من خلال هذا التقسيم تأطير، تنظيم ومراقبة المهاجرين الجزائريين خصوصا العمال منهم بفعالية أكبر والتجدر أكثر في أوساطهم، وتسهيل عملية الاتصالات والمراقبة لتنفيذ كل أوامر "ج.ت.و" إلى درجة أنه كان كل الأماكن التي يتحرك فيها هؤلاء العمال مُخرقة من قبل الوطنيين ومناضلي الجبهة³، كيف لا وهم من تم اختيارهم وفق ضوابط عالية الدقة وشروط قاسية، تثبت شدة وطنيتهم وإخلاصهم للجبهة دون سواها، فمثلا كانت شروط الالتحاق بالمنظمة الخاصة التابعة للفدرالية التي تُفرض على المنخرطين وتوجب عليهم استيفائها تشمل: "الشجاعة، النظام الصارم، المقاومة الجسدية والنفسية، السرية المطلقة، الجدّة، ديمومة الاستعداد للتحرك والانضمام إلى وحدات جيش التحرير"⁴، وتنفيذ الأوامر في أي وقت، التكوين السياسي والعسكري، استخدام الأسماء المستعارة والأقنعة أثناء الاجتماعات، وهو تقريبا نفس النظام الداخلي الذي قام على أساسه الجناح العسكري لـ"ح.ش.ج" "المنظمة الخاصة L'OS" في الجزائر سنة 1947.⁵

أمام استمرار حملة الاعتقالات والملاحقات الفرنسية لأعضاء الفدرالية وفي ظل الظروف الصعبة التي أصبحت فدرالية الجبهة تعمل فيها، اضطرّ "الوانشي" إلى العودة إلى الجزائر سنة 1956 لمناقشة الوضع بعد تقديمه تقريراً مفصلاً للقيادة الداخلية عن الوضعية السائدة وسط الجالية الجزائرية خصوصا الطبقات العمالية منها، وهو ما تمت مناقشته في أشغال مؤتمر الصومام الذي تقرر خلاله تعيين "محمد لبحاوي"⁶ خلفا "للوانشي" على رأس الفدرالية التي سيتولى قيادتها ما بين 1956 . 1957.⁷

1Peggy Derder, op.cit, p63.

2Jacques du chemin, Histoire du FLN, édition Mimouni, Alger, 2006, p295.

3Peggy Derder, op.cit, p65.

4Mohammed Guentari, Organisation politico-administrative et militaire de la révolution Algérienne 1954-1962, vol 2, OPU, Alger, 2002, p586.

5Dahou Djerbal, op.cit, p125.

6لبحاوي، ولد بالعاصمة الجزائرية سنة 1926 مناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم في صفوف الثورة التحريرية، عمل مساعدا لعبان رمضان ثم مسؤولا في فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، ساهم في تأطير المهاجرين وتأسيسالاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتصال بالأحرار الفرنسيين ألقى عليه القبض سنة 1957 وبقي مسجوناً إلى غاية 1962 = عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائريةقاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 422.

7 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 29.

إن الفشل الذي أصاب الفدرالية وهيئة أركانها بين 1955. 1956 لم يجبرها على الاستسلام بل زادها الأمر إصرارا على التنظيم والوقوف من جديد، وهو ما تم بالفعل مناقشته في أشغال مؤتمر الصومام الذي غابت عنه "ف.ج.ت.و"¹، بسبب التفكك الذي أصابها جزاء ملاحقة الشرطة الفرنسية لأعضائها، ومن هذا المنطلق تم تعيين أعضاء من الفدرالية ضمن أعضاء المجلس الوطني الأول للثورة الاحتياطين وهم "الوانشي"، "البجاوي" الذي تولّى مسؤولية الفدرالية بعد المؤتمر²، كما قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ تعزيز دور المهاجرين في الكفاح وأرسلت مندوبين عنها لإعادة تنظيم الفدرالية وجعلها أكثر تناسقا وتنظيما وقوة.³

خصوصا بعد تموقع الجبهة أكثر وسط الجالية الجزائرية مستفيدة من الدعم الذي وجدته من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي والكنفدرالية العامة للشغل وقبول عضوية الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الكنفدرالية الدولية للنقابات الحرة في جويلية 1956⁴، وكان هدف الجبهة مرتكزا في السيطرة على المهاجرين الجزائريين على استيعاب العناصر المصالية المترددة أو الواعية بحقيقة الكفاح من جهة، ومحاربة المتعصبين لمصالي مثل الإطارات القيادية وأفواج الصاعقة من جهة ثانية⁵، وتطبيق توصيات مؤتمر الصومام حول اعتبار الجالية الجزائرية بفرنسا رأسمال ثمين بسبب نسبتها العددية وفتتها الشبابية وطابعها البطولي وقوتها السياسية".⁶

كان مؤتمر الصومام قد وضع قواعد التنظيم السياسي لج.ت.و. بعد سنتين من اندلاعها، حيث تم وضع القيادة السياسية للجبهة تحت مسؤولية مؤسسة برلمانية هي "المجلس الوطني للثورة" "CNRA" وأوكلت السلطة التنفيذية لـ "لجنة التنسيق والتنفيذ" كمؤسسة قيادية مكونة من خمسة أعضاء وتشرف على الجهاز السياسي والعسكري للثورة، وهي من تولّت وضع برنامج الفدرالية بفرنسا.

ظلت المؤاخذات الموجهة لمؤتمر الصومام قائمة وظل أعضاء المندوبية الخارجية "المُبعدين" واقعا من ذلك اللقاء الحاسم ضلّوا ينتقدون قراراته، لهذا فقد ظل مؤتمر الصومام بأهميته ورهاناته ونتائجه يشكل نقطة نزاع دائم، ذلك أن الغياب المبهم للفدرالية عن المؤتمر والفشل الذي أصاب هيئة أركانها في الفترة ما بين 1955. 1956 قد أثار الكثير من التكهنات والانتقادات، ويبقى معرفة المانع الذي حال دون مشاركة المندوبية الخارجية لـ "ف.ج.ت.و" في المؤتمر غير معروف بشكل واضح، نظرا لغياب الأدلة الدامغة التي تؤجل رفع الستار عن هذا الغياب، وتُبقى كل ما أثير حوله مجرد فرضيات وتخمينات.

1 Benjamin Stora, ils venaient d'Algérie. Op.cit, p157.

2 Benyoucef Benkhedda, la crise de 1962, l'Algérie a l'indépendance, édition Dahleb, Alger, 1997, p127.

3 Belkacem Hifi, l'immigration Algérienne origines et perspectives de non-retour, édition Harmattan, Paris, 1985, p161.

4 Jacques Simon, l'immigration ..., op.cit, p383.

5 Linda Amiri, op.cit, p49.

6 Peggy Derder, op.cit, p61.

صار تأثير مؤتمر الصومام فوراً فور التعريف بهيكلته وأرضيته، وصار الجميع على اطلاع بأسماء المسؤولين قادة الولايات¹، فعملت لجنة التنسيق والتنفيذ على تجسيد استراتيجيات الثورة بنظرة شاملة وتنسيق جماعي محكم ووزعت المسؤوليات على أعضائها داخل وخارج الجزائر رغم بعض التحفظات التي كانت تؤخذ على "عبان" بسبب تظاهره بالزعامة²، كونه أظهر نشاطاً حثيثاً وإدارة حازمة في تسيير اللجنة داخليا وخارجيا حيث يتابع تطورات الثورة أولا بأول عبر مختلف ولايات الوطن من جهة، ويشرف على تنظيم النشاط الخارجي بشكل أكثر دقة من خلال تنظيم فدراليات الجبهة وتفعيل النشاط الدبلوماسي والتموين العسكري من جهة أخرى³، وعملت أيضا على إشراك الجالية الجزائرية في الكفاح وتنظيمها كولاية قائمة بذاتها وقامت بناء على ذلك بإرسال مندوبين عنها لإعادة تنظيم الفدرالية وضمان استمرارية كفاحها⁴، وذلك تطبيقاً لتوصية مؤتمر الصومام بأن "الجالية الجزائرية بفرنسا رأسمال ثمين بسبب نسبتها العددية وفئتها الشبابية وطابعها البطولي وقوتها السياسية"⁵.

على هذا الأساس يُعدّ هذا المؤتمر انتصاراً كبيراً للثورة حيث أرسى تنظيمها سياسياً وعسكرياً محكماً، حين أوجد مؤسسات قيادية جديدة وخلق جيشاً نظامياً موحداً، وخرج بقيادة وطنية أكثر قوة واتحاداً وأكثر قدرة على تنسيق المواقف والإشراف على الثورة في كامل مناطق الوطن، لهذا مثّلت قراراته منعرجاً حاسماً ونقلة نوعية في مسار الثورة التي حضيت بنفس جديد لاستئناف سيرها وتحقيق أهدافها المسطرة.

من جهة أخرى عاودت مسألة الخصوصية القبائلية الظهور بقوة أكبر من التي عرفها "ح.ش.ج" (الأزمة البربرية) وكادت أن تؤثر بشكل مباشر وخطير على الثورة التحريرية حين ظهرت احتجاجات مجموعة القبائل التي كان يطلق عليها اسم "أصحاب النزعة البربرية"، وكان بعض المناضلين في الجزائر مع غيرهم في فرنسا قد مشوا على خطى مصالي الذي أسس "ح.و.ج" كضرة لـ "ج.ت.و"، فكُونوا هم أيضاً منافس آخر للجبهة أطلقوا عليها اسم "جبهة التحرير الوطني القبائلية"، كانت هذه الأخيرة منتشرة ولها مؤيدين في الشمال وفي سان دوني ومناطق فرنسية أخرى، وتؤكد شهادة "موسى لقبائلي" هذا القول عندما يروي ظروف استلامه مسؤولية المنطقة الباريسية: "عندما عُيّن قائد ولاية في نهاية 1956 انصب اهتمامي الأول على وضع حد للخلافات بين الأفراد وعدم التوقف عند مشاكل جهوية... كان يتوجب علينا أن ننطلق من رؤية جديدة للأمور دون الاضطرار إلى استذكار النزعة البربرية على سبيل المثال أو غيرها"⁶.

1Abdelkader Yefsah, Histoire politique de l'Algérie 1954 – 1984, ENAG éditions, Alger, p45.

2Saad Dahlab, pour l'indépendance de l'Algérie, mission accomplie, édition Dahlab, Alger, 1990, p p57 – 58.

3BenYoucef Ben Khadda, Alger capital de la résistance 1956 – 1957, édition Houma, 2002, pp 31 – 32.

4Belkacem Hifi, L'immigration Algérienne, origines et perspectives de non-retour, édition Harmattan, Paris, 1985, p161.

5Peggy Derder, L'immigration Algérienne op, cit, p61.

6 جريال، مرجع سابق، ص33.

كانت الأوضاع إذن مشوشة فعلا، وزادت الضغوط المتضافرة للجماعات المصالية والشرطة الفرنسية الأمور تعقيدا، وفي 28 أوت 1956 بعد "مشاطي" جاء دور "بن سالم" و"غراس" ليقعا ضحية الاعتقالات وبهذا فقد "بوضياف" آخر مسانديه في اللجنة الفدرالية وبذلك شلّت جماعة الأربعة لـ"ف.ج.ت.و" تقريبا تماما، كانت الضربة قاسية على حد تعبير "دوم" عند إلقاء القبض على غراس وبن سالم، وقد أحدثت مفعول قنبلة لدى الجماعة المهاجرة، حيث أعلنت الصحف الفرنسية بخطوط عريضة عن عملية التوقيف تلك فعنونت: "فرانس سوار" بـ "إسقاط رؤوس فدرالية فرنسا، بعد توقيف غراس وبن سالم، وبقي دوم موضوع بحث حثيث من قبل الشرطة"¹.

أجبر هذا التوقيف من بقي من الأعضاء على العمل في عجلة من الأمر مع إعطاء الأولوية للحفاظ على الهيكل، قبل التفكير في تعويض الإطارات التي تم تحييدها، وباعتبار دوم المٌطلع الوحيد على تفاصيل الفدرالية وكذا القسمات والمناضلين، فقد كان عليه أن يتولى زيادة على الجانب شبه العسكري المهام التي تركت شاغرة بعد توقيف بن سالم، فأخذ عصا الترحال وجاب الشرق والجنوب الشرقي الفرنسي، وهدفه تعزيز الفدرالية، ثم استدعى القسمات وطمأنها على استمرار الحرب من القواعد المتبعة دوما في الفدرالية وكأن شيئا لم يحدث، والقيام فورا بتعويض العنصر المفقود كما قال من سبقونا: "يسقط الرجل منا فيخرج الآخر من الظل ليحل محله"².

إذن حاول "دوم" كآخر الناجين بكل قواه تنسيق عمل اللجنة مع القيادات المختلفة المسماة داخلية وخارجية لكنه اعتقل بدوره في 17 نوفمبر 1956، لتصبح بذلك اللجنة الأربعة التي شكّلت القيادة الثانية للفدرالية في سجن "لاسوتتي"³، فوجد "الوانشي" نفسه بلا مساندة ولا اتصالات تسمح له بتسيير مختلف القيادات الإقليمية⁴، وهذا ما أجبر اللجنة الفدرالية على الإسراع لعقد اجتماع بطلب من "بولحروف" لإعادة تنظيم الفدرالية في أحد الأحياء بباريس بمنزل المناضل "أحمد باشا"⁵، وقد خرج هذا الاجتماع بعدة قرارات كان أهمها تعيين "الوانشي" على رأس إدارة اللجنة الفدرالية، ورغم كل تلك الصعوبات والعراقيل التي واجهها إلا أنه تمكّن من استقطاب أعداد معتبرة من المهاجرين الجزائريين من خلال نجاح حملة الدعاية والإعلام التي كان موكّلا بها⁶، وظلّت مساهمته كبيرة في إحلال النظام في المنظمة وإصلاح الوضع إلى أن جاء "محمد لبجاوي"⁷.

1 دوم، مصدر سابق، ص 145.

2 نفسه، ص 145.

3 هارون، مصدر سابق، ص 33.

4 جريال، ص ص 32. 34.

5 Harbi, une vie debout..., op.cit, p 174.

6 هارون، الولاية السابعة، مصدر سابق، ص 22.

7 ولد بجاوي في سيدي بلعباس يوم 21 سبتمبر 1929 وخريج معهد الدراسات السياسية بقرنوبل سنة 1952، محامي لدى محكمة الاستئناف بقرنوبل في الفترة ما بين 1951. 1953، متحصل على دكتوراه في الحقوق سنة 1955، وكان مستشارا قانونيا لجبهة التحرير

* المرحلة الثانية: 1956. 1957:

تخوّف "عبان" من كثرة الاعتقالات التي شملت وطالت معظم مسؤولي الفدرالية بفرنسا فقام بتعيين "لبجاوي" قائدا جديدا لها، وكان هذا الأخير مساعدا له، حيث شارك في صياغة قرارات مؤتمر الصومام، وإثر مغادرته الجزائر متجها إلى باريس لتولي مهامه التي أوكلت إليه سنة 1956 رافقه عدد من المساعدين وهم "بن يوسف"، "بن صيام إبراهيم"، "سيدي علي مبارك"، "حسين المهداوي وغيرهم".¹

جاءت الفدرالية الثالثة إذن برئاسة "محمد لبجاوي" في نهاية ديسمبر 1956 و"حسين مهداوي" نائبا له²، وأعضاء مساعدين له هم "الوانشي"، "أحمد بومنجل"، "الإبراهيمي"، "قدور العدلاني"³، "حسين منجي" و"عبد الكريم سويس" إضافة إلى "السعيد بوعزيز"، "سيدي علي مبارك"، "نور الدين بن سالم"، مكلفين بالأنشطة اللوجيستية والإعلامية والتنظيمية⁴، وهكذا قام بجمع كل رؤساء الهيكل التنظيمي بفرنسا وعلى رأسهم "الوانشي" الذي تركه عضوا في اللجنة الفدرالية⁵، ويذكر "لبجاوي" في هذا الصدد في كتابه حقائق عن الثورة قوله: "وصلت إلى فرنسا لتسلم منصبني في جانفي 1957، وكانت الفدرالية تسعى إلى بسط سيطرتها على الجالية الجزائرية هناك وإحباط مكائد فرنسا...".⁶

حظيت الفدرالية في تلك الفترة باهتمام كبير من طرف مؤتمر الصومام الذي أكد على أهمية الجالية الجزائرية في فرنسا ودورها البارز في دعم الثورة التحريرية، خاصة بالنظر إلى الروح الوطنية العالية التي تمتاز بها من حب للكفاح وإصرار على الحرية، وكذا إنارة الرأي العام الفرنسي والأجنبي من خلال الصحف والمجالات التي من شأنها جمع ذوي الخبرة والدراية والطبقة المثقفة لتدويل القضية الجزائرية ومواجهة الحركة المصالية.⁷

من هذا المنطلق وُكِّلَ لـ"محمد لبجاوي" مهمة التحرك ضد المصاليين قصاصا، بل وتصفية "مصالي" شخصا إذا سنحت الفرصة بذلك حيث يذكر في هذا الصدد قوله: "لابد من الدماء على الصفحات الأولى للجرائد... وتصفية مصالي الحاج شخصا"⁸، كما يؤكد أن مهمته الأساسية بعد الإطلاع على الأوضاع هي وقف المجازر التي كانت قد استفحلت بين التنظيمين المصالي والجهوي، وكان يرى أن

الوطني ثم للحكومة الجزائرية المؤقتة وخبير الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان ولوقرين، تقلد عدة مناصب بعد استقلال الجزائر، للمزيد أنظر = صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009، ص 704.

1 طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 144.

2 Haroun, op, cit, p28.

3 Mohammed Lebjaoui, Vérités sur la révolution, op, cit, p77.

4 سعدي بزيان، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17. 10. 1961، منشورات ثالة، الجزائر، 2003، ص 14.

5 بزيان، نفسه، ص 19.

6 محمد لبجاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971، ص 87.

7 جبهة التحرير الوطني، النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1954. 1962، مطابع الحزب، وحدة رضا حوحو، د ت، ص ص 45. 46.

8 Mohammed Lebjaoui, op.cit, p77.

هذا الاقتتال غير مجدي حيث قال: "لقد كنتُ بأية حال ضد تصفية مصالي من حيث المبدأ، فمهما تكن ذنوبه فقد اعتبرتُ أن قتله جريمة"¹، والموقف نفسه تقريبا اتخذته "محمد حربي".

استنكر "بورقة" هذين الموقفين وقال بخصوص ذلك في مذكراته: "لقد حشر بعض الكتاب والمسؤولين أنوفهم في مضايق خيانة مصالي، وسعوا إلى تلميع صورة مصالي وتبرير ساحته وحملوه ما لا يحتمل، فكتب محمد حربي يزعم أن الرجل غير ما عرفناه ونشر بعضهم مقالات ودراسات بعد الاستقلال تتباكى على قبر الرجل وتنعي حظه التعيس وتطالب برد الاعتبار إليه، إن هؤلاء وغيرهم ممن نصبوا أنفسهم حماة ومحامين على الرجل يشفع لهم جهلهم بما اقترفه مصالي من جرائم نكراء نفذها عملاؤه ضد الشعب والثورة، إننا نحن الذين اكتوينا بنار خيانتته في الداخل وذهب عشرات مجاهدين ضحية غدر عملائه، إن الذين يبررون أخطاء مصالي وجرم أذنبه خانتهم صراحتهم وخمولهم الذهني عن البحث الجاد عن الحقيقة..."²

يتضح هنا الاختلاف بين قناعات مناظلي "ج.ت.و" حول شخصية مصالي ودوره وموقفه من الثورة التحريرية، ففي الوقت الذي كان الوانشي وطربوش ودوم وبوداود مقتنعين بتصفية مصالي لحسم المعركة لصالح الجبهة مقتنعين أن ذلك ضرورة لحسم الصراع وتهدة الوضع لدى الجالية الجزائرية خصوصا أن مصالي هو من بدأ بالنزاع وحوّله إلى العنف الدموي ضد الجبهة، كان لبجاوي وحربي وغيرهم مختلفون في قناعتهم على البقية في عدم قتل مصالي رغم كل ما قام به ضد الجبهة، لأن نظرتهم كانت مختلفة عن الآخرين فهم كانوا يرون أن عملية التصفية تلك قد تتسبب في تشويه سمعة الثورة داخليا وخارجيا وتودي بتقسيم الجزائريين أكثر بين المؤيد والمعارض لمصالي لاسيما أن هذا الأخير كانت له قاعدة شعبية كبيرة سواء في الجزائر أو خارجها.

عمل "لبجاوي" أيضا على ربط الجالية الجزائرية نضاليا بالجبهة، وإكمال مسيرة "الوانشي" في كسب تعاطف ومساندة الأحرار الفرنسيين فشكّل لجنة للاتصال بهؤلاء، وقد أوكل هذه المهمة لمساعديه "جان عمروش"، و"عبد الرحمن فارس"³، ثم قرّروا الاتصال ببعض الضباط الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي وعلى رأسهم "رحماني" و"زرقيني" الذي كان يعتلي منصب نقيب في الجيش الفرنسي⁴، كما شرع أيضا في تقسيم المهاجرين بفرنسا إلى خلايا وأفواج وولايات⁵، وشهدت فترته أيضا تأسيس "الودادية العامة

11bid, pp79-82.

2 لخضر بورقة، شاهد على اغتيال الثورة (مذكرات سي لخضر بورقة)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص301.

3 سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، مج 2، منشورات ثالة، الجزائر، 2009، ص31.

4 بزيان، جرائم موريس...، مرجع سابق، ص34.

5 أنظر الملحق رقم 04.

للعمال الجزائريين "AGTA" وعقب ذلك "الاتحاد العام للعمال الجزائريين" "UGTA"، ويذكر "لبجاوي" أنه من تولى صياغة البيان الذي يعلن ولادة هاتين المنظميتين.¹

حيث وجّه نداء للعمال الجزائريين يحثّهم فيه على البقاء داخل نقاباتهم مع الفرنسيين وتأييدهم في مطالبهم العمالية، أما الطلبة الجزائريون فقد انضموا تحت لواء اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين "UCMA" والذي كان يضم كل من "محمد خميسي"، "الطيب بولحروف"، "رضا مالك" و"بن حبيلس"، وكان "لبجاوي" قد اتصل بهم في الحي الجامعي ونظّم معهم اجتماعا خاصا شرح لهم فيه السياسة العامة التي أقرّها جيش وجبهة التحرير الوطنيين في مؤتمر الصومام، وأسفر هذا الاجتماع عن إنشاء أمانة عامة للاتحادية برئاسة لبجاوي، وتتكون من "محمد الشريف ساحلي"، "رضا حوحو"، و"محمد حربي".²

تميّزت فترة "لبجاوي" أيضا بضمان السيطرة لـ"ج.ت.و" على الجالية الجزائرية، وانضمام الكثير من مناضلي "ح.و.ج" وأتباع الزعيم "مصالي" إلى صفوف الجبهة³، وتمكّن من تهديم تنظيمهم العسكري والسياسي⁴، بعد أن تم إدانة المصالية كتيار سياسي وإثبات تورطه بالحجج والأدلة مع الحكومة الفرنسية ومن ثم التأكيد على أن مصالي وأتباعه أصبحوا يحاربون الثورة وليس الاستعمار⁵، سواء في الجزائر أو في فرنسا بعد أن ازداد الوضع سوءاً، وتعدّدت الجبهات التي يقاتل عليها جيش التحرير الوطني بازدياد عدد الخونة من جهة والإرهاب الفرنسي من جهة أخرى⁶، خصوصا عندما تواطأ الجنرال "بلونيس" مع الجيش الفرنسي وموقف مصالي السلبي حيث لم يحرك ساكنا من الحادثة، كما ظهرت نية حقيقية لفتح جبهة ثانية للثورة على الأراضي الفرنسية مع القيادة الجديدة بعد أن تم تزويدها بوثيقة عمل بفرنسا وفقا لقرارات مؤتمر الصومام، وقد جاء قرار فتح هذه الجبهة قصاصا مع الفرنسيين الذين تزايد قمعهم في الجزائر والمصاليين الذين تعاضم ظلمهم في فرنسا.

رغم هذه النجاحات المحققة إلا أن "لبجاوي" لم ينجح في وضع أسس صلبة لتنظيم قوي للثورة الجزائرية بفرنسا رغم كل مساعيه، لأنه سرعان ما نجحت الشرطة الفرنسية في اعتقاله يوم 16 فيفري 1957 رفقة عدد من أعضاء FLN⁷، بعد أن كان مقرا عقد اجتماع له مع "أحمد طالب الإبراهيمي"، "صالح

1 لبجاوي، حقائق عن الثورة...، ص 89. 93.

2 بزيان، العمال الجزائريون...، ص 32. 33.

3Mohammed Harbi, le FLN mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir 1945 – 1962, ENAL, Alger, 1993, p157.

4L'abdjaoui, vérités sur la révolution..., op.cit, p 173.

5Benyoucef Benkhedda, Aben- BenM'hidi leur apport à la révolution algérienne, édition Dahlab, Alger, 2000, p155.

6Armée de libérations nationale Wilaya N° IV FLN région N°1 novembre 1956, rapport moral, (MNT), Sér K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

7 عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرة مذكرات سياسية (1945. 1965)، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 109.

الوانشي"، و"الطيب بولحروف"، في منطقة الاناضول دولافورج بالعاصمة باريس¹، إذ أُلقي عليه القبض هو و"الإبراهيمي"، في حين نجح "الوانشي" و"بولحروف" من الفرار²، لتتلقى الفدرالية للمرة الثانية ضربة أخرى موجعة، وتضطرّ للدخول في مرحلة تسيير مؤقتة من طرف "الطيب بولحروف" بتزكية من "كريم بلقاسم"³. يتحدث "حربي" عن قيادة "لبجاوي للفدرالية فيقول: "كان البجاوي يتميز بالمشاورة في العمل والمصادقية، وكان متمسكا بأفكاره ويدافع عنها مهما كلفه ذلك من الثمن ومهما آلت إليها النتائج، ولكن من جهة أخرى كان غير مهتم كثيرا لأفكار أعضاء الفدرالية، ولا يملك روح الديمقراطية، ويفتقد للخبرة في اتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة مخططات الشرطة الفرنسية، ولم يلتزم العمل السري كما ينبغي وهو ما عرّض الفدرالية للخطر"⁴.

ابتهجت الصحافة الفرنسية لهذا الخبر وجعلت خبر الإطاحة بقيادة "ج.ت.و" بفرنسا تتصدر عناوينها، ولذلك كان يجب التصرف بحذر أكبر لأن المناضلين على المستوى القاعدي بدؤوا يتساءلون حول السهولة التي تحدّدت بها هوية المسؤولين، وبالخصوص حول الأسباب التي تجعل الأموال التي تم جمعها بعد توضيحات كثيرة، لا تحمي بالقدر الكافي، من جهة أخرى أدّت موجة الاعتقالات هذه إلى انتشار حالة من الذعر في صفوف "إ.ع.ط.م.ج"، لأنهم أبلغوا أنه وُجد بحوزة "لبجاوي" قائمة تذكر أسماء رؤساء هذه المنظمة، فاختلفوا جميعهم بين ليلة وضحاها، منهم من قصد سويسرا ومن قصد المغرب على غرار "عبد المالك بن حبيلس" و"مالك رضا" و"لخديري علي"⁵، وكثيرون من غيرهم، وشلّت الفدرالية الثانية برئاسة "لبجاوي" بعد شهرين فقط من النشاط⁶، فأصبحت الأوضاع خطيرة وكان يجب التصرف بسرعة ودقة عالية.

* المرحلة الثالثة 1957 . 1962:

قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ التي كانت مستقرة بالجمهورية التونسية وبتكليف من "عبان رمضان" بعد اعتقال "لبجاوي" تعيين "عمر بوداود" على رأس الفدرالية بفرنسا في 10 جوان 1956 وأعطته صلاحيات واسعة، وقد صدر القرار بتعيينه على رأس فدرالية فرنسا مع جواز سفر مغربي ومبلغ 200.000 فرنك وعنوانان سيشكلان له المأوى في باريس⁷، التي وصل إليها في أواخر شهر جوان 1957 حسب

1 طالب الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 115.

2 لبجاوي، حقائق عن الثورة...، مصدر سابق، ص 98.

3DahoDjeral, l'organisation Spéciale de la fédération de France du FLN , Histoire de la lutte Armée du FLN en France (1954 -1962), éditions Chihab, Algérie, 2012, p 35.

4Harbi, une vie débout..., op; cit, p 200.

5 دحو جريال، مرجع سابق، ص 36.

6 Ahmed Doum, op, cit, p125.

7 عمر بوداود، مصدر سابق، ص 95.

"هارون" في هيئة فلاح جاء للبحث عن عمل وذلك من أجل أمنه والحفاظ على حياته حتى لا يتمكن أحد من معرفته خصوصا وأنه كان يحمل جواز سفر مزور واسم مستعار هو بنائي.¹

وتم تشكيل لجنة جديدة للفدرالية ضمت الشخصيات التالية: "عمر بوداود"، "سعيد بوعزيز"، "علي هارون"، "أحمد بومنجل"، "قدور لدلاني"، و"حسين منجي"²، ثم تم إضافة عضوين جديدين هما "محمد حربي" و"مسعود قدروجي"، وذلك بعد ذهاب "بومنجل" إلى تونس وإلقاء القبض على "عبد الكريم سويس" في أوت 1957³، وقد كُلف بثلاث مهام رئيسية هي التحكم في أوضاع الجالية الجزائرية بفرنسا حيث يذكر "بوداود" في مذكراته قوله: "منذ السداسي الثاني من سنة 1957 عملنا على تنظيم وتأطير المهاجرين لصالح "ج.ت.و" في مختلف المطاعم والمقاهي والفنادق"⁴، تحصيل الجباية وتعزيز المداخل المالية للجبهة من خلال استعادة الأموال التي بات مصالي يهيمن على جمعها.

إضافة إلى نقل العمل الثوري إلى التراب الفرنسي⁶، وتحسيس الرأي العام الفرنسي بحرب الاستقلال في الجزائر وأنه طرف فاعل في تسوية القضية الجزائرية من خلال الضغط على حكومته⁷، حيث ذكر في هذا السياق: "إن الجالية الجزائرية بفرنسا رأسمال ثمين بسبب نسبتها العددية وفتتها الشبابية وطابعها البطولي وقوتها السياسية"⁸، لذا قرّرت لجنة التنسيق والتنفيذ إشراك المهاجرين الجزائريين في الكفاح وتنظيمهم في فرنسا كولاية ثورية قائمة بذاتها، وبناء على ذلك قامت "ج.ت.و" في الجزائر بإرسال مندوبين عنها إلى التراب الفرنسي لإعادة تنظيم الفدرالية وضمان استمرارية كفاحها.⁹

التحقت شخصيات جديدة ذات صيت سياسي ومستوى ثقافي عالي لدعم "ف.ج.ت.و" وإضفاء انسجام أكبر عليها على غرار "بولحروف"، "الإبراهيمي"، "حربي" الذي قال في هذا الصدد: "لم أكن بعد عضوا في اللجنة الفيدرالية ولكن كنت برفقة مناضلين آخرين أردنا فرض نقاش حول مجمل المشاكل المرتبطة بالثورة، حصلنا على الموافقة وكونت لجنة كانت تضم في البداية "بن حسين مبروك" و"ساحلي

1 Ali Haroun, la 7eme wilaya..., op.cit, p31.

2 عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي...، ص546.

3 عبد الكريم سويس، من مواليد عنابة، كان عضوا دائما في فدرالية MTLD 1954، من الملتحقين الأوائل بجبهة التحرير الوطني حيث أصبح مسؤول المالية في فدراليتها، أُلقي عليه القبض سنة 1955 ثم 196، كان من مسيرى الفدرالية من ألمانيا، عاش الاستقلال وأصبح سفيرا للجزائر في كوبا وعضو برلماني عن عنابة سنة 1977 ومسؤول ودادية الجزائريين بفرنسا = للمزيد أنظر Benjamin Stora, Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens, édition Harmattan, 1985, p118.

4 بوداود، مصدر سابق، ص101.

5 Omar Boudaoud, cinq Ans à la Tête de la fédération de France, du PPA au FLN, édition Casbah, Alger, 2007, p108.

6 عمر بوداود، مصدر سابق، ص100.

7 Jacques Simon, l'immigration Algériennes en France, op, cit, p325.

8 Peggy Derder, L'immigration Algérienne et les pouvoirs publics dans le département de la Seine 1954-1962, Harmattan, 2005, p61.

9 Belkacem Hifi, L'immigration Algérienne, origines et perspectives de non-retour, édition Harmattan, Paris, 1985, p161.

محمد الشريف" و"أحمد حاج علي" و"شرشالي محمد حاج" و"بن ميلود عزيز" وأنا، وكنت أتولّى بها مهمة التنسيق مع اللجنة الفيدرالية... كنا نحضر بصفتنا مناضلين وليس بصفتنا طلبة بما أن العديد من الأعضاء كانوا قد شغلوا وظائف سياسية من قبل، كان "حاج علي" من قبل عضوا في المكتب السياسي "UDMA"، وكان "حاج شرشالي" عضوا في اللجنة المركزية لـ"PPA" ثم "MTLD"، وكان "ساحلي" كاتباً وأستاذاً و"بن حسين" محامياً، كنا أنا (حربي) وبن ميلود الوحيدين اللذين ننتمي إلى الحركة الطلابية¹. لتحقيق الأهداف المسطرة استوجب على "بوداود" وضع حد لعدم استقرار القمة وضرورة تشكيل قيادة منسجمة وقوية، وبلاستعانة بعدد من المسؤولين ذوي الخبرة في مختلف الميادين لمساعدته على إنجاز هذه المهام الصعبة²، وهذا ما يدل على صرامته وحنكته في دراسة أي قرار قبل تنفيذه على أرض الواقع، كما أنه لم يكن هدفه السلطة أو المنصب أو ما شابه بقدر ما كان همه الوحيد هو مصلحة وطنه وضمان نجاح مساعي الثورة في أرض العدو من خلال ضمان الاستقرار للفدرالية واستتباب الأمن لمسؤوليها ومناضليها.

وهذه إشارة واضحة أن "بوداود" قد نجح في بعث تنظيم جديد في مستوى تحديات الثورة في نهاية 1957، وتكوين نواة قوية وحقيقية للجبهة بفرنسا خاصة وبأوروبا بشكل عام لاسيما بعد أن أفرغ الساحة من المصاليين وأبعدهم عن الواجهة، وضّمن هيمنة شبه مطلقة لجبهة التحرير على الجالية الجزائرية هناك، كما نجح في إفشال المساعي الفرنسية لشق صف الثورة التحريرية.

لقد كان "بوداود" يتصف بشخصية حازمة ويتميز بالذكاء والحنكة والقدرة على تحليل الأوضاع والتنظيم، كما أنه كان متشدداً³، وهذا ما اتّضح مثلاً في استقالة "حربي" يوم 23 جويلية 1958، بعد أن صُدم بخبر وفاة "عبان" المشبوهة، غير أن "بوداود" أكّد أن سبب الاستقالة هو الخلافات التي كانت بينهما حول التوجيهات العامة للجبهة والخط السياسي الواجب إتباعه والسير عليه لتحقيق الأهداف المرجوة، كما أنه اتهم "حربي" بعدم الكفاءة في متابعة شؤون "إ.ع.ط.م.ج" بفرنسا⁴، ليؤكد "حربي" رأي "بوداود" حين وجّه انتقادات لاذعة للفدرالية في مسألة حل المشاكل والصعوبات التي تواجهها واتهامه لمعظم أعضائها بالبيروقراطية والجهوية، ثم رفضه مبدأ العنف المستخدم في مواجهة مصالي وأتباعه⁵. فشلت الحركة المصالية في الصمود أكثر أمام "ج.ت.و" واتضح ذلك جلياً سنة 1957 حين تأكّدت من فقدان أغلبية مناضليها وأتباعها الذين انضموا إلى الجبهة فرادى وجماعات وقد عبّر عن ذلك

1 جريال، مرجع سابق، ص34.

2 عمر بوداود، الطريق إلى نوفمبر أعمال الملتقى الوطني لكتابة الثورة، مج01، ج03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص283.

3 هرفي هامون، باتريك روتمان، حملة الحقائق المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر، تر: عبد الرحمن كابوية، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص109.

4 بوداود، مصدر سابق، ص ص 151. 152.

5Harbi, une vie debout..., op, cit, p207.

"دوم" بقوله: "إنهم يدخلون في جبهة التحرير أفواجا"، وهو ما ساعد الفدرالية أكثر على الإقلاع والمضي قدما¹، كما فقدت الحركة المزيد من ولاء المهاجرين الجزائريين لها حين قرّرت خوض إضراب في يوم 28 جانفي 1957 وحددت استمراره بيوم واحد لقلّة ثقتها في صلابة ارتباط قواتها المزعومة، تزامنا مع إضراب الثمانية أيام الذي دعت إليه "ج.ت.و" في الفترة الممتدة ما بين 28 جانفي و04 فيفري من السنة نفسها²، وقد كان هذا الإضراب بمثابة الضربة القاضية لها حيث وضح وأكدّ بما لا يدع مجالا للشك سيطرة الجبهة التامة على الجالية الجزائرية.

اشتدّت حملة الاعتقالات وازدادت الرقابة الصارمة للسلطة الفرنسية على مناضلي الفيدرالية، وأمام هذا الوضع كان لزاما على "بوداود" أن يكسر الطوق الأمني الذي ضرب حوله بعد اعتقال زعماء التنظيم خاصة "لبجاوي" و"الوانشي"، ولم يبق أمام الفدرالية سوى اللجوء إلى القواعد الخلفية للجبهة على الحدود الفرنسية في كل من ألمانيا وبلجيكا وسويسرا، لهذا قرّر "بوداود" نقل مقر قيادته للفدرالية إلى ألمانيا الغربية في ربيع 1958 مع الإبقاء على جهاز للمناوبة بفرنسا، وذلك تفاديا لنفس المصير الذي آلت إليه قيادات الفدرالية السابقة بفرنسا، والتي لم تتمكن من الصمود أكثر من ستة أشهر، وقد ذكر في هذا الصدد: "كانت العبرة التي وجب استخلاصها من مختلف عمليات إلقاء القبض واضحة، بقاء الفدرالية واستمرارية نشاطها مرهون بوضع إدارتها بمنأى عن إصابتها من طرف مصالح القمع الفرنسية"³.

ويضيف قائلا في نفس السياق: "بعد أن فكرت مليا وانطلاقا من تجربتي في المهجر، قررت إدارة "ف.ج.ت.و" نقل مقرها إلى ألمانيا في ربيع 1958، وقد نتج هذا التحول عن العبر المستخلصة من تجارب اللجان الفدرالية التي سبقتنا ومن تجربتنا في دراسة العوامل المحددة لذلك، ومن نظرة سياسية شاملة إذ تبين أن المسؤولين الذين تعاقبوا قبلنا على رأس الفدرالية قد تمّ إلقاء القبض عليهم واحدا تلو الآخر وفي فترات وجيزة لم تكن حتى متوقعة، حيث لم يُوقَّ أي منهم للصمود أزيد من ستة أشهر، لأن مصالح الأمن الفرنسية عندما تتوصل إلى التعرف على أحد الأعضاء الفدراليين فإنها لم تكن تتسرع في إلقاء القبض عليه بل كانت تعمل على تكثيف ومضاعفة عمليات المتابعة لهم لاكتشاف المزيد منهم، وفي جمع المعلومات المتعلقة بأماكن تواجدهم، ثم تقوم بنسج شبكاتها بصبر ودقة عالية، وعند وصولها إلى معلومات كافية ومؤكدة تقرر حينها التدخل الفوري فتقع المجموعة كلها في المصيدة"⁴.

1 دوم، مرجع سابق، ص 162 . 163.

2 Belaid Abane, vérités sans tabous l'assassinat d'Abane Ramdane, qui? Comment? Pourquoi? Et après?, El Dar El Othmana Edition Distribution, Alger, 2017, 47.

3 بوداود، مصدر سابق، ص 160. 161.

4 نفسه، ص 159. 160.

بعد هذه الإجراءات التي قام بها "بوداود" عرفت تشكيلة الفدرالية الثالثة لـ"ج.ت.و" بعض التعديلات¹، ورغم نجاحه في إرساء قواعد صلبة جعلتها أكثر تماسكا وقوة إلا أن عملية التعديل تواصلت في عهده، وإعادة الهيكلة استمرت وفقا لتطورات الأوضاع وبما يناسب الظروف والإمكانيات²، حيث صارت تتكون من خمسة أعضاء فقط بدل ستة وهم كل من "عمر بوداود"، "سعيد بوعزيز"، "علي هارون"، "قدور العدلاني". لدلاني .، و"عبد الكريم سويس"، كما اتخذت إجراء جديد يقضي بعدم ظهور هؤلاء الأعضاء معا في مكان أو زمن واحد، لتأكيد السرية التامة للتنظيم ووقيته من أعين المخابرات الفرنسية التي كانت تترصد كل مناضل فوق ترابها.³

اعتبر تنظيم الفدرالية بداية من الدورة الرابعة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في أوت 1961 "ج.ت.و" بفرنسا ولاية سابعة تابعة للولايات الست داخل التراب الوطني⁴، ويبدو فعلا أن "بوداود" كانت قراراته صائبة وفي محلها، وأنه قد نجح أكثر من سابقه في رفع التحدي وإنجاح فدرالية الجبهة وضمها بقائها وسيطرتها على المهاجرين الجزائريين بعد اقتناعهم بحقيقة الثورة ومفجريها وتمثيل "ج.ت.و" لها دون سواها، كما نجح في المحافظة على عمل الفدرالية واستطاع من إقامة هيكلية واضحة المعالم لها سمحت لها بتجاوز كل الصعاب والعراقيل، وضمن استمرارها في النشاط إلى غاية استرجاع الاستقلال التام سنة 1962.

نستنتج أن "ف.ج.ت.و" بفرنسا قد مرّت بمرحلتين أساسيتين وكل واحدة منهما ضمت بدورها فترتين حاسمتين، حيث امتدت المرحلة الأولى من سنة 1955 إلى سنة 1957 وقد شملت فترتي رئاسة كل من "مراد طربوش" في البداية ثم "محمد لبجاوي" بعده، وأهم ما ميّز هذه المرحلة هي كثرة الاعتقالات التي طالت أعضاء ومسؤولي الفدرالية من قبل الشرطة الفرنسية، أما المرحلة الثانية فقد امتدت من سنة 1957 إلى غاية تحقيق الاستقلال سنة 1962، وقد ضمت الفدراليتين الثالثة والرابعة برئاسة "عمر بوداود" وكان أهم ما ميّز هذه المرحلة هو انتقال قيادة الفدرالية إلى ألمانيا الغربية حيث استقرت بمدينة "فرانكفورت" واستطاعت تحقيق جل أهدافها المسطرة.

المطلب الثاني: أهداف فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا

سعت "ف.ج.ت.و" بفرنسا إلى تحقيق عدة غايات وعملت على تجسيد جملة من الأهداف والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1 شعبان إيدو، شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957-1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم

الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، 2018، ص94.

2 Gilbert Meynie et Mohammed Harbi, Le FLN documents et Histoire 1954-1962, édition Casbah, Alger, 2004, pp750-751.

3 بزيان، دور الطبقة العاملة...، ص43.

4 سيد علي أحمد مسعود، التطور السياسي في الثورة الجزائرية 1960-1961، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 46.

* تقسيم التراب الفرنسي حسب مناطق تركز الجالية الجزائرية لتسهيل انتقال الثورة إلى هناك:

وضعت "ف.ج.ت.و" نظاما أو جهازا سياسيا وإداريا يتمشى وقواعد السرية مستفيدة من إرث "ح.ش.ج" في مسألتها التأطير وضبط القاعدة الجماهيرية، حيث يتكون نظامها الهرمي من الولاية، والمنطقة، القسم، والفرع، والمجموعة، والخلية، كما اعتمدت وضع تقسيم إقليمي يركز على كثافة تركز المهاجرين وليس على اتساع رقعة الدوائر¹، وهو ما يتطلب احترام بعد مبادئ هي التوزيع المتساوي للمهام، التوازن في الوسائل البشرية، وتعادل المسؤوليات في كل مستوى ابتداء من القاعدة (الخلية) إلى القمة (الولاية).²

وبناء على ذلك تم تقسيم التراب الفرنسي في السنوات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية إلى ثلاث مناطق رئيسية³، غطت الأولى "باريس وضواحيها"، وامتدت من "براست" "Brest" إلى "نانت" "Nantes"، وغطت المنطقة الثانية الشمال والشرق من "ليل" "Lilie" إلى "ستراسبورغ" "Strasbourg" وضواحي "ليون" "Lyon" وصولا حتى الحدود السويسرية، في حين شملت المنطقة الثالثة كل من الوسط والجنوب وامتدت من "ليون" "Lyon" إلى "مرسيليا" ومن "بورديو" "Bordeaux" إلى "نيس" "Nice".⁴

وقد أشار "بوداود" إلى هذه النقطة في مذكراته بقوله: "قسّمت الفدرالية التراب الفرنسي سنة 1957 إلى ثلاث مناطق حسب كثافة الجالية الجزائرية وهي منطقة باريس والضواحي، منطقة الجنوب، منطقة الشمال، وأضاف أن الجبهة قد حوّلت هذه المناطق الثلاث إلى أربع ولايات، ثم حولتها سنة 1961 إلى ست ولايات مع ثلاثة مسؤولين عُيّنوا على رأس كل ولايتين".⁵

نظرا لاتساع نطاق الثورة داخل الأراضي الفرنسية وزيادة عدد المناضلين المنضمين في صفوف فدرالية الجبهة، وحسم هذه الأخيرة معركة تأطير المهاجرين لصالحها، تم تعديل هذا التقسيم الجغرافي سنة 1958 حيث استحدثت أربع ولايات بعدما كان التقسيم يشمل ثلاث مناطق فقط، حيث شملت الولاية الأولى "باريس وسط"، في حين وُضعت ضواحيها في الولاية الثانية، أما الولاية الثالثة فقد ضُمَّت منطقة الشرق ونظرا لكبر مساحتها تم تقسيمها إلى منطقتين شملت الأولى "اللورين" "Laurine"، "نانسي" "Nansi"، "لنغواي" "Loguai"، "تينوفيل" "Teno vèle"، "فورباخ" "Forbakh"، وشملت الثانية كل من "الألزاس" "Allasses" و"كومت" "Kemat"، في حين امتدت الولاية الرابعة من "بروطانيا" مرورا

1 عميري، مرجع سابق، ص ص 61. 66.

2Ali Haroun, op, cit, p46.

3عز الدين عنتري وآخرون، فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا أو الولاية السابعة 1959. 1962، تر: بوعلام عميروش، مطبوعات قصر الرئاسة، الجزائر، ص 14.

4Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , p47.

5Omar Boudaoud, op.cit., p 106.

بالساحل النورماندي وصولاً إلى "الأردن" و"الشومباني" وقد قسّمت هذه الولاية بسبب كبر حجمها إلى منطقتين مثلت الأولى الساحل الشمالي من "لوراي" "Lourai" إلى "دونكاك" "Duncarc"، وضمت الثانية المدن الصناعية في الشمال على غرار "ليل" "Lile"، "روبي" "Robai"، "موبارج" "Mourbage" وكانت منطقة هامة لمناضلي الجبهة لتدريب الأسلحة والأموال عبر الحدود البلجيكية.¹

ثم أُعيد تقسيم التراب الفرنسي ورفع عدد الولايات إلى ستة ولايات سنة 1958²، أولها المنطقتين الأولى والثانية اللتين شملتا باريس وضواحيها على التوالي، حيث ضمت الولاية الأولى 20 دائرة وكانت تحت مسؤولية "رمضان بوشهبوبة" المدعو "ولد عمري" وكانت منقسمة إلى عمالتين الأولى تحت إشراف "محمد ميري" المدعو "بوطالب"، والثانية أشرف عليها "طاهر عرقوب"، أما ضواحي باريس فقد أشرف عليها المناضل "حميمي عليان" وانقسمت بدورها إلى عمالتين الأولى كانت تحت مسؤولية "عمران مشيك"، والثانية تحت مسؤولية "مصطفى باحا أحمد".

ثم الولاية الثالثة تحت إشراف "محمد منصوري" والتي ضمت "ليون" ومنطقة الوسط وقد أشرف "محمد بوقاسم" على عمالتها الأولى و"علي حكيمي" على عمالتها الثانية، لتأتي الولاية الثالثة مكرر التي غطت كل من "مرسيليا" والجنوب، وأشرف عليها "محمد الطاهر دقسي" المدعو "زبير"، وكانت عمالتها الأولى تحت مسؤولية "سليمان ولد يونس" المدعو "أرزقي"، والثانية تحت مسؤولية "عبد الله يونس" المدعو "مراد".

وشملت الولاية الرابعة الشمال الفرنسي حيث أشرف عليها "يحي بوشريط" المدعو "سي العربي" بمساعدة "مقران حمة" مسؤولاً عن العمالة الأولى، و"محمد شريف رولا" مسؤولاً عن العمالة الثانية، في حين ضمت الولاية الرابعة مكرر الشرق الفرنسي تحت إشراف "عمر بوداود" ومسؤولية كل من "جعفر عبد السلام" في العمالة الأولى، و"مهند آكلي بن يونس" في العمالة الثانية.³

تغيّر التقسيم الجغرافي مرة أخرى استجابة لتطورات الأوضاع الميدانية، وارتفع عدد الولايات خلال الفترة الممتدة ما بين 1961 و1962 إلى سبعة⁴، ذكرها "هارون" وفصل فيها على النحو التالي⁵:

أشرف المراقب "مهند آكلي بن يونس" على الولايتين الأولى (باريس، الضفة الشمالية حتى فرساي، وقد كانت تحت مسؤولية المناضل "بلقاسم معمر" المدعو "موسطاش")، والأولى مكرر التي كان يحدها "لولوار" جنوباً وتشمل (بريتاني جنوباً ونورماندي شمالاً وناحية ديجون تروا وأوكسرا، وكان مسؤولها المناضل "أحمد أرزقي" المدعو "مقران)، وأشرف المراقب "الصادق محمدي" المدعو "لونيت" أو "ريمون" على الولايات الثانية والرابعة والرابعة مكرر، أما الولاية الثانية فقد غطت (باريس، الضفة السين اليمنى مع

1Guentari, op, cit, pp582- 583.

2Jacques Duchemin, Histoire de FLN, Edition Mimouni, Alger, 2006, p295.

3Ali Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , p 49.

4Ibd , p 43.

⁵ أنظر الملحق رقم 05.

الضاحية الشمالية) وكانت تحت مسؤولية "أحمد بوذراع" المدعو "مصطفى تارزان"، والولاية الرابعة (شمال فرنسا مع المانش إلى الجنوب وصولاً إلى ميزيار شرقاً ثم بو جنوباً) تحت مسؤولية المناضل "سعيد أويد" المدعو "غوريا"، أما الولاية الرابعة مكرر فكانت تحت مسؤولية "المناضل" "عمار مارزي" المدعو أيضاً "غوريا" وكانت تشمل (شرق فرنسا حتى ميزيار وصولاً إلى حدود لوكسومبرغ والساار بألمانيا وكذا سويسرا). كما أشرف المراقب "محمد عطابة" المدعو "جيلبير" على الولايتين الثالثة التي شملت (ليون والوسط جنوب لالوار إلى حدود سويسرا وألمانيا، إلى غاية بوردو، أورياك، وغاب جنوباً) وكان المسؤول عنها هو المناضل "عبد الله بن علوش" المدعو "أبيض الأسنان"، والولاية الثالثة مكرر شملت هي الأخرى (جنوب فرنسا من حدود إيطاليا إلى غاية الأطلس مع نيس ومرسيليا وبارينيان، بوردو وبو وكان المسؤول عنها هو المناضل "الحضر حمدان" المدعو "سبوتيك"¹.

لتسهيل المهام أكثر تم تقسيم كل ولاية إلى مجموعة عمالات والعمالة إلى مناطق والمنطقة إلى نواحي والناحية إلى جهات، والجهة إلى قطاعات والقطاع إلى قسّمات والقسمة الواحدة تضم مجموعة من الخلايا²، وكانت كل منطقة مقسمة إلى نواحي وأقسام وقسّمات وفروع ومجموعات وخلايا، وقد راعى هذا التقسيم تخفيف العبء على المستويات القاعدية لتجنب الصدمات مع أجهزة القمع، حيث تضم الخلية ثلاثة مناضلين يتراأسهم مسؤول الخلية، ثم تأتي المجموعة التي تتكون بدورها من ثلاث خلايا على رأسها مسؤول المجموعة، وتكون كل ثلاث مجموعات تحت مسؤولية رئيس الفرع.³

يفصّل "هارون" في عدد المناضلين وقوتهم العددية في هيكلية الفدرالية حيث يذكر أن الترتيب العددي يبدأ من الخلية المتشكلة من مناضلين رفقة مسؤول عنهما، ثم يأتي نصف الفوج الذي يضم سبعة مناضلين وهم خليتان ومسؤوليهما، وعند ضم الجزآن ومسؤوليهما تتألف ما يسمى بالمجموعة التي تضم خمسة عشر مناضلاً، لتشكل المجموعتان ومسؤوليهما واحد وثلاثون عضواً ما يسمى بالفرع، وعند ضم الفرعان ومسؤوليهما تتشكل القسمة وتتكون من ثلاثة وستون عضواً، ثم تتشكل القسمتان ومسؤوليهما ما يعرف بالقطاع المتكون من مائة وسبعة وعشرون فرداً، أما مجموع قطاعين ومسؤوليهما فيشكلان القسم المتكون من مائة وخمسون فرداً، ويشكل القسمان الناحية التي يقدر أعضاؤها بخمسمائة وإحدى عشر مناضلاً بما فيهم رئيس الناحية، وكلما زاد عدد المنخرطين في صفوف الفدرالية تغيّرت البنية الهرمية لها حسب المنطقة.⁴

تمكّنت الفدرالية بهذا التنظيم الفعّال من السيطرة والتحكم في الجالية الجزائرية وهيكلتها بشكل أدقّ من خلال إشراكها في الثورة انطلاقاً من أماكن إقامة أفرادها، وفي الوقت نفسه نجحت في تجنب

1Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit, p52.

2Mohammed Guentari, op,cit, p258.

3Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , pp46 – 47.

4Ibid, pp53 – 54.

الصدام المباشر مع الشرطة الفرنسية لاسيما أن اجتماعات المناضلين أصبحت تُعقد في أماكن تواجدهم حيث أصبحوا غير ملزمين بالتنقل إلى مناطق أو ولايات أخرى مثلما كان عليه الأمر من قبل،¹ إضافة إلى تعزيز حمايتهم لأنه في حال القبض عليهم لن تتعرف الشرطة على باقي الخلايا حتى في المنطقة نفسها لأنهم مجهولون.

أكد "هارون" على أهمية هذا التقسيم بالقول: "سهّلت هذه التقسيمات مهام المسؤولين ووفّرت الوقت الثمين لتجنب التنقلات الطويلة للإطارات وهي التي لا تخلو من الخطر على الأمن، ولهذا فبقدر ما زادت القوة العددية بقدر ما زادت الحاجة إلى اللامركزية... لاسيما في ظل تطور أساليب الشرطة الفرنسية التي سمحت لها المتابعة الدقيقة وتوقيف بعض الإطارات من حجز تقارير مالية وتنظيمية وبالتالي رسم النظام الهيكلي للمنظمة".²

* احتواء الجالية الجزائرية بفرنسا وحشدتها وراء جبهة التحرير الوطني:

من خلال هيكلتها والإشراف المباشر عليها، والعمل على استغلال كل ما تملكه من إمكانات ومؤهلّات في خدمة الثورة الجزائرية كونها كانت تمثل بالفعل ذخيرة مالية كبيرة ومورد دائم وضروري لاستمرار الكفاح الوطني.

لم تغفل "ج.ت.و" عن أهمية هذه الجالية وإدخالها في إطار الهيكلية الثورية، واستغلال مقوماتها لدعم القضية الجزائرية، لاسيما أن دار المهجر كانت مخبرا للوطنية الجزائرية ومثالا للمطالبة بالحرية منذ ظهور نجم شمال إفريقيا ومطالبه المتمحورة أساسا على الاستقلال التام للجزائر وجلاء الجيش الفرنسي منها، لذا فقد كانت لها القابلية الكاملة والاستعداد التام للمساهمة في الكفاح المسلح منذ البداية، غير أن حضور "مصالي الحاج" كزعيم للوطنية ومطلب الاستقلال في المهجر وتأثيره الكبير على تلك الجالية صعب من تأطيرها وأخرج قيادة "ف.ج.ت.و" في إقناعها بمسألة الشرعية الثورية للجبهة خصوصا بعد أن أعلن عن معاداته لأي عمل ثوري خارج عن إرادته ولا يكون تحت زعامته، وهذا ما صعب من مهمة الجبهة في فرنسا حيث كلف الجزائريين آلافا من القتلى ودوامه من العنف وتصفية الحسابات والأرواح.

كان المصاليون يتمتعون بشعبية كبيرة بين المهاجرين الجزائريين خصوصا فئة العمال ولاسيما في المناطق الفرنسية الشمالية ما جعلهم يخلقون مشاكل كثيرة لـ"ج.ت.و" خلال السنوات الأولى للكفاح المسلح، حيث قامت جماعة من المصاليين بزيارة عواصم مختلفة بغرض الدعاية ضد الجبهة وتسجيل الثورة التحريرية باسم "ح.و.ج" بزعامة "مصالي"، فقد أرسلت مثلا كل من "أحمد مزغنة" و"الشاذلي المكي" إلى

1Labdjaoui, op, cit, p174.

2 Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , p47.

القاهرة، و"بوقرة" إلى تونس والمغرب، "أولبصير" إلى إسبانيا و"مولاي مرباح" و"بوحافة" إلى نيويورك لمقر هيئة الأمم المتحدة.¹

اعتمدت الجبهة خطة دقيقة للإسراع في تنظيم المهاجرين وتغطية أكبر قدر ممكن من مناطق تواجدهم، فشكّلت فرق مُكلّفة بالتوجه في عطل العمال وعطل نهاية الأسبوع (السبت والأحد) إلى الفنادق الجزائرية في باريس وضواحيها، ثم عمّمت هذه الإستراتيجية على باقي المناطق والأقاليم الفرنسية التي تتواجد بها الجالية الجزائرية بنسب متفاوتة.

عمدت أيضا إلى تصنيف المهاجرين إلى ثلاث فئات من أجل بسط نفوذ كامل وصارم عليهم، وتجنيد شامل ومنسجم لهم، فقامت بترتيبهم أصنافا حسب درجات إيمانهم بالقضية وقدرتهم على الالتزام بالنظام ومدى استعدادهم للكفاح، إضافة إلى تسهيل انتقال المجند الجديد من صنف إلى آخر من خلال تقوية إرادته وترسيخ أفكاره والوقوف على حدود إمكانياته بعد مروره على مراحل متتابعة متعاطف فمخروط ثم مناضل.²

ركّزت الفدرالية في عمليات التجنيد للمناضلين الجدد على القيام بتحريرات مكثفة عليهم للتأكد من مدى إخلاصهم، خوفا من إمكانية أن يكونوا جواسيس مصاليين متخفين³، وتتم هذه العملية بدء من المتعاطفين (في بداية التجنيد) كونهم يمثلون العدد الأكبر من القوة العددية للجبهة، وقد أشار "هارون" إلى هذه الإستراتيجية بقوله: " يمثل المتعاطفون حوالي 50% من أعضاء الفدرالية ويوجد في هذا الصنف عناصر قادمة من آفاق متنوعة كثيرا، لاسيما في بداية التأطير، ويمكن أن يتسرب بين المهاجرين المجندين من يأتون للاختفاء تجنبا لكل اتصال مع الوطنيين، وهم أشخاص غير موثوق فيهم، ويكونون أحيانا جواسيس في خدمة الإدارة الفرنسية أو المصاليين".⁴

مثّلت فئة المتعاطفين مجموعة المناضلين المستعدين للتجنيد في صفوف "ج.ت.و" وخدمة أهدافها المسطرّة، لهذا يتم إخضاعهم لسلسلة من التدريبات الإعدادية وتلقينهم التربية السياسية اللازمة التي تمكّنهم من حضور الاجتماعات وقراءة ونشر كتابات المنظمة مع دفع الاشتراكات بانضباط كبير للجبهة، وهذا ما يجعلهم يمثلون حماية لا بد منها للمناضلين وستارا للإطارات والمجموعات المسلحة،⁵ إضافة إلى تقديم خدمات أخرى كإيواء المناضلين وعناصر المنظمة الخاصة وإثبات وفائهم عن طريق الأعمال التطوعية والفدائية.⁶

1 سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة المسلحة، تر:نحند حافظ الجمالي، دار القبة للنشر، الجزائر، ص311.

2Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , p46.

3Guentati, op, cit, p 587.

4Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit , pp 46 - 47.

5Ibid, p47.

6 Guentati, op, cit, p 586.

حين يترقى المتعاطف درجة ينتقل إلى الصنف الثاني ويصير منخرطاً وهذه العملية غير متاحة للجميع، بل تتم عن طريق عملية فرز دقيقة تشترط توفر نفس المقاييس المتوفرة في اختيار المتعاطفين، مع إضافة معايير أخرى منها المشاركة في التكوينين النظري والميداني، وتأطير المتعاطفين، وتقديم خدمات جلية في مجال أمن الإطارات التي يتم اختيارها بالضرورة من بين المناضلين.¹

حينما يترقى المنخرط درجة أخرى ينتقل إلى فئة المناضلين بعد أن يُظهر التزامه الكامل بمبادئ الثورة²، وقد لعبت هذه الفئة الدور الرئيسي في "ف.ج.ت.و" حيث كانت تُسلم لهم أشد المهام خطورة، ما جعلهم المحرك الأساسي للجالية الجزائرية وطلبتها في المعركة³، وعند نجاح وتفوق المناضل يمكن أن يصبح مسؤول ورئيس فوج وخلية أو قسمة أو قائد ولاية كما يمكن أن يضم إلى وحدات جيش التحرير، ويصير له الدور الفعال في خدمة القضية الوطنية⁴، وهذا ما يفسر قول "بوداود": " بفضل هذا التنظيم الصلب استطاعت المنظمة الخاصة تجنيد مئات الفدائيين استعملتهم في هجمات 25 أوت 1958 التي تم تنفيذها بهدف لفت الرأي العام الفرنسي شعباً وحكومة لإيجاد حل للقضية الجزائرية، وإبراز جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري".⁵

يتضح أن الهيكلية البشرية قد تمت في إطار التجنيد الشامل للمهاجرين الجزائريين وتحديد إمكانياتهم بدقة، وتسهيل قدراتهم على مواصلة الكفاح، وأن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف رئيسية مرتبة ترتيباً تصاعدياً حسب درجة إيمانهم بالقضية الوطنية واستعدادهم لخدمتها، قد آتت أكلها حيث سهّلت هذه الطريقة تصنيف المجندين عند انتقالهم بين هذه الدرجات الثلاث، وهذا ما زاد من تماسك "ف.ج.ت.و" من حيث التنظيم وسرعة الأداء وقوة الرد في ظل نظام السرية التامة الذي كانت تعتمد عليه.

* هيكلية فدرالية الجبهة بهدف توسيع نشاطها سياسياً ومالياً وعسكرياً:

نجحت فدرالية الجبهة بفرنسا في تنظيم وتأطير المهاجرين الجزائريين، بعد القيام بعمل تمشيطي يغطي أكبر قدر من المناطق الفرنسية، وتمكنت في وقت وجيز من إحلال سيطرتها على أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين، ولم تأت سنة 1958 حتى حسمت المعركة، بعد أن مالت الكفة ورجحت نهائياً لصالحها على حساب كل منافسيها خاصة الحركة المصالية ونجحت في احتكار الساحة لوحدها بعد صراع طويل ودموي كلفها الكثير⁶، ففي جانفي 1958 قدّرت مديرية الاستعلامات العامة عدد خلايا "ف.ج.ت.و" بين أربعة آلاف وخمسة آلاف خلية، يناهز عدد نشاطاتها 40 ألفاً في مقاطعة السين، مقابل 200 خلية

1 Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit, p47.

2Guentari, op, cit, p588.

3Haroun, la 7^e wilaya..., op, cit, p 47.

4Labdjaoui, op, cit, p 77.

5Omar Boudaoud, op.cit., p p 170-171.

6Harbi, une vie débout..., op, cit, p211.

فقط لـ "ح.و.ج"، لا يزيد عدد نشاطها عن 1700 ناشطا، في حين بلغت فرق الصواعق "المنظمة الخاصة" 100 في الجبهة مقابل 20 فقط في الحركة".¹

وضعت الفدرالية خطة لإنجاح عملية التأطير والتنظيم تقتضي تشكيل فرق بهدف التأثير على من لم يتم تأطيرهم بعد من المهاجرين وإقناعهم بحتمية الثورة وضرورة مساهمتهم فيها، وشرعية الجبهة وضرورة دعمهم المطلق لها وذلك عن طريق الانضمام لها وجمعهم الأموال والاشتراكات لتمويلها، وهكذا تمكنت الفدرالية من التحكم في أكبر عدد ممكن من المهاجرين الجزائريين بباريس وجميع الضواحي الباريسية ثم توسعت الحملة لتشمل كل التراب الفرنسي وتم وضع قاعدة نظامية لذات الغرض سنة 1957، ثم ستتعزيز أكثر في سنة 1958 حيث سيتم هيكلة القسم الأكبر من الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا.²

كما نجحت الفدرالية في القيام بإحصاء عام لكل المهاجرين الجزائريين المقيمين بفرنسا، ووضعت قوائم بكل المناطق، لا تتضمن فقط أسماء المعنيين ولكن أيضا كل المعلومات الضرورية حول أماكن إقامتهم وإمكانياتهم المالية ومؤهلاتهم الخاصة، مما يسمح بتحديد إمكانيات استغلالهم وظيفيا (العمال المختصين، التجار، السواق.. الخ)، وصارت تتحكم حتى في تحركاتهم حيث لا يمكن لأي جزائري أن يترك عمله أو يغادر محل إقامته من دون أن يعلم مسؤوله في الجبهة، وقد اعتمدت هذه الأخيرة في ذلك على تقنية شبكة الإحاطة التي تمكنها من معرفة توزع جمهور المسلمين على كافة الإقليم، ومن ثم كيف إستراتيجية تغلغلها وفقا لهذا التوزيع.³

رغم صعوبة هذه المهمة إلا أن "ف.ج.ت.و" قد تمكنت منذ مجيء "عمر بوداود" على رأس اللجنة الفدرالية من إقامة هيكلية واضحة المعالم سمحت لها بتجاوز كل تلك الصعاب وقد استفادت الجبهة في هذه المسألة من تجربة التنظيم الذي أقامته "ح.إ.ج.د" من قبل⁴، وبسطت نفوذها على جميع المهاجرين أيا كانت مواقعهم الاجتماعية.⁵

تجلت مثلا هذه السيطرة للفدرالية في المجال المالي من خلال تزايد قيمة الاشتراكات المالية التي كانت تُدفع من طرف هؤلاء المهاجرين باختلاف مستوياتهم لصالحها، وتزايد وعيهم الكامل بضرورة مشاركتهم في الكفاح من أجل الاستقلال، وأن استجابتهم للدفع تعتبر الثمن الذي يجب دفعه من أجل تحرير الجزائر، ولم تكن سيطرة الجبهة على المهاجرين مالية فقط بل تعدتها لباقي نواحي حياتهم الخاصة

1 ليندة عميري، مرجع سابق، ص 65 . 66.

2 بوداود، مصدر سابق، ص 102 . 106.

3 عميري، مرجع سابق، ص 66.

4 بوداود، مصدر سابق، ص 102.

5 عميري، مرجع سابق، ص 67.

والعامة عبر لجان خاصة تعمل على مساعدة المناضلين ماديا ومعنويا، ودعم الموقوفين منهم وبناء جسور التواصل مع المحيط الخارجي وضمان ديمومته.¹

نجحت فدرالية الجبهة بفضل هذا النشاط الدؤوب والمستمر من تحقيق الهيمنة شبه المطلقة على الغالبية الساحقة من المهاجرين الجزائريين سواء في فرنسا أو في باقي الدول الأوروبية، حيث ارتفع عدد المؤطرين فيها إلى 136645 فردا في أوت 1961 بما في ذلك المهاجرين المقيمين في بلجيكا وألمانيا، منهم 81805 مناضلا، 39303 منخرطا، و60278 متعاطفا إضافة إلى 4959 تاجرا، كما استطاعت هيكلية 90% من مهاجري العاصمة باريس، 52% من المهاجرين المقيمين في الوسط والجنوب الغربي و30% من المقيمين في الشمال الشرقي.²

* تعزيز مصالح فدرالية الجبهة لاحتواء المزيد من المهاجرين:

أمام قسوة الظروف التي كان يعيشها المهاجرون الجزائريون بفرنسا، كان على جبهة التحرير الوطني أن تعمل على تعزيز مصالح الفدرالية بعدة مؤسسات ولجان مختصة، بهدف التكفل أكثر بأفراد الجالية الجزائرية، وتجنيد لها لتقديم الدعم اللازم للثورة حتى تكون ذراعها الضارب للاستعمار في عقر داره، وتعزيز إرادتهم لتأدية واجبهم الوطني، وجعلها شريكا في الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي من خلال زيادة الالتفاف أكثر حول الثورة، وكان أهمها:

. لجنة القضاء (العدالة): "La commission de Justice"

تم تنصيب أول لجنة للقضاء بالمنطقة الباريسية سنة 1955، كانت مهمتها الحفاظ على الهدوء والاستقرار في أوساط المهاجرين من خلال معالجة كل النزاعات التي تنشأ فيما بينهم وغالبا ما يكون التجار أكثر الأطراف في بعض النزاعات، بهدف حل النزاعات والخصومات التي تنشأ بين هؤلاء بعيدا عن القضاء الفرنسي، والاهتمام بمشاكلهم الاجتماعية والقضائية، وقد تميزت بقدر كبير من الصرامة والانضباط في محاسبة كل المخطئين بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية أو مناصبهم السياسية.

اتضح أهدافها بشكل صريح في محتوى البيان الذي أصدرته "ف.ج.ت.و" وقد ورد فيه: "إن لجان العدالة التابعة للفدرالية تقوم بتسوية جميع المشاكل المتعلقة بمناضليها مهما كانت بسيطة أو معقدة، وعليه تصدر الأحكام وفق القانون الداخلي للجبهة، وليعلم هؤلاء المغتربين أن هذه الإجراءات تصب في مصلحتهم ويجعلهم في مأمن من تلاعبات المحاكم الاستعمارية وسياساتها التعسفية ضدهم، لهذا فإن الفدرالية تمنعهم من تقديم شكاويهم لدى المحاكم الفرنسية."³

1 نفسه، ص 69.

2 سيد علي حاج مسعود، التطور السياسي للثورة الجزائرية ما بين 1960 . 1962، ط1، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص45.
3Guentari, op, cit, pp 592 – 593.

تميزت هذه اللجنة أيضا بالصرامة في انتقاء أعضائها، حيث تعتمد معايير ثابتة منها الكفاءة والنزاهة والإخلاص، وأن يكون العضو معروفا لدى عامة المناضلين بالتزامه بقضية الاستقلال الوطني¹، كما حرصت على تحقيق مبدأ العدالة للجميع من خلال إلزامها لجميع محاكمها الثورية بضرورة النزاهة القضائية، ومنع استعمال القضاء للأغراض الشخصية أو تصفية الحسابات الضيقة بين المتهمين والخصوم، مع إلغاء الفوارق أثناء الحكم بين المتخاصمين دوت اعتبار للمنصب أو المركز أو المنطقة الأصلية (استعداد الجهوية)، وفرض عقوبات صارمة على كل قاضي أو إطار في الجبهة يرتكب خطأ ما أو يصدر حكما جائرا.²

نصبت أول لجنة للقضاء في المنطقة الباريسية سنة 1957 وترأسها "مهند أمقران" الذي كان مناضلا من قبل في حزب "ح.إ.ح.د" وله مؤهلات وكفاءات يُشهد لها في ميدان التجارة، لهذا كان أغلب أعضاء اللجان الأوائل من فئة التجار نظرا لاتصالهم واحتكاكهم الدائم مع أفراد الجالية وامتلاكهم تجربة كبيرة في التسيير والإدارة والتنظيم اكتسبوها بممارساتهم اليومية لمهنتهم.³

تمحورت مهامها الأساسية على تسوية الخلافات وفض النزاعات سواء التي تنشأ بين النزلاء الجزائريين وصاحب النزل بسبب غلاء ثمن الإيجار أو إهمال المؤجر لواجباته اتجاه نزلائه من حيث توفير أهم المستلزمات⁴، أو بين المساجين في السجون الفرنسية حيث تعاقب المتسببين في الخصومات⁵، إلى جانب حل مشاكل أخرى مختلفة ذات طبع اجتماعي وعائلي كالخلافات بين لأفراد، والمشاكل بين العائلات، والنزاعات بين العمال والمستخدمين أو بين التجار بسبب صفقة من الصفقات⁶، ولتحقيق العدالة بشكل أفضل حرصت الفدرالية على انتقاء القضاة المشهود لهم بالنزاهة والحكم بأحكام الشريعة الإسلامية.⁷

يذكر "لبجاوي" أن مهام هذه اللجان لم يقتصر فقط على حل الخلافات والنزاعات بين المهاجرين بل تعداه إلى النظر في حالات الزواج وقضايا الطلاق وتسجيل المواليد الجدد⁸، وهو ما أكدته أيضا "بن يونس" حين ذكر أن من مهامها الأساسية إصلاح ذات البين⁹، وقد أنشأت فروعها في كل المناطق والأنحاء الفرنسية بهدف التكفل التام بانشغالات الجالية ومختلف قضاياها، والتي كانت ترسل عليها تقارير كاملة مدعمة بالأدلة والحجج الدامغة إلى المكتب الرئيسي للجنة المتواجد على مستوى اللجنة الفدرالية.¹⁰

. جماعة المحامين: "Le collectif des Avocats"

1Benyounes, op, cit, p50.

2Guentari, op, cit, p592.

3Benyounes, op, cit, p50.

4Ibid, p50.

5 سليمان الشيخ، مرجع سابق، ص 266.

6Benyounes, op, cit, p50.

7Guentari, op, cit, p593.

8Labdjaoui, op, cit, p157.

9Benyounes, op, cit, p

10Guentari, op, cit, p592.

تشكّلت هذه اللجنة سنة 1958، بعد الهجمات المسلحة التي نفّذتها "ف.ج.ت.و" فوق الأراضي الفرنسية شهر أوت 1958 وما نتج عنها من ارتفاع عدد المعتقلين الجزائريين في السجون الفرنسية، وعلى هذا الأساس كانت مهمتها التكفل بالمعتقلين وعائلاتهم حيث تتولى مساعدتهم ماديا ومعنويا، حيث كانت اللجنة تتولى إرسال حوالات مالية بشكل منتظم لعائلات المعتقلين التي تعيش بالجزائر، أما العائلات المقيمة بالتراب الفرنسي فكان يتم زيارات لتفقدتها، وغالبا ما كان يتم اللجوء إلى النساء للقيام بهذه المهمة، تفاديا لتفطن السلطات الاستعمارية¹، ورغم أنهم كلفوا بنقل الأموال والمساعدات المالية للمساجين وبالتالي بإمكان الفدرالية أن تدفع لهم أجورهم كونها تملك مداخيل مالية تمكنها من ذلك، إلا أن أغلبهم كانوا يؤدون أعمالهم مجانا وبصدر رحب تعبيرا على قناعتهم التامة بضرورة مساعدة الثورة التحريرية.²

كما كانت اللجنة تقوم بإرسالهم إلى السجون لمساعدة المعتقلين نفسيا والرفع من معنوياتهم حيث تُلزم كل مناضل يتم اعتقاله بأن يطلب مساعدة محام عضو في جماعة المحامين التابعة للفدرالية، لضمان أفضل دفاع لهم³، وقد لعبت الفدرالية دورا في الاتصال بالمساجين الخمسة وإيصال بعض الانشغالات السياسية إليهم⁴، حيث كانت تختار أحسن وأفضل المحامين وأكثرهم تعاطفا مع القضية الجزائرية وتأييدا لكفاح الجزائريين، بهدف الدفاع عن معتقلي الجبهة أمام المحاكم الفرنسية، كما منعت السجناء من الاستعانة بأي محامين آخرين غير الذين تقوم هي باختيارهم، كونهم المتكفلين بإيصال أوامرهم لجميع المعتقلين في السجون عبر مختلف الأقاليم الفرنسية⁵، وقد تمكّن هؤلاء المحامين رغم كل المضايقات الأمنية التي كانوا يتعرضون لها من نقل معاناة المساجين والمعتقلين الجزائريين في السجون الفرنسية وفضح الأساليب القمعية المرتكبة ضدهم.

لجنة مساعدة المعتقلين (القضاء): "C.S.D" commission de soutien aux détenus

نظرا لقيام السلطات الاستعمارية باعتقال أعداد كبيرة من مناضلي فدرالية الجبهة بفرنسا حيث امتلأت السجون واضطرت لفتح مراكز أخرى أطبقت عليها اسم مراكز الاعتقال الإداري، فقد ارتفعت أعداد الأسر والعائلات التي لا تجد من يعولها ويقوم بشؤونها، لهذا قامت الفدرالية بتأسيس لجنة مساندة المعتقلين من أجل تقديم المساندة المادية والمعنوية لمناضليها السجناء ولعائلاتهم حيث كانت هذه الأخيرة تتلقى حوالات مالية بانتظام بالنسبة للتي تعيش في الجزائر أما بالنسبة للتي تعيش في فرنسا فكان أعوان الفدرالية يقومون بزيارات دورية لها لتفقد أوضاعها وتلبية احتياجاتها.⁶

1Benyounes, op, cit, pp52 - 53.

2Labdjaoui, op, cit, p176.

3 Benyounes, op, cit, pp57- 58.

4 محمد عباس، الثورة الجزائرية: نصر بلا ثمن، دار هومة، الجزائر، 2013، ص254.

5Guentari, op, cit, pp590- 592.

6Benyounes, op, cit, p52.

أنشأت "ف.ج.ت.و" هذه اللجنة للدفاع عن المعتقلين والاهتمام بشؤون المساجين وتأمين حمايتهم وأمنهم، من الاعتداءات التي كان يقوم بها ضدهم حراس السجون تارة، ومن اعتداءات المصاليين الذين كانوا يقبعون معهم في نفس السجون¹، وقد بدأت عملها رسميا سنة 1958 وتعد ذات أهمية بالغة حيث أدت أدوارا خطيرة لا يستهان بها في إنقاذ الفدرالية ذلك أن أكثر من 12% من إجمالي المناضلين الذين مارسوا المسؤولية قد تم اعتقالهم²، وبالتالي فقد كانت مهامها صعبة للغاية وتواجه تحديات كبيرة وصعوبات جمة كونها تعمل داخل مصدر الخطر.

لعبت هذه اللجان دورا بارزا في تقديم الدعم المادي والمعنوي للسجناء وعائلاتهم، من خلال تخصيص مساعدات مالية شهرية لعائلات الشهداء أو المعتقلين من جهة، وتقديم دعم في توجيه المناضلين لاختيار محاميهم من جهة ثانية، والمساعدة على إنشاء لجان المعتقلين داخل السجون من جهة أخرى، كما أفادت الفدرالية كثيرا من خلال تزويدها بكل المعلومات المستقاة من المساجين، مثل أسماء العناصر التي اكتشفتها الشرطة وصارت محل بحث، والمقرات والمخابئ المكتشفة، والأماكن التي تركت فيها بعد التوقيف أموالا أو أسلحة ومضمون محاضر الاستنطاق وهي معلومات مهمة جدا لأن إنقاذ المنظمة يتوقف على سرعة نقل هذه المعلومات ومدى دقتها³.

ذكر "بوداود" في مذكراته اهتمامه بمساندة جميع المعتقلين في السجون الفرنسية فقال: "عند وصولي إلى باريس سنة 1957 جعلت أولى اهتماماتي أن أكفل للجميع أكبر قدر ممكن من العدالة، وعملت أن أوفر لجميع المعتقلين كل ما يحتاجون إليه من كتب ونقود لاقتناء ما يحتاجون إليه من مأكلووسائل تساعدهم على الدراسة، واقترحت توحيد مبلغ الإعانة للجميع وجعله 5000 فرنك للجميع وبدلا من تسليم المبلغ مباشرة لكل معتقل فقد كلفت لجنة مماثلة لمجموع المعتقلين بالتكفل بالتوزيع العادل للمداخل العامة"⁴.

لجنة الصحة: "La Commission de D'Hygiène"

تهتم هذه اللجنة بالسهر على الحفاظ على الحالة الصحية اللائقة للفنادق التي يقيم بها المهاجرون الجزائريون، والتي يملكها في الغالب جزائريون أيضا كان معظمهم قد هاجر إلى فرنسا في سنوات سابقة ومكنتهم خبرتهم وتجاربهم الطويلة في المهجر من امتلاك رؤوس أموال مصغرة استثمروها في امتلاك بعض الفنادق والمطاعم والمقاهي، وقد مثلوا أثناء الثورة دعما لوجستيا لفدرالية الجبهة، ونظرا لرفض أصحاب الفنادق الفرنسيين إيواء العمال الجزائريين، فقد تحتم على أصحاب الفنادق الجزائريين إيواء إخوانهم وتعزيز

1 الشيخ سليمان، مرجع سابق، ص ص 266 . 267.

2Haroun, op, cit, pp59 – 60.

3Ibid, p 60.

4بوداود، مصدر سابق، ص ص 119 . 120.

التضامن فيما بينهم، وعلى هذا الأساس كانت هذه اللجنة تطالب أصحاب تلك الفنادق بالحرص على نظافة هذه الإقامة¹.

ظهرت سنة 1959 كرد فعل على النشاط المشبوه لمصالح الشرطة الفرنسية المعروف باسم المصالح الاجتماعية، والذي كانت مهامه الخفية مراقبة المهاجرين الجزائريين وكشف جوانب فيهم بطريقة سرية لا ينتبهون لها وذلك من خلال الاختباء وراء قناع تحسين أوضاعهم الاجتماعية، فأنشأت الفدرالية هذه اللجنة للتصدي لهذه المخططات الاستعمارية الخبيثة والوقوف لها بالمرصاد.

إلى جانب اهتمامها بمراقبة الحالة العامة لفنادق الجزائريين وتحسين المستوى الصحي والخدماتي للجالية الجزائرية، أوجدت أيضا لجنة للنظافة التي أصدرت عدة مناشير تنظيمية تنص على السهر بتحسين الظروف المعيشية للمهاجرين وحثهم على الاهتمام بحسن المأكل والملبس من خلال اختيار الأكل الصحي والهندام الأنيق، ولإعطاء صورة حسنة على أخلاقهم ووطنهم الأم تم تشجيعهم أيضا بضرورة الحرص الدائم على الاهتمام بنظافة أحيائهم وأماكن تواجدهم بالفنادق والمقاهي وغيرها².

لم يقتصر دور هذه اللجان عند هذا الحد بل تعداها إلى مراقبة مراكز إيواء الجزائريين من حيث عتاد النوم والأثاث، وتوفير الشروط الصحية الملائمة لهم، إضافة إلى التأكد من عدم تعرضهم لأي نوع من أنواع الظلم من خلال التأكد من أن الكراء المطلوب غير مجحف في حقهم وأن لائحة الطعام مطابقة للأسعار المطلوبة³.

كان لهذه اللجان فعالية كبيرة حيث استطاعت إزاحة "المصالح الاجتماعية" التي أنشأها "موريس بابون" بعد ثلاثة أشهر فقط من وجودها، واستطاعت البقاء بمفردها في الميدان لذلك قامت بتوسيع نشاطها لإجراء تحقيقات اجتماعية من أجل توفير مناصب شغل لبعض المهاجرين لاسيما القادمين الجدد من الجزائر لمساعدتهم على الاستقرار، وكذا للبطالين من كانوا يتحججون بالبطالة حتى يتملصون من دفع الاشتراكات المالية للفدرالية⁴.

وهذه كلها أدلة دامغة على نجاح "ف.ج.ت.و" عن طريق هذه اللجان وغيرها من معرفة الشؤون الاجتماعية لأفراد الجالية الجزائرية بأدق تفاصيلها واهتمامها الدائم بتحسين حياتهم وظروفهم المعيشية.

لجنة الإعلام والصحافة: "La commission Presse et Médias"

لطالما شكّل الإعلام سلاحا فتّكا في كسب المعارك والحروب من خلال إرهاب الخصم والتأثير عليه نفسيا، وإقناع الشعوب بمختلف التوجهات الإيديولوجية، وهذا ما انتبهت له "ف.ج.ت.و" فأنشأت أول لجنة للصحافة والإعلام سنة 1956 من أجل الاهتمام بالمجال الإعلامي وشؤون الصحافة، والرد على

1Benyounes, op, cit, pp51 - 52.

2Guentari, op, cit, p593.

3Haroun, op, cit, p59.

4 Haroun, op, cit, p59.

حملات التضليل والدعاية الكاذبة التي كانت تقوم بها الترسانة الإعلامية الفرنسية في حق الشعب الجزائري حتى تضلل الرأي العام.

على هذا الأساس اعتبرت الصحافة ضمن الاهتمامات الأولى للفدرالية لكي تعرّف بالقضية الجزائرية وعدالة نضالها وكفاحها التحرري، وباعتبار الطلبة أكثر الفئات إطلاعا على هذا المجال نظرا لمستواهم الثقافي الجيد واحتكاكهم المتواصل مع النخب من مختلف الجنسيات، لهذا كانوا الأكثر نشاطا في هذه اللجنة على غرار "محمد حربي" و"مبروك بلحسين" وغيرهم.¹

عقد أول اجتماع لهذه اللجنة في سبتمبر سنة 1956 واقترح "بلحسن" خلاله تكثيف نشاطها في إعلاميا من أجل توعية الرأي العام الفرنسي والعالمي داخل فرنسا وخارجها، بعدالة الثورة الجزائرية وأهدافها النبيلة، وكشف الإدعاءات الفرنسية وتفنيد أكاذيبها حول هذه الثورة ومفجريها، وكشف السياسات الاستعمارية والممارسات اللاإنسانية المنتهجة في حق الجزائريين في الجزائر والمهاجرين منهم في فرنسا، وباعتباره أحد أعضاء لجنة الصحافة كان "بولحروف" يعمل على توجيه اللجنة لما ستكتبه من مقالات وأخبار، ومراقبتها من حيث الجودة والمصداقية، ويوزع المهام الواجب القيام بها، كما كان يشدد هو و"الوانشي" على ضرورة الالتزام بالسرية التامة أثناء تأدية المهام لتجنب الوقوع في أعين السلطات الفرنسية وأجهزتها الأمنية التي ستفشل هذه المساعي الإعلامية للثورة.²

نجحت المجموعة الإعلامية للفدرالية في تحرير أول جريدة ناطقة باسم الثورة وهي "جريدة المقاومة الجزائرية" "Résistance algérienne"، وكانت موجهة للمهاجرين الجزائريين وللفرنسيين على حد سواء، وتهدف للتعبير بلغة سليمة عن أفكار سياسية مهيكلية ونشر برنامج "ج.ت.و"، وشرح الدوافع المؤدية للتمرد وخلق هذه الثورة وتنويره بحقيقة الأوضاع في الجزائر، لهذا كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية بشكل صحيفة في ثلاث طبعات مختلفة³، وكانت أخبارها معاكسة تماما لما ترّوج له وتنشره الجرائد الفرنسية، وهذا ما يدل على أن هدفها أيضا كان دعم ورفع معنويات مناضلي الجبهة.⁴

لقد نجحت هذه الجريدة بإدارة "صالح الوانشي" إضافة إلى جهود رجال الفدرالية الأوائل في تعميق الثورة داخل التراب الفرنسي وتوسيع قاعدتها الجماهيرية باستقطاب أعداد معتبرة من المهاجرين الجزائريين وزاد تغلغلها داخل أوساط الجالية الجزائرية بعد نجاح حملة الدعاية والإعلام التي أعطتها الفدرالية أهمية كبيرة، فكانت بمثابة النفس الجديد والدافع القوي لمسار الثورة التحريرية بعد أن عكست على صفحاتها تطورات الثورة بكل أبعادها في ظل اتساع نطاقها وتعدد جبهاتها داخليا وانتشار صداها خارجيا.

1Harbi, une vie debout..., op, cit, p190.

2Ibid ,PP192 – 193.

3عربي عبد الرحمن، عالم الاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص118.

4 دوم، مصدر سابق، ص 111.112.

ثم تشكلت لجنة مركزية للصحافة والإعلام شهر أوت سنة 1958 تحت مسؤولية "علي هارون" متعاونة مع لجنة الفدرالية ومرتبطة بها على الدوام، وتملك فروعاً تربطها بمختلف الولايات، كما ألحق بكل مسؤول ولاية مندوب للصحافة والإعلام تابع له عضواً تم تكليفه بطبع وتوزيع المنشائر والبيانات والمعلومات وجميع النصوص التي يتلقاها من اللجنة الفدرالية في مختلف القطاعات.¹

يتم نشر البيانات والمنشائر المطبوعة في اتجاهين، الأول باتجاه المنظمة التي تتكفل بإيصالها إلى جميع المستويات، والثاني في اتجاه الرأي العام الفرنسي بإرسالها إلى الجرائد والشخصيات والأحزاب السياسية والجمعيات والهيئات الإنسانية، وفي الاتجاه المعاكس عليه أن يطلع اللجنة المركزية عن الحالة الذهنية للمناضلين والفرنسيين بتقارير منتظمة.²

* إيقاف هجمات المصاليين ضد مناضلي "ج.ت.و" بفرنسا:

عمل مناضلو "ج.ت.و" على إقناع المهاجرين الجزائريين بفرنسا على أن الثورة التحريرية كانت خارجة عن الدائرة والزعامة المصالية، في الوقت الذي كان أغلب هؤلاء المهاجرين يعتقدون أن "مصالي" هو المسؤول عن العمليات المسلحة التي انطلقت في الفاتح من نوفمبر 1954، والتحق معظمهم سواء في فرنسا أو الدول المجاورة لها بـ"كبلجيكا وألمانيا الغربية وسويسرا بـ"ج.و.ج" MNA التي أنشأها "مصالي" في 05 ديسمبر 1954 كمنافس شرس لـ"ج.ت.و"، لافتكاك الشرعية في تمثيل النضال الوطني والشعب الجزائري على جميع الأصعدة بما فيها الهيئات العالمية، فقد كان لها السبق في الوصول إلى هيئة الأمم المتحدة قبل الجبهة في محاولة لكسب التأييد العالمي لها باعتبارها الممثل الحقيقي للجزائريين وثورتهم.

ظلت الحركة الوطنية لمصالي المسيطر الأكبر على الجالية الجزائرية والأكثر نشاطاً في الساحة السياسية كحزب منظم بدقة عالية بفرنسا³، بسبب قوة شخصية "مصالي" وتجربته السياسية الكبيرة وخبرته الطويلة بالمهجر⁴، واستمرت هذه السيطرة إلى غاية 1956 حين أخذت "ج.ت.و" تتكشف معالمها وتظهر قيادتها⁵، وتزيل اللبس عن جهل الجالية الجزائرية بحقيقة قيادة الجبهة للعمل الثوري وحقيقة ما كان يجري في الجزائر⁶، ولم تكتف الجبهة بإقناع الجالية فحسب بل عملت على إقناع المصاليين أنفسهم بأن جبهة التحرير هي من فجرت الثورة وهي من تقودها وهي المعبّر الوحيد عن طموحات الشعب الجزائري لذا ينبغي تنظيم الكفاح نفسه وسط المهاجرين الجزائريين بفرنسا.⁷

* نقل الثورة وعملياتها العسكرية إلى التراب الفرنسي:

1 بوداود، مصدر سابق، ص122.

2 Haroun, op, cit, p114.

3 Ibid, p 40.

4 Peggy Derder, l'immigration Algérienne et les pouvoirs publics dans le dpartement de la Seine 1954-1962, Harmattan, 2005, p58.

5 أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص156.

6 Yves Courrière, la guerre d'Algérie, Tom 5, SGED, Paris, 2001, p58.

7 Linda Amiri, la Bataille de France, la guerre d'Algérie en France, édition Chihab, Alger, 2005, p47.

هدفت "ج.ت.و" إلى تخفيف الضغط العسكري على الثورة بالجزائر من جهة، وجعل المجتمع الفرنسي يدرك بأن أمنه واستقراره مرهون بتوفر الأمن والاستقرار في الجزائر من جهة أخرى، فقد ازداد تأثر الرأي العام الفرنسي بالثورة الجزائرية أكثر بعد انتقال عمليات الثورة إلى التراب الفرنسي نفسه وأصبحت الثورة جزءاً من يوميات وواقع الشعب الفرنسي¹، حين أصبح الفرنسيون في حيرة كبرى يعدون موتاهم من جهة ويمثلون السجون بالمواطنين من جهة ثانية ويعبئون أنفسهم من جهة ثالثة²، لذلك قامت "ف.ج.ت.و" بداية من سنة 1956 بعرض الأسباب الحقيقية التي دفعت الجزائريين إلى الثورة أمام الرأي العام الفرنسي وذلك من أجل إثارة اهتمامه وتعريفه بحقيقة الأحداث في الجزائر وعدالة القضية الجزائرية لأن الثورة الجزائرية خلال 1954 . 1958 كانت تبدو في نظر قسم كبير من الشعب الفرنسي حرباً بين الأصدقاء الجزائريين، أي أن الرأي العام الفرنسي تعاطى مع الثورة الجزائرية في البداية بشكل محدود وغير واضح، لكنه أصبح أكثر وضوحاً بتطور الثورة أكثر وفرضها لنفسها على الساحة الفرنسية والعالمية. وهذا ما سنفصل فيه أكثر في المبحث الأخير من هذا الفصل.

* التعريف بحقيقة الثورة الجزائرية وكسب تأييد الرأي العام الفرنسي والعالمي:

أعتبر اندلاع الثورة الجزائرية حدثاً هاماً في التاريخ الفرنسي حيث اصطلاح عليه في الكثير من الأدبيات الفرنسية بـ *la toussaint rouge* فتصورها على أنها جرح جديد يفتح في جسد الأمة الفرنسية التي كانت بصدد تضميد جراحها الأخرى والتي تسببت فيها الظاهرة الاستعمارية خاصة قضية الهند الصينية، وقد سقطت أخبار اندلاعها كالصاعقة على الرأي العام الفرنسي لأنها زادت من المتاعب والأعباء التي كانت تعاني منها الدولة الفرنسية في عهد الجمهورية الرابعة والتي كانت تمر بمرحلة حرجة جداً تجلّت في انعدام استقرار الحكومات وسقوطها الواحدة تلو الأخرى لذلك اختلفت تفسيرات الفرنسيين لهذه الثورة. كان المعهد الفرنسي للرأي العام هو المعهد الوحيد آنذاك، لذلك فإن أغلب الأرقام والإحصاءات المقدّمة صادرة عن هذا المعهد، ومأخوذة من المجلة التي يصدرها وهي مجلة *sondage*، وكان الرأي العام الفرنسي على اطلاع أكثر بما يجري في الجزائر أكثر من اطلاعه على الأحداث في الهند الصينية، وذلك عائد إلى خصوصية الجزائر باعتبارها جزءاً من فرنسا، فبعد مرور عام من اندلاع الثورة وبالتحديد في ديسمبر 1955 عبّر حوالي 20% من الفرنسيين أن ما يجري في الجزائر هو أهم مشكلة تعاني منها الحكومة الفرنسية³.

1 سعدى بزيان، "صفحات عن دور العمال الجزائريين في الهجرة في ثورة نوفمبر 1954"، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، العدد 3، ص 176.

2 أزغدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 . 1962، د ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 78.

3 Duquesne Jacques, pour comprendre la guerre d'Algérie, édition perri, 2001 et 2003, pp185 -186.

* إيجاد مصادر دخل جديدة لتمويل للثورة من خلال تنظيم اشتراكات المهاجرين:

مثّلت تلك الاشتراكات الحبل السري للثورة التحريرية والمركز العصبي لكفاح الجزائريين، والمصدر المالي الأساسي الداعم للعمل الثوري، ويتّضح ذلك من خلال التقرير الذي أرسله وزير المالية للحكومة الجزائرية المؤقتة السيد "أحمد فرانسيس" إلى المجلس الوطني للثورة أشار فيه أن الثورة التحريرية قائمة على المساهمات المالية للمهاجرين الجزائريين بفرنسا والتي كانت تمثّل 80% من المصادر المالية للحكومة المؤقتة¹، وقد ارتفعت هذه المساهمات المالية للمهاجرين الجزائريين وتطورت بتطور الثورة التحريرية حيث كانت تحصل الفدرالية على زكاة الفطر التي كانت آنذاك تقدر بـ 200 فرنك فرنسي قديم، ثم ارتفعت في أوت من سنة 1957 لتصل إلى 1500 فرنك، لترتفع أكثر سنة 1961 وتصبح 300 فرنك بالنسبة للعمال الأجراء²، أما التجار ومن كانت لهم مداخيل أكبر كأصحاب المقاهي والفنادق والمطاعم فكانت حسب أهمية هذه المحلات حيث يدفعون 5000 فرنك كمبلغ قاعدي وترتفع حصة الاشتراك حسب رأسمال كل تاجر.³

نجحت "ج.ت.و" في كسب رهان التحكّم في الجالية الجزائرية والاستفادة من إمكانياتها في خدمة القضية الجزائرية، فقد أصبحت الفدرالية تتحكم في نسبة 90% من مجموع المهاجرين الجزائريين⁴، وقد رخصت الحكومة المؤقتة في سنة 1960 للاتحادية بتحويل مبالغ مالية إلى بعض الولايات⁵، وهكذا صارت ما تجمعها فدرالية الجبهة من اشتراكات وهبات وغيرها يشكل مصدرا هاما في تمويل الحكومة المؤقتة مما زاد في فعالية العمليات السياسية والعسكرية التي كانت تديرها.⁶

أشار كل من "هيرفي هامون" و"باتريك روتمان" في كتابهما "حملة الحقائق" إلى تطور اشتراكات العمال الجزائريين وتطورها مع تطور الأحداث الثورية، وأكدّا أن قيمة هذه الاشتراكات الشهرية للعمال الجزائريين التي كانوا يدفعونها بانتظام لاتحادية ج.ت.و بفرنسا قد قُدرت شهريا بـ 500 مليون فرنك فرنسي قديم⁷، وقد تطورت بعدما كانت في بدايتها (1954.1955) قليلة جدا بسبب نقص عدد المنخرطين في الجبهة وانقسامهم بين جبهة التحرير FLN والحركة الوطنية MNA، ومع فقدان هذه الأخيرة لوجودها

1Haroun, op, cit, p 305.

2 بزيان، دور الطبقة العاملة ...، ص 63.

3Haroun, op, cit, p 306.

4 خليفة الجيندي، حوار حول الثورة، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص 192.

5 بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر : معالمها الأساسية)، دار نعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 324.

6 ليندة عميري، مرجع سابق، ص 99.

7هيرفي هامون وباتريك روتمان، حملة الحقائق، المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر، تر: عبد الرحمن كابوية ومحمد سالم، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص 109.

ومناضليها ونجاح الجبهة في حسم المعركة لصالحها تطور الدعم المالي للمهاجرين ما بين 1956 و1957 وبلغ ذروته سنة 1958 واستمر إلى غاية تحقيق الاستقلال سنة 1962.

* زيادة قوة "ج.ت.و" كممثل وحيد في قضية التفاوض مع الطرف الفرنسي:

عمدت "ج.ت.و" تحريك كل القوى التي كانت تحتاجها في الكفاح وتكليف القائمين على شؤون الفيدرالية بتنوير الرأي العام الفرنسي والعالمي بحقيقة الوضع في الجزائر وتنفيذ كل الإدعاءات والأكاذيب التي كانت تروج لها وسائل الإعلام الفرنسية، من أجل تأكيد التفاف الشعب الجزائري بجميع أطيافه مع جبهة التحرير من جهة، وتدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية على أوسع نطاق باستمالة حكومات الدول الصديقة والشعوب الشقيقة من جهة أخرى، مع التركيز على الاتصالات السياسية مع المنظمات والحركات واللجان المناهضة للحرب في الجزائر والسياسة الاستعمارية التعسفية بهدف الوصول إلى التعبئة الجماهيرية والضغط على حكوماتهم للإسراع في تسوية القضية الجزائرية.

طبقا لميثاق الصومام قرّرت "ج.ت.و" تعزيز تواجدها بالتراب الفرنسي والقضاء على كل منافسيها خصوصا "ح.و.ج"، وفتح جبهة ثانية مع أعضاء الفدرالية الجدد بعد أن تمّ تزويدها بوثيقة عمل بفرنسا، وقد باشرت القيادة الجديدة مهامها في شهر ديسمبر 1956 في الوقت الذي كان تأثير الحركة المصالية يتعاظم خاصة في المناطق الفرنسية الشمالية بفضل جناحها العسكري المتمثل في قوات الصاعقة، لهذا فقد أدانت الجبهة المصالية كتيار سياسي تزداد عدائته لجبهة وجيش التحرير الوطنيين ومتواطئ مع أوساط مقربة من الحكومة الفرنسية ويشكل تهديد كبير للعمل الثوري سواء في فرنسا أو في الجزائر.¹

المبحث الثالث: نجاح الفدرالية في تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي والمواقف المتباينة منه

المطلب الأول: تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي

أخلط اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 حسابات السلطات الفرنسية، حيث لم تعد هذه الأخيرة قادة على استيعاب ما يحدث فأرادت إقناع نفسها أن ما عرفته الجزائر ليس إلا مجرد أحداث من قبل متمردين وخارجين عن القانون مهمتهم التخريب وإثارة الفوضى، كما عمدت في هذا السياق إلى تضليل الرأي العام على المستوى الوطني، الفرنسي وحتى الدولي مؤكدة أن ما حدث في نوفمبر هو مجرد حوادث معزولة من تنفيذ جهات أجنبية خصوصا المصرية والتونسية، وقد ذكر الحاكم العام الفرنسي في الجزائر في هذا الصدد: "إن ما حدث لا يعدو أن يكون عملا تخريبيا قامت به عصابات إجرامية".²

أصدرت في ذات السياق الولاية العامة بالجزائر في صبيحة الفاتح من نوفمبر 1954 بلاغا لها ورد فيه: "... حدث أثناء الليل بمنطقة الأوراس، عدة عمليات بلغ عددها ثلاثون عملية قامت بها فرق صغيرة من

1 Benyoucef Benkhedda, Abane-Ben M'hidi leur apport à la révolution algérienne, édition Dahleb, Alger, 2000, p155.

2 مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخليا وخارجيا (بعض مآثر الفاتح من نوفمبر)، ط1، دار الطباعة للنشر، الجزائر، 1984، ص96.

الإرهابيين، وقد نجم عنها مقتل ضابط وجنديين من الحرس الليلي بمنطقة القبائل، وكذلك إطلاق الرصاص على الدرك وألقيت بعض القنابل المحرقة المصنوعة محليا...¹، ثم توالى التصريحات والحملة الدعائية للمسؤولين الفرنسيين مؤكدة فكرة واحدة هي أن الجزائر ستظل مقاطعة فرنسية²، وكان المجلس الوطني الفرنسي قد صرح أيضا أن: "...الجزائر هي فرنسا وأن الأراضي التي تمتد من حدود فرنسا الشمالية إلى إقليم الكونغو جنوب خط الاستواء، تخضع كلها لقانون واحد وتشكل أمة واحدة، ذلك هو دستورنا وتلك هي إرادتنا..."³، ولم يكتفي بالتصريح فحسب بل أقر ضرورة حسم الموقف والقضاء النهائي على الثورة من خلال تكثيف الحرب على الجزائر بقوله: "...إن الجزائر فرنسية وستبقى فرنسية وأنه لا جواب لنا على هذه الثورة إلا الحرب حتى النهاية..."⁴

تكشف هذه التصريحات أن فرنسا لم تكن يوما تتصور أن شرارة هذه الثورة التي لم تصدق بأنها كفاح من أجل الاستقلال ستصل إلى عقر دارها وتنتقل من الجزائر لتشمل أراضيها، رغم كل الوسائل القمعية التي حشدتها للقضاء عليها، وقد تأكدت في أوت 1958 من جدية "ج.ت.و" في ضرب المصالح الفرنسية داخل ترابها وليس في الجزائر فحسب، من خلال استهداف مؤسساتها الاقتصادية الحساسة، إضافة إلى الرغبة في إضعاف قدرتها العسكرية ودفعها إلى تغيير قناعاتها بأن الجزائر هي ليست أرضا فرنسية ولن تكون يوما كذلك، فكانت هذه العمليات ميلادا لملحمة نضالية لكفاح الجالية الجزائرية في فرنسا.

أولا: أسباب وأهداف فدرالية الجبهة من هذه العمليات:

بدأت بوادر نقل العمل المسلح إلى الأراضي الفرنسية منذ بداية تواجد المنظمة الخاصة التي تُعد الجناح العسكري لفدرالية الجبهة بفرنسا سنة 1956، وبعد سنتين وفي عام 1958 قام "عبان رمضان" بإرسال "عمر بوداود" إلى التراب الفرنسي وأمره بفتح جبهة ثانية هناك، وقد شرع منذ وصوله إلى تحقيق هذا الغرض في جويلية سنة 1958⁵، حيث بدأت اللجنة الفدرالية باستدعاء رؤساء الولايات ومسؤولي المصالح الكبرى في الفدرالية⁶، على غرار علي هارون المكلف بالإعلام والدفاع عن المساجين الجزائريين بفرنسا، وعبد الكريم سويسسي المكلف بالمالية... الخ⁷، من أجل عقد اجتماع يهدف إلى فتح جبهة ثانية وتوزيع

1 محمد لحسن الزغدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائري 1956 . 1962، دار هومة، الجزائر، 2005، ص78.

2 حربي، جبهة التحرير الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص24.

3 بسم العسلي، جيش التحرير الوطني، دار النفائس، بيروت، 2010، ص16.

4 أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2001، ص195.

5Ali Haroun, op,cit, p89.

6عمر بوداود، مصدر سابق، ص167.

7Ali Haroun, op,cit, p88.

المهام، وعرض كل واحد ما بحوزته من إمكانيات بشرية ومادية¹، وقد هدفت فدرالية الجبهة من هذه الإستراتيجية إلى تحقيق عدة أهداف تمحور أهمها على ما يلي:

*** تأكيد السيطرة على الجالية الجزائرية:**

بعد نجاح "ف.ج.ت.و" بفرنسا في إبعاد منافسيها، خصوصا المصاليين والأحزاب اليسارية التي آثرت الولاء الوطني للحكومة الفرنسية على الالتزام بمبادئها وإيديولوجيتها خصوصا الشيوعية والاشتراكية، أثبتت جبهة التحرير بما يدع مجالا للشك من تمكنها في السيطرة على أفراد الجالية الجزائرية بالمهجر، بدليل استطاعتها تنظيم وتعبئة أزيد من 350 ألف مهاجر جزائري مقيم في فرنسا حيث أصبحوا مؤمنين بتعاليمها ومطيعين لأوامرها ومنفذين لقراراتها أيا كان نوعها ومهما كانت صعوبة المهام الموكلة لهم، كما أنهم كانوا مستعدون دائما لتقديم أغلى ما يملكون لإنجاحها ومساعدتها على تحقيق الاستقلال واسترجاع الحرية المسلوبة.

*** ترسيخ الثورة التحريرية في فرنسا وتعميمها في الخارج:**

حتى لا تبقى الثورة التحريرية حبيسة الأراضي الجزائرية ومن أجل تنفيذ كل الادعاءات الفرنسية بأنها مجرد عمليات إرهابية تشرف عليها مجموعة من المتمردين والخارجين عن القانون يتقون دعما خارجيا، سعت "ف.ج.ت.و" كخطوة حاسمة لتعميم الثورة الجزائرية في الخارج، وفك الخناق الذي كان يشدد عليها في الداخل بمرور السنوات، حيث كانت الجزائر تعيش حصارا عسكريا خانقا، وحدودها البرية محكمة الإغلاق لاسيما بعد إنشاء خطي شال وموريس على حدودها الشرقية مع تونس والغربية مع المغرب الأقصى ما أثر سلبا على قدرات الثورة محليا، وقد زادت صعوبة هذا الحصار بعد اعتقال الجنرال ديغول للحكم وتطبيقه لسياسة الأرض المحروقة وتدعيمه للقوات الفرنسية بـ 200 ألف جندي احتياطي إضافي.

جاء في هذا السياق في إحدى رسائل "عبان رمضان" تأكيده على ضرورة توسيع العمليات لتشمل كل الأراضي الفرنسية لفك الخناق على الجبهة الداخلية في الجزائر، وتشثيت القوات الفرنسية من خلال إرغامها على نقل أجزاء منها لمواجهة الخطر الثوري في الداخل الفرنسي، والتقليل من إرسال الحكومة للمزيد من الجنود إلى الجزائر، ومن ثم تخفيف الحصار على جيش التحرير الوطني والقمع المسلط عليه.² كما ذكر "مزيان شريف" وهو أحد أهم مناضلي فدرالية الجبهة بفرنسا والمشاركين في هذه العمليات، قوله: "يجب التذكير وباختصار شديد بأن عملنا المسلح في فرنسا جاء في الوقت المناسب بغرض التخفيف عن وحدات جيش التحرير الوطني التي كانت تعاني ضغطا كبيرا في أرض الوطن، بسبب عمليات شال التي أرادها وقررها الجنرال ديغول منذ وصوله إلى السلطة، وخلافا لمحاولات البعض لإقناع شبابنا بأن ديغول لم يمنح الاستقلال للجزائر، بل على العكس من ذلك، حاول بكل الوسائل إضعاف

1 سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة ...، مرجع سابق، ص 36.

2 إبراهيمي، مذكرات، مصدر سابق، ص 128.

وإخماد مقاومة الشعب الجزائري... إن الذين خاضوا المعركة على التراب الفرنسي قد ساهموا من الناحية الإستراتيجية في فك الخناق المفروض عليهم من قبل قيادة الأركان الفرنسية في الداخل وعلى الحدود... ومن هنا فأنا أبرز هنا الارتباط الوثيق بين الأحداث التي كانت تدور في الجزائر وتلك التي كنا مُكلّفين بإحداثها في فرنسا".¹

*** كسب المزيد من التعاطف الفرنسي والدولي اتجاه القضية الجزائرية:**

في إطار سعي الجبهة إلى تدويل القضية الجزائرية وتوسيع نطاق المتعاطفين معها من الدول والحكومات والأصدقاء ومن النخب المثقفة ومختلف الطبقات، كان العمل على التأثير على الرأي العام الفرنسي والعالمي، من خلال إثبات عدالة القضية الجزائرية وشرعية الكفاح الوطني الذي يخوضه الجزائريون منذ عقود طويلة، والذي لم يصل بعد إلى العالمية نظرا للتعتيم الإعلامي الكبير الذي تقوم به السلطات الفرنسية في عدم نقلها للأحداث بشفافية وتغطيتها المستمرة على مختلف تجاوزاتها وإجراءاتها العقابية، ومن هذا المنطلق رأت فدرالية الجبهة أن نقل عملياتها الثورية إلى العمق الفرنسي سيساعدها على إطلاع الرأي العام خاصة العالمي على حقيقة الأوضاع، وإقناع الشعب الفرنسي بأن أمنه صار مرهونا بأمن الشعب الجزائري.

أكد "بوداود" هذا المسعى والهدف بقوله: "كان الهدف من العمليات المبرمجة في أوت 1958 هو تحقيق عدة غايات كان أولها أن يعي الفرنسيون خطورة ما كان يدعى عندهم بـ"أحداث الجزائر" والتي تصفها الصحافة والأجهزة الرسمية بـ "عمليات شرطة" تهدف إلى إحلال الأمن العمومي، في حين تعلق الأمر بحرية حاولت السلطات التستر عنها، كان القصد من إصابة أهداف محددة بدقة هو تحريك الرأي العام الفرنسي عموما، من أجل الوصول به إلى التأثير على حكومته بهدف حملها على تبني حل مشرف لصراع طال أمده.."²

*** إرغام الاستعمار الفرنسي على مراجعة سياساته التعسفية:**

هدفت الجبهة أيضا من نقل عملياتها إلى فرنسا إلى خلق جو من الرعب والاضطراب في المدن الفرنسية وترويع الشعب الفرنسي لإرغامه على الشعور بما يشعر به الشعب الجزائري، وإقناعه بعدم تصديق أكاذيب حكومته بشأن تعاملها الجدي مع المسألة الجزائرية، ومن ثمة تحويله إلى أداة فاعلة في يد الجبهة بواسطة ضغطه على هذه الحكومة للتعجيل بإيجاد حل عادل لكفاح الجزائريين، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال القيام بعمليات تخريبية ضد المصالح والمنشآت الاقتصادية في كبرى المدن الفرنسية وخاصة العاصمة باريس، حتى تحدث صدى عالمي أكبر وتأثير استراتيجي أعمق على طريقة تعامل الاحتلال الفرنسي

1Abderrahmanne Maziane Cherif, op, cit, pp 07 - 08.

2 بوداود، مصدر سابق، ص 166.

بالجزائر مستقبلا، وتجبره على إعادة حساباته ومراجعة سياساته الهمجية، لذا كانت الثورة مضطّرة لنقل نار الحرب إلى قلب فرنسا كآخر حل لها.

تعاضمت الأكاذيب الفرنسية بشأن نجاحات جيشها في الجزائر في القضاء على المتمردين الجوعى الذين رفضوا ونبذوا المهمة الحضارية لفرنسا، خاصة من طرف الصحف التي كانت تعتمد الدعاية والمبالغة في مقالاتها لاستهداف معنويات الشعب الفرنسي، فكانت حتمية الرد على تلك المزاعم وتفنيدها وكشف الحقيقة للفرنسيين أكثر من ضرورة حتى يكون الرد فعّالا، ويذكر "مزيان الشريف" في ذات السياق قوله: "بدا لي منطقيا أن ينقل جيش التحرير الوطني الحرب إلى إقليم العدو للتخفيف عن قواتنا بالداخل وليظهر للشعب الفرنسي أن نشرات الأخبار التي تدعي الانتصار بصخب طوال اليوم من طرف العساكر ورجال السياسة المكلفين بحل المشكل الجزائري إنما هي مجرد أكاذيب، فكان علينا أن نبين أنه مشكل فرنسي لا جزائري لأننا لم نحمل فرنسا وإنما هذه الأخيرة هي التي قامت باحتلال وطننا".¹

* تأكيد وحدة الثورة مع الشعب الجزائري في الداخل والخارج:

لطالما أكدت الثورة في جميع تصريحات وبيانات جيش وجبهة التحرير الوطنيين بأنها تعبّر عن إرادة شعب بأكمله رافض لاستمرار الغطرسة الاستعمارية، ومن ثمة فهي من صلب هذا الشعب الحر، ولا يمكن لأية جهة مهما كانت قوتها وأساليبها المُتبعة النجاح في فصله وإبعاده عنها أو حتى تشكيكه فيها، وقد كانت هذه الخطوة أول إستراتيجية اعتمدها الثوار لاستمرار العمل الثوري وضمان نجاحه، بواسطة التعبئة الشعبية وتوعية جميع الفئات الاجتماعية في الجزائر بضرورة الالتفاف حول الثورة والثبات على ذلك حتى تحقيق النصر، وفي هذا الإطار كان جيش التحرير الوطني يلتزم القيام بعمليات إعادة الاعتبار لنفسية الشعب كلما قامت القوات الفرنسية بارتكاب مخالفات وجرائم في حقه.

شملت هذه الإستراتيجية حتى المهاجرين بفرنسا لكسب ولائهم للجبهة من خلال الرد على المتسببين في معاناتهم من حركى ومصاليين وقوات فرنسية، وكانت عمليات أوت 1958 تندرج في هذا الإطار، وهو ما يمكن استنتاجه من رد رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة "فرحات عباس" عندما أجاب صحفي لجريدة "ناغ" الألمانية بشأن جدوى هذه العمليات حينما قال: "... يجب توجيه الضربات بصفة مركزة وحصرية إلى الأهداف العسكرية والاقتصادية الفرنسية فقط، ماذا تريد منا أن نفعل في حالة كهذه؟، علينا أن نردّ بقوة لأن الحرب تزداد وتشتد مرارة والقمع الفرنسي يتواصل ويزداد على أهلنا".²

* توجيه ضربة موجعة للاقتصاد الفرنسي:

1Meziane Cherif, op.cit, p 114.

2 مزيان، دور الطبقة المهاجرة...، مرجع سابق، ص 39. 40.

لم يستسلم الجزائريون أمام تفوق القوة الحربية الفرنسية والدعم الأمريكي والغربي المتواصل لها، ما عمّق من اختلال موازين القوة بين الطرفين، بل سعوا إلى إيجاد حلول تمكّنهم من مجابهة هذه القوة بدءاً من اعتماد أسلوب حرب العصابات القائم على الكرّ والفرّ وتجنّب أسلوب المواجهة المباشرة، ثم نقل هذا الأسلوب إلى الداخل الفرنسي في سابقة صنعت علامة فارقة وتميزاً استثنائياً للثورة التحريرية الجزائرية كونها الكفاح الوحيد في العالم من استطاع نقل شرارته إلى عقر دار العدو وتجاوز حدوده الوطنية، فقد قام مناضلي المنظمة الخاصة يوم 25 أوت سنة 1958، بعمليات بطولية من خلال نجاحهم في استهداف قطاعات إستراتيجية وحيوية شكّلت ضربة مؤلمة وقاسية لبنية الاقتصاد الفرنسي.

كانت الجبهة تعرف جيّداً أن ضرب القدرات الاقتصادية للاستعمار الفرنسية خاصة محطات تكرير البترول وتوزيع الغاز سيكبّد فرنسا خسائر اقتصادية فادحة ويعمّق مأساتها المالية التي بدأت تعاني منها بشكل أكبر مع تطور مجريات الحرب سنة بعد أخرى¹، وهذا ما أكدته في بيانها الذي تمت إذاعته في القاهرة بقولها: "إن الضربات والهجمات الفدائية التي قام بها المناضلون الجزائريون على الأهداف الفرنسية ضد مصافي البترول وغيرها من المنشآت تمثل أولوية الأهداف التي وضعت في مخطط نقل الثورة إلى التراب الفرنسي، كما أن جبهة التحرير قد أعطت تعليمات للفدائيين بفرنسا للعمل بتوجيه ضربات موجعة لاقتصاد العدو".²

* إثبات قدرات "ج.ت.و" في كونها ندّاً لا يستهان به:

لإرغام الحكومة الفرنسية على التفاوض مع "ج.ت.و" والاعتراف بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وأنها رقما أساسيا في معادلة الصراع مع السلطات الفرنسية، لجأت فدرالية الجبهة بفرنسا إلى شن هجوم عسكري على التراب الفرنسي لإجبار الحكومة الفرنسية على الاعتراف بالأمة الجزائرية أمة مستقلة، فكانت عمليات أوت 1958 بمثابة تدشين وفتح فصل جديد من كفاح الشعب الجزائري على أرض العدو من خلال استهداف الإمكانات الاقتصادية والقوات القمعية للنظام الاستعماري.

وَزَعَت "ج.ت.و" منشورا مساء يوم 25 أوت 1958 ورد فيه: "إن العمل الذي قمنا به ليلة 25 أوت على التراب الفرنسي لم يكن أبدا تعبيرا عن فشل أو عمل إرهابي أعزل، ولم يكن عملا يدل على الخوف أو اليأس بل بالعكس تماما فقد كان دليلا قاطعا على عظمة وقوة فدرالية الجبهة بفرنسا التي أثبتت أن لها القدرة الكاملة على وضع كافة التراب الفرنسي ومراكزه الحيوية تحت طائلة الخطر في أي وقت".³ كما ذكر "مزيان شريف" أيضا مؤكدا قوة الجبهة: "إن هجوم الجبهة بفرنسا كان شاملا، فقد قام مقاتلون شجعان ورغم بساطة وسائلهم التي كانت جد متواضعة بشن عدة هجمات متفرقة عبر كامل التراب

1 بوداود، مصدر سابق، ص ص 165 . 166.

2 Raymond Muelle, 7 Ans de guerre en France, quand le FLN frappait en métropole, Edition Patrimoine – France, 2001, p 125.

3 بزيان، دور الطبقة المهاجرة...، مرجع سابق، ص ص 41 . 42.

الفرنسي ضد واحد من أقوى الجيوش في حلف الشمال الأطلسي، وكان هؤلاء الأبطال عندما يرون أن نسبة نجاتهم ضئيلة أو شبه منعدمة يضحون بحياتهم ويسقطون في ميدان الشرف كمحاربين وأسلحتهم بأيديهم، على الاستسلام وعدم إكمال مهامهم وتحقيق أهدافهم".¹

ثانيا: النقاط المستهدفة من العمليات التخريبية والهجومية

نظرا لمعرفة جل مناضلي فدرالية الجبهة للوسط الفرنسي من حيث أهم المواقع الإستراتيجية والطرق الخفية والمختصرة التي تمكن منفذي العمليات من تنفيذها والنجاح في الفرار من قبضة الأسلاك الأمنية من جهة، ومعرفة أهم المراكز الحيوية والمنشآت الحساسة التي يمكن أن تعمق الأزمة الاقتصادية في فرنسا من جهة ثانية، إضافة إلى التركيز على شخصيات فرنسية سياسية وعسكرية مهمة ستكون تصفيتهم مكسبا للثورة التحريرية وفشلا وضغطا على الحكومة الفرنسية من جهة ثالثة، ومن هذه المنطلقات كان تحديد الفدرالية لأهدافها دقيقا جدا وتركيزها على غاياتها كبيرا وسديدا.

ذكر "آيت مختار" وهو أحد المشاركين في اجتماع تحديد الأهداف ومنفذي العمليات قوله: قبل أيام قليلة من شن العمليات المسلحة على كامل التراب الفرنسي أعطيت لنا تعليمات وتوجيهات صارمة جدا فيما يتعلق بالأهداف المستهدفة وبمهمة كل واحد منا، أما التخريب فقد شمل أهدافا عسكرية متمحورة حول، مصانع الأسلحة ومخازن الذخيرة وغيرها، الملاحة بنوعها الجوية من مطارات وحظائر لطائرات حربية وغيرها، والبحرية من سفن حربية، الدبابات والمركبات العسكرية وسيارات وشاحنات جهاز القمع.

أما النقاط الحساسة من وسائل الاتصالات البرية ووسائل الاتصالات للسكك الحديدية فقد شملت بدورها: شبكة السكك الحديدية والصفائح الدوارة وغيرها، جسور وإشارات المرور، وسائل نقل الجيوش إلى الجزائر، على غرار الشاحنات والمقطورات والبواخر وغيرها، في حين شملت الأهداف الاقتصادية كل من البترول والغاز، ومحطات توليد الكهرباء، وكذا مراكز الاتصالات الهاتفية، إضافة إلى أهداف أخرى احتياطية غير مكشوفة مثل منشآت الملاحة الجوية والبحرية، المصانع والأفران العائلية، منشآت لصناعة السيارات ومصانع عسكرية مثل "مصانع داسو".²

إلى جانب هذه الأهداف العسكرية والاقتصادية الحساسة تقرر أيضا تنفيذ سلسلة من الهجمات على شخصيات معينة بشكل دقيق من أجل التخلص من سياساتها القمعية التي ارتكبتها في حق الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا وأصبحت بذلك مصدر رعب حقيقي لهم وعائق كبير يعرقل انتصارات الثورة التحريرية على مستويات عدة.

مثل الجيش الفرنسي بجميع عناصره ورتبه أول المستهدفين سواء قادة الجيش كالعقيد "بيجو" "Peugeot" والجنرال "ماسو" "Massu"، أو الضباط والمضليون، أو كبار ضباط الشرطة خاصة

1Abderrahmanne Maziane Cherif, op.cit, p 09.

2 جريال، مرجع سابق، ص 231.

المسؤولين على جهاز القمع كمفتشو الاستعلامات العامة، مسؤولو مديرية مراقبة الإقليم مثل "موريس بابون"، إضافة إلى شخصيات سياسية معروفة على غرار "سوستيل"، "بورجو"، "دوسارينبي"، وكذا النواب وأعضاء مجلس الشيوخ المعروفين بأنهم أعضاء في القوة الثالثة أمثال "علي شكال"، "عبد السلام روبيير"، "عبد القادر بركروك"، "باشاغا بوعلام"، أحمد جبور"، والسيدة "قبطاني"، والآنسة "قارة"¹، وكثيرون غيرهم ممن باعوا ضمائرهم وأعلنوا ولائهم للسلطات الفرنسية وعدائهم للقضية الجزائرية وشكلوا طبقة عميلة للاستعمار والظلم وخائنة للمبادئ والوطن.

ثالثا: التحضير لعمليات فتح جبهة ثانية بفرنسا ووقائعها

شهدت الفترة الممتدة ما بين بداية سنة 1957 ومنتصف سنة 1958 تحولا نوعيا في نشاطات المنظمة الخاصة لفدرالية جبهة التحرير بفرنسا من خلال تنفيذها لعدة عمليات استهدفت من خلالها شخصيات ومواقع فرنسية مدنية وعسكرية على غرار "روبار لاكوست" الذي نجا من ثلاث محاولات كاملة للاغتيال، وكذا "جاك سوستال" "Jacques Soustelle" الذي تعرض هو الآخر إلى عدة محاولات اغتيال كان آخرها عندما كان وزيرا للإعلام في سبتمبر 1958²، ولم تستثن أيضا الشخصيات الجزائرية من الحركي والعملاء المؤيدين لسياسة الاحتلال والمعرقين بتواطئهم أعمال الفدرالية في مختلف المناطق الفرنسية على غرار "علي شكال" الذي نجحت عملية اغتياله يوم 26 ماي سنة 1957، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق.

حاول "بوداود" منذ تعيينه على رأس الفدرالية التماسي مع المستجندات الطارئة على هيكل الفدرالية بعد وقوع العشرات من كوادرها في قبضة الأجهزة الأمنية الفرنسية، إضافة إلى عدم جاهزية المنظمة الخاصة للقيام بكامل دورها بنجاح، وقد تأكد من ضعف الاستعداد بعد فشل المنظمة في تنفيذ عمليات اغتيال لشخصيات سياسية فرنسية مثل "جاك ماسو" "Jacques Massu" الذي حُطّط لاغتياله من طرف قائد المنظمة "سعيد بوعزيز" لكنه فشل في ذلك.³

حمل إذن "بوداود" مهمة إعادة تنظيم المنظمة الخاصة بمساعدة مناضلين آخرين لهم من الخبرة والتجارب ما يمكنهم من جعلها أكثر تنظيما وفعالية، فعمدوا إلى فصلها كجهاز عسكري عن المنظمة السياسية للفدرالية لتصبح "هيكلًا مستقلا يمكنه القيام بعمليات منسقة وضخمة"⁴، وإقامة شبكة استعلامات كبيرة تكون قادرة على جمع ما يكفي من المعلومات الضرورية لاستهداف الأماكن والشخصيات

1 نفسه، ص ص 231 . 232.

2Djarbel, op.cit, pp 250-258.

3Boudaoud, op.cit, p111.

4جربال، مرجع سابق، ص 80.

الاستعمارية بدقة كبيرة واحترافية عالية، وفي هذا السياق تم إنشاء شبكتي "أبولكر" (عبد الرحمن فارس)، و"صادق" (دالي حسين).¹

يذكر المؤرخ الفرنسي "إنودي" "Einaudi" أن الاستقرار الأمني الذي كانت تعيشه فرنسا سرعان ما ينتهي منذ صيف 1957، وسيتأثر رغما عنه بالحرب الملتهبة في الجزائر²، حيث كانت لجنة التنسيق والتنفيذ قد أوكلت "بوداود" مهمة فتح جبهة حربية ثانية للثورة بالأراضي الفرنسية رغم أن هذا الأمر لم يكن محل إجماع داخل الفدرالية على غرار "حربي" الذي رفض هذا القرار واعتبره سببا لنسف كل محاولات الحوار والتفاوض مع الحكومة الفرنسية إلى درجة تقديمه الاستقالة في نهاية الاجتماع³، هذا الأخير الذي كان طارئا وسريا عُقد في فندق فولكن بمدينة "كولونيا" الألمانية يوم 25 جويلية 1958 بحضور جميع قادة الولايات الأربع للجبهة لمناقشة الفصل النهائي في تاريخ انطلاق نقل العمليات العسكرية إلى فرنسا، والتي أكد أغلب الحاضرين أن الوقت صار مناسباً للتنفيذ لأن الأهداف أصبحت واضحة ودقيقة.⁴

جاء في جدول أعمال الاجتماع ضرورة توطيد العلاقة مع النخبة المثقفة من الفرنسيين المعادين للاستعمار، والعمل على كسب ولائها حينما تعلن الحرب على وطنها الأم⁵، وفي هذا السياق قام . بوداود . بالاتصال بجونسون، وأعلمه عن مشروع نقل الحرب إلى فرنسا، فذهل جونسون بهذا القرار وردّ قائلا : "أنني أخالفك تماما، وأنكم ستضيقون الأمل في العلاقات المستقبلية بين الشعبين الجزائري والفرنسي، كما ستهدمون كل ما بنيناه، وإذا حصل هذا فلا تعتمدوا عليّ منذ اليوم، وإنني سوف أوقف نشاط الشبكة"، فأجابه "بوداود" إنه سوف ينقل اعتراضه للمسؤولين، وبعد يومين من اللقاء رد عليه، أنهم موافقون على انتقاداته وسيعطي أوامر مشددة إلى المناضلين بتجنب ضرب المدنيين.⁶

من بين الإجراءات التي قاموا بها أيضا في الاجتماع إلى جانب التقسيم الجغرافي لفرنسا إلى ست ولايات، وإضافتها كولاية سابعة، ثم تحديد اليوم المناسب والوقت المثالي للشروع في عملية التنفيذ، وتم الاتفاق على أن يكون يوم 25 أوت 1958 البداية لفتح هذه الجبهة⁷، بهدف إرباك العدو وتشتيت قواته وإجباره على الاعتراف بقوة هذه الثورة، وفعلا فقد سُميت تلك العمليات بعملية العواصف أو الزوابع⁸، وفي ليلة 25 أوت عُيِّنت المجموعات التي ستقوم بتنفيذ العمليات وكل مجموعة تتألف من ثلاثة أفراد وحدد لكل مجموعة هدف معين.⁹

1Boudaoud, op.cit, p112.

2 Einaudi, op.cit, p19.

3Djarbel, op.cit, pp 222-223.

4Gilbert, op.cit, p532.

5Harbi, une vie debout..., op.cit, p208.

6هيري في هامون، باتريك روتمان، حملة الحقائق، مصدر سابق، ص 101 . 102.

7Ali Haroun, op.cit, p89.

⁸ أنظر الملحق رقم 06.

⁹عبد القادر نور وآخرون، حوار حول الثورة، المؤسسة الوطنية للفنون، الرغبة، الجزائر، ج2، 1986، ص180.

يتضح من هذه الحسابات لأعضاء الفدرالية للمحافظة على صداقة بعض الفرنسيين المدافعين عن الثورة أن العملية لم تكن سهلة وأنهم كانوا يقدّرون خطورة النتائج والانعكاسات المترتبة عن هذا القرار، وهو ما انتبه له حربي عندما أعلن عن رفضه أثناء الاجتماع حيث اعتبره قرارا ارتجاليا وغير مسؤول قد يعرض مناضلي الجبهة في فرنسا إلى قمع متزايد، كما قد يؤدي إلى انقلاب الرأي العام الفرنسي لصالح حكومته وتغيير موقف اليسار الذي كان متعاطفا مع القضية الجزائرية.¹

حدّد المشاركون أجلا مدته شهر حتى يتمكن كل واحد منهم من إعداد العمل المقرر في مجاله الخاص، وتم رفع الجلسة بتحديد يوم 25 كيوم لانطلاق العمليات، مع ضرورة الاستعداد الجيد لإنجاحها، وفي هذا الإطار عقد يوم 22 أوت في منطقة "سو" "Sceaux" بجنوب باريس الاجتماع الشهري لدراسة التقارير الخاصة بالتنظيم المالي والتنظيمي، مع تناول الفحص الأخير لمدى الاستعداد ومعرفة اللمسات الأخيرة قبل موعد التنفيذ الذي بدأ العد التنازلي له قبل ثلاثة أيام فقط²، وقد أراد منفذوه أن يكون مشابها لهجوم الفاتح من نوفمبر في تأثيره على الفرنسيين شعبا وحكومة وعلى العالم أجمع.³

هكذا فُتحت الجبهة الثورية بفرنسا ليلة 25 أوت 1958 وكان أعضاء "ف.ج.ت.و"⁴ وقتها لاجئون بألمانيا⁵، ورغم ذلك كانت سببا في خلق اضطراب كبير في مختلف الأراضي الفرنسية، وأكدت للعدو بما لا يدع مجالا للشك قوة الثورة وقدرتها على ضرب القدرات الاقتصادية للاستعمار الفرنسي، فقد مسّت هذه العمليات قوات القمع الفرنسية من مباني الشرطة والثكنات العسكرية، ومباني النفط من مصانع تكرير البترول وتجميع الغاز، وتهديم خطوط السكك الحديدية.⁶

ذكر المجاهد "أحمد زروال" أنه بعد وصول ديغول إلى الحكم سنة 1958 لقي دعما كبيرا من طرف حلف الشمال الأطلسي فازدادت الانتهاكات البوليسية والاعتداءات الأمنية الفرنسية على الجزائريين في الداخل والمهاجرين في المهجر، لهذا قرّرت الجبهة إعطاء الضوء الأخضر للرد على كل تلك الهجمات والمضايقات، وبناء على هذا القرار تحرك "زروال" بطلب من الفدرالية للقيام بعمليات هجومية وعسكرية ضد المصالح الفرنسية رفقة العديد من زملائه في النضال ذكر منهم "حميلي عمار"، "خنوف السعيد"، "مسعودي أحمد"، وآخرون نسي أسمائهم، وقد ساهموا بذلك في تنفيذ العديد من التفجيرات شملت

1Djarbel, op.cit, p 225.

2 هارون، مصدر سابق، ص 116 . 117.

3 مزيان الشريف، مصدر سابق، ص 149.

4 أنظر الملحق رقم 07.

5Abderrahmanne Maziane Cherif, op.cit, p 09.

6 بزيان، دور الطبقة...، مرجع سابق، ص 36.

مختلف المناطق الفرنسية في محطات النقل والمواصلات والمنشآت النفطية، وتمكنوا من قتل ثلاثة عناصر من الشرطة وعددا لا بأس به من أفراد الدرك.¹

كما ذكر في هذا السياق أنه قبل الشروع في تنفيذ هذه المهام قد تم تدريبهم بشكل مكثف سواء على قراءة مختلف الاحتمالات الواردة بعد التنفيذ من حيث تنظيم عمليات الفرار ومعرفة الطرق والشوارع المختصرة أو الأكثر تعقيدا للخروج بأقل الخسائر، أو من حيث التعامل مع الشرطة والقوات الأمنية في حال إلقاء القبض عليهم، أو على مستوى استخدام مختلف الأسلحة التي كانت متوفرة آنذاك وجلّها كان بسيطا وغير كاف لتنفيذ جميع المهام، ما دفعهم باللجوء إلى استخدام علب الطماطم المصبرة وملئها بزيت الكاريل الذي كان له تقريبا نفس مفعول الانفجار مع بقية المتفجرات والقنابل اليدوية، ذلك أن عمليات البيع التي تمت في البداية من طرف المغاربة لم تكن كافية.²

كانت أولى العمليات الحربية في باريس قد بدأت على الساعة الثانية صباحا بدءا بالهجوم على مركز الشرطة الذي خلف ثلاثة قتلى من عناصر الشرطة وجريح واحد، ثم حرق خزان الوقود مع تدمير مصنع الذخيرة بفانسان، وقد نتج عنه مقتل ضابط فرنسي، واستشهاد فدائي جزائري، ولما وصلت الساعة الثالثة صباحا عمدت فرقة من الكومندوس إلى استهداف مركز للشرطة في الدائرة 18، ومستودع للوقود في إفري الذي أضرمت فيه النيران رفقة مستودع للسيارات العسكرية.³

إضافة إلى تفجير حوض الزيت "Vitry" للشركة "british pétroleum" واعتداءات أخرى قصدت مخزونات الوقود بكل من تولوز، ناربون ومصب نهر السين، بالإضافة إلى هجوم مسلح على مرآب للشرطة في باريس⁴، وحرق مستودع آخر للوقود في جسر باريس وتحديدًا بمنطقة "جينيفيلي" "Gennevilliers"⁵، وبذلك يتم تكبيد الاستعمار خسائر اقتصادية أكبر وتعميق مأساته المالية التي كانت تتطور بتطور الحرب مع مرور السنوات.⁶

توالى الهجمات بعد 25 أوت 1958 لأيام وأسابيع في كامل التراب الفرنسي، ووفق تقارير الشرطة الفرنسية فإن العمليات التي نفذتها المنظمة الخاصة قد شملت وضع المتفجرات والتخريب والحرق في الأماكن الأكثر أهمية من الناحية الاقتصادية مثل مخازن الوقود ومعامل تكرير النفط، السكك الحديدية، مراكز الشرطة وثكنات الأمن الجهوي، المحطات الكهربائية، مصانع الذخيرة ومستودعات الناقلات العسكرية، إضافة إلى الموانئ وغيرها من المناطق والهيكل القاعدية والبني التحتية.⁷

1 أحمد زروال، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00 . 11.15، 10 أكتوبر 2018.

2 نفسه.

3Guentari, op.cit, p605.

4هرفي هامون، باتريكا روتمان، مرجع سابق، ص151.

5Muelle, op.cit, p 123.

6 بوداود، مصدر سابق، ص ص165.166.

7Benyounes, op.cit, pp 87- 94.

ففي الشمال الفرنسي نجحت قوات الكومندوس هناك من إحراق مستودع للنفط في منطقة "سان ماندي" "St- Mandé"، والنجاح أيضا كان حليف قوات الفدرالية في منطقة "لوهافر" "Le haver" حيث تمكنت من إحراق وتخريب مستودع للنفط ومصنع آخر في "نوترودا دو غرافشنو" "Noter dam de gravenchon" وعملیات أخرى كانت في مستوى نجاح التخطيط الدقيق للفدرالية¹، التي كانت تعتمد على أساليب المناورة والتضليل قبل بدء العمليات المسلحة واستهداف المواقع المقصودة.

وفي الجنوب الفرنسي مثلاً وبالضبط في مرسيليا تم إحراق 14 خزاناً للوقود، بحيث وصل لهيب النار إلى مناطق شاسعة، وتم إخلاء الأحياء من سكانها، وكانت هذه الضربة قاسية جداً بالنسبة للقدرة الطاقوية الفرنسية²، حيث قدرت المصالح الأمنية الخسائر بـ 140 مليون فرنك فرنسي قديم، كما جرت عدة محاولات لحرق مستودعات أبرزها مستودع موريان³، وكانت الحصيلة إتلاف أزيد من 16 ألف متر مكعب من الوقود، أما الخسائر المالية فقدّرت بحوالي نصف مليار سنتيم⁴، كما أقدم فريق آخر لقوات الكومندوس في مدينة تولوز على تفجير مخازن للوقود مصنوعة من البلاستيك ما تسبب في حرق ضخّم، إذ احترق أكثر حوالي 8000 م³ من الوقود، وقد قدرت السلطات الفرنسية الخسائر الناتجة عنها بـ 150 مليون فرنك قديم⁵.

كما قامت المنظمة في نفس الليلة بتنفيذ حكم الإعدام على العديد من الحركي ورجال البوليس وقاموا بتخريب خطوط السكك الحديدية وحرق الغابات وهذا ما يدل على قدرة المنظمة وهياكلها العامة التي كانت على قدر عالٍ من التنظيم والتنسيق⁶، رغم فشلها في تنفيذ جميع العمليات التي تم التخطيط لها جميعاً على غرار فشل محاولة تخريب مستودع الوقود "لمارتيق" "Martigue"، وتمكن الشرطة من اكتشاف ثلاث قنابل قبل انفجارها⁷، وثلاثة أخرى في منطقة "أيجالاد" "aygalades" حيث كانت مُعدة لتفجير مستودعات الوقود⁸.

وفي الجنوب دائماً حيث كانت الخسائر أكبر قام الفدائيون الجزائريون بإضراب النيران في عدد من غابات "الإسريل" "l'Esterel" على الساعة التاسعة ليلاً بهدف التقليل من الرقابة الفرنسية وتشتيت انتباهها حيث ستتوجه فرق المطافئ المتخصصة في محاربة الكوارث لإخماد تلك الحرائق وبالتالي يكونون

1Muelle, op.cit, p123.

2 قليل، مصدر سابق، ص 353. 354.

3 أنظر الملحق رقم 08.

4 بزيان، دور الطبقة...، مرجع سابق، ص 37. 38.

5Guentari, op.cit, p605.

6عبد الرحمن بارة، أضواء على واقع 25 أوت 1958 بفرنسا، مجلة 1 نوفمبر، ع 160، 1998، ص 21.

7 جريال، مرجع سابق، ص 238.

8Muelle, op.cit, p123.

قد نجحوا في إبعادها عن مدينة مرسيليا¹، ذكر "مزيان الشريف" في هذا الصدد: "حوالي الساعة 21 ليلا وحسب الأوامر ومخطط الهجوم الذي تم إعداده مسبقا، أضرم أفراد فرق الصدام نيرانا بأعلى "الإستريل" بهدف إبعاد رجال الإطفاء وعدم تدخلهم بسرعة ذلك أن الغابات في نهاية شهر أوت كانت تشب بها الحرائق بشكل كثيف².

ويتم بذلك التفريغ لتفجيرات "موريبيان" التي تمت مباشرة في الليلة نفسها فكان لها الأثر البالغ على الاقتصاد الفرنسي بعد انهيار منشأة النفط ومحطات تخزين الوقود فيها بشكل كامل، إلى درجة أن بقيت النيران مشتعلة مدة تفوق الأسبوع قُدرت بعشرة أيام كاملة ولم تستطع وحدات الإطفاء من محاصرتها قبل ذلك، كما أنها أتلقت أزيد من 16 ألف متر مكعب كاملة من الوقود³، وقد أدخل هذا الهجوم أجواء الحرب إلى بيوت كل الفرنسيين بفضل تغطية التلفزيون للحدث⁴.

بعد أن استطاع مسؤولو الجبهة إرغام المصالح الأمنية الفرنسية على إعادة ترتيباتها الأمنية وترقب لما يتقدم عليه الجبهة من أعمال في مواقع مختلفة⁵، وصفت جريدة "لومانيتي" "L'humanité" الناطق الرسمي للحزب الشيوعي العمليات بالقول: "حدثت عمليات إطلاق نار بالأمس في باريس، خلّفت أربعة قتلى من رجال الشرطة الفرنسية وجزائريين، وعشرات الملاين من التترات من البنزين اشتعلت في مدن أخرى كمرسيليا وتولوز، ناربون، وقد جُرح 17 فردا من رجال الإطفاء في منطقة موريبيان ثلاثة منهم في حالة حرجة، لهذا فإن إحلال السلم في الجزائر أصبح أكثر من ضروري⁶."

رغم سياسة القمع التي انتهجتها السلطات الفرنسية في ردّها على هجمات 25 أوت بحملة من الاعتقالات ضد الجالية الجزائرية وفرض حظر التجول عليهم، إلا أن هذه الحركة لم تتوقف في ضرب المصالح الاقتصادية الفرنسية⁷، بل استمر مناضلو الفدرالية في تنفيذ عملياتهم الفدائية والعسكرية حيث عرفت الفترة الممتدة ما بين 24 أوت و 27 سبتمبر 1958 القيام بـ 56 عملية تخريب تدميرية و 242 هجوم ضد 181 هدفا فرنسا، نتج عنه 82 قتيل و 188 جريحا⁸، ففي 27 أوت تم استهداف سيارة شرطة بالرشاش في ساحة "دانفر روشر"، وتم إصابة ضابط صف بطلقات نارية في ساحة "بون نوفيل"، ثم القضاء على ضابط آخر في اليوم الموالي بليون، وفي الدائرة 20 بجادة مالاكوف استهدف كومندوس المنظمة

1 هارون، المصدر السابق، ص 123.

2Meziane Cherif, op.cit, p 126.

3Guentari, op.cit, p606.

4Abderrahmanne Maziane Cherif, op.cit, p 09.

5Karim Flissi, Jacques Verges l'anticolonialiste, édition du Félin, Paris, 2005, p58.

6L'humanité, 26 aout 1958, p 01.

7أحمد صاري، شخصيات...، مرجع سابق، 244.

8بوداود، مصدر سابق، 168.

الخاصة مقهى للعساكر الفرنسيين، وكذلك في جادة لوتيل بالدائرة 13 خلف هجوم على مركز للشرطة خمسة قتلى من عناصرها، والاستيلاء على العديد من الأسلحة الآلية.¹

شهدت أعمال الفدرالية والمنظمة الخاصة ذروة نشاطها العسكري في شهر سبتمبر من السنة نفسها حيث نجحت في استهداف حاويات تابعة لقوات الشرطة الفرنسية في كل من مرسيليا وبوردو وتخريب محطة الكهرباء فيها، وفي الشهر نفسه تم أيضا استهداف عدد من المضليين في "ماتز" وإحراق طائرة في مطار أولي بباريس وتفجير منشأة في ميناء مرسيليا خلفت سبعة جرحى، إضافة إلى تخريب السكة الحديدية الرابطة بين مدينتي باريس ولوهافر، واستمرت العمليات وكانت تزداد نشاطا وقوة في اشتباكاتهما مع الأسلاك الأمنية الفرنسية²، لإثبات ضعف هذه الأخيرة في احتواء الوضع والحفاظ على الأمن والاستقرار في فرنسا أو على الأقل ارتباكها من ضربات الجبهة وعجزها حتى عن التقليل من تلك الضربات الموجهة التي طالت أغلب المناطق الفرنسية وأهم المنشآت الاقتصادية الحيوية.

أجبر استمرار تلك العمليات التي كانت فوق أرض العدو وأمام مصالحه الأمنية التي تتمتع بإمكانات ضخمة ومعتبرة، والزخم الثوري الكبير الذي نتج عنها سواء على المستوى الفرنسي أو العالمي، على الاعتراف أن القوة العسكرية والعتاد الحربي لم ولن يكونا السلاح الفيصل للنصر في المعركة، بل الذكاء والتخطيط الدقيق هما من صنعا وسيصنعان دوما الفارق، بالإضافة إلى إرادة وعزيمة المهاجرين الجزائريين وإصرارهم على النصر واسترجاع الحرية مهما كانت التضحيات كبيرة وانعكاساتها خطيرة من حسم المعركة لصالح القضية الجزائرية.

رابعا: نتائج وانعكاسات العمليات:

هدفت "ف.ج.ت.و" بفرنسا إلى تحقيق مجموعة من الأهداف خاصة على المستويين السياسي والعسكري وهذا ما عبّرت عنه في بيانها الذي أذاعته في القاهرة بقولها: "إن الهجمات التي قام بها مناضلو الجبهة بفرنسا في أوت 1958 ضد العديد من الأهداف الفرنسية ضد كل من مصافي النفط وباقي المنشآت الاقتصادية تدخل في مخطط نقل الحرب إلى التراب الفرنسي، وتكبيد الاستعمار خسائر اقتصادية مؤلمة تكون لها انعكاسات خطيرة على مستقبل الاقتصاد الفرنسي"³، من جهة وكذا مستقبلها السياسي من جهة أخرى حيث ستتغير العلاقة بين الحكومة الفرنسية وشعبها بعد تلك الهجمات التي كانت كما ذكر حربي بمثابة ضربة تحذير هزت لامبالاة الشعب الفرنسي وأخرجته من هدوئه المعتاد اتجاه القضية الجزائرية⁴، فهل نجحت الفدرالية في تحقيق أهدافها من وراء عمليات أوت 1958؟.

1 جريال، مرجع سابق، ص 243. 244.

2Muelle, op.cit, p125.

3Ibid, p125.

4Harbi, les archives de la révolution...,op.cit, p228.

مثلما تمكّنت عمليات أوت 1958 من استنزاف القدرات الاقتصادية الفرنسية، نجحت أيضا في زرع جو من الرعب والخوف سواء على المستوى الشعبي حيث أصبح الشعب الفرنسي يعيش وضعاً مقلقا لم يعهد مثله من قبل، أو على المستوى الحكومي حيث أصبحت الحكومة الفرنسية في حيرة كبيرة من أمرها بعد فشل كل مساعيها لتأزيم التوتر بين المهاجرين الجزائريين المصاليين والجهويين وتدعيمها لـ "ح.و.ج." لمساعدتها في القضاء على الجبهة وفدراليتها بفرنسا، لكنها بعد هذا الفشل تيقّنت بعد هذه العمليات أنها صارت المستهدف الأكبر والأول لضربات الجبهة التي نجحت في إبعاد منافسيها من الميدان وحسمت معركة ولاء المهاجرين لصالحها.

أشار "جربال" إلى أن عمليات أوت 1958 قد صنعت نتائجها مفاجأة للسلطات الفرنسية لم تكن تتوقعها بعد أن أثبتت لها أن الجبهة لم تعد تهاجم الإخوة والأشقاء المصاليين، بل أصبحت تعتدي على الأهداف الفرنسية واعتبارها العدو الأول لها، وهذا ما زاد من حيرة الأجهزة القمعية والمصالح الأمنية خصوصا أسلاك الشرطة¹، لتقفز تلك الأحداث بالقضية الجزائرية إلى مرحلة جديدة فاصلة²، خاصة بعد أن نجحت في إبقاء أزيد من 800 ألف من الجنود في فرنسا³، من أجل تعزيز الرقابة على الهياكل القاعدية والنقاط الإستراتيجية الأخرى، بعد أن كانوا متوجهين إلى الجزائر⁴.

على هذا الأساس ساهمت هذه العمليات في جعل الحكومة الفرنسية تضطرّ إلى تعبئة قوات الشرطة ووحدات الجيش قصد السيطرة على الوضع وحماية المرافق العامة والاقتصادية من ضربات المهاجرين الجزائريين، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد وإنما سارعت السلطات الفرنسية إلى اعتقال أعداد كبيرة من أفراد الجالية الجزائرية وزجّت بهم في السجون والمعتقلات، وحضرت التجول في عدة أحياء من المدن الفرنسية⁵، وهو القانون الذي ستقوم بتعميمه فيما بعد على كل الأحياء والمناطق التي يقطنها أفراد الجالية الجزائرية في عهد محافظ الشرطة "موريس بابون" في محاولة يائسة منه لفصل المهاجرين عن "ج.ت.و" والقضاء على نشاطها المتزايد في فرنسا والذي سمّاه بالإرهاب ناسيا إرهاب دولته في الجزائر المستمر لعقود طويلة دون حسيب ولا رقيب.

بيّنت فدرالية الجبهة هذه المفارقة العجيبة التي تتعامل بها السلطات الفرنسية وسياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها ضد الجزائريين، وحاولت أن تشرح ذلك للشعب الفرنسي كلما سمحت لها الفرصة بذلك خصوصا من خلال بياناتها كالبیان الذي وجهته له في اليوم الموالي للعمليات، حيث ورد فيه: "إن الحكومات الفرنسية المتعاقبة التي تخوض حربا شرسة في الجزائر دون أي رحمة وتمارس كل أنواع القمع في

1Djarbel, op.cit, p 236.

2 "في كل ميدان معركة... وانتصار"، المجاهد، ع 28، ج 1، الخميس 28 أوت 1958، ص 387.

3 هارون، مصدر سابق، ص 129.

4 بوداود، مصدر سابق، ص 169.

5 قليل، مصدر سابق، ص 354.

فرنسا، ووعيا منها لمسؤولياتها وبعد تقييم الأخطار وتقدير أكثر النتائج المترتبة عنها، فإن الجبهة قررت أن تواصل تدمير الإمكانيات الحربية الفرنسية أينما وجدت ولا سيما احتياطاتها من البترول الذي هو في الأصل بترول جزائري¹، وكانت جريدة "Combat" قد ذكرت في هذا السياق: "إن جبهة التحرير الوطني كانت قد وعدت قبل سنة بأنها ستدمر البترول الصحراوي في فرنسا نفسها...ها قد وُفِّت بوعدها"².

نجحت عمليات أوت 1958 في التأكيد على ترابط وتلاحم المهاجرين الجزائريين وتمسكهم بوطنهم والتفافهم حول فدرالية الجبهة وانتمائهم لقضيتهم الوطنية رغم كل المحاولات القمعية الفرنسية ضدهم، فلا القوة العسكرية للإمبراطورية الفرنسية أرهبتهم، ولا الظروف الصعبة بالمهجر أضعفت قوتهم وحماسهم، لثبتوا بقوة إرادتهم وصلابة جأشهم للعالم أجمع أنهم جزائريون حتى النخاع، وأن لا شيء يفصلهم عن إخوانهم في الجزائر سوى ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية.

ونجحت هذه العمليات أيضا في التأثير على الشعب الفرنسي وتغيير قناعاته من القضية الجزائرية حين تسببت في الاستفاقة الفعلية للمواطن الفرنسي، الذي أحيان أنه كان مخدرا بالكاذب التي تنشرها الدعاية الكولونيالية الرسمية، فبدأ حينها بفهم مجريات الأحداث وحقيقة الأوضاع وزاد وعيه بالقضية الوطنية وبدأ بالمساهمة في ضرورة وضع وإيجاد حل عاجل لها.³

وكذلك الشأن بالنسبة للساحة الدولية والعربية حيث عنونت صحف القاهرة، دمشق وبغداد صبيحة 25 أوت 1958 في صفحاتها الأولى إنجازات الفدائيين الجزائريين في قلب العاصمة باريس، كما بثت الإذاعات العربية عبر أمواجها في سبتمبر من السنة نفسها تصريحاً لـ "ج.ت.و" وضعت فيها الهجمات في مصاف المعارك الكبرى المنتصرة على الاستعمار وأنها ستتواصل إلى غاية تحقيق الاستقلال، حيث ورد فيه: "يواصل رجالنا الأحرار في فرنسا كفاحهم المقدس...سنواصل تدمير ومضايقة الدروع الاستعمارية"، أما في عواصم العالم فقد أكدت فدرالية الجبهة أن الرأي العالمي قد أصبح أكثر إدراكاً بأن نجاح الثورة الجزائرية في نقل عملياتها الحربية إلى التراب الفرنسي قادرة أيضا على نقل عدواها إلى الدول الحليفة لها خصوصا دول الحلف الأطلسي.⁴

أما على المستوى الوطني فقد كانت لهذه العمليات صدى كبير في الجزائر فقد استقبلت العمليات خاصة في صفوف جيش التحرير الوطني بالانفراج، ويذكر "بوداود" إحدى هذه الردود التي رواها له قائد الولاية الثانية بأن جيش التحرير الوطني كان آنذاك في قعر الموجة، فجاءت أخبار تلك العمليات لتنعشه⁵، وتزيده عزما وإصرارا على مواصلة النضال الثوري.

1 هارون، مصدر سابق، ص 124.

2Combat, 28 aout 1958.

3بوداود، مصدر سابق، ص 174.

4إيدو، مرجع سابق، ص 156.

5بوداود، مصدر سابق، ص 168 . 169.

المطلب الثاني: ردود الفعل الفرنسية لوأد كفاح المهاجرين الجزائريين (المواقف المتباينة منه)

تباينت المواقف الفرنسية وطريقة التعامل مع المسألة الجزائرية وتطورات أحداث الثورة التحريرية داخل الجزائر بشكل عام ونضال الجالية الجزائرية داخل فرنسا بشكل خاص، سواء من قبل الحكومة الفرنسية أو الأحزاب السياسية، أو الصحف والجرائد والوسائل الإعلامية وذلك حسب القنوات الفكرية والاتجاهات الإيديولوجية، ورغم اختلاف تفسيرها لمستجدات الأحداث إلا أنها كانت متفقة وملتفة جميعا حول قاسم مشترك هو الدفاع عن المصلحة العامة للأمة الفرنسية.

أولا: رد فعل السلطات الفرنسية

منذ اندلاع الثورة التحريرية وامتداد شرارة العمل الثوري إلى الأراضي الفرنسية، سعت السلطات الفرنسية سواء السياسية أو العسكرية لمنع تطور هذه الشرارة واستئصال هذا النضال قبل تطوره بشكل أكبر، فدقّت ناقوس الخطر وأعلنت صفارات الإنذار من خلال سنّها لمجموعة إجراءات قمعية وإتباع سياسة أمنية صارمة، وإنشاء أجهزة أمنية جديدة لتتبع حركة المهاجرين وتشدّد الرقابة عليهم في كل مكان على التراب الفرنسي سواء في أماكن عملهم، أو في أحيائهم السكنية أو حتى أثناء تنقلاتهم والمناطق التي يتراودون عليها والطرق التي يسلكونها بهدف رصد تحركاتهم وجمع المعلومات عنهم وتحليل تصرفاتهم استباقا لأيّة محاولة منهم لتهديد الأمن الفرنسي العام.

لم يكن المهاجرون الجزائريون بفرنسا من يشعر بالغربة ويعيش ظلما وقهرا لامتناهي، بل كان الجزائريون أيضا في بلدّهم يعيشون في شكل جالية لا تفقه ما تروّج له الدول الرأسمالية من شعارات حقوق الإنسان والديمقراطية المزعومة، والمفاهيم والمصطلحات البراقة سواء التي جاءت بها الرأسمالية أو الاشتراكية، لأنهم فهموا أنها لا تعني لهم شيئا، كونهم يعيشون في ظل نظام تدعيّ حكومته هذه المفاهيم والشعارات غير أنها تمارس تجاوزات لا حدود لها ضدّهم بعد أن استبدلت نظامهم بنظامها.¹

بسبب تزايد انتصارات الثورة في الداخل ووصول صداها تدريجيا إلى الشارع الفرنسي، وخوفا من زيادة تأثر هذا الأخير بمجريات الأحداث، أصدرت السلطات الفرنسية في 26 جويلية 1957 قانونا هدفه إحكام القبضة بشكل أكبر على المهاجرين، وأعطت من خلاله صلاحيات واسعة لمختلف الجهات الأمنية تسمح لها بتطبيق قانون استثنائي يسمح لمكاتب الشرطة باعتبار كل معتقل وموقوف لديها مشتبّه فيه بتورطه في نشاطات ف.ج.ت.و التي تسعى لتثبيت الطوق عليها وتشدّد الحصار على مناضليها، وبالتالي فهو يعتبر عنصرا خطيرا يجب أن تطبّق عليه أحكام الجماعات المسلحة وهي الإعدام الفوري أو السجن المؤبد مع الأعمال الشاقة أو ترحيله إلى الجزائر لتنفيذ عقوبته.²

1René Schaefer, révolution en Algérie, édition France empire, Paris, S D, pp394 – 396.

2Amiri, op, cit, p44.

تواصلت هذه الإجراءات القمعية ضد المهاجرين الجزائريين بفرنسا بعد وصول الرئيس ديغول إلى السلطة وتعيينه لـ"ميشال دوبري" رئيسا للحكومة، وقد كان هذا الأخير أكثر صرامة في سنّ المزيد من القوانين والإجراءات لمواصلة الحرب في الجزائر واستعمال كل الأدوات والسبل للحفاظ على الجزائر الفرنسية، فقرّر تدمير ف.ج.ت.و بفرنسا وسحقها بشكل نهائي بمجرد استلامه مقاليد الحكم، وهذا ما وضّحه في مذكراته عندما ذكر قوله: "لاحظتُ أن المتمردين الجزائريين قد استقروا في فرنسا وتمكّنوا من تأطير المهاجرين والتأثير عليهم بأفكارهم الإرهابية، لذا كانت تعليماتي واضحة من البداية من أجل سحق كل أجهزة المتمردين في التراب الفرنسي".¹

غير أن التأثير على الرأي العام الفرنسي قد وصل إلى أوجّه بعد انتقال عمليات الثورة إلى الأراضي الفرنسية نفسها، فتطوّرت مواقفه وتغيرت اتجاهاته من القضية الجزائرية بعد أن أضحت واقعا معاشا لا مفر منه، وقد أجبرت عمليات أوت 1958 السلطات الفرنسية على الاستمرار في تطبيق مخططاتها لمواجهة تهديدات الجبهة حيث أسندت الحراسة على المراكز الإستراتيجية إلى قوات الجيش بدل الشرطة، وألغت الإجازات السنوية لأعوان الأمن لمواجهة سوء الأوضاع الأمنية، كما أنها زادت من عدد قواتها الأمنية وقامت باستدعاء 15 ألفا من الجنود الاحتياطيين ومن قوات الدرك الذين ستتعزز صلاحياتهم ومهامهم بعد منح وزير الداخلية لهم سلطة استثنائية، تحت غطاء "مكافحة الإرهاب" الذي يتسبب فيه المهاجرون الجزائريون، فازدادت خطورة القمع ومسّت الاعتقالات العديد من مسؤولي المناطق وهو ما انعكس سلبا على المنظمة الخاصة بالدرجة الأولى، كما أصدرت العديد من المحاكم أحكاما بالإعدام على مناضلين وتم تقديمهم إلى المقصلة.

أما "موريس بابون" فقد أعلن بعد تعيينه رئيسا على محافظة الشرطة بباريس أنه سيتخذ إجراءات تتم على معرفته السابقة للواقع الجزائري، وبالتالي سيعوض سياسة القمع بسياسة المجهود الإداري والاجتماعي، مع الحرص على التقرب في فرنسا مثلما تقرب بأساليبه الخاصة من الجزائريين في الجزائر²، غير أن سياسته في الميدان كانت عكس تصريحاته تماما فقد بالغ في استخدام القوة ضد أفراد الجالية الجزائرية واتهم العدالة الفرنسية بالمرونة في تعاملها معهم عاقد العزم على استئصال فدرالية الجبهة وجميع هياكلها من الأراضي الفرنسية، ولعل فرضه لقانون حظر التجوال على المهاجرين الجزائريين وما ارتكبته القوات البوليسية بأوامره وتعليماته خلال مظاهرات 17 أكتوبر 1961 لخير دليل على ذلك.

استمر تورط أعوان الشرطة الفرنسية في التمسك بفكرة الجزائر الفرنسية والدفاع عنها بكل ما هو موجود من قوة وإمكانيات، وتواصلت في خضم ذلك التجاوزات الخطيرة التي ارتكبتها في حق الجالية الجزائرية، والتي كانت أمام أنظار العالم أجمع خصوصا ما عانت منه خلال 17 أكتوبر 1961، ورغم ذلك

1Ibid, p45.

2 عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، ج2، 1961، ص152.

حاول المسؤول الأول عن تلك الجرائم التستر عنها بل وتبريرها من خلال تحميل ف.ج.ت.و مسؤولية ذلك، وهذا ما أكّده "بابون" أثناء محاكمته مع "لوك إينودي" سنة 1999 حيث ذكر أن المسؤولية كاملة تقع على جبهة التحرير التي نقلت الحرب إلى فرنسا".¹

والجدير بالملاحظة أن "بابون" قد نسي أو تغافل عمدا عن الحقيقة التي مفادها أنه هو من نقل تجاربه الشنيعة في التعذيب والتنكيل ضد الجزائريين من الجزائر عندما كان واليا على قسنطينة إلى فرنسا عندما أصبح رئيسا للشرطة الباريسية، ولأنه لكل فعل ردة فعل فإن مواقف ج.ت.و لم تكن سوى ردت فعل طبيعية على تلك الجرائم والتجاوزات الاستعمارية في حق مناضليها من الشعب سواء داخل الجزائر أو خارجها.

ثانيا: رد فعل الصحافة الفرنسية

تطوّر تعامل الصحافة الفرنسية مع القضية الجزائرية مع تطور أحداث الثورة التحريرية وسياسة الحكومة وتعاملها مع هذه الأحداث وردود الفعل عنها، ورغم أن أغليبتها الساحقة كانت موافقة تماما في توجهاتها لتوجهات حكومات بلادها، إلا أن بعضا منها قد صنع استثناءات من خلال دراسة بعض أحداث الثورة التحريرية بنوع من الموضوعية والمصادقية في نقل الوقائع والنتائج ما عرّضها لخطر الإيقاف والمصادرة أحيانا والمتابعة القضائية أحيانا أخرى.

إن تعاطي الصحافة الفرنسية مع الثورة الجزائرية قد مرّ بمرحلتين امتدت الأولى من 1954 . 1957 حيث كانت الحرب تأخذ حيزا صغيرا في الصفحات الأولى من الجرائد اليومية وكان تركيزها يتم على الجانب السياسي دون الجانب العسكري بسبب الرقابة الشديدة التي فرضت على الصحافة منذ إعلان حالة الطوارئ وإنشاء لجنة الرقابة لدى وزارة الاتصال لتفادي نشر أخبار قد تؤدي إلى اضطراب النظام العام، أما المرحلة الثانية فقد امتدت من 1957 . 1962 وقد تجاوزت فيها الصحافة حاجز الرقابة وأصبحت أكثر جرأة في تناول الشأن الجزائري، وأصبحت تتناول أخبار الجزائر كأحداث رئيسية في الصفحات الأولى، وكانت النتيجة أن وقف الجميع في النهاية على حجم المشكل الجزائري وتداعياته في مختلف الجوانب على المجتمع الفرنسي ودولته لاسيما بعد أن قرّرت ج.ت.و نقل الثورة إلى التراب الفرنسي.²

تمثّلت أهم الصحف الفرنسية التي اهتمت بتطورات القضية الجزائرية في جريدة "لومانيتي" "L'humanité" التي عُرفت بمعاداة الاستعمار كونها لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي، ما جعلها تتعرض للمصادرة أكثر من 27 مرة والمتابعة القضائية لـ 150 مرة بسبب كتاباتها عن الثورة الجزائرية³، وجريدة "لوفيغارو" "Le Figaro" التي تميّزت هي الأخرى بسياستها المعتدلة في دراسة ومعالجة أهم

1Benjamine Stora, le transfert d'une mémoire, éditions Casbah, Alger, 2000, p 107.

2 شعبان يدو، مرجع سابق، ص ص 43 . 46.

3Nadjai Bouzeghrane, la légende d'un siècle, El Wattan, N° 4074, 19 Avril 2004.

الأحداث الثورية، وكذلك جريدة "لوموند" "Le Monde" التي ميّزت الجرأة والجديّة مقالاتها المتعلقة بالثورة ما جعلها عرضة للمصادرة ومنع التوزيع في الجزائر.¹

تجسّدت ردود فعل الإعلام الفرنسي بشكل كبير عن نضال الجالية الجزائرية في الكتابة عن مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وقبلها العمليات العسكرية في 25 أوت 1958 التي تباينت وتنوعت سواء على المستوى الفرنسي أو الجزائري أو حتى الدولي، بين مستغرب من مدى قوتها وحجم الأضرار المترتبة عنها، ورفض لجرأة الجبهة على القيام بها والخوف من سيناريو إعادة تكرارها مع استمرار الحرب في الجزائر ونشاط الفدرالية بفرنسا، يقول مزيان الشريف: "أن الصدى الإعلامي الكبير الذي أحدثته الهجمات التي تم تنفيذها منذ 25 أوت 1958 خاصة في القطاع الذي كنتُ مشرفاً عليه ألحق أضراراً كثيرة بأنصار شعار الجزائر الفرنسية ومثله كان الضرر الذي لحق بهم جراء المحاكمات العديدة التي أعقبتها".²

فقد تناولتها الصحف الفرنسية بعناوين كبيرة وتفاصيل دقيقة في اليوم الموالي لها (26 أوت 1958)، وقدّمت تقاريرها عن هذه العمليات لمدة طويلة، على غرار جريدة "لوفيجارو" "le Figaro" التي وصفتها بأنها: "اعتداء وتخريب قامت به جبهة التحرير في العاصمة باريس والمناطق المجاورة لها"، أما جريدة "لوموند" "le monde" فقد كتبت: "سنة خزانات لشركة بورفينا أصبحت فريسة للهب... إن تدخل كومندوس جبهة التحرير لا يدع مجالاً لأية شكوك بالنسبة للمحققين..."³، في إشارة إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات العقابية المناسبة للرد على نشاط الجبهة المتزايد بفرنسا دون البحث عن أدلة الفاعل بعدما أكّدت الجبهة بنفسها مسؤوليتها عن الأحداث ورغبتها في الاستمرار في استهداف الأمن الفرنسي.

تواصلت تغطية الأحداث من الصحف الفرنسية بنفس النظرة تقريباً فقد كانت تغطية جريدة "Combat" مشابهة للتحليل الذي قامت به جريدة "le monde" حيث ذكرت أن منافسي الأمة الفرنسية صاروا على قوة تمكنهم من استهدافها في عقر دارها من دون تردد، وإصرارها على توسيع نشاطاتها على التراب الفرنسي مستقبلاً إذا لم تستسلم الحكومة الفرنسية لمطالب الجبهة وشروطها، وذكّرت الحكومة بتهديد "اعمر او عمران" الذي أعلن عنه في شهر ماي من السنة نفسها والذي جاء فيه قوله: "نحن مهتمين بتوسيع جزء من نشاطاتنا على تراب فرنسا، وهذا إنذارنا الثاني للحكومة الفرنسية"⁴، ودعت الجريدة إلى ضرورة إيجاد الحلول المناسبة قبل أن تتقوى الجبهة أكثر وتتحول الأراضي الفرنسية إلى نسخة عن الأراضي الجزائرية حيث ينعدم الأمن والاستقرار فيها خصوصاً بالنسبة للفرنسيين.

أورد "مزيان الشريف" وهو أحد المهندسين لهذه العمليات شهادته في هذا السياق بقوله: "اشتريتُ الصحيفة اليومية "لوموند" التي كنتُ أحبُّ قراءتها وقتها بسبب جدّية بعض تحاليلها...أوجزت الصحيفة

1 بيير ألبير، الصحافة، تر: خير الدين عبد الصمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص 103. 104.

2Abderrahmanne Maziane Cherif, op.cit, p10.

3Le monde, 26 aout 1958, p 01.

4Le Combat, 26 aout 1958.

أحداث الليلة في عدة مقالات على الصفحة الأولى كالأتي عملية مدروسة قام بها الإرهاب الجزائري في البلد الأم ضد مخازن الوقود، حرائق بـ "تولوز" "Toulouse"، "مارسيليا" "Marseille"، "ناربون" "Narbonne"، كما كتبت في عناوين فرعية 04 أعوان شرطة قُتلوا في باريس، حريق و04 محاولات بمدينة مرسيليا أهمها الذي نشب بمخزن موريان "Mourepiane" بالقرب من الميناء... حيث اقتحمت النيران من 07 إلى 14 مخزنا على الفور... ومثلما كان الحال بتولوز فإن المحققين يعتقدون أن المتورطين في هذه الاعتداءات هم جزائريون...¹

أحدثت العمليات تأثيرا بالغاً على الصحافة الفرنسية التي أكدت في جلّها قوة الجبهة وقدرتها على الاستمرار في تهديد الأمن والمصالح الفرنسية وقد ترجمت هذا الخوف في كتاباتها وصفحاتها مُنبّهة سلطات بلدها بالتعجيل في تصفية القضية الجزائرية قبل تفاقم الأوضاع أكثر، لاسيما قراءتها لردود فعل الجبهة، على غرار الرسالة التي صرّحت بها لجنة التنسيق والتنفيذ والتي أكدت فيها أن الهجوم على خزّانات النفط في فرنسا تمثل مرحلة أولى لمخطط كامل غايته الرئيسية نقل الثورة إلى جميع الأراضي الفرنسية، ما جعل العديد من تلك الصحف تعتقد أن الجبهة لديها جيش قد يصل تعداداه إلى نصف مليون جزائري قادر على الاستمرار في شن الهجمات المسلحة على الأهداف الفرنسية المختلفة باعتباره كفاح استراتيجي بالدرجة الأولى.²

وضعت المنظمة الخاصة لمساتها على المجتمع والصحافة الفرنسية حيث عرفت مختلف المقاهي الفرنسية بثّ الإذاعات للأخبار بأقصى مدى للصوت، كما تشكّلت جماعات من الزبائن يتحدثون عن الأحداث بكل حدّة، وساعد الطابع الحميمي والحيوي الذي يشتهر به أهالي الجنوب في فرنسا على تقارب المألا للاستعلام وقد طرأ على عقول المهاجرين المغاربة تغيير على أنه من سيكون هناك فترة ما قبل 25 أوت وفترة ما بعده، غير أنهم في نفس الوقت كانوا متأهبين لمداهمات الشرطة ومديرية مراقبة الإقليم التي كانوا على يقين بأن تلك الملاحقات والمداهمات وعمليات التوقيف ستتضاعف على مراكز إقامتهم.³

كانت توقعات هؤلاء المهاجرين صحيحة حيث شنت الشرطة الفرنسية حملات اعتقالات كثيرة ضد أفراد الجالية الجزائرية دون استثناء، واستمرت لسنوات حتى مطلع سنة 1960، كما نظمت مطاردات لذوي الملامح شمال الإفريقية حيث كانت تعتقل لمجرد شبهة وفرضت في هذا الإطار حظر التجوال لجميع المهاجرين من شمال إفريقيا بمنطقة باريس وضواحيها، واشتد التمييز العنصري ضدهم خصوصا بعد مجيء "بابون" الذي ذكر أن: "الشرطة لن تسمح بليّ ذراعها وسترد بكل حزم"⁴، كما كثفت من عملياتها القمعية وإجراءاتها العقابية والانتقامية خصوصا من مناضلي المنظمة الخاصة حتى كادت أن تشل نشاطها

1Meziane Cherif, op.cit, pp 128 - 129.

2Meziane Cherif, op.cit, p 139.

3Ibid, p131.

4Papon, les chevaux du pouvoir, le préfet de police du générale de Gaulle, ouvre ses dossiers 1958-1967, Platon, Paris, 1988, p 105.

في المراحل الأولى من تلك الهجمات، لاسيما بعد أن اعتمدت التعذيب المكثف على المعتقلين بهدف الوصول إلى كبار المسؤولين فيها.¹

غير أن صلابة المناضلين وقوة صمودهم في وجه التعذيب الفرنسية رغم قسوتها، إضافة إلى التنظيم المحكم للمنظمة والاحتياطات الدقيقة التي اتخذوها من قبل حالت دون ذلك، وأفشلت كل المساعي الفرنسية في القضاء على المنظمة الخاصة التي استمرت في نشاطها ولو بدرجة أقل، وظلّ جلّ قادتها كآيت مختار أحرار.

ذكر "مزيان الشريف" تلك التجاوزات الفرنسية وما قابلها من صمود المهاجرين بقوله: "لكن حياة مواطنينا الذين كانوا مناضلين بدرجات متفاوتة أصبحت بعد تلك العمليات جد صعبة، حيث يخضعون بشكل يومي ودائم لمضايقات في كل مكان يتواجدون فيه سواء داخل غرفهم البسيطة في مراكز الإقامة أو الفنادق أو حتى المقاهي التي يتجمعون فيها، وكذا في الشوارع والورشات والمشاكل والأسواق، ولم تُنهم كل تلك العراقيل عن إظهار شجاعتهم وحسهم الوطني الذي لم يكن يشوبه أية نقائص، بل تحمّلوا بعزم كبير المضايقات اليومية المضاعفة وأثبتوا كعادتهم صمودا ومقاومة في مراكز الشرطة وأماكن الاستجواب والاستنطاق".²

رغم محاولة السلطات الفرنسية استخدام الصحافة والإعلام من أجل التأثير على الرأي العام من خلال إقناعه بأن تلك الهجمات ليست أعمالا ذات أهداف سياسية بل هي ممارسات همجية يقوم بها أناس جهلة هدفهم الأساسي التدمير والتخريب³، إلا أن تلك العمليات العسكرية قد ساهمت في تبديد الغموض لدى الرأي العام ليس في فرنسا فحسب بل في أغلب أنحاء أوروبا والعالم وجعلت من النزاع الفرنسي الجزائري واقعا معاشا لا يمكن تجاهله، وزادت عناوين الصحف والحصص الإذاعية والصور الحية عبر القنوات التلفزيونية من إدخال كفاح الجزائريين إلى كل العقول الفرنسية حيث أجبرت على التفكير في القضية ولم تتمكن السلطات الفرنسية من إخفاء الحقيقة بسبب الضربات الموجعة التي تلقّتها على يد المنظمة الخاصة وفدرالية الجبهة التي أجبرتها على اتخاذ إجراءات جديدة والعمل بحذر مضاعف وزيادة عمليات التفتيش التي تقوم بها الشرطة والتي كانت تتم في أغلب الأوقات بشكل مفاجئ.⁴

وصل تأثير وصدى هذه العمليات حتى إلى المستوى العربي حيث أصبحت الدول العربية لاسيما المهمة أكثر بالثورة الجزائرية كمصر وتونس تعترف بقوة هذه الثورة وقدرتها على استرجاع الحرية المسلوبة، ويذكر "بوداود" في هذا السياق: "تحسّنت صورتنا في نظر جيراننا في العالم العربي، كنا نعيش وقتها فترة بدأ الشك في قدرة "ج.ت.و" على الوصول بالكفاح إلى الهدف المنشود، يعتري إخواننا المغاربة والتونسيين

1Djerbal, op.cit, p276- 278.

2Meziane Cherif, op.cit, p 142 - 143.

3 جربال، مرجع سابق، ص 259.

4Meziane Cherif, op.cit, p 141.

والمصريين، وبعد أسابيع من ذلك صرح لي "بن طوبال" في تونس بقوله "شرفتونا" (حمرتولنا وجوهنا)... إن عبد الناصر هو من طلب لقائنا مانحا لنا الفرصة لكي نثبت له قدرة الجبهة على القيام بالحرب حتى داخل فرنسا ذاتها، أما "بورقيبة" فقد استقبلنا ليقدم لنا الشكر بعد أن أصبح واعيا لقدرة الجبهة وعزمها اللامتناهي".¹

يتضح أن اهتمام الإعلام الفرنسي بمستجدات الثورة التحريرية قد تطور تدريجيا مع تسارع الأحداث الداخلية والخارجية في ظل تطور الأحداث العالمية من جهة، وتفاقم الانتكاسات الفرنسية أمام انتشار موجة التحرر وفقدان فرنسا لمستعمراتها من جهة أخرى، وهو ما اعتبره الفرنسيون إفلاسا للنظام الاستعماري، وقد عبر 57% منهم على ضرورة الإسراع في مفاوضات مع المتمردين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، مع الحرص على أن تتم العملية بجهود فرنسية بحتة دون تدخل أيادي خارجية حتى من الأمم المتحدة لأن القضية شأن فرنسي داخلي.²

لقد أكدت هذه العمليات أن الثورة لم يصبها الإرهاق والتعب، وأنها لازالت صامدة بل وتزداد قوة وخبرة بمرور السنين، حيث وبعد كفاح دام أربع سنوات هاهي الثورة تتنفس نفسا جديدا وينبعث فيها أملا كبيرا للثبات والاستمرار، حين أرغمت العدو رغم جبروته من تغيير استراتيجياته الأمنية وتفكيره اتجاه مستقبل هذه المستعمرة المختلفة عن باقي مستعمراته من حيث الأهمية، كما أنها خلقت العديد من التناقضات في أوساط الرأي العام الفرنسي خصوصا داخل نخبته المثقفة التي اضطرت لمراجعة إيديولوجياتها ومبادئها من جديد بعد معاشيتها للأحداث وإحساسها بألم الحرب التي يعاني منها الجزائريون منذ سنين طويلة.

وهكذا كانت نتائج العمليات مرضية جدا سواء في الميدان التقني أو السياسي، محققة لجل أهدافها على جميع المستويات الوطنية بزيادة الالتفاف الشعبي حول الثورة وتأكيد دور الولاية السابعة في الحرب على غرار بقية ولايات الوطن، والعربية بتعزيز موقف الثورة في علاقاتها مع الدول العربية الشقيقة خصوصا مع مصر، أو على الصعيد الفرنسي بعد تأكيد الشعب من قيام حكومتهم بحرب حقيقية في الجزائر رغم ازدواجية كلامها، والعالمي بعد أن تزايد الاعتراف بعدالة القضية الجزائرية ووجوب نصرتها.

كما تجلى أيضا موقف الصحافة في اتفاقها مع المصالح الحكومية من أجل تشويه سمعة مناضلي ومؤسسي شبكات دعم الثورة التحريرية ووصفهم بالخونة والعملاء الذين طعنوا ظهر فرنسا بتصرفهم ذاك، وبالتالي ينبغي إظهارهم للشعب الفرنسي بأنهم سبب تقوية شوكة المتمردين الجزائريين في الأراضي الفرنسية من خلال تقديم الدعم المالي واللوجستي لهؤلاء رغم تسببهم في مقتل المئات من عناصر الشرطة وأفراد مختلف الأسلاك الأمنية.

1 بوداود، مصدر سابق، ص 169.

2 Jacques Duquesne, pour comprendre la guerre d'Algérie, éditions Perrin, 2001 et 2003, p287.

ثالثا: رد فعل التيار اليساري الفرنسي

تشابهت مواقف الأحزاب الفرنسية بشأن الثورة التحريرية وكان القاسم المشترك بينها هو رفض فكرة الانفصال للجزائر عن فرنسا، والوقوف موقف العداء لنشاط "ج.ت.و" على الأراضي الفرنسية، إلى جانب تبني نفس موقف الحكومة الفرنسية في التغطية على الجرائم المرتكبة في حق المهاجرين الجزائريين، وإخفاء حقيقة الأحداث والتغيرات التي شملت التراب الفرنسي على يد مناضلي فدرالية الجبهة، ولم يتوقف الأمر هنا فحسب بل حاولت بعض الأحزاب التي كانت مهيمنة على الساحة السياسية الفرنسية استمالة المهاجرين الجزائريين والتأثير عليهم نفسيا بضرورة التخلي عن ثورتهم وأن مصلحتهم ومستقبل عائلاتهم مرتبط بمصلحة الاقتصاد الفرنسي ومستقبل الجمهورية الفرنسية.

تنقسم الحياة السياسية في فرنسا إلى قسمين يمين ويسار وذلك منذ أحداث الثورة الفرنسية سنة 1789 حين ثار الشعب الفرنسي على أسرة آل بوربون الملكية الحاكمة، حيث انتظموا في شكل جمعية وطنية تأسيسية وبسبب اختلاف آرائهم اجتمعوا في قاعة بباريس في حديقة تويلور وكانت منهم فئة تؤمن بصلاحيات قوية للملك ويكون مدعوما ببرلمان وقد جلسوا إلى يمين المنبر، في حين كان فريق آخر يريد التقليل من صلاحيات الملك وقد جلسوا إلى يسار المنبر، وعندما قاموا بالتصويت للحسم بين الفريقين فاز اليسار بـ 673 صوت مقابل 325 صوت لليمين¹، ومع مرور الوقت ظهرت بين اليمين واليسار منطقة سياسية في الوسط، الوسط اليميني والوسط اليساري، وأصبح الرئيس الفرنسي إما يمينيا أو يساريا.²

بقي هذا التصنيف الثنائي منذ ذلك الوقت معمول به إلى وقتنا الحاضر سواء في فرنسا أو في الأنظمة الديمقراطية العريقة، ويختلف الفريقين عن بعضهما في المبادئ والمواقف حيث يحرص اليمينيون على حرية الفرد في العمل لتحقيق الأهداف مهما كانت النتائج خصوصا في المجال الاقتصادي مثل أبعاد المعاملات الاقتصادية عن تأثير الدولة³، في حين يدافع اليساريون عن حقوق الطبقات الاجتماعية المهمشة والضعيفة لاسيما فئة العمال كونهم السبب الرئيسي في بناء اقتصاد الدولة ويسعون لحمايتها وتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الطبقة.

* مناورات الاتجاه اليساري لاحتواء المهاجرين الجزائريين:

يعود ظهور الحزب اليساري إلى ترتيب جلوس النواب الممثلين لعامة الشعب من الطبقة الكادحة في المجلس الوطني الفرنسي خلال القرن الثامن عشر على يسار الرئيس الذي كان يجلس على قسم عال يسمى الجبل، وقد طالبوا بدستور فرنسي جديد ومجلس تشريعي موحد يضمن حقوق الجميع، معارضين

1 أحمد سعيفان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، عربي - انجليزي - فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 2004، ص 408.

2 كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000، ص 39.

3 Louis-marie morfaux, Jean Lefranc, nouveau vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines, Armand Colin, nouvelle édition, Paris, 2009, p 210-211.

مطالب طبقة النبلاء بسبب دعمهم للمصالح الملكية والارستقراطية والكهنوتية وهم من يُطلق عليهم اسم الجناح اليميني.¹

اختلفت أحزاب اليسار الفرنسي عن الأحزاب اليمينية بمحاولتها المحافظة على قيم ومبادئ وقيم الثورة الفرنسية، والعمل على إرساء أفكار الجمهورية الديمقراطية، والحرص على احترام وتجسيد مبادئ الثورة الفرنسية (الأخوة . الحرية . المساواة)، لكن ورغم اتفاق اليسار الفرنسي باختلاف مشاريعه وتوجهاته على مبدأ واحد وهو مناهضة الاستعمار ومساندة الكفاح التحرري في كل المستعمرات دون أي استثناء، وتأكيد إيديولوجية رفض الامبريالية العالمية والدفاع عن المبادئ الأساسية للبشرية القائمة على المساواة في العيش جميعا تحت لواء الحرية والديمقراطية، إلا أن هذه الإيديولوجية سرعان ما ستتكيف مع الواقع الذي سيتدخل في تصحيح المسار داخل مواقف اليسار في تحقيق مثله الإنسانية والاجتماعية.

تحدث "بوداود" عن هذا التأييد من طرف التيارات والأحزاب اليسارية الفرنسية فقال: "توفرت لنا في باريس، فرص التعرف على فرنسي اليسار من نقابيين، شيوعيين، تروتسكيين، ومسيحيين أحرار ورهبان عمالين، كانوا مهتمين بالقضية الاستعمارية ومتفهمين أوضاعنا، حتى وإن لم يقفوا كلهم إلى جانب الاستقلال إلا أنهم كانوا يعلنون تأييدهم لتحرر الشعوب المقهورة، وتمكين المستعمرات من حكم ذاتي واسع الصلاحيات، شكل ذلك أرضية تفاهم معتبرة".²

* المواقف المتناقضة للأحزاب اليسارية:

1. اليسار المعتدل:

1. 1. الحزب الشيوعي: Parti Communiste Français (PCF)

كان هذا الحزب الذي يعد أحد أحزاب تيار اليسار الفرنسي، وعضوا في الأمم المتحدة العالمية (الشيوعية) الأكثر تأثيرا على الساحة الفرنسية من جهة وعلى المهاجرين من خلال نقاباته العمالية من جهة أخرى، فحاول أن يظهر كعادته مظهر المدافع عن حقوقهم الاجتماعية والسياسية نظرا لارتباطه التاريخي بالإيديولوجية الشيوعية التي لطالما دافعت عن الطبقات البروليتارية وطالبت بالمساواة وإنهاء الطبقة في المجتمعات، ومواجهة غطرسة الهيمنة الليبرالية والرأسمالية العالمية، جاعلا بذلك مبادئه الأساسية معاداة الكولونيالية ودعم الحركات التحررية، وكان قائما على مبدأ الشيوعية أو الإيديولوجية الطبقة، وهذا ما جعله يضم طبقة واسعة من العمال والفلاحين وسكان الأرياف مثلت أزيد من 40% إضافة إلى نسبة قليلة من الحرفيين والموظفين.

1 جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية الاشتراكية - الليبرالية - القومية - السلفية، تر وتح: ناجي الدراوشة، ج3، ط1، دار التكوين، دمشق، 2010، ص740.

2 بوداود، مصدر سابق، ص ص 77-78.

قام الحزب الشيوعي الفرنسي على عدة مبادئ اتخذ الالتزام الكامل بها شرطا أساسيا للانضمام إليه، وكان أهمها على الإطلاق هو الدعم التام للكفاح التحرري والذي ورد أيضا كشرط ضروري في الأممية العالمية للشيوعية: "كل حزب منضوي تحت لواء الأممية الشيوعية الثالثة الكشف بدون شفقة أو رحمة عن كل الانتهاكات التي تحدث في المستعمرات الإمبريالية ومساندة حركات التحرر، على أن لا يقتصر ذلك على الجانب المعنوي فحسب، بل يشمل أيضا الجانب المادي، والعمل على طرد الإمبريالية من المستعمرات"¹، ومن هذا المنطلق كان على الحزب الشيوعي الالتزام بهذا المبدأ ودعم الكفاح الوطني في الجزائر ورفض السياسة الاستعمارية التي ينتهجها الاستعمار الفرنسي، غير أن المتتبع لمواقفه يجد أن ترددا جليا وغموضا كبيرا قد طبع سياسة الحزب ومواقفه.

تحالف الحزب لشيوعي عندما كان في السلطة ضمن ائتلاف مع الاشتراكيين والجمهوريين، لكنه سرعان ما انفصل عنهم مشكلة جبهة معارضة بمجرد تحول السياسة الخارجية لفرنسا نحو الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت على ضم دول أوروبا الغربية إلى فلكها الرأسمالي بعد الحرب العالمية الثانية في إطار تنافسها الإيديولوجي مع الاتحاد السوفيتي، وتبنيها موقف إعادة بناء أوروبا المنهارة من الحرب من خلال تقديم دعم اقتصادي وعسكري على غرار "مشروع مارشال" و"حلف شمال الأطلسي". الناتو. لمواجهة الشيوعية في المنطقة.

يختلف الحزب الشيوعي الفرنسي عن مثيله في الاتحاد السوفيتي وعن بقية الأحزاب الشيوعية في العالم، في كونه لا يدعو إلى وجود حزب واحد من أجل التحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية من جهة، ومن ثم فهو لا يشكل أي خطر على الديمقراطية الغربية، كما أنه من جهة أخرى يدعو إلى التفاهم باستمرار مع الحزب الاشتراكي والبحث عن نقاط التقاطع معه والقواسم المشتركة بينهما²، لكن بعد وفاة ستالين سنة 1953 أصبح هذا الحزب عاجزا ومفتقدا للديناميكية والحركة ولم يساير التحولات التي جاءت مع القيادة الجديدة في الاتحاد السوفيتي³، ومع ذلك فإنه كان دوما حريصا على إتباع سياسة تتوافق مع السياسة السوفيتية حيث عارض توجه الحكومة الفرنسية نحو الولايات المتحدة الأمريكية معتبرا أن ذلك سيخلق تبعية للإيديولوجية الأمريكية.

يتضح تناسق موقف الحزب الشيوعي مع الحكومة الفرنسية في رفضه انفصال الجزائر عن فرنسا وتعامله بخصوصية عالية مع القضية الجزائرية دون سواها من المستعمرات، ففي الوقت الذي اتخذ فيه موقفا صريحا من الكفاح التحرري في المغرب والهند الصينية حيث التزم بمبادئه وأظهر دعمه ومساندته لهما⁴،

1René Dany, la partie et le tout, le PCF et la guerre Franco algérienne, Syllepse, Paris, 1990, p 36.

2 عبد الستار الطويل، اليسار الأوروبي، دار الثقافة الجديد، القاهرة، د ت، ص 47.

3Alfred Grosser, la 4^{eme} république et sa politique extérieure, presse universitaire 02^{eme} édition, Paris, 1966, p 103.

4Sylvain Pattieu, les camarades des frères: trotskistes et libertaires dans la guerre d'Algérie, éditions Casbah, Alger, 2006, pp 26-27.

لاسيما عند تأسيسه للجان مختلفة تنشط في إطار النضال ضد الإمبريالية الاستعمارية كلجنة الدراسات الاستعمارية، الرابطة المناهضة للإمبريالية والقمع الاستعماري¹، تحول هذا الدعم إلى معارضة إذا تعلق الأمر بالنضال في الجزائر وتصبح الأولوية لدعم الموقف الحكومي الفرنسي في حل القضية، وكأن الجزائريين لم يكونوا بصدد النضال ضد الإمبريالية الكولونيالية، وهذا ما يبين التوافق بين الحزب والحكومة فطالما عاملت هذه الأخيرة القضية الجزائرية باستثناءات كبيرة، حتى وصل بها الأمر إلى التنازل عن العديد من مستعمراتها في إفريقيا وآسيا ومنحها الاستقلال من أجل التفرغ للقضاء على الثورة الجزائرية والسعي بكل السبل للاحتفاظ بالجزائر.

حاول الحزب الشيوعي خلق توازن بين الوفاء لمبادئه وتعزيز مكاسبه السياسية وفي الوقت ذاته تأكيد ميولاته الوطنية، من هذا المنطلق كان دائم السعي للعب على الحبلين من خلال محاولة استمالة الجزائريين وتقديم نوع من الدعم لفدرالية جبهة التحرير الوطني لكنه في الحقيقة لم يكن دعما كافيا ولا يرتقي لمستوى الدعم المطلوب الذي كانت الفدرالية بحاجة ماسة إليه، وفي الوقت نفسه حاول أيضا كسب ثقة الفرنسيين والالتزام بعدم الخروج عن مسار التوجه الرسمي للحكومة الفرنسية، لذا فقد أولى اهتماماته للمطالبة بتوفير السلام واستتباب الأمن والاستقرار، حيث كان شعاره "السلام في الجزائر" وليس "المقاومة من أجل الاستقلال"، وحرص على تعبئة الرأي العام الفرنسي بأن هذه الغاية الأسمى له وللحكومة الفرنسية نفسها من خلال بقاء الجزائر جزءا من فرنسا، في محاولة منه لتهدئة الأوضاع الاجتماعية والأوساط النقابية في فرنسا.

بقيت حرية الشعب الجزائري تحتل مكانا ثانويا في اهتمامات الحزب الشيوعي بدليل الغموض الكبير الذي ساد مواقف هذا الحزب في السنوات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية، رغم محاولة قادة الفدرالية مد جسور المحبة والتواصل مع الحزب²، حيث كانت أولى محاولتها لإنجاح هذا الاتصال هو إرسال "أحمد الإبراهيمي" الذي كان مسؤولا عن الدعاية والإعلام من أجل عقد لقاء مع المسؤولين عن الحزب الشيوعي وهما كل من "ليون فيكس" "Lyon Féix" وأندري مينيو "André Minier"، لكن اللقاء انتهى بالفشل وعدم توصل الطرفين لأي اتفاق يرضيهما خاصة بعد أن رفض الحزب تقديم أي دعم للثورة³، مع التحذير من أنها كسائر الحركات الوطنية التي سبقتها تحركها القوى الخارجية⁴.

نشرت "ف.ج.ت.و" بفرنسا وثيقة بعنوان "الحزب الشيوعي الفرنسي والثورة الجزائرية" في 15 فيفري 1958، وأضحت فيها أن هذا الحزب أبدى موقفا رافضا لاستقلال الجزائر منذ اللحظات الأولى لاندلاع الثورة بدليل أنه أدان العمليات التي نفذها المجاهدون ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، واعتبرها

1Richard Laurent Omgba, la littérature anticolonialiste française de 1914-1960, éditions l'Harmattan, Paris, 2004, p113.

2 Harbi, une vie debout..., op.cit, p154.

3الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، مصدر سابق، ص 111.

4Martin Evans, Mémoire de la guerre d'Algérie, l'Harmattan éditions, Paris, novembre 2007, p55.

أعمالا فردية لا تخدم مصلحة الجزائريين في شيء، كما ذكرت الوثيقة أيضا عدد المواقف المخزية للحزب الشيوعي التي لا تشرف المبادئ الماركسية التي يؤمن بها، وعلى رأسها رفض الاعتراف بكفاح الجزائريين من أجل نيل الاستقلال والحرية.¹

الحقيقة أن هذا التذبذب في موقف الحزب الشيوعي لم يقتصر على الثورة فحسب بل إنه كان واضحا جليا منذ البداية فمثلا في بداية الثلاثينات أشار الأمين العام للحزب "موريس تورز" "Maurice Thorez" إلى أحقية الشعب الجزائري بنيل استقلاله في خطابه أمام مجلس النواب الفرنسي الذي قال فيه: "من حق الشعب الجزائري نيل الحرية والاستقلال والتخلص من قبضة الاستعمار"²، غير أنه وبمجرد وصول اليسار إلى الحكم سنة 1936 تغير هذا الموقف 180 درجة حيث صرح "ليون بلوم" "Léon Blum" أمام البرلمان الفرنسي قائلا: "إن الدول المتقدمة لها الحق على الدول الضعيفة..."³، وتراجع "موريس تورز" عن موقفه حين صرح خلال زيارته للجزائر سنة 1938 بقوله: "إن من مصلحة الجزائر أن تبقى مرتبطة بفرنسا".⁴

ثم جاءت مجازر الثامن ماي 1945 التي راح ضحيتها أزيد من 45 000 شهيد والآلاف من الجرحى والمعتقلين والمفقودين في جريمة شنعاء ستبقى وصمة عار على فرنسا وحضارتها المزعومة لتؤكد برغماتية الحزب الشيوعي الفرنسي، فرغم اعتراف الرأي العالمي ببشاعة هذه المذابح ووحشية الرد الفرنسي على الجزائريين الذين كانوا متظاهرين سلميا، إلا أن الحزب الشيوعي كان له موقف آخر موافق تماما لموقف الحكومة الفرنسية، حيث برأ حكومته وحمل الجزائريين خصوصا الثوريين منهم المسؤولية الكاملة عما حدث حيث علقت صحيفته "L'Humanité" في افتتاحيتها بقلم "ليون فيكس" "Léon Feix" بما يلي: "...أن الأدوات الإجرامية للاستيطان الكبير هو حزب الشعب الجزائري وقيادته الممثلة بمصالي الحاج والجواسيس... فهؤلاء لم يحركوا ساكنا للدفاع عن الحرية أثناء التواجد النازي ولم يفتحوا أفواههم بكلمة، أما اليوم وبعد التخلص من الديكتاتورية هم يطالبون بالاستقلال والحرية، وبالتالي فمن الواجب معاقبة منظمي هذه الاضطرابات والمتسببين فيها".⁵

إن موقف الحزب الشيوعي من الإرهاب الفرنسي ضد الجزائريين لا يستند إلى تعاليم الشيوعية ولا إلى أي اعتبارات مبدئية، وقد أثبت بمواقفه تلك عدائه للثورة الجزائرية ويكشف التناقض الصارخ بين الأقوال والأفعال، بين المبادئ التي ظلت تراوح الشعارات والخطابات السياسية التي كان هدفها بالدرجة الأولى

1Le parti communiste français face a la révolution algérienne, EL Moujahid, V1, H12, le 1^{er} avril 1958, pp 400- 401.

2Sylvain Pattieu, op.cit, p27.

3Karim Philipe Felissi, Jacques Vergés l'anticolonialiste, entretiens avec Philippe Karim Felissi, Chihab édition, Alger, 2005, p25.

4Sylvain Pattieu, op.cit, p27..

5Laurent Theis et Philipe Ratte, la guerre d'Algérie ou le temps des méprises, maison mam, premier trimestre, Tours, 1974, p 66.

التعبئة الشعبية وبين الممارسات العملية التي كشفت المستور على أرض الواقع وبين سكوته عن جرائم فرنسية يندى لها الجبين، فبرهن بذلك لمناضليه قبل منافسيه ومعارضيه مخالفته لمسؤوليته التاريخية التي فرضتها عليه الظروف آنذاك فلم يؤدّها ولم يلتزم بها، وأثبت بذلك أن موقفه كانت متماشية ومتناسقة تماما مع الموقف الحكومي الرسمي ومتفقة معها في فكرة جوهرية مفادها أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، ومن ثمة ضرورة الحفاظ على وحدة التراب الفرنسي وقمع الثورة بشتى الوسائل سواء في الجزائر أو في فرنسا.

لقد حالت العديد من الخلفيات والمعوقات دون وصول الحزب الشيوعي إلى المهاجرين الجزائريين بفرنسا وتعميق التواصل وتمتين العلاقة بينهما، حيث لم يكن تأثر الحزب الشيوعي مقتصرًا على السياسة الحكومية الفرنسية القائمة أساسًا على نظرية "فرق تسد" والتي تجسّدت في سعي الكثير من أرباب العمل والمصانع لتشثيت وتفكيك الطبقة العاملة فحسب، بل تأثر أيضا بالأحكام العنصرية المسبقة التي كان يحملها العديد من الأوروبيين اتجاه المهاجرين عامة والجزائريين منهم بشكل خاص¹، إضافة إلى التباين العرقي واللغوي بين الطرفين وجهل إشارات الحزب باللغة العربية واللهجات الجزائرية² إذ كان المهاجرون يتركزون في مختلف المناطق الفرنسية حسب مناطق أصولهم في الجزائر (القبائل، الشاوية، القسنطينية، السطايفية، التلمسانيين... الخ) ما صعب عليهم الانخراط في العمل النقابي وفهم تقنياته لتحقيق طموحاتهم المهنية والوطنية.

كما لعب بعض الفرنسيين من كانت لهم علاقة بأصدقائهم من الشيوعيين الذين أعلنوا تأييدهم للثورة دورا في التأثير السلبي عليهم من خلال نشر روح التشاؤم وزرع مخاوف لديهم بحتمية الفشل لدى الثورة ونجاح فرنسا في القضاء عليها وقتل وسجن مناضليها نظرا لاختلال موازين القوة لصالحها، ومن بين ما كانوا يقولونه في إطار السخرية من الثوار الجزائريين: "سوف تذهبون إلى المغامرة وفرنسا قوة عسكرية كبيرة ولا يمكنكم الصمود أو مواصلة الكفاح لوحدكم وليس لديكم إشارات، سيقتبض عليكم وستقتلون..."³ ساهم الحزب الشيوعي في إضعاف الثورة التحريرية معنويا بعد أن أعطى موافقته على سياسة حكومته حين صوت في 02 مارس 1956 على القرار القاضي بمنح التفويض المطلق لرئيس الحكومة آنذاك "غي موليه" "Guy Mollet"⁴، مؤكدا بذلك دعمه للانتهاكات والتجاوزات المرتكبة من طرف الإدارة والجيش الفرنسيين، وبالتالي استمرار سياسته التقليدية ومواقفه السلبية اتجاه الثورة الجزائرية، إلى درجة انشقاق العديد من أعضاء الحزب عن القيادة العامة له التي بررت هذه الموافقة على القانون بأن الهدف

1François Weiss, Doctrine et actions syndicales en Algérie, Besançon, Imprimerie moderne de l'Est, 1970, p19.

2 كمال بوقصة، مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، تر: ميشيل سطوف، دار القصة للنشر، 2005، ص 220.

3 محمد فارس، "أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية، جذورها، تطورها، مراحلها حتى 1962"، مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية

(الاتحاد العام للعمال الجزائريين)، ط1، الجزائر، 1989، ص137.

4هارون، مصدر سابق، ص394.395.

الأسمى لها هو التوصل إلى إقرار السلم في الجزائر من خلال إقرار فرض الذهاب إلى المفاوضات ثم الاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها بنفسها¹، غير أن هذا التبرير لم يقنع الأعضاء المنشقين عن الحزب بل ضلوا على معارضتهم للقيادة واعتبروها تبريرات واهية لا تمت للواقع بصلة.

في ذات السياق أكد الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي "موريس توريز" ابتعاد مصلحة الحزب عن ج.ت.و ونشاطها بفرنسا، واعتبرها خطرا على الحزب وعلى المصلحة العليا لفرنسا، ثم حذر أعضاء الحزب من الانسياق وراء شعارات الجبهة وأعمالها التحريضية، وأي عضو يثبت دعمه لها سيحرم من خدمات الإيواء وضمان الاتصالات وطبع ونسخ النصوص والمناشير ونقل الحقائق والأسلحة سيتعرض لخطر الطرد النهائي من الحزب، مؤكدا أن تعليمة الحزب هي: إياكم والعمل مع جبهة التحرير الوطني " وكل معارض هو خائن ومتهم بالتآمر ضد الحزب والوطن²، وأثبت بموقفه هذا التناقض الصارخ بين الالتزام بمبادئه التي لطالما تعنى بها في محاربة الإمبريالية الكولونيالية وإخلاصه لسياسته التعسفية التي تجاوزت في قسوتها كل القوانين الدولية.

لقد أكد "توريز" بكلامه هذا أن موقف الحزب الشيوعي لم يتغير مع تطورات الثورة التحريرية بل امتد في رفضه مساندة القضية الجزائرية محافظا على موقفه السلبي الذي تجسّد في أكثر من مناسبة حتى قبل اندلاع الكفاح المسلح، فمثلا كان أحد قادة الحزب "ليون فيكس" قد نشر مقالا في مجلة "دفاتر الشيوعية" سنة 1947 معبرا عن تمسك الحزب ببقاء الجزائر قطعة فرنسية والوقوف ضد أية محاولة لاستقلال الجزائر وانفصالها عن فرنسا، حيث ورد في مقاله: "إن استقلال الجزائر ليس مرغوب فيه ولا هو محتم، بل ويُقدّم كحل خاطئ، ونقول لكل من يؤمن بهذه الفكرة أنها أطروحة مرفوضة من قبل جميع الشيوعيين... كما أن الشيوعيون لا يساندون مطالب الحركة الوطنية الجزائرية في الوقت الحالي لأن هذه المطالب التي يتبناها حزب الشعب الجزائري لا تخدم الجزائر ولا فرنسا بل ستؤدي إلى أسوء الانتكاسات..."³

رغم الطابع العام لموقف الحزب الشيوعي الذي تميز بتأييد سياسة الحكومة الفرنسية إلا أن العديد من أعضائه كان لهم موقف مخالف تماما لمواقف قيادة الحزب حيث عملوا على تقديم دعمهم الكامل للثورة التحريرية ونضال الجزائريين⁴، وبقوا محافظين على مبادئهم الأساسية القائمة على معارضة الاستعمار وسياسته الجهنمية في المستعمرات، وحق شعوب هذه الأخيرة في تقرير مصيرها والعيش بحرية كغيرها من الشعوب المستقلة. يبدو أن هذا الموقف لأعضاء الحزب قد أثر على القيادة فيه وأزال عنها الضبابية

1Henri Alleg , retour sur la question entretien avec Gilles Martin , Le temps des Cerises, septembre 2001, pp 40-41.

2Haroun, op, cit, pp 296 – 297.

3Jean- Pierre Vernant, le PCF et la question Algérienne 1959, N°13, dans Vacarme, 2000, p 30.

4House et Mac Master, Paris 1961, les Algériens la terreur d'état et la mémoire, Edition Casbah, Alger, 2012, p247.

التي كانت تغطيه، حيث أعاد الحزب اتصالاته بفدرالية الجبهة بفرنسا منذ سنة 1959 وقدّم بعض المساعدة لها خصوصا بمساهمته في طبع سبعة أعداد من جريدة المقاومة، ثم أكّد دعمه بشكل أكبر بعد مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وما صاحبها من قمع فرنسي عنيف أجبر الحزب على الخروج عن صمته والإقرار بقسوة الرد الفرنسي على المتظاهرين والعنف الكبير الذي سلّط عليهم وحق الجزائريين في تقرير مصيرهم¹، مع التأكيد على تقديم الدعم الممكن للجبهة ومناضليها على مستويات مختلفة سواء سياسة ودبلوماسية أو تموينية وعسكرية، ورغم أن هذا الدعم جاء متأخرا إلا أن الفدرالية قبلت بها لأن هدفها كان زيادة الضغط على الحكومة الفرنسية عن طريق أحزاب اليسار الفرنسي وإجبارها على إيجاد حل سريع وعادل للقضية الجزائرية.

2.1. موقف الحزب الاشتراكي:

شكّل أحد أهم التشكيلات السياسية الفرنسية التي كان لها الأثر البالغ على تاريخ العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وهو حزب شعبي يعتمد في نضاله بالدرجة الأولى على استقطاب القاعدة الجماهيرية لاسيما من الفئات المتوسطة بناء على المثل العليا للاشتراكية، حيث تتركز مطالبه على تحسين أوضاع هذه الطبقات في المجتمع من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية وتخفيض الضرائب وترقية التعليم وتعميمه على أوسع نطاق، إضافة إلى الدفاع عن حقوق العمال وتحسين ظروف عملهم، ويقوم على اعتماد الطرق السلمية في الوصول إلى التغيير المطلوب وتحقيق النتيجة المرجوة، وله توجه لائكي وعلماني لهذا فهو يعترف بوجود النظام الرأسمالي في إطار النظام الديمقراطي، ويؤمن بفصل الدين عن الدولة، ومن هذا المنطلق فقد كان يعبر عن آمال فئات اجتماعية واسعة في المجتمع الفرنسي ما جعله يحضّا بتأييد شعبي كبير في مختلف التظاهرات والمواعيد الانتخابية.

باعتبار أن الكنيسة ورجال الدين هم من كان السبب الأول لتخلف أوروبا في فترة العصور الوسطى ومعاناتها من الجمود الاقتصادي والركود الثقافي فإن هذا الحزب قد جعل توجهه لائكيا ونادى بضرورة الفصل التام للدين عن السلطة السياسية²، ويحمل تسمية رسمية هي "الفرع الفرنسي للأمم المتحدة الفرنسية"، كما أن أهم ميزة تميزه هي الاعتماد الكلي على القاعدة الجماهيرية والشعبية والعمل بكل السبل لكسب دعمها ومساندتها لاسيما الفئات المتوسطة منها، ويقوم على المثل العليا للاشتراكية والاشتراكية الإنسانية، بمعنى أن التغيير يتم بطريقة هادئة وسلمية، ويختلف في هذه النقطة عن الشيوعيين، كما أنه يعترف بوجود النظام الرأسمالي في خضم الأطر الديمقراطية ويعبر عن ذلك بما يسميه بـ "الطريق العادل".³

1 بوداود، مداخلة في الملتقى الوطني لكتابة تاريخ الثورة "الطريق إلى نوفمبر"، مصدر سابق، ص 306.

2 Jacques Chapsal, la vie politique en France depuis 1940 à 1958, 02ème éditions, Paris, Presses universitaires de France, 1966, p 591.

3 أحمد سويلم العمري، معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1958، ص 49 . 53.

كانت نشأة الحزب الاشتراكي الفرنسي سنة 1905 بعد توحيد جميع القوى الاشتراكية بمدينة أمستردام إثر انعقاد المؤتمر الاشتراكي العمالي فيها سنة 1904، وقد كان يضم في البداية ثلاث أجنحة وهي "جناح جاسد" "J. Guesde" الذي ناضل من أجل احتلال السلطة السياسية من طرف البروليتاريا، وجناح "جوراس" "J. Jaures"، وجناح "فايون" "J. Vaillant"، ثم تعرض الحزب إلى الانقسام سنة 1920 في مؤامر "تور" وكانت نتيجة ذلك انسحاب الاشتراكيين الشيوعيين وتأسيس حزبهم كفرع للأمية الشيوعية العالمية.¹

ليعود إلى الحكم بعد سنوات طويلة من المعارضة سنة 1956 بقيادة "غي موليه" "Guy Mollet"، تأثر بالأوضاع الدولية السائدة في خضم الصراع الإيديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية في إطار الحرب الباردة إضافة إلى تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في الجزائر فتعرض جزاء ذلك إلى الانقسام وظهر كل من "اتحاد اليسار الاشتراكي" "UGS" و"الحزب الاشتراكي المستقل" "PSA"، ليتوحد من جديد في "الحزب الاشتراكي الموحد" في أبريل سنة 1960²، والذي عارض حرب الجزائر، ليشمل هذا الموقف بقية اليسار الاشتراكي الفرنسي.³

ضلّت مواقف هذا الحزب إلى غاية سنة 1951 مؤيدة لمجموع السياسة الحكومية في شمال إفريقيا، وإثر اندلاع الثورة التحريرية تبنى نفس الموقف الحكومي في اعتبارها مؤامرة خارجية، منطلقاً من مبدأ الضرورة القصوى لمحافظة فرنسا على كامل أجزاء إمبراطوريتها من خلال الارتباط الكلي أو الفدرالي، حيث عبّر عن موقفه هذا في المؤتمر الوطني لليسار الاشتراكي في نوفمبر 1944 حين ذكر أن هدفه هو تحرير الشعوب الأصلية في المستعمرات ولكن ليس عن طريق انفصالها النهائي عن فرنسا بل عن طريق إقامة وحدة بين فرنسا الاشتراكية والديمقراطية وتلك الشعوب، مؤكداً أن هذه الأخيرة تحركها القوى الخارجية وتحرضها على المصالح الفرنسية⁴، وظلّ بهذه العقلية وفيّاً لمهمة مزدوجة تمحورت أساساً حول مناهضة السياسة الاستعمارية، ورفض النزعة الاستقلالية للجزائريين في الوقت نفسه.

حرصت العديد من شخصيات الحزب الاشتراكي أمثال "كاترو" "Catroux"، "ماسينيون" "Massignon"، و"أبير كامو" "Albert Camus"، و"فرانسوا ميران" "François" ⁵

1 مصطفى أوعامري، "الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920-1954"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016، ص 452.

2 أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة التحريرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005-2006، ص 35.

3 Jacques Kergoat, pivot marceau socialiste de gauche, éditions l'atelier, Paris, 1994, p 289.

4 Evans Martin, Mémoire de la guerre d'Algérie, l'Harmattan, Paris, Novembre, 2007, p55.

5 ميران: ولد في 25 أكتوبر 1916 بمدينة "جارناك" عين سنة 1947 وزيرا لقدماء المحاربين في حكومة رمادي، شغل منصب وزير في حكومات الجمهورية الرابعة إثنا عشر مرة، استقال من حكمة "لانيال" سنة 1953 وشغل منصب الداخلية في حكومة مانديس فرانس ما بين

"Mitrant، على الدفاع عن صورة فرنسا أكثر من الإخلاص لمبادئهم، ومن ذلك أنهم كانوا يعملون من أجل تحقيق التحرر السياسي للمغاربة لكن ضمن الإطار الفرنسي أكثر مما يفكرون في إعطاء إفريقيا الشمالية سيادتها الكاملة، مع التأكيد على رفض كل نزعة انفصالية مهما كان نوعها أو المسؤول عنها.¹

يبدو أن الحزب الاشتراكي سيحذو حذو الحزب الشيوعي في تغيير إيديولوجيته إذ أنه ورغم اتخاذه في البداية موقفا مخالفا ومناهضا للسياسة الاستعمارية وكان ذلك سبب القطيعة بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي، إلا أن سياسته سرعان ما تغيرت جذريا وأصبح له تقريبا نفس الولاء الوطني الذي طبع مواقف الحزب الشيوعي، ليقع هو الآخر في مبدأ التناقض بين المبادئ والممارسات حيث أصبح ولائه الوطني للحكومة الفرنسية طاغيا على مبادئه المناهضة للاستعمار وسياسته التعسفية في حق شعوب المستعمرات سواء في الأراضي الفرنسية أو في مستعمراتها الإفريقية والآسيوية، وهذا ما اتضح جليا عام 1951 حين وافقت المجموعة البرلمانية للحزب على السياسة الحكومية الفرنسية المطبقة في الهند الصينية ومدغشقر وتزوير الانتخابات في الجزائر الذي تم في 1948 لأن ذلك يصب في خدمة المصلحة العليا للوطن، وأصبحت مواقفه رهينة مصالحه السياسية ومدى مشاركته في السلطة الحاكمة وصنع القرار.

كما أنه سيركز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية دون المطالب السياسية في محاولة منه لإمساك العصا من الوسط بين الالتزام بتحقيق العدالة الاجتماعية التي طالما نادى بها كمبدأ له، وإرضاء الجهات الحكومية الفرنسية لتأكيد ولائه الوطني، وفي هذا الصدد ذكرت "البصائر" عن خطاب "ميتران" قوله: "إنني سأقسم كلامي إلى المشاكل العديدة التي تكاثرت فوق أرض الجزائر حتى أصبحت تفوق العد والحصر، وسأتكلم عن المشاكل الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولقد رأينا في كل ميدان من هذه الميادين أشنع وأفزع آثار النظام الاستعماري...إننا لم نتعب كثيرا في البحث عن الثعبان الاستعماري في هذه البلاد..."²، وقد أجابه "فرحات عباس" بقوله: "في الواقع لم يعد ما يقوله يعني شيئا لأن الكلام والأفعال كانت من زمان تتناقض وتتضارب".³

اتخذ اليسار الاشتراكي موقفا معاديا للثورة الجزائرية منذ اللحظة الأولى لاندلاعها فقد كتبت الجريدة الناطقة باسمه "la populaire" في عددها الصادر يوم 03 نوفمبر 1954 معلقة عن العمليات الثورية الأولى بالقول: "كانت العمليات المسلحة منظمة وفق خطة مشتركة، وأن الحل الأمثل للحد منها هو البحث عن منفذي العمليات وتسليط أقصى العقوبات عليهم"⁴، كما صرح "بلوش" "Bloch" وهو مندوب

1954 و1956، ثم منصب وزير العدل من 1956 . 1957، للمزيد أنظر: بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بيجو إلى الجنرال أوسايس، د ط، دار هومة، الجزائر، 2002، ص112.

1 جورج فرسخ، فرانسوا ميتران والقضايا العربية، ج1، دار أزال، بيروت، 1985، ص 49.

2 البصائر، ع 07، 227 ماي سنة 1954.

3 فرحات عباس، تشريح حرب، تر: أحمد منور، نشر المسك، الجزائر، 2010، ص67.

4 Jacques Kergoat, Marceau pivert socialiste de gauche, édition de l'Atelier, Paris, 1994, p 289.

عن الحزب مؤكدا الموقف نفسه بالقول: "إن الجزائر تتكون من ثلاث مقاطعات يرفرف فيها جميعا العلم الفرنسي بألوانه الثلاث، وأن ما يحدث في الجزائر سببه تحريض خارجي مصدره إما الجامعة العربية أو بعض الألمان من أجل إيقاف الإصلاحات الفرنسية".¹

في محاولة لتغطية هذا التناقض عمل الحزب الاشتراكي على نصح الحكومة الفرنسية بتغيير سياستها اتجاه شعوب المستعمرات من العنف والإرهاب إلى اللين والإقناع، من خلال إدماج تلك الشعوب مع فرنسا وفق منظور الشراكة والرؤية الفدرالية، معتبرا أن الاستمرار في سياسة تخويف تلك الشعوب هو السبب الرئيسي لنفورها، كما أنه سيؤد لها رغبة أكبر على التحرر والانفصال النهائي، وهو ما سيشكل تهديدا مباشرا لمستقبل فرنسا إذا لم تتغير سياستها القمعية، وهذا ما اتضح في مؤتمر "آسينار" في جويلية 1955²، كما دعا مناضلوه إلى ضرورة تطوير مطالب الحزب من خلال اللجوء إلى الحلول السياسية وعدم الاكتفاء على المطالبة بالإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي تجاوزها الزمن، لتثبت هذه الأطروحة محاولة الحزب ومساعيه للتوفيق بين ولائه الوطني من جهة ودفاعه عن تقرير مصير الشعوب من جهة أخرى، وكان هدفه تقديم برنامج يميزه عن بقية الأحزاب وفي الوقت نفسه يوصله إلى السلطة ويمكنه من الحكم.

بناء على العديد من تصريحات مسؤولي الحزب الاشتراكي الفرنسي فإنه يمكن تحميل هذا الحزب جانبا كبيرا من مسؤولية استمرار الحرب والقمع في الجزائر، فقد أمر مثلا "فرونسوا ميتران" François Mitrant عندما كان وزيرا للداخلية³ ثم للعدل بتغطية جرائم الاحتلال ضد الجزائريين وإخفاء أية ممارسة يمكنها أن تساعد في تبين الحقيقة أو توفير معلومات من شأنها كشف الانتهاكات الفرنسية⁴، كما أنه منح للجيش صلاحيات الشرطة والعدالة⁵، رغم أنه كان قد صرح في جانفي 1955 عن مشروع قدمه إلى مجلس الوزراء الفرنسي تضمن إنشاء المدرسة الوطنية للإدارة في الجزائر، بهدف تكوين فئة من المسؤولين الجزائريين وتعيينهم في مناصب عليا في جهاز الوظيفة العمومي واقترح توحيد النظام وتطبيق قانون واحد على الجميع مثلما هو الحال في فرنسا.⁶

تجسد هذا الموقف أيضا في تصريح "غي مولي" لجريدة "إكسبرس" سنة 1956 في خضم الانتخابات التشريعية حينما قال: "أن حرب الجزائر حمقاء ولا نهاية لها"⁷، كما صرح "ميتران" في رفضه

1Kader Benamara, Fritz Keller, solidarité en action soutien européen à la résistance algérienne 1954 – 1963, édition Barkat, Vienne, Autriche, 2013, p 68-69 .

2Maquin Etienne, le parti socialiste et la guerre d'Algérie 1954 -1962, édition l'Harmattan, Paris, 1990, p53.

3 محرز عفرون، مذكرات من وراء القبور واقع ومأساة، ج1، تر: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 408.

4Jacques Jurquet, Année de feu: l'Algérie 1954-1956, éditions l'Harmattan, Paris, 1997, p 15.

5 أحسن بومالي، أول نوفمبر 1954، بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص166.

6 بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 407.

7Jacques Kergoat, Marceau pivert, socialiste de gauche, édition de l'Atelier, Paris, 1994, p 292.

للتفاوض مع ج.ت.و بقوله: "إن المفاوضات مع الثوار هي الحرب"¹، كما تميزت فترة حكمه الممتدة ما بين 1954 . 1958 بفتح المعتقلات وتشجيع مختلف أجهزة الأمن في ملاحقة فدرالية الجبهة وقمع مناضليها، حتى بعد خروجه من السلطة وتبني المعارضة، لم يعترض الحزب على السياسة القمعية التي طبقت في الرئيس ديغول سواء عند فرض قانون حظر التجوال على المهاجرين الجزائريين دون سواهم، أو حتى بعد مقتل المئات منهم في المظاهرات السلمية التي نظموها يوم 17 أكتوبر 1961.²

رغم هذا الموقف السلبي للحزب الاشتراكي إلا أنه لم يتوان في إبداء إعجابه بشجاعة الفرنسيين من اليسار، وإن بدا ذلك أقل تلاؤما مع مبادئ الاشتراكية واصفا خيارهم بأنه شكل خطير للمعركة من أجل الكفاح ضد حرب الجزائر³، ولم يخفي مواقفه الجريئة والشجاعة اتجاه قوة الجبهة وانتصاراتها، واعترف بتفوق الجبهة على سياسة ديغول ومخططاته لاسيما بعد رضوخه للتفاوض وفق شروطها واعتبر ذلك مؤشرا قويا لحل النزاع⁴، وبذلك استطاع ديغول كسب بعض المعارك في حين كسبت الجبهة الحرب في النهاية.

لم تشي هذه التناقضات مناضلي الحزب عن المعارضة لهذه السياسة القائمة على تسيير مبادئ الحزب وفق الاعتبارات المصلحية للقيادة، فعارضوها وتطورت هذه المعارضة إلى درجة ظهور تيارات جديدة في الحزب تطالب بالدفاع عن مبادئ القاعدة الشعبية وإرادة الكفاح من أجل تسوية القضية الجزائرية، ومنها الإسراع عن إعلان مفاوضات مع ممثلين مؤهلين لكل الشعب الجزائري مع التخلي عن رؤية الأمين العام للحزب "غي مولي"، وقد أكد الحزب موقفه هذا عندما بارك افتتاح مفاوضات إيفيان خلال اجتماع مؤتمره الثالث والخمسين يوم 16 ماي 1960 ليؤكد بأنه أبرز حزب فرنسي تجلّى فيه الأثر الحقيقي للثورة التحريرية وظلّ مطلبه الأساسي إيقاف العنف ضد الجزائريين.

1.3. الحزب الراديكالي:

مثّل هذا الحزب . الجمهوري الراديكالي والراديكالي الاشتراكي . أحد أهم الأحزاب السياسية الفرنسية التي تفاعلت مع القضية الجزائرية وفق متطلبات الدور السياسي لها سواء في فرنسا أو في الجزائر، كما أن موقفه مثّل جانبا من جوانب التأثير الحاصل بين المسألة الوطنية والمنظومة السياسية الفرنسية في مراحل مختلفة خصوصا فترة الثورة التحريرية، ورغم كونه يُعدّ أقدم حزب سياسي فرنسي برز خلال زمن الجمهورية الثالثة بباريس في 21 جوان 1901، إلا أن دوره تجسّد بشكل أكبر خلال فترتي الجمهورية الرابعة والخامسة، لكن أثرت عليه تطورات المسألة الجزائرية وأدت به إلى الاتجاه نحو وسط اليمين نظرا لتمسكه بفكرة الجزائر الفرنسية.

1François Malys, Benjamin Stora, François Mitterrand et la guerre d'Algérie, édition Sedia, Alger, 2001, p192.

2كلود ليوزو، مرجع سابق، ص 182 . 183.

3 جاك فيرجاس، جرائم الدولة الكوميديا القضائية، تع: حسين حيدر، ط1، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2013، ص 243.

4Le monde, n°4564, 22 Septembre 1959.

شكل الراديكاليون الدعاية الأساسية لقوى اليسار وهم منقسمين إلى راديكاليين أحرار يتميزون باعتدالهم وقربهم من الوسط اليميني، وراديكاليون اشتراكيين تميزوا بسعيهم للتفاهم مع الاشتراكيين وهو ما تجسّد مؤقتا في مجلس النواب بوفد قوى اليسار، بينما شكل الراديكاليون في مجلس الشيوخ بأطيافهم المختلفة مجموعة اليسار الديمقراطي، وقد ظلوا جميعا يطبقون بين الوطن والجمهورية من جهة ويكثرون العداء نفسه للنزعة الوطنية التي ينتمي إليها اليميني وكذا النزعة الأممية للييسار المتطرف، إضافة إلى كونهم يتقبلون الإصلاحات الاجتماعية عندما لا تكون سببا في إثارة الفوضى، في الوقت الذي ارتبط البعض الآخر منهم بعلاقات وثيقة مع الأوساط العمالية معتبرين النضال ضد الكنيسة سبب تقيم وتحقيق الديمقراطية.¹

كان الحزب يُصنّف في البداية مع تيار اليسار الفرنسي إلى غاية تجربة "بيار مانديس فرانس"² "Pierre Mendès France" حيث كانت مواقفه مشابهة تماما لمختلف الأحزاب اليسارية كالاشتراكية والشيوعية إذ تمحورت مطالبهم على تفعيل الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ومع تبني فكرة الدفاع عن الجزائريين لكن ليس ضمن إطار استقلالهم بل في إطار بقاء الارتباط والتعاون مع فرنسا، غير أن موقف الراديكاليين المنشقين بزعامة "أندري موريس" "André Maurice" بخصوص تطورات المسألة الجزائرية بعد اندلاع الثورة التحريرية جعل الحزب يغيّر الاتجاه ويتجه بشكل واضح في سياسته نحو اليميني، فتغيرت إيديولوجيته من حزب مؤيد لحرية الشعوب المستضعفة والطبقات المهمّشة إلى حزب خادم للمصالح الحكومية مهما كان نوعها حتى وإن كانت على حساب مصالح وطموحات تلك الشعوب.

كان فرحات عباس قد انتقد الراديكاليين في مقال له بجريدة المساواة بتاريخ 05 أوت 1947 وكشف رفضه للتناقض الصارخ في موقف الحزب الذي اقترح استقلالية مالية لميزانية الجزائر على أن تبقى مقاطعة فرنسية لما وراء البحر، إضافة إلى إلغاء أمرية 07 مارس 1944³، خصوصا بعد التصريح الذي أدلى به "مانديس فرانس" في البرلمان الفرنسي باسم الحكومة الفرنسية ردا على من طلب منه من الجزائريين تحقيق الإدماج الكلي للجزائر في فرنسا بقوله: "...لا تخافوا إن الأمة لن تسمح لأحد بأن يخاطر بوحدها، كما أنه ليس هناك أي انفصال ممكن للجزائر عن فرنسا..."⁴، ليثبت الحزب بذلك أن أهدافه لا تختلف عن بقية الأحزاب السياسية الفرنسية آنذاك وهي الدفاع عن المصالح الحكومية الفرنسية لا عن مصالح الجزائريين، ما جعل قيادة الحزب تشعر بالحرج بسبب سياستها الفاشلة في شمال إفريقيا وتغيير مواقفها التي لم تصبح متماشية مع مبادئ مناضليها.

1Joseph Chailley - Bert, dix années de politique coloniale, librairie Armand Colin, Paris, 1902, pp137-138.

2 ولد سنة 1907 وهو رجل دول فرنسي ينتمي إلى الحزب الراديكالي، من أسرة برجوازية يهودية، درس الحقوق في باريس، ترأس الحكومة الفرنسية سنة 1954، ونجح في إنهاء حرب الهند الصينية، ثم أصبح رئيسا للوزراء في فرنسا وتوفي في حادث مرور سنة 1978، للمزيد أنظر: الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2009، ص242.

3Jacques Valette, la France et l'Afrique du nord de 1914 à 1942, Sedes, Paris, 1994, p82.

4 نايت بلقاسم، مصدر سابق، ص 105.

خلال مؤتمر الحزب الراديكالي الذي انعقد بمدينة "ليون" في الفترة ما بين 11 . 14 أكتوبر 1956 الذي تمت فيه مناقشة مسألة النظام وإدارة الحزب، تم طرح المسألة الجزائرية والعلاقات مع الحزب الاشتراكي بقوة، فقد أعلن "مانديس فرانس" أن الابتعاد عن الحزب الاشتراكي كان خطأ جسيماً، وأن الحزب الراديكالي واعٍ بأهمية المشكلة الجزائرية في تحديد مستقبل فرنسا، وحتى يكون هذا الأخير زاهراً يجب المحافظة على الروابط مع الجزائر واستبعاد أي احتمال للانفصال، ومن هذا المنطلق فإن الحزب يرفض التفاوض مع أولئك الجزائريين الذين أكدوا رغبتهم في الانفصال عن فرنسا، كما أكد المشاركون في هذا المؤتمر عن وضعهم ثقة كاملة في الوزراء الراديكاليين ودعوتهم لمواصلة مساعيهم في تحقيق اتحاد المجموعتين في الجزائر ضمن إطار التوازن السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مع توجيه التحية لضحايا الحرب من الجانبين المسلم والفرنسي.¹

بهذا الموقف ظل الحزب الراديكالي طيلة فترة الثورة التحريرية شأنه شأن الأحزاب الفرنسية الأخرى التي ظلّت متمسكة بإيجاد حلول للمشاكل الجزائري ضمن الإطار الفرنسي، وبقي يدافع عن سياسة قائمة على تعزيز الروابط وصيانة العلاقات التي توحد الجزائر وفرنسا، وإفشال كل محاولات للانفصال مع محاولة إقناع الجزائريين في الجزائر والمهاجرين منهم في فرنسا بالموافقة على ذلك وبعث الأمل فيهم بأن مستقبلهم أفضل بدوام العلاقة والتعاون والمصالحة الضرورية مع فرنسا مع تحقيق المساواة والإصلاحات بين جميع الفئات الاجتماعية من أجل تحقيق مبادئ الحزب الراديكالية القائمة على التضامن، الإنسانية، التسامح والديمقراطية.

2. اليسار المتطرف: Extrême Gauche

يطلق على هذا الاتجاه تسميات أخرى عديدة منها "اليسار الثوري"، "اليسار الراديكالي"، أو "أقصى اليسار"، وهي تعبّر عن التشدد في مواقفه والالتزام الكبير بمبادئه عكس بقية أحزاب اليسار الأخرى، حيث ظلّت أحزاب اليسار المتطرف المتمثلة أساساً في "الاتجاه الفوضوي" "Fédération" "Anarchiste"، واتجاه "اللاسلطوية" "Libertaires"، وكذا اتجاه "الثروتسكيين" "Trotskyistes"، قائمة على ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية وتعميم المساواة الكاملة بين جميع البشر دون أي استثناء، وبسبب تمسّكها بمبادئها واستمرارها في الوقوف في وجه الجرائم الفرنسية في حق الجزائريين فقد استقطبت الإطارات والمناضلين اليساريين الذين انشقوا عن أحزابهم كالشيوعية والاشتراكية وأحدثوا قطيعة معها بعدما تخلّت عن إيديولوجيتها في موقفها من القضية الجزائرية عامة والثورة التحريرية بشكل خاص.

1.2. الاتجاه الفوضوي: "Tendance Anarchiste" (Ta)

هو حركة لاسلطوية مناهضة للاستعمار بجميع أشكاله غايتها الأساسية الحرية من خلال تكوين مجتمع حر تنعدم فيه كل أشكال العبودية والطبقية واللامساواة، دون وجود أحزاب أو سلطة مهما كان

1 Marcil Roby, un siècle de radicalisme, presse Universitaire, Septentrion, 2004, p105.

نوعها سياسية كانت أم عسكرية، ومن هذا المنطلق وقف هذا الاتجاه إلى جانب القضية الجزائرية وأقرّ بعدالتها كما ساند المهاجرين الجزائريين بفرنسا وقدّم لهم كل الدعم، كما عمل على محاربة وكشف كل أشكال الاضطهاد التي كانت تُمارس ضدهم، واستنكار القمع المُطبق من طرف الدولة الفرنسية على الجزائريين عموما وعلى المهاجرين منهم بفرنسا على وجه الخصوص.

على الرغم من أن هذا التيار لم يكن مقتصرًا على الدفاع عن الجزائريين بل كان يسعى إلى إقامة مجتمع حر خال من كل أشكال الطبقة¹، إلا أنه دفع في مرات عديدة ثمن موقفه الرافض للاستعمار وإدائته للممارسات الاستعمارية ضد الجزائريين، ومنها تعرضه لتهديد منظمة الجيش السري العسكرية "L" "OAS" التي نفذت الكثير من المحاولات لاغتيال مناضلي هذا التيار الفوضوي بل استهدفت حتى أنصاره من مختلف الفئات الاجتماعية، كما تعرّضت مكتبته التي كانت تسمى "العالم اللاسلطوي" "le monde libertaire" الواقعة في شارع "تورنو" الواقعة في شارع "Ternaux" في العاصمة باريس لعملية هجوم مسلح من خلال تفجير قبلة فيه.²

أورد "محمد مشاطي" أحد قيادي "ف.ج.ت.و" بفرنسا في مذكراته بعضًا من مظاهر الدعم الذي تلقته ف.ج.ت.و من طرف أصحاب الاتجاه الفوضوي خاصة "جان جاك روسي" الذي وضع شقيقه تحت تصرف المناضلين الجزائريين وكان متعاطفا مع الثورة الجزائرية، لأنه كان يعتبر نفسه حرا ولا ينتمي لأي تنظيم سياسي فرنسي، فقال: "كان جان جاك روسي من التيار الفوضوي متعاطفا مع قضيتنا وقد وضع مسكنه تحت تصرفنا من أجل إنجاز كل أعمال طباعة الوثائق، وكنا أحيانا نعقد اجتماعاتنا عنده".³

بعد كشف العديد من الفرنسيين الذين كانوا أصدقاء للثورة عن أساليب التعذيب الفرنسية التي فاقت كل الحدود، من خلال كتابة الكثير من المقالات في مختلف الجرائد خصوصا اليسارية منها مثل صحيفة "العالم اللاسلطوي" "le monde libertaire"، وتأليفهم للعديد من الكتب في هذا السياق على غرار "هنري علاق" "Henri Allag" تحت عنوان "السؤال أو المسألة" "la Question" الذي أثار اهتماما كبيرا من قبل السلطويين حيث أعادوا طبعه في "مكتبة العالم اللاسلطوي" "la librairie du monde libertaire" رغم منع السلطات الفرنسية لذلك، كما شبّه الاتجاه الفوضوي سياسة الشرطة الفرنسية ضد المهاجرين الجزائريين خاص في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بالنازية والفاشية للتعبير عن حجم القمع والوحشية الذي تعرض له هؤلاء المتظاهرين السلميين.

ظلّ هذا الاتجاه رافضا لأساليب التعذيب الفرنسية ضد الجزائريين، مُدينا لسكوت الجهات الحكومية الرسمية على استمرارها دون محاسبة أو أدنى مراقبة، كون مصلحتها كدولة وجهات أمنية تتماشى

1Sylvain Boulouque, les anarchiques français face aux guerres coloniales 1945 -1962, presses de l'atelier, 26270 loriol, France, 01 mars 2003, p19.

2Benjamin Stora, Messali haje, pionnier du nationalisme algérien, 2^e édition, l'Harmattan, Paris, 1986, p213.

3مشاطي، مصدر سابق، ص 89.

مع الإجراءات العقابية والقمعية، وقد ذكر في هذا الصدد: "إن مصلحة الدولة تقتضي تبرير حسب وجهة نظر البرلمانيين كل الأساليب التي تميل إلى الحفاظ على هيمنة الدولة... سيظل التعذيب قائما ومتواصلا مادامت المصلحة العليا للدولة قائمة ومستمرة".¹

رغم هذه التصريحات والاعترافات إلا أن موقف الاتجاه الفوضوي لم يكن مختلفا بشكل كبير عن مواقف باقي الاتجاهات اليسارية الأخرى (الشيوعية والاشتراكية)، حيث لم يخرج موقفه عن التنديد والاستنكار ولم يُترجم هذا التنديد على أرض الواقع إلى دعم ومساندة للثورة التحريرية ومناضلي ف.ج.ت.و. بأي شكل من أشكال الدعم المالي أو العسكري طيلة فترة نضالهم ضد الاحتلال الفرنسي، ولم تحتفظ لنا الكتب التاريخية بأي تدخل من طرف هذا الاتجاه أو أي إجراء ملموس اتجاه الثورة الجزائرية، وهذا ما يمكن اعتباره نوع من الانسلاخ عن المبادئ والإيديولوجيات التي قام عليها.

2.2. التروتسكيين:

يُعد هذا الاتجاه تيار شيوعي ثوري أسسه "ليون تروتسكي" الذي كان يرى أن الثورة الاشتراكية ينبغي أن تكون أممية بحيث تنتقل إلى العالم كافة ولا يجب أن تبقى في بلد واحد، كما اعتبر أيضا أن طبقة العمال المتحالفة مع الفلاحين هي الفئة الوحيدة القادرة على قيادة هذه الثورة وهذا ما جعله مختلفا عن "جوزيف ستالين" الذي كان يؤمن بنظرية الجبهة الشعبية وبقاء الاشتراكية في بلد واحد فقط، وهو ما جعل هذا الأخير يقوم بنفي "تروتسكي" عام 1927 وطرده من السلطة السياسية والحزب الشيوعي، وتتنظم التروتسكية في إطار الأممية الرابعة، كما تعتبر نظرية ماركسية حيث عُرف مؤسسها بـ"الماركسي الأرثوذكسي"، وبسبب استمراره في معارضة سياسة ستالين فقد تم اغتياله سنة 1940 وإعدام أغلبية التروتسكيين في الاتحاد السوفيتي وإزالة نفوذهم هناك.

كغيرهم من اتجاهات اليسار الفرنسي سيكون موقف التروتسكيين متذبذبا من كفاح الجزائريين إذ ظهرت فئة تنتمي لليساري "لانبر" "Lambre" سارت على نفس نهج سابقيها في تفضيل الولاء الوطني على المبادئ ورفض الاعتراف بهذا الكفاح باعتباره يمس أمن فرنسا ويشكل تهديدا مباشرا لمصالحها، ولم يتوقف عند هذا الحد بل ساعد السلطات الفرنسية في زيادة وتعميق حدة الخلاف والانشقاق بين الإخوة الأعداء من الجزائريين من خلال تفضيله للتعامل مع ح.و.ج. التابعة لمصالي الحاج على حساب "ج.ت.و"، حتى وصل به وبأتباعه إلى الدفاع عن مصالي والمطالبة بإطلاق سراحه عندما كان قيد الإقامة الجبرية في مدينة "نيور" الفرنسية.²

وفي الوقت نفسه ظهرت فئة أخرى تُسبب للمناضل التروتسكي "فرانط" "Frank" التزممت بجوهر الحزب الشيوعي الأممي فساندت الشعب الجزائري في كفاحه من خلال إدانة القمع الفرنسي المتواصل في

1Sylvain Boulouque, op.cit, p 67.

2Ivan Crépeau, Mémoire d'un dinosaure trotskyste, secrétaire de Trotski en 1933, éditions L'Harmattan, Paris, 1999, p190.

حقه، والوقوف في وجه الإمبريالية الفرنسية، وفي هذا الصدد أورد "جاك جاركيت" Jacques Jurquet واحدة من تصريحات "إيفان كريبيو" Ivan Crépeau جاء فيها: "لدينا ارتباطات وطيدة مع الحركة الثورية الجزائرية ونحن الأوائل من أدان المذابح الفرنسية في الجزائر يوم 08 ماي 1945 وساندنا حق الجزائريين في الاستقلال".¹

3.2. موقف الحزب الاشتراكي الموحد: PSU

مثّل هذا الحزب رفقة الفئة اليسارية التي انشقت عن أحزابها الفريق الفرنسي الذي يتحرى الحقيقة ويقولها من دون خوف أو أي تراجع عن المبادئ، ويعمل على الحد من الاعتداءات المرتكبة ضد الإنسانية، وقد تأسس يوم 03 أبريل سنة 1960 بعد سلسلة من اللقاءات بين مناضلي مختلف الأطراف في إطار الاتصال والمبادرة ليسار جديد، وقد نشأ من حركة معارضة ثنائية شملت معارضة حزب الجزائر من جهة ومعارضة دعم الفرع الفرنسي للأمم المتحدة العمالية للانقلاب الديغولي الذي حدث سنة 1958 من جهة أخرى، فظلّ وفيًا لمبادئه خائضًا نضالًا سلميًا ضد التجاوزات المرتكبة في حق الجزائريين ومسانداً لحقهم في تقرير مصيرهم، إلى درجة انضمام العديد من مناضليه إلى شبكة "جونسون السرية لدعم الثورة التحريرية بما تحتاج إليه من أسلحة وعتاد حربي.

لم تعارض إدارة الحزب الاشتراكي الموحد انضمام مناضليه إلى هذه الشبكة وتعرض أنفسهم للخطر والتعنيف من طرف القوات الأمنية الفرنسية، بل تعاطفت معهم ووصل الأمر بها إلى مهاجمة باقي قيادة اليسار حيث انتقدت موقفهم من حرب الجزائر، وقد ذكر "جونسون" في هذا الصدد: "لم يكن القادة سوى زمرة من العقائديين الذين غلب عليهم التعصب، والحرص على إيجاد الأعذار للتهرب من اتخاذ موقف صريح وأكثر شفافية من المشكلة الجزائرية... في الوقت الذي ينبغي على اليسار الفرنسي الشيوعي وغير الشيوعي نقل مواقفه الأساسية من حيز القول إلى حيز الفعل".²

يتّضح جلياً أن مواقف التيارات الفرنسية سواء اليسارية أو غيرها كانت كلها تصب في نقطة واحدة هي اعتبار الجزائر فرنسية والالتزام بالدفاع عن هذه الفكرة، وهذا ما أثبتته أغلب الاشتراكيين، أما المعتدلون وأصحاب الحزب الراديكالي والجمهوريون والديغوليون فقد أدرجوا المسألة الجزائرية ضمن صلاحيات الأمن العام، ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى الحزب الشيوعي الذي ظلّ إلى حد ما ملتزماً بمبادئه في معاداة

1 Jacques Jurquet, la révolution nationale algérienne ,et la parti communiste français, Tom 03, édition Sedia, Algérie, 2010, p179.

2 ماري بياوارلو، فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص ص 157. 174.

الاستعمار، غير أن ذلك لم يترجم في موقف صريح يثبت دعمه ومساندته العلنية واعترافه بالثورة الجزائرية وشرعيتها.¹

يبدو أن نضال هؤلاء اليساريين من بقوا أوفياء لنهجهم الأول في مساندة الكفاح التحرري في الجزائر، كان نابعا من قناعات فردية قائمة على أساس القيم الإنسانية والضمائر الحية، أكثر من قضية الإيمان بمبادئ الشيوعية والاشتراكية التي حملوها في انتماءاتهم السياسية والدينية، وظلّوا بوعيتهم . كونهم طبقة مثقفة . رافضين للظلم المسلّط على الجزائريين الذين عاشوا معهم في وسط واحد فكانوا يرون بأم أعينهم الانتهاكات اللامتناهية المنتهجة ضدهم، وسياسات التمييز العنصري والإجراءات العقابية التي تلاحقهم خصوصا في أوساط المهاجرين منهم بفرنسا، حيث أنه في الوقت الذي يعيش الفرنسيون وباقي الجاليات الأخرى المقيمة هناك حياة عادية ورفاهية اجتماعية ويتمتعون بحقوق المواطنة السياسية والثقافية، كان أفراد الجالية الجزائرية يعيشون من دون أدنى كرامة في معاناة وتعسف وقمع منقطع النظر، ما اعتبره هؤلاء تجاوزات ضد حقوق الإنسان تشوّه صورة الأمة الفرنسية، وجرائم يعاقب عليها القانون الفرنسي والعالمي.

لقد اصطدم المهاجرون الجزائريون في فرنسا بحقيقة اليسار الفرنسي في مجمله خصوصا الشيوعيون والاشتراكيون، وخابت آمالهم التي علّقوها على كفاح مشترك يتجاوز العرق والدين واللغة، لكن الواقع أثبت لهم عكس ذلك وأكد أن هؤلاء اليساريين كانوا موضوعيين في تقصّي الأحداث والتعامل معها بما يخدم مصلحة وطنهم متستّرين تحت فكرة الاعتدال في التعامل مع الأوضاع بمنظور ازدواجي، أكثر من استخدامهم للعاطفة أو أي التزام لمبادئ الإيديولوجية اليسارية التي كشفتها وقائع "ف.ج.ت.و" بالمهجر، حيث ظلّت أغلب الأحزاب اليسارية تمثل جزءا من البرنامج الفرنسي وتصيغ مواقفها وفق المقاس الحكومي، رغم انشقاق بعض المناضلين عن هذه الأحزاب وبقائهم أوفياء لمبادئهم وضمائرهم الحية حتى أصبحوا جزءا من برنامج "ج.ت.و".

3 . مظاهرة اليسار من أجل السلام في الجزائر "أحداث" ميترو شارون" بباريس يوم 08 فيفري 1962

جسّدت هذه الأحداث مرة أخرى موقف التيار اليساري من استمرار الحرب في الجزائر وإرهاب الدولة الفرنسية، وقد وقعت على خلفية المظاهرة التي دعا إليها كل من "الحزب الشيوعي الفرنسي" "PCF"، "الحزب الشيوعي الموحد" "PSU"، "الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين" "CFTC"، "الكونفدرالية العامة للشغل" "CGT"، "الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين" "UNEF"، "فدرالية التربية الوطنية" "FEN"، "النقابة الوطنية للمدرسين" "SNI"، "الحركة ضد العنصرية ومن أجل السلم"

1 حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد وصالح المثلولي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، الجزائر، 1994، ص

"MRP"، وغيرها، يوم الخميس 08 فيفري 1962 ضد الأعمال الإجرامية التي كانت منظمة الجيش السري تنفذها سواء في الجزائر أو في فرنسا.¹

وقعت هذه الأحداث في وهج الثورة التحريرية وتوالي انتصاراتها فوق الأراضي الفرنسية، فلم تكن الإجابة الوحيدة للسلطات الفرنسية سوى تصعيد العنف وزيادة التقتيل وتكثيف التضييقات التي فرضتها على المهاجرين الجزائريين، وكانت مذبحة 17 أكتوبر 1961 التي راح ضحيتها المئات منهم قتلى وجرحى ومفقودين أكبر تجلّي لبشاعة هذه السياسة، التي أرغمت اليسار الفرنسي وعلى رأسه الحزب الشيوعي والنقابات العمالية إلى الاصطفاف بجانب الجزائريين والدخول في نضال معهم ضد سياسة الاحتلال الفاشية وجرائم منظمة الجيش السري الإرهابية التي عانت فسادا في الأراضي الفرنسية بعملياتها الترهيبية ضد كل ما هو جزائري، لهذا رأوا أنه من الواجب مشاركة الجزائريين كفاحهم من أجل إحلال السلام وتسوية قضيتهم.

وجّه التكتل اليساري نداءا للتظاهر يوم الخميس 08 فيفري على الساعة الثامنة والنصف مساء في باريس في ساحة "الباستيل" "La place de Bastille"، غير أن المتظاهرين الذين بلغ عددهم حوالي 150 ألفا قد فشلوا في الوصول إلى هذه الساحة بعد أن تشتّتوا ووصلت جموع غفيرة منهم إلى مفترق الطرق بشارع "شارون" "Charounne" ونهج "فولتار" "Voltaire" إذ أعطيت الأوامر للنقابات بتفريق المظاهرات ولو باستخدام القوة والعنف، وهو ما طبقه فيلق التدخل الواحد والثلاثين للشرطة الذي تدخل بالعصي والهاويات ضد المتظاهرين حيث تعرّض العديد منهم للضرب المبرح والقمع المبرمج، وأمام القمع الذي شهدته تلك المسيرة قرّر منظموها التراجع غير أنهم وجدوا أنفسهم محاصرين من الجانبين من طرف قوات الشرطة،² ما دفعهم إلى اللجوء للاحتماء في محطة "ميتر شارون" وهناك وجدوا أزيد من 250 من الجرحى المتراكمين على سلالم المحطة، وقد توفي ثمانية أشخاص والتحق بهم آخر في المستشفى جرّاء إصاباته البليغة تحت ضربات رجال الشرطة.³

خلّفت الأحداث سخطا كبيرا في الأوساط الشعبية وتأثر الرأي العام الفرنسي بهذه الوقائع التي اعتبرت أحد أكثر جرائم العنف البوليسي دموية، وحضيت بتغطية إعلامية واسعة من طرف الأحزاب والنقابات اليسارية، وقد اعتبرت ضحايا هذه الأحداث شهداء فرنسيين وأبطالا لمقاومة العنف والعنصرية الممارسة من طرف اليمين المتطرف بمباركة من السلطات الحكومية، كما أُعلنت في اليوم الموالي إضرابات واسعة تزامنا مع جنازة الضحايا التي حضرها آلاف المشييعين إضرابات واسعة تزامنا مع عائلات الضحايا، حيث شجعت جثامين القتلى بمظاهرة مليونية إلى مقبرة "بير لاشيز" حيث بلغ عدد المشييعين ما بين مليون و800 000 شخص.⁴

1Alain Dewerpe, Charonne 08 Février 1962, Anthropologie historique d'un massacre d'état, Gallimard, Paris, pp12 – 13.

2Alain Dewerpe, op, cit, p377.

3Jim House et Neil Mac Master, op, cit, pp304 – 305.

4Alain Dewerpe, op, cit, p779.

في إطار تخليد هذه الأحداث في ذاكرة الفرنسيين وزيادة التضامن مع عائلات الضحايا من القتلى والجرحى، بادرت الجمعية الخيرية ذات الطابع الإنساني التي تحمل اسم "النجدة الشعبية الفرنسية" (SPF) "lesecours populaire français" إلى القيام بحملة واسعة لجمع التبرعات وتوزيعها على تلك العائلات، وفي ذات السياق تكفلت الجمعية بشؤون سبعة عشر جريحا تم نقلهم إلى ألمانيا الفدرالية لاستكمال علاجهم.¹

جدير بالملاحظة أنه ورغم هذا التضامن اليساري مع القضية الجزائرية الذي لا يمكن نسيانه بأي حال من الأحوال إلا أنه في الوقت نفسه أكدّ للجميع مدى التناقض الذي غطّى سياسته في التعامل مع هذه القضية، حيث أثبتت نتائج هذه المظاهرات سياسة الكيل بمكيالين التي تبناها التيار اليساري اتجاه الثورة التحريرية، بعد أن لقيت نتائجها اهتماما واسعا من الصحافة اليسارية واستنكارا كبيرا للقمع الممارس في حق المتظاهرين الفرنسيين، أكبر بكثير من الاهتمام الذي حظيت به مجازر 17 أكتوبر 1961 في حق المهاجرين الجزائريين، رغم أن مكان الأحداث واحد (باريس) والقضية المستهدفة واحدة (المسألة الجزائرية) والعدو لهما أيضا واحد (الشرطة الفرنسية)، أما خسائر 17 أكتوبر فكانت أكثر دموية ومأساوية حيث لا يمكن مقارنة أزيد من ثلاثمائة قتيل وآلاف الجرحى والمفقودين بتسعة قتلى ومائتي جريح، وكأنّ النفس البشرية الفرنسية أغلى بكثير من الجزائرية، وهذا ما أثبت وأكّد العنصرية المقيتة التي تستوطن الداخل الفرنسي اتجاه كل ما هو أجنبي عنه مهما كانت مكانة هذا الأخير والتضحيات التي يقدمها للأمة الفرنسية. إن القارئ لعناوين الصحف اليسارية عقب أحداث مترو شارون في 8 فيفري 1962 يدرك جيدا ازدواجية المعايير التي تعامل بها اليسار الفرنسي اتجاه هذه الأحداث مقارنة بالتالي وقعت في 17 أكتوبر 1961، فقد وصفت جريدة "لومانيتي" "l'humanité" جنازة ضحايا أحداث الميترو بـ "العظيمة التي لا يمكن أبدا نسيانها"²، كما علّقت جريدة "لوموند" "le Monde" عن نتائج الأحداث بالقول: "أنها كانت الأكثر دموية في تاريخ فرنسا منذ أحداث 06 فيفري 1934".³

مثلما كانت هذه المظاهرات رمزا من أجل إحلال السلم في الجزائر كانت الأحداث التي وقعت فيها أيضا رمزا لعنف الشرطة وقمع الدولة الفرنسية، كما أن نتائجها أكدت ذلك فقد كانت منعرجا حاسما في تاريخ الثورة التحريرية حين سرّعت من إجراءات وسبل التوصل إلى اتفاق سلام نهائي للقضية الجزائرية، ودفعت أكثر عجلة المفاوضات بعد رضوخ حكومة ديغول وقبولها شروط ومبادئ ج.ت.و ومن ثم وصل الطرفان إلى وقف إطلاق النار، وإنهاء الحرب في الجزائر.

1Jim House et Neil Mac Master, op, cit, p 307.

2Alain Dewerpe, op, cit, p762.

3 Ibid, p779.

اختلفت مواقف الأحزاب السياسية الفرنسية انطلاقاً من معطيات تاريخية وسياسية فرضتها خصوصية المشهد السياسي الفرنسي لاسيما خلال الفترة الممتدة ما بين 1945 . 1962، وقد أثبتت التجربة اليسارية بمختلف أحزابها تخطيطها الواضح في محاولتها التوفيق بين الإيديولوجية العالمية والمرجعية الفكرية وبين الواقع الاستعماري وتنامي الوطنية الجزائرية، وظهر هذا التناقض جلياً سواء في الجزائر أو في فرنسا، وأكدت أن المبادئ إذا ما تعارضت مع المصالح فإن الأخيرة سوف تنتصر.

ظلت مطالب هذه الأحزاب لا يتعدى سقفها الجوانب الاجتماعية والاقتصادية دون الجانب السياسي الذي يعتبر أصل الأزمة ومفتاح الحل للقضية الجزائرية، رغم أنها كانت تنشط وسط قسط معتبر من العمال الجزائريين، وأمام التطورات السياسية والعسكرية للثورة التحريرية، وفشل كل الإصلاحات التي كانت على المقاس الفرنسي أدرك الجزائريون مدى تخطيط اليساريين في تجاوز عقدة المجتمعين المختلفين عرقياً ودينياً فيما يخص حل المسألة الجزائرية، ما زادهم إصراراً وعزيمة على المضي قدماً في استرجاع السيادة الوطنية، وتحقيق ما عاهدت الشعب الجزائري عليه، وكان هذا الأخير قد فهم أنه لا يمكن واقعياً ومنطقياً الجمع بين متناقضين إذ كيف لليسار الفرنسي أن يجسد مبادئ الإيديولوجية الخاصة بالعدل والمساواة والحرية في إطار النظام الاستعماري العاشم.

بقيت أحزاب اليسار الفرنسي في مجملها باستثناء اليسار المتطرف وقية لتوجهها السياسي الذي اعتمدته بعد الحرب العالمية الثانية القائم على السعي لمحافظة فرنسا على إمبراطوريتها الاستعمارية من خلال الإبقاء على مستعمراتها في إفريقيا وآسيا إما عن طريق الارتباط الكلي لها بفرنسا أو عن طريق ضمها لفرنسا في إطار اتحاد فيدرالي، لتؤكد بذلك أنها كانت تخدم المصالح الحكومية بالدرجة الأولى وأنها وضعت مصالح فرنسا الاستعمارية قبل الشعارات التي كانت تتشبت بها وتبني عليها مبادئها وإيديولوجيتها، بل صنعت منها شعارات مزوقة تتخفى ورائها لتحقيق مصالحها الضيقة بدليل أنه كلما اقترب موعد الانتخابات السياسية إلا استعملتها بشكل مكثف ووظفتها كورقة سياسية بغية الوصول إلى السلطة.

نجحت "ج.ت.و" في إنشاء فدرالية لها في فرنسا وجعلتها بمثابة المكمل الحقيقي لسياسيتها في المهجر، وقد نجحت بامتياز في التنسيق مع الداخل من خلال فرض سيطرتها الكاملة على الجالية الجزائرية هناك وتوظيفها كورقة رابحة لصالح الثورة، وذلك عن طريق جمع الاشتراكات والتبرعات المالية من أفرادها لدعم العمل الثوري وضمان استمرار التموين العسكري، خصوصاً بعد نجاحها في استقطاب عدة فئات فرنسية مثقفة وتشكيل شبكات سرية لتسهيل عمليات الدعم والمساندة، وقد مرت الفدرالية في مرحلة تأسيسها وتطورها بعدة مراحل وواجهتها عدة عراقيل وصعوبات، لكنها استطاعت بقوة إرادة مناضليها وحسن تخطيط مسؤوليها وقادتها من تجاوز كل الصعاب وتحدي كل المناورات الفرنسية والإجراءات

التعسفية الاستعمارية للقضاء عليها وإلغاء تواجدها في الأراضي الفرنسية، حيث ظلّت تنشط هناك وتناضل إلى غاية تحقيق هدفها واسترجاع الاستقلال.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

النضال السياسي والثوري للفئات الجماهيرية في فرنسا وآليات كفاحها.

المبحث الأول: نضال الفئات العمالية المهاجرة.

المطلب الأول: تبلور الكفاح السياسي للعمال الجزائريون في المهجر

المطلب الثاني: تأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين ومساهمتها في الكفاح الوطني

المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للعمال المهاجرين

المطلب الرابع: التقنيات المعتمدة من طرف الفدرالية في جمع الاشتراكات ومواجهة التحديات

المبحث الثاني: نضال الفئات الطلابية المهاجرة

المطلب الأول: بؤادر النضال الوطني للطلبة المهاجرين الجزائريين

المطلب الثاني: تطور النضال الوطني للطلبة في فرنسا وظهور الاتحاد العام للطلبة المسلمين

الجزائريين

المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للطلبة المهاجرين

المطلب الرابع: التدابير الفرنسية في حق الطلبة الجزائريين بفرنسا وتحديدهم لها

المبحث الثالث: نضال الفئات الفرنسية المثقفة

المطلب الأول: مظاهر دعم النخبة الفرنسية للقضية الجزائرية.

المطلب الثاني: آليات كفاح الطبقات المثقفة ودعمها للثورة التحريرية

المطلب الثالث: أهم الشخصيات الفرنسية المساندة للثورة التحريرية

المبحث الأول: نضال الفئات العمالية المهاجرة

لم ينحصر نضال المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الدفاع عن حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية فقط، بل اعتبروا أنفسهم دائما جزء لا يتجزأ من الشعب الجزائري، فعاشوا ثورة الفاتح من نوفمبر منذ اللحظة الأولى لاندلاعها واحتضنوها بكل ما أوتوا من قوة ودعموها ماديا، ماليا، وبشريا عبر الاشتراكات والتبرعات السخية لدعم المجهود الثوري، فقاموا بدورهم السياسي والعسكري والمالي على أكمل وجه، كما كان لهم دورا ثقافيا ودبلوماسيا رائدا بالرغم من الظروف الصعبة والمعيقات الكثيرة التي واجهتهم والإجراءات العقابية التي فُرضت عليهم خاصة فئتي العمال والطلبة منهم، فكانوا بذلك سندا حقيقيا لكفاح الجزائريين من خلال ما قدموه للقضية الوطنية داخليا وخارجيا ودورهم البارز في دفع الثورة نحو تحقيق الحرية والاستقلال.

المطلب الأول: تبلور الكفاح السياسي للعمال الجزائريين في المهجر

أولا. نضالهم الوطني قبل اندلاع الثورة التحريرية

يعتبر العمال الجزائريون في المهجر نواة الحركة الوطنية السياسية في الجزائر حين أعطوا أول حزب سياسي لها، حيث شهد نهاية الربع الأول من القرن العشرين تكوين عدّة أحزاب سياسية مهمتها الدفاع عن حقوق العمال الجزائريين وعمال شمال إفريقيا كاملة¹، لأن النضال لم يكن مقتصرًا على الجزائر فحسب بل شمل تونس والمغرب ذلك أن شمال إفريقيا واحد في آماله وآلامه، وفي جغرافيته وتاريخه وكذا لغته ودينه²، وكانت معالم العمل الوطني بفرنسا قد بدأت تبرز ابتداء من هجرة الأمير خالد إلى فرنسا حيث أن تلك التجمعات التي اتصل فيها بالعمال كانت عبارة عن اللبنة الأولى للعمل الوطني.³

استغل المهاجرون الجزائريون الحرية النسبية في فرنسا لإنشاء حركة وطنية للكفاح السياسي، على غرار الحركات الثورية العالمية آنذاك، وفي باريس 1926 تأسست جمعية بعنوان "نجم شمال إفريقيا" وانعقد أول اجتماع لها في 15 ماي 1926، ثم اجتماع ثاني لها في 20 جوان 1926 حيث اقتصر الاجتماعان على حضور عناصر بارزة مثل "الحاج علي عبد القادر"، "مصالي الحاج"... الخ.⁴

وقد سعى النجم لتحقيق الأهداف التالية: استقلال الجزائر، الجلاء الكلي لجيش الاحتلال الفرنسي، تشكيل جيش وطني جزائري، إرجاع ملكية البنوك والمناجم والأراضي التي اغتصبها فرنسا إلى الدولة

1 عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 101.

2 محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 . 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 28 . 29.

3 عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 53.

4 نفسه، ص 57.

الجزائرية¹، وقد لقي دعما من الحزب الشيوعي الفرنسي في بدايته الأولى، لكن سرعان ما انقطعت علاقته معه نظرا لتباعد الأفكار، وكان رئيس الحزب في بدايته "الحاج علي عبد القادر" الجزائري ثم تلاه "خير الدين الشاذلي" التونسي، وأخيرا "مصالي الحاج" الذي تقلّد رئاسته منذ 1927².

استمر نضال العمال قبيل اندلاع الثورة التحريرية حيث سعت "ح.إ.ح.د" نهاية سنة 1953 إلى تكوين نقابة جزائرية للعمال تهتم بانشغالاتهم وتعمل على حل مشاكلهم والدفاع عن حقوقهم، وقامت بتكثيف الاتصالات بين العمال لعقد مؤتمر وطني، يعلن من خلاله تأسيس اتحاد عام للنقابات العمالية الجزائرية خاصة في ظل استمرار هيمنة النقابات الفرنسية على العمل السياسي والنقابي آنذاك، ما أنتج صراع بين الشيوعيين والوطنيين داخل تلك النقابات من جهة، واستمرار تضارب الرؤى في "MTLD" من جهة ثانية، وهو ما أدى في النهاية إلى الفشل في تحقيق المراد وتكوين هذه النقابة الخاصة بالعمال الجزائريين دون سواهم، وقد سعى المصاليون بمفردهم إلى تشكيل منظمة نقابية خاصة بهم في 22 . 23 ديسمبر 1954 غير أن اندلاع الثورة التحريرية أفشل مساعيهم³.

سعت "ج.ت.و" من جهتها إلى تأسيس نقابة جزائرية لتأطير الآلاف من العمال الجزائريين الذين كانت مصالحهم تتقاطع مع مصالح العمال الفرنسيين، لأن طبيعة الوضع آنذاك لا يسمح بإحداث قطيعة مع المنظمات الجماهيرية الفرنسية، لأن عليها يتوقف في نهاية المطاف إجبار حكومتها على الاعتراف للجزائر بحق إنشاء دولة مستقلة، وقد نتج عن هذا القرار خلق تخوّف كبير من عزلهم بقية العمال بفرنسا، وبناء على هذا الأساس تم العمل على إنشاء فروع لـ "ج.ت.و" بفرنسا تختص بالنشاطات النقابية للعمال، فكان تأسيس الودادية العامة في فيفري 1957 كهيئة فرعية تابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين بفرنسا حتى لا يبدو أن هؤلاء الآخرين يريدون العداء للفرنسيين أو مواجهتهم⁴.

لقد شاع في أوساط المهاجرين الجزائريين حزب "ح.إ.ح.د" والذي استقطب أعدادا هائلة من المهاجرين الذين رحّبوا باندلاع الثورة وأيدوها، وكان أغلبهم من العمال في مختلف المصانع والورشات الفرنسية، وذلك من خلال مباشرة تنظيم الخلايا بهذا البلد مع مطلع سنة 1955⁵، فاستجاب الآلاف من العمال لهذا التنظيم، ثم ازداد إنشاء خلايا أخرى في أوساطهم، خصوصا بعد تأسيس الودادية وبهذه الطريقة توصّلوا إلى إنشاء نظام الجبهة بفرنسا من أجل إيصال الثورة، وتمكين المهاجرين من الإطلاع على حقيقة

1 محفوظ قداش، جيلالي صاري، مرجع سابق، ص 59.

2 مبروك بلحسن، مراسلات الثورة الجزائرية بين الجزائر والقاهرة، تر: الصادق عماري، دار القصة، الجزائر، 2004، ص 26.

3 حربي، جبهة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 124 . 125.

4 Haroun, op, cit, pp 68 - 69.

5 محمد العربي الزبيري، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 131.

الوضع في الجزائر¹، وتوثيق التعاون أكثر بين المناضلين داخل الجزائر وخارجها وخاصة في فرنسا حيث نسبة كبيرة من أفراد الجالية الجزائرية.

ساهم المهاجرون الجزائريون بفرنسا منذ البدايات الأولى لاستقرارهم فيها في تشكيل العديد من المنظمات النقابية والسياسية التي دافعوا من خلالها على حقوقهم في مختلف المجالات، وساندوا عن طريقها قضيتهم الوطنية على غرار "نجم شمال إفريقيا" الذي لم يتوقف عن المطالبة باستقلال الجزائر رغم كل المضايقات التي تعرض لها مؤسسوه ومناضلوه من طرف السلطات الفرنسية، وظل متمسكا بمبادئه طيلة فترة نضاله منذ تأسيسه سنة 1926 إلى قبيل اندلاع الثورة التحريرية، رغم التغيرات التي شهدتها تسميته من "PPA" إلى "MTLD"، وامتداداته السياسية في فرنسا مثل "فدرالية حركة انتصار الحريات الديمقراطية" التي لم تتوقف عن النضال حتى خلال الثورة التحريرية الكبرى، فكان لها دورا فعالا داخل الأوساط العمالية المهاجرة، واستمرار الأفكار الثورية.

عملت النقابات العمالية الفرنسية (الكونفدرالية العامة للشغل والقوة العمالية) على استقطاب أغلبية المهاجرين الجزائريين بفرنسا²، لكن وعي العمال المهاجرين باستغلالهم ووجود نقابة وطنية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) في الجزائر دفعتهم للتساؤل هل يواصلون التعبير عن مطالبهم النقابية عبر هذه المنظمات أو يؤسسون نقابة خاصة بهم؟³، لكن قيادة الفدرالية كانت أميل إلى هذا الخيار الأخير، فقامت بإنشاء الودادية العامة للعمال الجزائريين في فيفري 1957، والتي كانت بمثابة ممثل لدى النقابات الفرنسية من أجل الدفاع عن حقوقهم المادية والاجتماعية وهي تُعدّ فرعاً لـ"إ.ع.ع.ج".⁴

لم يتوقف الجزائريون عن النضال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية خصوصا بعد ما تعرضوا له من جرائم وحشية في الثامن ماي 1945، بل واصلوا كفاحهم ومزاولة نشاطهم النقابي والوطني من خلال القيام بالعديد من المظاهرات والإضرابات في العديد من المدن الجزائرية خاصة الكبرى منها كوهراة وعنابة وقسنطينة، وبسبب تزايد القمع الاستعماري عزم الشعب الجزائري وحركته العمالية على تصعيد وتطوير المواجهة بوضع أسس جديدة للكفاح تبلورت فيما بعد في كفاح "الكونفدرالية العامة للعمال الموحدين" "CGTU" الفرنسية سنة 1947 والتي ضمت أكثر من 95% من العمال وبقيت الأقلية المتبقية مؤطرة في نقابات أخرى على غرار "CGT" و "FO"، وكان انضمام المهاجرين الجزائريين لتلك النقابات الفرنسية مؤقت فقط إذ كانت لديهم رغبة جامحة لتكوين تنظيم خاص بهم يكون جزائريا خالصا حتى يتسنى لهم تبني مطالبهم العمالية والاستماتة في الدفاع عنها.⁵

1صباح نوري هادي، مرجع سابق، ص6.

2نفسه، ص8.

3Haroun, op, cit, p 69.

4نوري هادي، مرجع سابق، ص8.

5 Nasser Djabi, Lakhder Kaidi, une Histoire du syndicalisme algérien, édition Chihab, Alger, 2005, p103.

من هذا المنطلق سعت فدرالية "ح.إ.ح.د" إلى تكوين إطارات جزائرية من العمال قادرة على المساهمة في تأسيس نقابة وطنية مستقلة عن النقابات الفرنسية، وحماية مصالحهم وضمان الاستفادة من الترقية في المؤسسات الفرنسية على غرار العمال الفرنسيين¹، وفي هذا السياق كوّنت مندوبية "ح.إ.ح.د" هيئة مركزية تهتم بالقضايا العمالية برئاسة "عيسات إيدر"² سنة 1947، لتستمر الجهود الاستقلالية لتكوين نقابة جزائرية محضة مع نهاية 1953، حين قامت بتكثيف اتصالاتها في الأوساط العمالية للدعاية لعقد مؤتمر وطني، كانت ثمرته تكوين إتحاد نقابي جزائري حمل اسم "الاتحاد العام للنقابات العمالية الجزائرية" "L'UGSTA".³

غير أن اشتداد أزمة "ح.إ.ح.د" عصفت بهذا الانجاز، وزاد من الهيمنة الشيوعية على الشريحة العمالية الجزائرية لاسيما بعد أن غيّر الشيوعيون اسم نقابة الكونفدرالية العامة للشغل إلى اسم جديد أدرجوا فيه لأول مرة كلمة الجزائر من خلال تسميتها بـ "الاتحاد العام للنقابات الجزائرية" "L'UGSA" في محاولة منهم لاستعطاف أكبر عدد ممكن من هؤلاء العمال، لأنه كان مجرد تغيير لاسم فقط بينما بقي الجوهر نفسه كما كان من قبل حيث ظلّ الارتباط وثيقا مع نقابة "CGT" الفرنسية.⁴

أدى تأزم الوضع داخل "MTLD" وفشل كل محاولات التوفيق بين الطرفين المتخاصمين خاصة من طرف الحيايين إلى انقسام الحزب وإعلان القطيعة النهائية بين المركزيين والمصاليين، وقد سعى هؤلاء الأخيرين في الفترة ما بين 22 و 23 سبتمبر 1954 إلى جمع شمل الإطارات العمالية التابعة لهم بهدف تأسيس منظمة نقابية خاصة بهم، لأنهم كانوا يمثلون الطرف الوحيد آنذاك القادر على منافسة الشيوعيين المهيمنين على الساحة النقابية، وفي المقابل كانت للمركزيين أيضا محاولات لتحقيق نفس الغرض، غير أن اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر من السنة نفسها أخلط أوراق الطرفين وأفشل خططهم في إنشاء نقابة وطنية مستقلة⁵، حيث أصبح الجميع مركّزا مع مستجدات الوضع السياسي والعسكري في الجزائر.

ثانيا . انضمامهم للثورة التحريرية والتحاقهم بـ "ج.ت.و"

بعد مرور أشهر من اندلاع الثورة حاول المصاليون وفي إطار مساعيهم الدائمة للهيمنة على الساحة السياسية أيّا كان الوضع، وفي إشارة أيضا لبداية الصراع مع "ج.ت.و" كمولود جديد، حاولوا إعادة إحياء

1 Mohammed Fares, Aissat Idi, documents et témoignages sur le syndicalisme algérien, préface Mahfoud Kaddache, Edition Zyriab – Enag, Alger, 2009, p- p49-51.

2 عيسات إيدر، وُلد في تيزي وزو سنة 1915 لعائلة فقيرة، درس بداية في قريته ثم في مدرسة الأساتذة ببوزريعة ثم التحق بجامعة تونس عام 1935 والتي تخرج منها بشهادة عليا في الاقتصاد بعد ثلاث سنوات، في سنة 1944 كان يعمل في ورشة للسيارات وهناك لاحظ الفرق بين العمال الجزائريين والفرنسيين فباشّر عمله النقابي بانضمامه إلى نقابة CGTU وكان ذلك سببا لاعتقاله سنة 1951، كما أنه كان مسؤولا عن اللجنة المركزية للشؤون النقابية التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم رئيسا ومؤسسا للاتحاد العام للعمال الجزائريين، استشهد في 26 جويلية 1959 = للمزيد أنظر: Mohammed Fares, Aissat Idir, op.cit, p p 10-37.

3 Nasser Djabi, Lakhder Kaidi, op.cit, p 161.

4 محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص 124.

5 نفسه، ص 124. 125.

اللجنة العمالية لـ "ح.إ.ح.د" في ربيع 1955، حين اتّصلوا بأهم الإطارات العمالية على غرار "بوعلام بورويّة"¹ الذي كان عاملا بالسكك الحديدية، و"رابح جرمان" الذي كان عاملا في الموانئ، و"رمضان" الذي كان بدوره عاملا في الترمواي، وكذا "بن عيسى" الذي كان ممرضا، من أجل إكمال المشروع الذي بدأوا به قبل اندلاع الثورة وهو إنشاء نقابة وطنية تابعة لهم أي تمثّل المصاليين فقط، غير أن محاولتهم هذه باءت بالفشل أيضا كسابقتها، لأن "بن يوسف بن خدة" الذي كان من المركزيين وانضم إلى "ج.ت.و" قد اتصل أيضا "ببوعلام بورويّة" في جويلية 1955 ونجح في إقناعه بالتخلي عن الالتحاق بالمصاليين وضرورة الانضمام للجبهة والتعاون معها من خلال المساهمة في تأسيس نقابة تابعة لها.²

من هذا المنطلق كثّفت "ف.ج.ت.و" مساعيها للمّ شمل المهاجرين الجزائريين بفرنسا، وضمن ولائهم لها خاصة فئة العمال الذين كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة من هؤلاء المهاجرين، ولا يكون ذلك إلا عن طريق إنشاء فرع نقابي تابع للجبهة يمثلهم ويدافع عن حقوقهم وبالتعاون مع بعض النقابات الفرنسية التي كانت تمثل في البداية غطاء لنشاطهم، وفي هذا الإطار توجّه في نهاية سنة 1955 وفد جزائري إلى فرنسا وكان مكوّن من "بوعلام بورويّة"، "عيسات إيدير"، "رابح جرمان"، "علي يحي عبد المجيد"، وقد تمّ استقبالهم من طرف مسؤول الفدرالية آنذاك السيد "صالح الوانشي" الذي عمل بدوره على تسهيل مهمتهم في اللقاء مع الممثل الدائم للكنفدرالية العمالية في أوروبا السيد "أروني براون"³، بهدف تعريف العمال المهاجرين بحقيقة الأوضاع بالجزائر ومسؤولية الجبهة على الثورة ومن ثمة إقناعهم بضرورة ولائهم لها دون سواها والانضمام للنقابة التابعة لها والتي ستأسس في القريب بعد إعداد الوثائق اللازمة لذلك، ويبدو أن اللقاء كان ناجح إذ بعد عودة الوفد من فرنسا عُقد اجتماع في العاصمة الجزائر جمع "عبان رمضان" و"بن يوسف بن خدة" مع "بوعلام بورويّة" و"عيسات إيدير" وتمّ فيه الاتفاق على تأسيس النقابة الثورية التي اتفقوا على تسميتها بـ "الاتحاد العام للعمال الجزائريين" مع اختيار قادتها والتأكيد على أهدافها ومبادئها.

في الوقت الذي أسّس المصاليون نقاباتهم التي حملت اسم "اتحاد نقابات العمال الجزائريين" L'USTA في 20 فيفري 1956 مُركّزا نشاطه في فرنسا حتى يلقي الدعم وسط المهاجرين من طرف النقابات الفرنسية وعلى رأسها "فدرالية العمال" FO، وبهدف عرقلة نشاطه ومنافسته على تمثيل الجزائريين داخل الجزائر والمهاجرين منهم خارجها لاسيما في فرنسا وُلد الاتحاد العام للعمال الجزائريين بالعاصمة بعد

¹ بوعلام بورويّة، مناضل سياسي ونقابي كبير، ولد في 24 فيفري 1923 بدأ نشاطه مبكرا في نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب، كان عضوا في النقابة الفرنسية للكنفدرالية العامة للعمال التي تولى فيها عدة مناصب قيادية، كما عمل أيضا في النقابة الفرنسية في التأسيس لجنة الشؤون النقابية والاجتماعية التابعة لحزب الشعب، وقد أكسبته تجربته داخل النقابات الفرنسية نضجا ساعده في إنشاء أول نقابة وطنية تابعة لجبهة التحرير الوطني وهي "الاتحاد العام للعمال الجزائريين"، تم اعتقاله في 24 ماي 1956 = للمزيد أنظر، Mohammed Fares, Aissat Idir, op.cit, p p 10-37.

² محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص 124. 125.

³ أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية 1954 . 1962، ط1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 139.

أربعة أيام في ذلك الاجتماع يوم 24 فيفري 1956 بعد الحصول على الترخيص القانوني طبقا للقانون الفرنسي الخاص بالجمعيات والحريات النقابية وحماية حق التنظيم الجماعي، وقد أُسندت قيادته للمناضل "عيسات إيدير"¹، وكان مبدأ الاتحاد الأول إصلاح الحالة الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين وإحداث توازن في علاقتهم مع المستوطنين²، وقد وُضّح ذلك في صحيفة "العمال الجزائري" التي اعتبرت اللسان المركزي للاتحاد العام، ليستمر إنشاء فروع أخرى وفيدراليات كثيرة في كامل القطر الجزائري.

هكذا تشكّلت أول نقابة وطنية من طرف العديد من المناضلين القدامى على غرار "عيسات إيدير"، "بوعلام بورويّة"، "عيسى عطا الله"، "لخضر عمراني" و"محمد مازا"، مسعود حداد وغيرهم، والذين كانت لديهم خبرة طويلة وتجربة كبيرة في العمل النقابي لدى مختلف النقابات الفرنسية خاصة التي كان يقودها الشيوعيون، وقد تمحورت أهداف الاتحاد فيما يلي:

. مساهمة الثورة التحريرية في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال إعطاء النضال العمالي في الجزائر اتجاه مطابق لطموحاتهم مع الثورة وعلى رأسها تحقيق الاستقلال.

. إعادة تنظيم صفوف العمال الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا مع وضع حد نهائي لاستغلالهم بكل الطرق وحرمانهم من كل المنح والامتيازات والحقوق.

. لّم شمل العمال الجزائريين وتحقيق وحدتهم مع عمال العالم عن طريق الانضمام إلى المركزية العمالية الدولية، في إطار تدويل القضية الجزائرية والتعريف بها أكثر على المستوى العالمي.³

. كما سعت "ف.ج.ت.و" بفرنسا إلى ضم الشرائح العمالية المهاجرة هناك وتأطيرها ضمن هياكلها، في إطار تأسيس نقابة جزائرية محضة مستقلة عن النقابات الفرنسية من جهة، وعرقلة نشاط ومسااعي المصاليين لإبعادهم عن الساحة السياسية والنقابية من جهة أخرى، بعد النجاح في كسب العدد الأكبر من العمال المهاجرين والاستفادة من دعمهم المادي والمعنوي للكفاح التحرري الذي يخوضه الشعب الجزائري بقيادة الجبهة، وهو ما سيتجسّد فيما بعد في تأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين.

المطلب الثاني: تأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين ومساهمتها في الكفاح الوطني

1 . النشأة والتطور

بحث قادة الثورة التحريرية في الداخل والخارج عن أفضل السبل لتأطير المهاجرين الجزائريين وضرورة إيجاد نقابة وطنية خاصة بهم تتولى التعبير عن مطالبهم النقابية، فكان تأسيس "و.ع.ع.ج" يوم 21 فيفري 1957 حسب جلّ المصادر، وفي 16 من نفس الشهر والسنة حسب "بوعلام بورويّة"، وأن قرار

1 سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح...، مرجع سابق، ص 311.

2 عبد القادر جغلّول، تاريخ الجزائر الحديث...، مرجع سابق، ص 192.

3 أحسن بومالي، أدوات التجنيد...، مرجع سابق، ص 445. 446.

التأسيس نُشر في الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 23 مارس من السنة نفسها¹، لتكون شكل من أشكال امتداد للاتحاد العام للعمال الجزائريين، وهدفها تمثيلهم لدى النقابات الفرنسية، وقد أنشئت تحت رعاية "ج.ت.و" التي أرادت أن تستفيد من خبرة النقابيين الجزائريين الذين ينشطون ضمن النقابات الفرنسية، خاصة تلك التابعة للكنفدرالية العامة للشغل "C G T"، والكنفدرالية الفرنسية الديمقراطية للشغل "C F D T"، والنقابة الحرة²، بحكم أن أغلبية المهاجرين الجزائريين بفرنسا كانوا عمالا حيث عملت النقابات العمالية الفرنسية على استقطابهم.³

هدفت "ف.ج.ت.و" من إنشاء "و.ع.ع.ج" الدفاع عن حقوقهم المادية والاجتماعية، وقد استطاعت في فترة وجيزة أن تصبح ممثلهم الوحيد ومنبر الدفاع عنهم⁴، بعد أن تركّز العمل في الفترة الأولى على التنافس في المجال النقابي العمالي المتمثل في التنظيم النقابي المصالي "الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين" والذي نجحت "ف.ج.ت.و" من التغلغل في فروعها ومن ثم إزاحته واحتواء المهاجرين⁵، وكانت شديدة الحرص على مساعدة القضية الجزائرية، حيث أقدمت على ربط علاقات وثيقة بمختلف النقابات الفرنسية أو حتى بفئات من الكنيسة وداخل الحركات المناهضة للاستعمار، وهذه العلاقات وفّرت لاتحادية "ج.ت.و" بفرنسا دعما لا يُقدّر بثمن إذ زودتها بأعوان اتصال وأماكن إيواء، ووسائل الطبع والنقل المؤمن للأموال والمخابى الضرورية.⁶

في ذات السياق أكدّ "بورويّة" أن هذا التأسيس كان مُخطّط له من قبل وذلك منذ الأيام الأولى لتأسيس "إ.ع.ع.ج" لولا المعوقات والعراقيل التي حالت دون ذلك، كسلسلة الاعتقالات التي تعرّض لها الأمناء الوطنيون يوم 24 ماي 1956، وكثرة الضغوطات الفرنسية التي مورست عليهم، ما أدى إلى تأخير هذا المسعى إلى غاية بداية 1957 حيث توفرت بعض الظروف المحفزة على ذلك خصوصا بعد نجاح إضراب الثمانية أيام الذي تقرر بدعوة من "إ.ع.ع.ج"، ونجح في إبراز الالتفاف العمالي حول الثورة حيث لقي استجابة واسعة سواء في الجزائر أو في فرنسا، إضافة إلى اقتناع العديد من الجزائريين الناشطين في مختلف المنظمات الفرنسية على إنشاء نقابة جزائرية بفرنسا للدفاع عن العمال الجزائريين المهاجرين.⁷

إن تسمية "الودادية" لم تُحدث أي ردّ مريب لدى أفراد الجالية وليس من شأنهم أن يعرقل مطالبهم النقابية التي لطالما طالبوا بتحقيقها⁸، خاصة بعد أن تمعنوا في أهدافها القريبة والبعيدة المدى حيث قامت

1Boualem Bourouiba, op, cit, p381.

2محمد أكلي بن يونس، مرجع سابق، ص61.

3صباح نوري هادي، حمام طلال جاسم، مرجع سابق، ص8.

4 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص114.

5عمر بوضرية، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954 . 1960، دار الإرشاد، 2013، ص129.

6Haroun, op, cit, p 70.

7Bourouiba, op.cit, pp380 - 395.

8 Haroun op, cit, p 68.

بتوزيع منشورات بعنوان " من أجل عمل نقابي خالص " ومن ضمن ما جاء فيها : " نرى أن تأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين كان بمثابة إيجاد وسيط جزائري بين العمال المهاجرين والنقابات الفرنسية أكثر من منظمة تتولى بنفسها الدفاع عن مصالح عمالها أمام السلطات وأرباب العمل".¹

عبر "عيسات إدير" في هذا السياق يوم 12 مارس 1956 حينما قامت جريدة "العمل التونسية" L'action باستجوابه فقال: "... لا يمكن للنقابة المركزية "UGTA" أن تنشأ نقابة في بلجيكا أو حتى في فرنسا في الوقت الذي نبحث فيه عن اتفاق مع النقابات الفرنسية المتواجدة بالجزائر... إن الودادية العامة للعمال الجزائريين ليست نقابة بل هي ودادية حسب قانون 1901 الخاص بالجمعيات والمنظم لها، وهي التي يمكنها لفت انتباه المنظمات النقابية الفرنسية إلى المطامح الخاصة بالعمال الجزائريين في المهجر..."²

وهذه إشارة واضحة إلى أن أعضاء الودادية كانوا يودّون تأسيس نقابة جزائرية مستقلة عن النقابات الفرنسية مع المحافظة في الوقت نفسه على علاقة وطيدة مع هذه النقابات للاستفادة أكثر من الخبرة الميدانية لها كونها لديها الأسبق في العمل النقابي والأكثر دراية بالقوانين الفرنسية المتعلقة بذلك إضافة إلى قدرتها في التأثير على الأوساط الفرنسية بل وحتى بعض الجهات الحكومية.

تشكّل أول مكتب للودادية برئاسة "الصافي بوديسة"³ وكانت تُسيّر من طرف لجنة تتكون إلى جانب "بوديسة" كأمين عام، من "رابح نهار" كأمين للمال، و"السعيد وارتسي" مكلف بالدعاية إلى جانب "عبد الله بن علي" و"ابن مولود"⁴، وكانت إدارة الودادية تشرف عليها لجنة تنفيذية تتألف من 21 عضوا ينتخبون في مؤتمر الاتحاد، وبدورها تختار هذه اللجنة مكتبا تنفيذيا مُكوّن من 12 عضوا وأمانة مؤلفة من خمسة أعضاء⁵، وبهذا التنظيم المحكم استطاعت الودادية طوال فترة مسيرتها النضالية من تقديم الدعم الكامل للجزائريين في معركتهم.⁶

2. الأهداف وأسس النشاط

1 بغداد خلوفي، الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص 208.

2 حورية عياش، إستراتيجية الممارسة النقابية في مؤسسة الخطوط الجوية الجزائرية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 94.

3 الصافي بوديسة، ولد في البيض في 22 أوت 1929 ودرس المرحلة الابتدائية بالبلدية، انخرط في حزب الشعب قبيل أحداث 8 ماي 1945 وفي 1948 هاجر إلى فرنسا واستقر بسوشو، والتزم الحيد من أزمة حركة الانتصار ثم انضم إلى الجبهة وعمل رفقة محساس في اتحادية فرنسا، وكانت له مساهمة كبيرة في تأسيس ودادية العمال الجزائريين بفرنسا=للمزيد أنظر عباس، رواد الوطنية، مرجع سابق، ص 458.

4 بوداود، مذكرات...، مصدر سابق، ص 115.

5 سليمان الشيخ، مرجع سابق، ص 262-263.

6 René Gallisot, les accords d'Évian en conjoncture et en longue durée, édition Khartala, Paris, 1997, pp 230-231.

عملت الودادية في مختلف المجالات السياسية والمادية والاتصال، وتنظيم الدروس المسائية للمهاجرين وإعلام الرأي العام الفرنسي بالحرب الدائرة في الجزائر من خلال جريدتها الشهرية العامل الجزائري L'ouvrier algérien¹، والتي كانت تمثل في الجزائر اللسان المركزي للاتحاد العام للعمال الجزائريين بعد أن ظهرت لأول مرة بالجزائر في 6 أبريل 1956، وأصدرت منذ هذا التاريخ ثلاثة عشر عددا، لكنها تعرضت في وقت مبكر للحجز والتفتيش والمتابعة القضائية، ثم منعتها الحكومة الفرنسية من الصدور، فاضطرت إلى الانتقال إلى باريس أين واصلت الودادية نشرها، وفي أوت 1958 مُنعت من جديد في باريس، فعاودت الظهور في تونس وصدورها سرّا في باريس على شكل مجلة شهرية وذلك في ديسمبر سنة 1960²، وظلت رغم ذلك الأداة الإخبارية للودادية ووسيلتها للتواصل مع العمال الجزائريين المهاجرين.

يتضح موقف الودادية جليّا من خلال تصريحها الصادر عن جريدتها "العامل الجزائري" في مقال صدر سنة 1958 تحت عنوان "النوضح موقفنا" أن إطارها الرسمي يتمحور حول دعم كفاح الشعب الجزائري من أجل تحريره حيث ورد فيه: "نحن لسنا حركة مطلبية موجهة للتعاون مع الأنظمة العمومية الفرنسية، إن الإطار الذي تدخل فيه مهمتنا هو كفاح للشعب الجزائري من أجل تحريره³، كما صرّحت كذلك من خلال صحيفة المجاهد طبعة يوغسلافيا الصفحة 523 قائلة: "أن الأمر يتعلق قبل كل شيء بإعادة الاعتبار للسيادة الوطنية"⁴، وقد وفّرت هذه الودادية حسب هارون لمنظمة جبهة التحرير بفرنسا دعما كبيرا لا يقدر بثمن، حيث زوّدتها بأعوان الاتصال وأماكن للإيواء ووسائل الطبع والنقل المؤمن للأموال والمخابئ الضرورية، وذلك بفضل العلاقات التي قامت بربطها مع مختلف الأوساط السياسية والدينية الحساسة وكذا داخل الحركات المناهضة للاستعمار.⁵

بما أن وداية العمال المهاجرين كانت إحدى فروع فدرالية "ج.ت.و" لفرنسا فقد اعتمدت تقريبا نفس إستراتيجيتها في تقسيم التراب الفرنسي إلى عدة مناطق حسب الكثافة العمالية لتسهيل عملية التأطير والهيكلية للمهاجرين وبسط سيطرتها عليهم من خلال إدارة شؤونهم وتسهيل مراقبتهم، فتم تقسيم فرنسا إلى أربع مناطق العاصمة باريس وضواحيها، ومناطق الشرق، الشمال والجنوب، كما أن التمثيل النقابي داخل تلك المؤسسات والمصانع قد تم تقسيمه بشريا بنفس الطريقة التي اعتمدتها الفدرالية من قبل، حيث تتواجد في كل منطقة أو ناحية صناعية فرع للودادية داخل كل مؤسسة، وعلى مستوى المنطقة تتدرج المسؤوليات من لجنة التنظيم كأعلى سلطة في قمة الهرم إلى المجلس المحلي ومجلس القسم ثم المجلس الجهوي.⁶

1 عمر بوداود، مصدر سابق، ص 115.

2 Haroun, op, cit, pp68 – 69.

3 محمد فارس، "تاريخ النقابية الجزائرية، الودادية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا"، مجلة الثورة والعمال (اللسان المركزي للاتحاد العام للعمال الجزائريين)، ع 423، السنة التاسعة والعشرون، 1985، تر: عبد الله مباركية، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 33.

4 سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة، مرجع سابق، ص 30.

5 Haroun, op, cit, p70.

6 Bourouiba, op.cit, p 382-383.

أولت الودادية في ذات السياق عناية فائقة لتأطير وقيادة الشباب المهاجر وتوجيههم لتسهيل الترقية العمالية حيث قامت في كل نقابة وكل وسط عمالي وكل حي بتطوير العمل الرامي إلى تنظيم التمهين والدراسة والإتقان والتخصص المهني والتقني، داعية كل مهاجر أن يرى فيها بيته ومركز تكوينه ودراسته وخدماته الاجتماعية ودليله في مواصلة النضال على مختلف المستويات، كما أنها أكدت دعمها التام والمطلق للثورة التحريرية ولعمل الحكومة المؤقتة "ح.ت.و"، حين أبرزت في إحدى نشراتها الداخلية الهدف من تأسيسها وهو المساهمة بكل يقظة وعناية في تأطير كل حي، والتطوير الفعلي لكل عمل من شأنه أن يضمن التعليم والتكوين لشريحة كبرى من الشباب من أجل تحسين الظروف المعيشية من جهة، ثم تعبئة مختلف الشرائح الاجتماعية من رجال ونساء وإطارات لتدعيم الثورة التحريرية من جهة أخرى¹، كما كانت الودادية تتابع كل التطورات السياسية والعسكرية للثورة رغم أن شعارها وأهدافها كانت نقابية².

عملت "و.ع.ع.ج" على إفشال جهود اتحاد النقابات الفرنسية الساعية إلى التمرکز وسط العمال الجزائريين المهاجرين بفرنسا، وإحداث هيكلة واضحة لهم لتوحيد صفوفهم وتثمين نضالهم والدفاع عن حقوقهم وفي الوقت نفسه التعريف بالقضية الجزائرية وتدويلها على أوسع نطاق ممكن، من خلال جلب انتباه الكثير من الفاعلين في مختلف النقابات الفرنسية، الشيوعية والعالمية لحقوق الجزائريين وهذا ما يفسر تبنيها لسياسة الانفتاح على مختلف النقابات العالمية بغض النظر عن انتمائها الإيديولوجي في الوقت الذي كان فيه العالم يشهد حربا باردة بين المعسكرين الشيوعي والليبرالي، وانتشار موجة الكفاح التحرري في العالم الثالث مع دعم المعسكرين له في إطار سعيهم لكسب حلفاء ومناطق نفوذ جديدة.

رفعت الودادية مجموعة من المطالب لرفع المعاناة عن العامل الجزائري الذي كان ضحية تعامل إقصائي كبير وتمييز عنصري مقيت مقارنة بالعمال الفرنسيين، وقد تمحور أهم هذه المطالب في إلغاء كل أشكال التمييز ضد الجزائريين ومنحهم الحق الكامل في العمل، توفير الشروط والظروف الملائمة لهم للعمل مع ضرورة استفادتهم من كل المنح والامتيازات التي يتمتع بها أقرانهم من الفرنسيين خاصة وهم يخدمون مع الاقتصاد الفرنسي، رفع القيود عن الحوالات التي كانوا يرسلونها إلى ذويهم في الجزائر، إلى جانب وقف الملاحقات البوليسية ضدهم والإفراج عن المعتقلين منهم في السجون الفرنسية³.

واجهت ودادية العمال بفرنسا العديد من التحديات لاسيما أن ميادين العمل النقابي كانت محطة صراع بين التيارين المصالي والجهوي، وصل إلى حد اغتيال العمال الذين يدفعون اشتراكاتهم إلى "ح.ت.و"، ما أجبر الكثير منهم على الدفع للطرفين المتصارعين للنجاة بأنفسهم، وما زاد من معاناة العمال

1Bourouiba, op.cit., p382.

2Haroun, op, cit, p 68.

3 عزيز خيثر، العمل النقابي بالجزائر ودوره في خدمة القضية الوطنية . الاتحاد العام للعمال الجزائريين أنموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بوزريعة، الجزائر، 2017، ص282.

وضاعف من حدة مأساتهم هو مطاردة الشرطة الفرنسية لكل المنضوين منهم تحت راية الودادية باعتبارها جناح تابع ل"إ.ع.ع.ج" وبالتالي ل"ج.ت.و".¹

جدير بالملاحظة أن فرنسا قد حاربت كل ما له علاقة بالثورة وممثلها الوحيد . الجبهة . في حين غصّت الطرف عن الأعمال التي كان يقوم بها منافسوها خصوصا المصاليين، وهي إشارة واضحة على الدعم الفرنسي المطلق بـ ج.و.ج التي كان يقودها مصالي فكانت بمثابة الدرع الحامي لها، حيث لم تتخذ ضدهم أي إجراء كما فعلت مع فدرالية الجبهة ومؤسساتها الفرعية على غرار ودادية العمال، واتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، وحتى الفرنسيين المؤيدين لها كـ بعض اليساريين والحقوقيين ورجال الدين وغيرهم.

استطاعت الودادية بفضل نشاطها المتواصل وعلاقتها الجيدة مع مختلف النقابات الفرنسية والأوساط السياسية والدينية الحساسة، ومساعدتها المستمرة في فضح السياسة الاستعمارية التعسفية، من التوغل في أهم المراكز الصناعية والورشات الفرنسية التي ينشط فيها العمال الجزائريون المهاجرون ونجحت في تطهيرهم داخلها، وقد تمّ ذلك بدقة عالية وإستراتيجية محكمة وبسرعة فائقة رغم انتهاج طابع السرية تامة، وذلك بفضل التنظيم السياسي لإطاراتها واكتسابهم للخبرة النقابية²، بعد معرفتهم لكيفية الدفاع عن حقوقهم وأساليب المطالبة بها وطرق الحصول عليها طبقا لما تنص عليه مختلف القوانين الفرنسية.

أجبر تزايد القمع الأعمى الممارس ضد المهاجرين الجزائريين بفرنسا على مغادرة أعداد كبيرة منهم التراب الفرنسي³، فقد نجحت الشرطة الفرنسية يومي 20 و 22 ديسمبر من سنة 1957 من اعتقال 24 مسؤولا نقابيا وثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية وإرسالهم إلى سجون الجزائر، ولم تكتفي السلطات الفرنسية بذلك بل قامت بحل نهائي للودادية سنة 1958⁴، وهذا ما دفع بالمسؤولين الرسميين لهذه الأخيرة مضطرين إلى البحث عن ملجئ آمن والانتقال خارج فرنسا بعد أن سلّموا المشعل لزملائهم غير المعروفين والذين لم تكتشفهم الشرطة بعد⁵، مع تقديم الدعم الكامل لها انطلاقا من ألمانيا وتعزيز مواقع "إ.ع.ع.ج" فيها.

تمّ استقبالهم بداية من طرف وفد الشؤون الخارجية للحكومة الجزائرية المؤقتة وتوظيفهم عن طريق ممثلي الودادية في جمهورية ألمانيا الفدرالية⁶، كون ألمانيا آنذاك كانت مُقسّمة إلى دولتين شرقية شيوعية تحت قيادة الاتحاد السوفيتي وعاصمتها برلين الشرقية وغربية رأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وعاصمتها مدينة بون، في ظل الصراع الإيديولوجي بين المعسكرين الشرقي والغربي خلال فترة الحرب الباردة.

1 Benjamin Stora, op, cit, p140.

2Bourouiba,op.cit, p382.

3نوري، مرجع سابق، ص8.

4Bourouiba, op.cit, p 383 -384.

5 Haroun, op, cit, p68.

6عمر بوداود، مصدر سابق، ص115.

فتمكّنوا بذلك من تخفيف العبء على إخوانهم في فرنسا ونجحوا في توطيد العلاقة مع الحركة النقابية الألمانية¹، حيث نجح "بوديسة" في أكتوبر 1958 من تنظيم لقاء مع ممثلين قياديين في النقابة الجزائرية الألمانية انتهى بتقديم وعد ألماني بدعم القضية الجزائرية واعتراف نقابة المعادن الألمانية بالاتحاد العام للعمال الجزائريين.²

لم يكن يحق للعمال الجزائريين أن يقيموا هناك أزيد من شهر تحت كفالة الكونفدرالية التي كانت تدفع أيضا ثمن النقل بالنسبة للراغبين منهم في الالتحاق بالمغرب أو تونس، لهذا عمدت الودادية بالنسبة لمناضليها للراغبين في الإقامة بألمانيا إلى اتصال ممثليها بالاتفاق مع "ف.ج.ت.و" بالنقابات الألمانية من أجل التدخل لدى المؤسسات الألمانية في مختلف المناطق الصناعية بهدف تشغيلهم³، وهذا ما سيساعد هؤلاء العمال بعد حصولهم على عمل في مختلف المعامل والمصانع الألمانية من ربط اتصالات جيدة مع زملائهم بألمانيا، وتوعيتهم بعدالة ومشروعة كفاحهم التحرري ضد الاستعمار.

استطاع أحد النقابيين والمؤسسين البارزين للودادية العامة بفرنسا وهو "سعيد سليمي" بعد إقامته بألمانيا وبالضبط في مدينة "شتوتغارت" Stuttgart من إنشاء لجنة مساعدة، تضم مناضلين من عدة نقابات ألمانية على غرار نقابة "DGB-SPD" ونقابة الشباب الاشتراكيين وكذا نقابة الكاثوليك، وبفضل استمرار الجهود استطاعت الودادية أيضا إصدار "المجلة الجزائرية" لتكون لسان حال العمال الجزائريين بألمانيا والسويد وإنجلترا، بهدف نقل أخبار الثورة لأفراد الجالية الجزائرية هناك وإطلاعهم على آخر مستجداتها من ناحية، وإقناعهم بضرورة الاستمرار في مد يد العون لإخوانهم في الجزائر من أجل مواصلة الكفاح المسلح من ناحية أخرى.⁴

بهذه الطريقة استمر نشاط الودادية خارج الحدود الفرنسية بطريقة سرّية حيث اختارت لجنة إدارية تنفيذية جديدة للعمل بالتنسيق مع فيدرالية الجبهة بفرنسا على تأطير هؤلاء العمال ومتابعة النشاط الثوري في صفوفهم طيلة هذه المرحلة، من خلال الاستمرار في تكوين الإطارات السياسية والنقابية للعمال المهاجرين مع دعم العمل التربوي والتعليمي لهم في جميع المستويات التعليمية، إضافة إلى تكثيف العمال الإعلامي والدعائي الثوري في أوساطهم وفي أوساط الرأي العام الفرنسي والأوروبي عن طريق التوزيع اليومي للمناشير المقدمة من طرف الفدرالية واستمرار ربط علاقات عميقة مع النقابات الفرنسية ومختلف القيادات النقابية لحماية المصالح العمالية الجزائرية⁵، والحفاظ على المكتسبات النقابية مع السعي لتعزيزها مستقبلا

1 شهادة الجيلالي مبارك، في كتاب محمد عباس، رواد الوطنية، مرجع سابق، ص456.

2Bourouiba, op.cit, p396.

3بوداود، مصدر سابق، ص115.

4Bourouiba, op.cit, p 384- 385.

5 Bourouiba, op.cit, p384.

خاصة مع امتداد نشاط الودادية إلى ألمانيا وبلجيكا وبعض الدول الأوروبية الأخرى كسويسرا وبريطانيا وغيرها.

3. البرنامج الاجتماعي والسياسي للودادية ومساهمته في حركة التحرير الوطنية

لم يقتصر دور الودادية العامة للعمال الجزائريين على الجانب النقابي فحسب بل سَطَّرت برنامجا طموحا شمل السعي لتحقيق أهداف اجتماعية وسياسية لصالح العمال وعائلاتهم وفق استراتيجيات "ف.ج.ت.و"، من خلال تعزيز مكانة العمال الجزائريين بفرنسا داخل النقابات الفرنسية لاكتساب المزيد من الخبرة والحصول على دعم وتأييد كافيين لتوسيعه أكثر داخل الرأي العام الفرنسي من جهة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي بكل الوسائل المتاحة لمواصلة العمل الثوري داخل الجزائر من جهة أخرى، ومن ثمة جعل هذه الطبقة الشغيلة بمثابة القاعدة الخلفية للثورة والظهير الأيمن الذي تتكئ عليه في مواصلة الكفاح ضد الاستعمار وسياسته القمعية التي شملت كل المجالات وطُبِّقَت على جميع الفئات حتى الضعيفة منها كالنساء والأطفال.

أما التطلعات الاجتماعية التي سعت الودادية إلى تحقيقها فإن جلّها قد تمحور حول إلغاء سياسة التمييز العنصري اتجاه العمال الجزائريين، ومنحهم كامل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أقرانهم من العمال الفرنسيين، مع ضرورة استفادة أي مهاجر جزائري يرغب في العمل من حقه الكامل في الحصول على وظيفة دون أي إقصاء وإعطائه أجره دون نقصان بعد تطبيق مبدأ العدالة والمساواة في الأجور، ليصبح بذلك موظفا له كامل الصلاحيات ويتمتع بجميع الحقوق والمكافآت، وبإمكانه الاستفادة من جميع المنح والترقيات، وفي حالة عدم حصوله على الوظيفة وبقي بطالا من حقه أن تكون له منحة خاصة بالبطالة مثل المواطن الفرنسي، مع حقه أيضا في الحصول على مسكن يؤويه حر الصيف وبرد الشتاء.

إلى جانب ذلك طالب أعضاء الودادية من السلطات الفرنسية ضرورة إلغاء مرسوم "لاكوست" الذي كان قد صدر في 20 مارس 1958 ليُسمح للعمال المهاجرين المُتابعين قضائيا في فرنسا من العودة إلى أرض الوطن، مع المطالبة أيضا بإطلاق سراح العمال الوطنيين المتواجدين في السجون والمعتقلات الفرنسية.¹

وأما عن التطلعات السياسية فإنها تمحورت بدورها على تقديم الدعم الكامل لنشاط ج.ت.و وفدراليتها بفرنسا من خلال متابعة كل التطورات الميدانية للثورة التحريرية على مختلف المستويات وفي كل المجالات، وذلك عن طريق إدراج جميع الشرائح العمالية للنضال تحت لواء الودادية، مع الاستمرار الدائم في التعلّم ومتابعة الدورات التكوينية لاسيما التكوين المهني والحرفي ضمن النقابات الفرنسية وتكثيف عمليات التنقيف السياسي من أجل إعداد إطارات سياسية ونقابية تحتاج إليها الجزائر حاضرا ومستقبلا.

المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للعمال المهاجرين

1Ibid, p381.

1 . سياسيا ودبلوماسيا:

عمل العمال الجزائريون في المهجر على استغلال كل الفرص المتاحة لهم والتي يمكنهم من خلالها خدمة الثورة التحريرية بكل السبل سواء بطرق مباشرة والتي كان أغلبها ينتهي بالسجن والتوقيف أو خفية عن طريق الاستعانة بالأسماء المستعارة أو الاتصال بالأوساط النقابية الفرنسية خصوصا اليسارية منها والمسيحية كونها عبّرت عن ميلها للإسراع في إيجاد حلول عادلة لتسوية القضية الجزائرية ودعمها الفعال للجبهة، ورفعت شعار الوقوف مع الحق ومعارضة السياسة الفرنسية المنتهجة ضد الجزائريين عامة والمهاجرين منهم في فرنسا بشكل خاص، لاسيما في ظل انتشار الفكر التحرري وحق الشعوب في تقرير مصيرها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وسقوط الأنظمة الديكتاتورية في أوروبا والعالم.

رغم إعطاء مسؤولي "و.ع.ع.ج" الأولوية للنشاط السياسي إلا أنهم ظلّوا مهتمين أيضا بالنضال النقابي، حيث أقاموا صداقة قوية مع مختلف النقابات الفرنسية لاسيما النقابة الفرنسية للعمال الكاثوليك التي كانت متحفظة من الحرب في الجزائر لهذا سعت إلى وضع حد لها، وفي سنوات 1957 و 1958 نسجت علاقات إيجابية مع الفدراليات الرئيسية في الكيمياء، البناء، النقابة العامة للتربية الوطنية وغيرها، وكان قاداتها مثل "ألبير ديترز" و"أوجين ديكومب" ينصتون لقادة الودادية، ويسعون إلى إيجاد الحلول المناسبة للقضية الجزائرية عن طريق التفاوض مع "ج.ت.و"، وهذا ما تمّ حين اجتمعت الودادية والكونفدرالية الفرنسية للعمال الكاثوليك ببروكسل في 21 فيفري 1961 للتوقيع على بيان مشترك يوصي بفتح مفاوضات مباشرة تفتح الطريق إلى الاستقلال.¹

إلى جانب ذلك شاركت أيضا فدرالية الكيمياء بقيادة "روبير ماريون" "Robert Marion" في الحملة المضادة لإرسال المجندين الفرنسيين إلى الجزائر منذ ديسمبر 1955، ومن جهتها وقّعت النقابة العامة للتربية الوطنية بقيادة "بول فينيو" في أكتوبر 1957 على بيان ندّد فيه بالتعذيب والإعدام خارج العدالة والاعتقال التعسفي دون محاكمة²، كما واصلت الودادية في إقامة علاقات عمل في المستوى الأعلى للقيادة النقابية، كالتّي أقامتّها مع نائب رئيس الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسّحيين "أندري جونسون" "André Johnson" المكلف بالعلاقات مع النقابات الإفريقية "جيرار إيسبيري" "Gérard Esprit"، وكذا الاتصالات مع الأوساط المسيحية واليسار النقابي حرصا على عدم إهمال أية مساعدة للقضية الجزائرية مهما كانت مادية اقتصادية كالمساعدة في الإمدادات العسكرية والاشتراكات المالية، أو معنوية سياسية كالرسائل الأخوية والعرائض الاحتجاجية المناهضة للسياسة التعسفية ودعم الأهداف المشتركة في تحقيق السلام والاحترام المتبادل.³

1 Haroun, op, cit, pp68 – 69.

2 Ibid, p69.

3 Ibid, pp68 – 69.

وقّعت 53 منظمة فرنسية شبانية من مختلف التيارات رسالة سلم بمبادرة من الكونفدرالية الفرنسية للعمال الكاثوليك، تمتد من اتحاد الطلبة الفرنسيين إلى الشبيبة العمالية المسيحية ومن السياحة والعمل إلى الكشافة ومرشدي فرنسا، ثم واصلت ودادية العمال الجزائريين اتصالاتها مع الأوساط المسيحية وامتدت إلى قطاعات أخرى فأثارت جمعية "الحياة الجديدة" ومنشطها "أنري كرويزيا" "Henri Chorisia" بمصير اللاجئين الجزائريين في الحدود التونسية والمغربية، ومن بين الأعمال الداعمة التي نتجت عن نشاط العمال في المهجر قيام قساوسة مدينة "ليل" الفرنسية بإيصال النقابيين الجزائريين إلى أسقف "فريبورغ" بألمانيا الاتحادية الذي كان قد جمع في كنيسه مبالغ هامة لدور الأطفال الجزائريين ضحايا الحرب.¹

2. ماليا:

كان نظام التمويل من المهام الرئيسية لقيادة الثورة، وكانت الاشتراكات عبارة عن مساهمة تُؤدّى بانتظام وموزّعة بطريقة متفاوتة حسب المناطق والولايات²، كما كان هذا النظام من أولويات المهام التي أُسندت للفدرالية حيث كُلفت بالعمل على جمع الأموال من المهاجرين بكل الوسائل المتاحة والممكنة³، وفي الوقت الذي كانت فيه التبرعات والهبات تقدم من طرف التجار والحرفيين وميسوري الحال في الغالب بشكل عفوي وتلقائي، كانت الاشتراكات كمساهمة مالية تُؤدّى بانتظام كواجب على كل مواطن قادر تُدفع بشكل إجباري حيث تشددت الثورة في ضرورة دفعها وأقرّت عقوبات ضد المتهربين منها لأن الجهاد غير مقتصر على النفس فحسب بل يشمل المال أيضا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾⁴

بدأت الثورة في البحث عن مصادر للتمويل بالخارج وهيكلتها على غرار ما وقع في الداخل واستطاعت في فترة وجيزة هيكله الجالية الجزائرية في المهجر عامة وفرنسا بشكل خاص، وعن طريقها ستندفق أموال كبيرة لاستمرار العمل الثوري في الداخل⁵، ولم تقتصر على الجالية الجزائرية بل امتد إلى فئات فرنسية وأجنبية من خلال تأسيس شبكات سرية لدعم الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، بل وامتد النشاط أكثر إلى كسب تأييد الدول الشقيقة في العالمين العربي والإسلامي والصديقة في باقي القارات الإفريقية والآسيوية والأمريكية لاسيما منها المساندة لحركات التحرر وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

واجهت الثورة التحريرية صعوبات جمّة في الحصول على هذه الأموال والاشتراكات خصوصا في السنوات الأولى لانطلاقها، ولم يكن توصيل هذه الأموال إليها بالأمر السهل، لاسيما أمام الرقابة الشديدة

1Haroun, op, cit p 69.

2Gilbert Meynier, Mohamed Harbi, Histoire intérieure du FLN 1954- 1962, Casbah édition, Alger, 2003, p 471.

3Jean Luc Einaudi, la bataille de Paris, 17 octobre 1961, édition Media-plus-Constantine, Algérie, 2010, p21.

4 الآية 20 من سورة التوبة.

5 أنظر الملحق رقم 09.

للشرطة الفرنسية، والمعيقات الكثيرة التي كان يجدها مناضلون الجبهة في الحصول على جوازات سفر مزورة وتغيير هوياتهم لتسهيل عملية انتقالهم بين مختلف المناطق الفرنسية من جهة¹، وبين الدول الأوروبية انطلاقاً من البلدان المجاورة للحدود الفرنسية من جهة أخرى، لهذا انصبّ اهتمام قادة الجبهة على كيفية إعداد جهاز مالي لتغذية الكفاح التحرري ومواصلة العمل الثوري وقد مثّلت معضلة المال والتمويل تحدي كبير وقف أمام استمرارية النضال في ظل النقص الفادح في العدة والعتاد، أمام استمرار الاحتلال الفرنسي للبلدان المغاربية كتونس والمغرب وضعف باقي الدول العربية الشقيقة التي يمكن أن تقدم الدعم للثورة التحريرية، لذلك توجهت أنظار الجبهة إلى المهاجرين بفرنسا وباقي الدول الأوروبية لتحمل عبئ التغذية المالية للثورة. أشار "محمد يزيد" في تصريح له إلى نقص العتاد العسكري والتمويل العربي للثورة الجزائرية في بدايتها وأكد أن هذا الدعم العربي المزعوم كان مغالطة تاريخية حيث لا يعدو كونه مجرد تسويق إعلامي ووعود كاذبة كانت نتيجتها الميدانية على أرض الواقع صفر، فقال: "إن قادة الدول العربية وعكس ما يُشاع عنهم، فإنهم في الواقع لم يقدموا لنا أية مساعدة مالية كما كانوا يعلنون، وأن الفضل الكبير في دعم الثورة يعود للمهاجرين الذين لم يكتفوا بدفع الاشتراكات، بل تبرعوا بالكثير من أموالهم وعبروا مراراً عن استعدادهم لدفع أجورهم كاملة إن اقتضى الأمر لذلك، كما أنهم طالبوا بإنشاء بنك في دول خارج فرنسا كالعاصمة المصرية "القاهرة" مثلاً".²

الجدير بالملاحظة أن مصر كانت أكثر الدول العربية دعماً للثورة التحريرية وتبنيًا للقضية الجزائرية، غير أن تطور الأحداث العالمية في ظل صراع الكتلتين الشرقية والغربية قد عرقل كثيراً مساهماتها الداعم لتحرير الجزائر، خصوصاً بعد انضمام بعض الدول العربية إلى معسكر القوى الغربية المعادية للسياسة المصرية، على غرار الأردن الذي مثّل تخليه عن نهج السياسة المصرية ضربة موجعة لسياسة جمال عبد الناصر الذي كان يمثل أكبر داعم للقومية العربية وأكثر معارض للسياسة الليبرالية الأمريكية والأوروبية في منطقتي شمال إفريقيا والشرق الأوسط.³

إن هذه السياسة التي اتبعتها مصر في عهد "عبد الناصر" قد جعلت منها محط أنظار الدول الغربية التي كانت تسير في فلك الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي ظلت داعمة للسياسة الفرنسية في الجزائر معتبرة ما يحدث في الجزائر شأن داخلي فرنسي يخص فرنسا وحدها ولا يحق لأي دولة

¹ أنظر الملحق رقم 10.

² عمر بوداود، الطريق إلى نوفمبر، أعمال المتقن الوطني لكتابة تاريخ الثورة، المنعقد في قصر الأمم من 28 إلى 31 أكتوبر 1981، مج 1، ج3، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981، ص303.

³ Algérie, Moyen-Orient, ONU, Par le général Billotte ancien ministre de la défense nationale président de l'Association France-occident, (MNT), Sé K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

إفريقية أو آسيوية التدخل فيه، كون أي تدخل هو في الحقيقة يخدم مصالح الاتحاد السوفيتي في المنطقة بالدرجة الأولى على حد اعتبارها.¹

لقد كان المركز العصبي لكفاح الجزائريين هي فرنسا نفسها، حيث عايش المناضلون الجزائريون في المهجر ثورة نوفمبر 1954 بكل جوارحهم وأرواحهم منذ انطلاق الرصاصة الأولى، فدعموها بشريا وماليا عبر الاشتراكات السخية، دعما للمجهود الحربي²، ولعل النقطة التي ينبغي التركيز عليها هنا هي أن المهاجرين الجزائريين في أوروبا، كانوا يشتغلون ويحصلون على مرتباتهم بانتظام، ولذلك كان من السهل عليهم أن يدفعوا جزءا من مرتباتهم بسخاء إلى الثورة الجزائرية³، حيث شكلوا تمويل خارجي للثورة فلاشتراكات التي كانوا يقدمونها مثلت نسبة 80% من ميزانية الحكومة الجزائرية المؤقتة.⁴

كما أن العمال الجزائريين في المهجر عموما وفي فرنسا خصوصا كانوا يساهمون شهريا بـ 500 مليون فرنك فرنسي قديم⁵، وكانت مساهماتهم المالية في تطور مستمر ويبدو أن ذلك راجع إلى تزايد عدد المنظمين لفدرالية جبهة التحرير الوطني من جهة وزيادة عدد المؤطرين فيها من جهة أخرى وأصبح بذلك الانضمام أكثر والتنظيم أدق، حيث كانت تحصل "ف.ج.ت.و" في فرنسا على زكاة الفطر التي قدرت آنذاك بـ 200 فرنك فرنسي قديم بما فيها للتي كانت تُجمع من زكاة وعشور العالم العربي والإسلامي من طرف المهاجرين والجمعيات الخيرية⁶، وفي أوت 1957 ارتفعت الاشتراكات لتصل إلى 1500 فرنك فرنسي قديم، وفي سنة 1960 بلغت المداخل 5.986.201.321 أي حوالي 06 ملايين فرنك فرنسي قديم⁷، وفي مارس 1961 أصبحت الاشتراكات 300 فرنك فرنسي قديم بالنسبة للعمال الأجراء⁸، أما أصحاب المقاهي والمطاعم والفنادق فكانت حسب أهمية هذه المحلات، حيث يدفعون 5000 فرنك كمبلغ قاعدي حيث ترتفع حصة الاشتراك حسب رأسمال كل تاجر⁹، حتى أصبحوا يدفعون شهريا ما بين 10000 إلى 15000 فرنك فرنسي قديم¹⁰.

يتضح جليا أن المهاجرين بكل فئاتهم كانوا معينين بدفع الاشتراكات للثورة دون استثناء كل حسب قدرته عمالا وموظفين في مختلف المؤسسات والمصانع والورشات والفنادق، لكن ظلت فئة التجار الفئة الأكثر دفعا لكون حالتهم المادية ميسورة ومستقرة أكثر من باقي الفئات، واستمر تطورها مع تطور الثورة

1 André Fontaine, inquiétude pour l'Algérie, de notre envoyé spécial, (MNT), Sé K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

2

3 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر...، مرجع سابق، ص 544.

4 Haroun, op, cit, p 305.

5 هرفي هامون، باتريك رومان، حملة الحقائق...، مصدر سابق، ص 109.

6 Guentari, op.cit, pp 599-600.

7 Ibid, p596.

8 بزيان، دور الطبقة العاملة، مرجع سابق، ص 63.

9 Haroun, op, cit, pp 305 - 306.

10 بزيان، دور، مرجع سابق، ص 63. 64.

حتى بلغت 3000 فرنك فرنسي جديد شهريا لكل عامل مع بداية الستينات، ولم يكن الأمر يقتصر على الاشتراكات المفروضة بل كثيرا ما تبرّع الجزائريون بمبالغ إضافية في المناسبات الوطنية كمناسبة أول نوفمبر.¹ وحتى الجزائريات المغتربات ساهمن بقدر في تحمل جهد تمويل الثورة ولو بمبالغ بسيطة حدّدت بـ 500 فرنك فرنسي قديم²، ليؤكد ذلك مساهمة كل المهاجرين بفرنسا رجال ونساء في مساندة القضية الوطنية ودعمهم المتواصل للثورة التحريرية كل حسب قدراته المالية وظروفه المادية.

كانت الاشتراكات والمبالغ التي جمعت شهريا قد وصلت سنة 1958 إلى أكثر من أربع مئة مليون فرنك، وكان من الضروري لنقل كل هذا المال من ستة إلى ثمانية حقائب غليظة³، وقد تمّ ذلك بواسطة شبكة خاصة تدعى "شبكة جونسون"⁴، التي بلغ عدد عناصرها ما بين 200 و3000 عنصر انضموا إلى الشبكة عن قناعة سواء إيديولوجية أو فكرية أو سياسية أو أخلاقية⁵، وكان يديرها "فرانيس جونسون" الذي سبق له وأن زار الجزائر قبل ثورة نوفمبر 1954، ووقف على حياة السكان المسلمين من الشعب الجزائري فألمه وضعهم وأدرك عن قرب بؤسهم وشقائهم في ظل الاستعمار الاستيطاني الجهنمي الذي ليس له مثيل في العالم إلا الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

زعمت الشرطة الفرنسية أن مداخل الاشتراكات لم تكن إرادية وطوعية من طرف المهاجرين بل كانت تتمّ تحت التهديد والعنف المُمارس من طرف إرهاب جبهة التحرير بفرنسا وأن تلك المداخل كانت ثمرة ابتزاز وتهريب⁶، إلا أن تلك المزاعم كانت باطلة حيث كان المهاجرون الجزائريون يدركون جيدا أهمية المسؤولية الملقاة على عاتقهم، واعتبروا أن تمويل الثورة هو واجبا وطنيا، كما أورده لنا عمار بوحوش حسب شهادة أحد العمال بقوله: "...والسياسة التي اتبعناها هي إننا كنا دائما نسعى لإقناع الفرنسيين، بأننا لا نخوض الحرب ضدهم، ولكننا نحارب المعمرين الذين اغتصبوا خيرات بلادنا ويستخرون الجيش لخدمتهم والدفاع عن حياتهم".⁷

كانت هذه الأموال تصل إلى قادة الثورة عبر عدة طرق وأشكال التي من بينها توظيف الأجانب لنقل الأموال وتحويلها، واستطاعت فدرالية الجبهة تنظيم عملية الدفع لهذه الاشتراكات في فترة لبجاوي الذي أرسل رسالة إلى عبان ومسؤولي الولايات شرح فيها الفوضى السائدة في دفع العمال في فرنسا

1 أعمار قليل، مصدر سابق، ص 352.

2 Raymond Muelle, 7Ans de guerre en France, quand le FLN frappait en métropole, Edition Patrimoine – France, 2001, p 311.

3 هرفي هامون وباتريك رومان، حملة الحقائق...، مصدر سابق، ص 118.

4 سعدي بزيان، "صفحات عن دور العمال الجزائريين في المهجر في ثورة نوفمبر 1954"، مجلة الذاكرة، ع الثالث، س الثانية، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، بوزريعة، الجزائر، 1995، ص 176.

5 أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954. 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005. 2006، ص 181.

6 Haroun, op, cit, p 306.

7 أعمار بوحوش، العمال، مرجع سابق، ص 219.

لمساهماتهم المالية لفدرالية الجبهة بفرنسا¹، وأصبحت هي من تتولى بنفسها جمع وتحويل هذه الاشتراكات بدقة عالية ومراقبة صارمة ومتابعة كبيرة لكل المستجدات على مختلف المستويات سواء في القيادة العليا أو القاعدة الشعبية.²

وبسبب هذه الحركة لشبكة نقل الأموال، قامت الشرطة الفرنسية بتسخير كل ما لديها للحد من هذه الحركة، وذلك لضمان وصول الأموال ضرورة ملحة مما جعل "ف.ج.ت.و" بفرنسا تعطي تعليمات صارمة لإيصال ودفع المبالغ المجمعة إلى أماكنها المحددة، في ظرف لا يتعدى ثلاث أيام على أقصى تقدير، وكان لهذا الإجراء نتائج إيجابية غير أن الشرطة الفرنسية انتبعت للمسألة مما جعل تركيز عملية جمع الأموال في نهاية كل أسبوع ونهاية كل شهر، أي تاريخ قبض العمال لأجورهم وفي نفس الوقت دفع مستحقات اشتراكهم للفدرالية، وبالتالي تم جمع الاشتراكات في تواريخ غير منظمة وأصبح كل من كُلف بالجمع ملتزم أجندة خاصة به.³

حيث كانت هذه الأموال تُجمع على مستوى الحي ثم على مستوى المدينة ثم الجهة، ومن كان يقوم بهذه المهمة جزائريون وبعد ذلك تقوم شبكات الدعم بدورها، وفي سنة 1958 كانت تنقل الأموال عن طريق شبكة جونسون في ستة إلى ثماني حقائب دبلوماسية، وقد شاركت السفارة التونسية في العمل⁴، ثم تولى العملية فيما بعد "هنري كونيال" والذي كان ينقل الأموال في علب كرتون، ويقوم سائق بنقلها إلى البنك الذي يكون أعوان اتصال يعرفهم هنري في انتظار السائق، ثم تحول الأموال إلى سويسرا ويستقبلها مراسل وهو الأب الراهب الدومينيكي كريتش، وما ساعد هنري على نقل الأموال عن طريق البنوك هو كونه ابن مصرفي⁵، وينشط ضمن شبكة "جونسون" المساندة لج.ت.و.⁶

وكانت توزع أموال الاشتراكات وفقا لمصالح الثورة، فكانت القسط الأكبر منها تحول إلى سويسرا، ثم إلى مقر الحكومة المؤقتة بعد تأسيسها في 19 سبتمبر 1958، والباقي في أوروبا كمصاريف لنقل هذه الأموال وتزيد نفقات مكاتب جبهة التحرير⁷، في بونو، جنيف، وروما، ومساعدة السجناء الجزائريين في سجون فرنسا وعائلاتهم، ودفع نفقات المحامين وتسفير المناضلين المعرضين للاعتقال من طرف مصالح الأمن الفرنسي.⁸

1 لجواوي، حقائق حول الثورة، دار الفكر الحر، 1971، ص 93.

2Rapport sur citations à Marseille, Boit2 Doss 31⁵, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger , le 31.11.1961.

3Haroun, op, cit, p 309.

4هرفي هامون، باتريك روتمان، مصدر سابق، ص ص 117 . 118.

5نفسه، ص 125.

6Benyounes, op.cit, p78.

7Haroun, op, cit, p 332.

8 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 68.

يذكر "مزيان الشريف" كيف كان ورفاقه في النضال سواء في المنظمة الخاصة أو في الفدرالية يتنكّرون ويتّصفون بصفات الفرنسيين والأوروبيين من خلال ارتدائهم لثياب وأحذية جديدة وأنيقة حتى لا يظهرون بمظهر العمال المغاربة الذين يتم التعرّف عليهم بسرعة من قبل المصالح الأمنية الفرنسية، ويعود الفضل في ذلك إلى الاشتراكات المالية التي كان يدفعها العمال المهاجرون، حيث قال: "كنا نمتلك إمكانيات مالية كافية بفضل الاشتراكات الشهرية للعمال الجزائريين الذين ساهموا بهذا الشكل في مجهود الكفاح الداخلي، بغض النظر عن الأعمال الأخرى المباشرة التي لم يتردد الكثير منهم القيام بها من خلال استعدادهم اللامشروط لخدمة الجبهة".¹

يتضح جلياً أن المهاجرين الجزائريين في فرنسا قد عايشوا الثورة التحريرية بكل جوارحهم وأرواحهم منذ انطلاق الرصاصة الأولى فدعموها بشريا وماليا عبر الاشتراكات والتبرعات السخية، دعما للمجهود الحربي، ولعل النقطة التي ينبغي التركيز عليها هنا هي أن المهاجرين الجزائريين في أوروبا كانوا يشتغلون ويحصلون على مرتباتهم بانتظام ولذلك كان من السهل عليهم أن يدفعوا جزءا من مرتباتهم بسخاء إلى الثورة الجزائرية²، ولم يكن توصيل الأموال للثورة أمر سهل، إلا أن عزيمة المناضلين تغلبت على كل الصعاب وذلك بفضل مساعدة أصدقاء الثورة الجزائرية وفي مقدمتهم "جونسون" و"كوربال" اللذان تحدّيا كل الصعاب وتطوعا للقيام بمهمة توصيل الأموال للجبهة وقد دفع هذا الأخير حياته ثمنا لهذا الموقف الإنساني المشرف حيث اغتاله أعوان النظام الفرنسي الذين اعتبروه عميلا وخائنا للأمة الفرنسية.³

إن عزيمة الجزائريين في المهجر قد تغلبت على كل الصعاب والعراقيل وذلك بفضل مساعدة العديد من أصدقاء الثورة الجزائرية الذين أقروا بعدالتها ووقفوا ضد سياسة بلادهم الخبيثة لإخماد صوت الحق، والذين اعتبرتهم حكومة بلادهم عملاء وخونة متناسية خيانة أعضائها لكل المبادئ والقيم الإنسانية التي تجاوزوها في سياستهم الاستعمارية المجحفة في حق الجزائريين والتي فاقت في بشاعتها كل النظم الاستعمارية بما فيها النازية، ضارين عرض الحائط كل الشعارات الدولية والمنظمات الحقوقية التي طالما نادى بحق الشعوب في تقريرها مصيرها، فتجاوزوا بسياستهم تلك كل الحدود الإنسانية والأعراف القانونية والديانات السماوية.

المطلب الرابع: التقنيات المعتمدة من طرف الفدرالية في جمع الاشتراكات ومواجهة التحديات

واجه مناضلو الفدرالية بفرنسا صعوبات وعراقيل جمّة في تحصيل الاشتراكات المالية والحصول على مصدر مالي ثابت لتغذية الثورة، وأهمها الملاحقة المتواصلة لأفراد الشرطة الفرنسية لهم وتتبع أثرهم أينما حلّوا وارتحلوا، ونجاحها في إلقاء القبض على الكثير منهم بين الحين والآخر لاسيما أثناء محاولتهم

1 Meziane Cherif, op.cit, p 102.

2 عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، مرجع سابق، ص544.

3 عمار قليل، مصدر سابق، ص352.

نقل تلك الأموال المجموعة وإدخالها إلى الجزائر، في ظل الرقابة المشددة وانتشار العملاء والخونة بما فيهم بائعي الأسلحة، إضافة إلى عزوف العديد من المهاجرين عن الدفع بخلا من عندهم أحيانا وخوفا من جهات أخرى كالفرنسيين والمصاليين أحيانا أخرى، وعلى هذا الأساس ابتكر قياديو الفدرالية تقنيات مختلفة واستراتيجيات محكمة لتنظيم عملية الجمع وجعلها أكثر شمولية، وذلك من خلال عدة طرق وأساليب تجسّد أهمها في:

أولا - تبني الصرامة وسياسة العقاب:

كانت الصرامة إحدى أهم التقنيات التي اعتمدتها الجبهة في جمع الاشتراكات وتعزيز نظامها المالي خاصة في البدايات الأولى لاندلاعها، حين اعتبرت أن تاريخ الاندلاع هو نفسه التاريخ المعتمد لبداية دفع المهاجرين لاشتراكاتهم وليس تاريخ انضمامهم لها والذي قد يكون بعد عدة أشهر أو حتى سنوات، ومن تأخر في الانضمام سيكون ملزما بدفع اشتراكاته بأثر رجعي وتعويض الثورة عن تأخره في الدفع، وقد اضطرّت الجبهة لفعل ذلك بسبب عزوف الكثير من المهاجرين عن الدفع وعدم الاستجابة لأوامرها لاسيما في ظل انتشار أتباع مصالي بكثرة وتأسيسهم "ح.و.ج" وادعائهم بتفجير الثورة مستغلين شهرة مصالي وحب المهاجرين له بحكم تاريخه النضالي الطويل، في الوقت الذي لم يكن مفجّرو الثورة الحقيقيين معروفين في أوساط هؤلاء المهاجرين لذا فضّل الكثير منهم عدم الدفع بشكل نهائي أو الدفع للمصاليين.

عانى الجزائريون في المهجر كثيرا من هذا الانقسام، ومن صرامة فدرالية الجبهة في إرغامهم على الدفع خاصة بعد اعتمادها شرط التعويض عن التأخر ما أدى إلى انقسامهم أيضا بين مؤيد طائع وخائف مُرغم، و متمرد رافض، حيث برزت ثلاثة فئات مختلفة، فئة مؤيدة للجبهة ولأوامرها قبلت بكل شروط الدفع وتحول معظم مواطنيها إلى مناضلين وناشطين في صفوف الجبهة، وفئة ثانية قبلت أيضا بشروط الفدرالية لكن عن مضض حيث لم تستصغ تعويض الدفع عن تأخرها لأنها لم تكن قد فهمت حقيقة الوضع في الجزائر منذ البداية فاختلط عليها الأمر، ولكن بمجرد توضيح الرؤية لها أعلنت ولائها للثورة والاستعداد للدفع الذي رأت أن يكون من تاريخ زوال الضباية عنها وانضمامها رسميا للجبهة، لكن هذه الفئة وبسبب خوفها من الإجراءات العقابية للجبهة وجدت في دفع الاشتراكات المتأخرة حلا وحيدا للحفاظ على حياتها ومصالحها، في حين ظلت فئة ثالثة متمسكة بموقفها في عدم عدالة قرار فدرالية الجبهة فقررت البقاء على الرفض المطلق والانتقال إلى الجهة الفرنسية المضادة للثورة والتعاون معها في كشف مناضلي الجبهة بطرق مختلفة للحصول على حماية الشرطة لحياتهم من جهة والتملّص من الدفع للجبهة من جهة أخرى.

ثانيا . اعتماد النظام الشامل والتنظيم الكامل للعملية:

هدفت "ف.ج.ت.و" بفرنسا إلى تجنّب حدوث أية فوضى أو اختلاط للمهام والصلاحيات التي يكلف بها مناضلوها في جمع الاشتراكات لذلك عمدت إلى الاختيار الدقيق لهؤلاء المكلفين بالعملية

وتوخي الحذر الشديد في التعامل مع كل مشبوه أو مشكوك في أمره أو غير معروف أصله وتوجهه ومكان عمله وإقامته، حتى يتم اختيار من هم في مستوى القيام بجمع الاشتراكات حيث تكون لهم ثقة لدى المهاجرين وقدرة على إقناعهم بطرق لينة بعيدا عن العنف الذي لا يولد إلا عنف مضاد لن يكون أبدا في خدمة الثورة أو جهازها المالي، وقد اضطرت الفدرالية لاعتماد هذه الإستراتيجية الدقيقة رغم صعوبتها بسبب كثرة الشكاوي التي قدمها العديد من أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا جرّاء ما كانوا يتعرضون له من تهديد ووعيد من قبل من كانوا يرغمونهم على دفع اشتراكاتهم المالية.

إلى جانب سوء تصرف جامعي الاشتراكات والتبرعات، اشتكى بعض المهاجرين الجزائريين أيضا من جشع هؤلاء واعتبروا أن ما يتحصلون عليه لم يكن يُسَلَّم كاملا للجبهة، بل يسلّمون لها جزء فقط ويحتفظون بالباقي لهم، كما أن ضعف التنسيق بين الداخل والخارج في بداية الثورة ضاعف من هذه التجاوزات وهذا ما أشار إليه "هارون" في مذكراته بأن بعض المسؤولين المحليين في جيش التحرير في مناطق كثيرة من الوطن كانوا لا يعرفون شيئا عن وجود فدرالية للجبهة في فرنسا تتولى مهمة جمع الاشتراكات، لهذا كانوا يلجؤون إلى التعامل المباشر مع المهاجرين خاصة من لهم أصول من نفس المنطقة لجمع الاشتراكات منهم، وكان هؤلاء ينبهرون بتلك الرسائل التي كانت تصلهم مباشرة من الجبال فيدفع المبلغ المطلوب وينفذون الطلب لمن كان فعلا يحارب في الميدان، لكن عندما تصلهم أوامر أخرى من الفدرالية تجبرهم على دفع مبالغ أخرى كانوا يتفاجؤون لاضطرارهم للدفع مرة أخرى، ما تسبب حسبه في خلق إشكال في عملية جمع الأموال لقيادة الجبهة بفرنسا وأثر بشكل مباشرة على العمل الثوري في الداخل.¹

بسبب استمرار مثل هذه العمليات التي خلقت نوعا من الاضطراب داخل تنظيم الفدرالية، وجدت هذه الأخيرة نفسها مجبرة على وضع تنظيم دقيق للعملية واعتماد نظام شامل يضمن التنسيق التام بين الجزائر وفرنسا ذو دقة عالية في جمع الاشتراكات في الوقت المناسب وحسب حالة وظروف المهاجرين، وذلك بهدف تجنّب التداخل بين صلاحيات ومهام فروع الجبهة وهيكلها، وفي هذا السياق أورد "هارون" رسالة رفعتها الفدرالية سنة 1960 إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من بين ما جاء فيه: "...إلى الأخ وزير الداخلية، لازال مناضلونا في فرنسا يتلقون رسائل من البلاد من مختلف القطاعات ومراكز جيش التحرير تطلب منهم دفع الاشتراكات، لقد طلبنا منكم العديد من المرات التدخل لدى قيادة الأركان لوضع حد لهذه المعظلة..."²

ثالثا . اعتماد نظام السرية التامة في جمع ونقل الأموال:

1Haroun, op, cit, pp307 – 308.

2Ibid, pp308.

بسبب الرقابة الشديدة التي اعتمدتها عناصر الشرطة الفرنسية للإطاحة بمناضلي الفدرالية حتى وصلت إلى التنسيق مع شرطة البلدان الأوروبية المجاورة لفرنسا كالشرطة السويسرية التي ساعدتها في إلقاء القبض على "مراد طربوش" وحلّ القيادة الأولى للفدرالية، إضافة إلى الشرطة الألمانية والبلجيكية وغيرها، وقد كانت عناصر الشرطة تنال تقديرا وعرفانا كبيرين من طرف الحكومة الفرنسية كلما نجحت في توقيف عناصر الجبهة أو حجز أموالها، لذا كان لابد على الجبهة الردّ باعتماد السرية التامة قدر المستطاع للإفلات من الرقابة والقدرة على جمع الاشتراكات وإيصالها للثورة في الجزائر بكل الطرق السرية بعيدا عن أعين الشرطة، كالاستعانة ببعض الأوروبيين أو حتى الفرنسيين المتعاطفين مع القضية الجزائرية والمُقرّين بعدالة كفاح الشعب الجزائري، إضافة إلى اختيار الجزائريين الذين كانت لهم ملامح أوروبية كالشعر الأصفر والعيون الخضراء أو الزرقاء حتى يبدوون كالفرنسيين، كما لجأت الفدرالية في هذا الإطار إلى تزوير وثائق وهويات مناضليها وتطوير هذه العملية لتسهيل خروجهم من التراب الفرنسي نحو مختلف الدول بأمان ويسر.

لقد أثّرت عمليات المتابعة للشرطة الفرنسية على نشاط الفدرالية بشكل عام وعلى معنويات المناضلين بشكل خاص حيث كانوا يتألمون كثيرا عندما تذهب جهودهم الكبيرة في تحصيل وجمع الاشتراكات والتبرعات والأخطار العديدة التي كانوا يواجهونها في مسيرة الحصول عليها لتُحول في نهاية المطاف لصالح السلطات الفرنسية بعد اكتشافها، حيث لم تكن هذه الأخيرة تدّخر أي جهد لكشف مخابئ أموال الجبهة ومطاردة حاملها وناقليها وشبكات الجمع والتوزيع التابعة لها وسخّرت كل ما لديها من قوة وعتاد وخبرة للإطاحة بالفدرالية ومناضليها والقضاء على مصادر دعمها وتمويلها، وفي المقابل لم تقف الجبهة مكتوفة الأيدي ولم يستسلم مناضلوها لكل تلك الإجراءات العقابية بل طوّرت هي الأخرى أساليب عمل تضمن بها جمع ونقل الأموال، ومنها السرعة في عملية الجمع والنقل في مدة لا تتعدى الثلاثة أيام بهدف تفادي عمليات المطاردة والمداهمات المفاجئة للشرطة.

انتبهت الشرطة الفرنسية لخطة الفدرالية فردّت بتجنب المداهمة اليومية والتقليل من عمليات المطاردة لشبكات جمع الأموال حتى تتمكن من كشفها في وقت لا تتوقعه من خلال تركيز عملها في نهاية كل أسبوعين ونهاية كل شهر، وهو ما يصادف تاريخ قبض العمال لأجورهم التي يدفعون منها اشتراكاتهم لفدرالية الجبهة، إلا أن هذه الأخيرة تنبهت أيضا للخطة الفرنسية فأصدرت تعليمات جديدة تنصّ على ضرورة جمع الاشتراكات في تواريخ مختلفة وبطريقة غير منتظمة كعملية تضليلية لأجهزة الأمن الفرنسية، كما أنها قامت بتخصيص فرع مكلف بجمع أجندة خاصة به مع إجباره على الالتزام المطلق بها، وبهذه الإستراتيجية الدقيقة استطاعت الفدرالية من النجاح في الحد من عمليات الكشف وحجز الأموال الموجهة للثورة في الداخل.¹

رابعا . ضبط المواد المالية وتنظيم عملية الإنفاق:

1Haroun, op, cit, pp308 – 309.

رغم أن أكبر نسبة من الاشتراكات والتبرعات والمداحيل المالية كانت موجهة إلى تمويل العمل المسلح داخل الجزائر وإكمال الكفاح الثوري إلا أن الفدرالية كانت لديها مجالات أخرى وأنشطة متعددة خاصة ما تعلق بالأمور الاجتماعية بأمور المهاجرين الجزائريين بفرنسا ولاسيما المناضلين منهم في صفوف الجبهة والذين يفتقدون لمصادر الدخل وكانوا يكلفون بتنفيذ مهام متعددة، فكان يتوجب عليها إذن أن تلبي احتياجاتها المالية وتخصص نفقات مالية ومساعدات مادية لها حتى تضمن استمرار النضال الثوري داخل الجزائر أو خارجها.

خصّصت فدرالية الجبهة ما كان يتبقى من الحصيلة المالية لميزانيتها إلى جانب تغطية أنشطتها الإدارية إلى الإنفاق على العديد من الجهات والفئات الاجتماعية، كقوة الطلبة التي حرصت على مساعدتها من خلال توفير المنح الجامعية والمأوى وتخصيص اقتطاعات مالية من الميزانية لتغطية تكاليف الطبع والنشر والإعلام، وقوة المسؤولين في الفدرالية من خلال تغطية وتسديد نفقات تنقلاتهم عبر مختلف الدول العربية والأوروبية خصوصا حيث تتواجد مكاتبها ببلجيكا وسويسرا ولندن وغيرها¹، وذلك في إطار مساعيهم لمواكبة الأحداث العالمية وحضور المحافل الدولية لدعم الثورة التحريرية سياسيا ودبلوماسيا من خلال كسب صداقة وتأييد دول جديدة للقضية الجزائرية وعزل الدبلوماسية الفرنسية أكثر عن الساحة العالمية، وكذا ماليا وعسكريا من خلال توفير مصادر دخل جديدة من طرف الدول الصديقة ومن ثمة تطوير نظام التمويل والتمويل والإمداد.

كذلك لقيت فئة الرياضيين الناشطين ضمن النوادي الفرنسية اهتمام كبيرا من طرف قياديي الفدرالية بفرنسا، خصوصا لاعبي كرة القدم باعتبار هذه الرياضة اللعبة الأكثر شهرة وشعبية في العالم وبالتالي إمكانية تدويل القضية الجزائرية في الساحة العالمية في حالة النجاح في إنشاء فريق رياضي قادر على خوض مختلف المنافسات الرياضية عبر دول وقارات مختلفة، وهي الفكرة التي ستترجم فيما بعد في تأسيس فريق جبهة التحرير الوطني لكرة القدم²، وكذلك فئة الشباب المقاوم لاسيما الهاربين من الخدمة في الجيش الفرنسي من خلال منحهم وثائق هوية مزورة لتفادي قبض الشرطة الفرنسية عليهم، إضافة إلى فئة المساجين والمعتقلين من خلال تخصيص مبالغ مالية للتكفل بذويهم وعائلاتهم طيلة فترة غياب المسجون عنهم.

أورد "ستورا" "Stora" أن المصاريف الشهرية التي كانت الفدرالية تنفقها قد بلغت ما بين 08 إلى 14 مليون فرنك فرنسي قديم³، في المقابل ذكر "هارون" تقييما للمصاريف الشهرية لفدرالية فرنسا التي كانت موجهة لقضاء مصالحها المختلفة سنة 1961 بالفرنك الفرنسي القديم وكانت على الشكل التالي⁴:

72.000.000	الصندوق الداخلي للضمان ولجنة إعانة المساجين

1Guentari, op.cit,p 600.

2 Ibid, p p599 -600.

3Stora, Ils venaient d'Algérie...,op.cit, p163.

4Haroun, op, cit, pp 312 – 313.

الفصل الثاني : النضال السياسي والثوري للفئات الجماهيرية

20.000.000	تنظيم تكاليف التسيير المختلفة
9.800.000	مجموعة محاميي الفدرالية
1.500.000	المنظمة الخاصة التابعة للفدرالية
800.000	الودادية العامة للعمال الجزائريين
500.000	الفرع الجامعي الطلابي
850.000	لجنة الصحافة
3.500.000	مصالح الشبكات والخلايا
1.200.000	الشباب المقاوم

كما أورد أيضا تقييما آخر للنفقات التي خصّصتها الفدرالية للمساجين وعائلاتهم باعتبار أن هذه الفئة قد نالت القسط الأكبر من هذه المصاريف، والتي قدّرت في بداية سنة 1961 بـ 92.411.214 فرنك فرنسي قديم فكانت على النحو التالي¹:

7.225.000	منح الدائمين
438.000	أعباء العائلات
1.337.960	النقل
348.040	شراء العتاد
70.904.298	لجنة إعانة المساجين
6.069.921	متفرقات
6.087.955	خسائر

أن التزايد المستمر لتدفّق المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا قد جعل قيادة "إ.ع.ع.ج" تسعى إلى تطهيرهم والتكفل بهم بما يخدم القضية الوطنية، من خلال تعزيز أدوارهم السياسية والاقتصادية في المهجر، وقد ساهم هذا الاتحاد العمالي بفضل سياسته البرغماتية المبنية على الانفتاح على جميع التنظيمات النقابية في العالم تماشيا مع ظروف الصراع الإيديولوجي آنذاك، والتجنيد الفعال لكل عمال العالم من أجل مؤازرة كفاح الشعب الجزائري وكسب تأييد هذه الطبقة العاملة للقضية الجزائرية وتدويلها على نطاق واسع. على الرغم من سياسات القمع والاضطهاد التي كانت تطال هذه الشريحة سواء في أماكن عملهم أو مقرات سكنهم أو حتى في المقاهي التي كانوا يرتادونها، إلا أن تلك السياسات التعسفية لم تزدهم سوى

1Haroun, op, cit, pp 312 – 313.

1Ibid, pp 311 – 312.

إصرارا للمضي قدما نحو نصره الثورة ودعم الكفاح المسلح ورفع التحدي في مواجهة الاستعمار، وهذا ما جعل العمال الجزائريون يشكلون محور اهتمام مختلف التشكيلات قبل الثورة وأثنائها، وظلوا المنبع الرئيسي الذي ظلت الثورة التحريرية تنهل منه لتعزيز مسار الكفاح المسلح عبر التبرعات والاشتراكات التي تمت عبر آليات وطرق لم تتمكن الدوائر الفرنسية في الجزائر والحكومة الفرنسية في باريس من اكتشافها أو معرفة خباياها وطرق عملها وانتشارها.

المبحث الثاني: نضال الفئات الطلابية المهاجرة

المطلب الأول: بؤادر النضال الوطني للطلبة المهاجرين الجزائريين

هدف الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه الأراضي الجزائرية سنة 1830 بسياسته التعليمية في الجزائر إلى تجهيل الشعب الجزائري ومحو هويته الوطنية وركائز شخصيته الدينية، وحرمانه من ثقافته التقليدية، ومن الثقافة العصرية المتطورة والمتجددة، لكن هذا الشعب لم يبق مكتوف الأيدي مستسلما لهذه السياسة، بل قاومها وعارضها متمسكا بثوابته الأساسية وشخصيته، وقد لعب الطلبة والمثقفين بصفة عامة دورا بارزا وحيويا في الكفاح الوطني وكان ردالنخبة الجزائرية قويا بدفاعها عن ثوابت المجتمع الجزائري وقيمه، فنجحت في المحافظة على الهوية الجزائرية ورصيدها الحضاري وانتمائها العربي الإسلامي، بالرغم من كل الصعوبات والعراقيل التي كان يواجهها هؤلاء المثقفون الجزائريون بمختلف توجهاتهم (الفرانكفونية - الإسلامية) من محاولات التشييت التي كانت تتبعها السلطات الفرنسية، مُستعملا في ذلك سياسيي الترغيب والترهيب، المُعلنة والخفية، واستطاعوا بجهود ضخمة ومساعٍ حثيثة من تحقيق إنجازات كبيرة على جميع جهات الوطن، صامدين في وجه مناورات الاحتلال وعراقيله التي أقامها في طريقهم التربوي والإصلاح.

مع نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م بدأت تظهر محاولات جمع الشمل لكل هذه الاتجاهات للمطالبة ببعض الحقوق المشتركة، تمثلت في العديد من التجمعات الطلابية التي ظهرت في الداخل والخارج، ويعود أول تجمع طلابي إلى سنة 1877، وقد انقسمت هذه التنظيمات الطلابية إلى مجموعات كبيرة تجسدت في التنظيمات العامة وهي المشكلة في كل الجامعات الفرنسية ابتداء من 1877 والتي تجمعت كلها في حدود سنة 1907 لتُشكل ما يسمى (U.N.A.R.F)، أي الاتحاد الوطني للتجمعات الطلابية بفرنسا، ويتحول في ما بعد إلى (U.N.E.F) بمعنى الإتحاد الوطني للطلبة بفرنسا، والذي حاول

جمع شمل الطلبة على اختلاف توجهاتهم السياسية والاجتماعية والدينية وذلك للدفاع صفا واحدا عن حقوقهم المشتركة.¹

ثم انخرط الطلبة الجزائريون المهاجرون بفرنسا في التنظيمات الطلابية الموجودة على الساحة ومن بينها "ودادية الطلبة المسلمين الجزائريين" عام 1920 التي ترأسها الطالب "فرحات عباس" سنة 1926، والتي تحولت في ما بعد إلى جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، وقد ساهم بعض أعضائها في تكوين جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا سنة 1927 وكانت تضم طلبة مغاربة إلى جانب الجزائريين²، ورغم الحرص الشديد الذي أبداه أعضاء مكتب الجمعية للمحافظة على وحدة الطلبة وطابعها غير السياسي، إلا أنه برزت خلافات بين الطلبة الجزائريين وزملائهم من البلدان المغاربية الأخرى حول الموقف المتبني إزاء رفض عضوية الطلبة الذين أخذوا الجنسية الفرنسية، وهذا ما أدى إلى التفكير في تأسيس تنظيم طلابي خاص بالجزائريين، وتمثل في جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا (A.E.M.A.F).³

بعد مصادقة الجمعية العامة المنعقدة في 28 فيفري 1930 على قرار طرد الذين أخذوا الجنسية الفرنسية من التنظيم المغاربي⁴، بحجة أن أخذ الجنسية يفقدهم إسلامهم، وأبدى الطلبة الجزائريون معارضتهم لهذا القرار معلنين أن مفهوم التجنس في الجزائر يكتسي مدلولاً خاصاً باعتبار أن الجنسية الفرنسية أمر مفروض عليهم، كما أن ربط إسلامية الأشخاص بعدم أخذ الجنسية الفرنسية يشكل في نظرهم إعلاناً بتحول الجمعية من الطابع النقابي الطلابي إلى العمل السياسي تحت مظلة الأحزاب السياسية⁵، ولهذا السبب لجأ الطلبة الجزائريون إلى تأسيس تنظيم طلابي خاص بهم سمي بجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، وقد لعبت هذه الجمعية نشاطاً كبيراً وحققت انتشاراً واسعاً في أوساط الطلبة الجزائريين ومن بين أهم نشاطاتهم هو التقرب من الأوساط العلمية بصرف النظر عن أصلها وعرقها ودينها.⁶

ويتضح من ظروف تكوّن وتطور التنظيمات الطلابية الجزائرية في فرنسا، أن الاتجاه الذي أخذه هذا التطور كان موجهاً أكثر إلى العمل في حدود الفضاء الجامعي والعلمي وكان مُنصبّاً في البداية على الدفاع عن حقوق الطلبة الجزائريين، وعلى حماية تعليم اللغة والتاريخ والثقافة الجزائرية قبل أن يتحول هذا الانتقال إلى عمل سياسي محض⁷، وباندلاع الثورة المسلحة في الفاتح من نوفمبر سنة 1954، لم يتردد الطلبة في

1 عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية (1871 . 1962) مشارب ثقافية وإيديولوجية، ط1، الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين، قسنطينة - الجزائر، 1994، ص53.

2 يحي بوعزيز، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير (1954 . 1960)، "الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، مج 2، قصر الأمم من 8 إلى 10 ماي 1984، المنظمة الوطنية للمجاهدين، قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، ج 2، ص116.

3 جلال صاري، هجرة الجزائريين نحو أوروبا، مرجع سابق، ص46.

4 نفسه، ص46.

5 عبد الله مقلاتي، "المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرنسيس جونسون نموذجاً"، في، المصادر، مرجع سابق، ص158.

6 صباح نوري، مرجع سابق، ص13.

7 جلال صاري، مرجع سابق، ص48.

الالتحاق بها رغم أن التحاقهم كان بصفة محدودة وجزئية، حيث تُجمع المصادر على أن الطلبة بمختلف تنظيماتهم الفكرية والسياسية كانت مشاركتهم ضعيفة في البداية، ورغم ذلك ظلّت مساهمة هذه الفئة التي أخذت أشكال مختلفة من الأساليب النضالية على قدر كبير من الأهمية لاسيما في نطاق العمل الدعائي داخل الوسط الطلابي الذي كانوا يعيشون فيه سواء داخل الجزائر أو خارجها.¹

لقد أدّى الطلبة الجزائريين بالمهجر دورا كبيرا في دعم القضية الوطنية من خلال تأسيس الجمعيات والانخراط في الأندية الأدبية الفرنسية، بهدف توحيد صفوفهم وتحسين أوضاعهم والقدرة على أداء دورهم الريادي المنوط بهم في مساندة الثورة التحريرية والتعريف بها وبواقع الجزائريين في ظل السيطرة الاستعمارية، فمثّلوا بذلك أحد أهم الروافد التي شدّت عضد الحركة الوطنية من قبل حيث لم تعش يوما هذه الحركة الطلابية على هامش الأحداث التاريخية²، ومثّلت ظهيرا قويا للثورة التحريرية من بعد إذ لم يتردد هؤلاء الطلبة في الالتحاق بها، إمّا عن طريق حمل لواء العمل المسلح أو عن طريق العمل الدعائي داخل الوسط الطلابي الذي يعيشون فيه.³

المطلب الثاني: تطور النضال الوطني للطلبة في فرنسا وظهور "إ.ع.ط.م.ج"

1. تطور النضال الوطني:

لم تكن شريحة الطلبة بمنأى عن الممارسات الاستعمارية الهادفة إلى إقصاء المجتمع الجزائري، وفي هذا الإطار تعرضّ الطلبة إلى أنواع من التهميش المتعمد والتسلط الإداري الهادف إلى تحطيم الهمم وتدميرها، إلا أن هذه السياسات التعسفية والإجراءات القمعية الفرنسية لم تزد الطالب الجزائري إلا تحديًا وإصرارًا على مواصلة التعلم والمضي قدما نحو النجاح، بل كانت دافعا لتأسيس تنظيم طلابي جزائري خاص⁴، بهدف تنظيم الصفوف وهيكله المطالب من خلال تجميع الطلبة وتسهيل دراستهم عن طريق الدعم المادي والمعنوي والمشاركة في مختلف القضايا الاجتماعية والثقافية التي كانت تخص الجزائر، وكذا الانفتاح على المحيط الطلابي المحلي والعالمي من خلال إقامة علاقات مع مختلف التنظيمات الطلابية، فكانت . الجمعية العامة للطلبة الجزائريين . فعلا مدرسة لتحضير الإطارات ووسائل الكفاح، حيث تعلم فيها الطلاب الجزائريون طرق النضال وأساليب الكفاح والتضحية.

1 يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، ج2، 2004، ص 177.

2 عمار هلال، نشاط الطلبة إبان حرب التحرير 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 13.

3 يحي بوعزيز، شخصيات... مرجع سابق، ص 177.

4 التنظيم الطلابي هو الجمعية العامة للطلبة الجزائريين AGEA التي تأسست سنة 1885 وقامت بطرد الطلبة الجزائريين المسلمين من صفوفها، فردّ الطلبة الجزائريون بتأسيس "ودادية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية AEMAN وابتداء من سنة 1931 تحولت إلى جمعية، للمزيد أنظر: Guy Pervillé, Les Etudiants Algériens de L'Université Française 1830 - 1962, édition Casbah, Alger, 1997, p88.

أظهر الطلاب الجزائريون قبيل اندلاع الثورة التحريرية نشاطا قويا تجسّد في عقد العديد من المؤتمرات والسعي لإيصال مطالبهم للحكومة الفرنسية انطلاقا من خبراتهم المكتسبة جراء مشاركتهم في المواجهة العسكرية الثانية التي احتكوا خلالها بشخصيات وشعوب من بقاع وبلدان مختلفة، كما واصلوا في خضم مشوارهم الدراسي نشاطهم النقابي والسياسي محاولين الاستفادة قدر المستطاع من تأييد ودعم بعض النقابات الفرنسية للاتجاه الوطني، لاسيما في ظل انتشار موجة الكفاح التحرري في مختلف دول العالم الثالث وتأييد المنظمات الإقليمية والعالمية لهذا الفكر، إلى جانب ذلك ظل هؤلاء الطلبة يحافظون على فكرة إنشاء منظمة طلابية مستقلة عن نظيراتها الفرنسية وبعيدة عن الوصاية الخارجية.

تميّز الوسط الطلابي الجزائري قبيل اندلاع الثورة التحريرية بتعدد التيارات الفكرية والانتماءات السياسية بين الطلبة ذوو التوجه الراديكالي، والمؤيدين للفكر الشيوعي، والتمسكين بالتوجه الوطني والانتماء الإسلامي، وقد تجسّد هذا التوجه الأخير بشكل أكثر وضوحا في ممثلي "ح.إ.ح.د." في إطار "الجمعية الطلابية لمسلمي شمال إفريقيا" الذين ورغم قتلهم في الساحة الطلابية مقارنة مع باقي المنظمات الطلابية الفرنسية، إلا أن نشاطهم المتواصل ونزعتهم الحيوية كانت تعوض قلة عددهم وتزيد من إصرارهم على افتكاك حقوقهم المشروعة والدفاع عن قضية وطنهم وإثبات عدالتهم.

وعند اندلاع الثورة التحريرية ورغم كل الظروف الصعبة والعراقيل في أرض المهجر، وكل أنواع القمع والسياسات التعسفية إلا أن الطلبة الجزائريون بالجامعات الفرنسية لم يترددوا في الاستجابة لنداء الواجب الوطني والالتحاق بالثورة عشية اندلاعها فقد نظموا أنفسهم في تنظيم جزائري مستقل عن التنظيمات الفرنسية باسم الثورة التحريرية إذ كان تابعا لـ "ف.ج.ت.و." بفرنسا، ليتوحدوا في دعم الثورة بكل ما يملكون من مبالغ مالية أو مكاسب علمية وبرهنوا على كفاءات كبيرة في الدفاع عن الثوابت الوطنية وإدارة العمل الثوري رغم قلة الخبرات والإمكانات وكثرة المسؤوليات والمهام المنوطة إليهم.

2. تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين:

* ظروف التأسيس:

إن تأسيس منظمة طلابية تمثل الإطار المناسب للنشاط السياسي والاجتماعي كان من أولويات الطلبة الجزائريين، وقبل تأسيسها لم تكن الحركة الطلابية الجزائرية مستقلة ذاتيا بل كانت مندمجة في تجمع طلابي أكثر شمولاً من قبل جمعية طلبة شمال إفريقيا مع قيام إخوانهم التونسيين والمغاربة بتشكيل تنظيمات طلابية خاصة بهم¹، وقد بدأت العناصر الوطنية التخطيط منذ سنة 1953 لتأسيس اتحاد طلابي مستقل خاص بهم، بعد أن أدركوا أن الإطار المناسب للنشاط السياسي والاجتماعي هو تأسيس منظمة طلابية مستقلة تهتم بشؤونهم.

1 أعمار هلال، مصدر سابق، ص 23.

غير أن تجسيده على أرض الواقع تأخر بسبب استمرار الخلاف حول التسمية التي يجب أن تُطلق عليه بين "الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بباريس" L'UEAP" الشيوعي، والطلبة الجزائريونذوي البعد الوطني الإسلامي المنضون تحت التنظيم المعروف بـ "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" U.G.E.M.A"، حول مسألة حرف "M" ¹والتي تعني المسلمين، حيث تمسك الشيوعيين بضرورة انفتاح التنظيم على كافة الشرائح الطلابية بغض النظر عن انتمائهم العرقي والديني واللغوي وتمسك خصومهم بمواقفهم السياسية ²، وعدم قبول الطالب الجزائري الاندماج مع غيره من الفرنسيين سواء كانوا من أبناء المستوطنين أو المرتدين أو حتى المجنسين الشيوعيين لأن الجزائري له كيانه وشخصيته التي تميزه عن غيره، وبالتالي فهو بحاجة إلى استرجاع شخصيته العربية الإسلامية ³، ومواصلة تحديه للسياسة الفرنسية بمحافظته على مقومات هويته الوطنية.

سعى "فرحات عباس" إلى التوسط بين الطلبة الفرقاء للتخفيف من هذا الصراع فقام بزيارة إلى العاصمة باريس يوم 02 ماي سنة 1955، واجتمع بهم في فندق بالدائرة الثالثة بباريس، غير أنه فشل في مسعاه بسبب تعصب كل طرف للآخر وتمسكه بموقفه خصوصا التيار الوطني الإسلامي الذي كان ممثلا في شخصية "عبد السلام بلعيد"، "العايشي ياك"، أحمد طالب الإبراهيمي"، "رضا مالك"، "مولود بلهوان"، لكن عباس ورغم فشله إلا أنه أصر على ضرورة اقتناع الجميع بتوحيد الصفوف لأن ذلك سيخدم مصلحة الجميع ⁴.

جرت عملية تأسيس التجمع الخاص بالطلبة الجزائريين إذن في جو تنافسي مع الطلبة المواليين للحزب الشيوعي الفرنسي، وفي ظل استمرار واشتداد التنافس بينهما، بلغ هذا الانقسام الإيديولوجي والسياسي ذروته عند اندلاع الثورة التحريرية واستمر الخلاف بين الطرفين حول إضافة كلمة "المسلمين" من عدمها ⁵ وفي الأخير استقر الأمر على إدراج هذه الكلمة في التسمية بشكل نهائي وبذلك تأسس الاتحاد ⁶، وحسم هذا النزاع في الأخير لصالح كلمة المسلمين، رغم أن الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين حاول إفشال المؤتمر العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وذلك بمحاولة عقد مؤتمر موازي له بباريس، لكن استجابت له أقلية من بعض الجامعات الفرنسية كجامعة باريس وتولوز وغيرها، ما جعل المؤتمر ينتهي بفشل ذريع بسبب قلة عددهم، وبعد الانتصار الذي أحرزه أنصار حرف "M" على الرافضين له، شرع التنظيم الجديد في التحضير لمؤتمر تأسيسي حتى يكتسب صبغته الشرعية، وانهقد في باريس ما بين 8 و 14

1 إبراهيم مياشي، مقتبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 184.

2 غي بريفلي، النخلة الجزائرية الفرانكفونية...، مرجع سابق، ص 219.

3 عبد الله حمادي، مرجع سابق، ص ص 65 . 67.

4 Harbi, Une vie debout mémoires politiques 1945-1962, T 1, Edition de la découverte, Paris, 2001, p161.

5 Mahfoud Bennoune et Ali Elkenz, Le hazard et l'histoire entretien avec belaid Abdeslam, tome1, édition Enag, Alger, 1990, p101.

6 غي بريفلي، مرجع سابق، ص ص 220 . 221.

جويلية 1955، وقد تمت المصادقة على برنامج الاتحاد من طرف المؤتمرين كما تم تركية "طالب الإبراهيمي" لرئاسة الاتحاد في مسيرته القادمة.¹

ويحتوي هذا البرنامج على ثلاثة محاور رئيسة:

- . جمع شمل الطلاب الجزائريين وتوحيد صفوفهم وذلك باستيعاب أكبر عدد منهم.
- . العمل على إعطاء اللغة العربية مكانها، ووضعها في إطارها الطبيعي الذي أبعدت عنه منذ سقوط البلاد تحت الاحتلال، باعتبار أن هذه اللغة هي المحك الأساسي للثقافة الجزائرية.
- . مشاركة الاتحاد في الحياة السياسية للبلاد مشاركة فعالة.²

* الأهداف المرجوة من تأسيس الاتحاد:

تمحورت أهداف هذا الاتحاد في الدفاع عن الحقوق المادية والمعنوية لكل الطلاب الجزائريين أينما كانوا، وتوحيد صفوفهم وجمع شملهم وضمان التفاهم حول الثورة التحريرية، وربط مصيرهم كمتقنين بمصير شعبهم المكافح مع إزالة كل الفوارق التي أقامتها وكرستها تقاليد الجامعة الفرنسية الاستعمارية³، ووضع الطالب الجزائري أمام مسؤولياته التاريخية والحضارية تجاه نضال شعبه وكشف الدعاية الفرنسية القائلة بأن الثورة ما هي إلى عمل زمرة من اللصوص وقطاع الطرق والمتمردين الخارجين عن القانون الذين يملكون جميعا سوابق عدلية وقانونية، أو أنها مؤامرة من إحياء خارجي هدفه تهديد فرنسا وزعزعة الاستقرار الفرنسي في شمال إفريقيا⁴، كما هدف الاتحاد إلى خدمة القضية الجزائرية بمختلف الوسائل، منها السياسية أو العسكرية بالإضافة إلى النضال على المستوى الخارجي لغاية تدويلها على أوسع نطاق.

تجسّدت أهداف الاتحاد جليّة بعد تسعة أشهر من إنشائه حين باشر في نشاطه السياسي في شهر مارس 1956 وذلك بعقد مؤتمره الثاني في مدينة باريس بفرنسا، والذي حضره أكثر من 60 ممثلا عن الطلاب الجزائريين، اتخذوا فيه موقفا ثوريا حازما وواضحا تجاه الثورة التحريرية وكفاح الشعب الجزائري⁵، رغم الإرهاب الذي كان يتعرض له من طرف الاستعمار، وتم التأكيد فيه على عدة مطالب والمصادقة على لائحة سياسية دارت حول محاور عدة أهمها:

- . المطالبة باستقلال الجزائر، واعتبار كفاح الشعب الجزائري شرعي وقضيته عادلة .
- . المطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين والمساكين الوطنيين السياسيين.

1 إبراهيم مياي، مرجع سابق، ص 184.

2 عمار هلال، مصدر سابق، ص 26.

3 يحي بوعزيز، موضوعات، مرجع سابق، ص 178.

4 رابح لونيسي، بشير بلّاح، تاريخ الجزائر المعاصر، (1830 . 1989)، 2 أجزاء، دار المعرفة، ج 2، 2010، ص 14.

5 يحي بوعزيز، موضوعات، مرجع سابق، ص 179.

. الشروع في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني.¹
. اعتبار الاستعمار مصدرا مسؤولا عن تجهيل وفقر الشعب الجزائري، والمصدر الأول للتعاسة والأمية.
. اعتبار أن سياسة العنف لن تؤثر في الحركة التحررية²، وأن سياسية القمع والحرب لا تزيد إلا في تعميق الهوة وتكريس القطيعة أكثر، وُختم البيان على لسان قارئه آنذاك "محمد خميسي" بتوجيه العتاب واللوم إلى فرنسا.³

عند اندلاع الثورة كان أغلب الطلبة يحاولون إنشاء علاقة مع "ج.ت.و" لكنهم كانوا يترثون إلى غاية اتضاح الرؤية، وفي 27 فيفري 1955 تجتمعوا في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في العاصمة، وانتخبوا الاقتراح الداعي إلى تكوين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الملتقى التحضيري من 4 إلى 7 أبريل في باريس⁴، وفي شهر أبريل 1955 وصلت للفدرالية تعليمات "عبان" من أجل إنشاء مركزية طلابية، وكانت المهمة حسب "دوم" صعبة للغاية خاصة في ظل الجو المعكر بين جبهة التحرير والحركة الوطنية، كما أن الفدرالية لم تكن متمركزة كما ينبغي في الوسط العمالي وأقل من ذلك في المجموعة الطلابية فقد وجدت جهوده معارضة قوية بتفوق المصاليين، ورفض بعض الموالين للمركزيين الالتحاق بالجبهة⁵، وكان الهدف هو توعية وحماية الطلبة والمثقفين من المهاجرين الجزائريين في فرنسا من تأثير M.N.A وتنظيم مساهماتهم المالية والفكرية في تمويل مجهودات الثورة التحريرية في فرنسا وفي الجزائر.⁶
ظلت صراعات النفوذ قائمة أيضا بين أنصار "إ.ع.ع.م.ج" ذي التوجه الوطني والاتحاد العام للطلاب الجزائريين ذي النزعة الشيوعية، وقد تفاقمت تلك الصراعات خاصة عند اقتراب المؤتمر التأسيسي، وخوفا من استيلاء المصاليين أو المركزيين أو عناصر مستقلة بمناورة من طرف المصالح الفرنسية على التنظيم المنبثق عن المؤتمر، سعت الفدرالية ضمه إليها أو على الأقل لعب دور مؤثر فيه، وعملت على تسهيل انتخاب المؤتمرين من رفاقهم المنضوين في "ج.ت.و" أو على الأقل المتعاطفين، وطلبت من مناضليها الطلبة في باريس السهر على تخليص المنظمة من التأثيرات الأخرى، واستجلاها نحو الفدرالية، وعدم ادخار أي جهد من أجل انتخاب مناضل في الفدرالية على رأس المنظمة، وقد اختارت "بشير منتوري" وهو طالب في مدينة ليون لتنفيذ تعليماتها، وقد وُفق في مهمته، وبذلك كسبت جبهة التحرير المقابلة.⁷

1 عبد القادر نور، الحركة الطلابية أثناء الثورة الجزائرية (1954 . 1962) أحداث، آراء، شهادات، تعليق، وذكريات، الدار الخلدونية، الجزائر، ص 111.

2 عمار هلال، مصدر سابق، ص 30 ت 31.

3 إبراهيم مياشي، مرجع سابق، ص 185.

4 Achour Cheurfi, op cit, p338.

5 دوم، مصدر سابق، ص 167 . 168.

6 محمد حربي، حياة تحد وصمود " مذكرات سياسية (1945. 1962)، دار القصة، الجزائر، 2004، ص 215.

7 دوم، مصدر سابق، ص 169.

تم تأسيس الاتحاد "L'UGEMA" بباريس¹ على إثر انعقاد المؤتمر التأسيسي ما بين 8 و14 جويلية 1955 ومنذ البداية عمل الاتحاد بتنسيق تام مع "ج.ت.و"، وقد ذكر رئيسه الأول طالب الإبراهيمي: "تم عقد المؤتمر التأسيسي في قاعة sociétés savants وقد أُنْتُخِبَ المندوبون من قبل زملائهم وفقا لعدد أفراد كل مجموعة،... وعيّن المؤتمر لجنة مديرة مُشكّلة من 20 عضوا، انتخبت بدورها لجنة تنفيذية من خمسة أعضاء كلهم من طلبة باريس..."²، كما وضح أيضا في خطابه الأهداف الأساسية للتنظيم، وعلى رأسها توحيد الطلبة بفرنسا وربط مصيرهم بكفاح شعبهم، والدعوة للالتحاق بصفوفها ودعم فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، مُعبّرا عن إرادة هذه الأخيرة في احتواء الطاقات الطلابية وتجنيدتها في كفاحها ضد الاستعمار³.

ثم تشكّلت فروع للاتحاد في مختلف المدن الجامعية الفرنسية، بالإضافة إلى فرع الجزائر، يذكر طالب الإبراهيمي في هذا الصدد: "أصدرنا "الطالب الجزائري" لسان حال الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين للترويج للمطالب الوطنية ولتمكين الطلبة من التعبير عن أفكارهم ونشر كتاباتهم عن الثورة... لكنها لم ترى النور منه إلا ثلاثة أعداد، كما أنني شرعت في الاتصال بشخصيات فرنسية من صحفيين، كتاب، جامعيين، ورجال سياسة"⁴، ثم القيام بالاتصال بباقي الطلبة الجزائريين الذين كانوا ليزالون مترددين في الالتحاق بصفوف فدرالية الجبهة بفرنسا⁵، وكان التأكيد على اختيار حرف الميم⁶ في تسمية الاتحاد لدلالة واضحة على إعطاء البعد الإسلامي له بهدف إثبات الشخصية الإسلامية والهوية الجزائرية للطلبة من جهة، وتجنب دخول الطلبة الأوروبيين من جهة ثانية تجنباً لتحديد المنظمة عنى مبادئها الأصلية⁷.

*** دور وأهمية الاتحاد العام للطلبة:**

تحمّل "إ.ع.ط.م.ج" مسؤوليته منذ البداية ولعب دوره الإعلامي والدعائي بفرنسا على أكمل وجه خاصة من خلال تعريف الرأي العام الفرنسي بالمعطيات الحقيقية للمسألة الجزائرية التي تنكرها الهيئات الرسمية الفرنسية، وقد نجح في تلقي تعاطف قوي من قبل العديد من الطلبة الفرنسيين الذين تزايدت

1Clément Henri Moore, Combat et solidarité étudiantin L'UGEMA (1955- 1962), Casbah édition, Alger, p25.

2أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، ج1، أحلام ومحن (1932. 1965)، دار القصة، حيدرة، الجزائر، 2006، ص93.

3أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، ط2، دار الأمة للطبع، الجزائر، 1996، ص118.

4 الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية...، مصدر سابق، ص118.

5 الإبراهيمي، نفسه، ص ص 119. 120.

6 يقصد بحرف الميم بداية لكلمة "مسلمين" التي اعتبرها الطلبة الوطنيين ضرورة أن تلتصق بتسمية المنظمة عكس الشيوعيين الذين رفضوا ذلك ولهذا شب خلاف حاد بين أنصار الفكرتين = محمد السعيد عقيب، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة، ط1، الشاطبية، الجزائر، ص70.

7Achour Cheurfi, op cit, p336.

أعدادهم ليس في إبداء تفهمهم للقضية الجزائرية فحسب بل في مساندتها عن طريق عقد اجتماعات وتنظيم إضرابات عن الدروس والطعام ومظاهر دعم أخرى تعددت بتعدد السياسات الفرنسية.¹

لكن رغم ذلك ظلّت الكثير من الأوساط الفرنسية في مجملها ترى "إ.ع.ط.ج" تتبع رأساً لفدرالية "ج.ت.و" كباقي التنظيمات الأخرى مثل الاتحاد العام للعمال والاتحاد العام للتجار الجزائريين²، ومن هذه الرؤية وقفت جلّ الاتحادات الطلابية الفرنسية سواء في فرنسا أو في الجزائر من "إ.ع.ط.ج" موقف العداء، خاصة وأن جوهر مطالبه وصلب برنامجه قد تمحور حول استقلال الجزائر ودعمه لمشروع الجبهة الثوري في تمرداها على فرنسا³، في حين تميّز موقف أكبر نقابة للطلبة الفرنسيين وهي "الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين" "UNEF" بالاختلاف في طابعه العام حيث شهد ضباية وغموضا في البدايات الأولى لتأسيس الاتحاد، ثم تطور إلى العداء نهاية الثورة التحريرية بدءاً من معاداة النشاط السياسي للاتحاد في إطار المشروع الوطني الاستقلالي إلى الدعوة إلى ضرورة التفاوض وتقرير مصير الجزائر.⁴

وهذا ما يوضح مرة أخرى مدى التناقض الذي كان يظهر على مواقف اليساريين في فرنسا من المسألة الجزائرية وتطوراتها الميدانية، ذلك أن "UNEF" كان متوجها منذ جويلية 1956 نحو اليسار، إذ أنه في الوقت الذي رفض الاعتراف بالاتحاد العام للطلبة المسلمين متحججا بحرف الميم M الذي يقصي كل الطلبة الأوروبيين الليبراليين بالجزائر، شارك أيضا في التنديد بالاضطهاد الذي كان مستمرا في الجزائر ونجم عن ذلك انشقاقات مع بعض الجمعيات العامة لطلبة الأقاليم بما فيها إقليم الجزائر التي كان يشرف عليها "لافايارد" "Lagailarde"، وقصد تجسيد نشاطه في سبيل الجزائر أنشأ "UNEF" الندوة الوطنية الطلابية من أجل إيجاد حل للمسألة الجزائرية وجرى اجتماع يومي 21 و22 جويلية 1956 بحضور "بلعيد"، "بن يحيى"، "الأشرف"، "طالب"، و"الوانشي" وانتهت باعتراف حق الجزائريين في تقرير مصيرهم والشروع في مفاوضات فورية لتحقيق ذلك.⁵

يتجلى من جهة أخرى أن بعض الاتحادات الفرنسية التي زعمت تأييد "إ.ع.ط.م.ج"، كان دعمها يقتصر فقط على الجانب النقابي والمطالب الطلابية في حين كانت مواقفها معادية تماما لأي برنامج وطني يتعلق باستقلال الجزائر، وهو نوع من التناقض في مبادئها حيث التأيد يكون فقط بشروط الطرف الأقوى، مع ضرورة تخلي الطرف الآخر عن جوهر قضيته ونواة مطالبه الوطنية، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن تلك الاتحادات الطلابية الفرنسية كانت تسير في نفس نهج إدارتها الاستعمارية، وتعمل على إعطاء صورة

1 عبد السلام بلعيد، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، منشورات الديوان الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 64. 65.
2 Clément Henri Moore, combat et solidarité estudiantin L'UGEMA 1955 – 1962, Casbah Editions, Alger, 2010, p31.

3 بريفلي، مرجع سابق، ص 127. 129.

4 نفسه، ص 236.

5 ماري آن الوانشي، مسيرة مناضل جزائري، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص 95.

ظاهرة مخالفة لحقيقتها الباطنية على نفس شاكلة الحكومة الفرنسية في تعاملها مع القضية الجزائرية، إذ أنها في الوقت الذي تبذل فيه قصارى جهدها للحفاظ على مكاسبها في الجزائر من خلال قمع شامل للجزائريين، تحاول أن تبرهن للرأي العالمي رغبتها ونواياها الحسنة لتسوية القضية الوطنية وإيجاد حل نهائي لها، ومن هذا المنطلق يبدو أن الطلبة الجزائريين كانوا قد فهموا هذه العقلية الفرنسية في التعامل، لذا كان سعيهم حثيثا منذ البداية وقبل اندلاع الثورة إلى إنشاء نقابة وطنية جزائرية بحتة تترجم المطالب الوطنية وتكون بعيدة ومستقلة عن كل النقابات الفرنسية.

أظهر المؤتمر الخامس والأربعون للاتحاد العام لطلبة فرنسا الذي عُقد في مدينة "ستراسبورغ" ما بين 05 إلى 15 أبريل 1956 هذا التناقض في التعامل مع "إ.ع.ط.م.ج" من جهة ومع قضية استقلال الجزائر من جهة ثانية، وكان ذلك جلياً في محتوى اللائحتان اللتان تمت صياغتهما والاتفاق عليهما بين كل "L'UGEMA" و "L'UNEF" ومن بين ما ورد فيهما: "إن الاتحاد العام لطلبة فرنسا L'UNEF" يرفض رفضاً قاطعاً تركية المواقف الوطنية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لكنه يعده بالتأييد عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن المطالب النقابية"، وفي الاجتماع الذي عقدته هذه الاتحادية الفرنسية في مكتبها يوم 02 ماي من السنة نفسها اشترطت دعم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين شرط تخليه عن مواقفه الوطنية.¹

اعتبر الاتحاد هذا الموقف للنقابات الفرنسية تعبيراً صريحاً عن حالة القطيعة مع الشعب الجزائري ما أدى به إلى إيقاف كل اتصالاته بتلك النقابات في اجتماعه العام ليوم 10 ديسمبر 1956²، كما أكد رئيس الاتحاد "طالب الإبراهيمي" هو الآخر هذا الموقف لجريدة "لوموند" "le monde" يوم 25 فيفري من السنة نفسها بتصريحه الذي ورد فيه: "إذا كان هناك ضغط على الطلبة المسلمين فإنه صادر عن ضمائرهم التي لا تقبل أبداً الوقوف موقف المتفرج أمام معاناة شعبهم، وإذا كانت كلمة متمردين تعني رجال يطالبون بحريتهم فإن كل المسلمين الجزائريين وإخوانهم الطلبة هم متمردين وثوار..."³

المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للطلبة المهاجرين

1. الالتفاف حول الثورة والالتحاق بفدرالية الجبهة:

لعب الطلبة مثلهم مثل العمال وباقي المهاجرين الجزائريين دوراً هاماً ورائداً في دعم الكفاح الوطني على المستوى الفرنسي، العربي والعالمي وكانت لهم بصمة خاصة في ثورتهم، سياسية كانت أم ثورية، وقد تجسّد ذلك من خلال وقوفهم للدفاع عن قضيتهم الوطنية ونضال شعبهم بنوعيه السياسي والعسكري، وصمودهم وتغلّبهم على كل الصعوبات والإغراءات التي اقترحتها عليهم فرنسا، وتجاوزهم لكل المحن

1 بريفلي، مرجع سابق، ص 237.

2 عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين...، مرجع سابق، ص 42.

3 نفسه، ص 45.

والمعوقات التي وُضعت في سبيل إكمال دراساتهم وتحقيق حلمهم في نيل حرية وطنهم المسلوبة لأزيد من مائة سنة، فكانوا إطارات في جبهة وجيش التحرير الوطنيين، مُرشدين لشعبهم في الجزائر ومؤطرين للمهاجرين منهم في فرنسا بشكل خاص وفي باقي البقاع العربية، الأوروبية والعالمية عامة، ما جعلهم يقدمون إضافة حقيقية للثورة بتوليهم القيام بعدة مهام لا يستطيع القيام بها إلا الطبقة المثقفة، وبفضلهم حُلّت العديد من المشاكل التي واجهت الثوار، كمساعدتهم في كيفية استخدام السلاح، أو معالجة المصابين أو التأثير على الرأي العام وغيرها.

حرصت "ج.ت.و" كل الحرص على استقطاب النخبة المثقفة والطلبة إلى صفوفها، بهدف الاستفادة قدر المستطاع من خبراتهم وإمكانياتهم فوجّهت لهم العديد من النداءات عبر جريدة المقاومة التي كانت الناطق الرسمي للثورة، من خلال إقناعهم بحتمية الكفاح المسلح وترسيخ إيمانهم بأهداف الثورة ومن ثمة سد احتياجات جيش وجبهة التحرير الوطنيين وارتفاع المستوى المعرفي والثقافي للإطارات فيهما.

أعلن الطلبة في المؤتمر التأسيسي لـ"إ.ع.ط.م.ج" بوضوح تام ضرورة الوقوف إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار، وإلى جانب السعي لتحقيق الأهداف العليا في المجال النقابي المتمحورة حول تحقيق الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للطلبة وتوسيع التبادل الثقافي¹، عبّر الكثير منهم عن مناصرة "ج.ت.و" في نضالها الوطني وأظهروا تضامنهم المطلق مع أهداف مشروعها الثوري²، ورفضهم الكامل لكل الإجراءات العقابية المفروضة على الجزائريين ليمثلوا بذلك نضال شريحة هامة من شرائح الشعب الجزائري خاصة وهم من يمثلون النخبة المثقفة لهذا الشعب ومن هذا المنطلق فقد علّقت عليهم آمالا كبيرة في التعجيل باستقلال الجزائر.

عبّر الاتحاد عن توجهاته الوطنية الخالصة ودعم كفاح الشعب الجزائري في بيان له شهر ماي سنة 1956 ورد فيه: "لأي شيء تصلح هذه الشهادات التي تُمنح لنا في الوقت الذي يكافح فيه شعبنا ببطولة ونحن إطارات الغد يمنحونا أن نرعى ماذا؟ أن نرعى من؟، الخرائب وأكوام الجثث... إن سلبتنا اتجاه الحرب التي يشوننها أمام أعيننا تجعلنا مشاركين في الاتهامات المهيئة الموجهة ضد جيشنا الوطني الباسل، إن الهدوء المزور الذي وضعنا فيه أنفسنا لم يعد برضي ضمائرنا، لقد برهنتم أنكم كواسر إخوانكم المجاهدين أهل لحماية الأمانة وأداء الرسالة فقد نفذتم عزمكم وصدقتم آمال الأمة فيكم وسفّهت تهديدات الأعداء لكم...أيّد الله جهادكم حتى النصر المبين"³، ويتضح من هذا النداء كيف أصبح الاتحاد وحدة نضالية تابعة لـ"ج.ت.و" ومرآة تعكس قوة الانسجام والترابط الذي كان يجمع بين الطلبة كمثقفين وباقي الطبقات الشعبية للمجتمع الجزائري.

1 سليمان الشيخ، مرجع سابق، ص 263.

2Guentari, op.cit,p, 612.

3 جبهة التحرير الوطني، "كفاح الطلبة"، مجلة المقاومة الجزائرية، ع3، 3 ديسمبر 1956، ص12.

كما أكد "طالب الإبراهيمي" باعتباره المسؤول الأول عن الاتحاد في خطابه أمام الطلبة خلال المؤتمر التأسيسي في 21 فيفري 1956 عن دعم الاتحاد الكامل لج.ت.و. قائلا: "إذا كان هناك ضغط يمارس على الطلبة الجزائريين المسلمين فإنه ضغط الضمير الذي يملئ عليهم ألا يبقوا بدون شعور بالآلام شعبهم وان يتضح مع تطلعاتهم ويشاركوا في كفاحه... فإن جميع المسلمين الجزائريين ثوار والطلبة الجزائريين مثل آبائهم ثوار بكل ما تحمله الكلمة من معنى".¹

رغم أن "إ.ع.ط.م.ج" كان يعتمد في تمويله على اللجنة الفدرالية ل"ج.ت.و." بفرنسا ورغم احتواء برنامجه على المطالب الوطنية وإعلانه الصريح عن دعمه للجبهة وفدراليتها في فرنسا إلا أنه لم يكن في بدايته فرع تابع لهذه الفدرالية، بل كان من الناحية التنظيمية منظمة مستقلة بذاتها²، ولهذا فقد سعت الفدرالية بفرنسا إلى دمجها في صفوفها، رغم الصعوبات الجمة التي واجهتها لتحقيق ذلك منها إصرار بعض مسؤولي الاتحاد على إبقائه كتنظيم موازي لجبهة التحرير، وخاصة رئيسه "محمد بلهوان"، لكن قادة الفدرالية وعلى رأسهم "عمر بوداود" ظلّ يطالب بضرورة الإسراع في إلحاق الاتحاد رسميا ليصبح فرعا من فروع الجبهة وذراعا من أذرعها في فرنسا ما سيعطي دفعا قويا للعمل الثوري بالمهجر.

كانت مساعي فدرالية الجبهة لضم الطلبة وتجنيدهم في صفوفها ووضعهم في خدمة جبهة التحرير بفرنسا منذ بداية نشأتها حيث مثّل هذا الموضوع أهم أولوياتها، وإذا كانت فترة "طربوش" لم تتضح الأمور فيها بعد من الثورة ولم يجزم معظم الطلبة بموقفهم النهائي حيث ينتمي أغلبهم للمركزيين و"ج.ع.م.ج"، و"إ.د.ب.ج"، إلى أن جاءت فترة "الوانشي" التي شهدت تطورا لانتصارات الجبهة ميدانيا لاسيما أمام ح.و.ج. والتفافا لأهم قادة الأحزاب السياسية، ومن ثمّ وجهت الفدرالية جهودا كبيرة لتجنيد المناضلين من الطلبة وترقيتهم إلى أعلى المستويات لمساعدتها في تنفيذ أهدافها خاصة الدعائية والسياسية منها، والقيام بعدة نشاطات تضامنية مع الثورة إلى جانب محاولة التأثير على الأوساط الفرنسية.

استطاعت الفدرالية خلال فترة "الوانشي" فرض هيمنتها تقريبا على "إ.ع.ط.م.ج" تجسّدت بشكل واضح تنفيذه لأوامرها خلال المشاركة في إضراب 20 جانفي 1956، ثم الاستجابة لأمر الإضراب اللامحدود في شهر ماي من السنة نفسها، ثم تواصلت سياسة الاستقطاب للطلبة خلال فترة "البجاوي" الذي عزم بدوره على تعزيز مهمة تأطير الطلبة داخل هياكل وفروع فدرالية الجبهة، محاولا الاعتماد بشكل أكبر على النخبة المثقفة كونها الأكثر ثراء من حيث نوعية المناضلين ذوي المستوى العالي والذين يمكن من خلالهم التغلغل في الأوساط الفرنسية خاصة الليبرالية منها.³

1 طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري أحلام ومحن...، مصدر سابق، ص 92 . 93.

2Mahfoud Bennoune et Ali Elkenz, op.cit, p108.

3 بريفلي، مرجع سابق، ص 268.

أما في فترة "بوداود" والتي كانت حاسمة أكثر من سابقتها فقد نجحت الفدرالية بعد الاتصال بلجنة التنسيق والتنفيذ للبحث في هذه المسألة من الفصل بشكل نهائي فيها خلال المؤتمر الذي عقد في ديسمبر 1957 والذي تقرر فيه إلحاق الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بـ ج.ت.و. وانتخاب مسؤولا جديدا له وهو "مسعود آيت شعلال" خلفا لـ "محمد بلهوان"¹، واستطاعت بذلك الفدرالية من تعميق إشرافها على الاتحاد رغم نشاطه خارج التراب الفرنسي، وكذا تنويع وتوسيع مهامه لينخرط في المنظمات الطلابية الدولية ويدافع من خلالها على المصالح المادية والمعنوية للطلبة الجزائريين وعلى أهداف الثورة الجزائرية بشكل عام².

جدير بالملاحظة أن "بوداود" مثلما نجح في وضع استقرار دائم لفدرالية الجبهة بعد نقلها إلى ألمانيا الغربية، وقد نجح أيضا في تحقيق مساعيها وتوسيع القاعدة النضالية والجماهيرية للثورة التحريرية بفرنسا بعد أن نجح في السيطرة على أهم الطاقات الطلابية وجعلتها إحدى أدوات مواجهة الاستعمار في عقر داره.

كان انخراط الطلبة ضرورة حتمية لضمان الاستعمال الجيد للأسلحة الحديثة التي كانت الثورة بأمس الحاجة لمن يستطيع التحكم واستخدامها الصحيح، فأرسلت الثورة طلابية إلى الخارج للدراسة والتكوين، وقد تخصص بعض الطلاب في العمل الفدائي ومجموعة أخرى في عملية المخابرات كما كلف بعضهم بالإعلام وآخرين بالعلاج والتمريض حيث احتلوا مراكز هامة في الثورة واستشهد الكثير منهم، بعد أن تأكدوا أن مكانهم ليس في مقاعد الجامعات الفرنسية ومدرجاتها، ولكنه إلى جانب جنود ومناضلي "ج.ت.و."³، فاتجهت أول فرقة طبية من طلبة المهجر إلى حدود الجزائر مع كل من المغرب وتونس، للالتحاق بالوحدات القتالية داخل التراب الوطني، وبعد ذلك شرع باقي الطلبة يسلكون نفس الطريق فرادى وجماعات، ليجعلوا أنفسهم رهن أوامر الثورة، في مراكز تجمع وتدريب أقامت القيادة في البلدين الشقيقين المجاورين، واستغلت منظمة جبهة التحرير بفرنسا تفرغ الطلاب من الدروس لتعبئة الكثير منهم ضمن هياكلها وجندت قادة الطلبة العدد الكافي لسد حاجاتها⁴.

وقد أخذت الثورة بعين الاعتبار ظروف المنخرطين في صفوفها، حيث قدرت كفاءاتهم العلمية والثقافية حيث أبعدهم في البداية عن ميدان القتال، وأسندت لكل واحد العمل الذي يناسب اختصاصه فطبيب باشر عمله كطبيب، وفي كثير من الأحيان يتحول ممرض إلى طبيب والعكس، وكلاهما كان يضطر

1 هلال، مرجع سابق، ص 30 . 31.

2 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 125.

3 يحي بوعزيز، دور، ملتقى سابق، ص 121.

4 صالح بن القبي، مصدر سابق، ص 92 . 93.

أحيانا لحمل السلاح لرد العدو شأنهم في ذلك شأن الإداري، والقاضي وغيرها من التخصصات التي درسها الطالب الجزائري¹.

إن الإضراب اللامحدود والمؤتمرات التي قام بها الطلبة الجزائريون في فرنسا وفرت الشروط الضرورية لدخول الطلبة في العمل الثوري بعناصر شابة ومثقفة، ساهمت بقسط كبير في تحمّل مسؤولية التنظيم والتأطير والقيادة، إلا أن انخراطهم في صفوف الثورة² تأخر مدة طويلة، وذلك بسبب ظروف القمع الصارم للسلطات الاستعمارية الفرنسية، وصعوبة الالتحاق بأرض الوطن لخضوع تنقلات الجزائريين إلى رخصة تستلم من المصالح الفرنسية، وأيضا وجود تنظيم قوي ومنافس لجبهة التحرير يسمى بـ"ح.و.ج"³، التي حاولت حل إ.ع.ط.م.ج، عن طريق تنظيمها الطلابي المعارض، إلا أن اتحاد الطلبة التابع لـ"ج.ت.و" وقف في وجه المعارضين والمنافسين، وخير دليل على ذلك مظاهرات 4 فيفري 1958 للطلبة الجزائريين في باريس ضد حل إ.ع.ط.م.ج، وكان للاتحاد دورا كبيرا في التوعية السياسية وتوحيد صفوف الطلبة لصالح الجبهة⁴.

بسبب نشاطه في إطار "ج.ت.و" قامت السلطات الفرنسية بحل الاتحاد في 28 جانفي سنة 1958 فردّت فدرالية الجبهة بتعويضه بفرع جامعي تابع للجبهة⁵، وأصبح التنظيم بذلك تحت وصاية الفدرالية مباشرة⁶، وتمّت هيكلة المسؤولية فيه وفق المبادئ العامة للتنظيم المتعارف عليه داخل الفدرالية، حيث كان فرع جامعة باريس يقوم على تنسيق نشاطات الفروع المحلية المنتشرة في مختلف الجامعات الفرنسية، وكان مسؤوله يضمن استمرار الاتصال مع لجنة فدرالية خاصة أنشأت خصيصا لهذا الغرض يشرف عليها "عبد الكريم سويسبي"⁷.

حاول الطلبة الجزائريون أن يثبتوا لزملائهم من الطلبة الفرنسيين عدالة قضيتهم فقدموا لهم شهادات وصور حية عن الإرهاب الفظيع الذي يقوم به الجيش الفرنسي الاستعماري ضد الثوار والمجاهدين الجزائريين، وقارنوا ذلك لهم بما كان يقوم به الجيش النازي ضد الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية، ووضّحو لهم النزعة الوطنية للثورة الجزائرية التي لا تختلف عن النزعة الوطنية الفرنسية تجاه الاحتلال سواء منه الفرنسي أو الألماني، كما نظموا محاضرات للتعريف بالثورة الجزائرية وأهدافها، لكن الشرطة الفرنسية

1 أعمار قليل، مصدر سابق، ص 343.

2 صباح نور، مرجع سابق، ص 116.

3 غي بريفلي، مرجع سابق، ص 264.

4 جمعة بن زروال، الحركة، مرجع سابق، ص 40.

5 بريفلي، مرجع سابق، ص 270.

6 Mansour Abrous, contribution à l'histoire du mouvement étudiant Algérien 1962-1982, Edition l'Harmattan, Paris, 2002, p12.

7 بريفلي، مرجع سابق، ص 270 . 271.

ضايقتهم واعتقلت الكثير منهم وسجنتهم، ورغم ذلك لم يئس الطلبة من إقناع زملائهم الفرنسيين بشرعية الكفاح المسلح للشعب الجزائري.¹

لقد ظلّ الطلبة الجزائريون المهاجرون في فرنسا على عهد فدرالية الجبهة سالكين خطاها في معركة التحرير، وأثبتوا مع مرور الوقت كفاءتهم واستعدادهم لخدمة الثورة بكل الأساليب والطرق والصعود بها إلى آفاق جديدة من أفق التحدي²، ومع زيادة تلاحم الطلاب حول الجبهة وتأييدهم المطلق لمبادئها وأهدافها ازداد قمع واضطهاد الاحتلال الفرنسي لهم إلا أنهم لم يستسلموا بل زادهم ذلك عزمًا وتمسكًا قضيتهم الوطنية³، فساهموا بذلك في نقل الثورة إلى التراب الفرنسي وإقناع الرأي العام بمشروعية كفاح الجزائريين وعدالة قضيتهم الوطنية.

2. المشاركة في الإضراب العام للطلبة الجزائريين:

قرّر الطلاب الجزائريون تحويل نشاطهم إلى العاصمة باريس بعد أن صارت لهم علاقات وطيدة مع "ف.ج.ت.و" وتمّ ذلك خلال المؤتمر الذي عقده ما بين 24 إلى 30 مارس 1956 والذي صادقوا فيه على لائحة من نفس المطالب السياسية السابقة لهم، وفي 19 ماي من نفس السنة اجتمعوا وقرّروا الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني وقاموا خلال هذه الفترة بإضراب عن الدراسة في الجزائر⁴، مما دفع بأحمد طالب الإبراهيمي إلى عقد ندوة عشية اليوم نفسه (19 ماي 1956) وجّه من خلالها نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين أينما كانوا لوقف الدراسة ومقاطعة الامتحانات إلى أجل غير مسمى.⁵

ثم بُعث فرع للاتحاد الطلابي قصد تعميم الإضراب في الجامعات الفرنسية ويشمل بذلك التراب الفرنسي، بعد أن بُعث من الجزائر وفد إلى فرنسا ما بين 20 إلى 25 ماي 1956 لإطلاعهم على هذا القرار⁶، وقد فاجأ الأمر بالإضراب جموع الطلبة الجزائريين بفرنسا وذهل الكثيرون من الخبر خاصة وأنه جاء قبيل امتحانات نهاية السنة الدراسية بأسابيع قليلة، حتى ضن الكثيرون أنها مجرد مناورة من مناورات الحرب النفسية الفرنسية⁷، لذلك انقسم الطلبة على أنفسهم بين مؤيد ومعارض لهذا الإضراب وتأثراته على مستقبلهم الدراسي، خاصة وأن الكثير منهم كان على عتبة التخرج من الجامعة.⁸

لقد كان المعارضون للإضراب متخوفون من كونه كان مفتوحا إلى أجل لم تحدده الجبهة بعد، ومن هؤلاء المعارضين "محمد حربي" الذي ذكر في هذا الصدد: "... كنا قلة من الذين لم يقتنعوا بجدوى

1 نفسه، ص 177 . 178.

2 عمار قليل، مصدر سابق، ص 344.

3 عمار هلال، مرجع سابق، ص 29.

4 صالح بن قبي، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ومحاضرات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 92.

5 أحسن بومالي، مرجع سابق، ص 476.

6 عمار هلال، مرجع سابق، ص 35.

7 Haroun, op, cit, p80.

8 جريال، مرجع سابق، ص 48.

الإضراب، وكنا نرى فيه خطراً على المصالح العليا للثورة، غير أن هذه الحقيقة لم تصغ لها اللجنة المسيرة لفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا وأصرّت على التمسك بموقفها والمضي قدماً في قرارها...¹، وقد دعا "حربي" إلى أن يكون إضراب الطلبة بفرنسا تضامياً فقط خاصة وأن قرار الإضراب العام عن الدراسة كان في البداية خاص بطلبة جامعة الجزائر.²

غير أن "بلعيد عبد السلام" وبعد عودته من الجزائر أبلغ الجميع بأن القرار النهائي المتخذ من طرف الجبهة هو الإضراب المفتوح إلى حين تحقيق المطالب المرجوة داخياً ممثلي الطلبة بفرنسا إلى الاجتماع لإبلاغهم بالقرار ومناقشتهم له³، وقد تحدث في هذا الصدد في استجواب للمؤرخ Moore فقال: "...من أجل حسم الأمور بفرنسا سارعت إلى مغادرتها والتوجه نحو الجزائر لأعرف صاحب القرار، أكان صادراً من قبل فرع الجزائر أم من طرف جبهة التحرير الوطني، فوجدت أن الأغلبية الساحقة كانت مع الإضراب... في حين كان القلة من المعترضين بفرنسا وإن كانوا اليوم هم قامات في الفكر والفلسفة على غرار "محمد أركون" و "علي مراد" و "عبد الله خوجة" وغيرهم ضد الإضراب من حيث المبدأ..."⁴

بمجرد تلقّي فدرالية الجبهة بفرنسا التعليمات المتعلقة بالإضراب تضافرت جهود أعضائها لإنجاحه، وركزوا جهودهم لتقديم الشروح وتعبئة الطلبة⁵، وباستثناء الفرع الطلابي لمدينة "تولوز" صوّتت كل الفروع الطلابية في الجامعات الفرنسية التابعة للاتحاد في فرنسا على الإضراب ولّبوا النداء التاريخي للثورة⁶، وحسب شهادة "سمير إملحان" الذي كان وقتها طالب بالثانوي فإن العمال هم الذين دفعوا إلى هذا الإضراب وقرروه ثم التحق الطلبة بالإضراب بعد ذلك، لأن عدد الطلبة بفرنسا كان أقل من عدد العمال لهذا ركزت الفدرالية جهودها في الشرح، والتعبئة والانضمام، كما أن العمال كانوا مستهدفين من طرف ح.و.ج. لذلك حاولت الجبهة انتزاعهم من أيدي هذه الحركة، وتنظيمهم عن طريق البدء في إنشاء خلايا مقلّصة.⁷ فحدّدت سلسلة تدابير تُعرض على المضربين، مهمة كُلف بها الطالب "محمد خميسي"⁸ من جامعة مونبلييه، كان عليه أن يجوب المدن الجامعية لغرض توضيح التدابير المقررة من طرف الفدرالية،

1Harbi, une vie debout, op.cit, p 170.

2صالح بن القبي، مرجع سابق، ص ص 89 ، 92.

3Harbi, une vie debout, op.cit, p p 170-171.

4Clément Henri Moore, combat et solidarité étudiantin L'UGEMA 1955 – 1962, Casbah Editions, Alger, 2010, p114.

5 دوم، مصدر سابق، ص168.

6 بريفلي، مرجع سابق، ص ص 241 . 242.

7 أحمد دوم، مصدر سابق، ص167.

8ولد في 11أوت 1930 بمغنية واصل تعليمه بالطب بمونتوييه بفرنسا، انخرط في العمل النقابي الطلابي وأصبح مناضلاً في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ثم أميناً عاماً في المؤتمر الثاني في أفريل 1056، ألقي عليه القبض في 12نوفمبر 1957 وأطلق سراحه في نوفمبر 1959، لتحق بالعمل بالخارج في أجهزة الحكومة المؤقتة عين في مارس 1962 ضمن الديوان بلعيد عبد السلام مكلفاً بالشؤون الاقتصادية باللجنة الانتقالية = خلوفي بغداد، نشاط الحركة الطلابية أثناء الثورة التحريرية (1954 . 1962)، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص103.

وإقناع الطلبة بأن لا مجال لعدم الاستجابة للأمر بالإضراب، الذي كان رسمياً، وقد تلخصت تعليمات الفدرالية في نقاط ثلاثة:

. على الطلبة في اختصاصات الهندسة والطب أن يلتحقوا بتونس حيث سيتم تعيينهم من قبل المسؤولين وفق حاجيات الجبهة.

. كان على الذين فضلوا البقاء في فرنسا أن يضعوا أنفسهم تحت تصرف جبهة التحرير الوطني 24/24 سا بصفتهم مداومين في المنظمة.

. كان في وسع بقية الطلبة أن يبقوا في مناطقهم الأصلية بصفتهم مضربين دائماً لكن تحت تصرف ج.ت.و. مستعدين لكل خدمة مفيدة.

. الطلبة الذين فضلوا البقاء تحت تصرف الجبهة يصبحون آليا "دائمين"، وكان على الطلبة الذين اختاروا الحل الثالث أن يلتحقوا بباريس حيث تتكفل الفدرالية بتعيينهم بحسب حاجياتها، ولأسباب أمنية حرصت الفدرالية على بعثهم إلى مدن أخرى لم يكونوا معروفين فيها، والذين فضلوا البقاء في مناطقهم الأصلية تم تعيينهم على رأس التنظيم المحلي.

هدف الطلبة من خلال إضرابهم إلى تحقيق العديد من الأهداف أبرزها:

. التأكيد للحكومة الفرنسية بأن من تسميهم المتمردين والخارجين عن القانون، يحضون بثقة كل فئات الشعب الجزائري وأن القضية التي يموتون بالمئات من أجلها، تستحق أن يضحي الطلبة في سبيلها بدروسهم وامتحاناتهم ومستقبلهم وحياتهم، وأن الحل الوحيد للمشكل يتمثل في التفاوض المباشر معهم والاعتراف بالسيادة الوطنية.

. لفت انتباه الرأي العام الفرنسي إلى خطورة أزمة العلاقات القائمة بين الشعبين الجزائري والفرنسي، وإلى بشاعة الجرائم الرهيبة التي يرتكبها الجيش الفرنسي ضدهم من اعتقالات وتنكيل وتشريد وتقتيل.

. إشعار الأوساط الجامعية، وطبقة المثقفين باحتمال مقاطعة الشعب الجزائري نهائياً للثقافة الفرنسية، إذا كانت مبرراً لإبادته، وطمس معالم شخصيته وحضارته.

. انضمام الطلبة من ذوي الكفاءات العلمية والسياسية والطبية إلى الثورة¹، وتزويدها بإطارات في مجالات مختلفة.

بعد أن كشف أعضاء الاتحاد مدى خطورة الوضع، وتيقنوا أن التعليم بدون حرية لا قيمة له ولا فعالية²، أمروا الطلاب الجزائريين في فرنسا مواصلة إضرابهم عن الدروس والامتحانات³، ولم تكن أوساط

1 محمد السعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1955. 1962، مؤسسة كوشار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 116.

2 يحي بوعزيز، دور، مرجع سابق، ص 221.

3 عمار هلال، مرجع سابق، ص 35.

الحكومة الفرنسية ولا رجال الإعلام الفرنسي، يتوقعون انتشار مفعول القرار إلى ما وراء البحر في وقت كانت قد انطلقت فيه امتحانات آخر السنة¹، وظل الطلبة على هذا الحال إلى أن جاء قرار نهاية الإضراب من جبهة التحرير وذلك يوم 3 أكتوبر 1957، بعد انقطاع استغرق عاما ونصف وبالضبط 17 شهرا من الإضراب العام وانقطاع الطلبة عن الدروس²، فأبهروا الأوساط الثقافية في العالم وبرهنوا على قوة اهتمام الطالب الجزائري بقضية أمته، ومدى استعداده لأن يقوم بدوره وواجبه الوطني في صفوف الثورة.

أرسل الاتحاد في فرنسا رسائل كثيرة إلى كل الأوساط الفرنسية خاصة المثقفة منها أو التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحكومة الفرنسية كالبرلمانيين وبعض الشخصيات المعروفة السياسية والدينية والصحافية وغيرها ورد فيها: "...إن هذا الحدث ليس له دلالة على سوى أنه دق ناقوس الخطر ليصل صوته إلى أعماق الضمائر الفرنسية، ومهما حاولنا أن نشرح لكم خطورة الأوضاع التي يعيشها الجزائريون لن نوفق في ذلك، نتمنى أن يجعل ذلك من كل الفرنسيين أن يسعوا لإيجاد حل لهذه المعضلة بجلوس الحكومة الفرنسية مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري على طاولة المفاوضات..."³

3. المساهمة في التعريف بالقضية الوطنية وتعبئة الرأي العام العالمي:

من بين أهم استراتيجيات الثورة التحريرية كان إرسالها للبعثات الطلابية إلى خارج الجزائر بهدف مواصلة دراستهم بالخارج حتى يتم تزويد جبهة وجيش التحرير الوطنيين بإطارات وكفاءات قادرة على مجابهة السياسة الفرنسية ودبلوماسيتها الداخلية والخارجية وتدويل القضية الجزائرية على مستوى جلّ المحافل الدولية، وقد تمّ ذلك بجمع صفوف الطلبة الجزائريين وتوحيدها في مختلف الأقطار في المشرق والمغرب العربيين، أوروبا، أمريكا وغيرها، والمشاركة في مختلف الندوات والمحاضرات العالمية، إضافة إلى زيارات الدول وحضور عديد التجمعات الطلابية الدولية واستغلال فرص المهرجانات والاتحادات العالمية لتقديم الدعم المادي والمعنوي للثورة وكسب الاعتراف الدولي بعدالتها وفي الوقت نفسه تنفيذ الادعاءات الفرنسية وكشف حقيقة الوضع في الجزائر.

أشرفت الحكومة الجزائرية المؤقتة على هذا الأساس على تنظيم الطلبة في إطار إ.ع.ط.م.ج وقرّرت إرسال العديد من هؤلاء الطلبة بعد تخرّجهم من الثانوي إلى دول أوروبا الشرقية والدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية لمواصلة دراساتهم الجامعية⁴، والسعي في الوقت نفسه في التعريف بالقضية الجزائرية وإبراز عدالتها للرأي العام العالمي من خلال انتهاز الفرص المناسبة والمشاركة في مختلف الندوات

1 صالح بن قبي، مصدر سابق، ص 89.

2 إبراهيم مياشي، مرجع سابق، ص 187.

3 هلال، مصدر سابق، ص 36.

4 إبراهيم مياشي، مرجع سابق، ص 143.

والمليشيات الطلابية الدولية التي ستساعدهم على تحسين مستواهم التعليمي وزيادة وعيهم الثقافي عن طريق الاحتكاك ببقية الوفود الطلابية من باقي دول العالم ومن ثم إعطاء الثورة طابعا شعبيا على مستوى العالم.

بما أن برنامج إ.ع.ط.م.ج كما رأينا لم يقتصر على المطالب الثقافية والطلابية فحسب بل اتّضحت فيها المطالب السياسية بعد أن ربط الطلبة مصيرهم بمصير بلدهم بالحق في الحرية والاستقلال والوقوف نداء لكل المحاولات والآليات الفرنسية للتكتم على حقيقة الأوضاع في الجزائر والتجاوزات الفرنسية الخطيرة في حق الجزائريين، ومن هذا المنطلق تقلّد الطلبة الجزائريين بفرنسا عدة مهام اقتصادية وإعلامية وتنظيمية في ج.ت.و، خصوصا عندما أسندت لهم فدرالية الجبهة مهام سياسية عالية في هياكلها، حيث وضعت ثقته الكاملة في قدراتهم، فشاركوها بذلك في اتخاذ وتنفيذ القرارات الصعبة وازداد التفاهم بها.

أولت "ج.ت.و" أهمية للنوعية أكثر من الكمية وحرصت على الاستفادة من المثقفين والطلبة قدر المستطاع في تدعيم الثورة كل حسب اختصاصه لاسيما في الناحية السياسية والإدارية وهذا ما اتضح بشكل جلي في الوثيقة التي تبناها مؤتمر الصومام التي ورد فيها أن جيش وجبهة التحرير الوطنيين: "يقومان بتكليف الطلبة والطلبات بمهام ومسؤوليات دقيقة في مجالات مختلفة من خلال إتباع طريقة وإستراتيجية مدروسة حتى يكونوا أكثر إفادة في المجالات السياسية والإدارية والثقافية والصحية والاقتصادية".¹

إلى جانب مراعاة الجبهة لتكوين الطلبة عملت أيضا على مراعاة ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ومدى رغبتهم في مساندة الثورة، وبالرغم من محاولتها إبعادهم عن ميادين ومصادر الخطر، والتركيز على الاستفادة من خدماتهم في المجالات السياسية والإدارية بشكل خاص إلا أن هؤلاء الطلبة أبوا إلا أن يقتحموا غمار الحرب بكل تفاصيلها والالتحاق بالجبال لدعم إخوانهم المجاهدين وقد شكلت هذه الفئة الأكثر عددا من أي مجال آخر، فتوزعوا داخل الجزائر وخارجها وتركزوا في فرنسا وباقي الأقطار العربية والغربية وعززوا صفوف الثورة وهياكلها إعلاميا، إداريا، صحيا، دبلوماسيا وعسكريا، وجعلوا النشاط الثوري بذلك أكثر عمقا وفعالية.

كلّفت الفدرالية الطلاب الجزائريين بمسؤوليات كبيرة تتماشى مع تكوينهم الثقافي والعلمي خاصة منذ نهاية سنة 1955²، ويرجع سبب هذا التأخر إلى طابع السرية التام الذي اعتمده مفجرو الثورة حيث لم يكونوا متأكدين من الخلفيات السياسية لهؤلاء الطلبة إضافة إلى تخوفهم أيضا من اتخاذ الثورة لمنحى إيديولوجي آخر غير الذي رُسم لها خاصة أن ما حدث في حزب "ح.إ.ح.د" من تأزم نتيجة صراع أجيال مختلفة في توجهاتها الفكرية ونظرتها المستقبلية للمسار التحرري للجزائر لم يكن يبعيد عنهم، غير أنه وبعد التأكد من توجهاتهم الفكرية وصدق نواياهم الوطنية ستضع الفدرالية ثقته الكاملة فيهم وتمنحهم مسؤوليات حساسة في مستوى التحديات الراهنة آنذاك والطموحات الكبيرة المُراد تحقيقها.

1Guy Perville, op.cit, p145.

2 هلال، مصدر سابق، ص46.

تقلّد الطلبة تلك المسؤوليات بجرأة كبيرة وتأثير وفعالية عالية وأظهروا عزمهم على تولي مسؤوليتهم التاريخية الكاملة سواء في هرم الفدرالية أو في الحكومة الجزائرية المؤقتة لاسيما بعد أن تولّى "عبان رمضان" زمام أمور الجبهة حيث فتح الباب على مصراعيه لترقية السياسيين في الهيئات المسيرة للجبهة باعتماده المباشر على الطاقات الطلابية باعتبارها النخبة الأكثر كفاءة وقدرة على التسيير¹، سواء على المستوى السياسي والدبلوماسي أو حتى على المستوى العسكري حيث بإمكان الثورة الاعتماد عليهم في مختلف المجالات لاسيما بعد أن أظهروا استجابتهم السريعة لقرارات الجبهة والتحاقهم بصفوفها داخل البلاد وخارجها.

في هذا السياق تتجسد مختلف المسؤوليات التي كُلف بها الطلبة في مختلف هياكل الجبهة حيث تولّى "أمين خان"² منصب كاتب الدولة وممثل للشؤون الخارجية في الحكومة الجزائرية المؤقتة، ونشّط "محمد يزيد" بمساعدة "أحمد بومنجل" وزارة الإعلام، وفي المجال نفسه تولّى "رضا مالك"³ إدارة صحيفة المجاهد، في حين أسندت وزارة المالية والشؤون الاقتصادية لـ "أحمد فرانسيس"، كما أن وزارة الشؤون الخارجية قد تولّاها في البداية "محمد الأمين دباغين" ثم أعيد تنظيمها من طرف "كريم بلقاسم" وكانت تضم العديد من الطلبة الذين تقلّدوا مناصب قيادية في فدرالية الجبهة على غرار "محمد حربي"، "طالب الإبراهيمي"، عبد الملك بن حبيلس⁴ وغيرهم من المثقفين الذين يشهد لهم بأنهم كانوا شعلة ثورية وحماس شديد للثورة ومبادئها.⁵

لم تقتصر الجبهة على تعيينهم في مختلف هياكلها بل عملت أيضا على ترقيةهم في مناصب داخل دواوين الوزراء والأمانات العامة والمديريات الوزارية بالحكومة المؤقتة الأولى وأهمها "وزارة المالية" بقيادة "أحمد فرانسيس" الذي يساعده "لبجاوي"، "وزارة الشرطة والاتصالات العامة" برئاسة "بوصوف"، وزارة الشؤون الاجتماعية والثقافية" برئاسة "عبد الحميد مهري" و"عبد السلام بلعيد" الذي كان يشرف على

1 بريفلي، مرجع سابق، ص 368.

2 أمين خان، هو عبد الرحمن خان ولد في 6 مارس 1931، التحق بالمدرسة الفرنسية إلى غاية المرحلة الثانوية سنة 1943، وفي 1946 التحق بحزب الشعب، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1949، لكنه لم يلتحق بالجامعة مشفقا على والديه من صعوبة التكليف وعدم رغبته في الابتعاد عنهما فاكتمل في إجراء تربص في الصيدلة وفي 1950 التحق بمعهد الطب بجامعة الجزائر، وانضم كطالب إلى الثورة بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956، للمزيد أنظر = بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص 147.

3 رضا مالك، ولد بعين الكبيرة سنة 1928 ويعد من أبرز مناضلي حزب الشعب منذ 1944، ترأس جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالعاصمة الجزائر سنة 1951، وهو عظم مؤسس في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ومسؤولا في جريدة المجاهد، وعضوا بالحكومة المؤقتة، وأحد أبرز المفاوضين في الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان، تقلد عدة مناصب بعد الاستقلال منها رئيسا للحكومة الجزائرية ما بين 21 أوت 1993 إلى 11 أبريل 1994، لديه الكثير من المؤلفات منها الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962... وغيرها، للمزيد أنظر = هنري كليمون مور، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA. 1955. 1962. شهادات، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص ص 758. 759.

4 بريفلي، مرجع سابق، ص 369.

5 هلال، مصدر سابق، ص 51.

الموافقة على المنح في الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، "وزارة الداخلية" بقيادة "بن طوبال" ثم "كريم بلقاسم"، "وزارة الإعلام" بقيادة كل من "أحمد بومنجل" و"أحمد بومنجل" و"رضا مالك" الذي كان أيضا مدير جريدة المجاهد، إضافة إلى "وزارة الشؤون الخارجية" التي تم إسنادها بداية إلى "الأمين دباغين" ثم أعيد تنظيمها في 1960 من طرف "كريم بلقاسم" ومساعدة كاتبين عامين هما "سعد دحلب" و"مبروك حسين"، كما أضاف لهم مجموعة أخرى من الطلبة المثقفين لتعزيز المهمة أكثر وعلى رأسهم "لخضر الإبراهيمي"، "عبد المالك بن حبيلس"، "عبد العزيز زرداني"، و"حربي".¹

إلى جانب كل تلك المسؤوليات تولّى الطلبة أيضا مهام أخرى كقيادة البعثات الدبلوماسية والوفود المفوضة لجبهة التحرير الوطني، وعلى رأسهم "أحمد بومنجل" "محمد الصديق بن يحيى"، و"رضا مالك"، أما في فرنسا فقد كُلف المثقفون السياسيون والقياديون في فدرالية الجبهة والذين كان أغلبهم من الطلبة في صياغة برنامج طرابلس، على غرار كل من "محمد الصديق بن يحيى"، "محمد حربي"، "رضا مالك"، و"مصطفى الأشرف"²، ومحمد مبارك الملي، حيث قدم كل واحد منهم تقريرا حول السياسة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخارجية في نقاط عدة³، وقد شكّل ميثاق هذا البرنامج أحد أهم وثائق الثورة إلى جانب ميثاق الصومام وبيان أول نوفمبر 1954، حيث ساهم في تحديد توجهات الجزائر كدولة مستقلة فنية ووضع السياسة العامة لها بعد الاستقلال.

رغم أن أهم عمل بطولي سجّله الطلبة الجزائريون هو مشاركتهم الفعّالة في إضراب 1956 الذي دعت إليه الجبهة بتأطير من الاتحاد الطلابي، إلا أن نشاط هذا الاتحاد لم ينقص بعد انتهاء هذا الإضراب بل تزايد، حيث قام الطلبة الجزائريون بأول خطوة تمثلت في كسب الاعتراف الدولي من خلال حضورهم في كل الفعاليات العالمية لشرح قضية شعبهم، والدفاع عن مصالح الثورة، كما حدث مثلا في الندوة العالمية السادسة للطلاب في كولومبيا بجزيرة سيلان التي قلبت الاتحاد عضوا منتدبا فيها، كما افتك الاعتراف به وقبول عضويته في المنظمة العالمية الشرقية ولم يكتفي الاتحاد عند هذا الحد بل راح يكشف جهوده لدى اتحاد الطلبة العالمية شارحا القضية الجزائرية وكسب مساندتها في كل من سويسرا، هولندا، ألمانيا، إيطاليا، الصين، أمريكا والعواصم العربية.⁴

في نفس السياق قام الطلبة بنشاط ثقافي وإعلامي تجسّد خصوصا في إنشاء رابطة الطلبة الجزائرية في المشرق العربي، وقد حضر الاجتماع التأسيسي ممثلون عن مختلف المنظمات الطلابية في كل من سوريا ومصر والعراق والكويت والهدف من هذه الرابطة هو توحيد الطلبة في المنطقة العربية⁵، وكان للإتحاد

1Abderrahmane Kiouane, diplomatie de la guerre, édition Dahlab, Alger, 2000, p123.

2بريفلي، مرجع سابق، ص 370.

3محمد حربي، جبهة التحرير الوطني...، مصدر سابق، ص 273.

4لونيس، مرجع سابق، ص 14.

5أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 . 1930، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 282.

الطلابي حضورا دائما في مختلف التجمعات الطلابية الدولية التي يصفها الإتحاد العالمي للطلبة، وفي هذا الإطار كانت للإتحاد مشاركة في المؤتمر الرابع المنعقد ببراغ في الفترة ما بين 26 أوت . 4 سبتمبر 1956 تم فيه الاجتماع على لائحة تطالب بإنهاء الحرب في الجزائر وتحقيق المطامح المشروعة للشعب الجزائري.¹

في إطار تدويل القضية الجزائرية ساهم الطلبة أيضا في كسب الاعتراف الدولي من خلال مشاركتهم في الندوة العالمية السادسة للطلاب في كولومبيا التي قبلت إ.ع.ط.م.ج كعضو منتدب بالإضافة إلى كسب تعاطف كل من سويسرا وهولندا، ألمانيا وإيطاليا، الصين وأمريكا²، وحضروا مجالس الجامعة العالمية للشبيبة الديمقراطية ودورات مكتبها التنفيذي ببوداباست وكنيوا وبراغ وكوناكري، والمهرجانات العالمية للشباب والطلبة بموسكو أوت 1957³، خاصة وأن هذه السنة 1957. قد وُصفت بسنة التنظيم والتعبئة من خلال تأطير الجالية الجزائرية بالخارج من طرف الطلبة من أجل حسم كافة المهاجرين في "ج.ت.و"، بالإضافة إلى نشر الدعوة كمؤازرة الثورة في مختلف الأوساط النقاوية في الأفطار الأجنبية وهذا عن طريق الزيارات للدول والمشاركة في المؤتمرات الطلابية، هذا ما جعل قادة الثورة يوجهون عناية للطلاب عن طريق إتاحة الفرصة لهم لمواصلة الدراسة في الخارج.⁴

كما قاموا بعقد مؤتمر ثالث ما بين 23 . 26 ديسمبر 1957 بضواحي باريس وكانت التنظيمات الطلابية التونسية والمغربية قد ساعدت وشاركت في مناقشة المداولات التي جرت في جلسة مغلقة، وتناول هذا المؤتمر أوضاع الطلبة المادية والمعنوية، وكذلك أوضاع الثورة وتطورها⁵، ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى سحب مشروعية التمثيل الطلابي يوم 28 جانفي 1958⁶، بعد أن قامت بإصدار قرار حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كما أن قرار الإضراب أثار دهشة وإعجاب الأوساط الثقافية في العالم، وبرهن أيضا على تضامن الطالب الجزائري الصادق مع الشعب الجزائري الذي كان يقاسي الأهوال، وأكدّ وجه آخر ودليلا قويا على شعبية الثورة الجزائرية التي كان الاستعمار يدّعي بأنها مجرد أعمال لعصابات وقطاع طرق خارجين عن القانون.⁷

أدى حل الاتحاد إلى زعزعت نشاط الفدرالية بفرنسا لعدة شهور وهذا ما دفع لإنشاء فرع جامعي ل"ج.ت.و"، وكانت مهمته تنظيم الطلبة سواء في فرنسا بشكل خاص أو في أوروبا الغربية عامة، وعلى إثر

1 محمد سعيد عقيب، مرجع سابق، ص 218.

2 لونييسي، مرجع سابق، ص 14.

3 عبد الله حمادي، الحركة الوطنية الطلابية الجزائرية 1871 . 1962، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص 145.

4 بريفلي، مرجع سابق، ص 343.

5 يحي بوعزيز، دور، ملتقى سابق، ص 127.

6 نفسه، ص 187.

7 رابح لونييسي، مرجع سابق، ص 14.

ذلك قدمت اللجنة التنفيذية استقالتها وغادر أعضاؤها إلى سويسرا، مما أدى بـ"ف.ج.ت.و" إلى عقد الاجتماع في كولونيا في 1958 وتقرر فيه الإبقاء على "إ.ع.ط.م.ج" أمام التنظيمات الطلابية العالمية وتحويله على المستوى الداخلي إلى فرع جامعي لـ"ج.ت.و"¹، ونظرا للصدى الذي حققه الاتحاد على المستوى الخارجي من مظاهرات لمختلف التنظيمات الطلابية العربية والأوروبية، عقد الاتحاد مؤتمرا ثلاثيا مع الاتحاد العام للطلبة التونسيين والاتحاد الوطني لطلبة المغرب في تونس من 20 إلى 23 أوت 1958، ونتج عن هذا المؤتمر اتحاد مشترك دعا إلى وحدة شعوب المغرب العربي الثلاثة.²

وبمناسبة اليوم العالمي لكفاح الطالب الذي تقرّر في مؤتمر باندونغ بإندونيسيا يوم 21 فيفري من كل عام، اغتنم الاتحاد الفرصة وقدم مكتب تنفيذي قائمة بإنهاء المسجونين داخل فرنسا من أجل إطلاق سراحهم، وهم الذين تم استقبالهم ما بين ديسمبر 1958 وجانفي 1959، وبسبب كثرة المضايقات والاعتقالات التي كان الطلبة الجزائريون يتعرضون لها في فرنسا، اضطرّ الكثير منهم إلى مغادرة الأراضي الفرنسية والانتقال باتجاه سويسرا كبلد مجاور لها، وهاجر تبعا لذلك أكثر من 800 طالب جزائري في عام 1959، وتوقع مسؤولو الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن يرتفع هذا العدد إلى 1500 أو 2000 طالب في العام.³

استطاع الطلبة الجزائريون تحقيق خطوات كبيرة في ميدان الكفاح ونضال داخل الجزائر وخارجها وقد تمكن الاتحاد أن يفرض مركزه بين الاتحادات العالمية وبذلك قدم مساعدات قيّمة للثورة⁴، لاسيما بعد تقديمه عرضا عن وضعية الطلبة الجزائرية يوم 16 نوفمبر 1959 وواقعهم السيئ في الندوة السنوية لـ"إ.ع.ط.م.ج"⁵، وتمكّن هذا الاتحاد من أن يفرض مكانته على الاتحادات الطلابية العالمية الشرقية والغربية إضافة إلى الاتحادات العربية وقدم مساعدات قيّمة للثورة⁶، وملتزم هنا المواقف الإيجابية التي اتخذها لـ"إ.ع.ط.م.ج" من الثورة والدور الذي لعبه الطلبة في تعبئة المهاجرين والدفاع عن حقوقهم بصفة عامة وبين الأوساط الطلابية بصفة خاصة.

خلال مؤتمره الرابع الذي عُقد بتونس في الفترة الممتدة من 26 جويلية إلى 1 أوت 1960 وحضره مندوبون من 26 فرع من فروع الاتحاد و29 وفد عالميا من القارات الخمس، كما حضي هذا المؤتمر بعناية كبيرة من طرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الاتحادات الطلابية العالمية، فخطب فيه الرئيس "فرحات عباس" وألقي رئيس الاتحادية "مسعود آيت شعلال" تقريرا أدبيا مطولا حلل فيه ظروف الطلبة

1 صباح نوري هادي، مرجع سابق، ص15.

2 يحي بوعزيز، موضوعات، مرجع سابق، ص190.

3 بوعزيز، شخصيات وقضايا...، مرجع سابق، ص191.

4 نفسه، ص ص191.192.

5 عمر بوضربة، النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954.1962)، دار الإرشاد، الجزائر، 2013، ص303.

6 بوعزيز، شخصيات...، مرجع سابق، ص ص191.192.

الجزائريين، ومسيرة الاتحاد منذ نشأته عام 1955، وجهوده في سبيل تحسين أوضاع الطلبة الجزائريين في جميع أنحاء العالم، ودعمه للثورة والكفاح المسلح بكل الوسائل والأساليب المادية والبشرية كما خطب فيها كل وفود البلدان الشقيقة، وأشادوا بثورة الجزائر وبطولة شعبها وأكدوا دعمهم للاتحاد وتأييدهم لاستقلال الجزائر من أجل انتصارها، وكان أهم شيء اندهشوا له هو دخول مسيري الطلبة إلى الاجتماعات مختلفين وخروجهم متفقين تماما.¹

وبعد انتهاء هذا المؤتمر بأسبوع عقد كل من الاتحادين التونسي والمغربي من 8 إلى 13 أوت 1960، فأعلننا تأييدهما لقرارات المؤتمر الرابع لاتحاد الطلبة الجزائريين، وللثورة الجزائرية وحكومتها المؤقتة، وخلال شهر أكتوبر 1960 سلم الاتحاد مذكرة إلى كل الاتحادات الطلابية في بلدان الأعضاء بمنطقة الحلف الأطلسي، ودعاها فيها أن تعمل وتسعى لحمل حكومات بلدانها على إيقاف الدعم المادي والمساعدات العسكرية، التي تقدمها لفرنسا في حربها ضد الشعب الجزائري وثورته وقد ذكر الاتحاد القرار الحازم الذي اتخذته المؤتمر العلمي لاتحاد الطلاب بسويسرا، للتنديد والتشهير بكل الحكومات التي تساعد فرنسا في حربها القذرة ضد الجزائر، وشعبها وثورتها البطولية الصامدة.²

كان من نتائج تأثير أعمال الاتحاد أن قام طلبة الإسكندرية بمصر بإحياء يوم تضامني مع "إ.ع.ط.م.ج" وذلك يوم 7 أبريل 1961، عبر مختلف الجامعات المصرية، كما زاد التضامن التونسي والمغربي مع الطلبة الجزائريين حيث اشترك كل من الشبيبة المغربية والتونسية وحتى الإيطالية في تأسيس اللجنة العالمية للتضامن مع شبيبة الجزائرية بدولة روسيا.³

لقد كان للطلبة دور فعال في الثورة التحريرية من خلال عدة أنشطة فبدايتها تنظيمات وندوات وجمعيات ومحاضرات للتعريف بها وبأهدافها تحت حيز سياسي وثقافي⁴، ثم الدعم والعمل الثوري العسكري بعد استجابة الطلبة لنداء "ج.ت.و" لبعث تنظيم "UGEMA"، كمنظمة وطنية للحركة الطلابية الجزائرية تضم الأجيال الجزائرية الجديدة وتعتمد عليها الثورة في تدعيم سياستها على الصعيدين الداخلي والخارجي وتجنيدها لخدمة الثورة التحريرية والقضية الوطنية⁵، وقد عبروا عن ذلك في مؤتمرهم التأسيسي للاتحاد حيث أعلنوا الوقوف إلى جانب شعبهم في الكفاح ضد الاستعمار ومساندتهم ل"ج.ت.و" ومشروعها الثوري⁶، في استرجاع السيادة الوطنية وبناء الدولة الجزائرية المستقلة.

1 بوعزيز، دور...، مرجع سابق، ص 134.

2 نفسه، ص ص 134 - 135.

3 خلوفي بغداد، نشاط الحركة الطلابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية...، مرجع سابق، ص 247.

4 عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة نوفمبر 1954، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 183.

5 حسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، ملتقى الوطني حول

الإعلام والإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، ص 65.

6Mohammed Guentari, L'organisation politico administrative et militaire de la révolution algérienne, tome 2, opu, Alger, 2000, p612.

ذكر "سعد الله" الدور الكبير للطلبة في الجزائر أو فرنسا أو غيرها في دعم الثورة ومناصرتهم لها ماديا ومعنويا خلال كلمته التي ألقاها في مهرجان الطلبة للاحتفال بالذكرى الثالثة للثورة سنة 1957 ومما ورد في تدخله : "إن الطالب الجزائري في فرنسا وفي الوطن العربي وفي الجزائر نفسها قد ساهم مساهمة إيجابية في سبيل دفع الثورة إلى القمة وفي سبيل بناء الجزائر بناء ثوريا منتجا والطالب الجزائري اليوم أحد الرجلين، فهو إما يخوض المعركة الوطنية السياسية والعسكرية، وإما جندي احتياطي ينتظر الإشارة بين الحين والآخر، ولذلك فنحن الطلبة... لن نتخلى في أداء رسالتنا المقدسة التي يطلبها منا وطننا المناضل..."¹، وحتى بعد حل الاتحاد الطلابي لم يتوقف نشاط الطلبة بل بالعكس فقد زادت وتيرة مساهمتهم حيث تجدد المئات منهم للعمل في كل ميادين الثورة²، وقد استشهد الكثير من طلبة فرنسا في ساحات المعارك بينما بقى منهم الكثير على الحدود الشرقية والغربية يساعدون جيش الحدود في مهامه إلى غاية الاستقلال.³

المطلب الرابع: التدابير الفرنسية في حق الطلبة الجزائريين بفرنسا وتحديثهم لها

* رد فعل السلطات الفرنسية على النضال الطلابي:

هاجمت السلطات الفرنسية الطلبة الجزائريين ونشاطاتهم النضالية، ورفضت انضمامهم إلى الثورة التحريرية، لأنها كانت تعتبرهم من صنعها فهي المسؤول الأول عن تعليمهم وتحسين مستواهم الثقافي والمعرفي، فهم خريجو المدارس والجامعات الفرنسية، فكيف يتخلّون عنها ويُغيّرون وجهتهم نحو الكفاح والعمل لصالح الثورة الجزائرية، كما أن فرنسا كانت تدرك جيدا أهمية هؤلاء الطلبة باعتبارهم نخبة واعية وطبقة مثقفة، حيث سيشكلون دعما حقيقيا لجبهة وجيش التحرير الوطنيين، وفي الوقت نفسه سيمثلون خطرا كبيرا على المصالح الفرنسية في الجزائر وفرنسا وحتى في العالم بأسره من خلال نشاطاتهم التي شملت ميادين عديدة وقدرتهم أكثر من باقي أطراف شعبهم على معرفة وفهم متغيرات العلاقات الدولية وكل ما يخدم قضيتهم الوطنية.

انتهجت الحكومة الفرنسية سياستين متباينتين اتجاء الطلبة الجزائريين مُحاولَة الحد من التحامهم بالثورة التحريرية فمزجت بين سياسة الترغيب والترهيب، حيث عملت في الأولى على عزلهم عن الثورة عن طريق منحهم إعفاءات وامتيازات عديدة خصّتهم بها دون غيرهم، أهمها ما ورد في مرسوم "روبير لاکوست" "Robert Lacoste" في 17 مارس 1956 ومنها ترقية الموظفين الجزائريين بالإدارة الفرنسية، والسماح للطلبة الجزائريين المتخرجين بالحصول على نصف المناصب الشاغرة في كل مرتبة من مراتب الإطارات والمصالح الإدارية مع القضاء بتوظيفهم حسب الشهادات ومن دون إجراء مسابقة، وتخصيص مناصب عليا في الوظيف العمومي للمتحصّلين على شهادة ليسانس في الحقوق والمتخرجين من المدرسة العليا للإدارة.

1 أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص231.

2 Moore Clement, op.cit, p14.

3 Harbi, Une vie debout, op.cit, p125.

لم تقف الحكومة الفرنسية مكتوفة الأيدي أمام الانتصارات الساحقة التي بدأت تجني ثمارها القضية الجزائرية، من خلال تزايد التضامن والتأييد العالمي لها بفضل مجهودات الاتحاد، فعملت على اعتقال الطلبة وإخضاعهم لعمليات الاستنطاق، وتسليط مختلف أصناف التعذيب عليهم، ثم رميهم في مختلف السجون الفرنسية¹، واعتقلت عددا من مسيريه وأعضائه، وعذبت الكثير منهم مما اضطر اللجنة التنفيذية ل.إ.ع.ط.م.ج إلى مغادرة فرنسا والاتجاه إلى سويسرا، كما اضطر معظم الطلبة الجزائريين المغادرة والتوجه إلى مختلف الدول الأوروبية عبر سويسرا التي تحولت إلى نقطة عبور.²

اتخذت السلطات الفرنسية بالتوازي مع سياسة المهادنة والترغيب، العنف والاضطهاد لكل ما يهدد مصالحها في الجزائر، حيث اغتنمت فرصة إعلان نتائج المؤتمر التأسيسي ل.إ.ع.ط.م.ج ودعوته الصريحة لاستقلال الجزائر التام، وقامت بإيقاف واعتقال عدد كبير من الطلبة الجزائريين، وعذبته في معظم المدن الفرنسية التي كانوا يقطنون فيها، إلا أن الطلبة صمدوا وصبروا ولم يُرهبهم ذلك، بل زادهم عزيمة وإصرارا حين دفعهم إلى التفكير في الإقدام على خطوة أخرى أكثر جرأة وشجاعة بالنسبة للكفاح التحرري، وعزموا على إعلان الإضراب العام اللانهائي عن الدروس والامتحانات في الجامعات والمعاهد العليا الفرنسية في الجزائر وفرنسا وذلك يوم 19 ماي 1956، والخروج من المجال الضيق إلى المجال الواسع في ميدان الكفاح المسلح الوطني الذي أصبح فرضا عينيا على كل فرد، وليس فرض كفاية على جماعة معينة.³

في ذات السياق وأثناء الإضراب الذي قام به الطلبة في 19 ماي 1956 قامت السلطات الفرنسية بحملات توعية خلال السنوات التي تلت الإضراب خاصة في 1957 و 1958 من أجل إقناعهم بالعودة إلى مقاعد الدراسة والتخلي نهائيا عن الإضراب مقابل أن توفر لهم الحماية الكاملة ولكل أفراد أسرهم وعائلاتهم ضد أي تهديد محتمل من أفراد الشرطة أو من طرف ج.ت.و، ولم تكتفي بذلك فحسب بل قدّمت لهم وعودا بمنحهم امتيازات ومنح وإعانات مالية والحق في الإيواء والإقامة الجامعية خصوصا في الأراضي الفرنسية.

استهدفت السلطات الفرنسية مسيرى الإضراب وجرتهم إلى المتابعات القضائية ومختلف العقوبات الإدارية، كما حرمت الطلبة المضربين من الامتيازات المخصصة لهم مثل إلغاء المنحة الجامعية وحرمانهم من الاستفادة من المطاعم والإيواء في الإقامات والأحياء الجامعية وإلغاء الإرجاء في أداء الخدمة العسكرية، وقد طبقت هذه التدابير والإجراءات بشدة خاصة في الجامعات الموالية للجزائر الفرنسية مثل جامعة

1 رابح لونيسي، مرجع سابق، ص 15.

2 يحي بوعزيز، موضوعات...، مرجع سابق، ص 187.

3 يحي بوعزيز، دور...، مرجع سابق، ص 120 . 121.

"مونتبولي" Montpellier التي سارعت في قطع العلاقة بشكل نهائي مع إ.ع.ط.م.ج في شهر ماي 1956 ثم تبعتها نقابة "L'UNEF" يوم 2 جوان من السنة نفسها.¹

لقد جاء رد الإدارة الفرنسية قاسيا حيث تمّ اضطهاد الطلبة وشنّ سلسلة من الاعتقالات التي مسّت جلّهم في مختلف المدارس والمعاهد والجامعات ورميهم في السجون خصوصا المهاجرين منهم بفرنسا، إلا أن ذلك لم يثن من عزيمة الطلبة في دعم الثورة وهو ما بدا واضحا من خلال تنظيمهم لإضراب 19 ماي 1956²، وفي شهر جانفي قامت السلطات الفرنسية بحل الإتحاد بتهمة مساسه بالأمن الداخلي لفرنسا³، وقامت بسلسلة من الاعتقالات للطلبة ولرؤساء خلايا "ج.ت.و" وسلّطت عليهم شتى العقوبات فكان رد فعل الطلاب هو التفافهم جماعيا حول جبهة التحرير بالجزائر وفدراليتها بفرنسا.⁴

ظلّ القمع الفرنسي متواصلا على الطلبة الجزائريين بفرنسا حتى بعد صدور قرار اللجنة المديرية المجتمعة يومي 21 . 22 سبتمبر 1957 بالعاصمة باريس بإنهاء الإضراب وتوقيفه رسميا في فرنسا مع بقائه في الجزائر، حيث تمّ إيقاف الأمين العام "محمد خميسي" وبعده 212 طالبا جامعيًا، ولم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد بل أعلن ديوان "فيليكس غايار" في 28 جانفي 1958 عن حل الاتحاد، وقد أُعتبر هذا القرار ظالما حتى من قبل بعض الفرنسيين، إذ احتجّ الاتحاد العام للطلبة الفرنسيين على هذا قرار الحل واعتبره عملا تعسفيا، كما شارك كذلك اتحاد طلبة المدارس العليا الفرنسية، وعقد الطلبة شمال إفريقيا عدة اجتماعات وندوات احتجاجوا فيها على هذا القرار، وتظاهروا يوم 04 فيفري 1958 مع ستة عشر منظمة طلابية في الحي اللاتيني حيث بلغ عدد المتظاهرين ألفي (2000) طالب وطالبة⁵، كما اشترك معهم حتى بعض الأساتذة من مختلف التخصصات.⁶

شنّت الإدارة الفرنسية حملة واسعة من الاعتقالات فقد تمّ العثور على جثة الطالب "زدور بلقاسم" الذي كانت الشرطة الفرنسية قد اعتقلته في وهران يوم 06 نوفمبر 1955، وفي ديسمبر من السنة نفسها اتسعت الحملة لتشمل اعتقال كل من "عمارة رشيد"، "أحمد تواتي"، "مصطفى صابر"، و"محمد لونيس" بحجة توزيعهم لمناشير تدعو لمقاطعة الانتخابات، ولم تكن المضايقات تقتصر على عناصر الشرطة

1 بريفلي، مرجع سابق، ص 247. 248.

2 أحسن بومالي، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية (1954 . 1956)، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 467.

3 ج.ت.و، حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في جريدة المجاهد، ع 17، 01 فيفري 1957، ص 10.

4 هلال، مصدر سابق، ص 49 . 50.

5 أحمد مريوش، الحركة الطلابية ودورها في القضية الجزائرية وثورة التحرير 1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005. 2006، ص 499.

6 يحي بوعزيز، دور، ملتقى سابق، ص 127.

الفرنسية فحسب بل شاركت معها أطراف أخرى كالأدارات الجامعية والأساتذة والطلبة الفرنسيين المتطرفين.¹

رغم كل العوائق والضغوط التي فرضتها السلطات الفرنسية على كل النشاطات الطلابية الجزائرية، وكل ما تعرّض له الطلبة الجزائريين من اضطهاد وعنف وقمع على جميع المستويات وسلسلة الاعتقالات التي ظلّت مستمرة تقريبا بشكل يومي والتي مست جلّ أفرادهم، وتسليط مختلف أصناف التعذيب عليهم ورميهم في السجون، إلا أنهم كان لهم دور هام في ثورة نوفمبر 1954²، حيث قام الاتحاد في 2 جانفي 1956 بتوجيه نداء للحكومة الفرنسية يدعوها لإيقاف سفك الدماء وندد بالسياسة الهمجية التي كان يتعرض لها الطلاب لاسيما المعتقلين والمساكين منهم³، وذلك من خلال تنديد شديد اللهجة إلى السلطات الفرنسية وهذا ما دفع بهذه الأخيرة إلى القيام بمتابعات واغتيالات مستّة الكثير من عناصر الاتحاد.

لكن الاتحاد واصل نضاله السياسي فبادر بتجنيد أعضائه للمشاركة في حملة تضامن مع رفاقهم المساجين، حيث انطلقت الحملة التضامنية يوم 20 جانفي من السنة نفسها بإضراب لمدة يوم واحد عن الدراسة، وقد أُستقبل هذا القرار بحماس من جميع الطلبة فقرّروا الدخول في إضراب عن الدروس والامتحانات⁴، ونظرا لهذا الموقف المتعصب للطلبة زادت السلطات الفرنسية في قمعها لهم، وبعد تصعيد عمليات القمع الوحشي للطلبة الجزائريين من طرف قوات الأمن الاستعمارية، بدأت فكرة الإضراب عن الدروس والامتحانات تدور في أذهان الطلبة وقرروا رفع التحدي في وجه الآلة الاستعمارية.⁵

رغم السياسة القمعية التي انتهجتها السلطات الفرنسية في حق الطلبة الجزائريين داخل فرنسا وخارجها بهدف عزلهم وإبعادهم عن الثورة، إلا أنهم ظلّوا صامدين في وجه كل أساليب القمع الفرنسي ملتقيين بكل قوتهم حول الثورة واضعين أنفسهم تحت أوامر ج.ت.و وغطّوا ميادينها السياسية والعسكرية، الإدارية والإعلامية والصحية بعد أن زوّدها بكفاءتهم السياسية والعسكرية وقدموا المعلومات الدعائية واللوجيستية وجمعوا الأموال وجنّدوا المتطوعين.

فكانوا في مستوى التحدي وعلامة من علامات التكامل الوطني وركيزة أساسية لقوة العمل الثوري واستمرار النضال الوطني، وشكّلوا صداً منيعاً أمام الدعاية الاستعمارية المغرضة والمضللة فساهموا في تنفيذ الإدعاءات الكاذبة عن الثورة وتصحيح الحقائق المشوّهة، كما شاركوا في التعريف بالقضية الجزائرية وإيجاد

1 سعيد عقيب، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1954 . 1962، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص 119.

2 هلال، مصدر سابق، ص 131.

3 إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830 . 1962، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص 124.

4 غي برفيلي، مرجع سابق، ص 230 . 231.

5 صباح نور، مرجع سابق، ص 108.

مؤازرين وداعمين لها من مختلف أصقاع العالم ونظرا لإمكاناتهم ومؤهلاتهم التي جمعت بين التكوين النظري في المدارس والمعاهد والجامعات وبين الحس الوطني والعمل الثوري الذي أثبتوه بتحملهم للمسؤوليات التي أُسندت لهم فإنهم قد نجحوا في دعم وتقوية المسيرة الثورية وجعلها متكاملة الجوانب.

بعد حل الاتحاد وتوقيف قاداته والعديد من مناضليه انتهى نشاطه بفرنسا ولكنه لم ينتهي بشكل كامل بل قرّر الانتقال إلى العمل السري خارج الأراضي الفرنسية¹، وقد أشار "سعد الله" إلى استمرار نضال الطلبة وقوة صداه في مختلف الأقطار بقوله: "... كان الإضراب صفة قوية للإعلام والدبلوماسية الفرنسية في العالم أجمع... كان نصر للجبهة عظيم في صراعها لافتكك المبادرة ليس فقط من فرنسا وإنما من منظمات مناوئة لها كالحركة الوطنية المصالية..."²

وظلّت روح المقاومة متقدّدة لدى جميع الطلاب الجزائريين داخل الوطن وخارجه كما ظلّ صدى إضرابهم يحجب مشارق الأرض ومغاربها مُبرهنًا قوة وصمود الثورة التحريرية بأبنائها من جميع الفئات والشرائح الاجتماعية.

حاول الطلبة الجزائريون بفرنسا ورغم قتلهم الانضواء تحت هيئة قانونية تدافع عن حقوقهم مهما كانت الجهات المسؤولة عنها، فلجئوا في البداية بالانضمام إلى التنظيمات الطلابية الفرنسية، وبعد فهمهم لطرق العمل وسبل النضال اختاروا الاستقلال عنها، والتجمّع في تنظيم طلابي جزائري بحث يستجيب لمطالبهم ويدافع عن حقوقهم وحقوق بلادهم.

المبحث الثالث: نضال الفئات الفرنسية المثقفة

تتمثل النخبة الفرنسية المثقفة في تلك القوى الحية المحبة للسلام والحرية والتمسكة بقيم الثورة الفرنسية، والمثل العليا التي نادى بها، وتضم اليساريين من الفلاسفة والمفكرين وبعض الأدباء ممن اهتموا مبكرا بالقضية الجزائرية³، وقد تمثلت خصوصا في النخبة اليسارية خاصة الشيوعية التي خالفت نهج الحزب الشيوعي الفرنسي الذي لم تكن مواقفه صريحة وواضحة اتجاه القضية الجزائرية، كما شملت هذه النخبة مثقفون فرنسيون تخطّوا حاجز الخوف وخرجوا عن صمتهم، ووحدوا جهودهم من أجل خدمة الديمقراطية والدفاع عن القضية الجزائرية والإقرار بعدالتها، ما أعطاهم وزنا كبيرا في الساحة الثقافية الفرنسية والعالمية، وناضلوا ضمن جبهة رفض الحرب في الجزائر وضرورة وضع حد لها وكثيرا منهم قد أفصح عن رأيه وعمل على إسماع صوته بطريقة فردية أو جماعية.⁴

المطلب الأول: مظاهر دعم النخبة الفرنسية للقضية الجزائرية

1Haroun, op, cit, pp73 – 74.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 2007، ص 302.

3 أحمد منغور، مرجع سابق، ص105.

4 أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954. 1962، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص194.

تُشكّل هذه النخبة فئة الأحرار الذين ينتمون إلى جمعيات المجتمع المدني والمنتديات الثقافية، والذين شملت تخصصاتهم العديد من المجالات والميادين الفكرية العلمية الفنية والفلسفية، تميّزت حياتهم برفع التحدي في نصرة الحق رغم كل الضغوط والمضايقات التي طالت وظائفهم وعائلاتهم، والحضور في مختلف المحافل الدولية لتحطيم الأنظمة الكولونيالية، ولنصرة القضايا العادلة ومناهضة الاستعمار وسياساته القمعية والتعسفية المنافية لكل الأعراف والقوانين الدولية والمخالفة لكل المبادئ الإنسانية، فساهموا بذلك في تنوير الرأي العام العالمي والفرنسي بحقيقة الاستعمار وأساليبه الوحشية، وشكلوا قوة ضاغطة في التراب الفرنسي على نظام الحكم والجهات الاستبدادية، ومنع أمل لشعوب المستعمرات والحركات التحررية.

1. بيان 121 الرافض للاستعمار

رغم أن مناهضة الاستعمار برزت بشكل جلي منذ الحرب العالمية الثانية وازدادت انتشارا وتوسعا بعد نهايتها عندما أصبحت قضية تحملها المستعمرات حيث وجد المناهضين للاستعمار من داخل المنظومة الاستعمارية تدريجيا أنفسهم يلعبون دور المساند والمساعد والداعم¹، إلا أن هذا التيار زاد من نشاطه وأكد وجوده مع النخبة الفرنسية المثقفة المؤيدة للقضية الجزائرية والمناهضة للاستعمار الفرنسي، فأسست في سويسرا نهاية جويلية 1960 الحركة المناهضة للاستعمار ونشرت بيانا للتعريف بنفسها، كان يُنشطها "هينري كوريال" Henry "Courriel" ومثّلت الكفاح المناهض للاستعمار في تقديم مساعدات على المستوى الفردي من طرف فرنسيين للمناضلين الجزائريين، ثم سعت مجموعات صغيرة مبعثرة عبر كل الوطن بالاتصال مع تشكيلات محلية لمناضلين جزائريين، وبعد ذلك انتظمت في مجموعات مركزية لتقديم المساعدة للمقاومة الجزائرية.²

تمثّلت مظاهر دعم ومساندة هذه النخبة للقضية الجزائرية في إصدارها لبيان الشعب الفرنسي المناهض للاستعمار في 5 سبتمبر 1960 الذي عُرف باسم "بيان 121"، وقد وُقع من طرف مثقفين فرنسيين في مختلف المجالات الأدب، الفكر، الصحافة والفن كما انضم إليهم أساتذة من كل المستويات حتى من جامعة السوربون، وقد توجّهوا بالنداء إلى جميع الأحزاب والنقابات والمنظمات الديمقراطية، من أجل إيقاف عاجل لكل التدابير العنصرية والسياسات التعسفية في حق الجزائريين، مؤكدين عن تضامنهم التام مع قضيتهم العادلة³، وطالبوا بتبرئة كل من يرفض قتل الجزائريين وحمل السلاح ضدهم.⁴

تضمّن محتوى البيان الدعوى إلى رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري وذلك دعما لكل الشبان الفرنسيين الذين قاموا بهذه الحركة، وأكدوا مساندة الشعب الجزائري المضطهد باسم الشعب

1Jean-Pierre Biondi et Gille Morin, Les anticolonialistes 1881-1962, Editions Robert Laffont, Paris, p245.

2 هرفي هامون وباتريك روتمان، حملة الحقائق، تر: عبد الرحمن كابوية، وليام محمد، دحلب، ص517.

3 محمد لحسن زغبيدي، مؤتمر الصومام وتطور الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 215.

4 طالب مناد، الفكر السياسي عند سارتر وعلاقته بالثورة التحريرية، دار خطاب للنشر، الجزائر، 2006، ص252.

الفرنسي¹، وقد اختارت هذه المجموعة توقيتا مناسباً لإعلان هذا البيان وهو إجراء محاكمة شبكة دعم الثورة المعروفة بشبكة جونسون خاصة وأن الرأي العام الفرنسي كان ينتظر نتائج هذه المحاكمة وما ستسفر عنه، ومما جاء في البيان: "الفرنسيون ببقيهم صامتين يعتبرون متواطئين في هذه الأعمال الاضطهادية العنصرية التي أصبحت باريس مسرحاً لها والتي يعود إلى تلك الأيام السوداء أيام الاحتلال النازي... إن الموقعين يتوجهون بالنداء إلى جميع الأحزاب والنقابات والمنظمات الديمقراطية، ليس فقط لإيقاف هذه التدابير... ولكن للإعراب عن تضامنهم مع الجزائريين... إن قضية الشعب الجزائري تساهم في تحطيم النظام الكولونيالي، إنها قضية كل الرجال الأحرار"².

إن هذا البيان الذي يعتبر دعوى إلى تشكيل جبهة ضد الجيش الفرنسي، وضد الحرب في الجزائر ورفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري يومسأندته باسم الشعب الفرنسي من خلال تقديم الدعم للثورة الجزائرية، يقدّره القانون الجنائي العسكري الفرنسي بحوالي 5 سنوات سجن للموقعين عليه لذلك فإن الصحافة لم تنشر هذا البيان ولم يُنشر في فرنسا ولم يُطبع كذلك حيث قدّمت مجلة الأزمنة الحديثة لقراءها صفحتين بيضاوين بعد أن رفض صاحب المطبعة طبع البيان³، وفي مناهضة النخبة المثقفة الفرنسية للاستعمار يذكر جان بول سارتر قائلاً: "إن الاستعمار في حالة تدمير ذاتي لكنه لا يزال يلوث الجو، إنه عارنا، إنه يسخر من قوانيننا أو يسفهاها، إنه يعيدنا بعنصريته... دورنا هو مساعدته على الموت، الشيء الوحيد الذي يمكن ويجب فعله هو المحاربة إلى جانب الشعب الجزائري لتخليص الجزائريين والفرنسيين في نفس الوقت من طغيان الاستعمار"⁴.

2. الدعم المعنوي والسياسي

شكلت جهود الطبقات الفرنسية المثقفة من صحافيين وكتاب وفلاسفة خصوصاً من اليسار ورجال الدين دافعا حقيقيا لمناضلي ج.ت.و. ماديا ومعنويا وسياسيا تجسّد خصوصاً في شبكات الدعم والإسناد السرية، فكانت إحدى أهم السبل التي فضحت ممارسات الاستعمار وسياسته التعسفية، على غرار كتاب "جاك دولارديير" "Jacques de bollardiére" الذي عنوانه "معركة الجزائر معركة رجل" "Batailled'Alger, bataille de l'homme"، وكتاب "هنري سيمون" "Henri Simon" الذي حمل عنوان "ضد التعذيب" "contre torture"، الصادرين في مارس سنة 1957، وقد حملا إدانة

1 أحمد منغور، مرجع سابق، ص198.

2Patrick Eveno et Jean Planchais, la guerre d'Algérie, nouv-édition, Editions la Phomic, Alger, 1990, pp275-276.

3Hélène Braco, pour avoir dit non, Paris - méditerranée, 2003, p 244.

4Jean-PaulSartre, Situations ,Gallimard, Paris, 1964, p42.

شديدة لوحشية وعنصرية الشرطة الفرنسية ضد مناضلي ج.ت.و بشكل خاص وضد الشعب الجزائري بشكل عام.¹

ساهم بعض المفكرين الفرنسيين في هزّ الرأي العام الفرنسي لإيجاد حل سياسي يكون كفيلا بوضع حد لإراقة الدماء في الجزائر، خاصة المقرّبين من القادة الاشتراكيين أمثال "جون بول سارتر"، "أندريه ماندوز"، و"روبرت بارات"، "ريمون آرون"، كما أعلن مثقفون آخرون عن تعاطفهم مع القضية الجزائرية، ومساندتهم لها بعد الجرائم التي استهدفت السكان الأصليين في البلاد²، متأثرين بحجم الجرائم الإنسانية التي اقترفتها السلطات الاستعمارية ضد الجزائريين، والتي راح ضحيتها العديد من الأبرياء بعد أن طُبقت ضدهم أساليب متنوعة من التنكيل والانتقام والقمع المبرمج.³

صدرت في ذات السياق العديد من المجلات التي أظهرت وثائق وشهادات تبدي أشكال العنف والقمع المسلّط على المهاجرين الجزائريين، وأبرزها مجلة "حقائق من أجل" "vérités pour"، ومجلة "المقاومة الشابة" "la jeune résistance"، وتتعاقب سنوات الحرب ازدادت جرأة هؤلاء المثقفين في الدفاع المستميت عن نضال الجزائريين وحقهم في تقرير مصيرهم، وكان لهم الدور البارز في لفت أنظار الفرنسيين لما يعانيه المهاجرون الجزائريون بفرنسا من ظلم وقهر.

لم يكن دفاع الطبقات الفرنسية المثقفة عن الثورة الجزائرية ناتجا عن رفضهم المطلق للسياسة الجهنمية المعتمدة في حق الجزائريين، بل كانت أيضا نابعا من التزاماتهم بمبادئ ثورة 1789 التي طالما مثّلت رمزا يفتخر به الفرنسيون، وقد انتبعت فدرالية الجبهة لذلك، فصرّحت في ماي 1957 بأن مهمتها الأساسية هي إعادة بعث ثورة 1789 في نفوس الفرنسيين لاسيما اليساريين منهم... لأن كفاحها شرعي وهو يدخل ضمن التقاليد الخالصة لفرنسا الثورية.⁴

وهذا ما كانت الجبهة على دراية تامة به حيث أدركت أن مؤيديها من الفرنسيين كانت لهم أهدافا مشتركة في تحقيق السلام والأمن لجميع الأطراف، وهذا ما أكّدته "la Semaine en Algérie" في عددها الثامن والأربعين حيث أشارت إلى ذلك في مقال بعنوان "ج.ت.و تخاطب حلفائها الفرنسيين" ومن بين ما ورد فيه: "نحن نعلم أن هناك في فرنسا جماعات ديمقراطية وليبرالية تؤيد استقلال الجزائر وحل المسألة الجزائرية على أساس المفاوضات السلمية، هذه الديمقراطية والليبرالية... نحن نعتبرهم جميعا حلفائنا ونعتقد أن النضال الذي نخوضه هو نفسه نضالهم، كما أن الدعم الذي يقدمه لنا اليسار الفرنسي يبين أنهم

1 بلقاسم صحراوي، معتقل قصر الطير 1956. 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، الجزائر، 2005. 2006، ص 80.

2 جان بول سارتر، مواقف مناهضة للاستعمار، تر: محمد معراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 55.

3 فرانس فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرقوط، ط 1، منشورات ANEP، الجزائر، 2004، ص 09.

4 Benjamine Stora, les immigrés algériens en France, une histoire politique 1912 – 1926, Editions Pluriel, Paris, 2009, p265.

يقاتلون أيضا من أجل مستقبلهم، كما ينبغي على هؤلاء تقديم المسألة الجزائرية لباقي الجموع الفرنسية وجعلهم يفهمون أن حرب بلادهم في الجزائر هي حرب استعمارية بحتة حتى تقف كل هذه الجموع ضد هذه الحرب".¹

وبسبب سيطرة اليسار على الساحة السياسية الفرنسية فقد تحوّل اهتمام هؤلاء المتعاطفين مع القضية الجزائرية بعد سنة 1960 من مجرد إبداء آراء منددة بالحرب إلى البحث عن سبل لتوقيفها والتعجيل بتسوية القضية الجزائرية²، لاسيما بعد مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وما أعقبها من قمع فرنسي فاق كل التوقعات حتى أنه شُبه بما كان يرتكبه الاحتلال النازي من جرائم وتجاوزات يندى لها الجبين، وقد ذكر أحدهم وهو "جون بول سارتر" "Jean Paul Sartre" في هذا الصدد: "...وإذا أردنا إنقاذ فرنسا من عارها والجزائريين من الجحيم، فإنه لم يبق لنا إلا وسيلة واحدة وهي فتح باب المفاوضات وإحلال السلام".³

وفي السياق نفسه زاد هذا التيار من نشاطه وأكد وجوده مع النخبة الفرنسية المثقفة المؤيدة للقضية الجزائرية، فتأسست في سويسرا في نهاية جويلية 1960 الحركة المناهضة للاستعمار ونشرت بيانا للتعريف بنفسها، كان يُشبطها "هنري كوريال" "Henry Courriel" ومثلّت الكفاح المناهض للاستعمار في تقديم مساعدات على المستوى الفردي من طرف فرنسيين للمناضلين الجزائريين، ثم سعت مجموعات صغيرة مبعثرة عبر كل الوطن بالاتصال مع تشكيلات محلية لمناضلين جزائريين، وبعد ذلك انتظمت في مجموعات مركزية من الفرنسيين لتقديم المساعدة للمقاومة الجزائرية.⁴

وفي هذا السياق أيضا أصدر النقاويون والأساتذة والطلبة ذوي التوجه اليساري في أكتوبر سنة 1960 بيانا دعوا فيه لإيجاد حل سريع للقضية الجزائرية وإحلال السلم في الجزائر، وفي الوقت الذي أحدث هذا البيان جدلا واسعا بفرنسا لقي أيضا ترحابا كبيرا لدى باقي الأوساط الفرنسية المثقفة⁵، وفي إطار تعبير هذه الأخيرة عن رفضها لسياسة بلادها الاستعمارية وتأييدها للثورة الجزائرية، ذكرت "جاك شاربي" "Jacques Charby" نقلا عن شعبان إيدو: "بالنسبة لي معركة فرنسا ضد الجزائريين هي خيانة للمثل العليا لبلدي، كان أمرا لا يمكن تحمّله، لذا فإن تقديم المساعدة للجزائريين كان أمرا طبيعيا وضروريا".⁶

1Le FLN s'adresse a ses allies Français, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 48°, semaine du 06 Juillet au 23 Octobre 1959, p28.

2Benjamin Stora, Mohammed Harbi, la guerre d'Algérie 1954 – 1962 la fin de l'amnésie, édition Chihab, Alger, 2004, p170.

3جون بول سارتر، مواقف مناهضة للتعذيب، مصدر سابق، ص74.

4 هرفي هامون وباتريك روتمان، حملة الحقائق، مصدر سابق، ص517.

5بيار أولوا ماري، فرانسيس جونسون الفيلسوف...، مرجع سابق، ص211. 212.

6 إيدو، مرجع سابق، ص203.

3. الدعم المادي اللوجستيكي:

لم يقتصر دعم اليسار الفرنسي لـ و.ع. ع.ج بتياراته المختلفة على الدعم السياسي والمعنوي فحسب، بل تعدّاه ليشمل كل روافد ف.ج.ت.و بفرنسا، من خلال تقديم خدمات لوجيستكية كبيرة للمهاجرين الجزائريين بفرنسا وذلك عن طريق شبكات الدعم والإسناد التي أنشأها الفرنسيون لدعم كفاح ونضال الجزائريين في فرنسا ذاتها، ما جعل مهمتها صعبة للغاية لهذا اعتمدت السرية التامة في عملها والاجتهاد قدر المستطاع في تجنّب لفت انتباه السلطات الفرنسية خصوصا وأنها تُجرّم كل مُتواطئ مع جبهة التحرير بأنه مُتعاون مع العدو وبالتالي فهو مُهدّد للأمن الفرنسي وخائن للوطن.

تمكّن شباب متحمس من مختلف التشكيلات السياسية والفكرية الفرنسية سواء من التقدميين أو الكاثوليك واليساريين ابتداء من سنة 1957 من تشكيل عدة شبكات سرّية مختصّة في تقديم خدمات لوجيستكية للمهاجرين الجزائريين بفرنسا سواء لـ "و.ع.ع.ج" أو لـ "ف.ج.ت.و"، خاصة ما تعلّق بجمع الاشتراكات التي كان يدفعها المغتربون من العمال، وتأمين سُبل خروجها من فرنسا انطلاقا من مختلف الدول الأوروبية المجاورة للحدود الفرنسية كألمانيا، بلجيكا، وسويسرا ثم وصولها إلى الجزائر، ولم تكف هذه الشبكات على تأمين الأموال والتبرعات فحسب بل عملت أيضا على تأمين مناضلي الجبهة وإيوائهم بعيدا عن أعين الشرطة¹، وكانت تسعى إلى إيقاف الحرب لأن ذلك حسبها سيصب في مصلحة البلدين وشعبيهما.

وهذا ما سنفضّل فيه خلال هذا المطلب

المطلب الثاني: آليات كفاح الطبقات المثقفة ودعمها للثورة التحريرية

أنشأ أحرار فرنسا العديد من الشبكات السرية لدعم كفاح الشعب الجزائري في فرنسا نفسها، وكانت تنشط بطريقة سرّية دون علم السلطات الفرنسية التي إن علمت فستوقف هذا النشاط لأنه حسبها غير قانوني، بل ويعتبر جريمة وخيانة للأمة الفرنسية انطلاقا من تواطؤ هؤلاء بأنشطتهم تلك مع العدو الأول لفرنسا وهو جبهة التحرير الوطني التي تعمل حسب الإدعاءات الفرنسية على تقسيم التراب والشعب الفرنسي وإثارة الرعب والذعر في أوساطه من خلال القيام بأعمال إرهابية غرضها الأول تنفيذ أجندة انفصالية.

تندرج هذه الشبكات ضمن الجبهة الفرنسية المعارضة لاستمرار الحرب في الجزائر والداعمة للنضال من أجل توقيفها حقنا للدماء من الطرفين الفرنسي والجزائري، وذلك من خلال تجسيد النضال الميداني في الواقع بدل الاعتماد فقط على الخطابات الكلامية والكتابات التي ظلّت حبيسة الأدراج في أعمدة الجرائد وصفحات الكتب، ومن هذا المنطلق فقد عمدت هذه الشبكات إلى الاستعانة بالعناصر

1 Péju Marcel, le procès du réseau Janson, édition de la couvert et Syros, Paris, 2002, p08.

الفاعلة المتمثلة في شخصيات فذة تملك من الشجاعة والجرأة ما يمكنها من أداء هذه المهام بكل تفان وإتقان ضمن سرية والتزام وكرتمان.

اختلف المؤرخون في تاريخ بداية ونشأة هذه الشبكات رغم أن البعض يعيدها إلى سنة 1958 وربطها بشكل خاص بشخصية "فرانسيس جونسون" "Francis Janson"، وقد تمحورت مهمتها الأساسية على إيواء مسؤولي جبهة التحرير الوطني على الأراضي الفرنسية، وجمع الأموال والاشتراكات المدفوعة من قبل العمال الجزائريين وتسهيل خروجها من فرنسا بعد حسابها بشكل دقيق ومراقبتها باستراتيجيات محكمة.¹

1. شبكة جونسون: "Le Réseau Janson"

تعتبر أهم شبكة على الإطلاق في دعم الثورة التحريرية نظرا للمكانة السياسية الهامة التي ميّزت مؤسسها "فرانسيس جونسون"² "Francis Jeanson" من جهة وأعضائها من جهة أخرى، فأما المؤسس فقد كان مُدركا بقبح الاستعمار كظاهرة لا أخلاقية تعمل ضد الكرامة الإنسانية داعيا إلى ضرورة إزالتها لأن تأثيرها ينعكس سلبا على جميع الشعوب ولا يقتصر على المستعمرة منها، وأما المنخرطين فيها سواء من فرنسا أو بلجيكا أو سويسرا فقد كانوا يمثلون نخبة وصفوة تلك المجتمعات من مفكرين ومحامين وأدباء، فلاسفة وصحفيين وأطباء.

تأسست في 02 أكتوبر 1957 خلال الاجتماع الذي جرى في مسكنه في "بوتي كلامار" "Clamart petit" بحضور الأعضاء الأوائل الذين تم تحديد مهامهم بكل دقة³، وقد التزمت في عملها بالسرية والانضباط التام ثم اتسعت لتشمل إلى جانب فرنسا كل من بلجيكا، سويسرا، ألمانيا، وإسبانيا خصوصا أن فدرالية الجبهة كانت قد اتخذت هذه الدول كقواعد خلفية لها يمكنها الاستعانة بها عند اشتداد الحصار عليها وتضييق الخناق على مسؤوليها في فرنسا بعد أن يصبح وجودهم فيها خطرا كبيرا على حياتهم.

تميزت شبكة جونسون بالفاعلية وحسن التخطيط وتضمنت أفرادا من جنسيات مختلفة وفئات مثقفة ذات انتماءات سياسية ودينية متنوعة⁴ هدفها واحد هو رفض الاستعمار، وكان جلهم ينتمي إلى التيار اليساري بمختلف مشاريعه وتوجهاته الشيوعية، الاشتراكية، التروتسكية، الفوضوية وغيرها، إضافة إلى شخصيات أخرى دبلوماسية وثقافية، وقد ذكر "بوداود" في هذا الصدد قوله: "لقد توقّرت لنا في باريس

1Marcel Péju, le procès de réseau Janson, nouv-édition, la découverte, Paris, 2002, p08.

2فرانسيس جونسون، صحفي وفيلسوف فرنسي ولد ببوردو في 7 جويلية 1922، مشهور بدعمه لجبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية، مسير مجلة الأزمنة الحديثة، أسس سنة 1957 شبكة سرية تحمل اسمه لمساعدة الثورة والتي اكتشف أمرها سنة 1960، حكم عليه غيابيا

ب10 سنوات سجن بتهمة الخيانة العظمى، توفي في 1 أوت 2009 = أنظر، Marie – Pierre Ulloa, Francis Jeanson, op, cit, p52، 3شعبان إيدو، مرجع سابق، ص201.

4Sylvain Pattieu, les camarades des frères "op, cit, pp117 – 118.

فرص التعرف على فرنسي اليسار من نقاييين، شيوعيين، تروتسكيين، ومسيحيين أحرار ورهبان عالميين شغلت القضية الجزائرية اهتمامهم، فتفهموا أوضاعنا وأعلنوا تأييدهم لتحرر الشعوب المقهورة وتمكين المستعمرات من الحكم الذاتي الذي يكون واسع الصلاحيات... وكنا نربط علاقاتنا مع المناضلين في التوجهات اليسارية الفرنسية".¹

كما ضمت في صفوفها أيضا مختلف الفئات العمرية لاسيما النشطة منها لاسيما فتي الشباب والكهول من 20 إلى 50 سنة لكونها الفئة الأكثر نضجا وخبرة ورغم أن فئة الكهول التي تراوحت أعمارهم ما بين 35 و50 سنة قد انضمت للشبكة انطلاقا من تجاربها في محاربة الاستعمار خلال الحرب العالمية الثانية إلا أن الفئة الجديدة التي ضمت شبابا تراوحت أعمارهم ما بين 20 و35 سنة قد انضمت إلى الشبكة دون أي تهديد من أي طرف كان²، بل كان انضمامها نابع من قناعات تامة وراسخة اكتسبها انطلاقا من ما رأوه من منكر يُمارس في حق المهاجرين الجزائريين دون سواهم يتم عن قضية عادلة يُراد طمسها وحجب حقيقتها.

ونظرا لكفاءة مناضلي هذه الشبكة فإن تأثيرها لم يقتصر على الأوساط الفرنسية فحسب بل امتد إلى باقي الدول الأوروبية، وهذا ما نستنتجه من قول المؤرخ والسياسي النمساوي "فريتز كيلر" عندما ذكر: "ومن الأعمال الواضحة للعيان تلك النشاطات الداعمة والمساعدة في عمق الأراضي الفرنسية، حيث أصبحت "ج.ت.و" خلال الستينات تتوفر على أكثر من ثلاثون ألف عضو متعاطف مع القضية الجزائرية وفي باقي البلدان الأوروبية بل وصل تأثيرها والمتعاطفون معها حتى إلى الدول الاسكندنافية".³

أعلن "جونسون" تأييده للجبهة منذ بداية عهدها ووقف إلى جانبها في صراعها مع "ح.و.ج"، ولم يكتف بذلك بل هاجم "مصالي" وكشف حقيقته للجزائريين بمحاولة إيهامهم بمسؤوليته عن الثورة، وذكر في هذا الصدد: "مصالي هو رئيس "الأمانا" "MNA" وهوة خصم شرس لـ"ج.ت.و"، ولأن أغلب المهاجرين في البداية وقفوا إلى جانبه مناصرين لاعتقادهم بمسؤوليته على الثورة وأن مفجريها هم من أتباعه، قبل أن تبين لهم الحقيقة على إثر عودة رفاهم العمال من أرض الوطني وإخبارهم بعكس ما كانوا يتوقعون، ورغم أن الكثير من المدن الفرنسية الكبرى ظلت في قبضة المصاليين إلا أن نفوذهم بدأ إلى الانحصار تدريجيا، وبمرور الوقت في عدة مناطق سواء في الجزائر أو في فرنسا وهكذا فقد ثقة مناضليه داخل فرنسا

1 بوداود، مصدر سابق، ص78.

2 Jacques Charby, les porteurs d'espoir, les réseaux de soutiens au FLN Pendant la guerre d'Algérie: les acteurs parlent, Chihab Edition, Alger, 2004, p24.

3 فريتز كيلر، تضامن الأممية اليسار النمساوي والثورة الجزائرية 1958-1963، تر: يوسف أعراب، دار خطاب، الجزائر، ط1، 2014، ص08.

وخارجها"¹، خصوصا بعد أن تحولت العلاقة بين الطرفين إلى صراع لإفهام المناضلين المترددين بحقيقة الوضع.²

ردّ "مصالي" على "جونسون" وكتابه بغضب شديد وهاجمه في رسالة بعث بها في أوت 1956 لمسيّري حزبه "MNA" أورد فيها: "...إن الكاتب وزوجته - فرانسيس وكوليت جونسون - وكتاب الرداء المتعطشين للشهرة، قد نصبوا أنفسهم أبطالا في هذه المغامرة البرجوازية ويسعون بكل الوسائل لدفن "MNA" حتى يتمكن "بن بلة" ورفقائه من الانتشار برفقة الإمبريالية على حساب الجزائريين³.

أعلن جونسون مساندته الفكرية والأدبية للثورة الجزائرية وعدالتها، وبمساعدة زوجته "كوليت" شرعا في الكشف عن الجرائم الاستعمارية الفرنسية المرتكبة في حق الجزائريين والتشهير بها لدى الرأي العام الفرنسي والعالمي، وفي الوقت نفسه التعريف بالقضية الجزائرية والمساعدة في تدويلها من خلال كسب التعاطف معها من طرف أكبر عدد ممكن من الدول، ولم يتوقف جونسون في دعمه لعدالة القضية الجزائرية عند هذا الحد بل أنشأ منظمة الدعم السرية لفائدة المناضلين الجزائريين⁴، بهدف مساندة الثورة التحريرية بكل السبل وإيجاد حل نهائي لتسوية القضية الجزائرية، وقد لعبت دورا بارزا في تقديم المساعدة لأفراد الجالية الجزائرية في فرنسا.

ساهم "جونسون" برفقة زوجته رغم كل التحديات في دعم الثورة التحريرية حين أصدرها سنة 1955 كتابهما الأول انطلاقا من الشهادات التي جمعها، وقد أحدث ضجة كبيرة بسبب عنوانه المثير: "الجزائر الخارجة عن القانون"، وكتابا ثانيا سنة 1960 كان عنوانه مثيرا للغاية أيضا بعنوان "حربنا أصوات مناهضة للاستعمار" وذلك من أجل إدانة الاستعمار والتعذيب الذي كان يُمارس بالجزائر⁵، وقامت شبكته أيضا بإصدار دورية بعنوان "الحقيقة الهادفة" "la vérité intentionnel" مهمتها جمع الأخبار التي تمّ السكوت عنها، وكان جونسون هو رئيس تحريرها.⁶

هدف جونسون من خلال هذه الشبكة السرية دعم "ج.ت.و" وتوقيف الحرب في الجزائر، وجعل لها دور فعال في تقديم يد المساعدة للمهاجرين الجزائريين في فرنسا عامة وللفدائيين بشكل خاص⁷، وذلك من خلال وضعها لتنظيم محكم تمكّنت من خلاله في إنجاح عبور المناضلين الجزائريين للحدود الفرنسية

1Francise et Collette Janson, L'Algérie hors la loi, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection Bibliothèque du Magrabe, Editions ANEP, Alger, 2006, p p308 – 309.

2Belaid Abane, L'Algérie en guerre, Abane Ramdane et les fusil de la rébellion, éditions Harmattan, Paris, 2008, p326.

3Harbi, les archives de la révolution..., op, cit, p130.

4ماري بيار أولوا، فرانسيس جانسون...، مرجع سابق، ص113.

5 بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954، دار النعمان للنشر والتوزيع، 2014، ص503.

6 بوداود، مصدر سابق، ص135.

7 خالد بوهند، مرجع سابق، ص59.

نحو الخارج، وتهريب المسجونين منهم وتنظيم عملية فرارهم من الحبس أثناء نقلهم وتحويلهم من سجن إلى آخر وضمان خروجهم إلى خارج الأراضي الفرنسية¹، وكان من بين الجهود التي قدمها للجزائر جمع الأموال والاشتراكات من الجالية الجزائرية بفرنسا بطريقة منظمة ودقيقة²، في كل حي قصديري وفي كل نزل وفي كل عمارة ويكون تسلم الاشتراكات الشهرية بالإقناع أو بالقوة³، كما اشتغل جونسون سائق سيارة أجرة من أجل نقل المناضلين عبر أحياء باريس، وكان في غاية التكتّم ولم يكن يستفسر حتى عن هويتهم، ثم أخذ ينسج روابط الاتصالات لتوفير أماكن إيوائهم لدى فئة محدودة من أصدقائه⁴، كما وتقوم باتصالات داخلية كنقل المناشير والجرائد وغيرها⁵، كما تقوم الشبكة بشراء الأسلحة وإرسالها إلى الجزائر وتمويل تحركات عناصر الحكومة الجزائرية المؤقتة في كل أنحاء العالم⁶، وإطلاع الرأي العام على واقع هذه الحرب⁷.

في فرنسا ساهم جونسون أيضا في تهريب المناضلين المسجونين وتنظيم عملية فرارهم من الحبس أثناء نقلهم وتحويلهم من سجن إلى آخر وضمان خروجهم إلى خارج الحدود الفرنسية⁸، حيث كان وزوجته منذ 1955 يلتقيان مرارا بالمهاجرين الجزائريين وقيادات فدرالية جبهة التحرير الوطني بباريس⁹، وفي سنة واحدة استطاع جونسون أن يُهَرَّب من فرنسا عشرة ملايين فرنك فرنسي مع ستة جزائريين إلى البنوك السويسرية.¹⁰

أشاد "بوداود" بمجهودات "جونسون" في كشف جرائم السياسة الفرنسية في الجزائر أمام الرأي العام الفرنسي بقوله: "إن إقناع الرأي العام بما تتعرض له المستعمرة من مظالم، وبعدم جدوى الحرب الدائرة، في الجزائر لم يكن سهلا وهو أمر أساسي أكثر، وبالتاليفالجهود التي بذلها جونسون في إطلاع الرأي العام على واقع هذه الحرب تستحق أكثر من مجرد تقدير... كما أن التصريحات التي أدلى بها أثناء محاكمة شبكة جونسون بالمحكمة العسكرية في "شيرش ميدي" "Cherche –Midi" بباريس كانت ذات وزن وأهمية بالغة... لقد تحقق تواصلنا الإنساني بسرعة كبيرة فتأصلت بيننا صداقة عميقة رغم اختلاف مساراتنا باعتباره مثقفا ينتمي إلى أوساط كبار الفلاسفة... وباعتباري مناضلا ينتسب إلى ماض من النضال الوطني السري ومقيما سابقا في السجون الكولونيالية فقد ربط بيننا العمل المشترك حبالا من علاقات متينة".¹¹

1Hélène Bracco, op, cit, pp 96 -97.

2عبد الله مقلاتي، المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية فرانسيس جونسون، مرجع سابق، ص244.

3هرفي هامون، مصدر سابق، ص117.

4ماري بياراولوا، فرانسيس جونسون الفيلسوف، مرجع سابق، الجزائر، ص117.

5بوداود، مصدر سابق، صص135 -137.

6أحمد منغور، مرجع سابق، ص181.

7 بوداود، مصدر سابق، ص136.

8 أحمد منغور، مرجع سابق، ص ص 109 - 110.

9Rachid Khettab, les amis des frères, Dar Khettab, Alger, p22.

10Jacque Charby, op, cit, pp 65-70.

11OmarBoudaoud, Du PPA au FLN, mémoires d'un combattant, Casbah, Editions, Alger, 2007, p138 - 140.

من جهته أشاد "أحمد دوم" في مذكراته بأهمية هذه الشبكة في تمويل الثورة بقوله: "...لقد قدمت لنا شبكة جونسون الكثير...أتذكر حين قدمت لنا إحدى العائلات الفرنسية مساعدة كبيرة حيث قامت بالاحتفاظ بأموال الفدرالية، ووصل بها الأمر إلى الاحتفاظ بحقيبة محشوة بالبلاستيك وبكبسولات التفجير..."¹

دافع عن الثورة الجزائرية ولم يعتبرها ثورة جياح وفلاحين مثلما أراد "ديغول" أن يُبينها للعالم، بل اعتبرها ثورة أحرار أهدافها سامية وإنسانية وغايتها الحرية والتخلص من العبودية، وأرجع سبب اندلاعها ليس لسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين وإنما لوعي الشعب الجزائري ورغبته في تحقيق الاستقلال²، كما عبّر عن عدالة تفجير الجزائريين للثورة التحريرية فقال: "كنت مقتنعا أن كفاح الجزائريين كان لن أقول شرعي فحسب بل ضروري، وضروري بشكل حيوي بالنسبة لهم".³

وفي معارضته لسياسة بلاده في الجزائر تحدث في كتابه "الجزائر الخارجة عن القانون" عن تسبّب الاحتلال الفرنسي في تدهور وتردي الأوضاع فيها، وعن معاناة الشعب الجزائري من الفقر والحرمان جرّاء تلك السياسية الاستعمارية فهزّ بذلك الرأي العام الفرنسي، والذي كان محل ردود فعل إعلامية كثيرة مساندة للثورة الجزائرية وكفاح الجزائريين، لكنه في الوقت نفسه شكّل صدمة للأوساط الفرنسية المساندة للسياسة الاستعمارية في الجزائر والمناوئة للقضية الجزائرية بلغت حد مطالبة السلطات المعنية بمنع إصدار الكتاب ومحاكمة مؤلفيه⁴، الذين فضحوا التجاوزات الفرنسية الخطيرة في حق الجزائريين، وفنّد كل الادعاءات الفرنسية حول القضية الجزائرية.

كرّس "جونسون" نفسه كليًا لمساندة الكفاح التحرري في الجزائر وضخّى بكل المصالح والامتيازات التي كان يتمتع بها، وانضم إلى صفوف عمل محفوف بالمخاطر من كل الجهات، وقد جمعته اتصالات عديدة بقيادات ف.ج.ت.و بفرنسا في عهد "الوانشي" ثم "البجاوي" وبعدهما "بوداود"، وأسّس نتاجا لذلك شبكة دعم ومساندة عُرفت بـ "حملة الحقائب" "Porteurs des valises" لعبت دورا بارزا في عمليات تسهيل التنقل والإيواء وتهريب الأموال والمناضلين والحصول على بطاقات هوية مزيفة وجوازات سفر مزوّرة للجزائريين.

توسّع نشاط الشبكة وزادت ديناميكيّتها ما دفع بجونسون إلى تدعيمها بعناصر فرنسية جديدة تم انتقاؤها بدقة عالية على غرار "دافيزي روبي" "Davisien Rober" الذي يعدّ واحدا من الفارين من الجيش الفرنسي لم يكتشف أمره مما جعله ينتسب للشبكة سنة 1957 وقد تولى مهمة تمرير الجزائريين عبر

1دوم، مصدر سابق، ص ص 176 . 177.

2Francis Jeanson, L'Algérie hors la loi, ministère de la culture, Alger, 2009, p147.

3Jacques Charby, op, cit, p34.

4سعدى بزيان، فرانسيسون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نسيان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016، ص13.

الحدود الفرنسية الإسبانية¹، وكذا الرهبان العمالون من أمثال "داوزني" "Dawzni"، "مانين" "Magnin"، "شيز" "Chaise" وشخصيات أخرى أمثال "سيسيل ماريون" "Cécile Marion"، و"هيلين غينا" "Hélène Cuénat"، ونظرا لتعدد المهام التي كلف بها أفراد الشبكة، تم إعادة تنظيمها وتقسيمها إلى عدة فروع وشبكات أخرى نحو ألمانيا وسويسرا وبلجيكا منها فرع الإسكان، فرع أسلاك المرور من أجل الدخول إلى فرنسا والخروج منها عبر الحدود، وكذا فرع مكلف بنقل الأموال.²

لتخفيف الضغط على مناضلي الشبكة وتجنب لفت انتباه السلطات الفرنسية تم اللجوء لتوظيف العنصر النسوي على غرار "كوينا" "Cuénat" و"كوليت" "Collette" و"فيرديناند سيسيل" "Ferdinande Scissile" التي مثلت همزة وصل بين المناضلين والمساندين للثورة، أما "جونسون كويستيان" "Janson Couistain" فقد رافقت جونسون في نضاله بالتحاقها بالشبكة سنة 1958، في حين ناضلت الطالبة الشيوعية "آني غولزيفر" "Année Golziguer" إلى جانب زوجها لنصرة قضية شعبها كما أنها كانت مقربة من "بوضياف" وكانت تترك منزلها من أجل إتاحة الفرصة لمناضلي "ج.ت.و" لعقد اجتماعاتهم ولقاءاتهم فيه بأريحية وسرية تامة.³

تولّت "هلين كوين" "Hélène Cuénat" الإشراف على هذا الفرع المكلف بنقل الأموال رفقة عشرون مناضلا آخر كانوا يحولون الأموال التي يتم تجميعها من تبرعات واشتراكات المهاجرين الجزائريين بفرنسا كل حسب استطاعته وإمكانياته، حيث تختلف هذه الاشتراكات ما بين العمال والتجار وأصحاب المهن الحرة وغيرها، ويتم تحويل تلك الأموال في أكياس أو حقائب نحو باريس، أين توجه لمستودعات وُضعت خصيصا لتخزينها وأخرى لمسك دفاتر الحساب والمراقبة وكانت هذه العملية تتم بحنكة كبيرة وبدقة عالية تجنباً لأي خطأ.

وقد تحدّثت عن أسلوب التعامل مع هذه الأموال فقالت: "كان دوري مع نساء أخريات... هو أولاً تسلم المال من المسؤول الجزائري في حقائب أو أكياس... ويتم وضعه في المكان المناسب الذي ينبغي أن يكون آمناً ولا يلفت انتباه الشرطة الفرنسية، وبعدها يتم عدّه ووضعه في رزم مع التأكد من أن كل شيء يسير بطريقة عادية حتى يتم تسليمها للبنوك بطريقة سلسلة، لأنه أحيانا كنا نجد رسائل مكتوبة على الأوراق النقدية مثل "تحيا ج.ت.و"، وطبعاً في هذه الحالة لا يمكن أن تُقبل في البنك، ثم تتم عملية العد الكامل للمال الذي تم تسليمه وأي خطأ يرتكبه العادّ فإنه هو من يدفع الفارق والخطأ المرتكب في الحساب، لهذا كان الحرص شديدا فيما يتعلق بالحسابات، والقلق حاضر دوماً بخصوص هذه المسألة".⁴

1 خطاب، أصدقاء الخاوة...، مرجع سابق، ص 302 . 305.

2 بوداود، مصدر سابق، ص 135.

3 خطاب، مرجع سابق، ص 223.

4 Jacques Charby, op, cit, pp225 – 226.

تكفل فرع أسلاك المرور بكل الصعوبات والمعوقات التي واجهت مناضلي فدرالية الجبهة للخروج من الأراضي الفرنسية، وتولى بخبرة مسؤوليه وأعضائه تنظيم كل الأمور المتعلقة بجوازات السفر والهوية حيث يتم تزويدها باحترافية كبيرة وتزويدهم بوثائق مزورة تمكنهم من الانتقال بين مختلف الدول بحرية أكبر، إضافة إلى مساعدة المناضلين في تنظيم عمليات الفرار من السجن كلما أتاحت الفرصة لذلك.

أوكلت مسؤولية هذا السلك لـ"جاك فينيس" "Jacques Vignes" الملقب باسم مستعار هو "دانييل" "Danial" وهو صديق لـ"جونسون" منذ الطفولة، وقد شهد "بوداود" بأهمية هذا الفرع ونجاحه في تأدية المهام الموكلة له دون أي إخفاق طيلة الخمس السنوات منذ تأسيسه سنة 1957 حتى تحقيق الاستقلال في 1962 وتم نقل المناضلين والأسلحة عبر فرنسا والدول المجاورة لها بنجاح كبير، فذكر قوله: "لقد عمل أسلاك فرع المرور ضمن شبكة جونسون بإحكام تام طيلة خمس سنوات حيث تم تمرير عبر الحدود الألمانية والبلجيكية والإسبانية دون حادث يذكر".¹

أما فرع الإسكان فقد أشرف عليه "جونسون" شخصيا وتركزت مهامه على توفير أماكن سرية للاجتماعات التي تعقد بين مناضلي الفدرالية وأصدقائهم الفرنسيين، وهو أهم ما كانت تحتاجه فدرالية الجبهة في ظل العيش في بلاد غير بلادهم، وبالتالي كانوا بأمر الحاجة لأماكن تأويهم من ملاحقات رجال الشرطة وباقي الأسلاك الأمنية وحتى أعين الحركي والعملاء الذين كانوا يترصدون أية حركة أو شخص مشتبه فيه للوشاية به، كما اهتم هذا الفرع أيضا بتأمين وتوفير سيارات لنقل المناضلين وتسهيل حركتهم.

أنهم "جونسون" بالخيانة غير أنه لم يهتم بذلك لأنه كان يرى أن الخيانة لها مدلول إيجابي يظهر حينما لا تجاري الظالمين في ظلمهم والإمبراليين في جشعهم واستغلالهم وتسلبهم على البشرية من دون وجه حق سوى لأنهم الأقوى، وقد وضع موقفه هذا بقوله: "لم يكن ثمة بد غير خيانة الفرنسيين بوقوفنا في صف الجزائريين، وخيانة الجزائريين بإصرارنا على البقاء فرنسيين، إن هذه الخيانة المزدوجة هي جوهر وفاء للقضيتين الفرنسية والإنسانية، اللتين يفترض فيهما أن تكونا قضية واحدة".²

بعد ثلاث سنوات من الدعم والمساندة للفدرالية بدأت المصالح الأمنية الفرنسية في متابعة أعضاء اليسار المشتبه فيهم، وزاد التصعيد ضدهم أواخر 1958 بعد إثبات تورط هؤلاء في مساعدة الفدرالية للقيام بعمليات عسكرية داخل التراب الفرنسي في أوت 1958 التي شملت المدن الكبرى وهددت الكيان الفرنسي في عقر داره³، لذلك دفعت شبكة جونسون ضريبة باهظة بدأت بحملات الاعتقال لأعضائها ثم بالمحاكمة وانتهت بالحل النهائي وشل حركتها.

1 بوداود، مصدر سابق، ص 136.

2 إيدو، مرجع سابق، ص 189.

3 باتريك روتمان، هارفي هامون، مصدر سابق، ص 90.

شملت حملة الاعتقال العديد من الأعضاء الحيويين في الشبكة سواء من الفرنسيين وعلى رأسهم "هيلين كونا" و"فرانس بينارد" و"جانين كاهن" و"إلياس كلار"، وبقي "جونسون" رفقة عدد آخر محل بحث ومتابعة أمنية شديدة¹، وقد أحصت الصحافة 326 معتقلا في أربعة أيام فقط، كما امتدت هذه الحملة إلى مناضلي الفدرالية أمثال "ولد يونس"، "حنون"، "سعدي" "حداد حمادي" وغيرهم، وقد تحدثت الصحافة على إصدار حكم الإعدام في حق ستة عشر مناضلا في الفدرالية.²

تم تفكيك شبكة جونسون بعد أزيد من سنتين من تأسيسها في مارس 1959 بعد تعرضها لضغوطات كبيرة من قبل الأمن الفرنسي طيلة أشهر عديدة من سنة 1958 وبداية 1959، وقد تم اعتقال معظم أعضائها والمنخرطين فيها، وحُكم على مؤسسها "فرانيس جونسون" بالسجن غيايا سنة 1961 ولمدة عشر سنوات كاملة، لأنه كان في حالة فرار مع ثلاثة من رفقائه وهم "سيسيل ماريون" "Cécile Marion"، "دومينيك صابار" "Dominique Sabert"، "جاك فيني" "Jacques Vigne".³

ورغم ذلك استمر بعض الناجين منهم في مواصلة عملهم كلهم أمل لتسوية القضية الجزائرية وإنهاء الحرب، أمثال "روبير بارات" "Robert Barrat"⁴، و"فرانيس بينار" "Francis Binaire" الذي أكد أثناء محاكمته بأنه يقرّ بجميع التهم الموجهة إليه، معلنا بأنه سيتابع النضال رغم العقوبات المفروضة عليه، وهو ما ذكره بقوله: "إنني أتحمل كامل مسؤوليتي عما قمْتُ به وأعلمكم أنني سأتابع كفاحي".⁵

بدأت جلسات المحاكمة للشبكة يوم 05 سبتمبر 1960 واستمرت حتى 01 أكتوبر من السنة نفسها وتمت إدانة أعضائها بتهم عديدة منها تهديد الأمن الخارجي للأمة الفرنسية من خلال مساندتهم لـ"ج.ت.و" وإيواء مناضليها، وتسهيل نقل الأموال والوثائق عبر الحدود⁶، وبعد جملة من التحقيقات صدر الحكم لصالح بعض المناضلين الذين أثبتت براءتهم من التهم الموجهة لهم، في حين حُكم على آخرين بنسب متفاوتة حيث عوقب بعضهم عشر سنوات سجن وغرامات مالية قدرت بسبعين ألف فرنك فرنسي، ومنهم من تم حرمانهم من حقوقهم المدنية⁷، غير أنه وبعد انتهاء الثورة واستقلال الجزائر تم سنة 1966 تطبيق قرار عفو شامل على جميع أعضاء شبكة جونسون.⁸

1 Marcel péju, op, cit, p 18.

2 باتريك رومان ، هرفي هامون، مصدر سابق، ص 416.

3 Ulloa, op, cit, p162.

4 جريال، مرجع سابق، ص 159.

5 فيرجاس، مصدر سابق، ص 243.

6 نفسه، ص 170.

7 عبد المجيد عمران، جان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954 . 1962، تق: محمد العربي ولد خليفة، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 77.

8 بيجو مارسال، محاكمة شبكة جونسون، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2012، ص 05.

2. شبكة هنري كوريال¹: "Henri Curiel"

تحتل هذه الشبكة المرتبة الثانية من حيث الأهمية والفعالية بعد شبكة جونسون، وتعتبر امتدادا لها، كونها تشكّلت بعد حلها وضمّت العديد من عناصرها إلى جانب رجال ونساء آخرين ينتمون إلى اليسار السياسي، إذ أنه وبعد الاضطراب الكبير الذي عرفته عملية جمع الاشتراكات ونقلها خارج التراب الفرنسي بسبب اكتشاف شبكة جونسون واعتقال العديد من أعضائها، اضطرّت قيادة فدرالية الجبهة إسناد مهمة تحويل الأموال إلى شبكة أخرى تكون في مستوى شبكة جونسون المكتشفة، وهكذا ولدت شبكة "هنري كوريال" التي كانت بالفعل في مستوى التحديات المسندة لها.

لقد أثبت "كوريال" أنه استطاع أن يحل محل "جونسون" في مهمة نقل الأموال من فرنسا إلى خارجها بنجاح مستفيدا من خبرته وتجربته الطويلة في هذا المجال، وتعدّد علاقاته في مختلف الدول الأوروبية والعالمية حتى أصبح شخصية نافذة وذات تأثير كبير يحسب لها ألف حساب²، ورغم أن "هيلين كوين" "Hélène Cuenat" قبله قد تولّت بمساعدة 20 مناضلا مسؤولية نقل الأموال التي يتم جمعها من مساهمات المهاجرين الجزائريين بمختلف فئاتهم في حقائب أو أكياس إلى خارج التراب الفرنسي، إلا أن "كوريال" كان الأكثر كفاءة في القيام بهذه المهمة باعتباره ابنا لأحد أشهر رجال البنوك في الإسكندرية وله اتصالات بالعديد من المسؤولين السامين في عالم البنوك.³

حتى أنه تمكّن بفضل علاقاته بمختلف المصارف من تطوير نظام تهريب الأموال لحساب جبهة التحرير الوطني بفرنسا ما جعله ينال ثناء وتقديرا من طرف أعضاء فدرالية الجبهة بفرنسا⁴، ولم يكتف بهذا الحد بل قام بمهام أخرى كالاتصالات والإيواء، وتأسيس "الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار" (M.A.F) "Mouvement anticolonialiste français" التي كانت لها نشرية سميت بـ "حقائق ضد الاستعمار" "Vérités anticolonialistes"⁵ وزادت بذلك شهرته بفضل علاقاته واتصالاته عبر مختلف جهات العالم.⁶

1 هنري كوريال، ولد يوم 13 سبتمبر 1914 بالعاصمة المصرية القاهرة، من أسرة يهودية ذات أصول إسبانية هاجرت بعد سقوط غرناطة من محاكم التفتيش، وتزامن قدومها مع الحملة الفرنسية على مصر، لهذا نشأ "يونس" - اسمه المستعار - على دراسة القيم الفرنسية والولاء الروحي لها، وهي أسرة غنية لها أراضي وأسهما وبنوك، درس كوريال الماركسية وأعجب بها واعتنقها وانتقل على إثرها من البرجوازية إلى البروليتارية وأصبحت أعماله مركزة على العمل الاجتماعي التطوعي لمساعدة الطبقات المهمشة، ثم انضم إلى العمل السياسي منخرطا ضمن التيار اليساري، لتشهد حياته السياسية تغيرا جذريا عندما انتقل للاستقرار في فرنسا، وتعرفه على مسؤولي فدرالية "ج.ت.و" وسبداً على إثرها مسيرته الكفاحية مع الثورة الجزائرية التي أيدها و قرر مساعدتها بصدر رجب.

2Boudaoud, op, cit, p141.

3بوداود، مصدر سابق، ص 139.

4جربال، مرجع سابق، ص 157 . 162.

5Alloua, op, cit, p196.

6Boudaoud, op.cit, p141.

أكدت زوجته "روزيت كوريال" "Rosette Curiel" أن بداية علاقة زوجها بالثورة التحريرية قد تمت عن طريق "روبار بارا" "Robert Barrat" الذي قام بتعريفه بالحرب الدائرة في الجزائر وعقد له لقاء مع "فرانسيس جونسون" "Francis Janson" سنة 1957، وعلى إثرها بدأ العمل مباشرة لصالح الثورة رفقة زوجته وعدد من أصدقائه المقربين خصوصا من كانوا يقطنون في مصر، وقد كتبت زوجته أول منشور لـ"ج.ت.و" باستعمال الآلة الراكنة وذكرت أنهم كانوا سعداء للغاية بأعمالهم المساعدة للثورة.¹

تعددت مساهماته لمساعدة الثورة غير أنها تركزت بشكل أكبر في الجانب المالي من خلال تحويل الأموال والاشتراكات والتبرعات المجموعة من طرف المهاجرين الجزائريين بفرنسا إلى مختلف البنوك العربية والأوروبية، مستفيدا من خبرته الواسعة في هذا المجال ومستغلا في الوقت ذاته سمعة والده الكبيرة في العلاقات البنكية، إضافة إلى استفادته من مساعدة زوجته له في هذه المهام إذ أنه كثيرا ما كان يفتح حسابات بنكية في بلدان أوروبية باسمها لتسهيل سحب الأموال وتسليمها إلى مسؤولي "ج.ت.و".

تخصّصت الشبكة في ثلاث مهام رئيسية توزّعت على ثلاثة قطاعات أولها القطاع المالي المتمحور حول جمع الأموال ووضعها في حسابات بنكية، مع ضمان حرية التعامل في الأموال صرفا وتحويلا ثم تسليمها إلى المسؤول المالي في "ج.ت.و"، أما القطاع الثاني فهو قطاع الإيواء الذي اختص بتوفير الإقامة والسكن لمناضلي الجبهة المتنقلين عبر كامل الأرجاء الأوروبية، إضافة إلى توفير جوازات السفر المزوّرة التي تمكنهم من الانتقال في هذه الأرجاء بسهولة، في حين شكّل القطاع الإعلامي القطاع الثالث حيث حرصت هذه الشبكة على إصدار نشرية بشكل دوري تشرح من خلالها مهامها ومحاور عملها.²

بلغ اهتمام "كوريال" على نجاح المهام الموكلة لشبكته إلى درجة أن أشرف بنفسه على نقل الأموال إلى سويسرا، وبعد إلقاء القبض عليه شهر أكتوبر سنة 1960، استمرت عمليات التحويل بكيفية عادية أثناء فترة اعتقاله، حيث أسندت مهمة الإشراف على عمليات الدعم داخل التراب الفرنسي إلى "جورج ماتيني" "Georges Mattei" وخارج فرنسا إلى "جاك فيني" "Jacques Vignes" و"جيرارد شالياند" "Gérard Chaliand"، هذا الأخير كُلف إلى جانب ذلك بالإشراف على عمليات عبور الحدود من فرنسا إلى بلجيكا وسويسرا ولوكسمبورغ³، وكل هذا الاجتهاد في تأدية المهام المسطرة على أكمل وجه والحرص على النجاح في تحقيقها مهما كانت التحديات جعلت "كوريال" يلقي نفس مصير "جونسون" حيث تم اعتقاله ولم يُطلق سراحه إلا مع هذا الأخير سنة 1966.⁴

3 . شبكة المقاومة الشابة: "Jeune Résistance"

1 Gilles Perrault, Henri Curiel, un citoyen du tiers- monde, le monde Diplomatique, Avril 1998, pp300- 301.

2 الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية 1954 . 1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر،

جامعة أبو بكر بلقايد، جامعة تلمسان، الجزائر، 2008 . 2009، ص 283 . 284.

3 Ulloa, op, cit, p200.

4 بزيان، دور الطبقة العاملة في المهجر ...، مرجع سابق، ص 88.

تسمى هذه الشبكة بحركة المناهضين لاستمرار حرب الجزائر كونها ضمت الفارين من الجيش الفرنسي والمتخلفين عن أداء الخدمة العسكرية¹، ونظرا لوجود قاسم مشترك بينها وبين شبكتي "جونسون" و"كوريال" من جهة نظرا لانتماء أعضاء هذه الشبكات لاتجاهات التيار اليساري ووقوفها إلى جانب الثورة الجزائرية وتضامنها مع الجزائريين في كفاحهم ضد الاستعمار، فإن هذين الأخيرين قد أعلننا تأييدهما الكامل لحركة المقاومة الشابة ومساعدتها على إعادة الهيكلة في شكل منظمة قائمة بذاتها.

تأسست بمدينة "يفردون" "Yverdon" السويسرية سنة 1958 ودخلت نشاطاتها حيز التنفيذ شهر ماي 1959 إثر انعقاد المهرجان العالمي السابع للطلبة والشباب بالعاصمة النمساوية "فيينا"، تتكون من جنود فرنسيين مناهضين لاستمرار الحرب في الجزائر ورافضين للتجنيد في الجيش والمشاركة فيها، وكذا الفارين من الجيش، وقد نسقوا جهودهم الفردية لتأخذ بعدا تضامنيا منذ التقاء حوالي عشرة جنود من الفارين والرافضين للتجنيد ينتمون إلى اتجاهات مختلفة في التيار اليساري، ومن بينهم "جان لويس هورست" "Jean- Louis Hurst"، "لويس أورهان" "Louis Orhant"، "جيرار ميير" "Gérard méier"، "جاك بارتلي" "Jacques Berthelet"، والقس "روبار دافري" "Robert Davezies"، وكلهم كانوا سابقا أعضاء في شبكة جونسون.²

حملت هذه الشبكة على عاتقها مهمة تشجيع وتحريض الجنود الفرنسيين على الفرار تعبيرا عن رفضهم لحرب الجزائر، وطمأنت الراغبين منهم في الالتحاق بحركتهم بأنها ستوفر لهم كل ما يحتاجونه في الخارج من خدمات مثل عبور الحدود، المأوى، العمل وغيرها، وتنفيذا لوعودها أقامت هيكلا لاستقبال الفارين من الجيش بالتعاون والتنسيق مع مختلف المنظمات الاجتماعية والإنسانية والسياسية اليسارية من مختلف الدول كإيطاليا، بلجيكا، سويسرا، ألمانيا وغيرها لتتسع وتتحول بذلك إلى حركة أوروبية تضم عناصر فاعلة من مختلف الدول.

أما عن تأثيرها على الرأي العام الفرنسي فإنه بدأ إثر اعتقال أحد أعضائها النشطين وهو "دييغو ماسون" "Diegi Masson" حين استغلّت الحركة قضيته التي أثارت نقاشا حادا لدى مختلف فئات المجتمع الفرنسي لإسماعهم فحواها ومطالبها، من خلال نشر بيانها في مارس 1960 الذي تضمن تقييما للأوضاع بعد ست سنوات من الحرب وأعطى حصيلة عديدة لمآسيها على الفرنسيين والجزائريين، واصفا الحرب بأنها استعمارية وغير مبررة من الناحية السياسية وفظيعة من الناحية الإنسانية، وقد أثرت سلبا على مكانة فرنسا التي تراجعت سواء على المستوى المحلي أو العالمي، كما أكدت في بيانها أن هدفها الأساسي هو خدمة الشبيبة الفرنسية المقاومة للحرب في الجزائر من خلال توفير إعطائها فرصة التعبير وتزويدها بمعلومات موضوعية عن الحرب في الجزائر والوضعية السياسية بفرنسا.

1Djeral, op, cit, p167.

2 إيدو، مرجع سابق، ص 218. 219.

بمرور الوقت تمكّنت هذه الحركة من إنشاء فروع لها في الجزائر وفرنسا والعديد من الدول الأوروبية ولإعطائها فعالية أكبر تم تكليف هذه الفروع بالتركيز على البحث الفوري عن رفاق للتجمع وتشكيل فريق نشيط، ورفض كل مساس بالكرامة الإنسانية في المعارك، إضافة إلى نشر الثقافة السياسية بين الرفاق، كتابة الشهادات لإعلام الرأي العام وبناء علاقة أخوية مع المقاومين الجزائريين وتوعية الرأي العام في فرنسا ليقف ضد الحرب في الجزائر ويطالب بإنهائها.¹

نجحت حركة "المقاومة الشابة" بفضل جهودها الجبارة في استقطاب الكثير من الشباب المعرضين للحرب في الجزائر بدليل أن عددهم كان كبيرا وكان يتزايد مع مرور الوقت إذ ذكرت النشرة السرية "الحقيقة من أجل" "Vérité pour" في عددها الخامس عشر الصادر يوم 24 مارس سنة 1960 أن عددهم وصل إلى ثلاثة آلاف متمرّد، وسط تعميم إعلامي فرنسي ومحاولات سياسية لإخفاء الحقيقة من خلال إنقاص العدد قد الإمكان على غرار ما صرّح به وزير الدفاع الفرنسي حين قدّروهم بمائتين فقط.²

كما حرصت الحركة أيضا على تنظيم هؤلاء الفارين وهيكلتهم في شبكة تضمّ عدة فروع في مختلف الدول لاسيما الأوروبية، والعمل على زيادة استقطاب المزيد من المنظمات اليسارية في أوروبا لدعم جهودها النضالية، وقد تجسّد ذلك بشكل واضح في صدور بيان 121 يوم 06 سبتمبر 1960 الذي أكّد رفض الفرنسيين لحرب الجزائر، ويعتبر تعبيرا عن تضامن تام مع شبكة جونسون والمساندة الكاملة للفارين من الجيش والمتمردين ضد التجنيد، وقد وقّع عليه أشهر المثقفين من رجال الفن والسياسة³، وهو ما انعكس إيجابا على الجزائر حين عُرفت قضيتها بشكل أكبر دوليا، وسلبيا على فرنسا حين أُخرجت حكوماتها أمام الرأي العالمي.

وقعت هذه الحركة فيما بعد تحت وقع الخلاف الذي استفحل بين "جونسون" "Janson" و"كوريل" "Curiel" ووجدت نفسها منقسمة بين الشيوعيين الدائرين في فلك هذا أو ذاك، ورغم أن "كوريل" قد راهن على التحكم في مصير الحركة بعد تحالفه مع "جاك لويس هورست" "Jacques-Louis Hurst" إلا أنه قد خابت آماله، كون الحركة اصطفت وراء "جاك بيرتولي" "Jacques Berthelet" المقرب من "جونسون"، ومع بدء المفاوضات الجدية بين الطرفين الجزائري والفرنسي قرّرت الحركة بدء العمل بالاتصال بالمنظمات اليسارية الفرنسية والمنظمات العالمية الصديقة للحصول على العفو بهدف العودة إلى فرنسا بعد انتهاء الحرب التي كانت تعرف أنها أصبحت وشيكة.⁴

4. شبكة الطريق الشيوعي: "Le réseau la Voie communiste"

1 نفسه، ص 221.

2 Ulloa, op, cit, pp181 _ 182.

3 إيدو، مرجع سابق، ص 222.

4 نفسه، ص 222.

تأسست على يدي أعضاء منشقين عن الحزب الشيوعي الفرنسي بسبب عدم وفائه للقيم والمبادئ الشيوعية وتقبله لغياب حرية التعبير داخل مؤسساته، حيث طغت المصالح الشخصية والحزبية على الأسس والمبادئ الرئيسية وعلى رأسها رفض الاستعمار والإمبريالية، وجاءت الثورة الجزائرية لتضع أغلب عناصر هذا الحزب على المحك، حيث ظهر انقسام جلي بين اتجاهين متباينين، تمسك واحد بالقيم الشيوعية ورأى ضرورة الوقوف في وجه الاحتلال وغطرسته من أجل تحقيقها على أرض الواقع، وبناء على ذلك ظلّ إلى حد ما ملتزما بمبادئه في معاداة الاستعمار، وبقي أعضاء هذا الاتجاه أوفياء لنهجهم الأول في مساندة كفاح الجزائريين، انطلاقا من قناعات فردية قائمة على أساس القيم الإنسانية والضمائر الحية، والالتزام بمبادئ الشيوعية التي حملوها في انتماءاتهم السياسية والدينية.

بينما أثر الاتجاه الثاني مصالحه الضيقة على كل القيم الرئيسية للشيوعية وأعلن ولائه للسلطات الحكومية في تطبيق سياساتها التي تراها مناسبة وتخدم مستقبل الأمة الفرنسية، وصاغ أتباع هذا الاتجاه مواقفهم وفق المقاس الحكومي فرفضوا الاعتراف بكفاح الشعب الجزائري باعتباره يمس أمن فرنسا ويشكل تهديدا مباشرا لمصالحها على المدى القريب أو البعيد وأعلنوا معارضتهم للثورة التحريرية باعتبارها تمردا على فرنسا وبالتالي ينبغي التصدي لها بكل حزم وقوة.

قرّر الاتجاه الأول النضال خارج وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي بسبب انحراف وتخلي هذا الأخير عن مبادئه، بعد استقالة عشرات المناضلين احتجاجا على قانون السلطات الخاصة التي منحتها حكومة "غي موللي" سنة 1956 للجيش في مواجهة الثورة التحريرية في الجزائر، وفي شهادة "راي روجي" نقلا عن "دحو جربال" ذكر في هذا الصدد: "...كنت قريبا من الشيوعيين مع خلافات في الرأي حول النظام الاستعماري والحروب التي كان يشنها هذا الأخير ضد الشعوب المستعمرة، وقد حدث أول خلاف كبير لي مع أوساط أقصى اليسار عندما تم التصويت لمنح "غي موللي" سلطات خاصة وهذا يعني إرسال المجندين إلى الجزائر... فدفعتني ذلك إلى الانفصال عن الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان دافعا عميقا لأنني صُدمت بموقف الحزب اتجاه هذه الحرب التي كان الجيش الفرنسي يقودها في هذا البلد وهي حرب غير متكافئة ضد خصم أعزل نسبيا ودونه عدد".¹

يتشكل هذا الاتجاه الجديد من مختلف التيارات اليسارية "شيوعيون"، "اشتراكيون"، "تروتسكيون"، "فوضويون" وغيرهم، وكان بعضهم يعمل في العلن بينما فضل آخرون العمل في السرية التامة ليشكلوا نواة صغيرة متكونة أساسا من "جيرار سبيتزار"² "Gérard Spitzar"، "روجي راي" "Rojer Rey"¹، "جيرار لورن"² "Gérard Loren"، "آن جيانيني"³ "Anne Gainnini"، "دينيز برجيجي" "Deniz Bergér"⁴.

1Djarbel, op, cit, pp144 – 145.

2 سبيتزار جيرار، صحفي وعضو في شبكة جونسون، محرر بصحيفة "La defense" التي كانت تشغل بمشاكل المستعمرات الفرنسية، في إطار دراساته في التاريخ، درس وثائق الحزب الشيوعي الفرنسي لأنها كانت تدعم استقلال الجزائر، اتصل بالمناضلين الجزائريين سنة 1957 وطرده من الحزب الشيوعي الفرنسي PCF وأسس صحيفة الطريق الشيوعي التي ضمت منشقين عن الحزب، لعب دورا في إخفاء مناضلي

تشكلت هذه الشبكة على إثر ابتعاد "راي روجي" "Rojer Rey" عن مواقف الحزب الشيوعي سنة 1956 واقتراه أكثر من الجزائريين ضمن الأوساط العمالية التي كانت في مصنع بنهج "فلاندر 145" بالدائرة التاسعة عشر بباريس حيث يحتوي على 80% من العمال من أصول جزائرية، وفي هذا المعمل بدأ يتعرف على العمل النقابي النضالي ومن ثمة إقامة اتصالات مع مناضلين جزائريين وهو ما قرّبه أكثر من مواقف "ج.ت.و"، كما وجد نفسه أيضا في ذلك المعمل مع شيوعيين آخرين منزعين من موقف الحزب اتجاه كفاح الجزائريين، وبرفقة هؤلاء (برجي دنيس، جيرار سبيتزر، لورن ريشار، شنوا) قاد "راي" تمردا داخل الحزب الشيوعي ونقابة "CGT" ضد الفساد والبيروقراطية والنزعة الانتهازية ونقص التوجه الأممي للقيادة، وجتى يكون لهم صدى أكبر شكلوا جماعة جديدة تترجم تطور الوضع الذي آل إلى إعلانها للانفصال عن الحزب وتشكلها كمجموعة مستقلة تضم حوالي 100 مناضل من مختلف الآفاق، أطلق عليه اسم "جماعة الطريق الشيوعي"⁵، تميزت بالنشاط العلني المصحوب بالعمل السري وتنشيط حلقات للمناقشة والتحليل من خلال إنشاء مجلة حملت نفس اسم الجماعة.

اتصلت قيادة هذه الشبكة باتحادية "ج.ت.و" بفرنسا عن طريق "موسى قبائلي" الذي كان قائدا لولاية باريس ومنطقتها، حيث كانت تساند وتنشط في عمليات تهريب المناضلين الجزائريين والفرنسيين الأعضاء في شبكة جونسون لاسيما المطاردين منهم من طرف العناصر الأمنية، غير أنه في 28 سبتمبر 1959 أُلقي القبض على أهم منشط للطريق الشيوعي "جيرار سبيتزر" "Gérard Spitzar" حيث اكتشفت الشرطة لديه مبلغا من المال فاتهم بالتعاون مع "ج.ت.و" كونه أحد مناضلي الشبكة.⁶

فدرالية الجبهة ومساعدتهم على مغادرة فرنسا، اعتقل في سبتمبر 1959 وأدين بالسجن لثمانية عشر شهرا وبعد إطلاق سراحه في مارس 1961 استأنف نشاطاته في دعم القضية الجزائرية إلى غاية الاستقلال. للمزيد أنظر Jacques Charby, les porteurs d'espoir, op, cit, p141.

1 روجي راي، ضابط سابق ثم إطار في ميدان الصناعة، ولد ونشأ في وهران، التحق بالمدرسة العسكرية "سان سير"، ثم التحق بالحرب في الهند الصينية وعاد منها برتبة ملازم، تم إرساله إلى مدغشقر لتهدة الوضع هناك وتعرف فيها على "غايتون دونا" "Gaston Donat" المعارض للاستعمار، والذي جعله يدرك الواقع الاستعماري، فطرد من الجيش سنة 1952 وأصبح إطار في مصنع السكر بمدينة باريس، وساهم فيه في تكوين نقابة العمال الجزائريين كما أقام علاقات مع "ج.ت.و" سنة 1957، اعتقل نهاية 1959 ثم أطلق سراحه بسبب غياب الأدلة ضده فتم طرده من العمل بالمصنع غير أنه واصل نشاطه السري المؤيدة لـ "ج.ت.و" وكنقل الأشخاص والموارد المالية والمادية وتنظيم عمليات هروب من السجن، وقد نجح في ذلك بفضل مظهره الأوروبي، للمزيد أنظر خطاب، الخاوة والرفاق، مرجع سابق، ص 131 - 132. أو Djarbel, op, cit, pp146 – 150.

2 جيرار لورن، معلم وعضو في شبكة جونسون، ممرن التعليم التقني، قريب من التيار الشيوعي، اعتقل في 30 سبتمبر 1959 ووجهت له تهمة جعل منزله مركزا لوجيستيكيا لمناضلي "ج.ت.و"، حكم عليه بعشر سنوات سجن، فر إلى المغرب ومكث فيه 20 سنة. للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 447.

3 آن جيانيني، مناضلة تروتسكية من شبكة مجلة الطريق الاشتراكي، كانت تعمل مع روجي راي ودونيس بيير جير لصالح "ج.ت.و".=خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 159.

4Djarbel, op, cit, p147.

5Djarbel, op, cit, pp146 – 147.

6 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 276.

ذكر "راي" "Rojer Rey" في هذا الصدد: "كنت منخرطاً في العمل عندما طلب منا "قبايلي" أن ننظم أنفسنا بشكل أفضل، وأن نجد مآوٍ ومستودعات وأن نستأجر سيارات ونضمن نقل الأفراد المطلوبين من قبل الشرطة، كان بإمكاننا نحن السفر بالطائرة دون أن نُكتشف، وكذلك عبور الحدود والتنقل بسهولة أكبر منهم لضمان الاتصالات وتوفير الأوراق المزورة، وقد أجريت اتصالات مع "قبايلي" و"هارون" وكنا على اتصال دائم مع اللجنة الفدرالية كما التقيت أيضاً بـ"بوداود" الذي آوَيْته عدة مرات، كما آوَيْت "بيدرو" (العدلاني قدور) و"لويس" (بوعزيز رابح)، كانت علاقتنا تتسم بالتحفظ لأنني لم أكن أرغب في تعريضهم للخطر بسبب معاناتهم من مشكل الارتياح، فكنت أكتفي بتقديم الخدمة وأنا أدرك أنهم يكافحون من أجل شيء مهم".¹

هكذا قامت الشبكة بمهام حساسة وقدمت خدمات جلييلة لفدرالية "ج.ت.و" بفرنسا خصوصاً وأنها اعتمدت الطابع السري في تأدية مهامها وهو نفس النظام الذي كانت الجبهة تعتمد لإنجاح مهامها، حيث تخصصت في عمليات تهريب المناضلين الجزائريين والفرنسيين المساندين لهم، وإيجاد مأوى وسيارات مستأجرة لنقل المطلوبين منهم قضائياً للإفلات من قبضة الأمن الفرنسي، وكل هذه العمليات كانت تتم بحفظ تام للمعلومات واختيار عناصر موثوق بها قادرة على التضحية والصبر وعدم الاعتراف بأي معلومة في حال وقوعها في قبضة الأسلاك الأمنية.

نظراً لنجاح الكبير الذي أثبتته "راي روجر" "Rojer Rey" وأعضاء شبكته في تأدية المهام الموكلة لهم بكل تفان وإتقان، فقد كلفته قيادة الفدرالية وعلى رأسها "عمر بوداود" بمهام أكثر صعوبة وخطورة مثل نقل الحقائق المعبئة بالمال والسلاح وتوفير وثائق هوية مزورة واختراق السجون الفرنسية لتهريب ما أمكن من المناضلين، وضم عناصر جديدة للشبكة تكون محل ثقة وقدرة على تكثيف عمليات الدعم والمساندة للفدرالية على غرار "جان جاك بورشي" "Jeans Jacques Pogchez"²، "توركيون" "Torquand"، "روبير بونو" "Robert Bonnaud"³ الذين سيكونون في مستوى التحدي والثقة التي وُضعت فيهم وسيقدمون بدورهم خدمات لا تقل أهمية عن التي قدّمها من سبقوهم في الشبكة.

تعرضت الشبكة لمخاطر حقيقية حيث تعرض معظم عناصرها للاعتقال مثل "برجي دنيس" "Borger Denis"، وقضى بعضهم وقتاً أطول بمراكز الشرطة أو بالسجون مثل "سبيتز جيرار" "Gérard".

1Djarbel, op, cit, pp147 – 148.

2 جان جاك بورشيز، شاب مناصر لماندس فرانس ومنشط لجنة طلابية مناهضة للاستعمار، انضم للحزب الاشتراكي الموحد وانضم سنة 1960 جماعة سرية مستقلة، تورط في قضية ماكو وأقام في السجن في 1960 بعد أن حكم عليه بعشر سنوات سجن قبل أن يطلق سراحه خلال اتفاقيات إيفيان بل بقي في السجن لغاية 1963، للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الإخوة، مرجع سابق، ص 60. أو كذلك: هرفي هامون وباتريك رامون، مرجع سابق، ص 538.

3 بونو روبر، من مواليد 1929 أستاذ في التاريخ وعضو شبكة جونسون بمنطقة مرسيليا، ثم أسس شبكة دعم عالة للثورة الجزائرية لمرسيليا، أمين اتحادية الاتحاد العام الاشتراكي لمنطقة بوش. دو. رون الذي يحمل شعار عدم التعاون في حرب الجزائر اعتقل في 26 جوان 1961 وأدخل سجن بوميت وخلال سجنه كان يقدم دروساً للمساجين الجزائريين، للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 100.

"Spitzar" و"لورن جيرار" "Gérard Loren"، ، في حين ظل مؤسسها تحت مراقبة مشددة، وخضع لتفتيش متبوع باحتجاز لمدة 24 ساعة كما تم طرده من الشركة والوظيفة التي كان يعمل بها، ورغم كل هذه الضغوطات استمرت المجموعة في مساعدة اللجنة الفدرالية فبعد هجمات أوت 1958 واصلت مهامها في نقل الأسلحة والأموال وفي إيواء إطارات القيادة الفدرالية أو إطارات المنظمة الخاصة إلى جانب محاولة التأثير على الرأي العام الفرنسي بعدالة القضية الجزائرية وضرورة دعمها.¹

وصلت قناعة مؤسس هذه الشبكة "روجي راي" إلى تأييده لنقل الثورة وعملياتها العسكرية إلى عمق الأراضي الفرنسية عكس "فرانسيس جونسون" الذي كان له موقف مخالف لذلك، حيث ذكر قوله: "شخصيا كنت أرى أن نقل "ج.ت.و" للحرب إلى فرنسا يتماشى ومنطق الأحداث، ولم يكن يزعجني أن أساعد "ج.ت.و" بما أن الخدمة الأولى التي قدمتها كانت تتمثل في تخبة الأسلحة... وكان الأمر بالنسبة لي لا يشكل عندي أي مشكل لا على المستوى الأخلاقي ولا على المستوى السياسي".²

تمكنت الشرطة الفرنسية من اعتقال أهم الأعضاء النشطين في الشبكة وهو المناضل "جيرار سبيتز" "Gérard Spitzar" في سبتمبر 1959 ووجهت له تهمة التخابر مع "ج.ت.و"، ونظرا للخدمات الكثيرة التي قدمها للجبهة فقد تجدد العديد من المحامين للدفاع عنه بعد أن تم إطلاق حركة تضامن واسعة معه من طرف العديد أمثال "ايف دو شيزيل"³ "Yves Dechezelle" حينما دخل "سبيتز" في إضراب عن الطعام للمطالبة بمنحه صفة المعتقل السياسي حتى تتحسن أوضاعه في السجن، وقد كانت محاكمته فرصة للتعريف أكثر بحملة الحقائق بين مختلف الأوساط الفرنسية وكسب المزيد من تأييد الرأي العام.⁴

5. شبكة القساوسة: "روبار دافيزي" Réseau Robert Davesies

لعب رهبان "إرسالية فرنسا" دورا بارزا في دعم فدرالية "ج.ت.و" والتأثير على الرأي العام الفرنسي بضرورة الضغط على الحكومة الفرنسية للتعجيل بإيجاد حل عادل للمسألة الجزائرية وإنهاء سياسات التعذيب الممارسة في حق الجزائريين دون وجه حق، وقد اعتبروا أنه جهودهم تلك تدخل ضمن مهامهم الدينية المقدسة، كما أنهم شجّعوا بجهودهم تلك العديد من الرهبان والقساوسة على الانضمام إليهم في تأدية هذه الرسالة خصوصا عندما انتقلوا إلى المساندة العملية ميدانيا من خلال المشاركة في شبكات الدعم لفدرالية الجبهة بفرنسا لاسيما شبكتي "جونسون" و"كورفال"، وكان أشهره القس "برنار

1Djarbel, op, cit, pp148 – 149.

2Ibid, pp149.

3ايف دو شيزيل، هو المحامي ورجل السياسة الشهير بعلاقته مع الحركة الوطنية الجزائرية، سحر موهبته كمحام للدفاع عن الجزائريين بمختلف اتجاهاتهم السياسية أمام المحاكم الفرنسية، شارك في مختلف فصائل اليسار الجديد في بداية الخمسينات وبقي على اتصال دائم مع كل الزعماء الوطنيين والنقابيين الشمال إفريقيين مثل الحبيب بورقيبة وفرحات حشاد وعلال الفاسي وصديقه المقرب مصالي الحاج، للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 188. 189.

4Sylvain, op, cit, pp167 – 170.

بودوراسك¹ "Bernard Boudouresques"، القس "جان أورفواس"² "Jean Orvoas"، "بيار مامي"³ "Pierre Mamet"، و"روبار دافيزي"⁴ "Robert Davezies".

تعد هذه الشبكة من الشبكات المسيحية الفرنسية التي نشطت لصالح القضية الجزائرية، وتُنسب للقس المسيحي "دافري روبر" الذي أعلن دعمه الكامل لفدرالية "ج.ت.و" حيث قام في البداية رفقة امرأة تسمى "آن لودوك" "Anne le-duc" بنقل المهاجرين الشمال إفريقيين والتكفل بهم في فيلا خارج "بايون" "bayonne" قبل نقلهم وتمكينهم من عبور الحدود الفرنسية أفواجا إلى إسبانيا، وتشكلت من العمال القساوسة وأعضاء بعثة فرنسا، ورجال الدين المسيحيين والعديد من النساء المناضلات اللواتي ربطن خيوط عديدة بـ "ج.ت.و" منذ نوفمبر 1957⁵، ثم تطورت مواقفها في دعم الثورة التحريرية وممثلها "ج.ت.و" بكل ما لدى عناصرها من قوة وإمكانات.

تأسست شبكة "دافيزي" في شهر جوان سنة 1957 من طرف ثلاثة قساوسة هم "جان أورفواس" "Jean Orvoas"، "بيار مامي" "Pierre Mamet"، و"روبار دافيزي" "Robert Davezies" وكلهم كانوا على اتصال دائم وعلاقة وطيدة بـ "فرانسيس جونسون"، وكان ذلك حينما نظمت حركة السلم مناقشة حول المسألة الجزائرية بشارع "تيمبود" "Timboud" في مركز فدرالية المعادن التابعة للكونفدرالية العامة للعمال حيث وافق "دافري" "Davezies" على فكرة تقديم الدعم لـ "ج.ت.و" من خلال قيامه بتأمين منشورات سرية بآلاف النسخ لأعضاء الفدرالية وذلك بالتنسيق مع لجنة التنسيق والتنفيذ.⁶

تجسّد الدعم الكبير الذي قدمه رهبان إرسالية فرنسا "la mission de France" لفدرالية الجبهة بفرنسا ومناضليها في توفير العديد من الخدمات كالأيواء وتقديم وثائق الهوية وتمكينهم من العبور للدول المجاورة لفرنسا، ومنهم على سبيل المثال القس "بودوراسك" "Boudouresques" الذي جعل

1 برنار بودوريسك، عامل ورجل دين تابع للبعثة الفرنسية وهو خريج المدرسة المتعددة التقنيات سنة 1945، ناضل من أجل السلم ومناهض لمواصلة الحرب في الجزائر، وهو من مؤسسي لجنة المقاومة الروحية، كان إلى جانب "جانسون" خلال تأسيس شبكته وساهم كثيرا في عمليات عبور المناضلين الجزائريين عبر الحدود الأسبانية والسويسرية والألمانية والبلجيكية اعتقل سنة 1958 وسجن وأطلق سراحه سنة 1959، ظل رافضا للاستعمار الفرنسي في المستعمرات حيث واصل نضاله في هذا المجال حتى بعد استقلال الجزائر، للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، صص 82 - 83.

3 مامي بيار، من مواليد سنة 1923، ومن رجال الدين المسيحيين، كان ينتمي إلى البعثة الفرنسية، التحق بالجزائر سنة 1950 واشتغل بداية في القطاع الزراعي في سهل عنابة، ثم التحق بسوق أهراس سنة 1954 ثم تم إرساله إلى تونس حيث اشتغل هناك في مخيمات اللاجئين الجزائريين، عرض لائحة اتهام فعلية ضد قوات القمع الاستعماري في الجزائر خلال المحاكمة الجنائية لبن صديق في ديسمبر 1957، للمزيد أنظر، Redha Malek, l'Algérie à Evian, L'Algérie à Evian, histoire des négociations secrètes 1956 – 1962, Edition du Seuil, Paris, 1995, pp68- 70.

4 Sybille Chapeu, op, cit, p95

5 جريال، مرجع سابق، ص ص 151 - 152.

6 هرفي هامون وباتريك روتمان، مرجع سابق، ص 113.

من شقته ب176 شارع "سانت جاك" "Saint Jacques" بباريس مكانا لاجتماع وإيواء عناصر و.ع.ع.ج بفرنسا، واستمر في عمله إلى أن اعتقلته الشرطة الفرنسية في 14 أكتوبر 1958.¹

مثل مشكل الإيواء لمناضلي ومسؤولي فدرالية الجبهة تحديا كبيرا للأصدقاء الفرنسيين للجبهة، ذلك أن نظام السرية المعتمد لدى الجبهة كان يمنع إقامة مسؤوليها في نفس المكان لوجود خطر انكشافه، لذلك كان الانتقال واجب ويمثل شرطا ضروريا لأمنه، ومن هذا المنطلق لجأت الفدرالية إلى توفير عدد هام من المقرات في مختلف الأحياء الأقل تعرضا للمداهمات الأمنية، لهذا فإن مساهمة شبكات الدعم في هذا المجال كانت قيمة جدا ولا تقدر بثمن حين وفرت الملجأ والأمن لمناضلي الجبهة وسهّلوا مهامهم على مختلف الأصعدة.²

لعب "دافيزي" دورا كبيرا في تسهيل عمليات المرور لمناضلي فدرالية الجبهة عبر الحدود الفرنسية الإسبانية بسيارته الخاصة رفقة عدد من القساوسة العمال ورجال الدين المسيحيين، وسخّروا لإنجاح مهامهم أشخاصا مقربين لهم كزوجاتهم وإخوتهم وبعض أصدقائهم الذين كانوا غير ملفتين لأنظار عناصر الشرطة وأعاونها.

وفي شهر ماي 1958 تولّى مسؤولية جمع وتحويل الأموال والحفاظ على أموال التبرعات وما يخص شبكته الخاصة التي ضمت نساء على غرار "أنطوانيت أورهانيت" "Antoinette Orhanet"، و"بول بولو" "Paule Bolo"³ و"مونيك لومي" "Monique Lemée"، ورجال مثل اللاهوتي "جاك بارتلي" "Jack Bartley"، وكانت "آن لودوك" إحدى أبرز عناصر هذه الشبكة الداعمة للقضية الجزائرية، والتي كان لها دور في دعم حملة الحقائق والحفاظ على أموال التبرعات وهو ما أدى لاعتقالها، كما تم القبض على دافيزي سنة 1960 ثم أعقبه تفكيك هذه الشبكة لتتم محاكمته من 09 إلى 12 جانفي 1962 بباريس.⁴

جرت هذه المحاكمة أمام المحكمة العسكرية بباريس ووُجهت له العديد من التهم أشهرها مساعدة "ج.ت.و" بتنظيم تمرير سري في الحدود لمناضليها ما شكّل تهديدا للأمن الفرنسي العام بمساعدته لهؤلاء الإرهابيين، وقد دافع "دافيزي" عن نفسه بأنه اضطرّ لمساعدة الجزائريين لتخليصهم من القمع والتعذيب الذي كان مفروضا عليهم وسياسة الاستعمار الهمجية الممارسة ضدهم والتي كانت معادية للقيم الإنسانية⁵،

1 إيدو، مرجع سابق، ص226.

2 Haroun, op, cit, p226.

3 بول بولو، من مواليد 1929 عضو شبكة جونسون ناصرت القضية الجزائرية وتخصصت في مساعدة المناضلين الجزائريين على العبور بين الحدود الفرنسية الإسبانية ، كما خصصت فيلاتها لإسكان مناضلي الجبهة ، زارت الجزائر سنة 1962 وعملت في وزارة التكوين المهني ، للمزيد أنظر خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص97.

4 جريال، مرجع سابق، ص ص157 . 162.

5 مارتن سيفي غراند، مسيحيون ضد استعمار الجزائر، د.ط، منشورات أمد وكمال، الجزائر، 2012، ص113.

وهذا ما أكدّه بقوله: "لم يحدث لي أبداً أن تم اعتقالني طيلة هذه المدة التي لم أفترق فيها إلى الوطنية مثلما تم اتهامي، بل بدى لي عكس ذلك تماماً لأنني كنت متوافقاً مع بعض التقاليد السياسية وربما العسكرية الفرنسية، بل وتقاليد احترام الآخر اتجاه ناس كانوا يعيشون الظلم والقمع المتواصل".¹

دافع العديد من رجال الدين المسيحيين عن موقف "دافيزي" أمام المحكمة على غرار الكاردينال "لاينانرت" الذي ذكر أن السبب الذي دفع "دافيزي" لاتخاذ هذا الموقف هو تحليله بروح المسؤولية ووعيه بقيم الأخوة والسلام التي ينبغي الدفاع عنها، إضافة إلى تبنّيه للعدالة في الحكم على الصراع الجزائري الفرنسي الذي تسبّب في تفاقم مشاكل صعبة أثّرت على الشعبين وعقدت الأزمة بينهما بشكل أكبر، موضحاً أنه على المحكمة أن تتحمل مسؤوليتها بتقديرها نوايا القس روبير دافيزي".²

6 . شبكة رابتييس: Le réseau Raptis

إلى جانب هذه الشبكات المعروفة كانت هناك أخرى أقل حضوراً لكنها داعمة للنشاط الثوري وعلى رأسها شبكة المناضل التروتسكي "ميخائيل رابتييس"³ "Mikhalis Raptis" المدعو "بابلو" وإلى الأممية الرابعة التي انشقت عن الأممية الثالثة بقيادة مناضلين ظلوا أوفياء لمبادئها من خلال محاولتهم إعادة بناء أممية رابعة ملتزمة بقيمها عكس الأممية الثالثة، وبمجرد نشأتها أظهرت تعاطفاً مبكراً مع الثورة الجزائرية واستعدادها لتقديم خدمات المساعدة والدعم بما توفر لديها من إمكانيات مادية ومالية وبشرية.

تأسست الأممية الرابعة سنة 1938 وربطت صلات بمختلف حركات الاستقلال في المستعمرات الفرنسية معلنة دعمها الكامل لنضال شعوبها خاصة الكفاح التحرري في الفيتنام والجزائر، رغم أنها ربطت في البداية بمصالي الحاج وبمجرد وضوح الصورة بقيادة "ج.ت.و" للثورة أعلنت دعمها الكامل لها في مطلب الاستقلال، وقد ذكر "بابلو" في هذا الصدد: "إن فصلاً جديداً قد انفتح في نضال تحرر تلك البلدان... وإن هذا التحرر لا يمكن توقيفه".⁴

1 هرفي هامون وباتريك روتمان، مصدر سابق، ص 245.

2 مارتن سيفي غراند، مرجع سابق، ص 116 . 122.

3 رابتييس ميشال بابلو، 1911 . 1996 من مواليد الإسكندرية في مصر وهو من أصل يوناني درس في "أثينا" وتحصل على شهادة مهندس مدني، انضم إلى مجموعة شيوعية منشقة وشبه سرية سنة 1928 منحازة إلى المعارضة اليسارية الماركسية، وفي سنة 1934 انضم إلى المنظمة الشيوعية الأممية باليونان التي ضمت مختلف المجموعات الشيوعية المنشقة، اعتقل في نفس السنة ثم أطلق سراحه سنة 1937 وطُرد من اليونان واستقر في باريس، شارك في تأسيس مؤتمر الأممية الرابعة عام 1938 مندوباً عن الفرع اليوناني، وحمل اسم "بابلو" وأصبح بعد ذلك منشغلاً بمسائل المستعمرات وشبكات التضامن التروتسكية مع الجزائريين، كان يلتقي بقيادة اتحادية فرنسا لـ "ج.ت.و"، زار الجزائر بعد الاستقلال وأصبح من المقربين للرئيس "بن بلة" بخصوص تجربة التسيير الذاتي وغيرها من المسائل، وبعد حركة التصحيح الثوري غادر إلى سويسرا لكنه ظل يحن للجزائر بالبحث عن أصدقائه القدامى مثل حربي والصادق هجرس وغيرهم توفي في 17 فيفري سنة 1996 ودفن باليونان، للمزيد أنظر، Neser Eddine Ait Mokhtar, Gisela Goethner, la guerre d'Algérie en France, mémoires et combats 1956 – 1962, Chihab Editions, Alger, 2017, p 169.

4 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 207 . 208.

حدثت الاتصالات الأولى بين "بابلو" و"ج.ت.و" بواسطة "إيفان كرييو" "Yavin Cripeau" الذي كان يشتغل سكرتيراً لتروتسكي سنة 1933، وهو من ربط الصلة مع الحزب الشيوعي الأممي في شتاء 1954 . 1955، في الوقت الذي كانت الجبهة تعمل جاهدة في أوساط الجالية الجزائرية من أجل التفوق على الحركة الوطنية الجزائرية والجماعات المصالية، ونظرا لخبرة "تروتسكي" الكبيرة في المجال الدعائي وإعلانه مساندة الجبهة بكل ما يملك فقد وضعت هذه الأخيرة ثقتها فيه وأسندت له جريدتها التي كانت تسمى "المقاومة الجزائرية" سواء من حيث الطباعة كونهم يملكون الوسائل والأجهزة المتخصصة ومعرفتهم لأصحاب مطابع يغلطون الطرف عما كانوا يفعلون وأشهر من تكفل بذلك بالطبع هو "بيار أفوت" "Pierre Avot" وكانت الاتصالات تتم بشكل خاص مع مسؤول طالب مكلف بالصحافة والإعلام وهو "محمد حربي"، أو التوزيع حيث كانوا يوزعون رزم المناشير والجرائد لدى تجار أو حانات متعاونة مع "ج.ت.و" كما لو كانوا يسلمون بضائع عادية.¹

أعلنت هذه الشبكة إذن عن تضامنها الفعّال مع كفاح الشعب الجزائري، ولعبت دورا رائدا في مساعدة الثوار الجزائريين في الحصول على أوراق مزورة وبطاقات هوية مستعارة ومساهمات في مجالات عدة خاصة وثائق عبر واجتياز الحدود، دون حدوث أية مشاكل حث أظهرت نجاحا كبيرا في عدم لفت أنظار الأسلاك الأمنية الفرنسية، باستثناء قضية أوراق العملة المزورة لـ "أوسنابروك" التي عكّرت صفو الثقة بين الجبهة والشبكة حين تورّط فيها "رابتيس" شخصا حيث تم إلقاء القبض عليه، بعد أن تمكن أحد الفرنسيين وهو المدعو "أوليفلي" اختراق الشبكة والحصول على وثائق هوية مزورة مدعيا أن له علاقة بالجبهة وأنه ملاحق من الشرطة ليتبين أنه كان في الحقيقة عون أمن في المصالح الفرنسية هدفه التسرب وسط صفوف الجبهة.²

تزايد دعم الشبكة لفدرالية الجبهة بفرنسا على غرار تزايد الدعم التروتسكي للثورة لاسيما بعد انضمام أعضاء جدد مثل المناضل النقابي "يعقوب مونيتا" الذي كان عضوا في الأممية الرابعة ويعمل بسفارة ألمانيا الاتحادية في باريس ويستخدم الحقبة الدبلوماسية³، وساهم بشكل أكبر في توفير أوراق الهوية المزورة لمناضلي الفدرالية وسهل عليهم عمليات عبور الحدود التي غيرت المعادلة نهائيا لصالح الثورة بتسهيلها للتموين العسكري والإمداد بالسلاح لمواصلة العمل الثوري.

نجحت المخابرات الفرنسية "DST" في اعتقال الصديق المقرب لـ "رابتيس" وهو "بيار فرانك" يوم 12 أبريل فنظم الحزب الشيوعي الأممي حملة تضامن واسعة انضمت إليها شخصيات مهمة "إدغار موران"، "فرانسيس جونسون"، "جان بول سارتر"، و"لوران شوارتز" وغيرهم، وقد نجحوا في الضغط على

1 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 278.

2 بوداود، مصدر سابق، ص 142 . 143.

3 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 279.

السلطات لإطلاق سراح كل المناضلين التروتسكيين يوم 09 ماي 1956 وأُلغيت المتابعات لغياب الأدلة الكافية على تعاونهم مع "ج.ت.و"، ما أدى إلى ظهور خلافات داخل الحزب بين فريقين يرى أحدهما ضرورة التزام الحذر أكثر في مسألة دعم الجبهة تجنباً للملاحقات البوليسية وهم أتباع "بابلو"، بينما يرى الفريق الثاني ضرورة الاستمرار أكثر في دعم النضال الثوري للجبهة وتحدي كل التهديدات والإجراءات الأمنية.¹

انتصر الفريق الثاني المؤمن بمواصلة النضال ورفع التحدي، واستمر دعم أعضاء الشبكة لفدرالية "ج.ت.و" بل تطور بشكل أكبر عندما ساهمت في تسهيل عملية التموين العسكري للثورة بتوفير خطوط عبور جديدة عبر الحدود الأوروبية لتنقل المناضلين وإدخال المزيد من الإمدادات العسكرية من خلال إيجاد مصادر جديدة للسلاح والذخيرة بعدو مناطق مختلفة من أوروبا، بل وصل بها الأمر إلى المساهمة في إنشاء مصانع لصنع أسلحة خاصة بالجبهة التي أصبحت بفضل هذه الشبكة قادة على صنع سلاحها بنفسها.

أثمر التعاون الوثيق بين التروتسكيين و"ج.ت.و" على إنشاء مصنع للسلاح بعد أن اشترت الجبهة مزرعة أشجار ليمون كبيرة بالقرب من مدينة "القنيطرة" بالمغرب الأقصى، تكفل "بابلو" وفريق يوناني له من استخدام الآلات التي كانت عبارة عن مخربات، مفرزات معادن، منجز آلي من دول أوروبا الشرقية، إضافة إلى استخدام مهندسين قرييين من الأهمية الرابعة، حتى أصبح المصنع جاهزا للعمل مطلع عام 1960 في خمس وحدات موزعة ويضم عمالا مؤهلون من جنسيات مختلفة ورئيسا هولنديا للورشة، ثم تمكن "بابلو" من إقناع مناضلي الجبهة بضم عمال فرنسيين ذوي خبرة في صناعة الأسلحة للمصنع²، لأن الفرنسيين كانوا يتعاملون مع الثوار على أساسا تجاري بحث ولا يهتمهم انتمائهم للثورة من عدمه.³

اختص المصنع في إنتاج المدافع والرشاشات والقنابل، وهو ما أعطى دفعا قويا لاستمرار العمل الثوري بثقة أكبر، ودفع وزير الحرب في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية "عبد الحفيظ بوصوف" إلى زيارته بهدف الإطلاع على سير الأشغال وتحفيزه على زيادة الإنتاج بشكل أكبر، كما زاره أيضا "بابلو" لإلقاء خطاب بمناسبة صنع الرشاش الـ 5000، وقد استمر المصنع رغم صعوبة التحديات في الإنتاج حتى استقلال الجزائر سنة 1962، وظل يمثل منعرجا حاسما في مساندة ودعم التروتسكيين لـ "ج.ت.و" كون الأسلحة المصنوعة فيه كانت موجهة للاستعمال ضد الجنود الفرنسيين ورغم علمهم بذلك لم يترددوا في صنعها وتقديمها للجبهة.⁴

1 نفسه، ص 279.

2 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 280.

3 أبو بكر حفظ الله، التموين والتسليح إبان الثورة...، مرجع سابق، ص 278.

4 خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص 281.

كما كانت هناك شبكات تشتغل في الخفاء لا يعرفها حتى قياديو الفدرالية بسبب التزام طابع السرية التام، وقد ذكر "بوداود" في هذا الصدد: "كانت الشبكات المحلية تعمل باستقلالية تامة ولم تكن مرتبطة بينها ولا مع المستوى الوطني، لم نكن نعلم بوجود هذه الشبكات المحلية إلا بعد الإعلان عن تفكيكها، عندما تقوم الصحافة بحملات التنديد بتواطؤ الخونة المعادين لفرنسا مع الثوار، ونظرا للفواصل الموجودة بين الخلايا العاملة في الميدان فإن اليد اليمنى كانت تجهل ما تقوم به اليد اليسرى رغم أنهما كانتا تتكفلان في الواقع بالمهمة نفسها".¹

شهدت محكمة "أمستردام" في الفترة الممتدة ما بين 21 و28 جوان 1961 محاكمة "ميشال رابيتيس" "بابلو" ووجهت له تهمة مختلفة أهمها القيام بعمليات تزوير لأوراق وقطع نقدية لمساعدة "ج.ت.و"، بعد أن تمكن رجال الشرطة الهولندية من احتجاز كمية كبيرة من الوثائق يوم 10 جوان 1960، كما عثرت الشرطة الألمانية على معمل يحوي مكبسا آليا وآلة لقطع الورق ومواد كيميائية في مدينة "أوسنايرك"، بالإضافة إلى العثور على 9665 ورقة نقدية من مائة فرنك فرنسي مكدسة بطريقة عشوائية²، وكلها أدلة قاطعة على وجود العلاقة الوطيدة بين "بابلو" و"ج.ت.و" في مهام التزيف والتزوير التي يعاقب عليها القانون.

لم يقتصر تأثير الثورة الجزائرية على الأوساط المثقفة في فرنسا فحسب بل امتد التأثير إلى العديد من البلدان الأوروبية لاسيما المجاورة منها لفرنسا كألمانيا، بلجيكا، إسبانيا، سويسرا، وإيطاليا فقد ظهرت فيها شخصيات معروفة ومنظمات غير حكومية وجمعيات إنسانية اتخذت مواقف مشرفة اتجاه الثورة حين أعلنت عن مناهضتها للاستعمار وسياساته التعسفية ضد الشعوب المقهورة³، ونجحت الجبهة بذلك في فتح واجهات برية جديدة لكسب التموين العسكرية والتمويل المالي وسبل جديدة للفرار الآمن والتخلص من الرقابة البوليسية.⁴

استطاعت ج.ت.و بحنكة دبلوماسية من كسب التأييد الأوروبي رغم اندراج جل الدول الأوروبية كدولة ضمن الحلف الأطلسي وبالتالي فهي دول صديقة لفرنسا، وبمرور الوقت توسّع هذا التأييد للثورة شعوبا وحكومات وهو ما جسده قيام العديد من المظاهرات المؤيدة لحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره. لقد ساهمت كل تلك الشبكات بخدمات جليلة في كفاح الشعب الجزائري، وكانت تربطهم علاقة ثقة عمياء بمسؤولي الفدرالية، وقد ضمت شخصيات بانتماءات مختلفة فكان منهم الشيوعيين والمسيحيين الكاثوليك والبروتستانت، وكذا يهود، ومفكرين أحرار وقدماء المقاومين للنازية إضافة إلى شخصيات أخرى

1 بوداود، مصدر سابق، ص 137. 140.

2 هرفي هامون وباتريك روتمان، مصدر سابق، ص 469.

3 إسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954. 1962، دار هومة، الجزائر، ط1، 1999، ص 199.

4Rapport sur situation Rayniond, Boit1.Doss2.1.2, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger , s.d.

لم يكن لها أي انتماء سياسي ولا ارتباط حزبي، ولم تكن هذه النوعيات متواجدة فقط في فرنسا بل وجدت أيضا في بلجيكا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية، فكان مناضلو ومسؤولو تلك الشبكات سندا حقيقيا للفدرالية التي لم تكن لتؤدي مهمتها بتلك الفعالية ولا لتواجه كل العقبات التي كانت تعترضها لولاهم بعد أن عبّروا جميعا عن إيمانهم بعدالة الثورة الجزائرية وحق الجزائريين في استرجاع حريتهم المسلوبة¹، وقد كانت "ج.ت.و" راضية عن مساهمات تلك الشبكات ودعمها الكبير للثورة التحريرية، وقد عبّرت عن إعجابها في الكثير من المرات بمدى العون الكبير الذي أسهم به هؤلاء الأوروبيين والفرنسيين في استمرار ونجاح العمل الثوري خصوصا ما تعلّق بنظام التمويل.²

بعد اكتشاف السلطات الفرنسية للعديد من عناصر هذه الشبكات الداعمة للثورة التحريرية عمدت إلى التصدي لها بكل ما أوتيت من قوة فوضعت مخططات محكمة تحت إشراف مختصين ذوي خبرة عالية في مكافحة الجريمة والإرهاب، وتكثيف مراقبة نشاط فدرالية "ج.ت.و" حتى هل عليها تتبع حركة مناضليها لاسيما في عملية جمع الاشتراكات من المهاجرين، إضافة إلى إقامة حراسة مشددة على الفرنسيين المتعاونين مع الفدرالية وربط ما يحدث في الجزائر من مستجدات بما قد ينتج عنه كامتداد حتمي في فرنسا.

كثّفت السلطات الفرنسية من إنشاء الأجهزة الأمنية للتصدي لنشاط الفدرالية ومنها "جهاز الاستعلامات العامة" "R.G"، "مديرية مراقبة الإقليم" "D.C.T"، "شرطة باريس" "P.P"، "اليد الحمراء" "M.R"، وقد انتهجت أساليب كثيرة ومتعددة لاخترق هياكل الفدرالية ثم القضاء عليها، منها بث الأعوان الخونة والجواسيس في أوساط مناضلي الفدرالية، اعتماد الأساليب الإغرائية كالمساومة وتقديم مساعدات واستعمال الحرب النفسية أحيانا، والترهيبية أحيانا أخرى كالتهديد والاعتقال والقتل.³

لم تكتفي المخابرات الفرنسية بمحاربة نشاط هذه الشبكات في الأراضي الفرنسية فقط بل قامت بمتابعتها إلى باقي الدول الأوروبية، وركّزت في ذلك على المتخصصة منها في التمويل العسكري حيث جهّزت منظمة إرهابية عُرفت بـ"منظمة اليد الحمراء" للقيام بالعديد من عمليات التفجير المستهدفة للجزائريين والأجانب المتعاونين معهم من أجل خلق جو من اللاأمن في محيط عمل مسؤولي مكاتب "ج.ت.و" والبعثات الخارجية في أوروبا، والضغط على هذه الدول لطرد مناضلي فدرالية الجبهة واتخاذ نفس الموقف الفرنسي في التعامل معهم وطردهم باعتبارهم عناصر مشبوهة وغير مرغوب فيها ومهددة للأمن العام. نجحت هذه الفئات في كسب تأييد المزيد من الرأي العام الفرنسي ثم العالمي طيلة فترة الثورة التحريرية، بتحكيما لضمائرها الحية والتزامها بالقيم الإنسانية، والمبادئ الأساسية التي قامت عليها جل

1 بوداود، مصدر سابق، ص 144 . 145.

2Rapport sur situation Rayniond, Boit1.Doss2.1.2, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger , s.d.

3Charboun Laurent, op,cit, p105.

توجهاتها وتياراتها السياسية، والتي كانت معظمها تنتمي للييسار الفرنسي رغم خروج العديد مسؤولي ومناضلي هذا الأخير على هذه المبادئ والأسس، إلا أن هذه الفئة من المفكرين والدينيين تمسكوا بهذه القيم وبرهنوا عن إخلاصهم لها رغم كل التحديان ظهور هذه الشبكات السرية الداعمة لكفاح الجزائريين كان ثمرة لمساعي وجهود القيادات الثورية لجهة التحرير الوطني في إطار السعي المتواصل للحصول على الموارد المالية اللازمة من أجل تسيير مختلف أوجه الكفاح الوطني، وكسب المزيد من التأييد والدعم الدولي للقضية الجزائرية بغض النظر عن انتماءات هؤلاء الداعمين الفكرية والإيديولوجية لأن الدافع الإنساني النبيل هو القاسم المشترك فيما بينهم ليتم بذلك ربح أكبر مساحة ممكنة من خلال ربط العلاقات الدولية دون التقيد بالبعد الإيديولوجي أو السياسي للدول.

كما أن نجاح الثورة التحريرية في إنشاء هذه الشبكات في قلب فرنسا وأوروبا عامة هو دليل قاطع على عمق وتجذر خلايا جبهة التحرير الوطني وانتصارات الساحقة على المستوى الأوروبي والعالمي، وهو برهان أيضا على مشروعية كفاح الشعب الجزائري وإثبات واضح لعدالة قضيته التي ما لبثت أن وجدت لها أصدقاء وداعمين لها من مختلف الأصول العرقية والانتماءات الدينية كرسوا جزءا كبيرا من أعمارهم لإعلاء صوتها ونصرة مبادئها والدفاع عن مطالبها في عقر دار أعدائها.

المطلب الثالث: أهم الشخصيات الفرنسية المساندة للثورة التحريرية

ظهرت نخبة من المثقفين والسياسيين الوطنيين الفرنسيين الذين وصلوا إلى قناعة راسخة أن لا مستقبل للمستعمرات ضمن الإطار الفرنسي وأن الحل الأمثل والأكثر واقعية هو ترك هذه الشعوب تقرر ما تريد أن تفعله بنفسها بكل حرية، فحملوا على عاتقهم مهمة مناهضة الاستعمار وفضح خدعه وكذبه، ومنهم حتى من قام بتشريح الظاهرة لاستعمارية من الناحية النفسية والتاريخية وخلص إلى أن جوهر التفكير الاستعماري يقوم على الاستعلاء والاستغلال والقمع، ولا سبيل لعلاجها إلا بالعنف والسلاح مبررا بذلك استعمال العنف الثوري والكفاح المسلح للتخلص من الاحتلال وسياسته القمعية وعلى رأس هؤلاء نجد:

1. جان بول سارتر Jean Paul Sartre:

يعد من أبرز الوجوه الفكرية في فرنسا ومن أشهر الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه للتخلص من الاستعمار الجائر، وقد كان له دور كبير في التأثير على كثير من المثقفين الفرنسيين عامة واليساريين بشكل خاص نظرا للوزن الذي كان يمثلته كفيلسوف ومفكر كبير، فأصبح بذلك قائدا لكوكبة بارزة من المثقفين الفرنسيين الرافضين لاستمرار الحرب والمؤيدين بأفكارهم وإنجازاتهم للثورة التحريرية ولممثلها ج.ت.و التي تدافع بكل عدالة وشرعية عن حق شعب أعزل في استرجاع الحرية والاستقلال.

ذكر "سارتر" في هذا السياق قوله: "نحن فرنسيي الميتروبول ليس لنا إلا درس واحد نتعلمه من هذه الأحداث أن الاستعمار يعمل الآن على تدمير نفسه، ولكنه مازال ينتن الجو إنه بالفعل عارنا، لأنه يهزأ

بقوانيننا ويظهرها بمظهر كاريكاتوري، كما أنه ينشر بيننا وباء العنصرية وهو يفرض على شبابنا أن يموتوا رغما عنهم من أجل مبادئ نازية نحاربها منذ عشر سنوات، وفي الوقت نفسه يحاول أن يدافع على نفسه بخلق فاشية في صميم بلادنا الفرنسية، لهذا فإن مهمتنا نحن هي مساعدته على الانتهاء والموت ليس في الجزائر فقط بل حيثما وُجد، أما عن الذين يتحدثون عن ترك الجزائر فهم بلهاء لأنه ليس لنا أن نترك ما لا نملكه أصلا، والأفضل للجميع هو بناء علاقات جديدة بين فرنسا الحرة والجزائر المحررة".¹

دافع عن القضية الجزائرية من خلال مجلته " الأزمنة الحديثة " "Temps modernes" التي صدر منها عدد كتب فيه مقالا في ماي 1955 حول الصراع في الجزائر مُعاديا للوجود الفرنسي فيها وكان المقال بعنوان "الجزائر ليست فرنسا" مبرزا بذلك علاقته الوطيدة بالقضية الجزائرية ودفاعه عنها، وكان رد فعل السلطات الفرنسية أن صادرت هذه المجلة، ثم كتب مقالا عن الثورة الجزائرية في مارس 1956 عنوانه "الكولونيالية عبارة عن نظام" أبرز فيه الميكانيزمات الاقتصادية والسياسية للاستعمار، ويدعو إلى محاربته واضعا بذلك اللبنة الأولى لجبهة ثقافية فرنسية مناهضة للاستعمار، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل واصل رفضه للسياسة المنتهجة لهذا النظام بمداخلة خلال ملتقى من أجل السلم في الجزائر نظم بقاعة وإجرام "Wagram" في باريس، يوم 27 جانفي 1956 تحت رعاية لجنة حركة المثقفين ضد استمرار الحرب في الجزائر.²

لم يبدأ وعي سارتر المناهض للاستعمار من هذا التاريخ، ولا من الانتفاضة الجزائرية عام 1954 بل منذ عدة سنوات، فقد سبق أن قام بدعم قضية الدستور الجديد في تونس، وقضية الاستقلال بالمغرب في المؤتمر الذي شارك فيه عام 1948، وفي عام 1952 أجرت معه الصحيفة التابعة لفرحات عباس، جمهورية الجزائر "la république algérienne" مقابلة، وفي خريف عام 1955 قدّم دعمه لحركة لجنة المثقفين ضد استمرار حرب الجزائر، وكان لفرنسيس جانسون "Francis Janson" المتعاون مع مجلة الأزمنة الحديثة، والذي نشر مع زوجته "كوليت" "Colette" "الجزائر الخارجة عن القانون" "L'Algerie hors la loi" في ديسمبر 1955 مساهمة كبيرة أيضا في تطور وعي الفيلسوف، ومنذ هذا التاريخ عرف سارتر "تجديدا أخلاقيا" أوصله إلى اكتشاف موضوع جديد للتاريخ، أكثر راديكالية من طبقة البروليتاريا وهم المستعمرون، وقد استفادت الثورة الجزائرية كثيرا من هذا الاكتشاف، فتحصلت على دعم جبهة ثقافية واسعة في فرنسا.³

1 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر"عايدة وسهل إدريس، ط2، دار الآداب، بيروت، 1958، ص ص 32. 33.

2 سليم بنقة، الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، ع11، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015، ص 61.

3 نفسه، ص ص 61. 62.

غير أن اللحظة الحقيقية للالتزام سارتر كشخص كان في جانفي عام 1956 ، عندما أصبح غي موليه "Gye Mollet" المسؤول السابق عن الفرع الفرنسي داخل الأمم المتحدة العالمية "Sifio" رئيسا لهذه المنظمة، وبعد شهرين حصل على سلطات خاصة، سيتم توظيفها لتكثيف الحرب في الجزائر، وقد أدى تصويت الشيوعيين المؤيد لتلك الفترة بسارتر إلى التفكير في إحداث القطيعة معهم، تحققت فعليا شهر نوفمبر عندما اعترف الحزب الشيوعي الفرنسي إيجابا باحتياح الدبابات الروسية للمجر، وفي هذا السياق كتب محمد حربي في 1990 قائلا: "ومنذ هذا التاريخ عرف سارتر "تجديدا أخلاقيا"، أوصله إلى اكتشاف موضوع جديد للتاريخ، أكثر راديكالية من طبقة البروليتارية وهم المستعمرون، وقد استفادت الثورة الجزائرية كثيرا من هذا الاكتشاف، فتحصلت على دعم جبهة ثقافية واسعة في فرنسا".¹

كتب سارتر في فضح كذب الاستعمار وخيائته لكل المبادئ الإنسانية في الجزائر كاشفا وحشية السياسة الاستعمارية المطبقة ضد الجزائريين مقالا خصصه كليًا لفضح عمليات التعذيب "أنتم رائعون" نشر في ماي 1957 في الأزمنة الحديثة، في البداية عنوانه "مؤسسة الفساد" حيث طلبت نشره جريدة "لوموند" ثم رفضته واعتبرته عنيفا جدا، مجموعة من القصص لمجندين جدد معظمهم كهنة تم نشرها قبل شهرين، المقدمة جاءت بعنوان "مجندون يشهدون" وحملت خاصة توقيع جان ماري بول دومناك ، بول ريكور، روني ريمون، في هذه المقدمة سارتر تآمر ضد الإعلام والشعب الفرنسي وهم القادرون على تقديم المساعدة باسم النزعة الإنسانية، كما في حصة إذاعية لجون نوهان "أنتم رائعون" حيث ندد سارتر فيها بفضاعة التعذيب، بل وغيره من أشكال العنف الممارس في الجزائر "لهم قاسم مشترك هو كشف هذه الآفة، الممارسة الوحشية المنظمة للعنف المطلق، النهب والاعتصاب، العمليات الانتقامية الممارسة ضد السكان المدنيين، التصفيات الجماعية واللجوء إلى التعذيب لانتزاع الاعترافات أو المعلومات".²

إن هذه الأعمال التي قام بها سارتر في مساره النضالي تؤكد أن موقفه كان نابعا من إيمانه بالحرية الاجتماعية السياسية التي كان ينادي بها منذ المواجهة العسكرية الثانية، وظل متمسكا بها حيث دافع عن الثورة التحريرية كما نفث حبر قلمه في متن كتابه: عارنا في الجزائر³، الذي ترجم فيه عصارة فكره وقيمه اتجاه الظلم وكشف فيه الكثير من تناقضات السياسة الفرنسية وأثبت حقيقة مبادئها التاريخية المزيفة بما كانت ترتكبه من جرائم واقعية مخيفة.

لقد كشفت نصوص سارتر عن حرب كلامية بعد أن نُشرت في الفترة الواقعة ما بين مارس 1956 وأفريل 1962، وشجاعة نادرة فقد كانت حياة الفيلسوف مهددة، وقد تعرض منزله في شارع بونايرت للتخريب مرتين من قبل منظمة الجيش السري، وفي سنة 1957 نشر الكاتب التونسي ألبير ميمي كتابه

1 Mohammed Harbi, "Une conscience libre", les temps modernes, Paris, octobre-décembre 1990, P1034.

2 بتقة، مرجع سابق، ص 64. 65.

3 عمراني، سارتر والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 147.

"صورة المستعمر" "Du portrait colonisateur" الذي سبق "صورة المستعمر" "portrait du colonisé" ظهرت أولى مضامينه في مجلتي "الأزمة الحديثة" و"فكر"، كما أفرد له سارتر مقال في العدد الصادر شهر جويلية أوت من مجلته، ثم استثمر فيها فيما بعد كمقدمة لكتاب ألبير ميمى، وقد استفاد فيها سارتر عبر سطورها مهتما بقضية العنف، التي سبق أن تطرق إليها شهرا سابقا في مقاله "الاستعمار عبارة عن نظام"، مؤكدا على ما يلي: "نجح الاجتياح بالعنف والاستغلال المفرط والقمع مما يقتضي تحذير القهر بالحضور العسكري... لقد رفض الاستعمار، تطبيق مبادئ حقوق الإنسان على أشخاص أخضعهم قسرا، كي يقيمهم بين ثنايا البؤس والجهل، أو كما يقول ماركس أن يظلموا أوباشا"، حيث تندرج العنصرية مع الوقائع نفسها والمؤسسات، وكذا طبيعة التبادلات والإنتاج¹.

إلى جانب المضطهد والمضطهد الذي أوردته مجموع المقالات الساتيرية، يضاف إليها ضمينا حسب محمد حربي مفهومان المستعمر والمستعمر، سيتبلور القمع الاستعماري في الآن ذاته، اقتصاديا وإيديولوجيا، وبالتالي هيمنة تيمى "الإنساني" على عمق الكتابات التي خصصها سارتر لحرب الجزائر، يأخذ هذا العنف مناحي طغيانية مختلفة، استحضرها الفيلسوف ثانية، غداة توقيع اتفاقيات إيفيان شهر 1962، لذلك نقرأ في مقاله "المشاة النائمون" تلك المرارة، وتتأني حالة اللاإنسانية بالنسبة لسارتر من أن المستعمرين بقوا محكومين بواسطة نظام قمعي، لا يختلف عن التعامل مع الحيوان، يُترجم عمليا سواء بإنكار القانون والثقافة، أو كل ما يتعارض مع مبدأ حقوق الإنسان التي ترددها دولة فرنسا،² بل عبّر أيضا عن غضبه الشديد قائلا: "ينبغي القول، أننا نلاحق وهم السعادة فمئذ سبع سنوات تُجسّد فرنسا صورة كلب مسعور، يجر قدرا بذيله، ويزداد هلعا يوما بعد يوم، نتيجة ما يحدث بذاته من صخب وضجيج لا أحد ينكر اليوم، أننا توخينا تخريب وتجويع وتقتيل شعب مغلوب على أمره، كي نركعه، لكنه بقي صامدا.

لم تكن معركة سارتر فقط معركة كتابه بل معركة المثقف الملتزم التي تجسدت على كل الجبهات حيث قادته الأحداث، فقد ساهم في عدة لقاءات من أجل السلم في الجزائر، في جوان 1960، وفي ديسمبر 1961 بروما، كما شارك في مظاهرة صامتة في أول نوفمبر 1961 المننددة بمجازر 17 أكتوبر 1961 إلى مظاهرة فيفري 1962 محتجا على القمع الدموي في ميترو شارون، كما أدلى بشهادته في جل محاكمات حاملو الحقائق، والمعروفة بمحاكمة شبكة جونسون، يصرح سارتر: "استعملوني كما تشاءون" ثم أضاف اسمه إلى توقعات ما عرف ببيان 121، قبل أن يطير باتجاه أمريكا اللاتينية حيث يعرف هناك احتضانهم لقضية استقلال الجزائر، وكغيره من المثقفين الفرنسيين الذين دعموا الثورة الجزائرية وساندوا استقلال الجزائر ورفضوا كل أساليب الاستعمار الهمجية وسياسته القمعية تعرض سارتر لمضايقات

1 نفسه، ص 62. 63.

2 بتقة، مرجع سابق، ص 63.

وتهديدات، فقد هتفت أصوات المحاربين القدامى في مظاهرة نظمت في أكتوبر 1960، بعبارات "اعدموا سارتر" والذين سيقدمون على تخريب شقته في مناسبتين، جويلية 1961 وجانفي 1962.

ساهم بعض المفكرين الفرنسيين في هز الرأي العام لإيجاد حل سياسي يكون كفيلا بوضع حد لإراقة الدماء في الجزائر، خاصة المقربين من القادة الاشتراكيين أمثال جون بول سارتر، أندريه ماندوز، وروبرت بارات، ريمون آرون، لقد أعلن العديد من المثقفين الفرنسيين عن تعاطفهم مع القضية الجزائرية، ومساندتهم لها بعد الجرائم التي استهدفت السكان الأصليين في البلاد¹، إن هذه المقاومة قد تولدت عنها أدبيات ملتزمة نشرت في العديد من الكتب المفصلة، وكتاب "مأساة الجزائر" للكاتب اليميني " ريمون أرون" الذي تحرك ضميره للقضية الجزائرية خير مثال على ذلك، والذي يسرد فيه الوضعية المتدهورة في الجزائر وواقع الجزائريين الصعب والكارثي والأحداث الأليمة التي كانوا يعيشونها يوميا، مُنددا بالتعذيب والسياسة الفرنسية المتدنية.²

وهذا يعني أن سارتر كمثقف وجب عليه أن يلتزم ويقبل هذه المسؤولية الاجتماعية التاريخية التي جعلته يوضح قائلا: "...إنهم يعتقلون هنا، وهناك بالمصادفة كل مسلم قابل للاستجواب طوعا، إلا إذا قدموا شهادة كاذبة أو اتهموا أنفسهم مجانا بجريمة ما تخلصنا من العذاب، أما أولئك الذين يستطيعون أن يتكلموا، فمن المعلوم أنهم يصمتون كلهم أو جلهم، فلا أدين ولا علاق ولا غاروج قد فتحوا أفواههم، ولا شك أن جلادي الأيبار أوسع معرفة هنا في هذا الصدد".³

في بداية الثورة التحريرية لم يكن سارتر يدرك بمسألة تعذيب الجزائريين الذين طُبِّقَ عليهم مختلف أساليب القمع، وتدرجيا أصبح يعي ويدرك حقيقة واقع التعذيب في الجزائر كبقية المثقفين⁴، ففي سنة 1959 كتب روايته المسرحية بعنوان "موتى بلا قبور" "Morts sans Sépulture" التي كانت بدون بطل على الرغم من أنها كانت بطولية، وقد وصفت سيمون دي بوقوار "Simone De Beauvoir" الوضع والظروف التي كتب فيها سارتر هذه الرواية وقالت: "لقد فكر سارتر بعمق في التعذيب لمدة أربع سنوات كاملة وحده وأيضاً مع أصدقائه حيث خطرت بباله معظم الأفكار لكتابة هذه الرواية"، وبعد تسع سنوات من كتابتها وجد هذه المرة سارتر البطل الحقيقي "هنري علاق" الذي قاوم بشجاعة وإرادة أساليب التعذيب المطبقة عليه من طرف الجيش الفرنسي، وعن طريقه أدرك حقيقة التعذيب المفروضة على الشعب الجزائري وندد بهذه الطرق المتوحشة والبشعة التي تقلل من قيمة الإنسان وتجعله مثل الحيوان عند موته.⁵

1 جان بول سارتر، مواقف مناهضة للاستعمار، مصدر سابق، ص55.

2 Rimond Arond, la tragédie algérienne, 2dition ANEP, Alger, 2006, p 10-15.

3 جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: عائدة وسهير إدريس، دار الأدب، بيروت، 1975، ص61.

4 نور الدين عسال، المثقفون الفرنسيون والتعذيب، مجلة البوابة الجزائرية للمجلات العلمية، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، ص16.

5 عمران، مرجع سابق، ص ص 98.99.

ويعترف أحد الجلادين بالقول: " بعد أشهر من ممارستي للتعذيب أصبحت أعرف الحالة التي يكون فيها المعتل مرهقا واللحظة التي لا يستطيع بعدها المقاومة، وفي هذا الوضع لا بد أن لا أتخلى عنه واستعمل كل الأساليب في الحصول على معلومات . الضرب . التهديد بالموت بمسدس في اليد...¹، كما أجرى "سارتر" تحليل عميق لنفسية الفرنسيين اتجاه القضية الجزائرية، وأكد أن هذه النفسية هي خاضعة لحملة الدعاية والتضليل والتزييف التي تشنها السلطات الفرنسية².

لقد مثل سارتر شخصية ثقافية هامة من العيار الثقيل داخل المجتمع الفرنسي، حتى أن الرئيس "ديغول" قد تجنب تسليط العقوبة عليه مثلما فعل مع موقعي بيان 121 وشبهه بـ"فولتار" في رده على من كانوا يطالبون بسجنه، وهو دليل على الاحترام الذي كان يكنه لسارتر رغم مواقفه حيث اعتبره أحد رموز الثقافة في فرنسا.³

2. جاك فيرجاس Jacques Vergès:

يعتبر من أشهر وأنشط المحامين الفرنسيين المدافعين عن المناضلين الجزائريين، حتى أصبح عضواً بجبهة التحرير الوطني بفرنسا، ظهر على مسرح الأحداث نتيجة الظروف التي كانت تمر بها الثورة الجزائرية وراح يفصح السياسة الاستعمارية لتأليب الرأي العام الفرنسي والعالمي من أجل نصرة الجزائر المحتلة، وكان صوته يصدح في المحاكم الفرنسية رافضاً دفاع التواطؤ الذي يهدف إلى تخفيف العقوبات الجنائية لموكليه، مفضلاً وضع إستراتيجية جديدة مع فدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني للدفاع عن مناضلي القضية الوطنية الذين يتم تحويلهم إلى المحاكم الفرنسية، ومن موكليه الذين دافع عنهم وعن براءتهم المناضلة "جميلة بوحيرد" التي كانت متهمه بتفجير مقهى وخارجة من تعذيب المخابرات الفرنسية.

لقد جسدها بكتاب عنوانه "من أجل جميلة" حيث وثق فيه تقارير الطببة الفرنسية "جنين بلخوجة" التي أشرفت على علاجها في السجن لتثبت ما تعرضت له بوحيرد من تعذيب جسدي ونفسي وجنسي، وعلى الرغم من حكم الإعدام الذي صدر بحقها، إلا أن فيرجاس دافع عنها حتى أثبت براءتها⁴، وبعد أن خرجت من السجن 1956 أصبحت زوجته⁵، وقد رفض التعذيب الذي كان يُمارس ضد الجزائريين ورفع رفقة بعض زملائه عدة دعاوى ضد الجلادين الذين مارسوا التعذيب باعتباره جريمة ضد الإنسانية⁶، وألّف كتابه "جرائم الدولة" الذي تحدّث فيه عن التعذيب والسياسة القمعية الفرنسية في الجزائر⁷، وكل هذه

1 رشيد زويير، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1956 . 1962، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص29.

2 عبد الكامل جوييه، قضايا الثورة الجزائرية في مجلة الآداب البيروتية 1954 . 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص202.

3 طالب مناد، مرجع سابق، ص 280.

4 Jacques Vergès, la colonisation en procès, ministère de la culture, Alger, 2009, p32.

5 رشيد خطاب، مرجع سابق، ص 330-331.

6 رشيد زويير، مرجع سابق، ص 88.

7 جاك فرجيس، جرائم الدولة - الكوميديا القضائية، تر: حسين حيدر، دار عويدات، لبنان، 2004، ص80.

الشهادات عن حقيقة الوضع في الجزائر وعن السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين وإن كان صداها محدود في ذلك الوقت إلا أنها ساهمت في تحسيس بعض الأوساط بضرورة إيجاد حل جذري للمشكل الجزائري.¹

إذن وعلى خطى باقي المثقفين الفرنسيين المعارضين للسياسة الاستعمارية جاهر رجل القانون الفرنسي " جاك فرجاس" الملقب بـ " العم منصور" بالنقد اللاذع لجميع الممارسات اللاإنسانية الفرنسية في الجزائر، مُعلنًا رفض الصريح للواقع الاستعماري القائم على الظلم والاستبداد، حتى وصلت به درجة القناعة بعدالة القضية الجزائرية إلى تولي مهمة الدفاع عن جنود جيش التحرير الوطني أمام المحاكم الفرنسية سواء عسكرية أو مدنية، لأنه حسب قناعاته من غير المنطقي أن تتم محاكمة من يكافح من أجل غاية نبيلة ألا وهي الحرية، ومن هذا المنطلق فإن المحاكمات الفرنسية في حق الجزائريين ظالمة وغير شرعية ولا تستند إلى أية أسس قانونية، وقد ذكر في هذا السياق: " إنه الوضع الاستثنائي الذي حرم المتهمين الجزائريين من كل الضمانات، سواء تلك المتعلقة بالقانون العام أو القانون الدولي الإنساني الذي تنص عليه اتفاقية جينيف".²

3. هنري علاق Henri-Alleg:

هو صحفي فرنسي يعتبر من أشهر المثقفين الفرنسيين المساندين للثورة الجزائرية والمعارضين للسياسة الفرنسية المطبقة ضد الجزائريين والمساهمين في التعريف بالقضية الجزائرية، انضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري وأصبح عضوا دائما فيه عند زيارته الجزائر التي سيلتقي فيها بزوجته "جيلبرت سيرفاتي" "Gilberte Serveti" والتي ستنضم هي الأخرى إليه في دعم القضية الجزائرية ومساعدة الثورة التحريرية، اشتغل مديرا لجريدة الجزائر التي كانت تندد بالبؤس والظلم والتمييز الذي يتعرض له الجزائريون وتهاجم كبار المستوطنين³، كما عُرفت بمواقفها المنددة والفاضة للاستعمار وكانت تفتح صفحاتها إلى كل مؤيد لاستقلال الجزائر.

مما أزعج الإدارة الفرنسية فألقت القبض على كثير من مسؤولي الجريدة⁴ بعد أن اعتبرتها غير قانونية وكان منهم "هنري علاق" الذي أُعتقل في 12 جوان 1957 من طرف فرقة مضليي المجموعة العاشرة في الأبيار لمدة شهر، ذاق خلالها أنواعا من العذاب، فكانت هذه التجربة انطلاقة حقيقية "لهنري علاق" لسرد معاناته في كتابه "المسألة"⁵(الاستجواب)، أو الاستنطاق وقد ارتبط اسمه بهذا الكتاب الذي

1Jean François Sirinelli, Intellectuels et passion française, manifestas et pétition au XXe siècle, Edition Gallimard, Paris, 1990, p 321-322.

2محفوظ عاشور، "نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958"،

مجلة تاريخ العلوم، ج 01، ع 08، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، جوان 2017، ص 230.

3Henri Alleg, La question, Minuit, Paris, 2008, p179.

4 طيب ولد لعروس، "المناضل الفرنسي هنري علاق وثورة التحرير الجزائرية"، مجلة الموروث، ع 2، مكتبة العالم العربي، ص 141.

5 Henri Alleg, op. cit , p06.

مُنع عند صدوره بسبب تناوله قضية التعذيب إبان الثورة التحريرية ولعب دورا حاسما في تغيير موقف الرأي العام الفرنسي الذي بدأ يطالب بإنهاء الحرب في الجزائر.¹

كان "علاق" أيضا يشرف على تنظيم فترات تربية سياسية تربصية في قسنطينة وعنابة ووهران وفي عدة مدن أخرى التي كان يقيم فيها لعدة أسابيع، وفي سيدي بلعباس وسطيف وباتنة وتبسة قال أنه كان يندمج في العمل المحلي والجهوي ويشارك في الاجتماعات والتظاهرات والإضرابات والحملات الانتخابية²، كما كان يوزع الجرائد على أكبر عدد ممكن من القراء مُتحدّيا الصعوبات والعراقيل ومُتجاوزا لحواجز الشرطة التي كانت حريصة على غلق مدخلي الجريدة وإجراء عمليات حجز واسعة بهدف منع وصول هذه الجريدة إلى أي قارئ أو مناضل، ويؤكد هنري علاق أنه ورغم كل تلك العراقيل التي كانت السلطات والشرطة الفرنسية تضعها إلا أن أعداد الجريدة كانت تتسرب وتصل إلى متابعيها من القراء ولا يفهم أفراد الشرطة كيف يتم ذلك³.

روى "هنري علاق" كيف تم تعذيبه بالماء من طرف السلطات العسكرية في الأبيار فذكر قائلا: "بعدها تم ربطني في لوحة مستوية أخذوني إلى الحنفية ووضعوا الأنبوب المطاطي في فمي بعد إيصاله بالحنفية، ثم قاموا بتغطية وجهي بمنشفة وفتحوا فمي بواسطة قطعة من الخشب حتى لا أتمكن من غلقه أو أسقط الأنبوب، ثم فتحوا الحنفية والماء يسيل في كل اتجاه في أنفي وفمي ووجهي فشعرت أنني أغرق في غيبوبة وهو الموت بذاته"⁴، كما منعه من الأكل والشرب ووضعوا له الكهراء داخل فمه حتى نشف ريقه، وجربوا معه أيضا التعذيب بالنار والتعطيش والإهانة، ثم يتكلم عن الأصوات التي كانت تصله جراء تعذيب الجزائريين ووصف الحالة التي تغزو المكان بوحشيتها دون رافة إنسانية⁵، كما تحدث في كتابه عن مقتل صديقه "موريس أودان" "Maurice Audin" من طرف أحد الجلادين وهو "شاربونييه" "Charbonnier" الذي طلب منه أن يكون على استعداد، ثم نادى رجاله لتحضير موريس أودان والدكتور جورج حجاج لكنه كان مقتنعا بأنه مستعد لدفع الغالي النفيس من أجل رفاقه في النضال.⁶

4. فرانتز فانون Frantz Fanon:

إن الأبعاد القومية والدينية والإنسانية للثورة الجزائرية من خلال نصوصها الأساسية بيان نوفمبر وميثاق الصومام وطرابلس جعلتها نموذجا حيا لحركات التحرر بالعالم الثالث نظرا لما تحمله من قيم وأبعاد

1 باعلي حفناوي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين، منشورات دار البازوري العلمية، د ت، ص 324.

2 Henri Alleg, op. cit, p151.

3 Ibid, p 207-208.

4 Henri Alleg, op. cit, p 232-241.

5 الطيب ولد العروس، مرجع سابق، ص 143.

6 Henri Alleg, op. cit , p245

وآمال مشتركة حيث يذكر "فرانز فانون"¹ في هذا الصدد في تقديره لأثر الثورة وسياساتها الخارجية على المستعمرات الفرنسية في إفريقيا : " إن حرب الجزائر قد هزت التوازن الاستعماري هذا عنيفا في إفريقيا فلا يوجد في إفريقيا جهاز واحد لم تدخل على أجهزته تغييرات قرأت حسابا لحرب الجزائر"²، فكان لها فضل كبير في يقظة الكثير من الشعوب حيث غيرت مصير الكثير من الشعوب المضطهدة ومكنتها من رفع التحدي أمام الاحتلال الظالم والتحرر منه ومن سياساته الجائرة التي طالت كل المجالات.

كما يذكر فانون أيضا في أهمية الثورة الجزائرية : " أنها هدمت جميع الخرافات والأضاليل الاستعمارية التي كانت بالأمس تعتبر حقائق لا تقبل الجدل، وذلك بفضل طابعها الإنساني العميق وتعلقها الشديد بالحرية، وهي إذ تقرر تحرير التراب الوطني ترمي في الوقت نفسه إلى القضاء قضاء مبرما على مجموع هذا الاستعمار لتحل محله نظاما إنسانيا ومتجمعا جديدا، ولذلك سيكون تحرير الجزائر هزيمة للعنصرية، ولاستغلال الإنسان للإنسان، وسيكون بداية لعهد تسوده العدالة الاجتماعية".³

لقد مثل "فرانز فانون" أحد أهم المواقف الفرنسية المثقفة المتضامنة مع الثورة التحريرية والمساندة لكفاح الشعب الجزائري، خاصة بعد أن وقف عند حقيقة التجاوزات الإنسانية للاحتلال الفرنسي في حق الشعوب المستعمرة عامة وفي حق الجزائريين بشكل خاص، وقد قرر التوقف بشكل نهائي عن مواصلة أداء واجبه كطبيب معالج للأمراض العقلية بمستشفى البلدية في 1956، وانضم عن قناعة تامة وباختيار حر وإرادة قوية إلى صفوف الكفاح المسلح الجزائري ومساندة ودعم القضية الجزائرية بكل إمكانياته وخبراته المتعددة، ليقرر عام 1958 انضمامه النهائي وبشكل رسمي إلى الثورة الجزائرية، وقد استفادت هذه الأخيرة من تجاربه السياسية والفكرية التي اكتسبها طيلة مساره النضالي في الكفاح من أجل الفئات المستضعفة، وتجسدت لمسته بوضوح في المسيرة التحريرية للعمل الثوري في الجزائر ضمن ما عرف بـ "تجارب فرانز فانون في الفكر والممارسة الثورية".⁴

عانق النضال من أجل استقلال الجزائر وصار عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تشرف على الجهاد السري، وقد اشتهر قبل ذلك بعدة عناوين منها "جلد أسود" "Peau noir"، "أقنعة بيضاء" "masques blanc"، "السنة الخامسة من الثورة الجزائرية"⁵ "L'An de la révolution"، وكتاب "المعذبون في الأرض" "les damnés de la terre" الذي أما يعتبر دراسة نموذجية عن المقاومة

1 فرانز فانون (1925. 1961): من جزيرة المارتينيك في أرخبيل الأنثيل وهي مستعمرة فرنسية منذ 1635، انتقل فانون بعد الحرب العالمية الثانية إلى فرنسا لمواصلة دراسته في الطب، وهناك كتب كتابه الشهير "بشرة سوداء أقنعة بيضاء"، ثم انتقل للعمل كطبيب في البلدية وانضم إلى الثورة وعمل ككاتب في جريدة المجاهد من 1957 إلى 1961 = محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 18. 22.

2 فرانز فانون، من أجل إفريقيا، تر: محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 152.

3 فرانز فانون، من أجل إفريقيا، مرجع سابق، ص ص 47. 48.

4 نور الدين عسال، مرجع سابق، ص 14.

ضد الاستعمار، حيث وصف بدقة آليات العنف التي وضعها الاستعمار لإخضاع الشعب المضطهد، في المقدمة يؤيد سارتر دون تحفظ أطروحات فانون، ويعيد صياغتها بأسلوبه المتميز : "...أعطي الأمر لإبعاد السكان من الأراضي الملحقة لتبرير معاملة الكولون مجملا لهم كحيوانات، العنف الاستعماري لا يهدف فقط إلى إذلال هؤلاء الرجال المضطهدين وإنما يسعى إلى جعلهم يتجردون من كل خصوصيات البشر، لا شيء يمكن أن يحول دون تصفية تقاليدهم واستبدال لغاتنا بلغاتهم، وتدمير ثقافتهم، دون أن نعطيهم ثقافتنا إننا نعمل على جعلهم حيوانات ونرهقهم بالإجهاد، كما استحضّر مصطلح الحيوان في موضوع التعذيب الممارس من طرف الجلادين يقول سارتر: "الأمر العاجل، إذا بقي هناك وقت إذلال ضحاياهم، واقتلاع الكبرياء من قلوبهم ثم الانحدار بهم إلى مصاف الحيوان.

لقد قام "فانون" بتشريح الظاهرة لاستعمارية من الناحية النفسية والتاريخية وخلص إلى أن جوهر التفكير الاستعماري يقوم على الاستعلاء والاستغلال والقمع، ولا سبيل لعلاجها إلا بالعنف والسلاح مُبررا بذلك استعمال العنف الثوري للتخلص من الاحتلال، وقد أيدّه في ذلك فرانسيس جونسون حيث ثنا على فانون بعد وفاته في سن 36 سنة وكتب قائلا: "هذا المارتينيكي الذي صنعت منه ثقافته الفرنسية إنسانا ثوريا جزائريا، سوف يظل في نظرنا مثالا حيا للسمو الإنساني الذي لم نعرف له مثيل...لو كنت ممن يؤمنون بالجنة لقلت متأكد إن فرانز فانون ينعم الآن فيها صحبة أولئك "المعذبين في الأرض" الذين قاسمهم آلامهم والذين هم الآن مثله في عداد الموتى بعد أن حصدهم جور الاستعمار".¹

5. مواقف بعض رجال الدين المسيحيين:

عبر بعض رجال الدين المسيحيين عن عدالة القضية الجزائرية وصدق أهدافها وعن قلقهم إزاء الأوضاع الكارثية التي آلت إليها الأوضاع في الجزائر، محمّلين الحكومة الفرنسية مسؤولية ذلك داعين إياها إلى التحلي بالضمير الإنساني وتحسين الأوضاع المعيشية للجزائريين، وقد ورد في هذا الصدد : "وكما قلناه عدة مرات، فمن المستعجل زيادة الجهود في مكافحة الفقر والبؤس والبطالة، كما يجب الحفاظ على روح المحيط، ونؤكد ضرورة رفع مستوى المعيشة"²، كما أنهم اعتبروا أن السياسة الاستعمارية المجحفة والممارسات القمعية للفرنسيين ضد الجزائريين الأبرياء هي إهانة للعقيدة المسيحية.

عبر الكثير من رجال الدين المسيحيين عن تضامنهم المطلق مع الثورة التحريرية رغم منع القوانين لذلك بحكم فصل الدين عن الدولة، فعارضوا بذلك الموقف الرسمي للكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية³، وأعلنوا معارضتهم للرأسمالية الإمبريالية، كما اعتبر العديد منهم أن قهر الشعب الجزائري قد تزايد بشكل خطير منذ الثامن ماي 1945 بطريقة منظمة ومقصودة من قبل أجهزة الحكومة الفرنسية ما أدى إلى زاد من

1 ماري بيار أولوا، فرانسيس جونسون الفيلسوف مرجع سابق، ص 191.

2 مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 96.

3Rachid Khettab, op, cit, p 301.

معاناته وظروفه المأساوية، وهو ما خلق غيابا تاما للعدالة الاجتماعية وانتشارا رهيبا للفقر والحرمان وفقدان لأدنى متطلبات الحياة الكريمة حين حُرِم من كل حقوقه الأساسية، وبالتالي فإن الكنيسة الكاثوليكية ترى أن هذا الحرمان والظلم هو ما تسبب في تولد ضغط رهيب لدى الجزائريين انفجر في الفاتح نوفمبر 1954 وتحمل السلطات الفرنسية مسؤولية ذلك.¹

فقد ذكر مثلا القس "بيير نغار" مسؤوليته الكاملة في تفجيره للقنبلة الإنسانية التي هزت عرش المسيحيين في مناطق أمريكا اللاتينية، بعد الإعلان الصريح عن حقيقة وقوع تجاوزات سلطوية استعمارية من قبل السلطات الفرنسية ضد الجزائريين²، وتمثل أهم المثقفين الفرنسيين المدافعين عن القضية الجزائرية من رجال الكنائس في أمثال "شاولي" "Choulet" "سكوتو" "Scotto"، "ديكليريج" "Declereg"، "جوتون" "Gauton" "أودان" "Audin" "ماندوز" "Mandouze"، بل وحتى بعض اليهود أمثال "تسميت" "Tismit"، "بيران" "Perrin"، "يفيتون" "Yveton"، "لافليت" "Lavlette"، "مين" "Mine"، وغيرهم فمنهم من ندّد بأساليب التعذيب للجلادين الفرنسيين ضد الجزائريين، بينما فر آخرون بأمتعتهم وأسلحتهم معارضين سياسة فرنسا وعازمين على مساعدة الثورة وعلى تطوير إمكانياتها، يقول صاحب كتاب "معذبو الأرض" "فرانز فانون" "Frantz Fanon": "في كل مرة يجب أن تكون كرامة الإنسان وحرية قيد البحث، الجميع سيكون معنيا الأبيض، الأسود، والأصفر".³

أما الكاردينال "دوفال" فقد قام بإرسال رسالة إلى أساقفة مدينة الجزائر في 20 جانفي 1955، ودعاهم من خلالها إلى التوحد في مواجهة سياسة الإبادة الفرنسية المنتهجة ضد الجزائريين، واستنكار هذه الممارسات الهمجية التي تقوم بها السلطات الفرنسية لأنها لا تمت بصلة لمبادئ الأمة الفرنسية، كما تضمنت الرسالة نقدا لاذعا لسلطات الاحتلال في الجزائر على ممارستها لسياسة التعقيم والتضليل لإخفاء الجرائم المرتكبة ضد الجزائريين ومن بين ما جاء فيها: "...لسنا عميانا ولا طرشا ولا منكمشين في كنائسنا، بالعكس إننا نعرف كل ما يجري، فالكثير من جنودنا يأتون للاعتراف ويحكون لنا كل شيء بالتفصيل، عن الأشخاص الذين يعذبونهم والنساء اللاتي يهتكون أعراضهن..."⁴، وقد كانت لهذه الرسالة صدى كبير وردود أفعال متباينة خاصة في الأوساط الإعلامية الفرنسية والعالمية على حد سواء.⁵

1 Pierre Houart, L'attitude de l'église dans la guerre d'Algérie 1954 – 1960, le livre Africain – Bruxelles, 1960, p13.

2 نور الدين عسال، "الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية والتعذيب إبان الثورة التحريرية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج3، ع2، جامعة الجبالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، د ت، ص269.

3 سليم بركة، مرجع سابق، ص60.

4 نور الدين مقدر، التعذيب الاستعماري في الجزائر خلال الثورة التحريرية بين المعطى القانوني والتعنت الاستعماري، الملتقى الدولي للثورة التحريرية الكبرى دراسة قانونية وسياسية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ماي 2012، ص205.

5 سمير شوقي، "التعذيب كأسلوب ممنهج أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر"، مجلة حوليات، جامعة الجزائر 01، ج02، ع33، الجزائر، جوان 2019، ص17.

وقد ذكر في محتوى الرسالة قوله: "أنا لا أحترم بشكل كاف استقلال القضاء، بعد أن انتهت محاكمة قدمت للمحكمة مع كاهن، وعدد معين من المسيحيين... التزمت الصمت لعدم إعطاء الانطباع ببيان ربما وجد البعض أنه من غير المناسب عدم احترام العدالة، إن الاتهام بالتقدمية خطير للغاية وأن اتهام شخص ما دون دليل هو العودة إلى رئيس الأساقفة الذي يتابع أنهم كانوا ضحايا في الآونة الأخيرة لجميع أنواع الافتراء، حتى الراهبات لم يسلمن في الفترة المضطربة للغاية التي نمر بها، من واجب كل رجل تجنب العنف الجائر حتى بالكلمات، ويجب على الجميع، في أفكاره وأحكامه، أن يهتموا بالموضوعية الصارمة، ويختتم الأسقف "دوفال" قوله مهما كانت الأخطاء أو التصرفات غير الحكيمة التي ارتكبت - وليس لي أن أقول إن هناك أخطاء أو تجاوزات ارتكبت، لأنني إذا احترمت استقلال العدالة، يجب أن أحترم أيضًا أن أحد الشروط الأساسية لحل المشاكل الجزائرية وهو الجهد المخلص للجمع بين العائلات الروحية التي لطالما كانت مهمة برؤية العلاقات قائمة بشكل متزايد بين مختلف عناصر السكان الجزائريين... ستكون التوجهات القضائية ثمرة العديد من الاتصالات الأخوية التي تسمح للجميع بالتعبير عن أنفسهم بغضب، ويجب أن تكون القاعدة المطلقة لهذه الجهود هي البحث غير المهتم عن الصالح العامل في مجتمع أخوي حقيقي".¹

كما نجد أيضا الراهب "دافيزي" "Davezies" الذي تطورت جهوده خاصة بعد أن مُنح اسما مستعارا هو "مارتان" "Martin" رفقة إخوته حتى أصبح متكفلا بتأمين عبور مناضلي الفدرالية بين الحدود الفرنسية والإسبانية، ثم تطورت جهوده سنة 1958 حتى أصبح مسؤولا عن جمع وتحويل الأموال مثل "كوربال"، لذلك شكّل شبكة خاصة به، تتكون بشكل خاص من العنصر النسوي على غرار "بول بولو" "Paule Poli"، "انطوانيت أورهانتي" "Antoinette Orhante"، "آن لودوك" "Anne Leduc"، "مونيك لومي" "Monique Lemeé".²

تحدّى "Davezies" مذكرة الاعتقال التي صدرت في حقه وواصل مساندته لفدرالية "ج.ت.و" بطريقة سرية، ثم غادر فرنسا والتحق بمسؤولي الفدرالية بمدينة "كولونيا" الألمانية أثناء قيادة "بوداود" لها، وبعدها توجه إلى تونس لزيارة مخيمات اللاجئين الجزائريين هناك وتقديم يد المساعدة لهم، وبعد مكوثه هناك فترة من الزمن عاد إلى ألمانيا مجددا وألّف كتابا حمل عنوان "الجبهة" في 02 أكتوبر 1959 وضح من خلاله قوة التفاف الجزائريين حول ثورتهم، وقد تمت ترجمته إلى عدة لغات حتى يفهمه أكبر عدد من القراء ما جعله يُحدث ضجة واسعة في أوساط القراء من مختلف البلدان بعد أن كشف الأكاذيب الفرنسية وفنّد كل ادعاءاتها بوجود ممثلين آخرين للشعب الجزائري غير "ج.ت.و"، ويؤكد بما لا يدع مجالا للشك

1Un important mandement de l'archevêque d'Alger, C'est dans un climat d'amitié que les problèmes les plus difficiles peuvent être résolus, (MNT), Sé K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

2Djarbel, op,cit, p153.

باعتباره كان شاهد عيان عاش بين فئات واسعة من هذا الشعب بأن الجبهة هي ممثلهم الشرعي والوحيد ومن دون أي منافس أو منازع.

غير أن مسيرته النضالية توقفت يوم 29 جانفي 1961 حين أُلقي عليه القبض في مدينة "ليون" الفرنسية وأودع سجن "فران" وبعد سنة كاملة تمت محاكمته في الفترة ما بين 09 إلى 12 جانفي 1962 في باريس وحُكم عليه بثلاث سنوات سجن¹، ولم يثنه ذلك من مواصلة الكفاح والإصرار على نضاله لصالح الثورة التحريرية حيث قال مقتنعا بما قام به مقولة مشهورة: "لقد فهمتُ اليوم أن الرجال بإمكانهم أن لا يكونوا لعبة لأي مصير، وأن لهم الحرية التامة والقدرة الكاملة على صناعة تاريخهم إن هم أرادوا ذلك"²، ولقد ظلّ مسجوناً ولم يطلق سراحه إلا بعد انتهاء حرب الجزائر.

دافع العديد من الرهبان والقساوسة عليه ومنهم القس "جورج كاسيالييس" الذي ذكر قوله: "ليس بوسعي أن أجد نفسي أمام محكمة دون أن أفكر مقتنعا بأن عقيدتنا المسيحية إن لم تكن هما نحمله في واقنا فإننا سنجد أنفسنا يوما ما مجتمعين ومتخاصمين أمام محكمة المسيح"³، كما ذكر أيضا في موضع آخر مخاطبا القادة ورجال القانون الفرنسيين: "أعرف جيدا أنه من الصعب عليكم أن تحكموا بالحق لأنكم في الحقيقة موزعين بين القانون البشري الذي يعتبر نسبيا ومؤقتا وقانونا عابرا، غير أن قانون المسيح هو قانون دائم وأبدي"⁴.

تعدّدت الخدمات الجليلة التي قدمها هؤلاء الرهبان لفدرالية "ج.ت.و" بفرنسا بين تسهيل المرور عبر الحدود وتوفير وثائق هوية مزورة وكذا الإيواء والسكن لمناضلي الفدرالية من خلال تحويل مساكنهم إلى مقرات خاصة لاجتماعات الفدرالية، وإذا لم يتمكنوا من ذلك خوفا من أية شبهة تلفت انتباه عناصر الشرطة الفرنسية فإنهم يقومون باستئجار شقق على حسابهم الخاص لعقد اجتماعات مناضلي الفدرالية أو إخفائهم عن أعين الشرطة إما في تلك المساكن والشقق أو نقلهم بسياراتهم الخاصة، رغم كل التحديات والصعوبات التي تعرضوا لها كالتهديد والاعتقال والاستنطاق والتحقيق، مثلما حدث لإخوة القس "دافيزي" حين تم اعتقال أخوه "جان" "Jean Davezies" وأخته "جونفياف" "Geneviéves" من طرف "دي. أس. تي" "D.S.T." وقد أودع "جان" سجن "لاسونتي" "La santé"، في حين وضعت "جونفياف" في سجن "لابوتيت روكات" "La petite Roquette"⁵.

لقد قدمت هذه الطبقات الفرنسية المثقفة الكثير من الجهود الميدانية ذات الفعالية للثورة الجزائرية مثل إخفاء المناضلين جمع التبرعات، الدعاية الإعلامية تعريف بالقضية الجزائرية وغيرها من الأعمال والمهام

1 هرفي هامون وباتريك رومان، مرجع سابق، ص 113.

2 Sybille Chapeu, op, cit, p164 - 166.

3 بوعلام نجادي، الجلاّدون 1830 . 1962، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، د ت، ص 208.

4 مارتن ستيفن غراند مرجع سابق، ص 125.

5 Raphaël Branche, L'embuscade de Palestro, Algérie 1956, Editions Casbah, Alger, 2011, pp143 – 144.

التي نهضت بها أعداد كبيرة من المثقفين الفرنسيين لصالح الثورة الجزائرية خاصة والقضية الإنسانية عامة¹، وأعلنوا التزامهم المباشر مع كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال فساهموا كثير في التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الرأي العام سواء الفرنسي أو العالمي لصالحها، مُخاطرين بحياتهم من أجل حرية الجزائريين²، ومساعدتهم في قضيتهم العادلة وفي حريتهم القاسية من أجل الكرامة الإنسانية والحرية³. ورغم كل تلك الملاحقات والضغوط والتهديدات المستلطة على هؤلاء المؤيدين للثورة الجزائرية سواء من السلطات الفرنسية الحاكمة أو من طرف الفئات المساندة لها والمناهضة للقضية الجزائرية بالرغم من إدراكها بعدالتها وإنسانيتها إلا أن موقف هؤلاء المؤيدين لعدالة الثورة والقضية الجزائرية ظل ثابتا واستنكارهم لتجاوزات ووحشية السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين ظلت مستمرة.

وفي هذا السياق نُقِشت عبارة الأسقف "دوفال" الذي ظل ثابتا مساندا للقضية الجزائرية وثورتها والتي قال فيها: "حق الإنسان في الحياة، لا يتوافق مع ممارسة التعذيب والإعدام بلا محاكمة"⁴، وبسبب الخوف من الملاحقات الإدارية الفرنسية فإن أغلب تلك المهام والمساعدات كانت تتم بتكتم وسرية لإبعاد الشكوك الشرطة الفرنسية على هؤلاء المثقفين باعتبارهم فرنسيين، عكس الجزائريين الذين كانت عليهم الرقابة البوليسية والعسكرية الفرنسية شديدة وخاصة المهاجرين القاطنين بالتراب الفرنسي⁵.

إن هذا الدعم الذي ساهمت به هذه الفئة المثقفة بموقفها الإيجابي والفاعلة في المجتمع الفرنسي لم يكن سهلا البتة، بل كان مكلفا ومحفوفا بالمخاطر والعراقيل حيث تعرّض أكثر أفرادها للمضايقات والتهديدات والمتابعات القضائية والسجن والتعذيب وتخريب الممتلكات الشخصية، بل ومنهم من تعرّض لعدة محاولات اغتيال مثلما حدث مع "جان بول سارتر".

1 محمد بليل، "مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954. 1962 أمام الرأي العام البلجيكي قراءة في وثائق أرشيفية"، مجلة جيل

العلوم الإنسانية والاجتماعية، س4، ع34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017، ص10.

2 رشيد خطاب، أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص269.

3 بوعلام نجاري، مرجع سابق، ص207.

4 عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962)، ج1، منشورات مخبر الدراسات

التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص132.

5 عبد الله مقلاتي، المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص237.

الفصل الثالث

. الفصل الثالث:

سياسة الاحتواء الفرنسية لتطويق الثورة التحريرية بفرنسا وردود فعل ف.ج.ت.و.

المبحث الأول: تعميق محاور الصراع ضد فدرالية "ج.ت.و" (تفعيل دور ح.و.ج)

المطلب الأول : بداية الصراع والمتسبب الرئيسي في إشعاله.

المطلب الثاني : مراحل الصراع الجبهوي المصالي.

المطلب الثالث: مصالي من مناهضة السياسة الاستعمارية إلى مناهضة الثورة التحريرية.

المبحث الثاني: إستراتيجية ج.ت.و في الرد لإفشال المخططات الاستعمارية.

المطلب الأول: الإستراتيجية الإدارية (هيكلة وتقسيم الأراضي الفرنسية)

المطلب الثاني: الإستراتيجية العسكرية (تأسيس المنظمة الخاصة)

المطلب الثالث: الإستراتيجية الأمنية (مواجهة الحركي والخونة).

المطلب الرابع: الإستراتيجية السياسية (تنظيم مظاهرات 17 أكتوبر 1961).

المبحث الثالث: جرائم الاستعمار الفرنسي ضد الجالية الجزائرية (سياسة التهديد والوعيد)

المطلب الأول : التكتيف من إنشاء الأجهزة الأمنية ومراكز مراقبة جديدة.

المطلب الثاني : الاستعانة بالطغاة من غلاة العناصر الأمنية.

المطلب الثالث: منع التغطية الإعلامية، وتجريد المعتقلين من كل وسائل التعبير.

المطلب الرابع: الاعتقال العلني والاحتجاز السري والحرمان من أدنى شروط الحياة.

المطلب الخامس : الاستنطاق والتعذيب والإعدام.

المبحث الأول: تعميق محاور الصراع ضد فدرالية "ج.ت.و" (تفعيل دور ح.و.ج)

المطلب الأول: بداية الصراع والمتسبب الأول في إشعاله

اختلفت الظروف التي ظهرت فيها بفرنسا عند اندلاع الثورة التحريرية كل من "ج.ت.و" و"ح.و.ج"، فهذه الأخيرة كانت تتمتع بهيكله صلبة في المهجر وامتداد تاريخي كبير لدى المهاجرين ذلك أن جذورها تمتد إلى نجم شمال إفريقيا سنة 1926، بينما ظهرت الجبهة في أجواء معادية من جوانب عدة، الفرنسية من جهة، والحركي من جهة ثانية، والمصاليين من جهة أخرى، هؤلاء الأخيرين كانوا يمثلون أعضاء "ح.إ.ح.د" وبقوا أوفياء و متمسكين بشخص "مصالي الحاج"، رافضين لكل الأفكار السياسية والإيديولوجية التي دعت إليها "ج.ت.و"، ولم يكتفوا بالرفض بل أسسوا سنة 1955 ما عُرف بـ"ح.و.ج" (M.N.A) لتكون نداء عنيذا لجبهة التحرير، وقد تمركز هذا التنظيم بشكل خاص في المنطقة الباريسية وشمال فرنسا.

وقد اختلف المؤرخون والباحثون في تاريخ الثورة حول تاريخ نشأتها وتكوينها وحسب أغلب المعاصرين منهم لتاريخ الثورة فإنهم يرون أن التاريخ الرسمي لنشأة ح.و.ج هو بداية ديسمبر 1954، لأنه في هذا الشهر ظهر أول نشاط رسمي لها في الجزائر بعد اغتيال الشرطي "شنوفي" في مدينة "سكيكدة" من طرف المصاليين¹، وبعضهم يرجعونها إلى مؤتمر "هورنو" ببلجيكا من 13 إلى 15 جويلية 1954، مثل الأستاذ "سليمان الشيخ" في كتابه *L'Algérie en armes*، والأمر نفسه ذكره "علي هارون" في كتابه *الولاية السابعة*²، و"بينجامين ستورا"³.

كما يوافقهم في ذلك أيضا "رابح لونيسي" الذي ذكر أن تأسيسها كان في نهاية 1954 من طرف "مصالي الحاج" كامتداد لتنظيماته السابقة كـ"ح.ش.ج" و"ح.إ.ح.د"⁴، التي قامت السلطات الفرنسية بحلّها، في حين يخالفهما "محمد تقيّة" الذي ذكر أنها تأسست في 6 نوفمبر 1954⁵، على أنقاض ح.إ.ح.د كمنافس شرس لـ"ج.ت.و"⁶، وقد اختار لها مصالي هذه التسمية لما لها من شهرة واسعة ومكانة هامة في أوساط المهاجرين⁷.

1 جمعة بن زروال، الحركة الوطنية الجزائرية المصالية وموقفها من الثورة (1954 . 1962)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ تخصص الثورة الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2002 . 2003، ص22.

2 Haroun, op, cit, pp101 – 102.

3 Benjamin Stora, Algérie histoire contemporaine 1830 – 1988, Casbah éditions, Alger, 2006, p151.

4 رابح لونيسي، "تحولات الحركة المصالية وتفسيرها"، أعمال الملتقى حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركة المناوئة، المنعقد بولاية البلدية، يومي 24 . 25 أفريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 227 . 228.

5 محمد تقيّة، الثورة الجزائرية . المصدر . الرمز والمآل، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010، ص253.

6 الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954 . 1962) دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص142.

7 محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص196.

لقد مرّت العلاقات بين "ج.ت.و" و"ح.و.ج" بمرحلتين أساسيتين، سُمّيت الأولى بالمرحلة الدبلوماسية على حد تعبير "محمد حربي" بالنظر إلى تعدّد محاولات الصلح والاتصالات بين الجبهة والحركة وكانت خلال الأشهر الأولى لاندلاع الثورة في محاولة لتفويت الفرصة على الإدارة الفرنسية في استغلالها للوضع وتفاقم الأزمة أكثر، ثم جاءت المرحلة الثانية في المراحل اللاحقة للثورة في الفترة ما بين 1956 . 1962 وكانت في شكل محاولات من عدة أطراف لوقف العنف وحقن دماء الإخوة الأعداء داخل الجزائر وخارجها، ويمكن تسميتها بمرحلة الصراع والمواجهة الدموية مع استمرار محاولات التهذئة والتوفيق بين الطرفين في عدة مناسبات حتى مرحلة المفاوضات بين وفدي جبهة التحرير والحكومة الفرنسية. بدأ الصراع من خلفيات ذهنية من جانب المصاليين بشكل خاص حيث كانوا يرون أنهم الوريث الوحيد لـ"ح.إ.ح.د" وأن لديهم المصادقية الكاملة لحركتهم نظرا لتاريخها الطويل في المطالبة بالاستقلال¹، ومن هذا المنطلق يجب على الجزائريين أن يتحدّوا جميعا خلف الـ"ح.و.ج"، وبالرغم من أنهم لم يشاركوا في التحضير للثورة التحريرية ولا في تفجيرها²، إلا أن "مصالي" وأتباعه قد حاولوا خطف المبادرة من مفجريها الحقيقيين وهم مناضلو "ج.ت.و"، مستغلين تجربتهم في النضال على المستوى السياسي والعسكري يقول بورقعة: "كان مخطط مصالي سياسيا وعسكريا بحيث فوّض "بلهادي أولمين" للحديث باسمه في المحافل السياسية والدبلوماسية من جهة، وكلف "بلونيس" لقيادة قواته العسكرية في حربها ضد الثورة والجماهير الشعبية من جهة أخرى".³

فرض هذا الوضع على "ج.ت.و" التعامل بحذر شديد ودكاء كبير حتى تتمكّن من إقناع الجزائريين خصوصا المهاجرين منهم بفرنسا بحقيقة الوضع في الجزائر، وأنها المسؤول الأول والوحيد على الثورة والمدافع الشرس عن حقهم في استرجاع الحرية والاستقلال فتنجح بذلك في ترجيح الكفة لصالحها، فهي كانت تدرك خطورة الانطلاق في ظل الانقسام والتشتت بين الجزائريين، وهذا ما يفسّر لنا طابع الغموض والاحتراز الذي بدت به الجبهة في البداية لاسيما في الأشهر الأولى لانطلاقها، في محاولة منها لعدم المساس بالقاعدة النضالية التي كانت على دراية تامة بأنها ستتحاز لمصالي وحركته كما سبق لها أن انحازت له في صراعه مع المركزيين في الأزمة التي عرفها حزب "ح.إ.ح.د" قبل اندلاع الثورة.

يدلّ هذا بوضوح على مدى الحنكة والدهاء الذي تميّز به مناضلي الجبهة حين اعتبروا أن نجاح الثورة مرتبط لا محالة بالتعبئة الشعبية وإقناع الشعب الجزائري بمختلف أطيافه وأحزابه السياسية بضرورة الالتفاف حول جبهة التحرير، هذه الأخيرة كانت تعلم صعوبة المنافسة مع مصالي بثقله السياسي وحركته المنظمة والمهيكلّة، وسمعتة الواسعة بين القاعدة النضالية التي كانت لا تزال على قدر كبير من الوفاء له،

1Benjamine Stora, la gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie, éditions la découverte, Paris, 1991, p141.

2Pierre Montagnon, la guerre d'Algérie genèse et engrenage d'une tragédie 1954-1962, Editions Flammarion, Paris, 2004, p 239.

3 بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة...، مصدر سابق، ص303.

لهذا لم تُرد أن تسمّها بعنف، وفضّلت سياسة الهدوء واللين حتى تتمكن كمنظمة فتيّة من بناء قاعدتها الشعبية ولا تعطي فرصة للعدو لاختراق الصفوف وضرب الإخوة ببعض، حتى تنجح في أن تُرجع الوضع لصالحها وتنطلق حينها للقضاء على كل مخالفيها مهما كانت مكانتهم النضالية السابقة ونظرة الشعب إليهم، لأن هذا الأخير سيدرك أن الولاء للوطن أولى من الولاء للزعامات والأشخاص.

بتطور الأوضاع المحلية والعالمية تطورت معها العلاقة وتحوّلت من سياسية دبلوماسية إلى عنف وصدام وعمليات مسلحة وهذا باتفاق أغلبية المؤرخين، خصوصا أن الأشهر الأولى لاندلاع الثورة كان يصعب التمييز بين المناضلين المنتمين للجبهة أو للحركة المصالية كون أغلبهم لم يفهم بعد حقيقة الوضع¹، لذا بدأ الصراع والتنافس السياسي بين الحركتين لاستقطاب وكسب أكبر عدد ممكن من المهاجرين والعمال الجزائريين في فرنسا عن طريق الاجتماعات السياسية والإدارية التي كانت تعقد في القسمات²، في حين يؤكد "إبراهيم لونيسي" عكس ما اتفق عليه المؤرخين ويرى بأن الصدام بين الطرفين بدأ مع بداية الساعات الأولى للثورة وتميّز بالعنف والحدة.³

يبدو أن الموقف الأول هو الأقرب إلى الصواب كون أغلب من كتب عن هذه العلاقة أكدوا أن بدايتها كانت دبلوماسية ثم تحولت إلى صدامية وهم من عايش تلك الأحداث وكانوا أطرافا فاعلة فيها، على غرار "أحمد دوم"، "صالح الوانسي"، "محمّد آكلي بن يونس"، "عمر بوداود"، "محمد لبجاوي"، "علي هارون"، "محمد غفير"، "محمد حربي"، وغيرهم، حيث كتبوا جميعا في مذكراتهم أن العلاقة اقتضت على العنف اللفظي فقط في البداية ثم تطورت إلى العنف المسلح نهاية سنة 1955، وأن المصاليين هم من بدأوا دوامة العنف والصراع.

لنؤكّد هذه المواقف نذكر بعض ما ورد في المذكرات الشخصية لهؤلاء الفاعلين في مجريات الأحداث في تلك الفترة التي تُعد من أصعب الفترات التي واجهت مناضلي "ج.ت.و." لأنهم لم يكونوا يخبّذون العنف ولا إراقة الدماء لكنهم أُجبروا على ذلك حيث أورد "دوم": "إن الحركة الوطنية الجزائرية هي من بدأت بتصفية الحساب بين الجزائريين وتدشين دوامة العنف لأنها كانت القوة السائدة وقتها، في حين كانت "ج.ت.و." إلى غاية 1955 محرومة من أدنى الوسائل المادية والبشرية، وكان مناضلو الجبهة يستخفون في سرّيّة مطلقة ولا يتوفرون حتى على مسكن يأوون إليه، ولا على سيارة يتنقلون بها في أمان⁴، ولا على أسلحة أو على مخابئ يحتمون بها"⁵، لكنه وبعد عمليات تجنيد واسعة شرعت الجبهة أو بالأحرى أُجبرت على الرد والتصدي للعدوان، بعد أن أبدى المناضلون الحق في الدفاع عن أنفسهم، فتم إنشاء

1Belaid Abaine ,op, cit, p326.

2 جمعة بن زروال، مرجع سابق، ص153.

3 إبراهيم لونيسي، مصالي الحاج في مواجهة جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، 2007، ص199.

4 أحمد دوم، مصدر سابق، ص178.

5 نفسه، ص75.

مجموعة الصدام في باريس سنة 1955، وفي سنة 1956 صارت الفدرالية أقوى وصار في إمكانها الدفاع عن نفسها، فقررت بتحريض من مدينة الجزائر بردّ الفعل ضد الهجمات المصالية بعنف مضاد.

في الوقت الذي أكدّت فيه ابنة مصالي السيدة "جنينة" أن أعضاء ومناضلي جبهة التحرير هم من بادر بالتصفيات، والاشتباكات، وأدلت بالتصريح الذي ورد فيه: "أن جبهة التحرير الوطني هي من بدأت في التصفيات، والاعتقالات لعناصر ومسؤولي MNA، وأن الحركة الوطنية الجزائرية كحركة منظمة ومحترمة لو لم تكن قد ضُربت معاقل مقراتها، لما كانت لتعلن الحرب على جبهة التحرير..."¹.

كما أن "ج.ت.و" حسبها قد اعتمدت سياسة تحطيم شخصية "مصالي" ماديا من خلال تهديده بالتصفية الجسدية، ومعنويا من خلال تشويه صورته والحط من سمعته التاريخية، حيث ذكرت في هذا الصدد: "تمثلت مخططات "ج.ت.و" آنذاك في نزع الثقة من مصالي لدى أتباعه ومحبيه حتى يُنتزع منه الحق في الاستفادة من ماضيه، ومن ثمة الاستحواذ على إرث "ح.ش.ج" و"ح.إ.ح.د" وتوظيفه ضد مؤسسه، وهي خطة ذكية تم التحضير لها بتمعن ودقة عالية، جعلت خصومه يزداد عددهم يوما بعد يوم وهم لا يتأخرون أبدا عن ذمّه واتهامه ظلما بما لا يمكن إصلاحه بعد وصفهم له بالخائن لوطنه ولمبادئه التي أفنى حياته من أجل تحقيقها، وهذا ما جعلهم يتخذونها ذريعة لإعلان الحرب عليه"².

عاد "دوم" ليؤكد موقفه من الموضوع باعتباره شاهد عيان عايش الصراع بتفاصيله، بأن العنف الذي طال المهاجرين يتحمل مسؤوليته المصاليين ذلك أن مجمل الهجرة الجزائرية تقريبا كان وقتها مناصرة لمصالي، ولم يفهم جلّهم ما كان يحدث في الجزائر وأي الطرفين هو الممثل الحقيقي للثورة، ونظرا لاستمرار التجاوزات المصالية في حقهم وبعد مضي وقت طويل من بداية الصراع، وبعد أن تعزّزت "ج.ت.و" وجنّدت في صفوفها أعدادا معتبرة، شرعت في الرد على تلك الهجمات من قبل المناضلين الذين فرضوا حق الدفاع عن النفس والانتقام، فذكر قوله: "وما ذنبنا نحن، كنّا محتجزين إثر هجمات خصومنا هم يضربوننا في المقاهي وفي الشوارع، دون حسيب ولا رقيب، هل ترانا نستسلم للتصفية؟"³، ويجزم دوم بشهادته هذه أن المصاليين هم من دشّن بوابة العنف وهم من أجّج الصراع، في حين أن موقف الجبهة من ذلك كان بمثابة ردة الفعل فقط لإيقاف النزيف بين الإخوة وإعادة لمّ الشمل.

ثم يضيف مؤكدا رأيه قائلا: "في نهاية 1955 قمّت فعلا بتشكيل مجموعة صدام للصراع ضد "ح.و.ج"، لكن في أيام بداياتنا الأولى لم نكن نتمتع بالوسائل التي تجعل منهم فرق قتال بحق، مزوّدة بالعتاد الضروري،... كيف السبيل إلى وصف تلك الهجمات المتتالية التي قامت بها "MNA" وبصفة أخص الظروف التي كانت تقوم فيها بذلك، كانت الاعتداءات تخدم مصالح القمع نظرا لأنها تُفرّق

1 جمعة بن زروال، الحركة، مرجع سابق، ص 181.

2Djanina Messali- Benkelfa, une vie partagée avec Messali Hadj, mon père, Hiber éditions, Alger, 2013, pp245 – 246.

3 أحمد دوم، مصدر سابق، ص 178.

وتُضعف كفاحنا ضد الاستعمار الذي هو عدونا المشترك... أن نتحدث عن صراع من أجل الزعامة فقد وصل بنا الأمر إلى التيقن بأنه يخدم مصالح الشرطة، من تمام الذكاء في العمل بالنسبة لمصالح القمع، أن توفر لهم تلك الإعانات لكي تستديم الفُرقة بين الجزائريين وأيضا حتى يتولّى هؤلاء مهمة تصفية أنفسهم، سياسة ظلت مربحة وسمحت لبابون بقتل الجزائريين في 17 أكتوبر والتأكيد على أنها: "تصفية حسابات بين طوائف جزائرية".¹

والموقف نفسه يؤكّده رفقاءه في النضال بأنهم لم يلجؤوا إلى القوة إلا اضطراريا، حيث أورد "حربي" في كتابه حياة تحد وصمود قوله: "لم نكن مبادرين بالعنف ضد الحركة الوطنية الجزائرية، ولكننا تبينناه لفترة قصيرة (من سبتمبر 1956 إلى أبريل 1957)، وندمنا عندما بدأ الإكراه يضرب كل منشق عن سلطة ج.ت.و."²، ويؤيدها أيضا "صالح الوانشي" بهذا الشأن في قوله: "...كنا مجبرين على توقيف موجة الإعدامات الفجائية، وقررت الاتحادية ألا يجري أي تنفيذ إعدام دون موافقة اللجنة الفدرالية... كان علينا الرد بالمثل على الهجوم، ولقد قتلنا مناضلين بوسائل قد أضلهم التعصب المصالي".³

اعترف "مشاطي" وهو أحد أهم أعضاء فدرالية الجبهة بعدوانية المصاليين ضدهم وارتكابهم لجرائم ومخالفات كبيرة أودت بحياة الكثير من أعضاء الفدرالية، فذكر قوله: "يجب التأكيد بأن المصاليين كانوا أول من استعمل القوة، وكان هدفهم الأساسي هو استحوادهم على السيادة في الميدان بهذه الوسيلة، أما بالنسبة إلينا فلم نكن في البداية سوى حفنة من المناضلين ولم تكن مواجهتهم مطروحة أبدا، كانت الغاية أن نتجنب القطيعة بأي ثمن، وترجيح خيار تغيير الرأي بالحجج المؤسّسة على الوقائع، غير أن العنف كان قد وصل إلى حد صار من الواجب معه تبني أسلوب المواجهة، والتصدي للاعتداءات التي كنا ضحية لها وفي النهاية قررنا إنشاء مجموعات الصدام التي حولت ميزان القوة".⁴

في مقابلات شفوية كثيرة جمعتني بالعديد من المجاهدين من عايشوا تلك الأحداث، حيث كانوا عمالا مهاجرين في البداية ثم مناضلين في صفوف "ف.ج.ت.و" فيما بعد أكدوا جميعا الموقف نفسه، على غرار "أحمد زروال"⁵، "عيسى بلبصير"، "معمر هباز"¹، "مكي بوسرية"²، "مسعود شوال"³، "علي

1 دوم، مصدر سابق، ص ص 76.77.

2 محمد حربي، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية (1945. 1962)، تر: علي قسايسة وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص 220.

3 أن ماري لوانشي، صالح الوانشي مسيرة مناضل جزائري، ط خاصة (وزارة المجاهدين)، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص ص 86. 87.

4 مشاطي، مسار مناضل، تر: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010، ص 82.

5 أحمد زروال، ولد 18 أكتوبر 1936 بولاية خنشلة ناضل في صفوف فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا منذ 1955، كان مناضلا مسيلا في الجزائر بمنطقة تبسة في إطار التموين العسكري والمادي لجيش التحرير الوطني حيث تكفل بتوصيل المؤن الغذائية والأسلحة لأفراد جيش التحرير الوطني خاصة في المناطق الحدودية الشرقية، في 1956 افترق زروال عن جماعة المسبيلين التي كان يعمل معها، وبعد عودة خاله من فرنسا في السنة نفسها طلب منه إكمال مسيرته النضالية بفرنسا في صفوف الفدرالية فوافق على طلبه، وسافر إلى فرنسا رفقة خاله وبدأ نضاله

حلفاية"⁴، "بشير كشاد"، و"زديرة عبد الله"⁵، الذين كانوا شهودا على الكثير من المواجهات مع المصاليين الذين اعتبروهم خونة وعملاء لفرنسا، حيث وصلت درجة الخوف منهم إلى أنهم عندما يلتقون بهم كانوا يدعون الحياد حفاظا على أرواحهم ذلك أن تلك العناصر المصالية لا ترحم كل مخالف لها حتى لمجرد شبهة، لهذا كان الخوف منهم كبيرا كما أن أساليبهم في التعذيب كانت وحشية فهم يقتلون معارضيهم دون

فيها نهاية 1956 حيث تم تعيينه كمسؤول عن مجموعة فدائية مكونة من 21 مناضل، أُلقي عليه القبض في 21 جانفي 1958، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00. 11.15، 10 أكتوبر 2018.

1 معمر هباز، ولد يوم 13 جوان 1943 بعين كرشة ولاية أم البواقي، نشط ضمن صفوف المناضلين في الولاية السابعة التاريخية بفرنسا، كان والده الذي توفي سنة 1957 ينشط في صفوف جيش التحرير في مهمة التمرين بالغذاء والسلاح وكان معمر يساعد في ذلك، وبالتالي كان مناضلا منذ نعومة أظفاره، هاجر إلى فرنسا بعد وفاة والده، وعندما وصل ذهب مباشرة عند أخيه "أحمد" المستقر في مدينة "نيس" وبدأ رحلة البحث عن العمل، أواخر سنة 1957، وبعد أكثر من شهرين وجد عمل في ورشة البناء وكان عملا شاقا ورغم ذلك كان يدفع رفقة أخيه الاشتراكات للثورة ويذكر أنها كانت أجورا زهيدة، ويجمعها المدعو "ساب علاوة" وحبوط إبراهيم" الذي كان ضمن المنظمة الخاصة groupe de Choc ، ورغم صغر سنه تولى معمر هباز مهمة جمع الاشتراكات للجبهة في الوقت الذي كان الجيش الفرنسي يبحث عنه في الجزائر من أجل تأدية الخدمة العسكرية، انتقل إلى "غرونوبل" لإكمال الدراسة في التكوين المهني لمدة ستة أشهر وبعد انتهاء دراسته انخرط رسميا في صفوف الجبهة حيث منحت له رئاسة مجموعة مكونة من 20 عضوا، متكونة من خمس خلايا، وكل خلية تتكون من خمس أعضاء.

2 مكي بوسرية، ولد سنة 1930 بولاية بسكرة كان ضمن صفوف الفدائيين في الولاية السابعة بفرنسا سنة وبالضبط في نانثير 1955، انضم لصفوف الجبهة من طرف "أحمد" من مدينة الجزائر رفقة "الوردي بوسرية"، "الطاهر سدراتي" وغيرهم، تم تكليفهم بداية بجمع الاشتراكات وإقناع المهاجرين بضرورة الدفع وفرض عقوبات على الممتنعين منهما وضعهم في سجون وضعتها الفدرالية خصيصا لهذا الغرض، من مهامه أيضا توزيع المناشير الجبهوية، التي تعزز وطنية المهاجرين وتستفز عناصر الشرطة الفرنسية حيث يكتبون فيها أن استقلال الجزائر آت لا محالة وتوضع في الشوارع بل أحيانا توضع حتى في بوابات مراكز الشرطة، أُلقي عليه القبض ووضع في زنزانة انفرادية لمدة سبعة أيام كاملة، ثم وضع في سجن لاسونتي، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 9.30. 10.30، يوم 10 ديسمبر 2022.

3 مسعود شوال، ولد بعين كرشة بأم لبواقي يوم 22 نوفمبر 1934 ناضل ضمن فدرالية الجبهة بفرنسا منذ سنة 1956، نشأ يتيما في أسرة مكونة من بنتين وولدين، انتقل إلى فرنسا سنة 1956 واستقر بداية بأولاد عرشه في "نيس"، قبل أن ينضم إلى الفدرالية ويبدأ بدفع الاشتراكات للجبهة، كان ينشط تحت مسؤولية المناضل "صادق شوال" وهو صاحب مقهى في المنطقة، انضم إلى الجبهة رسميا سنة 1957 وكونوا خلايا وأفواج وقسمات وتم توزيع المهام بين المسبلين والفدائيين وعقد الاجتماعات لدراسة مستجدات الأوضاع وتعليمات الفدرالية، وتوزيع المناشير على المهاجرين لرفع معنوياتهم وزيادة الروح الوطنية لديهم والوقوف في وجه المصاليين الذين كانوا أكبر المعرقلين لهم في تأدية مهامهم، كان مسؤول مجموعة الصدام، وبقي في نيس إلى غاية 1963، حيث كان يملك بيتا خاصا فيها يقيم فيه رفقة عائلته أخوه وأختيه منذ سنة 1958، وقد اتخذته مقرا لعقد اجتماعات الفدرالية لدراسة وجمع المعلومات عن كل المستجدات الميدانية التي يذكر أنها كانت تتم كل أسبوعين على أقصى تقدير، وفيه احتفلوا باستقلال الجزائر، مقابلة مع الباحثة، أم البواقي، الساعة 09.15. 10.30، يوم 20 فيفري 2019.

4 علي حلفاية، ولد سنة 1933 بحمام الظلعة ولاية المسيلة ناضل في فدرالية جبهة التحرير بفرنسا منذ سنة 1956، تحت مسؤولية "بوشعير البازيد"، "فبار الحسين" من باتنة و"مختار الورقلي" من ورقلة، عمل في جمع الاشتراكات ثم أصبح مسؤولا عن فوج، ثم عُيّن رئيس سلك وقطاع سنة 1959 في "سان دوني"، كان يقوم بتوزيع المناشير وكتابة شعارات على الجدران منها "الجزائر جزائرية ولن تكون يوما فرنسية"، "من ماتوا من الجزائريين أبطالا ولن تذهب دماؤهم سدى"، مقابلة شخصية مع الباحثة، المسيلة، الساعة 10.00. 11.00، يوم 18 فيفري 2019.

5 عبد الله زديرة، من مواليد 1931 بولاية خنشلة ناضل في صفوف فدرالية الجبهة بفرنسا بداية من سنة 1955، هاجر بغرض العمل واستقر في باريس وكان يعمل في مصنع سيتروين، كان يجمع الاشتراكات للجبهة تحت مسؤولية خلاف شعبان، يذكر أن الاشتراكات والأموال كانوا يجمعونها حتى قبل مجيئ الجبهة وانضمامهم لها وكانوا يرسلونها إلى الجبال في الجزائر، اعتقل في سجن لارزاك وتعرض لأنواع كثيرة من ألوان التعذيب، شهادة شفهوية، المتحف الوطني للمجاهد بسكرة، 18 أكتوبر 2018.

حتى وجود إثباتات دامغة، كما أنهم بحضورهم لتلك الاشتباكات مع العناصر المصالية أكدوا بشهاداتهم أن هذه الأخيرة هي من قتلت العدد الأكبر من المناضلين، وهذا دليل على أنهم سبب بدء الصراع وتعميقه بين الجزائريين، وأن الجبهة لم تكن لتلجأ إلى استخدام الأسلوب نفسه لو نجا مناضلوها من تلك الاعتداءات.

وكذلك الشأن بالنسبة لـ "عمر بوداود" الذي ذكر أن المهاجرون الجزائريون بفرنسا وجدوا أنفسهم تحت رحمة القوتين المتواجدتين في الميدان (الجبهة والحركة)، وقد بدأت المواجهة بينهما من طرف المصاليين الذين رفضوا أن تصدر إشارة الكفاح المسلح من أي جهة أخرى غير مصالي، وكانت أعمالهم تزداد شراسة كلما فرغت صفوفهم لصالح "ج.ت.و." وقد نتج عن هذا الصراع سيلان دماء كثيرة¹، وذكر قوله: "...عند وصولي إلى فرنسا كانت المواجهة الدامية جد ثقيلة، وقد حاولنا وضع حد لتلك المجازر عبر المناشير السرية، دون أي جدوى، فكلما اغتيل فرد أو اثنين من مناضلينا ردت الجبهة بالمثل"²، كما ذكر "محمد مشاطي" بدوره في مذكراته "مسار مناضل": "يجب التأكيد، أن المصاليين كانوا أول من استعملوا القوة، وكانوا يريدون أن يبقوا أسياد الميدان، ومواجهتهم لم تكن مطروحة أبدا، غير أن العنف قد وصل إلى حدٍّ، صار من الواجب مواجهتهم..."³

كما تحدث "محمّد آكلي بن يونس" بدوره وهو أحد أعضاء "ف.ج.ت.و." بفرنسا وأحد أهم العناصر الفاعلة في تلك الأحداث، وذكر جانبا من هذا الصراع فقال: "أذكر يوم قام هؤلاء المصاليين بمهاجمتنا بتاريخ 13 مارس 1957 بـ 31 شارع بواسوني بباريس في فندقنا الخاص، اقتحموا علينا المبنى وأطلقوا النار بداخله عشوائيا ثم غادروا المكان مسرعين بعدما أصابوا شخصين اثنين بجروح وهما ابن عمي "بن يونس محمّد أعراب" و"عمار يكورن" أحد نزلاء الفندق، ثم جاءت فرق الأمن ونقلت الجرحين إلى المستشفى واقتادت كل نزلاء الفندق إلى مركز الشرطة بشارع آشيل مارتيني بالدائرة الـ 18، ثم أطلق سراحنا عند منتصف الليل... السيناريو يتكرر تقريبا، فتأتي الشرطة وتقوم بتفتيش الغرف وتبحث عن وثائق هامة أو أسلحة على وجه الخصوص لمنع أي رد ممكن على المعتدين ثم تعود عناصر الحركة الوطنية الجزائرية من جديد لتهاجمنا ثم تنصرف متخفية..."⁴

يشير في مذكراته أيضا أنه وبمجرد انتقاله إلى باريس واستقراره فيها تعرّض ورفاقه لهجمات متتالية من العناصر المصالية التي تأكّدت من انتمائهم للجبهة حيث ذكر قوله: "ما كدنا نستقر في هذا الحي حتى تمّت مهاجمتنا من قبل عناصر ح.و.ج الذين كانوا يترصدوننا بعدما وصلهم الخبر أننا ننتمي إلى ج.ت.و، وقد أسفر هذا الهجوم على إصابتي رفقة زملائي بجروح متفاوتة الخطورة"، ثم يضيف "مررت أنا وصديقي

1 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 111.

2 نفسه، ص 112.

3 محمد مشاطي، مسار مناضل، مصدر سابق، ص 82.

4 Benyounes, op.cit, p 35-36.

"رمضان بن عبد السلام" بفترة عصيبة في فيفري 1957 أين واجهنا فيها هجمات عناصر ح.و.ج التي شنت علينا حربا لا هوادة فيها".¹

ثم يؤكد مسؤولي المصاليين عن بداية الصراع بالقول: "يبقى من واجبنا أن نُذكر بأننا لم نبحث أبدا عن مواجهة نقوم بها ضد "ح.و.ج" بل ولم نكن نفكر في ذلك قطّ، لما قام عناصرها بمهاجمتنا اندهشنا كثيرا ولم نكن نتوقع أن يصل الحد بهؤلاء إلى غاية قتالنا فقرّرنا حينئذ تسليح أنفسنا للدفاع عن أشخاصنا ولم يكن إلا في وقت متأخر حتى اتخذنا قرار الردّ على اعتداءاتهم والقضاء على نشاطهم نهائيا"²، ويضيف قائلا: "...ما إن زادت جماعات ح.و.ج من مضاعفة اعتداءاتها حتى رأت قيادة "ج.ت.و" بضرورة وضع الأساليب والوسائل الكفيلة بالرد على المصاليين، فقد بات من غير المعقول ترك هؤلاء يستمرون في اعتداءاتهم الدموية واغتيل مناضلينا هكذا دون ردّ وكأن أفراد جاليتنا يطالبون بالرد بقوة، حتى لا نقول الانتقام ولم يرضوا بأن تبقى "ج.ت.و" هكذا لا تتحرك إزاء هذه الاعتداءات، فمن المنطق قمنا بتشكيل ما سميناه وقتها بـ "الجماعات المسلحة" أو "جماعات الصدام القتالية".³

من هذا المنطلق تم إنشاء هذه الأخيرة التي سمّاها دوم بـ "مجموعات الصدام" لسببين حسب أولهما تحقيق غاية الدفاع عن مناضلي الجبهة، والثاني هو إثبات أنها تنظم وطني شامل قادرة على خوض الحرب في فرنسا كما كان عليه الشأن في الجزائر، وأنها متحمّمة في زمام الأمور داخل وخارج الوطن، "تم تقسيم مجموع قواتنا القتالية إلى ثلاث فرق مفصول بعضها عن بعض بشكل صارم، وضعت تحت مسؤولية كل من "أحمد عراني"، "أحمد عيساوي"، و"بوقرة" المدعو "سقات"، وكانت هذه المجموعات المستقل بعضها عن بعض موجودة في باريس وكان "أحمد دوم" اتصالها الوحيد بالفدرالية، تشتمل كل مجموعة على مسؤول وعلى عناصر ثلاث لا يعرف بعضهم بعضا، وحيث أننا لم نكن نتوفر على ما يكفي من الأسلحة اليدوية فقد كانت الأسلحة التي بحوزتنا تسرب في مقاه أو عند عائلات مناضلينا".⁴

هكذا إذن قرّرت منظمة "ف.ج.ت.و" وضع أجهزة دفاع ذاتي أطلقت عليها اسم "فرق التدخل" (الكونمدوس) التي حملت عدة أسماء فأحمد دوم يطلق عليها اسم "مجموعات الصدام" بينما يسميها "محمّد آكلي بن يونس" باسم "الجماعات المسلحة"، وهدفها مواجهة هذا التصاعد الخطير للعنف المصالي، من خلال التصفية الجسدية للمسؤولين المصاليين والخونة، والدفاع عن مناضلي ج.ت.و، وإثبات قدرتها على خوض المواجهة العسكرية في فرنسا واستكمال العمل الثوري في الجزائر⁵، إضافة إلى مهام أخرى أيضا كضمان أمن الأماكن التي يتردد إليها مناضلو الجبهة بكثرة لاسيما تلك التي يعقدون فيها

1 Ibid, p16.

2 Ibid, p 44.

3 محمّد آكلي بن يونس، سبع سنوات في قلب المعركة، حرب الجزائر في فرنسا 1954. 1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص55.

4 دوم، مصدر سابق، ص ص 179 . 180.

5Necar Eddine Ait Mokhtar, op, cit, p 48.

الاجتماعات ومختلف اللقاءات، وكذا حماية تنقل الأموال المحصلة عن طريق التبرعات والاشتراكات مع تأديب الممتنعين عن دفعها وإجبارهم على احترام أوامر الجبهة، وإيصال الوثائق السريّة¹.

يذكر "قنطاري" في هذا الصدد: "...شكّلت ج.ت.و. "groupe de l'os" أو "المنظمة الخاصة" بهدف مواجهة المصاليين المعارضين لها، وقد تميز هذا الجناح بالتنظيم الشبه عسكري وبالتسليح المتعدد، وفي الوقت نفسه أنشأ المصاليون بدورهم الحركة المصالية المنظمة، وكان من نتائج ذلك أن انطلقت عملية الاغتيالات بين الطرفين بمنحى تصاعدي خطير مستهدفة شخصيات نوعية ذات مسؤوليات حساسة في هرم الحركة والنقابة المصالية، بدعوى أن هذه الأخيرة ظلت غطاء للحركة الوطنية الجزائرية مع ارتباطها بالشرطة الفرنسية، إذ اغتالت أفواج الجبهة أحد مسؤولي الحركة المصالية وهو "محمد شماس" في 20 سبتمبر 1957 بباريس وهو مسؤول "اتحاد نقابات العمال الجزائريين" التي تأسست في فيفري 1956 لمنافسة "إ.ع.ع.ج" "U.G.T.A"، و"سعيد ملولي" في يوم 24 من نفس الشهر والسنة وهو مسؤول فرع "الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين" "U.S.T.A" في مصلحة المستخدمين لشركة "رونو بيكانور" "Renault Billancourt" للسيارات، وكذا "حسين ماروك" الذي كان عاملا في مجال التعدين بمصنع بونار حيث تم اغتياله أيضا في نفس اليوم...²

وكذلك الشأن بالنسبة للمناضل المصالي "أحمد بخات" الذي عُثر عليه مقتولا يوم 26 أكتوبر 1957 بعد إصابته برصاصتين في قفاه في مدينة "كولومب" "Colombe"، وكان هو أيضا أمينا عاما لـ"إ.ن.ع.ج"، ثم وصلت التصفيات الجسدية إلى أعلى المسؤولين في "ح.و.ج" وأكثر المقربين من "مصالي" مثل "عبد الله فيلالي" الذي كان بمثابة الظهير الأيمن للزعيم، والذي أصيب هو الآخر بأربع طلقات نارية في ظهره في شارع "أونغيان" "Enghein" بالعاصمة باريس يوم 07 أكتوبر 1957 وتوفي متأثرا بإصاباته البليغة يوم 27 نوفمبر من نفس السنة.³

لم يقتصر الوضع على المناضلين المصاليين بل وصل الأمر إلى زعيمهم شخصا، إذ تعرض إلى محاولة اغتيال فاشلة لكنها كادت أن تؤدي بحياته حيث توفي على إثرها أحد حراسه الشخصيين وهو المدعو "علي جوادي" يوم 17 سبتمبر 1959 في إقامته بـ "شانتيلي" "Chantilly"، وقد تأكد على إثرها أنه مهدد بنفس المصير الذي آل إليه أتباعه وكوادر حركته⁴، ما جعله في موقف لا يحسد عليه حيث أُجبر على ضرورة توخي المزيد من الحيطة والحذر في كل تحركاته.

من جهتها لم تتوقف ح.و.ج عن اعتداءاتها على مناضلي الجبهة بل زادت من حدتها في الرد باستهداف الشخصيات المرموقة في الفدرالية، حيث اغتالت عمالا محسوبين عن الجبهة بشمال فرنسا وهم

1 Benyounes, op.cit, pp56.

2Mohammed Guentari, l'organisation politico-administrative et Militaire de la révolution Algérienne de 1954 a 1962, vol 2, Alger, Office des Publications Universitaire, Alger, 2004, p 578.

3Djanina Messali, op, cit, p205.

4Stora, les émigrés algériens..., op, cit, p 214.

كل من "عمر جبالي" الذي تمت تصفيته في 09 سبتمبر سنة 1957، "مبروك بوعراب"، الذي قُتل في أبريل 1958، "حسين بوصفر" وهو رئيس فوج والذي قُتل قبله بشهر أي في مارس من نفس السنة، وكذا "عاشور قاسي" الذي كان متعاطفا مع الجبهة فقتل في جويلية 1958، وهذا ما زاد من اشتداد وتزايد وتيرة عمليات الاغتيال والتصفية الجسدية من الطرفين حيث تحولت العملية إلى صيد الأشخاص في ساحة العدو الذي وقف منها موقف المُحرّك والمتواطئ لاستنزاف قدراتهما ثم التخلص منهما والإجهاز عليهما، لأنهما طرفان معاديان حسب الفرنسيين وقد ساهم الإعلام الفرنسي في زيادة حدة الاقتتال والعنف.¹

كما عملت على تأجيج الصراع والتشجيع عليه من خلال دعم طرف . المصاليين . على الآخر ماديا عن طريق الإمداد العسكري ومعنويا عن طريق توفير الحماية لهم وعض الطرف عن اعتداءاتهم وجرائمهم، ثم تشجيع سياسة التفرقة أكثر بين الإخوة خاصة إعلاميا من أجل الإثبات للرأي العام على أنها حرب بين الجزائريين أنفسهم ولا علاقة لفرنسا بها، ومن ثم تشويه الثورة الجزائرية بأنها ليست ثورة ذات مبادئ تحررية بل هي مجرد مواجهات دموية بين إخوة حول الزعامة والسلطة.

لقد تم تقسم هذه الفرق والقوات القتالية إلى ثلاث فرق منفصلة عن بعضها البعض، وُضعت تحت مسؤولية كل من "أحمد عمراني" و"أحمد عيساوي" وبوقرة المدعو "سقات"، وكانت موجودة في باريس وكان اتصالها الوحيد هو "أحمد دوم"²، وكانت كل واحدة منها تتكون من ثلاثة إلى أربعة أفراد أو أكثر، وكل واحدة تنشط تحت إمرة قائد الناحية الذي تتلقى منه التعليمات من جهة وتفيده بتقاريرها من جهة أخرى، ولا تربطها أية علاقة مع الهياكل الأخرى التنظيمية، الخلية والفوج والقسم والقطاع، وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على السرية التامة للتنظيم، كانت الناحية بباريس تغطي مساحة إقليم الدائرة الواحدة وهذا يعني أنه يوجد نظريا عشرون مجموعة تنشط على مستوى العاصمة باريس، وكان سبب البدء بتشكيل أولى المجموعات القتالية بالدائرتين 18 و 19 هو الحضور المكثف للمصاليين بها فوجب التصدي لهم.³

تولّت فرق التخريب والعمل المسلح مهمة القيام بعمليات فدائية ذات طابع عسكري كالهجوم المسلح على مراكز الشرطة وتخريب المنشآت سواء العسكرية أو الاقتصادية، وقد تم تجنيد أغلبية هؤلاء الفدائيين من أعضاء فرق التدخل⁴، ما جعلها تمثل عنصرا هاما ضمن الإستراتيجية العامة لـ"ج.ت.و" حيث استشهد العديد من أعضائها أثناء قيامها بالاشتباكات مع عناصر "ج.و.ج" أو الشرطة، ونُقذ حكم التنكيل والإعدام في حق عناصر أخرى، في حين ظلّت أخرى في السجون الفرنسية إلى ما بعد الاستقلال.

1 عميري، مرجع سابق، ص 61.

2 دوم، مصدر سابق، ص 179.

3 Benyounes, op.cit, p 54.

4 لخضر زويدي، فدالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1957. 1962، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006. 2007، ص 43.

كان قادة المجموعات يتمركزون بالدائرة 18 حيث نجد "هروي محمد" المدعو موح، ومساعدته "عزاب محند" المدعو مصطفى، وبالدائرة 19 نجد "سليمان عميرات" والأخوين "ولد حمو عبد القادر" و"إبراهيم مجبور"، و"محند السعيد" المدعو "بوقرو" و"الحاج سليمان" المدعو "شيبيلوف" بحي سانت دوني بباريس، يذكر "بن يونس" في مذكراته: "بعدما تم تشكيل هذه المجموعات وجب علينا تحديد مهامها بشكل صارم وكان ضروريا علينا تجنب أي خطأ أو انزلاق ومنع كل مبادرة شخصية، تقوم المهمة الأولى للمجموعة على ضمان أمن الأماكن التي يتردد عليها مناضلونا بكثرة خصوصا تلك التي يعتقدون بها الاجتماعات، وكذا حماية تنقل الأموال المحصلة عن طريق الاشتراكات وإيصال الوثائق السرية، إضافة إلى مهمة الرد على اعتداءات عناصر ح.و.ج وإبطال تحركاتهم وكل من يعمل مخبرا لصالح الشرطة الفرنسية من العناصر الأخرى (الخونة)".¹

يبدو أن مناضلي الجبهة هم من كان الأقرب للحقيقة وأن المصاليين هم فعلا من بدأ الصراع، ذلك أن كل شهاداتهم واقعية أكثر، حيث أن ح.و.ج بالأدلة الدامغة هي من كانت المسيطر الأكبر على المهاجرين الجزائريين بفرنسا بحكم أقدمية نضالها السياسي وامتداده إلى حزب نجم شمال إفريقيا ثم "ح.ش.ج" و"ح.إ.ح.د"، واستغلالها لهذا الصيت في محاولة إلغاء أية جهة معارضة مهما كان نوعها لسلطة مصالي وتفضيل شخصه على المصلحة العليا للبلاد، كما أن فقدانها لثقة مناضليها الذين راحوا ينضمون إلى ج.ت.و أفواجا وزيادة الالتفاف الشعبي حول الجبهة واستمرار انتصاراتها السياسية والعسكرية لدليل على أن ح.و.ج قد كانت مُتخوِّفة من هذه النتيجة فبدلت قصارى جهدها لوأد الجبهة في المهد وسرقة الثورة منها إلا أنها فشلت في تحقيق مبتغاها.

كما أننا نجد أنه في الوقت الذي اعتمدت فيه "ج.ت.و" على سياسة اللين والأساليب الترغيبية والإقناع بالحجة لضم المهاجرين المترددين في معرفة الممثل الحقيقي للثورة والشعب الجزائري، وقد نجحت في إقناع الكثيرين ممن كانوا أتباعا لمصالي وحركته وتحويل اشتراكاتهم لصالح الثورة والاستفادة من خدماتهم، لم تذكر لنا المصادر التاريخية ممن عاشوا الأحداث الدامية في هذا الصراع عن انضمام وتحول أي مناضلين من الجبهة إلى الحركة الوطنية الجزائرية لا في بداية الصراع ولا عند اشتداده، وذلك بسبب أن M.N.A لم تعتمد الأسلوب نفسه الذي اعتمدته الجبهة بل لجأت مباشرة إلى العنف والتهديد وأسلوب التهريب وهذا دليل آخر على أنها من بدأت الصراع.

وبغض النظر عن البادئ في عمليات التصفية يبقى هذا الصراع بين الإخوة الجزائريين من أكثر ما شوّه العمل الثوري في فرنسا ولحسن الحظ أنه لم يستمر لفترة أطول إذ سرعان ما حسمت ج.ت.و. الموقف لصالحها قبل أن تستغله السلطات الفرنسية الاستعمارية بشكل أكبر في تشويه الثورة وتسويقها على أنها

1 Benyounes, op.cit, pp 54 – 55.

حرب أهلية بين الجزائريين أنفسهم بينما تلعب هي دور المصلح بينهما لإبعاد الرأي العالمي عن جوهر القضية وعن بشاعة جرائمها في حقهم.

ذكر "دوم" في هذا الصدد قائلا: "...كانت الاعتداءات تخدم مصالح القمع نظرا لأنها تفرّق وتُضعف كفاحنا ضد الاستعمار، عدونا المشترك... أن نتحدث عن صراع من أجل الزعامة فقد وصل بنا الأمر إلى التيقن بأنه يخدم مصالح الشرطة الفرنسية، وكان من تمام الذكاء في العمل بالنسبة لمصالح القمع أن توفر لهم تلك الإعانات لكي تستديم الفرقة بين الجزائريين وأيضا حتى يتولى هؤلاء مهمة تصفية أنفسهم، سياسة ظلت مُربحة وسمحت لبايون بقتل الجزائريين في 17 أكتوبر 1961 والتأكيد على أنها تصفية حسابات بين طوائف جزائرية".¹

كما ذكر أيضا "الوانشي" الخسائر الكبيرة للثورة التحريرية جرّاء ذلك الصراع حيث أفقدها مناضلون ذوي خبرة كبيرة في التنظيم والتسيير السياسي والنقابي وحتى العسكري، كانت ستستفيد منهم لو لم يكن هذا الصراع أو على الأقل لو لم يتطور لحد التصفية الجسدية لهم، فقال: "بالنسبة للكفاح ضد ح.و.ج كان مشكلا عويصا في البداية، وبينما كنا مطارين كنا مجبرين على توقيف أي اعتداء دون موافقة اللجنة الفدرالية غير أن هجمات الحركة استمرت دون توقف، لذلك كان علينا الرد على الهجوم، ولقد قتلنا مناضلين بوسائل قد أضلّهم التعصّب المصالي".²

المطلب الثاني: مراحل الصراع وتطورات

المرحلة الأولى: محاولة التواصل والحوار 1954 . 1956

بدأت هذه المرحلة مباشرة بعد اندلاع الثورة التحريرية حيث اكتنف الغموض وأسلوب المناورة العلاقات بين التيار الجبهوي والمصالي ولم تتجه مباشرة إلى الصراع العسكري بينهما، ذلك أن كل طرف منهما كان يسعى في تلك الفترة إلى إثبات نفسه كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري وكفاحه المسلح ضد الإمبريالية الاستعمارية وقد أشار المؤرخ الفرنسي "ستورا" "Stora" في هذا الصدد: "...كل أشكال التنافر والتباعد الذي كان موجودا بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية، كانت تتركز أساسا حول خصوصية واحدة وهي السعي بكل الطرق لإثبات الشرعية حيث رمي كل واحد منهما بكل ثقله ليكون منظّمته الوحيدة ذات التمثيل..."³

في الوقت الذي كان فيه المصاليون يمتلكون خبرة طويلة وتجربة رائدة في النضال السياسي وسمعة كبيرة وقاعدة شعبية واسعة سواء داخل الجزائر أو خارجها لاسيما في فرنسا باعتبارها المنطلق الذي بدأ منه

1 دوم، مصدر سابق، ص 76. 77.

2 آن ماري الوانشي، مصدر سابق، ص 87.

3Benjamine Stora, la gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie, éditions la découverte, Paris, 1991, p141.

نشاطهم، كانت "ج.ت.و" تنظيم حديث النشأة وغير معروف تماما لدى الجزائريين سواء في الداخل أو في المهجر.

في فرنسا كان المهاجرون الجزائريون عند بداية الثورة في دائرة مصالي وأعوانه وهم يمثلون الأغلبية الساحقة، متّخذين موقفا سلبيا من "ج.ت.و" بسبب ادعاء المصاليين أمامهم أنهم المسؤولون عن الثورة مُستغلين عزلتهم وبعدهم عن وطنهم الأم، أما القلّة القليلة ممن رفضوا إتباع قيادة مصالي فقد جُوبهوا بالاعتداءات والاعتقالات، بل منهم من تمّ اغتياله قبل اندلاع الثورة في 1954 على غرار "حمر العين" الذي طُعن بالخنجر في شارع سان جيرمان في ماي 1954، وكذا "عمار بوقيفار" الذي قُتل في ليون، ومن هذا المنطلق فإن عملية توضيح الأمور للمهاجرين الجزائريين قد تمت في ظروف عصبية كلّفت غالبا إذ أودت بحياة عشرات من المناضلين، لكن في الأخير تمكّنت فدرالية الجبهة في فرنسا من توضيح حقيقة الأمر والوضع في الجزائر وكشفت خيانة الحركة المصالية، التي تحولت من تيار سياسي سنة 1954 إلى منظمة إرهابية مناهضة للثورة، وانتصرت الجبهة في منطقة باريس ومناطق الشرق والجنوب والوسط الفرنسي منذ نوفمبر 1956 ثم توالى انتصاراتها في باقي المناطق الفرنسية.¹

تميزت السنوات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية بتأييد المناضلين الجزائريين المتواجدين بفرنسا لمصالي، وباستثناء مقاطعة سوشو التي كان فيها "أحمد دوم"، انحازت جميع فروع "ح.إ.ح.د" لصالح (MNA)²، التي أسّسها على أنقاض "ح.إ.ح.د" واختار هذه التسمية لما لها من شهرة واسعة ومكانة هامة في أوساط المهاجرين³، فهيمنت بذلك على أزيد من ثمانية آلاف مناضل مؤطّر من قبلها، وكانوا جميعا يقدمون مساهماتهم المالية لحسابها، وقد توزّع مناضلو الحركة على ولاية شمال بلجيكا التي كانت تضم خمسة آلاف مناضل ما جعلها الأقوى من بين الولايات الأربعة التابعة لها، وولاية شمال ساري التي ضمت ألف ومائتي مناضل، أما ولايتي الجنوب . وسط باريس . ونورماندي فكانتا تضمّان ألفي مناضل.⁴

في الوقت الذي كان فيه معظم المهاجرين الجزائريين مؤيدين لمصالي، حرصت "ف.ج.ت.و" بفرنسا على تأطير وتعبئة الجالية الجزائرية بالمهجر وضمان تنقل اشتراكاتهم لصالح الثورة، ما جعلها تصطدم بـMNA، ويشدّد التنافس بينهما، وبعد أن كان هذا التأطير يتم بعشوائية يعتمد بشكل كبير على مقاييس شخصية، من خلال التجنيد الشفوي أو العلاقات بين مختلف المناضلين وأقاربهم وأصدقائهم، ارتأت الفدرالية ضرورة تنظيم هذه العملية والاعتماد على مقاييس أخرى أكثر دقة حتى تكون أكثر جدية في التنظيم والتوعية وجمع الاشتراكات، ولم تكن العملية سهلة بل كانت صعبة للغاية ومعقدة نظرا لخصوصيات الجالية

1 بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين مصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص ص156 . 157.

2دحو جربال، مرجع سابق، ص38.

3محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص196.

4Benjamine Stora, ils venaient d'Algerie..., op,cit, p p 152, 153.

الجزائرية التي لم تكن تشكل كلاً منسجماً بل بقيت محافظة على التمرکز في مناطق معينة حسب الأصل الجغرافي في الجزائر (القسنطينية، السطايفية، الشاوية... الخ)، إضافة إلى وفاء معظم أفرادها لأفكار مصالي الحاج الذي كان يمثل لهم الزعيم الروحي المدافع عن الاستقلال التام للجزائر.

بدأ التنافس بين كل من "ج.ت.و" و"ح.و.ج" سلمياً عبر مختلف النقابات السياسية، ووسائل الإعلام حيث قامت "ح.و.ج" بمحاولة تدويل القضية الجزائرية من أجل إقناع العالم أنها الناطقة الوحيدة باسم الثورة¹، والتعريف بسياساتها وتوجهاتها وحاولت خطفها من أيدي مفجريها الحقيقيين ونسبها لنفسها أي لمصالي وأنصاره²، وكل هذا تم عبر الوسائل الإعلامية والصحافية التي اعتبرتها وسيلة للتنافس بينها وبين "ج.ت.و" في فرنسا، وفي الفاتح من ديسمبر سنة 1954 صدر أول عدد سري لجريدتها "صوت الشعب" "La voix de peuples"³، لكن لم يكن لها صدى قوي في أوساط المهاجرين الجزائريين بسبب سيطرة جريدة المجاهد التابعة لـ "ج.ت.و" على الميدان وتوالي انتصاراتهم في الثورة.⁴

إضافة إلى قيامها بتوزيع المنشائر المناهضة لمناشير ح.و.ج على نطاق واسع، ولم يتوقف هذا التنافس عند هذا الحد، بل تحول من تنافس إعلامي، ومشادات كلامية ومنشورات، إلى اشتباكات دامية، وصراعات عنيفة، امتدت من "دانكيرك" "Dunkerque" بالشمال الفرنسي حيث معقل المصاليين مروراً بـ "باريس" "Paris" انتهاءً بـ "ميرسيليا" "Marseille" بالجنوب الفرنسي.⁵

اعترف مناضلو الجبهة بسيطرة مصالي وأتباعه على الساحة السياسية خلال هذه المرحلة حيث ذكر أحدهم وهو "لخضر بورقعة" في شهادة له في يومية الشروق الوطنية بقوله: "لقد كانوا أكثر تنظيمًا وتجربة من الشباب الذين فجروا ثورة نوفمبر... فهم الذين سبقونا في الصعود إلى الجبال، وقبل انعقاد مؤتمر الصومام كانوا قد أحكموا انتشارهم على أرض الميدان، كما كانت لهم خبرة سياسية، وذكاء فائق في ربط العلاقات مع أفراد الشعب..."⁶، ويضيف في مذكراته: "كانت الجماهير الجزائرية مُحبة لمصالي ومدفوعة إلى اتجاهه السياسي قبل اندلاع الثورة، بل قد وصل بها الإعجاب والإخلاص إلى حد تقديسه وضحت في سبيل حريتها إلى جانبه، لكنه أخلف العهد وخان الأمانة وطعنها في الوقت الذي صممت فيه على تحقيق حلمها الوحيد بتحرير وطنها من لوثة الاستعمار... في مطلع شبابي رأيتُ رؤية العين كيف كانت الجماهير

1 رابح بلعيد، "موقف مصالي من الثورة الجزائرية"، في، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 4، جامعة الجزائر، 2003. 2004، ص 82.

2 إبراهيم لونيسي، "مصالي الحاج في مواجهة جبهة التحرير الوطني"، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 56.

3 جمعة بن زروال، الحركة، مرجع سابق، ص 37.

4 جمعة بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية (1954. 1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2001. 2012، ص 174.

5 سعدي بزيان، صفحات...، مرجع سابق، ص 211.

6 لخضر بورقعة، شهادة الرائد بورقعة، الجزائر، 1. 11. 2008، ع 2444، يومية الشروق، ص 10.

تتسابق على سماع خطه أو رؤيته، وكيف ضحى الكثير بحياتهم من أجله فهو في نظرهم القائد والزعيم ومنقذ الجزائر ومحررها وحامي حماها...¹

كما اعترفوا أيضا بضعف "ج.ت.و" في بداياتها الأولى واصطدامها بصعوبات وعراقيل جمة، كضعف الإمكانيات وقلة المساعدات سواء بالجزائر أو بالمهجر، وقد أشار "أحمد دوم" إلى المعوقات التي واجهتهم في فرنسا في مذكراته بقوله: "...أمامنا ضلي ج.ت.و. فقد كان عددهم محدودا يختبئون في تواجد سرّي شبه مطلق، في هشاشة تامة، لا يتوقّرون على رجال من ذوي الاستعداد ولا على أسلحة أو حتى مخابئ يحتمون بها"²، في حين أشار "بورقة" إلى الصعوبات التي واجهت الثوار داخل الجزائر بقوله: "...حاولنا مواجهة الوضع بشيء من الخوف والحكمة... فلا سلاح لنا ولا خبرة ولا مؤونة، كل ما كنّا نملكه هو الإصرار على مواجهة العدو المدجج بالسلاح بأيد عزلاء وافتكاك السلاح والخبز منه..."³، ويضيف "دوم" في موضع آخر مؤكدا ضعف الجبهة في بدايتها أمام الحركة المصالية ومواجهتها بقوله: "في نهاية 1955 قمت فعلا بتشكيل مجموعة صدام للصراع ضد الحركة الوطنية الجزائرية، لكن في أيام بداياتنا الأولى لم نكن نتمتع بالوسائل التي تجعل منهم فرق قتال بحق، مزودة بالعتاد الضروري..."⁴

ذكر "ميشيل لوفين" في هذا الصدد: "كانت ال"ح.و.ج" متجذّرة بقوة في فرنسا، وقد ورثت أغلب إطارات الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية السابقة، في المرحلة الأولى لم يفكر مسؤولو "ج.ت.و" إلا في الكفاح ضد آلة القمع الفرنسية باعتبارها العدو الأول لهم، ولم يواجهوا حركة مصالي إلا في المجالات الكلامية، لكن ال"ح.و.ج" انتقلت في جوان 1956 إلى الهجوم وقتلت 82 إطارا من "ج.ت.و"، ومنذ ذلك الوقت اندلعت الحرب الشاملة من أجل استجلاب المواطنين المهاجرين."⁵

المرحلة الثانية: مرحلة العنف المُصرّح والصدام المسلح 1956. 1962

بعد أن تأكّدت فدرالية الجبهة في ربيع 1957 من اشتراك الشرطة الفرنسية بشكل علني في مساعدة المصاليين في عملياتهم الإرهابية ضد كل من يشمّون فيه رائحة الولاء للجبهة، فقد كانوا يقومون بحملات تفتيش على المقاهي الجزائرية في باريس وليون ومرسيليا للتأكد من عدم وجود أسلحة، ثم تمهيد الطريق للقتلة للإغارة على تلك الأماكن وضرب روادها بالمدافع الرشاشة، بادرت بالرد على هجماتهم المتكررة وسمحت لأعضائها العاملين بالدفاع عن أنفسهم، ولم تكن الصحافة حتى ذلك الحين تستنكر قتل أعضاء الجبهة وتصرفات المصاليين التي حوّلت بعض المدن الفرنسية إلى مسرح لمذابح بالغة الفظاعة مثلما

1 سعدى بزيان، صفحات...، مرجع سابق، ص302.

2 دوم، مصدر سابق، ص75.

3 بورقة، شاهد على اغتيال الثورة...، مصدر سابق، ص25. 26.

4 دوم، مصدر سابق، ص76. 77.

5 ميشيل لوفين، حملة أكتوبر العقابية...، مصدر سابق، ص84.

وقع في مدينة "فيلربان" التي قتلوا فيها سبعة من الشبان المناضلين في الجبهة ، ولم تتحدث عن الإرهاب الجزائري في باريس ولا عن تصفية الحساب بين الجزائريين مثلما تحدثت عنه عند بدء ج.ت.و. في الرّد.¹ حذّرت لجنة الدعاية "ف.ج.ت.و." بفرنسا في فيفري 1957 من الخطر الذي أصبحت دوامة التصفيات الجسدية تمثّله بين مناضلي الحركتين وأفواجهما الصدامية، بعد أن وصلا إلى نقطة اللاعودة في محاولات الصلح والتهدئة وتغلغل بشكل أعمق في الأوساط الشعبية للطرفين: "...لقد امتد النزاع المسلح الذي يضعنا بمواجهتهم (المصاليين) إلى القاعدة، ثمة قطعة شبه كاملة، في الوقت الراهن من أعلى إلى أسفل، وقد أصبحت الاتصالات القاعدية بالغة الصعوبة والالتحاق بالجبهة أكثر فأكثر محدودة، وإذا أضفنا إلى ذلك البقاء العنيد والذي يغدو خارج الرقابة أحيانا"²، لهذا دعت الجبهة مجموعاتها الصدامية بشكل أكبر والتي نجحت في حصد العديد من الإطارات النقاية للحركة المصالية لعل أبرزهم "عبد الله فيلالي"³ في ديسمبر 1957 و"أحمد بخات" في أكتوبر من السنة نفسها والذين كانا يدعيان صفة النقاية.⁴

رغم الاتفاق على أن "ح.و.ج" هي من بدأت تصفية الحسابات إلا أن استمرار دوامة هذه التصفيات المتبادلة التي تحولت إلى حرب أهلية⁵، واشتداد الصراع الدموي بين المهاجرين الجزائريين بفرنسا حسب "محمد حربي" يتحملها الطرفين بما فيها ج.ت.و. ولا تتحملها الحركة المصالية بمفردها، ويذكر في هذا الصدد: "يستحيل القبول اليوم بالحجج التي فصلتها جبهة التحرير الوطني آنذاك في فرنسا، ناسبة إلى الحركة الوطنية الجزائرية وحدها مجابتهتها زاعمة أن مصالي بادر إليها ضد معارضيه منذ الأزمة التي عرفها حزب ح.إ.ح.د، وليست الحقيقة بهذه البساطة...إن الرد على هجمات ح.و.ج ضد ج.ت.و. كان عفويا...قبل أن تتولى أيضا مسؤولية قيادة الجبهة التي رأت فيه فرصة مناسبة لتحقيق سيطرتها يبقى أن إرادة جبهة التحرير أن تكون المحور الأساسي الوحيد..."⁶

يضيف مدعّمًا رأيه: "تعود بداية ظهور الصراع والنزاع المسلح إلى تاريخ 23 ماي 1955 حينما انعقد اجتماع بسيوسرا وبالضبط في مدينة "زوريخ" "Zurich" بحضور "محمد بوضياف" وقد تقرر في هذا الاجتماع القضاء على قادة الحركة المصالية وأولهم مصالي الحاج، وكُلف "طربوش مراد" بتنفيذ هذه

1 بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص 161. 162.

2 محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 137.

3 بنجامين سطورا، مصالي الحاج 1898. 1973، رائد الوطنية، تر:صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 1999، ص 258.

4 بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص 161.

5Hartmut Elsenhans, la guerre d'Algérie 1954 – 1962, la transition d'une France à une autre, le passage de la IV^e à la V^e république, préface de Gilbert Meunier, traduction par Vincent Goupy, Editions EDIF, Alger, 2010, p830.

6 الزيري، الثورة في عامها الأول...، مرجع سابق، ص 139. 140.

المهمة لكنه قُبض عليه من طرف السلطات الفرنسية في 26 ماي من السنة نفسها، وعندما سمعت العناصر المصالية من مصلحة المخابرات الفرنسية بهذا القرار وتحضير الجبهة لاعتقال مصالي قرر المصاليون بدورهم حماية زعيمهم وإعلان الحرب على مناضلي جبهة التحرير الوطني في فرنسا، وهكذا بدأت حملة الاعتقالات وسلسلة التصفيات في صفوف الاتجاهين المتنازعين، حيث تمّ القضاء في بضعة أشهر على 82 مسؤولاً من الجبهة بفرنسا.¹

وقد ردّ "عمر بوداود" على "حربي" مُفنداً كل ما قاله بخصوص تورط جبهة التحرير في استمرار الصراع الدموي بين أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا، أو فتحها دوامة العنف وبدئها للصراع، مؤكداً أن كل ما أورده حربي يعتبر خطأ فادح لأنه لا أساس له من الصحة وأن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فكتب في مذكراته قائلاً: "حسب المعلومات التي جاء بها البعض مثل محمد حربي فإن اللجنة الفدرالية قد تهاونت في بذل الجهود الضرورية لاستغلال فرص التفاهم المتاحة مع الميسيرين المصاليين... بل لقد تمّ التأكيد على أن اجتماعاً مع عبد الله فيلالي... قد تمّ إفشاله من طرفنا، وهذا خطأ فادح وكلام لا أساس له من الصحة، لقد وقع بالفعل محاولة لإجراء لقاء بيننا وبين ممثلي الحركة قصد التوصل إلى هدنة ريثما يوضع حد للصراع، والحقيقة أن الاجتماع لم يقع قطّ ولا تم اتصال بيني وبين فيلالي بعد أن أعطيت موافقتي على المحادثات".²

يضيف "بوداود" مؤكداً رغبة الجبهة في الصلح وإنهاء الخلاف مقابل رفض ح.و.ج لذلك بقوله: "جرى في خريف 1957 حديث أثناء اجتماع للجنة الفدرالية بشأن توقيف جميع العمليات المسلحة ضد الحركة الوطنية لمدة شهر، وكانت المبادرة من طرفنا تعبيراً عن حسن نوايانا، وقد تم توزيع المقترح بواسطة المنشورات السرية في كل الأوساط، غير أن النتيجة كانت خلاف ما كنا نرجو تماماً فقد واصلت ح.و.ج هجماتها المسلحة ضد مناضلينا وإطاراتنا ولم يبق بعد ذلك أمل في شيء...".³

كما أكّد "بورقعة" من جهته أن المصاليين هم من كان السبب الوحيد في إطالة أمد الصراع والعنف، حتى أنهم لم يكتفوا فقط بتصفية مناضلي الجبهة ومؤيديها من المهاجرين، بل وصل الأمر بهم إلى اغتيال بعض الأوفياء من الأجانب الداعمين للثورة وكان حقدهم على الثورة أشد من حقد الفرنسيين والعملاء⁴، وهذا ما أثبتته جرائمهم ضد الشعب الجزائري خاصة مناضلي "ج.ت.و" سواء في فرنسا أو في الجزائر وعلى رأسها تلك التي نفّذها "الجنرال بلونيس" في "ملوزة" وباقي مناطق الوطن.⁵

1 حربي، جبهة التحرير الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 133. 136.

2 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 112. 113.

3 نفسه، ص 113.

4 بورقعة، مصدر سابق، ص 303.

5 Abdelhafid Amokrane El Hassani, memoires de combat, 1er édition, sarl Dar El Oumma, Alger, 1998, 47.

ويؤكد "بوعزيز" أيضا موقف "بوداود" و"بورقعة" حين أورد مقتطفًا من توجيهات إلى المناضلين بعد الانقسام الداخلي في منظمة ميصالي أذاعها فرع فرنسا التابع لـ"ج.ت.و." في باريس بتاريخ 4 أبريل من سنة 1959 من بين ما جاء فيه: "إن واجب أعضاء الجبهة العاملين اليوم هو الإسراع في تحطيم تنظيم ميصالي حتى يعزلوا المسؤولين المصاليين الذين يتعمدون الاستمرار وراء مصالي في سياسته المناهضة للثورة، ولازال من الممكن إعادة العناصر المخدوعة إلى صفوف الثورة رغم ترددهم إذ أنهم يخشون أن نعتبرهم أعداء لنا، إن عدونا الوحيد هو الاستعمار الفرنسي وعملاؤه العلنيون والمستترون أما الذين وضعوا ثقتهم العمياء في ميصالي وأعدائه فسنستمر في إيضاح الحقيقة لهم حتى يعودوا إلى طريق الثورة التحريرية، إن صفوف الثورة ترحب بكل الجزائريين الواعين والذين يرغبون في التضحية بأعلى ما عندهم من أجل استقلال وطنهم".¹

وبدوره ينضم "محمد مشاطي" لتأكيد هذا الموقف بقوله: "بعض الكتاب عن جهل أو عن مصلحة أو ببساطة عن غياب شجاعة أدبية يريدون أن يحافظوا على الهالة المحيطة بكفاح مصالي الأول مع التقليل من الطابع المعادي للوطن لعمله النهائي والذي وصل به إلى حد التعاون الواعي أو غير الواعي مع الحكومة الفرنسية في وقت خرج من تاريخ بلادنا، لقد كان سبب تمرق الحركة الوطنية وصراع الإخوة والتقتيل الذي تلا ذلك سواء داخل المنظمة في المهجر في فرنسا أو في الجزائر حيث أن الآلاف من المناضلين من نفس الحزب تقاتلوا بنفس القناعة بسبب قائدهم".²

يعود "بوداود" مرة أخرى ليؤكد موقفه من مسؤولية "ميصالي" في بدأ الصراع وإطالة أمده ورفضه لكل العروض المقدمة له من أجل إنهاء الخلاف بين الإخوة بقوله: "رغم النداءات الداعية إلى اجتناب القطيعة التي لا يمكن ترفيعها، ظل "ميصالي" مصرًا على التمسك بادعائه موهما بقوة دوره كزعيم، وإلى غاية سنة 1958 كان الأمل لا يزال معقودا ومرجوا في عودته إلى ذويه، أي إلى وسط الشباب الذين أشرف على تدريبهم وتوجيههم سابقا، وقد وصلته رسالة في هذا الصدد من الرئيس التونسي "بورقيبة" تدعوه إلى تبوأ المكانة التي هو أهل لها، غير أنه أصرّ على موقفه الراض لكل العروض، ثم وصل به الأمر إلى الاعتقاد في الأخير بأنه كان في وسعه أن يحتفظ بحظوظ المساهمة في نفس المرتبة مع الحكومة المؤقتة للثورة في المفاوضات الهادفة إلى وقف إطلاق النار...".³

أعلنت "ف.ج.ت.و." في تعليمة مؤرخة في 14 أبريل 1959 بالعاصمة باريس برغبتها في ضم جميع المنشقين عن "ح.و.ج." بغض النظر عن كل ما حدث بين التنظيمين، وأوردت أن صفوف الثورة مفتوحة إلى كافة المناضلين الذين يتخلون عن تقديس الأشخاص ويؤثرون مصلحة بلادهم بوضعها فوق كل اعتبار، ويريدون المشاركة في المعركة ضمن "ج.ت.و." وبالتالي فهم مستعدون للتضحية بأعز ما عندهم من

1 بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص 191.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص 140 . 141.

3 بوداود، مصدر سابق، ص 206.

أجل تحقيق الاستقلال واسترجاع الحرية¹، وهذا تماما ما أكدته جريدة "la semaine en l'Algérie" في عددها الثامن حيث أوردت أن "ج.ت.و" دعت مناضلي ومسؤولي "ح.و.ج" للتخلي عن عنادهم والإسراع بالانضمام إلى صفوف الثورة وممثلها الوحيد "ج.ت.و".²

وهذا دليل واضح على أن الجبهة ضلّت أبوابها مفتوحة لكل الراغبين في الانضمام إليها لمحاربة الاستعمار بما فيهم من كانوا ضدها في البداية كالمصاليين، وما قبولها بانضمام قادة ومناضلي الأحزاب السياسية في الجزائر بعد مرور سنتين من اندلاعها سنة 1956 إلا دليل قاطع على صدق نواياها في توحيد الصفوف ونسيان جميع القناعات والخلافات السابقة مهما كان نوعها والاستفادة من جهود الجميع في محاربة العدو الأول والأخير لهم جميعا ألا وهو الاستعمار، وإعادة كل الجزائريين المخلصين إلى صفوف الكفاح، وقد ظلّت مستمرة رغم صعوبة المهمة في إقناع الوطنيين المخدوعين وهديهم إلى الوطنية الواعية وإلى الطريق الصحيح، غير أن البعض من المصاليين من رفضوا الانضمام للثورة وفضّلوا التمسك بمواقفهم المناهضة لها ولكل معارض لهم، وبالتالي فهم السبب في تمديد الصراع وتأزيم الوضع أكثر سواء في الجزائر أو في المهجر.

في المقابل أثبتت الجهود الكبيرة التي قام بها "مصالي" داخل وخارج الجزائر على رفضه أي سبيل لحقن دماء الجزائريين وتحقيق حريتهم، ففي المجال السياسي أسّس "ح.و.ج" التي كان وجودها حجة لأعداء الجزائر للتدليل على أن شعبها ليس موحدًا ولا متماسكًا، وفي الميدان العسكري كوّن ما سمّاه بجيش الشعب الجزائري وأوكل إليه مهمة انتزاع راية الكفاح من جيش التحرير الوطني لمصلحة جيش الاحتلال، أما في الميدان الثقافي فقد كوّن منظمة سمّت نفسها اتحاد نقابات العمال الجزائريين لمناهضة الاتحاد العام للعمال الجزائريين، إضافة إلى مساعي المصاليين المتكررة لإشغال المهاجرين الجزائريين بمعارك فيما بينهم، حتى يحرفونهم عن معركة شعبهم المجيدة، وحتى إزاء تطور التضامن الدولي الواسع للجبهة فإن المصاليين كانوا يقومون بتشويه جانب البطولة في كفاح الشعب الجزائري وعظمة ثورته، ورغم ذلك ضلّت الجبهة تحمي المهاجرين الجزائريين من هجمات المصاليين خاصة بعد أن قام الاستعمار بتسليحهم.³

هذا الأخير الذي سعى بكل قوته إلى تعميق الخلاف بين الجزائريين وزرع الشكوك بين المهاجرين الموالين لكلا الطرفين، مع تقديم الدعم الكافي للمصاليين لأنهم أخفّ ضررا من الجبهويين، وانطلاق من ذلك الدعم كانت ح.و.ج السبّاقة في تنظيم عمليات الاغتيال بداية من العاصمة باريس ثم باقي المعازل التي تسيطر عليها في مختلف المناطق، ونقّدت في الفترة ما بين 1957 و1958 أزيد من 150 عملية

1Haroun, op, cit, p271.

2FLN et MNA, appel de la fédération de France du FLN aux militants du MNA, (voix de l'Algérie combattant- radio du Caire du 6.9.1958 à 19), la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, N 08°, p22.

3يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص 110. 114.

اغتيال لعناصر ومناضلي الجبهة، ليزداد عدد الضحايا في الشمال والجنوب بغية خنق كل رغبة لدى المناضلين في تغيير مواقفهم اتجاه الثورة بنشر الرعب والإرهاب في أوساطهم.

سعت الحكومة الفرنسية بعدما وجدت استجابة من طرف المصاليين إلى إعطاء الشقاق بين الوطنيين أبعادا دولية، وفضلت أمام الرأي العام الفرنسي والأجنبي أن تعتمد على "الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين" حيث لم تمتنع عن حله بل زادت وجودا قانونيا حتى نهاية الحرب ومنحته مقرا مرموقا في 21 شارع "petites Ecuries" في الدائرة العاشرة بباريس، وكان هدفها من ذلك هو تسهيل مرور المصاليين أمام العناصر الأمنية من جهة، وتسهيل العمل لهذه الأخيرة من جهة أخرى، لأنها بمجرد وجود البطاقات النقابية لدى الموقوفين سيسهل عملية فصلهم عن مناضلي الجبهة، وهذا ما يوضح التعاون الذي كان ظاهريا بين العناصر المصالية والسلطات الفرنسية.¹

وقد كشف تقرير الجبهة اللثام عن مخطط المصالية وتواطؤها مع القوات الفرنسية في منشور وُزِعَ بباريس في أكتوبر 1957 جاء فيه: "منذ عدة أيام تسعى الصحافة الاستعمارية إلى تحريك الرأي العام الفرنسي مع الحركة المصالية في فقيدها "عبد الله فيلالي" وهو ما يؤكد التعاون بين فرنسا والحركة المصالية، وتسامح وتساهل الشرطة الفرنسية اتجاه الحركة المصالية من منطلق "عدو عدوي صديقي" متبعة سياستها المعتادة "فرق تسد".²

لم يكن الاعتراف بخيانة مصالي من طرف الجبهة فقط بل حتى من الفرنسيين أنفسهم ، فقد كتب "فرانسيس جونسون وزوجته كوليت" في كتابهما المعنون بـ "الجزائر الخارجة عن القانون" أن مصالي كان عميلا للاستعمار وأنه كان يتلقى توجيهاته من الشرطة الفرنسية مؤكدا أنه قد خسر ثقة الجزائريين الذي كانوا يحبونه ويقدمونه بسبب تلك الخيانة، ولم يسكت مصالي على موقف جونسون بل ردّ عليه بأنه يريد تحقيق الشهرة له ولكتابه على حساب التاريخ النضالي لمصالي وحركته الوطنية.³

في الأخير بدأ ميزان القوى يتراجع لصالح "ج.ت.و" وتغيّرت الأوضاع داخل "ح.و.ج" وبدأت تضعف تدريجيا أمام انتصارات الجبهة السياسية والعسكرية والتأييد الشعبي للثورة، مما أدى إلى فقدانها الثقة من طرف مناضليها، وقد وُجّهت "ف.ج.ت.و" نداء لمناضليها حتى يلتحقوا بهم، ابتداء من 25 أوت 1958، وفي ديسمبر 1958 طلب أحمد نصبة "مسؤول في "ح.و.ج" بأن يتصل بالفدرالية بفرنسا ويلتحقون بـ "ج.ت.و"، وهذا بعد مشاور وتبادل الآراء والأفكار، وبعد هذا اللقاء قرر بعضهم الالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية.⁴

1Haroun, op, cit, p258.

2 البشير زهاني، "علاقات الودادية العامة للعمال الجزائريين مع اليسار الفرنسي 1957 . 1962"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 05، ع 01، جامعة باتنة، الجزائر، يناير 2022، ص 560.

3Harbi, les archives de la révolution..., op, cit, p130.

4جمعة بن زروال، الحركة، مرجع سابق، ص ص 183 . 186.

تطوّر الصراع لصالح الجبهة خاصة باستقبالها للمجندين الجدد، على غرار أحد مسؤولي "ح.و.ج" الذين قرّروا الانشقاق عن هذا التنظيم والانضمام إلى "ج.ت.و" وهو المدعو "حدوش"، وقد كان على رأس مجموعة قتالية بكاملها ومدير ذلك النزل، يتحدث "بن يونس" عن هذا الحدث قائلا: "كان عامل الوقت في صالحنا إذ قرّر حدوش الانضمام إلينا في الجبهة، غير أنه لا يمكننا القبول به هكذا في صفوفنا دون أن نتأكد من صدقه، سألناه إن كان كل عناصر مجموعته تريد الانضمام إلى "ج.ت.و" فأجابنا بنعم وأنهم جميعا يريدون ذلك وأنهم اتخذوا هذا القرار بعد أن وصلتهم أخبار صحيحة ومؤكدة عما يجري في الجزائر وتبين لهم أن المعركة العادلة الحق هي تلك التي تقودها "ج.ت.و"، وأضاف بالقول أنهم وطنيون مخلصون يريدون الانضمام إلى صفوف الجبهة لتحرير الجزائر، ثم يضيف ليُقنعنا بصدقه أنه الضامن على هؤلاء الرجال جميعا ويتكلم باسمهم".¹

مما جعل هذه الحركة تُصعد من عمليات العنف بعد أن فشلت كل محاولتها في السيطرة على المهاجرين²، حيث سجّلت "ح.و.ج" تخلي الكثير من مناضليها النشطين ميدانيا على صفوفها للالتحاق بصفوف "ج.ت.و".³ وقد نتج عن هذا الصراع بين الحركتين حوالي 4000 قتيل و9000 جريح، وتجسّدت هذه الاشتباكات والتصفيات العسكرية بين الطرفين في حوالي 12000 حادثة اعتداء⁴، خصوصا في الفترة ما بين 1955 و1956 التي عاشت فيها الجبهة تجربة رهيبة، حيث يشير "بنجامين ستورا" بناء على التقرير الذي قدمته وزارة لويس جوكس أمام مجلس النواب الفرنسي في 13 جانفي 1962 حصيلة ستة وسبعون 76 قتيلا، وخمسمائة وعشرة جريحا 510 جريحا لسنة 1956، وثمانمائة وسبعة عشر 817 مقتولا وثلاثة آلاف ثمانية وثمانون 3088 جريحا سنة 1957.⁵

ومن جهته قام "لويس جوكس" وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية بطلب من نائب في البرلمان الفرنسي، بتقديم تقرير ضمّ أرقام عن ضحايا الصراع ما بين المهاجرين الجزائريين بفرنسا ما بين "ح.و.ج" و"ج.ت.و" في الفترة الممتدة ما بين 1956 إلى ديسمبر 1961 ورد فيه: "3889 قتيل من الطرفين، و7678 جريح في فرنسا، أما الشرطة الفرنسية فقدمت هي الأخرى تقريرا مفصلا حول الموضوع يغطي فترة 1956 إلى 1961 ويشمل عدد القتلى والجرحى من الطرفين لكل سنة ففي سنة 1956 بلغ عدد القتلى 76 وعدد الجرحى 510، وفي 1957 بلغت 817 قتيلا و3088 جريح، وفي 1958 بلغ العدد 902 قتيل و1671 جريح، ثم ارتفع في السنة الموالية إلى 687 قتيل و8115 جريح، أما في 1960 فقد

1 Benyounes, op.cit, p 36-37.

2 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج3، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 277.

3 بوداود، مصدر سابق، ص ص 112 . 114.

4 Benjamin Stora, la différenciation entre le FLN et le courant messaliste Eté 1954 – Décembre 1955, cahier de la méditerranée, 1983, p 17.

5 Benjamin Stora, Algérie histoire contemporaine..., op, cit, p206.

بلغت 529 قتيل و642 جريح، وفي 1961 وصل عدد الضحايا إلى 878 قتيل و982 جريح¹، وهذه الأرقام تدل على مدى النزاع وحجم الخسائر البشرية وتصفية الحسابات التي نتجت عن الصراع الدموي بين الإخوة الأعداء.

لقد نتج عن هذه الصراعات أن خسرت الجزائر الكثير من أبنائها وخيرة شبابها الذين كانوا إطارات في "ح.ش.ج" و"ح.إ.ح.د" ونخبة مثقفة من طلبة جامعيين، وعمال ونقابيين داخل الجزائر وخارجها خصوصا في فرنسا معقل المصاليين، في صراع دموي كان سببه النزاع على السلطة والزعامة ما أغرق هؤلاء المناضلين والإطارات وأسقطهم في دوامة من الدم والاعتداءات على إخوانهم أمام تشجيعات فرنسا وتحفيزها لهم ومساندتها لاتجاه ضد آخر لاسيما الحركة ضد الجبهة باعتبارها عدو مشترك لهما معا وهدفها من ذلك ليس حب المصاليين ولا مصالحهم الضيقة بل هدفها هو القضاء على الثورة التحريرية.²

هذا ما زاد من شعبية "ج.ت.و" لدى الجزائريين داخل وخارج الوطن لأنهم تأكدوا بما لا يدع مجالا للشك أنها تقاوم جميع أعداء الوطن على جبهتين الاحتلال الفرنسي من جهة والعملاء والخونة بمختلف مشاربهم من جهة أخرى، عكس المصاليين الذين ظهروا بمظهر المناهضين للاستعمار ليس دفاعا عن الوطن بل عن مصالحهم الضيقة وحسابهم الخاص ما جعلهم أعداء ألداء ل"ج.ت.و" أكثر من الاستعمار نفسه.

المطلب الثالث: مصالي الحاج من مناهضة السياسة الاستعمارية إلى معارضة الثورة التحريرية

تغيرت المفاهيم والقناعات لدى "مصالي الحاج" وأتباعه فبعد أن رفع راية المطالبة باستقلال الجزائر وجلاء الجيش الفرنسي منها طيلة عقود طويلة، متحذيا كل الإجراءات العقابية المسلطة عليه من طرف الإدارة الفرنسية من سجن ونفي وإقامة جبرية، تحوّل مع بداية الثورة التحريرية إلى معارض لكل معارضييه في الحزب وخارجه، ومنافس لممثلها الشرعي "ج.ت.و" على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والنقابية، سواء في الجزائر أو في فرنسا أو حتى في باقي أوروبا والعالم.

فشلت منظمة الحركة المصالية في التغلب على الأزمة الخانقة التي مرّت بها "ح.إ.ح.د"، حتى أنها لم تحتفظ بمقر تمارس فيه نشاطها إلا في فرنسا وحدها وذلك بسبب وجود مصالي في المنفى من جهة، وجهل المهاجرين الجزائريين بحقيقة الوضع في الجزائر من جهة أخرى، ومن هذا المقر كانت تندفق التعليمات والأموال والرجال، من أجل خلق جماعات مسلحة وعصابات معارضة موجهة لا إلى الاشتراك في الكفاح ضد العدو بنظامه الاستعماري وسياسته القمعية، بل إلى القيام بعمليات استفزازية والوصول عن طريق التخاذل والاغتيالات وعرقلة النظام إلى إفشال الثورة وقوادها العسكريين والسياسيين.³

1 بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة...، مرجع سابق، ص71.

2 بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة...، مرجع سابق، ص71.

3 بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص116.

تطوّرت مواقف "مصالي" من الثورة من المعارضة إلى المواجهة الدبلوماسية والعسكرية التي تجسّدت في عدّة أوجه سياسية لافتكاك شرعية تمثيل العمل الثوري والكفاح التحرري للشعب الجزائري داخليا وخارجيا، ونقابية للظفر بمساندة ودعم النقابات العمالية العالمية ومن ثم الاعتراف بها كطرف وحيد في ساحة المعركة، ثم تطورت إلى صراعات دموية عنيفة انتهت بسقوط آلاف الضحايا بين قتلى وجرحى.¹ وصل هذا التنافس والصراع إلى درجة أن السلطات الفرنسية قد عمدت إلى تضليل الرأي العام بأن ما يحدث في الجزائر من طرف جبهة وجيش التحرير الوطنيين لم يكن ثورة، بل كان مجرد عمليات إرهابية يقوم بها مجموعة من المتمردين والخارجين عن القانون، وكانت تعلم أن عملية التضليل هذه في منتهى الصعوبة، وأن إقناع الشعب ليست بالأمر الهين، لذلك ركّزت على بث سياسة التفرقة وشجعت النشاط الانقسامي بين الجزائريين داخل الجزائر والمهاجرين بالمهجر خارجها من خلال لبس عملاء الاستعمار قناع الوطنية وظهورهم بمظهر المناضلين المدافعين عن حق شعبهم في الحرية والاستقلال، ومن هنا تتّضح الأسباب التي دفعت الدوائر الفرنسية المسؤولة إلى تشجيع المصاليين وتسليحهم، وتوفير الحماية والدعم لهم مُعلقين عليهم آمالا كبيرة للقضاء على الثورة التحريرية، لكن "ج.ت.و." كانت بالمرصاد كما كان الشعب واع تمام الوعي بدسائس الاستعمار وأكاذيبه.

تحدث "بوداود" عن فشل الحركة الوطنية في الصمود أمام تفوق الجبهة بقوله: "كان واضحا أن المصالية قد خسرت الرهان في المجال السياسي، غير أنهم منّوا أنفسهم بالأمل في إنقاذ ما أمكن إنقاذه، والإيهام بأنهم لا يزالون موجودين، لم يعودوا يعبرون عن تواجدهم الميداني سوى من خلال صراعاتهم ضد ج.ت.و، وهو الأمر الذي توافق مع حسابات الإدارة الفرنسية وجعل من الحركة الوطنية حليفا موضوعيا للإمبريالية".²

أكّدت فدرالية "ج.ت.و." في خطاباتها ونداءاتها أن عدوها الأول والوحيد هو الاستعمار الفرنسي في إشارة واضحة إلى أنها عكس "ح.و.ج." التي خالفتها حين اتخذت منها عدوا أولا وفضلت محاربتها حتى قبل الاستعمار، بل وتحالفت مع هذا الأخير من أجل القضاء على هذا العدو المشترك لهما، بدليل منافستها إياها على جميع الأصعدة وإطالتها لأمد الصراعات الدموية بين الإخوة واعتمادها على الجانب الفرنسي لمساعدتها على كسب الرهان والانتصار في المعركة لتمثيل كفاح الجزائريين.

ورد في أحد نداءات الجبهة أنها كانت قادرة على إكمال الصراع والحرب إلى غاية تحقيق النصر والاستقلال وتحقيق ذلك لن يتأتّى إلا بإزاحة منافسيها المعرقلين لها، حتى ينصبّ تركيزها على الاستعمار بالدرجة الأولى، ومن بين ما جاء فيه: "إن الحرب مستمرة منذ خمس سنوات ونحن قادرون على مواصلتها

1Belaid Abaine, Resistances algériennes, Abaine Ramdhane et les fusils de la rébellion, Casbah éditions, Alger, 2001, p 502.

2بوداود، مصدر سابق، ص114.

حتى استقلال وطننا لكن لا يمكن ربح المعركة إلا إذا أوقفنا الحرب بين الإخوة الجزائريين، يجب أن لا يكون لنا عدوا آخر بعد الآن إلا عدوا واحدا هو الاستعمار".¹

انحرف مصالي عن مساره التاريخي حيث تخلى عن عدوه القديم الذي تفنن في تعذيبه ونفيه وحل جميع تنظيماته السياسية، وخلق لنفسه عدوا جديدا حاربه بكل السبل الدبلوماسية والعسكرية من أجل زعامة شخصية حاول بكل الطرق الحفاظ عليها مهما كانت النتائج وحجم الخسائر المترتبة عن ذلك، فشوّه بذلك معنى كفاحه السابق والتزامه الماضي.

اقتنع العديد من المصاليين على هذا الأساس بخطابات الجبهة ونداءاتها للوحدة فانشقوا عن "ح.و.ج" وابتعدوا عن زعيمهم وأعلنوا انضمامهم للثورة فرادي وجماعات، ليثبتوا فشل مصالي في ضمان استمرار التأثير عليهم بماضيه التاريخي لأنهم أصبحوا يهتمون بمستقبل بلادهم ويرغبون في جعله أكثر تحررا وازدهارا وبالتالي أصبح تركيزهم على الحاضر والمستقبل أكثر من الماضي.

انضم مسؤول التنظيم في "ح.و.ج" منذ 1955 وعضو المكتب السياسي منذ 1958 السيد "أحمد نسبة" وجميع الإطارات المرافقة له إلى فدرالية "ج.ت.و" حيث تم استقبالهم من طرف رئيسها "بوداود" وعضو لجنتها "عبد الكريم سويس" في ديسمبر 1958 بعد أن قاموا بتسليم جميع الأملاك التي كانت بحوزتهم المتضمنة سيارتين وحصّة من السلاح وتقريراً كاملاً عن وضعية "ح.و.ج" لإثبات صدق نواياهم في الانضمام إلى الجبهة وتقديم خدماتهم لها والنضال لصالحها، وهو ما تحقق لهم بعد انتهاء اللقاء بتحقيق رغبتهم في الإطلاع على جيش التحرير الوطني وتأطيره حيث سافروا إلى تونس لهذا الغرض، ثم عادوا بعد عدة أسابيع إلى المعازل الأخيرة لـ "ح.و.ج" ليشرحوا لمناضليهم الحقيقة التي كانوا شاهدين عليها.²

شعر مصالي بصدمة كبيرة بعد معرفته ذهاب "أحمد نسبة" والذين تبعوه إلى فدرالية "ج.ت.و" وانتقد ذلك بشدة، ثم أعطى أوامر صارمة لتصفية جميع المعارضين لسياسته، كما أكد على موقفه في مواصلة محاربة الجبهة بالسلاح، بغض النظر عن ضخامة الخسائر المادية والبشرية، وهذا ما يدل على التعنّت الكبير لمصالي في مواجهة الأزمة وفشله في إيجاد حل لها فبدل أن يبحث بموضوعية عن سبب تخلي أتباعه عنه وعن حركته وتزايد شعبية الجبهة، ظلّ متعطشا للمزيد من الدماء لا شيء سوى ليبقى محافظاً على زعامته الوهمية للكفاح.

يبدو أن ما رآه "نسبة" ومرافقيه في تونس من مدى هيكلة وتنظيم جيش التحرير الوطني ومدى استعداداته لاسترجاع الاستقلال بأي ثمن كان مبهرًا لهم، ذلك أنهم بمجرد عودتهم حاولوا التأثير على من بقي من زملائهم في "ح.و.ج" بأنهم على ظلال وبأن الحقيقة هي عكس ما هم متمسكين به تماماً، وأن

1Laurent Charbun, la guerre de l'ombre , RG contre FLN, Editions Jacob Duvernet, Paris, 2011, P48.

2Haroun, op, cit, pp269 – 270.

عليهم فتح أعينهم جيدا لرؤية الحقيقة التي يصر مصالي وبعض المتعصبين معه إخفائها، وعندها سيتخذون قراراتهم الصحيحة على بيّنة وقناعة وبمسؤولية كاملة.

نشر "نسبة" ورفاقه في 18 فيفري 1958 بتونس إنذارا إلى مناضلي "ح.و.ج" وقّعه المسؤولون في الحركة ببلجيكا وشمال شرق فرنسا، تساءلوا فيه بقلق عن واجبهم كوطنيين جزائريين أمام الأزمة الخطيرة التي تهز منذ مدة إطارات ومسؤولي الحركة ثم انتقلت إلى القاعدة، وقد تساءل الموقعون على هذا النداء إذا ما كان ينبغي أن يصدقوا بأنهم فقط كأعضاء "ح.و.ج" على صواب ضد مجموع إخوانهم الذين يناضلون في الجزائر من جهة، وضد كل الدول والشعوب الأفرو آسيوية التي أعلنت تضامنها الكامل مع "ج.ت.و"، لهذا فقد أدانوا بالحجج الدامغة والأدلة المدعمة لأقوالهم الاتصالات التي تترجم بوضوح تواطؤ "ح.و.ج" مع السلطات الفرنسية، وعلى هذا الأساس طالبوا ممن تبقى من مناضليهم الدخول في المعركة المشتركة للكفاح تحت راية الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و"ج.ت.و".¹

اهتزّت أركان مصالي بشدة لهذا الإنذار بعد انهيار القطاعات المفيدة والمأهولة في حركته، وهو ما أثبتته الموقعون لهذا الإنذار، حيث يمثلون جميعا أعمدة "ح.و.ج" وهم "أحمد نسبة"، بوجمعة عليان" قائد ولاية الشمال، "محمد بسطاوي" قائد دائرة موباح، "رمضان دويش" أمين قسمة هورنو ببلجيكا وقائدة دائرة، "ميلود بلهادي" قائد دائرة ليل - دوبي"، "علي بابا علي"، "محمد رباحي"، "ساعد شيشة" وجميع قادة الدوائر في الشمال، "مختار حميدوش" مسؤول السار.²

ذهب بعض الصحفيين الفرنسيين الذين تخصصوا في دراسة الحركة التحريرية في الجزائر إلى محاولة الدفاع عن مصالي وتبرير المواقف الرجعية التي وقفها هذا الرجل إزاء المعركة العادلة المريرة التي خاضها شعبه منذ سنين... لكن كشفت حقيقة العصابات الميصالية ومواقف رئيسها وانزلاقه من مناهضة الثورة إلى الخيانة المتعمدة... ولم يكتف بكل ذلك بل دفعت به البدائية السياسية إلى التقدم في مساعدة الاستعمار أشواطاً وأشواطاً، وبالتالي فإن التواطؤ مع عدو الشعب خيانة ولا مبرر للخيانة حتى وإن لم تكن عن وعي".³

ذكر المؤرخ الفرنسي "لوك إنودي" أن "ج.ت.و" كانت تعتقد من خلال التقارير التي تصلها أن ح.و.ج كانت على علاقة كبيرة بالشرطة الفرنسية، وأن هذه الأخير كانت توفر لها الحماية بدليل أنه كلما وقعت حادثة مرتبطة بالحركة الوطنية أو كانت طرفا فيها إلا وحضرت إلى مكان الحادث بسرعة فائقة وهذا ما يعزز ذلك التصور الذي ذهبت إليه الجبهة".⁴

ذكر "هارون" عن فشل مصالي عن مواكبة الثورة ما جعله يخسر أغلب مناضليه الأوفياء لصالح الجبهة، فقال: "عندما كان المسؤول الأعلى للشرطة الفرنسية يشرح بصراحة أنه لا مجال لمنع مصالي من

1Haroun, op, cit., p270.

2Ibid, pp270 – 271.

3 يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص ص 109 . 110.

4Jean – Luc Einaudi, la bataille de Paris, Média- plus, Algérie, 1994, p20.

التعبير بحرية في مهرجاناته أو أن يدلي للصحف بكلام لا يعارض كثيرا ما تقوله الحكومة الفرنسية خاصة من حيث الجوهر، فإن المناضلين والإطارات في حركته كانوا يواصلون مغادرة الباكسة التي لم يعد قبطانها يعرف كيف يوجهها".¹

أصبحت حياة مصالي ثمينة لدى الاستعمار حتى وصل الحد بـ "جاك سوستال" إلى القول بأن "مصالي هو ورقتي الأخيرة"²، وما رضى الحاكم العام "روبيرت لاكوست" عن عمل الحركة المصالية إلا قطع للشك باليقين لإضعاف "ج.ت.و"، فقد أضحت حياة مصالي بالنسبة إليهم في تقوية الحماية على معتقله في إجراء لافـت ومُحَيّر، وبدأت تنكشف معالم الخيانة للقضية الوطنية³، وفي يوم 14 جانفي 1959 قامت محاولة لإحياء ما يسمى بـ "ح.و.ج" ورئيسها مصالي من خلال إفراج ديغول عن مصالي الذي كان محدد الإقامة منذ سنوات ثلاث في فيلا "الليزرون" في بلدة "بل آيل سيرمير"⁴، مع توفير الحماية التامة له من قبل البوليس الفرنسي بهدف الاستفادة من خدمات هذا الرجل الذي ورغم عزلته الطويلة عن الشعب الجزائري منذ عشرون عاما، إلا أنه كان يدعي زعامة هذا الشعب وقدرته حسب الحكومة الفرنسية في حل المشكلة الجزائرية.

وفي اليوم الموالي كتبت الصحافة الفرنسية عدة عناوين برآقة منها "مصالي رجل السلام"، "مصالي الحاج يقول أن الإرهاب ليس هو الحل"، وفي جريدة "لوبزرفاتور" "l'observateur" كتبت "الوقت حان ليدلي مصالي برأيه"، "سوف نستمر في الكفاح من أجل الحرية"، وفي جريدة "باريس جورنال" 15 جانفي 1959 ورد قول مصالي: "...هناك معركة أخرى بالسلاح وهي معركة سهلة ولكنها ليست الوسيلة التي أفضّلها"، أما في جريدة "فرانس سوار" في 16 جانفي 1959 فورد: "إنه من السهلة بمكان أن نتابع الكفاح بالبنادق" وتحت عنوان "رجل الصلح مع فرنسا" يقول مصالي: "يجب أن نبني معا... هذه هي وجهة نظري... لا أريد أن أتكلّم إلا في إمكانيات التفاهم"، وكتب أيضا: "لقد كافحت كثيرا وتحيزت عدة مرات ولكنني أريد أن أبقى حتى يوم مماتي رجل الصلح، أني أطلب بانتهاء تصفية الحساب بين المواطنين".⁵

وفي ذات السياق استمر الإعلام الفرنسي في الدفاع عن المصاليين وتشويه ج.ت.و من خلال نسبته الجرائم المقترفة على يد المصاليين للجبهة، واتهامها بالعنصرية والتحريض واستهداف الجميع بما فيها أبناء شعبها سواء داخل الجزائر أو خارجها، خصوصا حينما استغلت الجرائم الشنيعة التي ارتكبتها الجماعات المصالية بقيادة الجنرال بلونيس في ملوزة والتي راح ضحيتها أكثر من 304 شخصا، وحاولت من خلالها تشويه صورة الثورة حين اتهمت ج.ت.و بالمسؤولية عن هذه المجزرة، مؤكدة أن مناضليها إنما

1 Haroun, op, cit, p270.

2 بوعزيز، مرجع سابق، ص118.

3 عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية 1954. 1962، تر: عالم مختار، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص227.

4 بوعزيز، التهامات المتبادلة...، مرجع سابق، ص125.

5 نفسه، ص ص 126.127.

هم إرهابيون لا يرحمون حتى أبناء جلدتهم، وأنهم لا علاقة لهم بالوطنية ولا أي طموح وان ما حدث في ملوزة هو تحدي للقانون الأخلاقي والمبادئ الإنسانية.¹

وتحوّل بذلك مصالي من حامل خطاب الحركة الوطنية إلى أكبر معادي لمبادئ الحركة التي عاش وضحي عشرات السنين من أجلها، ولو أنه أخفق هذا الإخفاق في شبابه لهان الأمر وأمكن الصفع عنه... لكنه أخطأ في مرحلة حكمته ونهاية تجربته وأعلى مراتب شخصيته التي كانت مقدسة... لقد وقف ضد تيار التاريخ ولم يستوعب حركات التغيير والتطور، خدعه ماضيه فألهاه عن حاضره حتى خسر مستقبله.²

شبه "هارون" فشل مصالي بسبب عناده وتعنته نتيجة حالته النفسية التي تنتسب إلى الوهم الوارد في قصة الديك الذي لا يكتفي بمراقبة طلوع الفجر لكن يعلن أنه هو الذي يُطلع الشمس، رغم أن هذه الأخيرة تطلع دون أن يكون للديك دخل، كذلك تنتصر الثورة دون أن يكون لمصالي أية جدارة.³

صرح "أحمد نسبة" للمجاهد في عددها 35 ليوم 15 جانفي 1959 مؤكدا انهزام مصالي وفشل كل خطته أمام براءة مناضلي ومسؤولي فدرالية "ج.ت.و" فقال: "إذا كانت القاعدة تتفكك وتزول فإن القيادة أيضا لا يمكنها أن تقاوم الزمن، هذه هي الحقيقة، هناك شعب موحد خلف "ج.ت.و" بينما ينعزل أكثر فأكثر مصالي الواقف على هامش الأحداث، لاسيما أنه قد أبعد عدة إطارات مثل "ماروط" "Maroc"، و"بوحافة" "Bouhafa" و"قواق" "Ougouag" لأسباب شخصية وأحيانا تافهة".⁴

انهزم مصالي بعد أن تحول من أب للحركة الوطنية إلى مُفرّق لصفوف الجزائريين ومنحرف عن الطريق الصحيح للثورة، فبعد أن كان الاستقلال مطلبه الأول أصبح هدفا ثانويا لديه أمام خطر "ج.ت.و"، التي ظلت رغم ذلك محاربة لتشتت القوى، ومحافظة على الوحدة الثورية الضرورية للانتصار على الاستعمار.⁵

تراجعت مكانة "ح.و.ج" حتى أصبحت لا تمثل إلا ظل نفسها، واقتصرت في السنة الأخيرة من الحرب (1962) على صرف طاقتها الضعيفة في الاستعطاف لقبولها على طاولة المفاوضات، غير أنها فشلت في ذلك حيث اضطرّ مصالي إلى متابعة مفاوضات إيفيان حول وقف إطلاق النار من قصره في "توتوفوال" "Toutevoile"، وهكذا ظلّ الرجل الذي كان في الفترة المعاصرة أول من بعث وطور وجسّد

¹الجزائر، الرأي العام الدولي ومذبحة ملوزة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 41, 12 Juin 1957, Paris, pp07- 08.

² لخضر بوقعة، شاهد على اغتيال الثورة، مصدر سابق، ص220.

³Haroun, op, cit, pp256 – 257.

⁴Ibid, p274.

⁵Belaid Abain, Resistances algériennes, Abaine Ramdhane et les fusils de la rébellion, op, cit, p520.

فكرة الاستقلال لا يستطيع قول كلمة واحدة للمشاركة فيه، ومكث على الهامش في وقت حاسم يتقرر فيه مصير الجزائر المستقلة.¹

والحقيقة أن الإدارة الفرنسية ورغم كل ما كانت توفره لمصالي من دعم مادي ومعنوي وإعلامي إلا أنها كانت تدرك جيدا أنه لم يعد يملك أي نفوذ ولا أي تأثير على الجزائريين عامة وعلى الجالية الجزائرية بفرنسا خاصة ولم يعد يمثل إلا نفسه وأن تأثيره السحري على المهاجرين لم يعد مثل السابق، لكنها كانت تدعمه فقط لأجل تحريف أنصار الجزائريين عن مشكلتهم الحقيقية والجوهرية وبث التفرقة بينهم خصوصا في فرنسا، وتحول بذلك إلى أداة في خدمة أعداء الحرية، ذلك أن استثمارها في هذا الصراع الدموي سيساعدها في ضرب ثورة الجزائريين في العمق وتشويه قضيتهم الوطنية وكفاحهم التحرري.

المبحث الثاني: إستراتيجية "ف.ج.ت.و" في إفشال المخططات الاستعمارية

المطلب الأول: الإستراتيجيات الإدارية

اعتمدت "ج.ت.و" سياسة الرحمة والعفو حين قبلت باستقبال هؤلاء المجندين الجدد الذين انشقوا عن "ح.و.ج" في صفوفها، وكان هذا أحد الأهداف الأساسية للجبهة للشم وتوحيد الصفوف وتعزيز القوة الثورية تحت لوائها، وبهذه الطريقة استطاعت الجبهة تنفيذ عمليات اتصال واحتكاك واسعة بين مختلف فئات الجالية الجزائرية، كما قامت باستغلال كل العلاقات التي كانت قائمة بين أفراد القرية الواحدة الذين يتعارفون فيما بينهم منذ سنين طويلة سواء على أساس القرابة العائلية أو المنطقة الواحدة مما خلق جوًّا أكبر للثقة والاطمئنان، وبناء على هذا الأساس قامت الجبهة بتعزيز خلاياها القاعدية وتوسيع دائرة نشاطها في مختلف المناطق الفرنسية خاصة حيث تتركز الجالية الجزائرية.

لقد شكّلت جماعات "ح.و.ج" عائقا كبيرا أمام تحركات "ج.ت.و" لتقوية وتعزيز خلاياها وهيئاتها، لكن وبمجرد تفوق الجبهة بداية من شهر جويلية 1957 انتهجت طريقة فعالة تقوم على مرحلتين:

1. مرحلة إعادة الهيكلة:

لتنظيم المهاجرين الجزائريين وترتيب الأمور بجدية أكبر، يذكر "بن يونس" في هذا الصدد: "يتكفلّ مناضلونا بداية من الساعة الثامنة مساء بالقيام بزيارات تفقدية لأحد الفنادق التي يسكنها الجزائريون... اكتشفنا أن بعض الجزائريين كانوا مهيكليين من قبل في أحياء أخرى بل وفي مناطق أخرى، فلزم علينا إذن التأكد من بعض الحالات ثم ترتّبت الأمور بشكل عادي، وإلى جانب هؤلاء الإخوة الذين سبقت عضويتهم في ج.ت.و ووجدناهم مسجلين في أحياء أخرى، قام مناضلونا بتجنيد الآخرين غير المهيكليين

1Haroun, op, cit, p275.

وشرعوا على الفور في إنشاء هياكل تتكون من خلايا وأفواج وأقسام وذلك بحسب عدد الأشخاص الذين تم إحصائهم في المنزل... وكانت هذه العملية مفيدة جدا فلم نلاق أي اعتراض أو تحفظ لدى إخواننا الجزائريين مثلما وكأنهم كانوا ينتظرون لفارغ الصبر هذه اللحظة للتعبير عن استعدادهم للانخراط في الكفاح من أجل الاستقلال".¹

تمكنت ج.ت.و. بهذه الطريقة من إنشاء هيئة تابعة لها في كل حي بعد نجاحها في جمع المهاجرين الجزائريين بدءا بالذين يسكنون بالفنادق ثم الذين يعيشون في شبه قاعات النوادي وكان عددهم كثيرا في تلك الفترة ثم الذين يعيشون في شققهم الخاصة، وكان لهذه العملية على حد تعبير بن يونس: "أثر نفسي إيجابي على المهاجرين الجزائريين إذ خلقت جوا تعمه الثقة على مستوى الفنادق والنوادي، فمادام الكل يعرف بعضه بعضا والكل عضو في ج.ت.و. فقد نشأت أخوة وتضامن كبيران بينهم إلى درجة زال بها كل ذلك الشك والتحفظ اللذين كانا لدى العديد من أفراد جاليتنا".²

2. مرحلة التنظيم والتأطير:

بعد الانتهاء من المرحلة الأولى باشرت الجبهة المرحلة الثانية الخاصة بالتنظيم فقامت بتقسيم العمال إلى ثلاث فئات، المناضلون الذين سبق لهم النشاط داخل المنظمة، والمنخرطون، والمتعاطفون الذين يدفعون الاشتراكات، وقد تم تكوين هيئات الجبهة بفرنسا بحسب التعداد المسجل ومساحة رقعة الإقليم الواحد، وقد طُبّق هذا التنظيم على المناطق التي تقع خارج باريس بحكم اتساعها وانتشار الجالية الجزائرية على ربوعها فكانت الولاية وتضم عمالتين إلى ثلاث أو منطقة أوسع واحدة، العمالة أو المنطقة الأوسع وتضم منطقتين أو ثلاث، المنطقة وتضم ناحيتين أو ثلاث، الناحية وتضم ثلاث قطاعات أو أربعة، القطاع أو الدائرة ويضم ثلاث أو أربع أفواج، القسمة وتضم ثلاثة أو أربعة لأفواج، الفوج ويضم ثلاث أو أربع مجموعات، المجموعة وتضم ثلاث أو أربع خلايا، الخلية الأولى بثلاث مناضلين، الخلية الثانية بخمسة منخرطين، الخلية الثالثة بخمسة متعاطفين.³

نلاحظ أنه وعملا بمعايير الأمن الصارمة والفعالية فإن هذه الهيئات كانت منظمة ومرتبطة من القاعدة إلى القمة وهذا ، وقد تقررّ تقسيم مدينة باريس إلى ولايتين اثنتين بحكم أهميتها كعاصمة فرنسا ولمن من حيث هي تشكل أكبر تجمع لأفراد جاليتنا يمتد إقليميها إلى غاية الضواحي والأحياء المجاورة التي تحيط بها، وجاء موقع الخلية ضمن هذه الهيكلة على مستوى الناحية ويرأس قائد الناحية بشكل من الأشكال كل الهيئات القاعدية بما فيها التنظيمات الأخرى التابعة لها مثل مجموعات الصدام القتالية والتجار ولجان

1 Benyounes, op.cit, p 46-47.

2Ibid, p 47.

3Benyounes, op.cit, p 48.

الصحة والقضاء، ويقدم تقاريره أثناء الاجتماعات التي تعقد مرحليا والمسماة بـ اجتماعات لجنة المنطقة¹ التي يلتقي فيها كل قادة النواحي.

عملت "ج.ت.و" على إضعاف تأثير الإدارة الفرنسية وقطع كل سبل اتصال المهاجرين الجزائريين معها، فكوّنت لجان خاصة ونصّبتها لمعالجة المشاكل والنزاعات التي تظهر بين أفراد جاليتنا وتعمل على إيجاد حلول لها فتكون بذلك قد منعت أفراد الجالية الجزائرية من الاتجاه إلى المصالح الفرنسية لقضاء شؤونهم من جهة، وفرضت أفكار وعقلية الجبهة وأسست إدارتها الخاصة بفرنسا من جهة أخرى، لتثبت في الأخير أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري سواء داخل الجزائر أو خارجها.

أنشأت لتحقيق أهدافها المسطرة عدة لجان متخصصة شملت مجالات مختلفة أهمها لجنة القضاء لمعالجة كل النزاعات القائمة بين المهاجرين الجزائريين خصوصا التي كانت بين التجار باعتبارهم الأكثر إيداعا للشكاوي، وقد اعتمدت الجبهة معايير صارمة في عملية انتقاء أعضاء اللجنة أهمها النزاهة والإخلاص والكفاءة والالتزام بقضية الاستقلال الوطني، وكذا لجنة الصحة التي شكّلت أجمل صورة للتضامن بين الجزائريين في بلاد المهجر لاسيما في توفير الإيواء وحل مشكلة السكن مُقدّمين دعما لوجيستيا كبيرا فترة الثورة التحريرية، إضافة إلى لجنة مساندة المعتقلين التي هدفت إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي لعائلات مناضليها من السجناء الذين كانوا يمثلون السجون الفرنسية بأعدادهم الكبيرة.²

المطلب الثاني: الاستراتيجيات العسكرية

1. تطور مجموعات الصدام القتالية وتأسيس المنظمة الخاصة:

أحسّ العديد من أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا برغبة جامحة في الالتحاق بالعمل الثوري في الجزائر فور اندلاع الثورة التحريرية 1954، وكان العديد منهم يشعرون بالأسى لعدم استطاعتهم المشاركة فيها نظرا لبعدهم عن موطنهم، وقد أشار "بن يونس" إلى ذلك بقوله: "لقد لاحظتُ أنا شخصا شعور بالأسى كان منتشرًا لدى معظم المهاجرين الجزائريين لاسيما بحي "سانت دوني" إذ العديد من سكان هذا الحي الجزائريين أرادوا أن يتطوعوا للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني وحمل السلاح لمحاربة المستعمر".³

عندما ضاعفت "ح.و.ج" من اعتداءاتها سنة 1957 رأت قيادة "ج.ت.و" بضرورة وضع الأساليب والوسائل الكفيلة بالردّ على المصاليين والتصديّ لاعتداءاتهم الدموية واغتيالهم لمناضليها، خصوصا وأن المهاجرين كانوا يطالبون بالردّ وبقوة على هذه الاعتداءات، وعلى هذا الأساس قامت الجبهة بتشكيل "الجماعات المسلحة" أو ما سُمّيت بـ "جماعات الصدام القتالية" التي يُعرّفها بن يونس بقوله: "هي عبارة عن خلايا صغيرة تتكون من ثلاثة إلى أربعة أفراد أو أكثر، كل جماعة تنشط تحت إمرة قائد الناحية الذي تتلقى منه التعليمات من جهة وتفيده بتقاريرها من جهة أخرى، ولا تربطها أية علاقة مع الهياكل

1Ibid, p49.

2لأكثر تفاصيل عد إلى الفصل الأول.

3Benyounes, op.cit, p54.

الأخرى التنظيمية وهي الخلية والفوج والقسم والقطاع، وذلك نابع من ضرورة الحفاظ على سرية التنظيم ككل لأن الشرطة الفرنسية كانت دائما تحاول أن تدسّ بين أوساطنا مخبريها الذين يصعب كشفهم.¹ اعتمدت "ف.ج.ت.و" بفرنسا قبل إنشاء المنظمة الخاصة على هذه الفرق الصغيرة لمواجهة قوات المصاليين، وكان عدد عناصرها لا يتجاوز 15 عنصرا في المنطقة الواحدة موزعين على أربعة خلايا، وتضم كل خلية ثلاثة عناصر وقائد للخلية، وهذه الأخيرة تشرف كل واحدة منها على ناحية أو قسمة يتم تسليحها بأسلحة خفيفة ورشاشات وقذائف Grenades، وتتلخص مهمتها الإجمالية في حماية أمن الفدرالية وسلامة مسؤوليها، إضافة إلى متابعة الخونة والعملاء وكل المعارضين للجبهة والخارجين عن نظامها.² تحدّث "بن يونس" في مذكراته عن هذه المجموعات فذكر: "كانت الناحية الباريسية تغطي مساحة إقليم الدائرة الواحدة وكان بها عشرون مجموعة تنشط على مستوى العاصمة الفرنسية، وقد بدأنا تشكيل أولى المجموعات القتالية بالدائرتين الثامنة عشر ثم التاسعة عشر لأن حضور المصاليين بهذين المنطقتين بالذات كان قويا فلزم علينا صدّهم، وكان قادة المجموعات يتمركزون بالدائرة الـ18 حيث نجد "هروي محمد" المدعو موح ومساعدته "عزّاب محند" المدعو مصطفى، وبالدائرة الـ19 نجد "سليمان عميرات" والأخوين "ولد حمّو عبد القادر وإبراهيم"، و"مجبور محند السعيد" المدعو بوقروّ و"الحاج سليمان" المدعو شيبيلوف بحي سانت دوني.³

أما عن مهامها وأهميتها فيذكر بن يونس قوله: "بعدها تم تشكيل هذه المجموعات وجب علينا تحديد مهامها بنوع من الصرامة وكان من الضروري بالنسبة لنا تجنب أيّ خطأ أو انزلاق ومنع كل مبادرة شخصية، تقوم المهمة الأولى للمجموعة على ضمان أمن الأماكن التي يتردد إليها مناضلونا بكثرة وعلى وجه الخصوص تلك التي يعقدون بها لاجتماعات واللقاءات، وكذلك حماية الأموال المحصّلة عن طريق الاشتراكات وإيصال الوثائق السرية، مثلما هي المجموعة مكلفة أيضا على وجه الخصوص أقول للرد على اعتداءات عناصر الحرة الوطنية الجزائرية وإبطال تحركاتهم هم والمخبرين الآخرين الذين يعملون لصالح الشرطة الفرنسية، لقد مثّلت هذه المجموعات عنصرا هاما جدا ضمن الإستراتيجية العامة لجبهة التحرير فالكثير من أعضائها استشهدوا أثناء اشتباكات مع أفراد الشرطة الفرنسية مثلما وقع في 25 أوت 1958، وآخرون تمّ القبض عليهم وأحيلوا على أيدي الجلاّدين يعذبونهم فمنهم من حُكم عليه بالإعدام ونُفذ في حقهم ومنهم من أُبقي في السجن إلى غاية الاستقلال، ومنهم من باتوا يُعدّون مفقودين لا نعلم إن كانوا لا يزالون أحياء أو أمواتا".⁴

1Ibid, p54 –55.

2Guentari, op.cit, p601.

3Benyounes, op.cit,p55.

4Ibid, p 56.

بعد توسع نفوذ ج.ت.و. بالمهجر وامتداد تأثيرها على المهاجرين، وبهدف تعميق نقل الثورة إلى التراب الفرنسي وتنفيذ المزيد من العمليات العسكرية الناجحة، تأسست المنظمة الخاصة لمواجهة مختلف الأخطار الفرنسية والمصالية، وتقرر إدماج مناضلي تلك الفرق . مجموعات الصدام القتالية . في صفوف هذه المنظمة وتجنيد عناصر أخرى جديدة لتنفيذ العمليات العسكرية بكفاءة عالية لتصبح هذه العناصر في مجملها تشكّل قوات كومندوس حقيقية يميّزها الانضباط والصرامة العالية والسريّة التامة مع القدرة الكبيرة على التحمل النفسي والجسدي والبقاء دوماً على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ في أية لحظة ممكنة، وقد تمّت أدوار المنظمة الخاصة عبر فترتين زمنيّتين:

أولاً: المنظمة الخاصة الأولى: 1956 . 1957

تميّزت نهاية سنة 1956 وبداية سنة 1957 بإشراف الصراع بين التيار الجبهوي والمصالي على نهايته حول ضمان ولاء المهاجرين الجزائريين والإشراف عليهم، وكانت الكفة تترجح يوماً بعد يوم لصالح ج.ت.و. التي فرضت وجودها من خلال فرق التدخل التابعة لها التي أصبحت أكثر فعالية ونشاطاً وسط أفراد الجالية الجزائرية، رغم حداثة نشأتها حيث يجمع أغلب المؤرخين في كتبهم ومناضلي الفدرالية في مذكراتهم وشهاداتهم على ظهورها في نفس الفترة الزمنية أي نهاية سنة 1956 تزامناً مع الإصرار على فتح جبهة ثانية للثورة على الأراضي الفرنسية، لجعل هذه الأخيرة تقوم بتقسيم قواتها بين الجزائر وفرنسا والتمكّن بذلك من تخفيف الحصار وسياسة التطويق التي كانت مفروضة على الشعب الجزائري وثورته.

ذكر "محمد بن صدوق" الذي كان عضواً مهماً في إحدى فرق هذه المنظمة منذ أن التحق بها سنة 1957 بعد فراره من الألزاس إلى باريس بأنها تأسست نهاية سنة 1956، وهو ما أكدّه أيضاً "نصر الدين آيت مختار"¹، وقد أكملت بنفس الوتيرة التي كان يعتمدها حزب الشعب حيث يتم تعيين كل مناضل من قبل مسؤول ولاية أو قائد منطقة، وكان الهدف من إنشائها هو تقريبا نفس الأهداف التي حُدِّدت لفرق التدخل الاحتياطي الرئيسي التي لجأ إليها كل من دوم وسويسري لانجاز مهام جبهة التحرير بفرنسا، كما أنه لم تكن هناك حدود واضحة تميّز بين الهيكلين السياسي وشبه العسكري، حيث غالبا ما كان قائد الولاية أو مسؤول المنطقة هو من يعين قادة الفرق ويحدد لهم الأهداف.

أكّد "علي هارون" نفس الموقف وذكر أن الجذور التاريخية لتأسيس المنظمة تعود إلى سنة 1956 حينما بذل العديد من مناضلي فدرالية الجبهة بفرنسا جهوداً حثيثة لبناء النواة الأولى لها لتكون مكلفة بالعمليات العسكرية وجمع الأسلحة لدعم العمل الثوري وضمان استمراره، وكان على رأسهم "عبد الكريم سويسري"، "أحمد عماري"، "صالح بوشمال"، وقد سقطا هذين الأخيرين تحت نيران الحركة المصالية، ولم يستسلم سويسري بوفاة صديقيه بل واصل جهوده وعمل على إنشاء مجموعات الإمداد

1Nacer Eddine Ait Mokhtar, organisation spéciale de l'ALN, manuscrit inédit, p01.

المكلفة بجلب الأسلحة عبر الحدود البلجيكية والإيطالية والسويسرية، وقد شملت الشبكة رغم قلة المنخرطين فيها عددا من المناضلين القدامى على غرار "البشير بومعزة" و"محمد الزواوي".¹ وفي سياق شهادات أهم العناصر القيادية سواء في فدرالية الجبهة أو في المنظمة نفسها، جاءت شهادة "محمد صدوق" لتؤكد أيضا أن ميلاد المنظمة كان سنة 1956 وأنه تلقى اتصالا من "سويسي" للعمل معا في تنظيم المنظمة وتدريب المناضلين، ثم تواصلت الجهود من طرف "قدور العدلاني" وعمر بوداود ومناضلون آخرون من رفقائه في النضال لهيكل المنظمة أكثر وتقوية أجهزتها²، بما يمكن من تحدي التحركات القوية لعناصر ح.و.ج من جهة والمراقبة الشديدة لمختلف عناصر الأسلاك الأمنية الفرنسية خصوصا على مستوى المناطق الحدودية والمناطق الفرنسية الكبرى وكذا المناطق الأهلة بالمهاجرين الجزائريين ومن ثمة تصبح قادرة على خوض المعركة بشكل جيد فوق التراب الفرنسي، وتوسيع نفوذ الجبهة على الجالية الجزائرية.

ثانيا: المنظمة الخاصة الثانية: 1957 . 1958

عزم "موسى القبائلي" منذ توليه رئاسة المنطقة الباريسية في نهاية سنة 1956 بعد تعيينه من طرف "أحمد دوم" الذي كان قد قاد معه رفقة سويسي على العديد من العمليات المسلحة ضد مختلف الأهداف الفرنسية مثل استهداف فنادق ومنشآت فرنسية عدّة، والعديد من الشخصيات الهامة من الفرنسيين والحركي منها التي باءت بالفشل كالتي استهدفت "روبير لاكوست"، ومنها الناجحة كالتي اغتالت "علي شكال"، وفي ربيع 1957 عمد مناضلي الفدرالية ل ج.ت.و إلى تطوير هذه المنظمة الخاصة وتحويلها إلى هيكل عسكري حقيقي مستقل عن التنظيم السياسي ومختلف عن المنظمة الأولى وأكثر تنظيما وتطورا منها. في بدايات سنة 1957 ونظرا للتوقيفات الكثيرة التي شملت أعضاء الفدرالية بفرنسا، وللحفاظ على بقاء المنظمة وضمان استمرارها، أرسل "العقيد الصادق" وهو قائد الولاية الرابعة في الجزائر السيد "بوعزيز السعيد" إلى فرنسا لمساعدة اللجنة الفدرالية، وقد تولى تحت قيادة "بوداود" قيادة الجانب العسكري للمنظمة بمساعدة "نور الدين آيت مختار" كنائب له³، وقد أعطاه هذا التعيين الحرية الكاملة في التصرف والسلطة الكافية لوضع النواة الأولى للمنظمة الخاصة بشكل رسمي، وقد نجح في ربيع 1957 رفقة العدلاني في تأسيس هيكل عسكري حقيقي مختلف تماما عن هيكل المنظمة الخاصة التي سبقته، لاسيما بسعيه للفصل بين الجانبين السياسي والعسكري تجنباً لخلط الصلاحيات بين تنظيم الفدرالية والمنظمة الخاصة، وإنهاء التداخلات التي كانت قبل مجيئه بين المنظمين السياسية والشبه عسكرية.⁴

1Haroun, op, pp38 – 39.

2Harbi, une vie debout..., op.cit, p211.

3 Necer Eddine Ait Mokhtar, op, cit, p37.

4 جريال، مرجع سابق، ص 72 . 79.

تقلّد كل من "آيت مختار" الذي مُنح اسما مستعارا وهو "مجيد" حفاظا على الطابع السري للمنظمة، و"بوعزيز" قيادة المنظمة الخاصة في ربيع 1957 معوّضين بذلك كل من "سويسي" و"القبائلي"، وقد انتظمت في عهدهما المنظمة الخاصة بشكل أكثر دقة وأصبحت أكثر تنظيما وهيكلية، حيث ظهرت في شكلها النهائي لتصبح فرعا من فروع جيش التحرير الوطني بفرنسا بعد أن وضع لها قواعد العمل العسكري وكوّن لها قيادة جديدة وخلايا أخرى تابعة لها، في حين تم تحويل أعضاء ومناضلي المنظمة السابقة في عهد السويسي لإرساء هياكل جديدة مثل "أحمد عمراني" محمد عيساوي"، ومحمد بن صديق"، "عمر حرايق"، "حسين بن دالي".¹

رأى القادة والمناضلون الجدد ضرورة إعادة النظر في هيكلية المنظمة الخاصة وطريقة عملها من أجل الانطلاق من جديد على أسس متينة وبرجال أشدّاء ومؤمنين بالقضية ومزودين بالتكوين العسكري الملائم للظروف ومستجداتها²، من خلال إدخال إصلاحات أهمها تأسيس هيكل شبه مستقل وفعال يمكنه أن يقوم بعمليات منسقة وضخمة³، والحرص على اختيار أعضاء جدد تتوفر فيهم شروط صارمة لإنجاح هذه العمليات، إضافة إلى التركيز على توفير الوسائل اللوجستية للفدرالية من أجل التحكم في العمليات المبرمجة ضد العدو وإعطائها ضمانات أكبر للنجاح.

2. شروط الانضمام وقواعد العمل في المنظمة الخاصة:

تشكّلت المنظمة الخاصة من مناضلين في كامل الاستعداد للتضحية في سبيل وطنهم وشعبهم والدفاع عنهم بكل ما أوتوا من قوة، وقد عوضّت هذه الإرادة والعزيمة قلة الخبرة الميدانية في حمل السلاح ومجابهة الشرطة الفرنسية أمام اختلال ميزان القوة بين الطرفين، ومن أهم هؤلاء نجد "نصر الدين آيت مختار"، "عمار بن عدود" وغيرهم، وقد حُدّدت معايير عدة من أجل اختيار الراغبين بالانخراط فيها وأهمها الانضباط الكامل، اعتماد السرية التامة والتكتم الكلي على أسرار الثورة مهما كان نوعها، والقدرة على الصمود والمقاومة الجسدية والمعنوية أمام مختلف أساليب التعذيب الفرنسية، وضرورة الحصول على تكوين معرفي وسياسي وعسكري يكون كاف لفهم الوسط الذي يعيش فيه والميدان الذي سينشط فيه، مع الاستعانة بأسماء مستعارة لتضليل أفراد الشرطة وتسهيل عمليات الفرار، إضافة إلى ضرورة البقاء دوما على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ والاستجابة لأوامر ج.ت.و. في كل الحالات والأوقات.

حرصت المنظمة الخاصة على إتباع نظام صارم في التقسيم الجغرافي لتوزيع مناضليها وأنشطتها الموكلة إليهم، خاصة مهام مسؤوليها وقد تم إخضاع ذلك التقسيم لعدة اعتبارات حسب أهمية الأهداف المرجى تحقيقها وإمكانات التجنيد المحلي، وقد شملت المنظمة إلى غاية أبريل من سنة 1958 أربعة

1 نفسه، ص82.

2 بوداود، مصدر سابق، ص108.

3 جربال، مرجع سابق، ص80.

مناطق وهي باريس وسط بقيادة أحمد عمراني، ومحمد بن صدوق، والمنطقة الثانية في باريس وضواحيها، ومنطقة الجنوب في مارسيليا كان يشرف عليها حسين بن دالي، في حين ضمت منطقة الوسط الفرنسي مدن سانت اتيان وليون وكانت تحت قيادة "عمر حرايق".¹

أوصت قيادة المنظمة الخاصة جميع مناضليها بالحرص على التشبه بالفرنسيين ومحاولة تقليد مظهرهم الخارجي ومختلف تصرفاتهم في الكلام والعمل وارتداء الملابس الأوروبية، كما وضعت لكل عنصر من مناضليها اسما مستعارا حتى لا يتعرف كل واحد منهم على الاسم الحقيقي لرفيقه في الخلية، وفي حالة التفتيش من طرف قيادة المنظمة يتوجب كل عنصر وضع قناع حتى لا يتعرف على مسؤوله، ورغم أن تلك الشروط كانت صعبة حيث تستوجب اتخاذ الحيطة والحذر الدائمين إلا أن مناضلي المنظمة قد برهنوا على سهولة كبيرة وعزيمة عالية على التقييد بها وتنفيذها بجميع حذافيرها، لاسيما وأن لدى أغلبهم تجربة سابقة في خوض حروب مماثلة اكتسبوا منها خبرة سياسية وعسكرية بالغة كالمواجهة العسكرية الثانية أو حرب الهند الصينية.²

ذكر أحد أبرز أعضاء المنظمة الخاصة وهو "عبد الرحمن شريف مزيان" صعوبات الاختبار التي كان يتعرض لها كل مناضل ينضم إلى المنظمة والصرامة العالية التي يجب أن يلتزم بها والتي تعتمد عليها المنظمة للتأكد من مدى الإخلاص لديهم بقوله: "...أخضعني بوزيان ولد الشيخ لاستجواب حقيقي وتناول معي المسائل السياسية الأكثر تعقيدا...ولجملة من الاختبارات لكي يعرف مدة الوثوق بي...ولما انتهت الاختبارات قال لي أنت واحد من مجموعتي الآن، نحن النظام . جبهة التحرير الوطني . ونشكل فرع من فروع الجبهة أي المنظمة الخاصة، نحن لا نرتدي الزي العسكري لكننا جنود مسلمون...والعناصر التي تلتحق بنا يتم اختيارها بدقة فهم مقبلون على الموت من أجل أن تحيا الجزائر...أنت خاضع للانضباط العسكري الأكثر صرامة...".³

من قواعد الصرامة أيضا التي كانت مُتَّبَعَة في الانضمام للمنظمة هي إرغام كل عنصر جديد بأداء القسم والحلف على القرآن الكريم، ومما كانوا يقولونه أثناء الحلف: "أحلف باسم الله وباسم السور القرآنية، أنني لن أخون المنظمة الخاصة أبدا، ولن أبوح بشيء لأيّ كان ومهما كان حتى للأقربين إليّ كوالدي حتى في أحلك الظروف"⁴، وتبرز هنا بوضوح حجم المسؤولية الكبيرة التي تحمّلها هؤلاء المناضلين وحملوها على عاتقهم حيث تحرروا من كل الروابط العاطفية والعائلية من أجل الحفاظ على أسرار الثورة حتى من أقرب الناس إليهم، وقيمة الروح الوطنية العالية التي كانوا يتمتعون بها حيث الاستعداد للاستشهاد في أي

1Haroun, op, cit, pp86 – 87.

2 Ibid, p86.

3Meziane Cherif, op.cit, p 62.

4 جريال، مرجع سابق، ص 122 . 123.

وقت أو التوقيف والاعتقال وتحمل كل أنواع العذاب لفترات طويلة، وكل هذه التضحيات تكشف عن مدى حرصهم على استرجاع الحرية والاستقلال للجزائر مهما كانت الآلام عظيمة والتضحيات جسيمة.

3. فروع المنظمة الخاصة وأساليبها في التجنيد والضغط على العدو:

بهدف تعميق التواجد الحربي للثورة الجزائرية في الأراضي الفرنسية والاستغلال الأمثل للمهاجرين الجزائريين الذين كانوا يمثلون الخزّان البشري لها، ولتسهيل تأدية المهام وتنظيم عمليات الاستهداف المباشر وغير المباشر للمصالح الفرنسية أوجدت المنظمة الخاصة لها ثلاثة فروع أساسية تمثلت في:

أولا. فرع التخريب والنشاط المسلح: لُقِّبَ بـ"الكومندوس"

تولّت مهمة القيام بعمليات فدائية ذات طابع عسكري مسلح كاستهداف مراكز الشرطة، وتخريب مختلف المنشآت الاقتصادية والعسكرية، وكانت هذه المهام تتطلب الدقة والاختبار الصائب في تجنيد المناضلين المناسبين للعملية من جهة وقدرًا كبيرًا وعالياً من الحنكة والتدريب العسكري لإنجاح العمليات من جهة أخرى، وبعد عملية الاختبار والمراقبة يتم إرسال هؤلاء المجندين الجدد إلى المملكة المغربية عبر الحدود الفرنسية الإسبانية، لتلقي التدريبات العسكرية المكثفة في معسكرات التدريب المتواجدة في مناطق الخميسات والعرائش وكبداني لمدة ثلاثة أشهر، وهذا ما عمل على تحقيقه "عمر بوداود" حين اتصل بقيادة الولاية الخامسة التي كانت متمركزة في وجدة، لغرض استقبال أفواج من هؤلاء الفدائيين قصد تدريبهم¹، وتكوينهم عسكرياً ثم إعادتهم إلى فرنسا للقيام بالمهام المكلفين بها على أكمل وجه والتي كان معظمها ينتهي بالنجاح وتحقيق الأهداف المقصودة.²

أخذ المغرب الأقصى قاعدة أساسية ومحطة رئيسية لتدريب الفدائيين لمدة أقصاها ستة أشهر، حيث تمّ استقبال أربعة أفواج من فدائيي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا عبر مسالك وطرق مختلفة، وعلى فترات زمنية منفصلة³ طيلة سنوات 1957. 1958. 1959. 1960، إذ وصل الفوج الأول عبر إسبانيا إلى طانجة حيث كان بوداود وقدروجي وكان متكونا من 12 فردا منقسمين بدورهم على ثلاث مجموعات ضمت الأولى كل من "سعداوي محند أورمضان" الذي كان يدعى "صابر"، و"محمد عيساوي" المدعو "ساكت"، مبروك بن زروقي "المدعو" بشير"، و"شروق عبد الحفيظ، أما المجموعة الثانية فتكونت بدورها من "مولود أوراغي"، "عبد القادر بكوش" المدعو "عيسى"، إضافة إلى "عمار سبايحي" و"عمار لعواري"، في حين ضمت المجموعة الثالثة كل من "أعومار تازيمنت" المدعو "عبدو"، و"اسماعيل عدور" و"عبد العزيز ثامر" المدعو "عبد الوهاب"⁴، وقد تمّ نقلهم إلى تطوان على متن عربة ومنها إلى

1 بوداود، مصدر سابق، ص 108.

2Guentari, op.cit, p603.

³Karim Younes, récits et témoignages de militants de la fédération du FLN de France, Chihab editions, Alger, 2018, p52.

4 جريال، مرجع سابق، ص 127.

معسكر "العرايش" أين تم إخضاعهم للفحص الطبي ثم أرسلوا إلى مزرعة مركز تدريبهم التي تبعد عن القاعدة بحوالي 15 كيلومتر.¹

وفور وصولهم إلى تلك المناطق كان هؤلاء المناضلين يبدؤون التدريب مباشرة عبر مرحلتين الأولى نظرية والثانية تطبيقية، حيث يتم في الأولى تلقين الجنود دروسا في التقنيات الحديثة لحرب العصابات وعمليات الكر والفر والعمليات التخريبية ومواكبة التطور العسكري في العالم من خلال تعريفهم بالأسلحة المتطورة التي يمكنهم الحصول عليها ويحتاجونها مستقبلا في تأدية مهامهم ومختلف أجزائها، أما المرحلة الثانية فيتم فيها تكوين المتدربين تطبيقيا بإخضاعهم لمختلف التمارين الجسدية مع استعمال الأسلحة التي تمّ تعرفهم عليها للتدرب على استخدامها بسهولة، وكيفية تفكيك المتفجرات والأسلحة وإعادة تركيبها والتفنّن في التدريبات الشاقة كالقفز على المباني والمرنفات وحمل أثقال كبيرة واستخدام السلاح مع القيادة بسرعة عالية في الوقت نفسه وغيرها من التدريبات التي تسمح لهم بمواجهة الشرطة الفرنسية في فرنسا باحترافية عالية.

ثانيا. فرع الإمداد:

اعترض طريق الأفواج المسلحة بفرنسا الكثير من العقبات والعراقيل خاصة ما تعلّق بنقص التموين العسكري، وقد سعت "ف.ج.ت.و" إلى إيجاد حلول لها، وتوفير السلاح لمناضليها بطرق عدة وأساليب مختلفة مرّت عموما بمرحلتين أساسيتين، الأولى بدأت سنة 1957 مع بداية العمليات العسكرية بالأراضي الفرنسية وكان التموين العسكري قليل وغير كاف لأن الإمدادات كانت لا تزال في بداياتها، وإلى غاية هجوم أوت 1958 كان كل قسم من أقسام المنظمة الخاصة يتدبر أموره وحده في كيفية الحصول على الأسلحة²، وقد اعتمد أغلبهم على الاتصال بالمهربين الأسلحة في فرنسا لاسيما في المناطق الحدودية رغم خطورة هذه الأساليب حيث كان أغلب هؤلاء المهربين انتهازيين همهم الوحيد هو المال إذ غالبا ما كانوا يستلمون الأموال ثم يفرون ولا يحضرون الأسلحة، أو يبيعون أخرى مغشوشة وقديمة³، لا تصلح للاستعمال وإن أُستعملت فلا تحقق الأهداف المرجوة.

ذكر هارون في كتابه "الولاية السابعة" حادثة وقعت في مدينة ليون الفرنسية متعلّقة بمشكلة الإمداد العسكري وتلاعب المهربين للأسلحة بمال الثورة، فأشار إلى ما وقع للمسؤول المحلي لـ "ج.ت.و" بليون وهيئة أركانه حين مُنح له الضوء الأخضر للحصول على الأسلحة الضرورية لمنطقته، فلجأ - النوي - وفريقه إلى أوساط تلك العصابات وتجار التهريب أملا في الحصول على الإمداد بعد دفع العربون وتقديم الطلب، فأبرم الاتفاق على تسليم البضاعة القادمة من بلجيكا على متن سيارة لنقل الخضر في محاولة منهم لإبعاد شكوك

1 بوداود، مصدر سابق، ص 108.

2 جريال، مرجع سابق، ص 100.

3 بوداود، مصدر سابق، ص 108.

الشرطة، وقد عبرت فعلا الحدود آمنة ووصلت إلى "سان فون" بضواحي ليون كما كان الاتفاق، ولكن بعد تفريغها تبين أنهم استلموا شاحنة للخضروات وليست شاحنة للأسلحة حيث لم يجدوا فيها أي أثر لأصغر مسدس، فتأكدوا أنه تم خداعهم من قبل هؤلاء المهربين الذين أخذوا الأموال ولم يحضروا الأسلحة، وما زاد الطين بلة أنهم وقعوا في قبضة الشرطة الفرنسية وتم اقتيادهم إلى السجن الذي مكثوا فيه حتى انتهت الثورة.¹ لم تبق "ج.ت.و" مكتوفة الأيدي أمام هؤلاء الممومين قليلي الأمانة بل تسلحت وأنشأت أفواج للمواجهة فأحسن تجار التهريب وأعضاء العصابات أن العمال المهاجرين لم يبقوا مغفلين كما كان ظنهم بهم فيما سبق، ما أرغمهم على التأدب في المعاملات وتوخي الصرامة وتنظيم المعاملات السائدة إلى حد كبير، لكن في الوقت نفسه ظلت الجبهة حريصة على تجنب المناضلين أي اتصال بوسط غامض وغير موثوق فيه ويفتقر عامة إلى المثل السياسية²، ويتضح جليا حجم المسؤولية الكبيرة التي كانت ملقاة على كاهل هؤلاء المناضلين حيث يتوجب عليهم الحصول على السلاح وتأمين الطرق والوسائل مع توخي الحذر الشديد من مُشتريه وناقله في ظل انتشار الخونة من جهة واشتداد رقابة الشرطة من جهة ثانية وانتهازية المهربين والممومين من جهة ثالثة.

نظر لخطورة هذه الأساليب وعدم فاعليتها اضطرت المنظمة الخاصة إلى تغيير أساليبها في الحصول على الأسلحة لمواصلة العمل الثوري وذلك منذ انتقال "عمر بوداود" إلى باريس سنة 1957 حيث وجد نفسه مُكلفا بهذه المهمة التي حددها "عبان رمضان" خصوصا في ظل نقص وسائل العمل المناسبة، لهذا قام بالاتصال بالقاعدة الخلفية بالمغرب الأقصى عن طريق أخيه منصور³، لتأمين أكبر قدر ممكن من المؤونة والذخيرة العسكرية وإيصالها إلى المناضلين في فرنسا بأيسر الطرق وأنجعها، وقد اعتمد في ذلك على "مهدي معبد"⁴ الذي كانت لديه معرفة جيدة بالمغرب الأقصى كما عُرف بالفعالية والكتمان، وفي نهاية السنة نفسها تم شحن أول كمية من السلاح على متن سيارتين مهيئتين انطلاقا من المغرب فإسبانيا وصولا إلى فرنسا، كانت الأولى مملوءة بالرشاشات والمسدسات والثانية بالقنابل المؤقتة التي بدأ قسم الإمداد في صنعها بطرق تقليدية، ولجأوا لإبعاد الشكوك إلى زوجة محامي بالدار البيضاء لقيادة السيارتين بالتناوب فوصلت بلا عناء إلى باريس، ووصلت بذلك الشحنة العسكرية إلى المناضلين فأعطت لهم ثقة أكبر لاستكمال الكفاح المسلح وزيادة وتيرته.⁵

1Haroun, op, cit, p203.

2 Ibid, p204.

3بوداود، مصدر سابق، ص 141.

4 مهدي معبد، لقب بالشيطان للدلالة على براعته في التدبر والإعجاب بقدراته، كما يطلق عليه عبارة الجن الذي يفجر الماء الزلال من الصخر الصلد، التحق بالخلايا الأولى لجبهة التحرير الوطني بمجرد ما أنشأت المنظمة خلاياها الأولى في المغرب ووضع نفسه كليا تحت تصرفها، وقد اشتغل رفقة بوداود في مصلحة الإمداد = أنظر هارون، مصدر سابق، ص 266، وكذا بوداود، مصدر سابق، ص 88. 89.

5Haroun, op, cit, p204.

في 15 ماي 1958 تكفل "عمر حداد" المدعو "زرق العينين" . حيث كان يشبه الأوروبيين بعينه الزرقاوين . بالصفقة الثانية بأمر من العقيد "أوعمران" الذي كان مكلفا بالتسليح ضمن لجنة التنسيق والتنفيذ، مستعينا في ذلك بمواطنة ألمانية تدعى "بيسنر" واتفق معها على صفقة تتضمن شراء 3000 مسدس عيار و6000 خزان مزود بالذخيرة زائد الذخيرة اللازمة، وهو ما يكفي لتجهيز أفواج المواجهة مؤقتا وكذا المنظمة الخاصة بفرنسا، وقد دفع حداد ثمن البضاعة نقدا بالدولار، ثم تم الاستعانة بمهدي معبد من جديد خاصة وأنه كان قد ربط علاقة وطيدة مع مواطن ألماني من قدماء البحرية منذ الحرب العالمية الثانية اسمه "يورغ بوشيرت" ولقبه الفرنسيون "الكابتن موريس" وقد كان مقيما في طانجة المغربية التي استقر بها وأسس شركة "أسترامار" لصيد الأسماك، وبعد نجاحه اشترى عدة بواخر استعمل بعضها في توريد السلاح للمغاربة منذ بداية نضالهم خصوصا وأن علاقته مع الفرنسيين كانت سيئة حيث اتهموه بالجوسسة لصالح السوفييت، ونظرا لخبرته وسابق معرفته للفرنسيين فإنه أمن بعدالة النضال في المغرب والجزائر، ومن هذا المنطلق عمد معبد إلى الاتصال به والاستفادة منه في توريد السلاح وقد التقيا في ألمانيا ونظما سويا شبكتين للتموين لإكمال العمل الثوري.¹

وبالتالي فإن مهمة هذا الفرع هي تسليح المنظمة وتمويلها والاتصال بمختلف الهيئات ودول أوروبا خاصة الشرقية منها لإنجاح صفقات شراء الأسلحة.

ثالثا. فرع المخابرات

كوّنت "ف.ج.ت.و" بفرنسا شبكة للمخابرات لزيادة الضغط على العدو الذي كان ميزان القوة لصالحه، فأنشأت شبكة "أبولكر" التي مثلت رغم بساطة تشكيلها ووسائلها أحد أهم الشبكات التي اعتمدت عليها فدرالية الجبهة لمعرفة قوة العدو وتحركاته، حيث لعبت دورا مميزا في إعطاء المعلومات الضرورية لمواصلة نشاط الفدرالية بفرنسا، وقد وضعت مسؤوليتها تحت عاتق نائب مسؤول المنظمة الخاصة "نصر الدين آيت مختار" الذي كان يدعى "مجيد" كاسم مستعار، وكُلف باسم الفدرالية بفرنسا بالاتصال بـ"عبد الرحمن فارس" لتولي المهمة، وقد لبى هذا الأخير نداء الجبهة وقبل القيام بالعملية مُبديا استعداداته التام لإنجاحها، فانتحل اسما مستعارا هو "أبو لكر" حفاظا على السرية التامة للنظام الثوري في المهجر وهو الاسم نفسه الذي أطلق على الشبكة.

لم يكن اختيار قادة فدرالية فرنسا لـ"ج.ت.و" "عبد الرحمن فارس" لقيادة هذه الشبكة وأداء مهامها اعتباريا بل كان يعبر عن عدة دلالات أهمها أنه كان يمثل عنصرا مهما على مسرح السياسة الجزائرية، كونه على اتصال بالمنتخبين الفرنسيين . المسلمين من الجزائر ونظرائهم الأوروبيين لهذا كان يتمتع بحق وامتياز الدخول إلى المكاتب الوزارية ويملك علاقات عديدة مع نواب وأعضاء مجلس الشيوخ بالجمعية الوطنية الفرنسية، وقد كانت له محادثات مع "جاك سوستال"، "إدغار فور"، "غني مولي"، و"روبير

1Ibid, pp204 – 205.

لاكوست" في زمن الجمهورية الرابعة، ثم مع "شارل دي غول" في الجمهورية الخامسة، وبالمقابل كانت له لقاءات أيضا مع العديد من قادة "ج.ت.و." وجيش التحرير الوطني في الجزائر أمثال "علي لابوانت"، "ياسف سعدي"، "صادق دحيليس"، "عمر أوعمران"، "بن يوسف بن خدة"، "العربي بن مهيدي"، و"عبان رمضان".¹

يبدو أن اختيار قادة "ف.ج.ت.و." بفرنسا لـ"فارس" كان دقيقا واستراتيجيا بما يكفي، فهو الرجل المناسب للعب دور الوسيط بين الطرفين الجزائري والفرنسي بحكم علاقاته المتعددة مع مختلف القيادة السياسية والعسكرية من البلدين هذا من جهة، ومن جهة أخرى إمكانية تأثيره الإيجابي على الجانب الفرنسي شعبا وحكومة كونه يحظى باحترام السلطات الفرنسية انطلاقا من تجاربه السياسية السابقة في تأييده لسياسة الإدماج في فرنسا، وهذا ما يؤكّد دقة وحنكة "ج.ت.و." في اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب باعتماد عنصر الكفاءة الممتلكة والخبرة المكتسبة لدى هذا الشخص بغض النظر عن ماضيه، وهو ما حدث أيضا عند اختيار "فرحات عباس" لرئاسة الحكومة الجزائرية المؤقتة بالقاهرة سنة 1958 من أجل الاستفادة من إمكانياته وكفاءته التي اكتسبها من تجاربه السياسية طيلة مساره النضالي.

تجسّد تزايد احترام الفرنسي لشخصية "عبد الرحمن فارس" إلى درجة محاولة إدخاله ضمن الهياكل الحكومية للدولة الفرنسية فقد عرض عليه الرئيس "دي غول" يوم 12 جوان 1958 منصب وزير الدولة، غير أن "فارس" رفض العرض وأعلنه ولاءه التام لـ"ج.ت.و." بعد أن عرض عليه "لبجاوي" في 10 جانفي 1957 وضع علاقاته السياسية في خدمة الجبهة بفرنسا فوافق، وأصبح وسيطا مهما في ربط الاتصالات بين مختلف فرقاء حرب الجزائر، كما كان يحيل بانتظام إلى اللجنة الفدرالية قائمة الشخصيات الفرنسية التي كانت تقبل مقابلة قائد فدرالية فرنسا لـ"ج.ت.و." بشكل سري.²

بدأت الشبكة نشاطها من خلال القيام برصد تحركات العديد من الشخصيات السياسية بفرنسا أمثال "لويس بورجو" "Louis Bourgeon" الذي كان أحد كبار المستوطنين وزعيم الحزب الاشتراكي بمجلس النواب الفرنسي، و"آلان دوسريري" "Alan Dosserait" الذي كان مديرا لجريدة L'écho d'Algérie، ومن أكبر الداعمين والمؤيدين لفكرة الجزائر الفرنسية والمدافعين عنها وغيرهم من الشخصيات التي يمكن للفدرالية من خلال تتبع أثارها وتحركاتها من التزود بمعلومات وخطط تنفيذها في إكمال العمل الثوري فوق الأراضي الفرنسية واكتشاف المزيد من الخونة والعملاء.

لقد سهّلت هذه الشبكة عملية تصفية بعض الخونة والعملاء الذين كانوا يشكلون خطرا على الثورة ومناضليها خاصة بفرنسا حيث يشتغلون بحرية كبيرة ودعم لامتناهي من طرف الإدارة الفرنسية حيث تقدم لهم أفراد الشرطة حماية عالية، على غرار "علي شكال" الذي تمت تصفيته يوم 26 ماي 1957³، الذي

1 جريال، مرجع سابق، ص 88. 89.

2 Abderrahmane Farès, la cruelle vérité, éditions Plon, Paris, 1982, p80.

3 Neser Eddine Ait Mokhtar, op, cit, p67.

نجحت الفدرالية في اغتياله بعد ما قدمت لها هذه الشبكة كافة المعلومات الضرورية عنه ورصدت تحركاته والوقت المناسب لتصفيته وتخليص الثورة من شروره، وظل "آيت مختار يصّر في جميع اجتماعاته على ضرورة إيقاف عملهم التهديمي الموجه ضد المنظمة الخاصة".¹

ثم اتسعت الشبكة بانضمام شخصيات جديدة ذات وزن سياسي لها على غرار المحامي "أحمد بومنجل" و"أحمد بن يونس" الذي كان مفوضا لدى مجلس النواب الجزائري، وكذا "شريف فارس" و"زهير فارس"، "جون عمروش"، "محمد خميسي"، "بوطالب"، "محمد فارس"، "ولد عودية، أمقران، وإيملحان" وغيرهم²، ثم أُضيف إلى الفرق المكلفة بالاستعلام شبكة مراقبة مكونة من طلبة تضم كل من "حميد وسعيد بلحسين"، "عاشمي سوالي"، "واثنين أو ثلاثة عناصر نسوية ليتم الاتصال بسعيد من خلالهن ومن بينهن "سليمة صحراوي" المدعوة "نادية".³

استمر نشاط الشبكة وفعاليتها حتى أنها نجحت في إيصال عدة شخصيات جزائرية إلى مراكز الشرطة الفرنسية مثل أخ نصر الدين المسؤول على المنظمة الخاصة وهو "شريف آيت مختار" وزميله في النضال "محمود بويحي"، وقد لعبوا دورا جبارا في تزويد المنظمة الخاصة للجهة بمعلومات دقيقة وخطيرة منها تقديم وثائق تحمل أسماء عناصر الشرطة الفرنسية المكلفة بمحاربة مناضلي جبهة التحرير الوطني خصوصا في فرنسا ومن دقتها العالية أنها كانت تحمل حتى أوصافهم وصورهم وعناوين إقامتهم وتنقلاتهم، كما أن السلطات الفرنسية رغم تحرياتها المستمرة إلا أنها لم تتمكن من اكتشاف هذا الأمر إلا في جوان سنة 1960 حين عثرت على وثائق وصور لدى "زينة حرايق"⁴ تخص مفتشي الشرطة القضائية، وقد أصبحت هذه الشبكة الثانية للمخابرات الجبهوية.

ألقي القبض على "زينة حرايق" ووُضعت في سجن "لابورتيت روكيت" "La Partite rouquette"⁵، وهناك وجدت سجينات كن مناضلات في شبكات الدعم وقد حدثت بينهن مشاكل بسبب احتكاكات تافهة ومشاكل أخلاقية جعلت "زينة" تشتكي كثيرا منهن خصوصا مناضلات شبكة جونسون حيث بدون لها أنهن يتصرفن بأبوية لا تطاق ولا يمكن تحملها، كما كن يعتبرن أنفسهن الأكثر

1 جريال، مرجع سابق، ص 325.

2 Abderrahmane Fares, la cruelle vérité, op, cit, p28.

3 جريال، مرجع سابق، ص 91.

4 ولدت زينة عام 1934 لأب جزائري وأم ألمانية، إلى جانب خمسة إخوة وأختين، فقدت وادها في عمر الثامنة وعاشت حياة يتم قاسية، واضطرت على إثرها لخوض غمار العمل مبكرا وذهب للاهتمام بحضانة أطفال العائلات الأوروبية الميسورة، كانت شاهدة على مجازر الثمن ماي 1945 في سطيف، وأبحت شديدة التفاعل مع انخراط إختوها في العمل السري مع حزب الشعب الجزائري، وفي نوفمبر 1954 رحلت إلى فرنسا وبدأت العمل في المصانع الفرنسية، ثم انضمت إلى الثورة وأصبحت منخرطة في نقل السلاح والتواصل مع المسؤولين الإقليميين والمركزيين ضمن فدرالية فرنسا، ثم نقل الوثائق والسلاح والأموال للمجموعات القتالية "مجموعات الصدام" وفي 1957 انضمت للمنظمة الخاصة وتولت مسؤولية التسليح نيابة عن آيت مختار سنتي 1959 و1960= أنظر، دحو جريال، زينة حرايق مناضلة جزائرية قوية... ومظلومة، تر: هيفاء زعيتر، جريدة السفير العربي، ع 209، بيروت. لبنان، 26 سبتمبر 2016.

5 Ait Mokhtar, op, cit, p59.

تضحية من أجل الكفاح مع "ج.ت.و" إلى درجة أنهم ينسجن روايات خيالية عن مشاركتهن في النضال ويرغبن دوماً فرض نظرتهم الخاصة على الجميع ويرددن أنه لولا شبكة جونسون ما استطاعت بقية المناضلات من الشبكات الأخرى تمرير مال التبرعات، والثورة ما كانت لتكون من دونهن.¹

بهدف إنجاح مهام المنظمة وزيادة الهيكلة الإدارية والسياسية والتنظيم فيها، حيث امتد نشاطها وتجاوز الحدود الفرنسية ليشمل بلدانا أوروبية أخرى لاسيما الحدودية منها كبلجيكا، سويسرا، وألمانيا، لتصل إلى شرق إيطاليا وغرب إسبانيا²، فتم تقسيمها على النحو التالي لتصبح أكثر أهمية وذات تنظيم محكم وهيكل متين: الخلية: تتكون من مسؤولين فدائيين، الفوج: يتكون من مسؤول وخليتين، الفصيلة: تتكون من مسؤول وفوجين، السرية: تتكون من مسؤول وفصيلتين أو أكثر، الكتيبة: وتتكون من مسؤول وسريتين أو أكثر.³

يتضح من هذا التقسيم أنه لا يوجد فرق كبير بين الهيكل التنظيمي للمنظمة الخاصة ل ج.ت.و بفرنسا والمنظمة الخاصة لح.إ.ح.د بالجزائر سابقا، خصوصا من ناحية الآليات العسكرية والمناضلين الذين اتحدوا من حزب واحد هو حزب الشعب، وهذا ما جعل العمل متشابها بين المنظمين⁴، كونهما صدرتا من مشكاة واحدة.

أصبحت المنظمة الخاصة منذ نهاية 1956 وبداية 1957 بفضل شبكة "الأبو لكر" تملك مركز مراقبة لا مثيل له وإمكانية الحصول على المعلومات عن جميع الأوساط السياسية المرتبطة بالحزب الاستعماري، إذ أنها كانت تُعلم فرق المنظمة الخاصة عن تنقلات شخصيات سياسية معينة من اللوبي الاستعماري وتترصد أماكن إقامتهم، ومن ثمّ المساهمة الكبيرة في التحضير الجيد لاغتيال ما أمكن منهم.⁵

شبكة صادق:

استدعي "حسين بن دالي" إلى باريس سنة 1958 للقيام بإنشاء شبكة استخبارات ثالثة مكونة من نواب وعناصر خاصة وطلبة، أمثال "محمد كلال" الذي كان مفتشا لدى إدارة البرق والبريد والهاتف الفرنسية وعضوا في نقابة سعاة البريد وعضوا في الفرع الفرنسي للدولية العالمية، وكذا "عبد المالك بن هارون" الذي كان وكيل أعمال في الخمسينات ولديه مكتب في شارع "جون جوريس" وكانت له علاقات

1 جريال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص310.

2 صالح الحاج: تاريخ الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص45.

3 سارة حداد: فيدرالية (ج. ت. و) بفرنسا (1954م-1962م)، مجلة قضايا تاريخية، ع1، 2016م، ص177.

4 Harbi, une vie debout..., op.cit, p211.

5 جريال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص88.

وثيقة بالبرلمانيين الفرنسيين . الجزائريين بباريس، كما كان متزوجا بفرنسية ويقطن في حي راقى بالدوائر السادسة عشر، إضافة إلى رجل أعمال جزائري كان يسمى "ويسكي" الذي كان في الخمسينات من عمره ويتمتع بجرأة بالغة ولديه علاقات مهمة وسط الاستخبارات الفرنسية وفي الأوساط السياسية وأوساط العمال، ما جعله شخص متميز جدا حيث استطاع تقديم معلومات مهمة ودقيقة جدا لدرجة دفعت مسؤولي المنظمة الخاصة إلى الشك في أنه عميل مزدوج.¹

جدير بالملاحظة أن انضمام هذه الشخصيات الجديدة قد ساعد كثيرا المنظمة الخاصة على العمل بجديّة واحترافية أكبر، وأعطاهما دفعا قويا للاستمرار ومواصلة النضال ، كون هؤلاء المنتسبون الجدد قد وضعوا كل ما يملكون من خبرات ومعارف وأملاك (أموال، مساكن، سيارات) تحت تصرفها، كما أنهم كانوا مجهولين لدى الشرطة الفرنسية لأنهم لم يناضلوا من قبل.

تمحورت مهام شبكة "صادق" في الحصول على معلومات حول مسؤولي أجهزة التجسس ووثائق تخص الثورة التحريرية أو ملاحظات مدونة عن شخصيات جزائرية أو قادة "ج.ت.و"، وذلك من خلال استلام أسماء المناضلين المعروفين لدى أجهزة الشرطة وأماكن إقامتهم مما يسمح لها بتمرير المعلومات بأقصى سرعة للأفراد المعنيين بالأمر، وكانت المعلومات في المجمل تتعلق أحيانا بقوائم كاملة لأسماء المناضلين الذين أكتشف أمرهم، وأحيانا كانت هذه المعلومات تستغل في الساعات الموالية حينما يتعلق الأمر بمآو مكتشفة أو اعتقالات مبرمجة نتيجة نشاط خونة يعملون خارج الأجهزة ولهم علاقات شخصية مع مسؤولين سياسيين أو أفراد من الاستخبارات الفرنسية، وتمت تلك المهام بنجاح كبير بعد توزيعها على العديد من العناصر الفعالة والنشطة كل حسب اختصاصه ومدى علاقاته ووضع المنطقة التي ينشط فيها.²

وقد أورد "جربال" شهادة "حسين بن دالي" في هذا السياق والتي ذكر فيها قوله: "قمنا بعمل ضخم وشيق يبقى بالنسبة لي إحدى أفضل فترات الحرب، كنا مشغوفين بالحصول على معلومات مباشرة والاستفادة منها، وحينما ننجح في إنقاذ مسؤول كان على وشك أن يلقى عليه القبض أو حينما كنا نحصل على معلومة أساسية حول السياسة الفرنسية فقد كنا نجد ذلك رائعا".³

لم يقتصر دور الشبكة على العمل المخبراتي فحسب، بل تعداه إلى محاولة إعطاء الثورة الجزائرية بعدا قاريا لتشتيت انتباه السلطات الفرنسية التي ستضطر إلى تشتيت قواتها وتوزيعها بين مختلف مستعمراتها المكافحة للتحرر والخروج عن السيطرة الاستعمارية، فقد كان صادق مكلفا بإقامة علاقات مع طلبة من بلدان إفريقيا السمرء، لمحاولة تشجيعهم على دفع بلدانهم للثورة على فرنسا وسياساتها التعسفية ومخططاتها الجهنمية ضد تلك البلدان وشعوبها.

1 جربال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص 92.

2Ait Mokhtar, op, cit, pp 60 - 61.

3 جربال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص 94.

في شهادة لـ"بن دالي" حول مهامه التي وُكِّل بها وأدائه إيّاها على أحسن وجه بعد أن تلقى تدريباً وتكويناً جيداً من طرف "آيت مختار" و"بوعزيز"، الذين علماه مبادئ الأمن الأولية، ذكر قوله: "بقيتُ أنشط إلى غاية سنة 1959 رغم أنني لم أكن أملك أي غطاء رسمي سوى بطاقة تعريف فرنسية، كنت تحت رحمة مجرد تفتيش عادي للشرطة، وإنه لأمر خارق أن يصمد المرء عاملاً كاملاً في باريس ويكون مسؤولاً عن هذه المنطقة الحساسة، لم أكن أختلط بالعمال الجزائريين ولم أكن أتردد على أحيائهم بل علياً أن أتصرف كغريب عن الجزائريين، وكنت أيضاً في اتصال دائم بالعملاء وفي نهاية اليوم أعود إلى الغرفة التي وضعتها المنظمة تحت تصرفي وسط باريس...وعندما تسربت معلومة للشرطة بنشاطاتي اتخذ "مجيد" و"سعيد" قراراً بتحويلي إلى كولونيا بألمانيا الفدرالية"¹، وبعداً انتقل إلى المغرب الأقصى ليتم تعويضه بـ"Judoka"، ومن بعده "كلوش" "Kellouche"، ثم أخيراً "محمد وأخته بايا" "Mohammed Aghtai et Baya"².

لقد تمكن "آيت مختار" بفضل استفادته من المعلومات القيمة التي كان يقدمها له عملاء شبكتي "أبو لكر" و"صادق" من ضمان أقصى حماية لمناضلي المنظمة الخاصة ومسؤولي المنظمة السياسية من جهة، وإبطال عمليات التعقب التي تقودها الشرطة الفرنسية بكل دقة واحترافية من خلال الاحتراز الكبير لمنع أي تسرب محتمل أو تبليغ خطير³، من أجل استهداف أعضاء المنظمة الخاصة، وهذا ما يثبت فعالية هاتين الشبكتين في تقوية أركان الفدرالية وإعطائها دفعا لمواصلة واستمرار العمل الثوري.

لخص "بن يونس" في مذكراته مهام المنظمة الخاصة ومجموعاتها القتالية وفروعها المنظمة باعتباره كان أحد أهم العناصر الفاعلة فيها بقوله: "إن المجموعة القتالية الخاصة أو المنظمة الخاصة قد تمّ إنشائها بقرار من قادة الثورة بتونس لنقل الكفاح المسلح إلى أرض المستعمر الفرنسي، وكان هذا التنظيم مستقلاً تحت قيادة "رايح بوعزيز" المدعو "سعيد" أوكلت له مهمة تكوين وتدريب فدائيين لتنفيذ عمليات مسلحة عبر التراب الفرنسي، تخريب منشآت، وقتل عناصر العدو فردياً والقيام بعمليات أخرى شبة عسكرية، وعناصر هذا التنظيم هم من قاموا بالعمليات المسلحة لليلة 24 إلى 25 أوت 1958، وقد بقيت العمليات شبه العسكرية مستمرة بعد 25 أوت تحت لواء هذا التنظيم مثلما بدأت وفي إطار هيئاتها الخاصة تنشط مجموعة الصدام القتالية هذه تحت سلطة قائد الولاية الذي يكلف مسؤول الناحية بتنفيذ العمليات المسلحة."⁴

المطلب الثالث: الإستراتيجية الأمنية (صراع جبهة التحرير الوطني مع الحركي والخونة)

1 المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص 97 . 98.

2Ait Mokhtar, op, cit, p 61.

3جربال، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني ...، مرجع سابق، ص 326.

4Benyounes, op.cit, p 94.

إن الإنسان إذا طرح من حسابه كل القيم الدينية والأخلاقية والوطنية هان عليه كل شيء، وهان عليه وطنه وهانت عليه نفسه، يكون قد حمل صفة الخائن أو الحركي¹، وكانت هذه التسمية والصفة تُطلق على كل شخص التحق بصفوف العدو، وأصبح يساعدهم على كشف المجاهدين والمناضلين، وكان هؤلاء الخونة تحكم الثورة عليهم بالإعدام، والحركي كانوا يحملون سلاح من الجزائريين لمساعدة الفرنسيين²، ودعمهم على التواصل مع الأهالي والتنكيل بهم خصوصا وهم من بني جلدتهم يعرفون لغاتهم، عاداتهم وتقاليدهم ونقاط ضعفهم في مجتمع إسلامي محافظ يقدس الوطن والأرض حيث لا مجال للمساومة عليه لأنه بمثابة العرض لكل فرد منهم، وهم في أتم الاستعداد للتخلي عن حياتهم مقابل حماية أرضهم وكل مقومات وركائز هويتهم الوطنية والدينية.

لقد لعبت هذه الفئة دورا خطيرا في عرقلة مسار الثورة في الداخل والخارج، وتعود فكرة إنشاء هذه الفئة من الخونة إلى 30 نوفمبر سنة 1957، بقرار من الوزير "ميشال دوبري" "Michel Debré" وقد أطلق عليها اسم "قوات الشرطة الإضافية" ورمز لها بـ FPA أو "الحركي" "Les Harkis" "من أجل مساعدة المصالح الأمنية الفرنسية في التغلغل في أوساط الجالية الجزائرية بفرنسا وملاحقة مناضلي الفدرالية وتصفييتهم جسديا، وقد عُرف عنهم إخلاصهم وخضوعهم الكاملين حتى يرضى عنهم سادتهم الفرنسيين³، وكانت مجموعة من البرلمانيين الفرنسيين هي من طرحت فكرة هذا المشروع إلا أن مدير الشرطة القضائية لمحتفظة باريس رفض تطبيقه على الجزائريين على أساس أن هذه الفكرة تتنافى مع دستور الجمهورية الفرنسية وقوانينها، وبذلك تأجل هذا المشروع⁴.

غير أن قرار التأجيل لم يستمر طويلا ولم يشمل جميع التراب الفرنسي، حيث وُلدت هذه الفئة بشكل رسمي وعلمي داخل التراب الفرنسي بعد تعيين الرئيس ديغول لموريس بابون رئيسا لمحافظة الشرطة عام 1958 بباريس ومقاطعة السين⁵، فتكفل رفقة عدد من الضباط العسكريين أمثال "كونيبال" "Cannibale" و"بيدينجر" "Bedinger" اللذان لهما تجربة سابقة في التعامل مع الجزائريين حيث سبقا لهما العمل سويا عندما كان واليا على محافظة قسنطينة بتسريع العمل في هذا الجهاز الذي بدأ العمل تحت قيادة العقيد "تيرسي" "Terce" الذي كان مختصا في شؤون الأهالي وقد لعب دورا بارزا في الإعداد والتنظيم له⁶.

1 محمد صالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 227.

2 عبد المالك مرتاض، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية (1954.1962)، منشورات المركز للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، ص 43.

3 Benyounes, op, cit, p 117.

4 Amiri, op.cit, p91.

5 سعدي بزيان، جرائم...، مرجع سابق، ص 30.

6 سعدي بزيان، جرائم...، مرجع سابق، ص 32.

حاولت مصالح الشرطة الفرنسية المختلفة استمالة المهاجرين الجزائريين لتكوين قوة موالية لها تستعين بها في محاولاتها القضاء على الثورة بفرنسا وتكون سنداً لها في تحقيق مصالحها وخدمة أجندتها، مع وعدهم بتوفير الحماية لهم من مضايقات الجبهة وملاحقة مناضليها، حيث كانت تنقل المهددون منهم بالعقاب والتصفية الجسدية إلى مراكز وُضعت خصيصاً لإيوائهم في مستشفى "أوسيبس" - "hôpital-hospice" وكذا في "فيلار كوتيري" "Villers-Cotterêts" لمدة 30 يوم كاملة، ثم يتم وضعهم بين خيارين وهما إما العودة إلى الجزائر أو الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي أو ضمن قوات الشرطة الإضافية أو الترحيل إلى معسكرات ومراكز بعيدة عن باريس مثل "Agen" أو في "Creusot" وغيرها¹.

يبدو أن سياسة الشرطة الفرنسية في إقناع هؤلاء الحركي بالتعاون معها كانت مرتكزة على الجانب النفسي أكثر من بقية الجوانب المادية والعقابية وغيرها، حيث يتضح من الخيارات التي وضعتهم فيها أنها كانت تعرف مسبقاً أنهم سيختارون التعاون معها على أن يتم إعادة ترحيلهم إلى الجزائر لأنهم كانوا يعرفون تماماً ماذا ينتظرهم في بلدهم الأصلي من طرف شعبهم وثورتهم بجبهتها وجيشها، وهم من خان الوطن وباع العدو وارتكبوا جرائم بشعة لم يرتكبها أحياناً حتى الجيش الفرنسي وميليشيات المستوطنين، فثبرهن لهم بذلك أنها تنجيهم من مصيرهم المحتوم بعد العودة وأنها في الوقت نفسه تقدم لهم امتيازات على خدماتهم عكس الجبهة التي لم تقدم لهم سوى الخوف من الموت أو المستقبل المجهول.

وبعد خمسة أشهر من تعيينه وجد "بابون" نفسه أمام حرب عنيفة مع "ف.ج.ت.و"، ولكي يقوم بتطهير العاصمة الفرنسية وضواحيها منها، وضع خطة للقضاء عليها عن طريق هؤلاء الحركي، حيث يتم تنظيم شرطة موازية تتكون من هؤلاء العملاء، ويبدو أن الشرطة الفرنسية قد نجحت بأساليبها المروعة تلك في التأثير النفسي عليهم وإقناعهم بخطورة الجبهة ومناضليها، حيث كثرت منهم مطالب الحماية، ما دفع بمصالح "SCINA" ومحافظة شرطة باريس تقرر يوم 13 جوان 1958 فتح ثكنات عسكرية لتدريب المتطوعين منهم²، ليتم توزيعهم بعدها في أحياء باريس الأهلة بالعمال الجزائريين لرصد تحركاتهم وتتبع نشاطهم والعمل على شل حركتهم³، بالإضافة إلى أعمال التفتيش والاعتقالات التعسفية التي كانت تقوم بها، وحشد الجزائريين في مراكز لا تقل فظاعة عن تلك التي أقامتها النازية مثل مراكز فانسان ولارزاك⁴، وقد وصف هذا الأخير بالاحتشد الذي حاز على الشهرة البائسة⁵، حيث تفوق وغيره من المعتقلات في الكثير من الأحيان في قسوتهم وأساليب تعذيبهم للجزائريين على أفراد الشرطة والجيش الفرنسي أنفسهم.

1Amiri, op.cit, p83.

2Ibid, p p83-84.

3الطيب بن نادر، الجزائر حضارة وتاريخ الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص214.

4نور هادي، مرجع سابق، ص488.

5بوداود، مصدر سابق، ص 171.

ثم تحرك محافظ الشرطة في منطقة "لادروم" "L'hadrome" لتجسيد الفكرة على أرض الواقع بشكل أوسع وسعى لتجنيد أكبر عدد من أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا، بهدف تأسيس قوات للشرطة الإضافية منهم، ثم تعززت فكرته هذه بشكل أكبر بعد أمر "ميشال دوبري" في 30 نوفمبر 1959 القاضي بإنشاء هذا التنظيم وتعميمه على سائر الأراضي والمناطق الفرنسية فأصبح العمل به رسميا بداية سنة 1960¹، من أجل تقديم دعم ومساعدة لباقي قوات الشرطة الفرنسية في القضاء على جبهة التحرير الوطني وخلاياها العسكرية المتمركزة في مختلف الأحياء والمدن الفرنسية، وهذا ما أشار إليه "ريموند مويال" بقوله: "كان الهدف إذن خلق وحدة مرنة وفعالة من هؤلاء تكون قادرة على تحقيق ما عجزت عليه قوات الأمن الفرنسية"²، كونهم جزائريين أصلا وبالتالي فهم أدرى بعقلية إخوانهم أكثر من الفرنسيين.

عمدت الشرطة الفرنسية إلى استغلال هؤلاء الخونة والعملاء إلى أقصى درجة حيث وضعت شروط لقبولهم في الخدمة منها القوة البدنية والصحة الجسدية، إذ اشترطت أن تكون أعمار المنخرطين تتراوح ما بين 17 و40 سنة أي اختارت الطاقات الشبابية فقط، مع الالتزام الكامل بالصرامة والانضباط إضافة إلى الطاعة العمياء للأوامر الفرنسية في تنفيذ المهام والاستعداد التام للاستجابة للطلب في أي وقت يطلبون فيه ليلا أو نهار، وعلاوة على ذلك فهم كانوا يمضون على عقد لمدة ستة أشهر فقط على أن يتم تجديده في حالة التزام المنخرط بكل الشروط وإظهاره تفانيا كبيرا في العمل ودقة في التنفيذ، أو يتم تسريحهم مباشرة دون سابق إنذار في حال الإخلال بقواعد العمل.

وفي هذه الشروط والالتزامات الكثير من الذل والإهانة المتممّة لذلك لم يكن عدد المتطوعين كبيرا، رغم ما كانت تعتبره مصالح الأمن الفرنسية امتيازات كبيرة مُنحت لتلك الفئة، حيث لم يتجاوز عددهم يوم 02 ماي 1960، 220 عنصرا توزّعوا على كتيبتين أشرف على قيادتهم النقيب "مونتانيير" "Muntaner" ثم ازداد عددهم قليلا وبلغ 850 عنصرا سنة 1961، أغلبهم أوتي به من الجزائر وُحددت له مهام خاصة³، أهمها التجسس من خلال الظهور بمظهر المهاجرين الموالين للجبهة في محاولة لاختراق صفوف مناضليها وتطوير شبكة الاستعلامات السرية لصالح الإدارة الفرنسية.

لتسهيل تنفيذ مهامهم على أكمل وجه، وُضع لهؤلاء الحركي مراكز خاصة يطلقون عليها اسم "الفنادق الخاصة"، وأحيانا يقومون بأعمالهم التعديبية في مراكز محافظات الشرطة⁴، وقد بذلت هذه الفئة كل ما بوسعها من أجل انتصار فرنسا وحسم الحرب لصالحها، فلم ييخلوا عليها بشيء يقدر عليهم، وكانوا طوال الثورة عيونها التي تبصر، وآذانها التي تسمع وأيديها التي تبطش⁵، خصوصا بعد أن أعطي لهؤلاء

1Amiri, op.cit, p92.

2Muelle, op.cit, p 176.

3Amiri, op.cit, p100.

4بن نادر، مرجع سابق، ص488.

5محمد صالح الصديق، مرجع سابق، ص231.

حرية التصرف للقضاء على فدرالية الجبهة، ما جعلهم يرتكبون أبشع أعمال التعذيب والتنكيل بحق المهاجرين الجزائريين، فقتلوا منهم الكثيرين واعتدوا على حرمتهم وانتهكوا أعراضهم¹، وكشفوا نقاط ضعفهم للعدو الفرنسي فكانوا بمثابة الظهير الأيمن الذي تعتمد عليه السلطات الفرنسية في كشف بعض أسرار الثورة وقمع مناضليها بمختلف الوسائل.

لجأت الشرطة الفرنسية إلى تطوير أساليبها القمعية فأنشأت مصالح جديدة، تم التعتيم عنها بتسميات لا معنى لها على حد تعبير "عمر بوداود" وتحت عناوين عادية مثل "مكتب المساعدة الاجتماعية للشمال الإفريقيين"، أو مكتب "أعوان الشرطة" ويدعون بـ "الشواشي الزرقاء" "Calots bleus" المشككين من الحركي الذين جيئ بهم من الجزائر خاصة بعد أن زادت أعدادهم في السنوات الأخيرة للثورة حيث وصلوا إلى ستون ألفا سنة 1960²، أو تم توظيفهم في فرنسا وقد تفننوا في ممارسة التعذيب، ومن جهة أخرى حاولت الشرطة النفاذ إلى صفوف مناضلي الفدرالية والتوغل في صفوفهم من خلال إدخال عناصر مستترة نائمة تعمل لصالحها، وقد طرح هذا الأسلوب مشاكل كان حلها مستعصيا جدا.³

ذكر "بابون" في هذا الصدد عندما سُئل عن مدى قدرة وفعالية هؤلاء الحركي في استئصال جذور "ج.ت.و" بفرنسا في 18 مارس 1961 من طرف المجلس الأعلى لمحافظة السين وكانت إجابته تتم عن ثقة عالية منه في هؤلاء الخونة لتنقية وتنظيف شوارع وأحياء باريس وضواحيها من أي أثر لمناضلي الجبهة حيث أجاب بقوله: "منذ سنتين من العمل في قسنطينة أي ما بين 1956 . 1958 تعرفت على أسرار الحرب التخريبية وأساليبها هناك، ولذا فإن القضاء على الجبهة في فرنسا يستلزم دعم القوات فرق الشرطة الإضافية . الحركي . وإعطائها الحرية التامة في تنفيذ أعمالها وتجنب إخضاعها لأي نوع من الرقابة أو المسائلة".⁴

نظرا للدور الفعال الذي لعبه هؤلاء الحركي فقد أتى "بابون" بالمئات منهم ووزعهم على المناطق الأهلة بالعمال الجزائريين، وأعطاهم صلاحيات واسعة بل ومطلقة لتعذيب المهاجرين الجزائريين والتنكيل بهم، وكانت السلطات الفرنسية قد ركزت على هؤلاء الحركي نظرا لمعرفتهم للغة العربية ونفسية وعقلية إخوانهم الجزائريين، مُتبنية شعار "محمد في مواجهة محمد"، ويبدو أن الإدارة الفرنسية قد استفادت من الصراع الدموي والعنف الكبير الذي كان قائما بين "ح.و.ج" و "ج.ت.و"، والذي كاد أن يشتمل على الجزائريين عامة والمهاجرين منهم بفرنسا بشكل خاص.

1الطبيب بن نادر، مرجع سابق، ص215.

2Promotion des français-musulmans dans l'armée, la semaine en Algérie, du 11 au 17 Janvier 1960, N68°, p19.

3بوداود، مصدر سابق، ص 170 . 171.

4 بزيان، جرائم بابون...، مرجع سابق، ص32 . 33.

وقد كان المصاليون يقتلون من مناضلي الجبهة أكثر من الشرطة الفرنسية نظرا لمعرفةهم خصوصيات بعضهم البعض وقدرتهم على تمييز الجزائريين عن سواهم، عكس ما كانت تجده الشرطة من صعوبة في تمييز أهالي شمال إفريقيا عن غيرهم، بدليل ظهور عدة جمعيات إسبانية وبرتغالية مناهضة لسياسة المdahمات والمطاردات التي كانت تقوم بها الشرطة الفرنسية في حقهم عندما كانت تعتبرهم خطأ جزائريين بسبب التشابه الفسيولوجي الكبير بين سكان ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية والجنوبية.

لم تكتفي السلطات الفرنسية بتشجيع الحركى ومنحهم الحرية المطلقة والحماية الكاملة، بل أعطتهم أيضا تعليمات صارمة لتشديد القمع على المهاجرين الموالين للجبهة والمتعاطفين معها، على غرار تعليمة "بابون" لهم في 5 سبتمبر 1961 التي طالبهم من خلالها بزيادة أعمالهم الإرهابية وتكثيف عمليات المdahمة والاعتقال في كل الأحياء التي تتمركز فيها الفدرالية¹، مع ضرورة توسيع نشاطهم وتكثيف عملياتهم ليلا ونهارا في باقي الأحياء في "نانتير" "Nanterre" و"أوبر فيللي" "Aubervilliers" وغيرها، على أن تكون هذه العمليات سريعة ومفاجئة لضمان نجاحها بنسبة عالية وبث الرعب أكثر في صفوف المهاجرين وعدم إعطائهم وقت كاف لأخذ احتياطاتهم بالرد أو الفرار، وبهدف تعزيز محاصرتهم أكثر تقوم مصالح الشرطة بحماية الحركى ومحاصرة الأماكن التي يقومون بمdahمتها تحسبا لأية ردة فعل².

أشار "هارون" في هذا السياق أنه وبسبب الصلاحيات الكبيرة التي منحتها أجهزة الأمن الفرنسية للحركى فقد عاث هؤلاء الأخيرين فسادا وأثاروا رعبا حقيقا في أوساط المهاجرين خصوصا أمام غياب الرقابة والعقاب حيث كانوا يفلتون من كل رقابة وكل شرعية، وكذا التكتم على جرائمهم لتشجيعهم عليها أكثر، وقد تركزت تحركاتهم في الدائرتين 13 و18 وانتقل معهم الرعب فيما يشبه معركة الجزائر الجديدة في الأحياء التي تتركز فيها الجالية الجزائرية على غرار نهج "غوت" "Goutte-Dor" ونهج "شاتودو" "Château d'eau de rentier" واشتدت أعمالهم القمعية واستنطاقاتهم العنيفة وأعمالهم المؤذية وتجاوزاتهم الخطيرة، وتفننوا في التنكيل بالمهاجرين في أقبية وأماكن تابعة للشرطة الفرنسي بل وحتى في الفنادق التي كانوا يقيمون فيها³.

إن اللاعقاب الذي كان هؤلاء الخونة يستفيدون منه بحكم وضعهم غير الرسمي والطابع السري لعملهم جعلهم يتصرفون بنفس طريقة زملائهم الفرنسيين، بل ويتجاوزون الحدود في ارتكاب الفظائع، كونهم يتصرفون على هامش القانون بلا عقاب، فهم لا يقيمون في الثكنات أو المحافظات ويكفيهم أن يطاردوا ما شاءوا من الجزائريين لمجرد شبهة حتى من دون وجود أية أدلة، وقد كانوا يقومون أحيانا باختطاف مهاجرين لا علاقة مباشرة لهم بفدرالية "ج.ت.و" ويتهمونهم ظلما بانتمائهم لها ثم يمارسون عليهم كل أنواع التعذيب

1House et Mac Mestre, op.cit, p 131 -132.

2Gilles Minceron, la triple occultation, d'un la triple d'un massacre, Edition Media-plus, Constantine, Algérie, 2012, p137.

3Haroun, op, cit, p405 – 406.

والتنكيل بحجة عدم رغبتهم في الاعتراف بالحقيقة وهو ما حدث مثلاً للمهاجر "عمار ولد يونس" في 21 جانفي 1961.¹

لقد مثلت فكرة الاستعانة بالخونة من الجزائريين المهاجرين إستراتيجية فعالة وخطة ذكية ودقيقة اعتمدتها السلطات الفرنسية لتفكيك نظام الجبهة وضرب نظامها وتخریب خلاياها، وقد نجحت في مساعيها إلى حد ما، حيث ساهمت بذلك نسبياً في التقليل من مصادر التمويل للثورة التحريرية، من خلال وقوفها كوحدات مسلحة أمامية عائقاً بين المهاجرين وحاجزاً أمام تواصلهم واتصالاتهم بفدرالية الجبهة، فتمكنت من إلحاق أضرار بالجبهة وخسائر بالأرواح، لكنها ورغم كل مساعيها لم تنجح في تحقيق هدفها الرئيسي المتمثل في استئصال الجبهة من فرنسا والقضاء على نشاطها السياسي والعسكري هناك أو فصل المهاجرين عنها.²

وكرّد على هذه الأعمال الدنيئة، قامت "ف.ج.ت.و" بتشكيل فرق من الفدائيين الجزائريين في فرنسا من أجل التصدي لرجال الأمن من جهة والحركة من جهة أخرى، ولعل أكثر أعمالها جرأة هي عملية إعدام الخائن "علي شكال" الذي كان دائماً يرتدي الزي الجزائري، ومعه طربوش وعلى المنابر الدولية وأمام العالم يتحدث باسم الجزائريين، ويدعي أنهم رعايا فرنسيين، وأنهم يتمتعون بكل الحقوق والواجبات³، ولأن هذا التصرف يعتبر إهانة للجزائريين ولنضالهم المشروع وقضيتهم العادلة، فقد أمرت الاتحادية بالتخلص منه فوراً.

يروي المجاهد "بشير كشاد"⁴ تفاصيل الواقعة ويذكر أن الفدرالية قد كلّفت أحد مناضليها وهو "محمد بن الصادق" بتنفيذ هذه المهمة، وحينما كان "شكال" جالساً بجانب الرئيس الجمهورية الفرنسي "روني كوتي" داخل الملعب البلدي أطلق عليه الرصاص، وعندما سُئل "صادق" لماذا لم تحاول اغتيال الرئيس الفرنسي؟ رغم أنه كان بإمكانه فعل ذلك بسهولة، أجابه لقد أُمرت بقتل خائننا، فالرئيس يمثل بلده وشعبه ويدافع عنهم، بينما يدعي هذا الخائن تمثيله للجزائريين دون رضاهم وهذا ليس من حقه، وكان عمر "كشاد" آنذاك 20 سنة أي أنه يتذكر تفاصيل الحادثة جيداً، كما ذكر أنه قد تمّ اعتقال منقذ العملية وقد خصّصت له جبهة التحرير أكثر من 40 محامي للدفاع عنه لكن دون جدوى إذ بقي في السجن إلى غاية الاستقلال.⁵

1Haroun, op, cit, p406.

2 جريال، ص 318.

3 عمار قليل، مصدر سابق، ص 355. 357.

4 بشير كشاد، ولد سنة 1933 بـزريبة الواد ببسكرة عُرف في الثورة باسم "البوشي"، وهو مناضل في صفوف فدرالية الجبهة بفرنسا منذ سنة 1955، حفظ ستة أحزاب من القرآن على يد شيخه "مسعود بن عمار" ثم اشتغل في الفلاحة، بعدها انتقل إلى فرنسا سنة 1954، قبل اندلاع الثورة بهدف البحث عن العمل ثم تعرف على الجبهة في منطقة بعيدة عن باريس على يد "بن جدو محمد"، استقر في العاصمة باريس ثم انتقل إلى الألزاس واللورين كمبعوث جبهوي، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00. 11.00، 09 ديسمبر 2022.

5 بشير كشاد، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00. 11.00، 09 ديسمبر 2022.

ويضيف "بن يونس" في رد فعل الجبهة فيقول: "عمليات كثيرة مشابهة تم تنفيذها مثل تلك التي نُفذت بالدائرة الـ13 أين قام فدائيو جبهة التحرير بمهاجمة مركز للحركة مباشرة وقتلوا منهم ما يقارب الخمسين حركيا حسب مصدر فرنسي، الذي أضاف أن ما نسبته 10% من مجموع تعداد الحركة المجندين تم القضاء عليهم على يد جبهة التحرير الوطني دون حساب الجرحى، ثم تم حل هذه التي أُطلق عليها بالقوة المساعدة للشرطة المجنّدة للحركة بباريس يوم 30 جوان 1962".¹

هكذا إذن كانت تصفية الحركة من المهام الرئيسية التي تولّت تنفيذها فرق التدخل التابعة لجبهة التحرير الوطني لإنهاء الخونة²، وجميع العملاء والمعرقلين لنشاط الفدرالية في فرنسا، والذين تمّ كشفهم جلياً والتخلص من عدد كبير منهم خلال الإضراب الذي دعت إليه الجبهة المهاجرين بفرنسا لتقدير مدى قوتها. كانت الاستجابة للإضراب ضئيلة في مدينة ليون بسبب تأثير العديد من الخونة مثل الجزائر الذي تحدث عنه "دوم" في مذكراته وذكر بأنه كان متعاوناً مع الشرطة الفرنسية وزارعا للرعب بين أوساط المهاجرين الجزائريين مدعوما بمصالح القمع، وقد تسبب بنشاطه المكثف في تعكير حركة الإضراب حيث كان دائم التوجه إلى التجار والعمال وأرباب المقاهي من أجل ترهيبهم، وتحريضهم على فتح محلاتهم ومزاولة أعمالهم، وقد كلف دوم الذي جمع كل ما يحتاجه من معلومات حول هذا الواشي من قسمة ليون، السيد "عيساوي" لإعدام هذا الخائن بعدما تعرف على عنوانه وحصل على السلاح المناسب لتنفيذ العملية وكلمة السرّ للحفاظ على الخصوصية والمبلغ المالي المناسب لتنفيذ العملية التي تمت بنجاح حيث تمّ قتله وتخليص المهاجرين من شره.³

اعتمدت "ف.ج.ت.و" إلى جانب أساليب التصفية الجسدية أساليب التأثير النفسي على هؤلاء العملاء مؤكدة لهم بأن استقلال الجزائر حاصل لا محال وأن المسألة هي مسألة وقت فحسب، وأن الشعب الجزائري سيسترجع حريته في النهاية، وبالتالي سيكونون الخاسر الأكبر لأنهم لن يستطيعوا حينها أن يبقوا جزائريين لكونهم تخلّوا عن الجزائر، ولا أن يكونوا فرنسيين لأن فرنسا ستخلى عنهم باعتبارهم خونة، ومن هذا المنطلق ينبغي عليهم إعادة التفكير جيدا مع أنفسهم والالتحاق بالثورة التحريرية قبل فوات الأوان".⁴

ذكر المجاهد "مسعود شوال" في هذا الصدد أن أعداد الحركة كانت تقلّ يوما بعد يوم، وأكّد أن مهمة القضاء عليهم كانت تتم في مدة قياسية بنجاح، إذ وبمجرد وصولهم من الجزائر واستلام أعمالهم

1Benyounes, op.cit, p121.

²تقرير خاص بقائمة القومية والمساكين لشهر جويلية 1960، وثيقة رقم 950.1، 1960/08/09، متحف الولاية التاريخية السادسة،

بسكرة، الجزائر.

3 دوم، مصدر سابق، ص 181. 182.

4El Moudjahid, V3, n°68, du 05- 08 – 1960, p188.

لأشهر معدودة يتم القضاء عليهم بعد التأكد من خيانتهم¹، وهذا دليل على قوة فدرالية الجبهة بفرنسا ووقوفها نداءً قويا لكل المحاولات الفرنسية لاختراق صفوف الجالية الجزائرية.

كما تمت عمليات أخرى مشابهة في مناطق فرنسية مختلفة لتصفية الوشاة والخونة على غرار العملية التي تمت في في غرونوبل²، والتي حصلت في محل بقالة صغير بـ"بويني" حيث كان أحد قادة الحركة الوطنية يلعب الدومينو حين وصل بوبول ومكي وعائشة عليولت التي كانت تعمل خادمة في ذلك المحل وسألته إن كان يفوز واضعة يدها على كتفه فكان ذلك إشارة كافية للمتدخلين للتعرف عليه ثم إطلاق النار وقتله وحرمان الشرطة الفرنسية من خدماته³، واستمرت التصفيات الجسدية للحركة وتضاعفت في خريف 1957 خصوصا لقادة ح.و.ج الذين كانوا يمثلون الخطر الأكبر على مناضلي الجبهة، فتم في 20 سبتمبر تصفية "أحمد سماش" الذي كان مسؤولا للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين الخاضع للمصاليين، و"السعيد ملولي" وهو مسؤول بالاتحاد النقابي للعمال الجزائريين بشركة رونو في 24 من نفس الشهر والسنة، وثم في 17 أكتوبر "حسين مروت" وهو قائد لحزب الشعب الجزائري سابقا، وكذا "أحمد بكات" الأمين العام للاتحاد النقابي للعمال الجزائريين وقائد الحركة الوطنية بباريس وذلك في 26 أكتوبر من السنة نفسها.⁴

لكن ولأن الخائن لا مكان له في ساحة الشرف فهو مذلول دائما سواء بين الأهل والأصدقاء أو حتى بين الأعداء، فقد كان مصير هؤلاء الحركة مأساويا ونهايتهم مخزية، كيف لا وهم قد باعوا عرضهم وكرامتهم فأصبحوا بلا شرف ولا أمانة، وتكبروا لوطنهم وشعبهم من أجل عرض قليل من الدنيا فنالوا الخزي والعار في الدنيا والآخرة، فلا هم عاشوا ولا ارتفع لهم مستوى وظلوا سلعة في السوق لا تُباع ولا تُشتري، وماتوا ميتة حقيرة بجرائم لا تُغتفر ولا تُنسى، وذكرهم التاريخ بأنه شاهد لا يرحم وأن الحق دائما غالب مهما عظم الباطل وتجبر.

بعد رضوخ الحكومة الفرنسية لمطالب ومبادئ الحكومة الجزائرية المؤقتة وبمجرد توقيع اتفاقيات إيفيان وتأكيد انتصار الثورة التحريرية، واجه هؤلاء الحركة مصيرا مؤلما فقد تخلت عنهم السلطات الفرنسية وتركتهم يواجهون مستقبلهم المجهول لوحدهم، بل وحدرت من تركهم في فرنسا لأنهم سيشكلون خطرا عليها فهم لا ثقة فيهم ولا أمان لهم فإذا كانوا قد خانوا وطنهم الأم فكيف بوطن آخر ليس لهم، ولتأكيد ذلك أصدر وزير الجيش الفرنسي "بيار مسمر" مرسوما يقضي بمنع دخول أي حركي للتراب الفرنسي لا يملك الإذن بذلك، مهما كانت الأسباب والدوافع، لتضعهم مجددا أمام الخيار الأول الذي قدمته لهم عند

1 مسعود شوال، مقابلة مع الباحثة، أم البواقي، الساعة 09.15 . 10.30، يوم 20 فيفري 2019.

2 دوم، مصدر سابق، ص 182.

3 جريال، مرجع سابق، ص 43.

4 Messaoud Maddad, Guerre d'Algérie chronologie et commentaire, ENAG, Alger, 1992, p96.

بداية تجنيدهم ومحاولتها إقناعهم بذلك وهو بقاء الآلاف منهم في الجزائر أين سيّتم تصفية الحساب معهم ويقتصّ الشعب بأسره منهم وتلقّوا العقاب جرّاء جرائمهم التي اقترفوها من قبل.¹

المطلب الرابع: الإستراتيجية السياسية (مظاهرات 17 أكتوبر 1961)

تعتبر مظاهرات الجالية الجزائرية في فرنسا مثلها مثل باقي الأحداث السياسية التي كانت تجري على الساحة الداخلية والخارجية، لم تكن عفوية بل كانت مدبّرة وممنهجة، وكانت ورائها أطراف فاعلة في فدرالية الجبهة بفرنسا خططت لها بإستراتيجية عالية ودقة كبيرة أبهرت بتنظيمها الرأي العام الفرنسي وأخرجت الحكومة الفرنسية وبيّنت للعامل أجمع الفرق الكبير بين فدرالية جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية في التعامل مع هكذا مواقف ففي الوقت الذي اتخذت فيه الفدرالية شكلا من أشكال العصيان المدني للتعبير عن رفضها للمعاملات العنصرية والإجراءات القمعية وعلى رأسها قانون حظر التجوال المفروض على المهاجرين الجزائريين دون سواهم، كشفت السلطات الفرنسية عن وجهها الحقيقي باعتمادها أساليب وحشية وطرق همجية في التعامل مع تلك المظاهرات السلمية.

1. الأسباب التي عجّلت بها

* التغييرات المتطرفة لحكومة ديغول:

بعد شعور مصالح الأمن الفرنسية في فرنسا بالنشاط الذي يقوم به المناضلون الجزائريون فوق التراب الفرنسي، والتلاحم التام، مع الثورة التحريرية من الداخل، عملت على تضيق الخناق على تنظيم فدرالية الجبهة وقادتها، خصوصا بعد تولي الجنرال ديغول زمام الحكم في الجمهورية الفرنسية حيث قام بإحداث تغييرات جذرية في هرم أجهزة الدولة وشكّل حوله فريقا من الغلاة والمتطرفين على غرار "ميشال دوبري" "Michal Doubri" الذي عينه على رأس الحكومة الفرنسية، و"روجي فري" "Rojer Frey" الذي عُيّن وزيرا للداخلية، إضافة إلى "برنارد شو" "Bernard Chenot" الذي تمّ تعيينه وزيرا للعدل في 23 أوت 1961 خلفا لسابقه "إدموند ميشلي" "Edmonde Michelin" الذي كان قد قدّم عدة إصلاحات في السجون لتحسين حالة المعتقلين، والتي عبّر من خلالها عن رفضه التام للقمع غير القانوني والاستثنائي المفروض على المهاجرين الجزائريين.²

لم يتوقف تحريض رئيس الحكومة الجديد "Michal Doubri" عند إقناع "ديغول" بتغيير وزير العدل وإفشال جميع الإصلاحات التي من شأنها تحسين حالة المساجين الجزائريين خصوصا دبلوماسي ج.ت.و، بل امتد حقه على الجزائريين إلى تعيين "موريس بابون" "Maurice Papon" على رأس محافظة الشرطة بباريس والمعروف بكراهيته للجزائريين ودفاعه عن فكرة الجزائر الفرنسية، كما أنه يمتلك

1Jose Castano, le massacre des Harkis, on a ordre de ne pas les amener, le nouvel observateur, 21-10-2004, p25.

2Gilles Minceron, op.cit, p117.

خبرة وتجربة سابقة في التعامل مع الجزائريين وقمعهم حيث كان واليا عاما على قسنطينة فترة ما بين 1949 و 1951، ومجرم حرب من الأقدام السوداء، وهذا ما يتضح عندما استعان بالحركى والخونة من الجزائريين لمساعدته في القضاء على أكبر عدد ممكن من خلايا ج.ت.و في فرنسا.

كان تعيين "بابون" على رأس محافظة باريس فعّالا بالنسبة لديغول لقمع الثورة، وتنظيف العاصمة الفرنسية من إرهاب جبهة التحرير الوطني، نظرا لخبرته في التعامل مع الشمال إفريقيين بشكل عام والجزائريين بشكل خاص فإلى جانب توليه مهامها في الجزائر كان قد تولى مهامها في المغرب الأقصى أيضا في الفترة ما بين 1945 و 1955¹، وقد كان بالفعل عند حسن ظن الحكومة الفرنسية به فقد استطاع خلال فترة وجيزة من توليه الحكم من تحويل حياة المهاجرين الجزائريين بفرنسا إلى جحيم بعد أن قام بإصدار جملة من القوانين التعسفية والمجحفة التي خصّ بها الجالية الجزائرية دون سواها، كان أخطرها قانون حظر التجوال الليلي ابتداء من يوم 5 أكتوبر 1961 من الساعة الثامنة مساء إلى غاية الخامسة والنصف صباحا.

زاد هذا القرار القاسي من معاناة المهاجرين الجزائريين وجعل حياتهم أكثر تدهورا وعزلة في أحيائهم الفقيرة والبعيدة أصلا عن الشوارع الكبرى والساحات العامة في باريس²، وفي هذا السياق عبّرت جريدة المجاهد عن تعميق هذا القرار لمأساة هؤلاء المهاجرين بقولها: "إن الحكومة الفرنسية بإقدامها على فرض حظر التجوال يوم 5 أكتوبر 1961 على الجزائريين في منطقة باريس، إنما عبّرت بقرارها هذا عن فتح المجال واسعا لممارسة العنصريين والفاشيّين الرعب على الجزائريين العزل..."³

كان هدف "بابون" من ذلك هو زعزعة ثقة هؤلاء المهاجرين في فدرالية الجبهة وتعميق شكّهم في قدرتها على خوض مسار التفاوض بنجاح مع الحكومة الفرنسية، لاسيما وأن تلك الفترة كانت حاسمة للطرفين بعد أن قطعت أشواطا كبيرة في الاقتراب من الوصول إلى حل يرضي كلا الطرفين، ومن هذا المنطلق سعى رفقة بقية الغلاة الحاكمين في السلطة وبلاستعانة أيضا بمنظمة الجيش السري الإرهابية "L'OAS" التي كانت قد وُلدت أصلا على يد عدد من الجنرالات الفرنسيين المتمسّكين بالجزائر الفرنسية والرافضين لأية محاولة للمساس بها إلى درجة أنهم قاموا بانقلاب عسكري في الجزائر على الجنرال ديغول في 13 ماي سنة 1958 بعد محاولته رفع شعار الجزائر جزائرية دون "ج.ت.و".

سعى "بابون" بتعاونه مع منظمة الجيش السري إلى استغلال حقد هذه الأخيرة على الجزائريين ودفاعها عن بقاء الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا ومن ثم تولّيها مهمة القيام بالأعمال التخريبية مهما كان نوعها وكيف ما كانت نتائجها كلما لاحت في الأفق أية محاولة من أي طرف كان لتقرير مصير الجزائريين، فعمل في هذا السياق على إفساد جو التفاوض ومحاولة جر فيدرالية الجبهة إلى الرد عسكريا على

1Jim House et Neil Macmaster, op, cit, pp 47 -86.

2Paulette Péju, Rotonardas Paris, Edition François Maspero, Paris, 2000, p07.

3 "دماء الجزائريين في شوارع باريس"، جريدة المجاهد، عدد خاص 107، ج4، 1 نوفمبر 1961، ص199.

استفزازات قراراته من جهة ومنظمة الجيش السري من جهة أخرى بعد أن نقلت أعمالها الإجرامية إلى الميتروبول وأسست فروعاً لها لاستهداف المهاجرين الجزائريين، تولى مهامها كل من النقيب "بيار سيرجون" Bière Surgeon والضابط العسكري "كيريتشي" Curutchet¹، ليعطيه ذلك الحجة القانونية لتأجيج الصراع من جديد والعودة إلى نقطة الصفر في المفاوضات ولما لا إلغائها تماماً والعودة بذلك إلى الخيار العسكري كسبيل وحيد للإبقاء على الهيمنة الفرنسية وتفوقها العسكري في الجزائر.²

يتضح جلياً أن اختيار الرئيس ديغول لـ"بابون" وتنصيبه محافظاً عاماً للشرطة في باريس ومقاطعة السين، لم يكن اعتباطياً بل كان اختياراً ذكياً لتصفية هياكل تنظيم جبهة التحرير الوطني بفرنسا بعد أن شعر الفرنسيون بتعاضده أكثر يوماً بعد يوم، إذ أن ديغول كان يعرف جيداً خبرة بابون في هذا المجال كون هذا الأخير قد سبق له أن تعامل مع الجزائريين في قسنطينة وما جاورها من مدن الشرق الجزائري ما جعله يكتسب خبرة ميدانية لقيادة الشرطة والقضاء على تنظيم الجبهة الذي أطلق عليه في مذكراته اسم "حكومة داخل حكومة" Organisation Politico-administrative (O.P.A) فلبجاً إلى نفس سياسته التي طبقها في الجزائر من القمع والتقتيل والاعتماد على العملاء والخونة، إضافة إلى تشكيل قوة شرطة مساعدة (Force de police auxiliaire) والتي يرمز لها بالحروف اللاتينية "E.P.A" وجعلها تحت قيادة النقيب مونتاني (Capitaine Montany) لإعطائها كفاءة وفعالية أكبر، وهكذا اعتمد الخماسي المكون من الرئيس ديغول، ورئيس حكومته ميشال دوبري، ووزير الداخلية روجي فيري Roger Fery، قائد الشرطة موريس بابون، والنقيب مونتاني خططهم الجهنمية قصد تصفية جيوب تنظيم الجبهة في قلب العاصمة باريس.

* استمرار القمع المفرط وتزايد الجالية الجزائرية بفرنسا:

في الوقت الذي هدف فيه "بابون" من خلال قراره بحظر التجوال إلى شلّ نشاط فدرالية جبهة التحرير الوطني على الأراضي الفرنسية من جهة وعرقلة مسار المفاوضات التي كانت بين الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة الفرنسية من جهة أخرى ربّحاً للوقت وإفشالاً لمسار التفاوض، حاول أيضاً وزير الداخلية الفرنسي رفقة عدد هام من رجال الدولة توقيف عجلة التفاوض بواسطة انتهاج سياسة العصا الغليظة وقمع الجزائريين بالاغتيال بالإغراق وعمليات الملاحقة العنصرية³، وظلّت سياسة القمع متواصلة وفي منحى تصاعدي خصوصاً بعد عمليات أوت 1958 التي أبانت عن حنكة الجبهة قوة خلاياها التنظيمية داخل العمق الفرنسي.

في ذات السياق كانت فدرالية الجبهة قد انتهجت سياسة التهدة لدفع عجلة المفاوضات وتعزيز الحلول السلمية فطلبت من مناضليها ابتداء من جوان سنة 1961 وقف العمليات العسكرية ضد قوات

1Remi Kauffer, OAS, une histoire d'une guerre franco-française, Edition du Seuil, Paris, 2002, pp 129.

2Ibid, pp 128-132.

3Haroun, op, cit, pp359- 360.

الأمن باستثناء القوات الخطيرة من العملاء والخونة، وقد لوحظ التزام كلي لعناصرها بهذه التعاليم، وذلك باعتراف "مصلحة التنسيق لشؤون الشمال الإفريقيين" SCINA¹ التي كانت السلطات الفرنسية قد أنشأتها منذ أوت 1955 بهدف عزل المهاجرين عن دعم الجبهة والالتفاف حولها من خلال مراقبة تحركاتهم ونشاطاتهم على الأراضي الفرنسية، حيث أوردت تقاريرها في تلك الفترة سياسة التهدة المنتهجة من طرف الجبهة بفرنسا، حيث سُجل غياب كلي للعمليات المسلحة ضد المصالح الفرنسية.²

في الوقت الذي التزمت فيه الفدرالية بسياسة التهدة ظلّت سياسة القمع الفرنسية مستمرة ومتواصلة خاصة في الأيام التي سبقت مظاهرات 17 أكتوبر 1961 واعتراف الفرنسيين أنفسهم، حيث وردت شهادات لصحفيين وموظفين في مختلف الهياكل الإدارية الفرنسية بأن الأيام الأخيرة لشهر سبتمبر والأيام الأولى لشهر أكتوبر من السنة نفسها قد عرفت تزايدا كبيرا لعدد المفقودين وانتشارا واسعا لجثث الجزائريين التي كن يُعثر عليها طافية فوق القنوات المائية بالعاصمة باريس.³

بسبب تزايد الإرهاب الفرنسي للمهاجرين الجزائريين وتفاقم الوضع الخطير الذي آل إليه حالهم رفع قادة المناطق والولايات في فيدرالية فرنسا تقارير تكشف خطورة المعاناة وقسوة الحياة التي أصبح هؤلاء المهاجرين يعيشونها يوميا وفي كل مكان، حيث وجّه "محمد زواوي" المدعو "موريس" والذي كان مسؤول مراقب بباريس يوم 06 سبتمبر 1961 تقريراً إلى مسؤول التنظيم "قدور العدلاني" شرح فيه تمسك مناضلي الفدرالية بقرار التهدة واستمرار استهداف الفرنسيين للمهاجرين بتفجير فنادقهم وتكثيف عمليات الإيقاف العشوائي ضدهم، إضافة إلى تنفيذ المزيد من عمليات الإعدام ضد الأبرياء دون محاكمة أو إثبات أي جرم قضائي عليهم وحالات أخرى لرمي المهاجرين في نهر السين مُكبّلين ومُقيّدّين.⁴

كما أصدرت ف.ج.ت.و تقارير أخرى أوردت فيها وصف لتصاعد القمع الفرنسي واستمرار التجاوزات الهمجية للشرطة الفرنسية في حق أفراد الجالية الجزائرية منها الذي صدر في سبتمبر سنة 1961 والذي جاء فيه ما يلي: "منذ عدة أسابيع ومصالح الشرطة تستهدف بشكل همجي إخواننا المهاجرين، فقد أصبحت رؤية جزائري في شوارع فرنسا كأنه غريب ومجرم، وسرعان ما تحاصره الشرطة وتقتاده إلى مراكزها أين يتعرض هؤلاء المهاجرين للإهانة والقمع بكل أنواعه ولا يكاد يمر يوم دون أن تتعرض فنادق ومقاهي الجزائريين للتفتيش الذي تتخلله أعمال النهب وكسر ممتلكاتهم وتمزيق ثيابهم..."⁵

بعد مرور حوالي شهر على القرار الذي أصدرته الفدرالية بفتح جبهة ثانية في فرنسا ردّت السلطات الفرنسية بالعديد من الإجراءات التعسفية ضد الجالية الجزائرية المقيمة بالأراضي الفرنسية، يذكر "بن يونس"

1Service de Coordination des intérêts nord-africaines.

2Linda Amiri, , op.cit, p p 44-45.

3Emmanuel Blanchard, Algériens et algériennes dans les manifestations D'Octobre 1961, Hal-Edition, France, 2014, p10.

4 جريال، مرجع سابق، ص 344 . 345.

5 Amiri, op.cit, p213.

في هذا الصدد: "قررت الحكومة الفرنسية هذه المرة الضرب بقوة من أجل تفكيك مجموعتنا القتالية وعزل نشاط مناضلينا على مستوى منطقة باريس فتقوم في شهر مارس 1958 باستدعاء الشخص المناسب للقيام بهذه المهمة وهو "بابون"، وكان هذا الأخير يُعتبر لدى المسؤولين العسكر الفرنسيين أحد أكبر المتخصصين في قمع ومحاربة عناصر جبهة التحرير الوطني، وكان بابون واليا على القطاع القسنطيني من 1949 إلى غاية 1951... ثم يعود إلى منصبه هذا سنة 1956 بصفته هذه المرة واليا يتمتع بصلاحيات واسعة أي برتبة مفتش عام في الإدارة مكلف بالمهام غير العادية... انصرف إذن الوالي ما فوق العادة إلى إطلاق العنان لخيالاته الرهيبة في قمع السكان الجزائريين فيبدأ بفكرة إنشاء المحتشدات من أجل عزل الثوار الذين سماهم بالتمرديين عن الشعب".¹

اعتمد "بابون" بمجرد توليه قيادة شرطة باريس إستراتيجية محكمة هدف من خلالها إلى خلخلة النظام الإداري والاجتماعي لفدرالية الجبهة بباريس، ثم تقويضه وتحرير الجزائريين من هيمنته، وأقنع نفسه أن الانتصار سيكون حليفه لأن جموع الجزائريين بفرنسا موالين لأقلية من المناضلين الجبهويين، المعتمدين على العنف الإرهابي، وتقم إستراتيجيته على ثلاثة محاور الأول يشمل العمل النفسي والاجتماعي، والثاني العمل القمعي، بينما يشمل الثالث التحييد بواسطة إبعاد الوطنيين النشطين وإعادة ترحيلهم إلى الجزائر.²

كما كانت فرنسا قد شرعت في إنشاء مراكز لتجميع المدنيين وحشدهم بالقوة بعد تهديم بيوتهم في القرى والمداشر، وأنشأت هيئات مختلفة المهام أهمها مركز الاستخبارات والعمل (C.R.A)³ الذي ضم إليه عدة مصالح مختصة في قمع وإرهاب السكان بالاعتقالات والتعذيب وسيتم توسيعها عبر كامل القطر الجزائري، وبهذه الطريقة اكتسب "بابون" شهرة المختص في الشأن الجزائري بحكم العمل الإجرامي الذي قام به في الجزائر، يقول بن يونس: "إلى درجة أنه أصبح يرى نفسه في مقام وزير مكلف بالشؤون الأمنية في الجزائر وقد رفض عرض منصب رئيس مجلس فليملين مُفضّلا البقاء المسؤول الأول على شرطة باريس وهو المنصب الذي عُيّن فيه شهر مارس 1958، وسيُبدى فيه حماسا أكبر مما شهد له في قسنطينة في قمع الجزائريين، أصدر تعليمة تدعو إلى "قمع إرهاب شمال إفريقيا" ووزعها على مصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية (S.C.A.A)⁴ التي لها نفس المهام مع مركز الاستخبارات والعمل (C.R.A) والتي أنشأت هذه المرة بباريس لمحاربة عناصر ج.ت.و. ومراقبة المهاجرين الجزائريين، كما أنشأ "مركز فانسين للتحقيق" (C.I.V)⁵ سنة 1959 أين يتم استنطاق وتعذيب المناضلين".⁶

1 Benyounes, op,cit,p129-130.

2 إيدو، مرجع سابق، ص 308.

3 Centre de Renseignement et d'Action.

4 Service de Coordination des Affaires Algérienne.

5 Centre d'investigations de Vincennes.

6 Benyounes, op,cit, p130.

لزيادة قمع الجزائريين وتكثيف محاصرته والتضييق عليهم وتحويل حياتهم إلى جحيم ومن ثم دفعهم إلى التوقف عن الالتفاف حول "ج.ت.و"، زوّدت وزارة الداخلية الفرنسية شرطة باريس بمجموعة من الأجهزة الأمنية الخاصة بالجزائريين دون سواهم من باقي الجاليات الأجنبية المقيمة هناك، واستدعت إطارات من الهند الصينية والجزائر للإشراف عليها كونها تمتلك خبرة في التعامل مع شعوب المستعمرات ومحاربة الحركات الوطنية الاستقلالية، ومنها "مصلحة مساعدة فرنسيي الجزائر المسلمين التقنية" "S.A.T.F.M"¹، "قوة الشرطة المساعدة" "F.P.A"²، مكاتب الاستعلامات المتخصصة "B.R.S"³، و"فرقة الاعتداءات العنيفة" "B.A.V"⁴ وكلها لعبت دورا كبيرا في عرقلة نشاط الفدرالية خصوصا في باريس وضواحيها.⁵

* عرقلة أهداف ج تو ومحاولة استئصالها تدريجيا:

اعترف وزير الداخلية "روجي فري" "Rojer Frey" في 13 أكتوبر 1961 برغبة الحكومة الفرنسية وسعيها الحثيث لزعزعة المنظمة المتمردة. يقصد بها ج.ت.و. من خلال عدة إجراءات منها المنع النهائي لخروج الجزائريين ليلا بهدف شل نشاط الجبهة كون أغلب مناضليها لا يستطيعون النضال إلا ليلا بعد تفرغهم من ساعات العمل التي تستمر طيلة فترة النهار وهذا ما يفسر قرار بابون بضرورة غلق المقاهي والمطاعم التي يرتادها الجزائريون ابتداء من الساعة السابعة مساء حيث تجرى فيها أغلب الاتصالات بين المناضلين على مستوى القاعدة هذا من جهة، ومن جهة ثانية يسمح ذلك بتسهيل تحركات الحركي وأفراد الشرطة الفرنسية للقيام بالمدهامات الليلية وزرع الرعب في أوساط الجزائريين حتى يتوقفوا عن النضال مع الجبهة ومن ثم فصلهم نهائيا عن الثورة التحريرية.

إذن كان من استراتيجيات الرد التي اعتمدتها فرنسا في الرد على انتقال الثورة إلى الأراضي الفرنسية أن نشرت محافظة شرطة باريس برئاسة "موريس بابون" "Maurice Papon" بيانا تعلن فيه حظر التجول على المهاجرين الجزائريين دون سواهم من الفرنسيين أو الجاليات الأخرى المقيمة بفرنسا، ورغم أن القرار شمل أهالي شمال إفريقيا إلا أن التركيز كان على العمال الجزائريين في باريس وضواحيها والبالغ عددهم حوالي 200 جزائري وقد أعتبر قرارا عنصريا يتنافى مع حقوق الإنسان وحرية التنقل خاصة بعد أن فرضت القيود أيضا على كل المطاعم والمقاهي التي يتردد عليها الجزائريين وعملت على إغلاقها وقد صرح وزير الخارجية "روجي فيري" أن القصد من هذه الإجراءات هو "زعزعة تنظيم الجبهة وتفكيكه".⁶

1 Service d'Assistance technique des Français Musulmans .

2 Forces auxiliares de Police.

3 Bureau des Renseignements Spécialisé.

4 Brigade d'Assaut Violent.

5 إيدو، مرجع سابق، ص 310.

6 م. دماء الجزائريين في شوارع باريس، في، المجاهد، ع. خ. 107، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، ج 4، 1. 11. 1961، ص 24.

هدفت السلطات الفرنسية من هذا القرار إلى إيقاف الأعمال الإرهابية حسب زعمها التي كان يقوم بها فدائيو ج.ت.و في فرنسا، وشلّ أنشطة العمال الجزائريين والحد من تحركاتهم قدر الإمكان، ومن هذا المنطلق مُنعوا من التنقل والحركة بدءاً من الساعة الثامنة والنصف مساءً إلى الخامسة والنصف صباحاً، كما تمّ ترحيل ما يقارب 120 جزائري إلى الجزائر في الفترة الممتدة إلى غاية 7 سبتمبر 1961، ثم ما بين ليلتي 7 و8 سبتمبر من السنة نفسها تمّ اقتياد 643 جزائري إلى فانسين Vincennes ثم 630 جزائري في ليلة 8 سبتمبر لوحدها وهكذا سيبقى الحال في الأسابيع الموالية، وقد طالبت وزارة الداخلية الفرنسية من التجمع الوطني يوم 13 أكتوبر من السنة نفسها إيجاد تبرير مقنع لقرار حظر التجول المفروض ضد الجزائريين.¹

إن حظر التجول سيمثل عائقاً حقيقياً أمام الجبهة والاستمرار فيه سيؤدي حتماً حسب الحكومة الفرنسية إلى القضاء على نشاطها فوق الأراضي الفرنسية، وأن بقاء الجبهة بسياسة الأيدي المكتوفة ستؤدي بها إلى الانتحار²، ويبدو أن غلاة الاستعمار قد كانوا على قدر كبير من الذكاء والحنكة حين فهموا جيداً استراتيجيات عمل الفدرالية فوضعوا لها خطة دقيقة لاقتلاع جذورها خاصة ببدئهم بالقاعدة الشعبية كأول مرحلة لإلغاء التحامها بثورتها، وإجبارها على العودة إلى ممارسة حياتها الطبيعية بعيداً عن الجبهة ونشاطاتها السياسية والعسكرية، ومن ثم الوصول إلى الغاية الأكبر وهي إضعاف الثورة ككل واحتواء نشاطها في صفوف المهاجرين وسد الطريق أمام أي جولة جديدة للتفاوض الجاد مع الحكومة الجزائرية المؤقتة.

مثلما انتبهت الحكومة الفرنسية لأهمية هذا القرار بحظر التجوال، انتبهت "ج.ت.و" أيضاً لخطورته فوقفت بكل عزم وقوة للتصدي لها بل وإفشاله، وهذا ما يتضح في قول "عبد الكريم سويسبي": "علينا التحرك، إنها معركة فُرضت علينا..."³، ومن هذا المنطلق أدركت فدرالية الجبهة أن أحسن رد لإفشال مرامي ومسااعي الحكومة الفرنسية هو إخراج الجالية الجزائرية للتظاهر سلمياً ضد هذا القرار، وإثبات التلاحم الشعبي مع الثورة.

* رغبة المهاجرين الجزائريين في كسر الصمت وتأكيد دعمهم العلني للجبهة:

غداة اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 كان يعيش في فرنسا ما يزيد عن 211000 جزائري، وكان ما يزيد عن نصفهم يقطن حواف باريس وضواحيها، ففي "نونتير" Nanterre مثلاً وعلى بعد أربعة كيلومتر من غابة بولوني سنة 1950 كان يعيش 18000 جزائري منهم 10000 في أحياء قصديرية⁴، وبما أن الثورة ارتأت فتح جبهة جديدة على التراب الفرنسي فقد قامت بنقل الحرب إلى التراب الفرنسي وزيادة الضغط على العدو في عقر داره لإرغامه على القبول والاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم.⁵

1 Jean Luc.Einaudi, la bataille de Paris 17 Octobre 1961, édition Media-plus, Alger, 1994, p87.

2 Haroun, op, cit, pp362 – 363.

3 أن تريستان، صمت النهر أكتوبر 1961، تر: مجموعة من المترجمين، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة . الجزائر، 2013، ص39.

4 Anne Tristan, le silence du fleuve Octobre 1961, EDIF, Bezons, 2000, pp14-15.

5 بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية (معالمها الأساسية)، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2014، ص ص 157. 170.

لقد كان الجزائريون بفرنسا يعانون من التهميش والعزلة والإقصاء في ظروف معيشية قاسية حتى أنهم كانوا يُعاملون كقمة أجنبية خارجة عن المجتمع الفرنسي ولا تفيده في شيء، ومن هذا المنطلق كانت هذه الفئة تتحين الفرصة المناسبة للتعبير عن رفضها القاطع لهذا الوضع، فكان اندلاع الثورة فرصة للتعبير عن وجودها وكسر الصمت الذي كان مفروضا عليها¹، وعندما كُلفت بالتظاهر ضد قرار "موريس بابون" الجائر استجابت بثقة كبيرة وشاركت بفعالية أكبر في مظاهرات سلمية حاشدة مُعبّرة عن تضامنها المطلق مع الثورة التحريرية والتفافها حول جناحيها السياسي والعسكري. جبهة وجيش التحرير. تاركة بذلك بصمة وطنية وثورية بارزة.

أراد المهاجرون الجزائريون بفرنسا من خلال مشاركتهم القوية في المظاهرات التي دعت إليها جبهة التحرير الوطني أن يثبتوا خروجهم من الطابع السري في دعمهم للثورة إلى العلن وإظهار الشجاعة بإعلانهم الوقوف إلى جانب منظماتهم جبهة التحرير الوطني²، التي اعتبروها ممثلهم الشرعي والوحيد وقاطرتهم التي ستجرّهم إلى بر الأمان حيث الحرية والاستقلال والانعتاق الكامل من كل قيود الاستعمار وتراكماته المختلفة، وقد عبّرت جريدة المجاهد عن ذلك بالقول: "...إن نزول المهاجرين للتظاهر جاء ليفسر رفضهم لكل الإجراءات القمعية وفرصة للفت أنظار الرأي العام الفرنسي والدولي بأن هذه الجالية تحت قيادة جبهة التحرير الوطني قد اختارت التظاهر السلمي وفي انضباط تام من أجل المطالبة بحقوقها وتأكيد التضامنها بثورتها".³

لقد أيقنت فدرالية الجبهة أن الواقع المر الذي بات يعيشه المهاجرون يفرض التظاهر السلمي وتجنّد جميع مسؤوليها ومناضليها لإنجاح هذا الحدث⁴، والإثبات للرأي العام الدولي رفضهم القاطع للممارسات القمعية، وللرأي العام الفرنسية حجم السياسة الهمجية لعناصر الشرطة الفرنسية المعتمدة في حق أفراد الجالية الجزائرية والوصول بتشبيهاها بالممارسات النازية خلال حقبة احتلالها لفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، ومن ثم إثبات عدالة القضية الجزائرية ومشروعية الكفاح الوطني للجزائريين، وحققهم في تقرير مصيرهم.

2. استراتيجيات ج.ت.و في التحضير للمظاهرات

• التحضير للمظاهرات:

تواصل القمع الفرنسي المتزايد ضد المهاجرين الجزائريين في فرنسا عامة وفي العاصمة باريس بشكل خاص، فقد سارعت مصالح الأمن الفرنسية في "سان دوني" و"نوازي لوساك" لاعتقال الجزائريين والزجّ بهم في السجون الفرنسية، كما تم الاعتداء على العديد منهم ضربا بالعصي، وقد رأت ف.ج.ت.و أنه لا بد من

1 Gilles Minceron, la triple occultation d'un massacre, Edition Media-plus, Constantine, Algérie, 2012, pp124-125.

2 Marcel Péju et Paulette, le 17 Octobre des Algériens..., op.sit, p 47.

3 "دماء الجزائريين في شوارع باريس"، جريدة المجاهد، عدد خاص 107، ج4، 1 نوفمبر 1961، ص199.

4 Dominique Wallon, op.cit, p160.

الرد على هذه الأعمال التعسفية والإجراءات العنصرية التي استهدفت العنصر الجزائري فقط، وهكذا عقد اجتماع للفدرالية قصد اتخاذ الإجراءات المناسبة لرد ووضع حد لهذه التجاوزات والمعاملات الإنسانية والإجراءات القمعية في حق أفراد الجالية الجزائرية.

راسلت "ف.ج.ت.و" قبل عقد هذا الاجتماع الحكومة الجزائرية المؤقتة في تونس وأطلعتها عن موقفها من القمع الفرنسي المتواصل ضد المهاجرين وأن التظاهر السلمي ضد هذا القمع هو السبيل الأفضل للرد حسب رأيها، كما أكدت رغبتها في اتخاذ هذا الشكل من أشكال العصيان المدني للضغط بشكل أكبر على الحكومة الفرنسية وإرغامها على الدخول في مفاوضات جدية للإسراع في إيجاد حل عادل للقضية الجزائرية، وكان رد الحكومة المؤقتة متوافق مع طلب الفدرالية في إقامة مظاهرات سلمية عارمة، لكن الاختلاف وقع في اختيار اليوم المناسب لها حيث طلبت الحكومة المؤقتة أن يتم إقامتها في الفاتح من نوفمبر ذكرى اندلاع الثورة التحريرية وأن لا تقتصر على المهاجرين الجزائريين بفرنسا فحسب بل يجب أن تمتد إلى خارج الأراضي الفرنسية وتشمل البلدان المجاورة لها في بلجيكا وألمانيا.¹

ثم أرسلت اللجنة الفدرالية يوم 07 أكتوبر تعليمات لمراقب مدينة باريس "محمد الزواوي" طلبت منه الإعداد الجيد للمظاهرات التي حددتها الحكومة المؤقتة في الفاتح من نوفمبر، إلا أن الزواوي وبحكم معاشته لواقع المهاجرين الصعب ورؤيته للقمع المسلط عليهم يوميا، كان له رأي آخر حيث راسل الحكومة المؤقتة ببرقية مستعجلة طلب فيها من اللجنة الفيدرالية تقديم التاريخ وعدم منح بابون المزيد من الوقت للقيام بأعمال القمع.²

وأنه حتى المهاجرين لم يعودوا قادرين على الصبر أكثر عن ظروفهم القاسية كما أن الحماس لديهم للاحتجاج على تلك الأوضاع قد بلغ عندهم مستويات قياسية، وأضاف الزواوي أيضا أنه بعد اجتماعه العاجل مع مسؤولي المناطق في باريس رأى أن الظروف أصبحت مواتية للإسراع في تنظيم المظاهرات على أن تكون بدايتها ليلا ابتداء من الساعة الثامنة في تحدي صارخ لقرار حظر التجول وإعلان بارز للشجاعة الكبيرة التي يتمتع بها هؤلاء المهاجرين والوطنية العالية التي يتميزون ويفتخرون بها، كما ينبغي أن تشارك فيها كل فئات الجالية من الرجال والنساء والأطفال.³

كانت اقتراحات "الزواوي" موقفة إلى حد كبير ومتماشية تماما مع إرادة الفدرالية بفرنسا التي أظهرت هي الأخرى نيتها في الإسراع بإقامة المظاهرات وعدم الانتظار حتى الفاتح من نوفمبر مثلما طلبت الحكومة المؤقتة، وهذه الأخيرة لم تعارض التعجيل بالمظاهرات حيث ذكر بوداود في هذا الصدد قوله: "... كان علينا أن نرد بالكيفية الملائمة، وعندما أطلعُ بن طوبال وزير الخارجية المسؤول وقتها على الفدرالية بالأمر ردّ عليا قائلا هذا من شأنكم ... إن وفقتم فسيكون التوفيق حليف الثورة وإن فشلتم

1Gilles Minceron, la triple occultation d'un massacre, op.cit, p p149-150.

2Jim House ,Néil Macmaster, op.cit, pp 148-149.

3Amiri, op.cit, pp129- 130.

فستدفعون ثمن قراراتكم...وفي نهاية الأمر وبعد نجاح المظاهرات وتحقيق معظم أهدافها تلقينا التهاني من قبل الحكومة المؤقتة".¹

بعد أن لجأت قيادة الفدرالية إلى مدينة كولون الألمانية درست وسائل الرد المناسبة على قرارات "بابون" الإجرامية ضد الجالية الجزائرية، فرأت ضرورة كشف تلك التجاوزات الاستعمارية أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي والتأكيد له على عدالة القضية الجزائرية والتفاف الشعب الجزائري بجميع أطيافه حول جبهة وجيش التحرير الوطنيين سواء في الجزائر أو في المهجر، ومع محاولات موفدي الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من أجل الدخول في مرحلة جديدة من المفاوضات²، ودعمًا لهذه الأخيرة وإعطائها صدى أوسع وأكبر كان قرار تنظيم مظاهرات سلمية بطريقة حضارية للتعبير عن احتجاجهم ضد كل أشكال الظلم والقهر³ وكل السياسات التعسفية، العنصرية والإجرامية من جهة، ودعمًا لاستقلال الجزائر والتأكيد عليه من جهة أخرى.

تقرّر الاجتماع إذن في العاشر من أكتوبر سنة 1961 بمدينة "كولن" بألمانيا قصد الاستماع إلى تقارير مسؤولي الولايات وتحليلها ثم التصرف وفق ما تقتضيه الظروف لمواجهة قوانين "روجي فيري" و"موريس بابون" التي أثّرت كثيرا على مصالح الطبقة العاملة الجزائرية، وقد تقرّر في هذا الاجتماع أنه لا بد من إقامة مظاهرات سلمية⁴، تكون حاشدة وفي 17 من ذات الشهر والسنة تتحدى قمع السلطة الفرنسية اللامتناهي⁵، وأن تكون شاملة حيث يخرج الجميع للتظاهر باستثناء كبار السن أو المرضى الذين أقعدتهم الحاجة، وقد تم تكليف "علي هارون" باعتباره مسؤولا عن لجنة الصحافة بكتابة التوجيهات والتعليمات المتعلقة بتنظيم تلك المظاهرات وإنجاحها على أوسع نطاق.⁶

بعد تحليل الوضعية التي آل إليها المهاجرون الجزائريون جراء قرارات السلطة الفرنسية التعسفية في حقهم لإيقاف العمل الثوري قررت الاتحادية الرد عبر منشور يوزع على نطاق واسع تمّ التركيز فيه على ثلاثة نقاط أساسية وهي مقاطعة المهاجرين لحظ التجول وضرورة الخروج في موعد يحدد لاحقا للتظاهر جماعيا ابتداء من 14 أكتوبر بمشاركة الرجال والنساء وحي الأطفال⁷، مع التركيز في التظاهر على الشوارع الرئيسية للعاصمة باريس بهدف لفت أنظار الرأي العام الفرنسي والعالمي، إضافة إلى دعوة التجار الجزائريين إلى

1 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 182 . 183.

2 محمد شريف عباس، من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2005، ص 146.

3 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 146.

4 بزيان، صفحات...، مرجع سابق، ص 180 . 181.

5 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 58.

6 Amiri, op.cit, p180.

⁷ أنظر الملحق رقم 11.

إغلاق محلاتهم لمدة 24 ساعة كتعبير منهم على اعتراضهم على حظر التجول¹، مرفقة بإضراب عن الطعام في السجون، ومظاهرات تضامن للنساء الجزائريات.²

حرصت فدرالية الجبهة على الطابع السلمي للمظاهرات ووجهت في هذا الصدد تعليمات صارمة لمناضليها بعدم حمل أي نوع من الأسلحة حتى ولو كانت بيضاء، ونظرا لتوقع الرد العنيف لأفراد الشرطة الفرنسية، فقد دعت الفدرالية إلى التحلي بالصبر والشجاعة في تحمل العنف البوليسي مع ضرورة ضبط النفس والتحكم العالي في الأعصاب وتجنب الرد على استفزازات الشرطة وعملائها من الحركي والخونة مهما كانت حدتها ومهما كان نوعها وطبيعتها³، ومن هذا المنطلق لجأت الفدرالية إلى الاستعانة بالأصدقاء الفرنسيين المتضامنين مع الجبهة فوضعهم في أماكن حساسة ومراكز معينة في شوارع باريس وساحاتها الكبرى من أجل مراقبة الأوضاع ونقل الأخبار والمستجدات، بهدف تفادي أي طارئ قد يعرقل السير الحسن للمظاهرة والعمل قد المستطاع على منع احتكاك المتظاهرين مع قوات الأمن، وأصدرت في هذا السياق تعليمات تقضي بانقسام المتظاهرين إلى أفواج صغيرة فور خروجهم من بيوتهم وتوجههم نحو شوارع باريس للالتحاق بالمظاهرات.⁴

في إطار التنظيم الدقيق للمظاهرات والالتزام بالطابع السلمي لها، مع محاولة تجنب القمع الفرنسي الذي سيكون مفرطا بهدف عدم إعطاء الفرصة للسلطات الفرنسية لتبرير عنفها وتجنب كل ما من شأنه أن يُستغل كذريعة لقمع المتظاهرين⁵، أرسل "محمد الزاوي" إلى اللجنة الفدرالية مخططا لسير المظاهرات يمر بثلاث مراحل ابتداء من 17 إلى 20 أكتوبر، تكون البداية بمظاهرات للعمال في اليوم الأول ثم يليها إضراب عام للتجار لإبراز تضامنهم مع إخوانهم العمال في اليوم الثاني وتأكيد التفافهم ب ج.ت.و من خلال تنفيذهم لكل أوامرها، ثم تكون مظاهرات ثانية للعمال في ليل اليوم الثالث، على أن تختم النساء بتنظيمهن مظاهرات في اليوم الرابع رفقة أطفالهن لتجنب القمع البوليسي الفرنسي.⁶

• سير المظاهرات

استطاعت الفدرالية في مدة قصيرة تعبئة المهاجرين الجزائريين المتواجدين بفرنسا، من أجل القيام بالمظاهرات ضد سياسة "بابون" العنصرية، وتعبيرا عن تحدي صارخ لفرنسا في عقر دارها، وبعد العديد من الاتصالات التي تمت بين مسؤولي الجبهة في مراكز مترامية الأطراف من أجل توحيد العمل وتسهيل تنقل المهاجرين إلى باريس للقيام بمسيرة تستغرق ثلاثة أيام، وقد حُطّط لها بدقة حيث أُتخذ مخطط "الزاوي"

1 بزيان، جرائم مورييس بابون...، ص ص 87. 88.

2 Jim House & Mac Master, La fédération de la France du FLN et L'organisation du 17 octobre 1961, Dans Vingtième siècle, Revue d'histoire 2004/3, N83, 2011, P150.

3 Henri Pouillot, le 17 octobre 1961 par les textes de l'époque, Edition les petits Matins, Paris, 2011, p107.

4 Amiri, op.cit, pp130-131.

5 Jean- Luc Einaudi, La baille de Paris 17 octobre 1961, algeria, Editions Média plus, Constantine, 2010, P100.

6 House et Macmaster, La fédération de la France du FLN et L'organisation ..., op.cit, p149.

بعين الاعتبار مع القليل من التعديل فيه، ففي اليوم الأول يقوم الرجال والنساء بالتظاهر في أزقة باريس ابتداء من الساعة 19 مع أولادهم، وفي اليوم الثاني تتظاهر النسوة للمطالبة بإطلاق سراح الأزواج، أما في اليوم الثالث فيقوم العمال والتجار بإضراب عام تعبيرا عن تضامنهم مع المتظاهرين.¹

شهد مساء اليوم الأول الثلاثاء 17 أكتوبر 1961 انطلاق عملية التنفيذ، وفي الوقت الذي كانت فيه عاصمة الجن والشياطين - باريس - تستعد للسهر كعادتها وكانت أهم شوارعها وساحاتها يتأهب روادها للتجمهر في المقاهي، وحلبات الرقص، غيّرت جموع غفيرة من الجزائريين الأجواء، حيث انطلقت استجابة لأمر الفدرالية كأمواج بشرية من أهم شوارع العاصمة الفرنسية في حشود عظيمة ومظاهرات رهيبة.²

وقد ذكر "بوداود" التعديل الذي تم على مقترح الزواوي وأشار إلى المخطط الذي بُرمج لسير المظاهرات والذي تضمن: " برمجة عمل يدوم ثلاثة أيام، في اليوم الأول يقوم الرجال والنساء بالتظاهر في أزقة باريس ابتداء من الساعة السابعة مساء مصطحبين أولادهم، وأن في وسعهم المطالبة بمفاوضات مع الحكومة المؤقتة مادام ديغول قد صرّح بأن الجزائر جزائرية، وفي اليوم الثاني يتظاهر النساء والرجال للمطالبة بإطلاق سراح الأزواج أو الأولاد الذين تمّ اعتقالهم، أما في اليوم الثالث فإن العمال والتجار هم من يقومون بإضراب عام للتعبير عن تضامنهم مع المتظاهرين وعائلاتهم المنكوبة".³

اتفق "هارون" الذي كان أحد المشاركين في تلك المظاهرات مع الطرح الذي قدّمه "بوداود" حيث ذكر أن المظاهرات تمّت فعلا على ثلاث مراحل أساسية بقوله: "تمّت الأولى خلال أمستين متتاليتين بمظاهرات قطعت حظر التجول من خلال السير بعد الساعة الثامنة بطريقة سلمية، وتمّت الثانية بشنّ إضراب عام يقوم به التجار تعبيرا عن تضامنهم مع العمال، ثم دُعِمَت بالمرحلة الثالثة حين قامت النساء بمظاهرات مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين أمام المعتقلات والسجون".⁴

بناء على تعليمات فدرالية جبهة التحرير بفرنسا خرج الجزائريون إذن رجالا ونساء في مظاهرات سلمية كبيرة يوم 17 أكتوبر 1961 إلى شوارع باريس ابتداء من الساعة الثامنة ليلا⁵، تراوح عددهم ما بين 30 000 و40 000 متظاهر في العديد من ساحات باريس الكبرى ومن بين أهمها ساحة أوبرا التي كانت تعتبر أهم مواقع لتجمع الأجانب باعتبارها من الأماكن الإستراتيجية أي قلب باريس النابض بالحركة

1Malika el Korso, 17 octobre 1961 un crime contre l'humanité, IN, el massadir, le centre national d'études et de recherche sur le mouvement national et la révolution de 1 novembre 1954, numéro 21, 1^{er} semestre 2010, p334.

2جريدة المجاهد، ع1، 107 نوفمبر 1961، ص15.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص ص180. 181.

4 Haroun, op, cit, p362.

5عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2002، ص197.

ليلا ونهاراً¹، في حين ذكر "موج كليشي" أن عددهم قد بلغ 80 ألفاً²، وبما أن هؤلاء المتظاهرين كانوا جميعاً من مناضلي الجبهة فهذا دليل على المظاهرات كانت سياسية³، وذات أبعاد وطنية بحتة. وقد اتضح ذلك جلياً في حمل تلك المظاهرات تعبيرا واضحا للمشاركين فيها عن رفضهم لحظر التجوال ومساندتهم النضال الوطني، وزيادة الضغط على ديغول للإسراع في عملية المفاوضات مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، وكذلك إظهار التماسك الشعبي والوحدة الوطنية والحماس الجزائري في فرنسا نفسها، خاصة باجتماعهم في الوقت والموعد المحدد وحاملهم لافتات كتبوا عليها شعارات ترفض قرار فرنسا حظر التجول منها "لا للتمييز العنصري"، "نعم لرفض حظر التجول"، "الجزائر جزائرية"، "تحيا ج.ت.و"، "تحيا الجزائر".

ذكر المؤرخ الفرنسي "هرفي هامون" عن سير المظاهرات قوله: "بينما الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق، شكل المهاجرون الجزائريون مواكب صامتة في عشرين حي بباريس وضواحيها، فلا صياح ولا أعلام ولا لافتات، وكان أغلبهم على العموم شبانا ومعهم أيضا كهول وحتى شيوخ ونساء يمسكن أولادهم باليد..."⁴، أما جريدة المجاهد فقد ذكرت أن عددهم كان يزيد عن 50 000 متظاهر بين الشبان والرجال والأطفال يرددون بأصواتهم الهادئة "الجزائر جزائرية"، وباقي الشعارات التي أمرتهم جبهة التحرير الوطني برفعها.⁵

فوجئ الفرنسيون إذن في بلادهم وفي وسط عاصمتهم بتدفق الآلاف من العمال الجزائريين رفقة عائلاتهم وأولادهم من باقي المدن والضواحي للانضمام للمسيرة في مظاهرات سلمية طافت شوارع باريس الرئيسية⁶، يمكن تشخيص وتحليل المراحل الثلاث التي تمت خلالها المظاهرات على النحو التالي:

*** قطع حظر التجول:**

رغم وضوح تعليمات الفدرالية بضرورة بدء المظاهرات رسميا بعد الساعة الثامنة ليلا حيث يبدأ حظر التجوال المفروض ظلما على المهاجرين الجزائريين، إلا أن أعدادا من أفراد الجالية الجزائرية كانوا قد ارتكبوا خطأ فادحا حين أخطأوا في قراءة تلك التعليمات وخالفوا الأوامر، حيث نزلوا للتظاهر في صباح يوم 17 أكتوبر في ساحتي "مادلين" و"أوبيرا" وقد تعرضوا حينها للتوقيف والاعتقال، كما نبهوا بتصرفهم ذلك

1TayebBelloula , les Algériens en France, leurs passé, leurs participation à la lutte de libération nationale, leurs perspectives, 1ere édition, Alger, E.N.A, 1965, p93

2محمد غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30 . 11.30، 22 نوفمبر 2022 .

3خليفة الجنيدي، حوار حول الثورة، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص409.

4هرفي هامون، مصدر سابق، ص491.

5المجاهد، مصدر سابق، ص24.

6بزيان، دور الطبقة العاملة...، ص146.

قوات الأمن الفرنسية وأعطوها الفرصة لأخذ الاحتياطات اللازمة لقمع أية مظاهرة أخرى في ذلك اليوم، بدليل أن إذاعة أوروبا 01 قد أعلنت عن ترقبها لمظاهرات أخرى تُقام على الساعة السادسة مساء.¹

تنبّهت السلطات الفرنسية جرّاء ذلك الخطأ لتحركات فدرالية الجبهة وأصدرت الأوامر للشرطة بالتحرك في المساء لمنع المهاجرين من الخروج حتى من أحيائهم والحيلولة دون بلوغهم الساحات العامة والشوارع الكبرى للعاصمة باريس، وقد خرجت بالفعل أعداد كبيرة من قوات حفظ النظام لتملئ العاصمة باريس منذ ساعات الصباح الأولى، وتم تجنيد أكثر من سبعة آلاف شرطي وكتيبتين من الكتائب الجمهورية للأمن وسريتين من الدرك المتنقل تحسبا لأي مواجهة أو تجمع مشبوه²، وفي هذا الصدد ذكر علي هارون أنه لوحظ جهاز هام من قوات الشرطة يحتل أماكن حساسة بباريس على الساعة الخامسة وخمسة وأربعون دقيقة مساء، وحسب التقارير الرسمية فإن مصالح الأمن قد شنت حملات تفتيش واسعة على أبواب العاصمة ولاسيما في مداخل الضاحية الشمال إفريقية لمنع أي خروج متوقع للمناضلين.³

لم تمرر فدرالية الجبهة هذا الخطأ من دون حساب بل تعرّض جميع المسؤولين عنه إلى العقاب والمحاسبة، لما قد يسبّب هذا الخطأ من خطر إفشال المظاهرات، ونظرا لتكثيف الشرطة الفرنسية لاحتياطاتها الاحترازية ونشرها لأعداد كبيرة من قواتها لتخويف المهاجرين، فإن الفدرالية أيضا اتبعت أسلوبا مماثلا في تخويف كل المترددين في التظاهر فقامت بإرسال مناضليها إلى الفنادق في المساء لحث الجالية على الخروج للتظاهر، وتلبية نداء الواجب الوطني مع توّعدها لجميع الرافضين بالمحاسبة والعقاب في حالة الرفض وعدم الاستجابة.⁴

لم تثني تجمعات الشرطة وقوات الأمن الفرنسي المهاجرين الجزائريين في باريس من الخروج للتظاهر السلمي وتنفيذ أوامر ف.ج.ت.و، بل تحدّوا كل الظروف والعراقيل وخرجوا ابتداء من الساعة الثامنة والنصف ليلا من كل أحيائهم الفقيرة التي كانت تملأ ضواحي العاصمة الفرنسية متجهين إلى قلب باريس في جموع غفيرة ومظاهرات كبيرة⁵، ويذكر هارون في هذا الصدد أنهم: "خرجوا من كل مكان واتجهوا إلى أهم الساحات الرئيسية مثل ساحة النجمة "L'étoile" و"بون نوفال "Bon Nouvel"، ساحة الأوبرا "Opéra"، الكونكورد "Concorde" النصر، إضافة إلى أبواب المدينة وجسر نويي "Neuilly"⁶، وهي نفس الساحات التي ذكرها "آن ترستان" في كتابه "صمت النهر" وأضاف إليها أهم الشوارع الرئيسية التي تجمع فيها المتظاهرون الجزائريون على غرار "سان مبشال" "ST. Michel"، و"سان جيرمان" "ST. Germain".⁷

1Jean luc Einaudi, op.cit, p104.

2 ميشيل لوفين، حملة أكتوبر العقابية اغتيال جماعي باريس 1961، تر: عبد القادر بوزيدة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص89.

3 Haroun, op, cit, p363.

4Amiri, op.cit, p132.

5Pouillot Henri, op.cit, p107.

6Haroun, op.cit, p474.

7Anne Tristan, le silence du Fleuve, Octobre 1961, EDIF, Alger, 2000, p48.

وفي الوقت نفسه لم يثنى أيضا خروج الجزائريين للتظاهر عناصر الأمن الفرنسي بل أصرت هي الأخرى على التصدي لهذه المظاهرات وسعت لمحاولة إفشالها بكل السبل، ففي كل مكان يصل إليه المهاجرون من ساحات وشوارع باريس كانوا يجدون أمامهم حشدا من قوات الشرطة في انتظارهم، ففي المناطق المرتقبة التي كانت جبهة التحرير الوطني تود التوجه إليها من جسر نويي إلى ساحة الجمهورية جندت مصالح الأمن فيها قوات إضافية لعرقلتها فبعدما كان العدد في بداية اليوم 1230 شرطي تضاعف العدد ليصل في تلك الليلة إلى 2000 شرطي ويساعدهم 800 شرطي مناوبة أي 2800 شرطي.¹

والإجراء نفسه اتخذ في ساحة النصر "Concorde" حيث وجد المتظاهرون بمجرد نزولهم من الميتر و طوابير من الشرطة وقوات CRS تطالبهم برفع أيديهم فوق رؤوسهم من دون أي جدال، مع شتمهم ووصفهم بأقبح الصفات إلى جانب تهديدتهم بالعصي والقضبان التي كانوا متسلحين بها، وفي هذا الصدد أورد كل من Marcel Péju et Paulette رواية لأحد المتظاهرين الذي كان شاهد عيان عن فظاعة المشهد وهول تلك الأحداث في ساحة النصر بقوله: "في اللحظة التي أنزلتنا عناصر الشرطة الفرنسية و CRS رأيت أمامي أعداد كبيرة من السيارات السوداء التابعة لها، واصطفت حافلات إلى جانبها لنقلنا من ساحة الكونكورد ثم إحاطتنا في وسط دائرة مغلقة من عناصر الشرطة المدججة بالأسلحة لمنع أي محاولة منا للفرار... حتى اختنق عدد من المتظاهرين بسبب كثافة الدخان السام الذي كان ينبعث من مركبات الشرطة... ثم انهالت تلك العناصر علينا بالضرب بواسطة العصي ومقابض الرشاشات... توفي البعض منا ونجا آخرون بحياتهم مع جروح ورضوض خطيرة، وحالة نفسية كارثية سيستمر تأثيرها مدى الحياة..²

ونفس الملاحظة سجلها المؤرخ الفرنسي "Fabrice Riceputi" حين ذكر أن: "ما تعرض له المتظاهرون الجزائريون يوم 17 أكتوبر 1961 كان قمعا فاشيا شرسا لا يمكن تصوره، حتى أن أفراد الشرطة الفرنسية قد اعتقلوا الجزائريين حتى قبل تجمعهم في مواكب، فكان ما تم في لذلك اليوم أفضع قمع لاحتجاج سلمي في التاريخ الحديث لبلدنا".³

كما اعترف بعض مثقفي فرنسا بجرائم بلادهم الفضيعة في حق الجزائريين خلال مظاهراتهم السلمية، وأكدوا استنكارهم الشديد لتلك الانتهاكات والتجاوزات التي لم يكن لها أي داع مادام الجزائريون كانوا مسالمين في تظاهريهم وغير حاملين لأي نوع من السلاح مهما كان بسيطا، بل كانوا مكتفين برفع شعارات تعبر عن تطلعاتهم المستقبلية ومطالبهم المشروعة.⁴

1Amiri, op.cit, p134.

2Marcel Péju et Paulette, op.cit, p p 58,59.

3Fabrice Riceputi, ici on noya les Algériens, la bataille de Jean-Luc Einaudi pour la reconnaissance du massacre policier et raciste du 17 Octobre 1961, "précédé de Une passion décoloniale" par Edwy Plenel, préface de Gilles Manceron, S D, pp06 - 07.

4 رمضان رحموني، شريط وثائقي حول 17 أكتوبر 1961، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر العاصمة.

يضيف الكاتبان أن هذه المشاهد لم تكن مقتصرة على ساحة التنصر فحسب بل ستتكرر في كل الشوارع والساحات الأخرى في العاصمة الفرنسية، ففي شارع "سان ميشال" "ST. Michel" تصدّت الشرطة لمقدمة المظاهرة وانهالت بالضرب بوحشية كبيرة على المتظاهرين لإرغامهم على وقف المظاهرة، غير أن هؤلاء المتظاهرين لم يتوقفوا ولم يستسلموا جراء الضرب المبرح الذي تعرضوا له، بل واصلوا تقدمهم حتى وصلوا الساحة الرئيسية، وفي ساحتي الجمهورية والابرا وصل الآلاف من المتظاهرين متّحين ضربات الشرطة الفرنسية هاتفين بشعارات الجبهة هناك "الجزائر جزائرية"، "حرروا إخواننا"، "تحيا ج.ت.و."¹

كما تحدث "هارون" عن رواية شاهد عن المظاهرات فقال: "رأيتُ السائق ينزل من مقعده شاحبا، حاملا مسدسه في يده، وخوفا من الحشد الصارخ المتقدم نحوه صرخ: سأطلق النار على كل من يتقدم، لكن المتظاهرين واصلوا التقدم دون أي خوف، فأطلق الشرطي رصاصتين في الهواء ثم على المتظاهرين، وعند سماع صوت الرصاص أسرع رجال الشرطة واضعين الخوذات وعلى صدورهم الصديريات الواقية وأطلقوا بدورهم حوالي 20 طلقة، هرب شماليو إفريقيا في جميع الاتجاهات ولجأوا إلى ممرات البنايات، كُسر زجاج محل للحلوى ونهبت كذلك شرفة مؤسسة رياضية وواجهة محل لبيع القمصان، وبقي 7 رجال على الرصيف مصابين بجراح خطيرة..."²

* إضراب التجار:

دعت ج.ت.و. في يوم الأربعاء 18 أكتوبر 1961 كل المهاجرين الجزائريين للتظاهر عن طريق مناشير تمّ توزيعها بمنطقة باريس³، وفي اليوم نفسه تمّ التأكيد والتركيز بشكل خاص على فئة التجار الذين استجابوا لأوامر الجبهة بغلق محلاتهم التجارية رغم اختلاف قناعاتهم إذ كان البعض منهم مقتنع بخطط الجبهة ومستعد لتنفيذ أوامرها مهما كان نوعها ونتائجها، في حين كانت فئة منهم ترى عكس ذلك وغير مقتنعة تماما وخائفة في الوقت نفسه على أملاكها وحياتها وحتى أرباحها التي ستتضرر جراء الإضراب من جهة، ومن تهديدات مناضلي الجبهة بجعلهم في خانة الخونة للوطن من جهة ثانية، ومن تهديدات الشرطة الفرنسية من جهة ثالثة.

ذكر "إينودي" في هذا الصدد قوله: "أضرب التجار الجزائريون في ذلك اليوم حيث أمرهم أعضاء في ج.ت.و. بغلق محلاتهم كما هددوا كل من سوّلت له نفسه بعصيان ذلك الأمر بدفع غرامة مالية وحتى حياته ثمنا لذلك، وفي الجهة المقابلة جاءتهم الشرطة لتجبرهم على فتحها وإلا مُنعوا نهائيا من أي نشاط تجاري... لقد تعرّض بعض التجار أثناءها للضرب حتى نُقلوا للمستشفيات ولكن ما إن تغادر الشرطة حتى يغلق التجار أبوابهم، في حين تمرّد البعض وظل يزاول تجارته بشكل عادي دون اكتراث لأوامر الجبهة مثل

1 Marcel Péju et Paulette, op.cit, p p 67,68.

2 Haroun, op, cit, p364.

3 Michel Levine, Les Ratonnades d'octobre, un meurtre collectif à Paris en 1961, édition Ramsay, Paris, 1985, p155.

تجار شارع "ماثر ألبار" الذين تلقوا ضربات موجعة من قبل مناضلي الجبهة حيث أوسعهم لكما وركلا لتأديبهم وإرغامهم على التراجع عن فعلتهم حتى لا يقتدي بهم تجار آخرون.¹

لقد استجاب التجار المهاجرون بفرنسا لنداء ج.ت.و. وبرهنوا عن تضامنهم المطلق مع المتظاهرين، حيث بلغت نسبة الإضراب 100% في العديد من المناطق الباريسية خصوصا في الأحياء شمال إفريقية، في حين بلغت النسبة الإجمالية للإضراب عبر كامل التراب الفرنسي 59% حيث أضرب 833 تاجرا من أصل 1403 تاجر متواجدين بالأراضي الفرنسية، ورغم بلوغ هذه النسبة أكثر من النصف إلا أنها تعتبر منخفضة إلى حد ما، وذلك راجع إلى جهود عناصر الشرطة الفرنسية الكبيرة في إرغام التجار على فتح محلاتهم تحت طائلة التهديد والوعيد بالغلق النهائي وسحب رخص العمل منهم، وتهجيرهم من التراب الفرنسي.²

ورغم كل التهديدات البوليسية للتجار الجزائريين بضرورة فتح محلاتهم أو منعها إياهم من فتحها ثانية وبشكل نهائي مع طردهم من فرنسا وإعادة ترحيلهم إلى دواويرهم الأصلية في الجزائر، وهذا ما كان يجعل هذه الفئة في وضع صعب إلا أن أغلبهم قد تحدّوا أوامر الشرطة حيث كانوا يغلقون متاجرهم عند رؤية عناصر الأمن ثم يعودون لفتحها مباشرة بمجرد مغادرتها، ولم يكن ذلك ناتج عن خوفهم من الإجراءات العقابية لجبهة التحرير الوطني بل نابع من إرادتهم القوية ورغبتهم الملحة في تسجيل دورهم وترك بصمتهم في الكفاح الوطني.³

* مظاهرات النساء:

بعد المظاهرات العارمة التي قادها المهاجرون الجزائريون والإضراب الذي قام به التجار يوم الثلاثاء 17 أكتوبر 1961، جاء الدور على النساء والأطفال لاستكمال خطة فدرالية جبهة التحرير الوطني فكان يوم الجمعة 20 من نفس الشهر والسنة يوم رد فعل النساء بمظاهرة أمام مديرية الشرطة وهن يحملن لافتات وبرفقتن أطفالهن من كل الأعمار، وكُنّ بأعداد معتبرة رغم أن الأمر لم يبلغهن كما لمعظم الأشخاص إلا في الدقيقة الأخيرة، ويكشف أحد التقارير رد فعل النساء الجزائريات عن ذلك الأمر الموجب للتظاهر: "... لقد اخترنا أخوات نقدرهنّ ونثمنّ دورهن حتى يخبرن كل الأخريات، لقد بذلن كل ما وسعهن، لكن المشاركة لم تتجاوز 50% لأن معظم الأخوات كن حاملات على وشك الوضع مما حال دون مشاركتهن، وهنالك من لم يشاركن لعدم إبلاغهن بالخبر، أما بعضهن فكان في حرج خاصة أولئك اللواتي كان أزواجهن رهن الاعتقال أو من كن أمهات لعدد كبير من الأطفال..."⁴

1Jean Luc Einaudi, op.cit, p192.

2Amiri, op.cit, p158.

3Einaudi, op.cit, p192.

4 ليندة عميري، معركة فرنسا، مرجع سابق، ص191.

سجلت النساء المهاجرات حضورهن الشرفي بالمشاركة في الثورة التحريرية ونزلن إلى الشوارع يوم الجمعة 20 أكتوبر سنة 1961 للتظاهر واستجبن للنداء الوطني الذي أصدرته جبهة التحرير الوطني، هذه الأخيرة التي طلبت منهن عدم إرسال أبنائهن في ذلك اليوم إلى المدارس، والخروج للتظاهر احتجاجا على حظر التجوال الليلي والاعتقالات التي طالت الآلاف من المهاجرين الجزائريين، والذين كان أغلبهم أزواجا وإخوانا وأقرباء للعديد منهن، ومن هذا المنطلق كانت استجابتهن للنداء سريعة حيث وافقن على التظاهر من دون أي تردد أو خوف من ردود الفعل الفرنسية وأظهرن بذلك حماسا كبيرا وتحديًا بالغ كالذي أظهره الرجال في ساحات النضال.

ومثلما كان موقفهن الشامخ كموقف الرجال فقد قرر "موريس بابون" أخذ كل التدابير القمعية والإجراءات العقابية التي طبقت على الرجال بهدف إيقاف تظاهرهن وإجهاض تحركهن خصوصا أمام السجون للمطالبة بالإفراج عن أزواجهن¹، ورغم ذلك فقد بلغت نسبة المشاركة في المظاهرات النسوية حسب تقدير الصحفيين الفرنسيين Marcel Péju et Paulette 90% في بعض المناطق²، في حين أوردت تقارير الشرطة الفرنسية أن نسبة النساء اللواتي خرجن للتظاهر لم تتجاوز 50%، حيث قدرت مصالح الشرطة أعداد المتظاهرات في مساء يوم الجمعة بـ 984 امرأة اصطحب معهن 595 طفلا، ويبدو أن تقارير الشرطة الأقرب إلى الواقع بالنظر إلى ما ورد في تقرير للفدرالية حمل رقم 2223 ومؤرخ في 22 أكتوبر 1961 جاء فيه أن قيادة الفدرالية كانت مترددة في إرسال النساء للتظاهر خوفا من تعرضهن للقمع والقتل من طرف مصالح الشرطة الفرنسية التي لا تستثني أية فئة في ردها الوحشي³.

نزلت النساء إذن إلى شوارع العاصمة باريس وجبن في مظاهرات سلمية حاشدة في أهم شوارعها وأحيائها، على غرار "سانت أي واز" "ST. et Oise"، وساحات "سان ميشال" "ST. Michel"، و"الجمهورية" "La république"، و"لوتال فيل" "L'Hôtel Ville"، وكذا في الدوائر 13، 17، 20، 29، وهتفن بشعارات جبهة التحرير الوطني، وتروي أحد المشاركات في تلك المظاهرات نقلا عن Marcel Péju et Paulette: "بوصولنا إلى ساحة سان ميشال قمنا بالهتاف ضد الإجراءات الفرنسية وأظهرنا دعمنا لج.ت.و، كما قامت بعض النسوة منا بكل جرأة وتحدي صارخ للشرطة الفرنسية برفع العلم والراية الوطنية.."⁴

وفي رواية أخرى لإحدى المتظاهرات أوردت: "...بوصولنا إلى قصر العدالة في لوتال فيل "L'Hôtel Ville" كانت قوافل الدرك والشرطة و CRS بانتظارنا وسرعان ما قامت باعتقالنا فورا، وتم نقلنا إلى مراكز الاعتقال، وفي الطريق فتحنا النوافذ ولوحنا بوشاحات خضراء إشارة إلى العلم الجزائري، أردنا فقط

1Anne Tristan, op.cit, p p69-70.

2Péju Marcel et Paulette, op.cit, p75.

3Amiri, op.cit, p164.

4Péju Marcel et Paulette, op.cit, p76.

توجيه رسالة للرأي العام الفرنسي بأننا وطنيات ولا نخشى القمع في سبيل تحرير الوطن مهما كان نوعه...¹، ويظهر جليا من هذه الشهادات قيمة التضحيات التي بذلتها المغتربات الجزائريات بفرنسا في سبيل تحرير الوطن من براثن الاستعمار الغاشم، وحجم التحديات التي رفعنها في وجه القمع الفرنسي لاسترجاع السيادة الوطنية.

لم يقتصر الأمر على النساء الجزائريات فحسب بل امتد التأثير إلى الفرنسيات المؤيدات للقضية الجزائرية لاسيما المتزوجات منهن بالمهاجرين الجزائريين، فقد خرج فريق منهن للتظاهر وطالبن بإطلاق سراح أزواجهن، وفي الشرق الفرنسي انطلقت مظاهرات مؤيدة لهؤلاء النسوة شملت كل من "لونغوى، موزال، فورباخ، تيوفيل" وهي مدن عالية تضم ألاف من العمال الجزائريين، وقد حمل المتظاهرون لافتات كُتبت عليها شعارات الفدرالية منها: "تحيا الجزائر"، "أطلقوا سراح أزواجنا" و"الاستقلال الكامل للجزائر".²

إن مشاركة المغتربات الجزائريات بفرنسا لم تكن مقتصرة على مظاهرات أكتوبر 1960 فحسب بل كانت هذه الأخيرة امتدادا واستمرارا لنشاطهن الدائم في مساندة الكفاح الثوري بكل ما يستطيعن فقمعن في الكثير من المرات بكل صبر وتضحية بإنجاز مهمات صعبة لا يقوى عليها بعض الرجال وأدين خدمات جليلة للثورة، حيث كان للعديد منهن الدور البارز في تعزيز التموين العسكري للثورة على غرار "زينة حرايق" التي قدمت أعمالا باهرة في عمليات الربط ما بين مختلف المناطق والنواحي الفرنسية مكملة مسار أخيها "عمر" خصوصا بعد تحويله من طرف فدرالية الجبهة إلى تونس.

أورد "مزيان الشريف" في مذكراته مشاركة العديد من الجزائريات المهاجرات بفرنسا في مساعدة النضال الثوري الذي كانت تقوده فدرالية الجبهة سياسيا والمنظمة الخاصة عسكريا، فذكر "زينة حرايق" بأنها كانت تمثل وسيط اتصال بين بوعزيز مسؤول التنظيم الخاص للجنة الفدرالية مع مختلف المناطق والأقاليم الفرنسية، وذكر أيضا "نادية صغير" التي كانت أحد أعوان الاتصال الخاص بـ"عمر حرايق" وقدمت خدمات كبيرة جدا في الربط بين مختلف النواحي التي كان يشرف عليها "عمر" في فرنسا، كما كانت لها يد طويلة في المساعدة على التحضير للعديد من الهجمات، بالإضافة إلى مناضلة أخرى تدعى "تاسعديت" التي خاضت هي الأخرى الكفاح بتضحية كاملة في أداء أخطر المهام من دون خوف حيث كانت تمتلك استعدادا للتجاوب مع أخطر الحالات مبرهنة بذلك على حبها الشديد للوطن.³

3: نتائجها وانعكاساتها على الصعيد الداخلي والخارجي

تمخّضت عن هذه المظاهرات العديد من النتائج التي كان لها الأثر البالغ على مسار الثورة خصوصا في فرنسا، وكانت لها انعكاسات على الصعيدين المحلي والعالمي، منها السلبي كارتفاع عدد

1Péju Marcel et Paulette, op.cit, pp77-78.

2 مزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 60.

3Meziane Cherif, op.cit, pp 104 – 105.

الضحايا من القتلى والجرحى والمفقودين، ومنها ما عاد بالإيجاب على القضية الوطنية والتعجيل باستقلال الجزائر الذي تحقق بعد أقل من سنة من انتهائها، وقد تجسدت أهمها فيما يلي:

حصدت هذه المظاهرات 300 شهيد جزائري، وآلاف من الجرحى، واعتقال حوالي 12 ألف من المتظاهرين¹، في حين ذكر "بوداود" أن العدد تجاوز 200 قتيل من المتظاهرين وجرح الآلاف منهم، إضافة إلى ترحيل عدد منهم إلى الجزائر ناهيك عن أعداد هائلة من المفقودين الذين اختفوا في ظروف غامضة ولم يُعرف عنهم شيء، كما تم رمي العديد من الجزائريين في نهر السين وبالتالي تحولت المسيرة السلمية إلى استعراض لعضلات وقوة الشرطة الفرنسية²، مبرزة بشاعة ردها الاستعماري ووحشية تعاملها مع المتظاهرين حين استعملت كل أنواع الردع بما في ذلك الذخيرة الحية والاعتقالات العشوائية والمحاكمات الجائرة وغير العادلة.

ذكر "بن يونس" في هذا السياق اختلاف الأبحاث والدراسات حول العدد الحقيقي والإجمالي بضحايا هذا القمع في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 رغم أن ما قُدِّم هو 300 قتيل والآلاف من المفقودين خصوصا الذين قُتلوا ورُمي بهم في نهر السين، إضافة إلى المعتقلين والمُرحّلين إلى سجون الجزائر في إطار عمل الإدارة الفرنسية على إعادتهم إلى دواويرهم الأصلية، وتذكر بعض المصادر أنه قد تمّ تنفيذ 12000 عملية توقيف ضد المتظاهرين ومعظم الموقوفين كان يتم توزيعهم على مستوى مختلف مراكز الاعتقال الموجودة بفرنسا، مثل "مركز لارزاك بمنطقة أفيون، ومركز "سانت موريس" لاردواز بالقرب من أفيون بغارد، و"ركزي طوول" بأبين وفادونادي بمنطقة مارن، والهدف من كل هذا هو تفكيك هيئات وخلايا ج.ت.و ثم القضاء عليها بشكل نهائي³.

تحوّلت المسيرة السلمية إلى استعراض للقوة ورغم السلوك السلمي للمتظاهرين إلا أن رد فعل الشرطة الباريسية قد تميز بالعنف والوحشية والخشونة الإجرامية التي جاءت تطبيقا للتعليمات الصادرة من طرف "بابون"، وأسفرت عن عدد كبير من الضحايا القتلى والجرحى والمفقودين، ووقوع حملة اعتقالات واسعة⁴، ورسمت الشرطة الفرنسية بذلك أبشع لوحة للهمجية والبشاعة، استنكرها حتى الفرنسيون أنفسهم الذين راحوا يتطوعون من أجل إسعاف الجرحى والمحتضرين وشهدوا على همجية القمع الأعمى⁵.

يروى المجاهد "أحمد زروال" الذي كان أحد المشاركين في تلك المظاهرات: "رغم أننا كنا مسالمين ولم نكن نحمل أي سلاح كما أننا لم نقوم بأي عملية اعتداء أو تهديد، غير أن "بابون" كان محضرا قوات عسكرية ضخمة لتقتل أكبر عدد من المتظاهرين قبل وصولهم إلى الساحات الكبرى، وقد قتل

1 سعدي بزيان، دور...، مرجع سابق، ص 54.

2 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 54. 55.

3 Benyounes, op,cit,p136.

4 Rapport sur Les manifestations dernier, Boit7, Doss 1 8, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger , le 20.10.1961.

5 بوداود، مصدر سابق، ص 181. 182.

الكثيرون وجرح آخرون وكنتُ منهم، فقد تعرضتُ لإصابات بليغة في ركبتَي أرغمتني على البقاء وسط الجثث التي كانت مكدّسة، ولم أستطع وقتها النهوض أو الفرار، فما كان علياً إلا أن أجعلها فرصة للنجاة من الموت حينما تظاهرتُ بالموت وتقمصتُ دور الجثة الهامدة لتجنّب لفت انتباه الشرطة الفرنسية، لقد نمّت تلك الليلة مع الأموات ولم أكن أعرف أنني سأعود إلى الحياة مجدداً".¹

في ذات السياق ذكر المجاهد "عيسى بلبصير" وكان ضمن المتظاهرين السلميين المشاركين في المظاهرات، بعد أن تلقوا أوامر وتعليمات من الفدرالية بارتداء لباس أنيق ونظيف وعدم حمل أي نوع من الأسلحة، هاتفين بشعارات تحيي الجزائر، يسقط قانون حظر التجوال، وبعد أن جاءت قوات بوليسية كبيرة تعرض المتظاهرون للقتل والعنف والقمع منهم من قتل على الفور ومنهم من رُمي مقيدا في نهر السين، ومنهم من تم اعتقاله وأخذ به إلى جهات غير معروفة وظلوا مفقودين، وهناك من رمى بنفسه في النهر لإنقاذه من خلال السباحة تحت الجسر وصولاً إلى اليابسة وفراراً من الموت المحتوم".²

كما وصف أحد المشاركين في تلك المظاهرات وهو المجاهد "مكي بوسرية" هول ما رآه من مذابح على يد من أسماهم بالثعابين . يقصد عناصر الشرطة الفرنسية . بقوله: "شاركْتُ في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وتعرضتُ للاعتقال والتعذيب بالماء البارد والضرب المبرح والركل واللطم في كامل أنحاء جسمي، مع تسميعي كل الألفاظ البذيئة والشتائم والسبّ، وحين امتلأت كل السجون والمعتقلات التي عجزت عن احتواء العدد الهائل من المعتقلين، خصّصت قاعات الرياضة لإفراغ المزيد منهم، رغم العدد الكبير للقتلى من سقطوا في كل أنحاء وزوايا العاصمة باريس، ويروي أن أكثر من 200 مهاجر جزائري تم رميهم في النهر أمام عينيه".³

ذكر "موح كليشي" أنه بعد مرور 15 يوماً من مظاهرات 17 أكتوبر وبالضبط في 31 من نفس الشهر قامت السلطات الفرنسية بعمليات تنظيف وتنقية القنوات المائية بباريس وأثناء تلك العمليات تم العثور على أكثر من ثلاثة وثلاثين جثة متحللة لجزائريين لم يتم التعرف على أغلبها، ومن بين تلك الجثث التي تم التعرف عليها كانت جثة التلميذة "فاطمة بدار" التي كانت مختفية منذ 17 أكتوبر في ظروف غامضة، بعد أن تعرّف والدها على خصلات شعرها وحذاءها البلاستيكي، وبعد ثلاث سنوات توفيت والدتها نتيجة شدة الحزن على ابنتها، وذكر "جون لوك إينيدوي" كيف كشفت تلك المظاهرات عن نازية القوات الفرنسية بعد أن أثبت أن والد فاطمة قد شارك في الحرب العالمية الثانية دفاعاً عن فرنسا، غير أن هذه

1 أحمد زروال، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00 . 11.15، 10 أكتوبر 2018.

2 عيسى بلبصير، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، يوم 05 فيفري 2018.

3 مكي بوسرية، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 9.30 . 10.30، يوم 10 ديسمبر 2022.

الأخيرة لم تراع ذلك بل وقتلت فلذة كبده بكل برودة أعصاب ومن دون حساب لتضحيات التي قدمها من أجلها.¹

ورغم الإثباتات التي أكّدت إفراط أجهزة الأمن في استخدام القوة ضد المتظاهرين، مثل نتائج التحقيق الداخلي التي أصدرتها وزارة الداخلية الفرنسية يوم 3 نوفمبر والتي جاءت متطابقة مع تقرير ف.ج.ت.و. بشأن القمع المفرط ضد المتظاهرين الجزائريين إلا أن الحكومة الفرنسية استمرت في تعنتها كما وقف وزارة الداخلية بصرامة شديدة لعدم إصدار القضاء لأي أحكام عقابية اتجاه مسيبي العنف²، وقد رضح القضاء الفرنسي لذلك ولم يصدر أية عقوبات ضد قوات النظام ولا حتى في حق المسؤول الأول عن تلك الأحداث المأساوية وهو عمدة الشرطة "موريس بابون" الذي واصل مساره المهني دون أي حرج³، وقد صرح فيما بعد استقلال الجزائر عندما سُئل عن تلك الجرائم أنه لم يندم عن فعله إلى درجة أنه مستعد لإعادتها لو عاد به الزمن وأُتيحت له الفرصة.

تفنيد إدعاءات فرنسا الكاذبة وكشف حقيقة المحاولات الفرنسية للتقزيم من رد الشرطة الوحشي والتقليل من الأعداد الحقيقية لضحايا المظاهرات، حيث ذكرت بعض الإحصاءات الفرنسية حول يوم 17 أكتوبر أن عدد المشاركين في المظاهرات بلغ عشرون ألف متظاهر، أُلقي القبض على أحد عشر ألف وستمائة وثلاثون، وقتل من المتظاهرين اثنا عشر، وأصيب أربعة وستون شخص بجروح، أما من الفرنسيين فقد أصيب منهم ثلاثة ضباط من الشرطة وستة حراس.⁴

لم تتفق الإحصائيات الفرنسية على عدد واحد للقتلى والجرحى وهذا ما يثبت تلاعبها وإخفاءها للحقيقة، فقد أورد وزير الداخلية الفرنسي أن عدد الجرحى في صفوف الشرطة كان 13 عنصرا اثنين منهم أصيبوا بجروح خطيرة بينما الباقي كانت إصاباتهم طفيفة، أما في صفوف المتظاهرين فقد تم الإعلان من طرف الجهات الرسمية عن ثلاثة قتلى و64 جريحا، غير أن المؤكد أن الرقم الحقيقي يفوق بكثير هذه الأعداد، حتى أن الصحافة الفرنسية شككت أيضا فيه إذ تحدثت وكالة صحافة باريس في 18 أكتوبر عن 20 قتيلا في حين قدّرت بعض المقالات عدد القتلى بـ140 وقد اعترفت المفتشية العامة للشرطة بمطابقته للحقيقة، أما جريدة "لوموند" "Le monde" فقد كتبت في 10 فيفري 1982 أن عدد القتلى قد وصل إلى 200 قتيلا على أقل تقدير.⁵

1 محمد غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، الساعة 09.30 . 11.30، 22 نوفمبر 2022.

2Amiri, op.cit, p184.

3كلود ليزو، العنف، التعذيب، الاستعمار، من أجل الذاكرة الجماعية، تر: مصطفى ماضي وآخرون، ط1، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 182. 183.

4نوري صباح، مرجع سابق، ص10.

5ميشيل لوفين، مصدر سابق، ص 147.

في ذات السياق حاول الإعلام الفرنسي إخفاء كل ما حدث والتقليل من الخسائر، وتجسد ذلك في تصريحات موريس بابون الذي تحدث عن سقوط قتيلين فقط في المظاهرات، وهذا ما ردّته صحيفة "Le Parisien" الصباح الباريسي "Le Parisien"، كما لم يغيب عن الصحافة أيضا أن تستغل المناسبة من أجل البرهنة بالبيان القاطع أن الفدرالية تحاول عرقلة بؤادر مفاوضات إيفيان الأولى، في محاولة لتشويه صورة الثورة أمام العالم على أنها أعمال إرهابية ولا نية لها في التفاوض أو السلام.

ومن خلال هذه الإحصائيات تريد الشرطة أن تبين مدى سيطرتها على الأوضاع الأمنية، وتقلل من دور الفدرالية، إلا أنها فشلت في ذلك، لأن أفراد الجالية الجزائرية قد تحدّوا قرار "موريس بابون" وكسروا بذلك جدار الصمت والحاجز النفسي الذي فرضه والي شرطة باريس¹، وقد بلغ الحماس بال بعض منهم إلى رفع مستوى التحدي والمطالبة بإعادة تنظيم مظاهرات أخرى تكون مشابهة لها أو أكثر منها وتشمل كامل أرجاء فرنسا بالرغم من وحشية القمع المسلط على المناضلين بدون استثناء.

عبّرت هذه المظاهرات للرأي العام الفرنسي والأوروبي، مدى ارتباط المهاجرين الجزائريين بوطنهم ومؤازرتهم لثورته، لأنها تزامنت مع تعثّر المفاوضات بين وفدي الحكومة الجزائرية المؤقتة والحكومة الفرنسية، وأثبتت قدرة ج.ت.و. في التحكم في الجالية الجزائرية بفرنسا وتأطيرها حيث استطاعت ج.ت.و. طيلة سنوات الثورة من تنفيذ 56 عملية تدميرية، و242 هجوما ضد 181 هدفا داخل التراب الفرنسي²، وأبرزت بوضوح تام الوطنية الطاغية على هؤلاء المهاجرين الذين أعلنوا عن استعدادهم للتضحية بكل ما لديهم من غال ونفيس من أجل المساهمة في النضال الوطني وتخليص الجزائر من قيود الاستعمار الفرنسي وسياسته الجهنمية التي طالت جميع الفئات واستمرت لعقود وفترات طويلة وآن الأوان لإنهائها.

أخرجت السلطات الفرنسية وكسبت تأييد الرأي العام الفرنسي الذي انبهر من سلميتها وتنظيمها الرائع، وقد أورد تقرير للفدرالية صدر في 22 أكتوبر 1961 بعنوان "الموقف الفرنسي من المظاهرات" إعجاب الباريسيين بنضال الجزائريين إلى درجة قيام عدد كبير من سائقي السيارات والمارة في إطلاق موجة من الهتافات والتصفيقات احتراماً لهم، كما عبّر العمال الفرنسيون عن ذلك الإعجاب بنزع قبعاتهم إجلالا بوحدة الجزائريين وإيمانهم بقضيتهم الوطنية³، وتكتلهم وراء الحكومة المؤقتة عكس ما كان يروج له ديغول بأن لا وجود لكيان جزائري متكامل⁴، لتؤكد مدى فعالية الفدرالية في إقناع الأوساط الفرنسية بعدالة كفاح الجزائريين مثل النداء الذي وجهته لها في 22 أكتوبر 1961 ودعتهم فيه إلى دعم نضال الجزائريين ضد

1 محمد شريف عباس، من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار الفجر، 2005، ص55.

2 نفسه، ص55.

3 Dominique Wallon, op.cit, p160.

4 صالح فركوس، جهاد الأمة الجزائرية، دار العلوم للنشر، الجزائر، ص483.

الحكومة الفرنسية، وإرغامهم هذه الأخيرة على العودة إلى مسار التفاوض للإسراع في إنهاء معاناة الجزائريين.¹

كما كسبت تعاطف الفئات والنقابات العمالية الفرنسية فقد أدانت النقابات الفرنسية الكبرى في 30 أكتوبر من نفس السنة القمع المفرط ضد المهاجرين الجزائريين وأصدرت في ذات السياق نقابات الـ "CGT" و"CFDT" و"FO" لمنطقة السين رفقة الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين بيانا مشتركا ورد فيه: "إن القمع الممنهج لعناصر الشرطة الفرنسية قد أدت إلى تغيير جذري في ردة فعل الفرنسيين، وأن هذه النقابات تعلن كامل تضامنها مع العمال الجزائريين ودعمها المطلق لهم وتُقر بشرعية كفاحهم التحرري..."² فضحت فرنسا أمام الرأي العام العالمي وهي لا تزال إلى اليوم تخدش الضمير الفرنسي، رغم كل محاولات السلطات الفرنسية التغطية على حجم الجرائم المقتربة في حق المتظاهرين إذ حاولت ولا تزال تحاول إحاطة الموضوع بلفافة من الصمت، ومنع أية تغطية إعلامية للأحداث المأساوية التي وقعت فيها، كما أن التصريحات الرسمية الفرنسية عقب المظاهرات قد بيّنت انهزام المنادين بفكرة الجزائر الفرنسية، ومن هنا تأكد أنه لا يوجد حل للقضية الجزائرية سوى التفاوض مع ج.ت.و، وفي هذا الصدد أشار "رضا مالك" في مذكراته أنه بعد استئناف المفاوضات يوم 28 أكتوبر 1961 عرف من الوفد الفرنسي أن القلق اعتري الرئيس "ديغول" بسبب الأحداث الدموية التي عرفتها باريس في مظاهرات 17 أكتوبر، مما أوحى أنه أصبح يفكر بجدية أكبر في إيجاد حل سريع ونهائي للقضية الجزائرية.³

أربكت إدارة اليسار الفرنسي إلى جانب إحراجها للسلطات الفرنسية لأنها كشفت تناقض أفعاله ومواقفه مع مبادئه الإنسانية، حيث لم يتخذ موقفا شجاعا وصريحا من مجازر الشرطة الفرنسية يوم 17 أكتوبر 1961 التي ارتكبت في حق المهاجرين الجزائريين واكتفى فقط بإبراز بطولته الوحيدة حينما تظاهر ضد قمع منظمة الجيش السري في فيفري 1962 في ساحة شارون⁴، ثم ما لبث أن تحرك هذا اليسار وأعلن تأييده القوي للثورة وحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، منها أن طالب المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي من الطبقة العاملة وجموع الجمهوريين التحرك بقوة ضد الإجراءات التمييزية والعنصرية مشيرا ومذكرا كل عامل وديمقراطي فرنسي بأن تلك الإجراءات التعسفية قد تشملته هو أيضا ويكون بذلك ضحية لها.⁵

1Olivier lecour Granmaison, Le 17 octobre un crime d'état a Paris, Edition la dispute, Paris, 2001, pp 208 - 209.

2Péju Marcel et Paulette, op.cit, p102.

3Ridha Malek, L'Algérie à Evian, histoire des négociations secrètes 1956 – 1962, Edition du Seuil, Paris, 1995, p188.

4Alain Dewerpe, Charonne 8 Février 1962, Anthropologie historique d'un massacre d'Etat, Editions Gallimard, Paris, 2022, pp16-17.

5 Haroun, op, cit, p371.

كسبت مساندة بعض الصحف الفرنسية للمظاهرات خاصة عندما حاول الاستعمار أن يضفي عليها طابعا همجيا وادعى أن المتظاهرين قد حطموا متاجر اليهود واعتدوا عليهم حسب ما أكدته الهيئة الدينية اليهودية، فجاء إثبات الصحفي "أندريا باسرون" "Andria Baserons" ليشبت عكس ذلك عن طريق جملة من التصريحات التي نشرت في جريدة .العالم . "لوموند" "Le Monde".¹

ساهمت في تزايد حملات الضغط الداخلي في فرنسا، إذ لم يقتصر تأثير هذه المظاهرات على اليسار الفرنسي فحسب بل امتد إلى اليمين المتطرف الذي كان يشكل جزءا هاما من جهاز الحكم في فرنسا، والذي وجد نفسه بعد مجبرا على الاعتراف بتفوق ج.ت.و. على جميع الإجراءات الفرنسية الترغيبية منها والترهيبية، والتفاف المهاجرين الجزائريين حولها كممثل شرعي ووحيد لهم، ويذكر "بوداود" في هذا الصدد قوله: "...بعد هذا الاستعراض الكبير لج.ت.و. وجد اليمين الفرنسي نفسه أمام ضرورة الاعتراف بحقيقة التأييد الكبير الذي تحظى به الجبهة من طرف الجالية الجزائرية".²

استطاعت المظاهرات بسلميتها وعدالة مطالبها كسب تعاطف وثقة النخبة الفرنسية المثقفة ونجحت في إقناعها بالضغط على حكومتها لتسوية المشكلة الجزائرية، على غرار رجال القانون والمحامين من الفرنسيين النزهاء الذين أعلنوا وقوفهم ضد سياسة القمع الفرنسي للمتظاهرين الجزائريين، حيث عبر مجلس المحامين في باريس يوم 02 نوفمبر سنة 1961 في بيان عن الرضا القاطع لقمع المظاهرات السلمية مهما كانت الحجة، ومما ورد فيه: "إن السياسة القمعية التي طُبِّقت على الجزائريين المسلمين بالعاصمة الفرنسية وضواحيها هي سياسات همجية وغير أخلاقية تخترق كل القواعد الأساسية للإنسانية وتتجاوز كل الأعراف والقوانين الدولية..."³

وفي ذات السياق أيضا وقف الطلبة والعديد من أساتذتهم في مختلف الجامعات الفرنسية موقف الداعم للمظاهرات الجزائرية والمتظاهرين الذين عبروا عن مطالبهم بكل تحضر وسلمية، وقوبلوا بوحشية كبيرة من طرف أسلاك الأمن الفرنسية، وقد اعتبروا ذلك إساءة لمبادئ الجمهورية والثورة الفرنسية وخرجوا يوم 23 أكتوبر للتظاهر مستجيبين لنداء اللجنة المعادية للاستعمار واللجنة الجامعية للدفاع عن مبادئ الجمهورية ضد قمع الجزائريين ورفعوا شعارات مطالبة بالعودة إلى التفاوض مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، وقد اجتمع المئات من الطلبة في الحي اللاتيني مرددين شعارات ضد السياسة العنصرية الفرنسية ولم تكن تختلف كثيرا عن تلك التي رفعها المتظاهرون الجزائريون يوم 17 أكتوبر منها "فليسقط حظر التجوال"، "السلام في الجزائر"، "الموت للفاشية" وقد تدخلت الشرطة لتفريقهم واعتقلت منهم 24 طالبا.⁴

1 بوداود، شهادة مسجلة حول مظاهرات 17 أكتوبر 1961، تر: صالح فركوس، ص 5. 6.

2 بوداود، خمس سنوات على رأس الفيدرالية...، مصدر سابق، ص 183.

3 Péju Marcel et Paulette, op.cit, pp99-100.

4 Amiri, op.cit, p184.

وصل تأثر النخبة الفرنسية بفضاعة الجرائم المرتكبة في أكتوبر 1961 إلى المؤرخ الفرنسي "جون لوك إينودي" "Jean Luc Einaudi" الذي اعترف بهول ما حدث في حق المهاجرين الجزائريين بفرنسا وكشف بشهادته الحية التي نشرت في 20 ماي 1998 في صحيفة لوموند أنه وقعت في باريس مجزرة اقترفتها قوات الشرطة الفرنسية تحت إمرة السفاح مورييس بابون، وقد شبه سياسته وانتهاكاته تلك بجرائم النازية في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وأنها ستبقى وصمة عار على جبين الإدارة الفرنسية التي لم تحرك ساكنا لإيقافها أو توقيف المسؤول عنها ومحاكمتها.

كشفت النتائج السياسية عن قوة الثورة الجزائرية واتضح من جديد تكسير نظام المساجين الجزائريين في فرنسا من خلال الالتزام بالإضراب إلى منبر الأمم المتحدة، وفرض على فرنسا الاعتراف بالحقوق السياسية للمساجين الجزائريين سواء في فرنسا أو في الجزائر، وبفضل التأييد المتعاطفين وخاصة بعد تحول الرأي العام الفرنسي غير المتأثر بالنظرية الكولونيالية لصالح القضية الجزائرية، اضطرت الإدارة الفرنسية إلى إلغاء منع التجول، في اليوم الموالي للمظاهرات . 18 أكتوبر . وبالتالي فك الرقابة على مناضلي الجبهة¹، وبهذا تكون جاليتنا قد سجلت بفرنسا مرة أخرى انتصارا رائعا ضد العدو.²

أكدت بما لا يدع مجالا للشك للعالم أجمع التفاف المهاجرين الجزائريين حول الجبهة وبرهنت عن أهمية القضية الجزائرية، وهو ما جعل الشرطة الفرنسية تتصرف بعنف همجي من خلال توقيف المتظاهرين واعتقالهم جماعيا والزج بهم في السجون، ناهيك عن عمليات الضرب القاتلة بالعصي التي كانت قاسية ودون أي تمييز، يذكر بن يونس في هذا الصدد: "إنه مشهد رهيب لجنون العنف الاستعماري فقد أعطى مورييس بابون الضوء الأخضر لأفراد شرطته بأن يستعملوا كل وسائل العنف وطمانهم بأنه لم يمسه شيء إزاء القانون إن هم تجاوزوه في ارتكاب الجرائم ضد المتظاهرين الجزائريين".³

نسفت بمساعي السلطات الفرنسية تحقيق هدفها بالقضاء على نشاط ج.ت.و. ذلك أن هذه الأخيرة كانت متعودّة على مثل تلك الحالات إذ سرعان ما تقوم بتنظيم نفسها من جديد يذكر بن يونس: "كنا متعودين على مثل هذه الحالات فسرعان ما نقوم بتنظيم أنفسنا في كل مرة تقوم الشرطة بتفكيك إحدى خلايانا أو اعتقال عدد من مناضلينا فلا نترك أي فراغ يتخلل هيئات تنظيمنا بدء من الخلية إلى المنطقة... نعم دفعنا الثمن غاليا في هذه المظاهرات أكتوبر 1961 ولكن على الرغم من كل هذا القمع الوحشي الذي مارسه ضدنا مورييس بابون لكن بقيت جبهة التحرير الوطني صلبة واقفة قادرة على مواصلة نشاطها النضالي بفضل تنظيمها المحكم".⁴

1 يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص224.

2 محمد الشريف عباس، مرجع سابق، ص 55. 56.

3 Benyounes, op,cit,p134.

4 Benyounes, op,cit,p135.

برهنت مظاهرات 17 أكتوبر عن أهمية الفدرالية ووزنها الكبير في المهجر حين تفاجأ الفرنسيون بأنها لم تقتصر على العاصمة باريس وضواحيها مثلما كانوا يظنون بل امتد تأثيرها إلى كافة المدن الفرنسية من "ديكيرك" بالشمال إلى "مرسيليا" بالجنوب، ووصل صداها إلى الدول المجاورة لفرنسا بل وحتى إلى الساحة العالمية، وفي 19 أكتوبر من السنة نفسها قررت الفدرالية نقل المظاهرات إلى باقي المدن الفرنسية تضامنا مع إخوانهم المضطهدين من طرف الشرطة في باريس وضواحيها، واندلعت بذلك مظاهرات في الشمال حيث تجمع في 20 أكتوبر آلاف من العمال الجزائريين في فرنسا في مصانع الحديد والصلب وأعلنوا إضرابهم عن العمل، فكان رد الفعل الفرنسي شديد العنف والقسوة، فقامت الشرطة الفرنسية بالتصدي لـ 1500 عامل جزائري تحسبا لأي مظاهرة في "ليل"، "توركان"، "زوان"، وتم اعتقال 85 رجل و25 امرأة.¹

ذكر "بن يونس" عن أهمية مظاهرات 17 أكتوبر باعتباره أحد المشاركين فيها قوله: "يعتبر هذا التاريخ من بين أكبر المحطات التي شهدتها كفاحنا من أجل الاستقلال بديار المهجر بفرنسا حيث خرج الجزائريون في هذا اليوم إلى شوارع باريس في مظاهرات كبيرة معبرين بسلم عن رفضهم للاستعمار والقمع المسلط على إخوانهم بأرض الجزائر، كان الضغط يزيد تعاظما على ج.ت.و. بقدر ما كانت هيئاتنا تتعزز أكثر فأكثر وتكتسب إدارتنا تجربة وفعالية كبيرتين في التخطيط الميداني، ويشهد عملنا شبه العسكري تطورا كبيرا في تنفيذ العمليات المسلحة ضد أفراد الشرطة المتسلطين حقدا على الجزائريين وضد المخابرات الخونة، تصل الحصيلة منذ فتح الجبهة الثانية في 25 أوت 1958 إلى غاية خريف 1961 إلى ما يزيد عن 50 شرطيا فرنسيا تم القضاء عليه على يد فدائيي ج.ت.و. بالإضافة إلى 250 جريحا آخرين، أما الحركي 400 المقيمين بباريس فقد قُتل منهم 50 وجرح 75".²

زادت من تدويل القضية الجزائرية وإسماع صوت الجزائريين وعدالة قضيتهم إلى أوسع نطاق في العالم، إذ أنه قام بعدها مباشرة بإضراب غير محدود بدءا من 1 نوفمبر 1961 وكان على حد تعبير "بوداود" إضرابا تاريخيا فقد وصلت أصداؤه إلى هيئة الأمم المتحدة، التي أيدت الجزائريين في مطالبهم وصوتت على لائحة مؤيدة لمطالبهم، وهي تعتبر سابقة تاريخية أضيفت في دعم القضية الجزائرية وأعطتها وزنا عالميا، حيث طالبت هيئة الأمم الحكومة الفرنسية بإيجاد حل لهذا النزاع السياسي، وذلك من خلال التفاوض مع الحكومة المؤقتة³، ما جعل هذه المظاهرات التي شارك فيها المهاجرون الجزائريون بمختلف فئاتهم عمالا، تجار، طلبة ونساء، تمثل المنعرج الحاسم الذي ميّز الثورة التحريرية في مرحلتها الأخيرة.

1 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، ص 6059.

2 Benyounes, op,cit,p128.

3 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 184. 185.

أكدت هذه المظاهرات للعالم أجمع الفرق الشاسع والواسع بين سياستي ج.ت.و التي تبحث دائما عن الحلول السلمية العادلة للقضية الوطنية، وبين الحكومة الفرنسية التي تتخذ دوما من التخويف والتقتيل سبيلا لإخماد الحقوق وطمس آثار سياستها في ذلك، ففي الوقت الذي اعتمدت فيه الجبهة شكلا من أشكال النضال السلمي الحضاري بإقامة مظاهرات مدنية خالية من كل أنواع العنف والأسلحة، مطالبة بالحقوق عبر لافتات مكتوب عليها شعارات منادية بالحرية، أكدت الحكومة الفرنسية عن وجهها القبيح ونواياها السيئة التي ترجمتها ردود الفعل العنيفة لعناصر الشرطة وقوات الأمن التي استعملت فيها مختلف الوسائل غير الإنسانية لتفريق المتظاهرين وقمعهم وفق إجراءات لا تبررها أية قوانين دولية.

لقد استطاعت مظاهرات 17 أكتوبر 1961 من قلب الموازين داخل التراب الفرنسي وأثبتت في الوقت نفسه قدرة ج.ت.و على تنظيم الجالية الجزائرية بالمهجر لتضرب بذلك مثالا حقيقيا كأحد أهم نماذج الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي العاشم وسياسته القمعية اللامتناهية، وفندت كل المحاولات الفرنسية لتشويهها وإظهارها على أنها عملية إرهابية من إنتاج ف.ج.ت.و بهدف تطويق العاصمة الفرنسية باريس وعرقلة مسار المفاوضات وإيجاد حل للقضية الجزائرية، وعلى هذا الأساس فإن نجاحها في التجنيد المكثف للمهاجرين أعطى دعما قويا للثورة وعجل بالاستقلال الوطني.

المبحث الثالث: جرائم الاستعمار الفرنسي ضد المهاجرين الجزائريين بفرنسا

تعددت التجاوزات الفرنسية في حق المهاجرين الجزائريين إلى درجة أنه لا يمكن حصرها نظرا لخطورتها واختلاف أشكالها وأنواعها، حيث شاركت جميع الهيئات والفئات في التفنن بها لتشمل الحكومة من جهة والشرطة من جهة ثانية، وأرباب العمل من جهة ثالثة، خاصة بعد تعاضم النشاط السياسي والنقابي لأفراد الجالية الجزائرية.

المطلب الأول: التكتيف من إنشاء الأجهزة الأمنية ومراكز مراقبة جديدة

بمجرد انتقال نشاط الثورة التحريرية إلى التراب الفرنسي استنفرت المصالح الأمنية الفرنسية، وجمعت كل قوتها متخذة كل التدابير والإجراءات القمعية ضد أي عمل يقوم به الجزائريون هناك، وتم عقد ندوة في باريس في نفس سنة اندلاع الثورة وبالضبط في 27 نوفمبر 1954 من طرف رؤساء مصالح الدوائر الفرنسية من أجل دراسة السياسة الأمنية الواجب إتباعها لتفادي أي محاولة من المناضلين لنقل عملياتهم للأراضي الفرنسية، وقد اختتمت أشغالها باقتراح تشكيل فرق الشمال إفريقيين للاستعلامات والقمع لملاحقة المشتبه بهم.

إلا أن الحكومة الفرنسية رفضت هذا المقترح خوفا من تحرك الرأي العام الفرنسي ضده ووقوفه إلى جانب المهاجرين، ما جعل المصالح الأمنية تلجأ إلى إنشاء جهاز آخر يتكفل بمهمة مراقبة المهاجرين وتقييد نشاطهم قدر المستطاع في أوت 1955، وكان هذا الجهاز يضم مصالح الدرك، شرطة باريس، مصلحة شؤون المسلمين والعمل الاجتماعي، وممثلين من وزارة العدل ومصلحة التوثيق الخارجية ومكافحة

التجسس، بالإضافة إلى الهيئة العليا للدفاع الوطني، وقد أُطلق على هذا الجهاز اسم "مصلحة التنسيق والمعلومات الخاصة بسكان شمال إفريقيا" "S.C.I.N.A".¹

مُنح لهذا الجهاز صلاحيات واسعة ومهام كثيرة تركّزت على متابعة تحركات المهاجرين الجزائريين ونشاطهم من خلال الدراسة الشاملة والدقيقة للتقارير اليومية الصادرة عن الدوائر والمصالح التابعة لها، والتحليل المعمق للتقارير المرسلة من طرف المصالح الأمنية بهدف التنسيق معها حول مختلف الأحداث اليومية للمهاجرين في أماكن عملهم وسكنهم، خاصة ما تعلق منها بالعمليات المسلحة والأسلحة المحجوزة والأموال المضبوطة مع وضع رزنامة يومية للأحداث الواقعة من أجل وضع خطط جديدة تحسبا لأي عمل عدائي محتمل من قبل مناضلي ف.ج.ت.و واتخاذ الإجراءات الردعية المناسبة لإيقاف أية محاولة جبهوية للمساس بالنظام العام في فرنسا.²

تفنّنت السلطات الفرنسية في إنشاء المزيد من الأجهزة والمصالح الأمنية من أجل التصدي بكل السبل والطرق لنشاط فدرالية الجبهة ليس في فرنسا فحسب بل في أوروبا قاطبة، كان أخطرها مصلحة "الاستعلامات العامة R.G"، "شرطة باريس P.P"، "اليد الحمراء M.R" التي كانت تهدف إلى القضاء على رموز الحركات التحررية ليس فقط في الجزائر بل حتى في تونس والمغرب، وقد تقاسمت هذه المصالح في نقطة واحدة وهي المراقبة الدائمة لمناضلي الجبهة ومحاولة الاستعانة بالعملاء والخونة من الجزائريين لدسهم كجواسيس لاخترق صفوف الجبهة، إضافة إلى زرع الرعب في صفوف المهاجرين من خلال تكثيف عمليات المداهمة والاعتقالات مع التهديد بالتنكيل والتعذيب وغيرها من السياسات التخويفية.³

لم يفلح جهاز مصلحة تنسيق المعلومات الشمال إفريقي من تحقيق الأهداف المسطرة بدليل استمرار تغلغل "ج.ت.و" في أوساط المهاجرين الجزائريين بفرنسا وزيادة تحكمها فيهم أمام عجز السلطات الفرنسية عن وقف ذاك التغلغل، بسبب صعوبة التنسيق بين مختلف المصالح وكذا الفراغ القانوني المسجل في الإجراءات القانونية المطبقة في التعامل مع المعتقلين والمشتبه فيهم من الداعمين لفدرالية الجبهة، حيث يتم الإفراج عن الكثير منهم نظرا لعدم توفر الأدلة الكافية أو انتهاء المدة القانونية للاحتجاز، لذلك كان لابد من توسيع صلاحيات الشرطة وزيادة فعالية آلتها القمعية بسن قوانين جديدة تمكّنها من ذلك.⁴

استمر القمع الحكومي الفرنسي ضد الجالية الجزائرية بفرنسا وزادت حدّته حين صدر قانون 26 جويلية سنة 1957 الذي أعطى السلطة المطلقة للجهات الأمنية الفرنسية بتطبيق قانون استثنائي في حق كل موقوف من طرف مكاتب الشرطة الفرنسية يشبه فيه بالعمل لصالح فدرالية الجبهة، ويعتبر عنصرا خطيرا تطبق عليه أحكام الجماعات المسلحة، وبالتالي أصبح المهاجرون الجزائريون مهددون بالإيقاف

1Amiri, op.cit, pp43-44.

2Ibid, p44.

3Laurent Chabrun, la guerre de l'ombre, RG contre FLN, préface de Benjamin Stora, Editions Jacob, Duvernet, Paris, 2001, p105.

4إيدو، مرجع سابق، ص 306.

والاعتقال لمجرد شبهة دون وجود أي دليل على ارتكابهم لأي مخالفة، ووجدوا أنفسهم في مواجهة آلة قمعية رهيبة، وفي ذات السياق وتوسيع مراقبتهم وزيادة الضغط عليهم أقامت الحكومة الفرنسية في الفترة ما بين 1957 و1959 وفي عدة مدن فرنسية لاسيما التي يتمركز فيها الجزائريين ما عرف بـ "مراكز الإقامة للمراقبة" CARC.¹

وبعد وصول "شاري ديغول" للحكم وتعيينه لموريس بابون محافظا على باريس في 15 مارس 1958، تدعّمت مراكز المراقبة الفرنسية بمصلحة أمنية جديدة تابعة مباشرة لمحافظة الشرطة بباريس، تم الإعلان عنها في 23 أوت 1958 من أجل تضيق الخناق على مناضلي الجبهة بفرنسا أطلق عليها اسم "مصلحة التنسيق للشؤون الجزائرية" وحملت رمز "SCAA"²، وكانت مهمتها مساعدة باقي المصالح الأمنية السابقة في جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول ف.ج.ت.و. وتحديد إطاراتها ومناضليها والمنخرطين فيها ثم إعداد التقارير عن عنهم مع السعي الدائم لكشف هويتهم لأنهم كانوا يحملون أسماء مستعارة ويصعب التعرف عليهم بسهولة³، خصوصا وأن خلايا الجبهة كانت منتشرة في كل مكان ونشاطها المتعدد بلغ مراحل جد متقدمة.⁴

المطلب الثاني: الاستعانة بالطغاة من غلاة العناصر الأمنية

علّقت الحكومة الفرنسية آمالا كبيرة على بابون لتحقيق ما عجز سابقوه عن تحقيقه ألا وهو القضاء على نشاط ج.ت.و. فوق الأراضي الفرنسية، إذ أن كل المحافظين الذين تداولوا على شرطة باريس أسقطتهم ج.ت.و. وتم تغييرهم بدءا من "أندري ديوا" "André Louis Desbois" الذي حكم في الفترة الممتدة ما بين 13 جويلية 1954 إلى 12 نوفمبر 1955، ثم خلفه "روجي جينيري" "Roger Genebrier" الذي حكم أكثر من سابقه حيث تجاوزت مدة حكمه السنتين، من 12 نوفمبر 1955 إلى غاية 16 ديسمبر 1957، ليليه "أندري لاهيلون" "André Lahilloune" لفترة قصيرة دامت ثلاثة أشهر فقط من 16 ديسمبر 1957 إلى 15 مارس 1958، حيث تمت تنحيته وتعيين البديل "موريس بابون" الذي كانت تراه الحكومة ملائما لأداء المهمة بنجاح وتطهير باريس وضواحيها من أعمال فدرالية الجبهة، وقد استمر في منصبه إلى غاية 27 ديسمبر 1966 ما بعد انتهاء الصراع واستقلال الجزائر.⁵

تؤكد هذه التغييرات السياسية والعسكرية في السلطة الفرنسية قوة الثورة التحريرية سواء في الجزائر أو خارجها من جهة، وفي الوقت نفسه تبرز فشل المحاولات الفرنسية المتعددة للقضاء عليها وشل حركتها من جهة أخرى، إذ أنه ومثلما سقطت سبعة حكومات فرنسية كاملة بعد أربع سنوات فقط من اندلاع الثورة في الجزائر، نلاحظ أيضا تغير القيادة الأمنية لمحافظة باريس ثلاث مرات أيضا، وهذا يدل على التنسيق العالي

1 Amiri, op.cit, p 46.

2service de coordination des affaires algériennes.

3Amiri, op.cit, p41.

4 يزيان، جرائم موريس بابون...، مرجع سابق، ص 31.

5Amiri, op.cit, p57.

والتوافق الكبير بين قيادة الداخل والخارج في الثورة التحريرية والنضال بنفس الوتيرة والقوة، وفي الوقت نفسه التخطيط الدقيق في سياسة الرئيس ديغول إذ أنه ومثلما حاول بكل الطرق القضاء على الثورة في الجزائر بتعيينه لشال وموافقته على مخططة العسكري المعروف، سعى أيضا للقضاء عليها في فرنسا من خلال تعيينه موريس بابون والموافقة على قمعه الوحشي المكشوف.

عزم "موريس بابون" على اقتلاع جذور ج.ت.و بفرنسا فمزج بين سياسات التهيب النفسي والرعب الجسدي، مع التركيز على القمع المفرط ضد المهاجرين لإبعادهم عن الثورة بشكل نهائي، فأدار محافظة باريس بقبضة من حديد، وقام بتطوير عدة إستراتيجيات من أجل خلط أوراق بيت الفدرالية وزعزعة نظامها الإداري والاجتماعي ثم يسهل القضاء عليها، وظهر بابون في إستراتيجيته هذه مشابها لرئيسه "ديغول" حيث كانا يعتقدان أن كفاح الجزائريين ليس بثورة حقيقية بقدر ما هو ثورة جياح يعانون من الفقر وسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وسرعان ما سيتم القضاء عليها بمجرد توفير ما يحتاجونه من إصلاحات اقتصادية، وهذا ما حاول ديغول إثباته للعالم عند سنّه مشروع قسنطينة في أكتوبر 1958 عندما قام بتوزيع بعض الإصلاحات كالسكنات وبعض مناصب العمل لإسكات الشعب الجزائري وفصله عن ثورته التي لم تقدم له شيئا حسبهما والتي تفرض هيمنتها عليه بالقوة والعنف الإرهابي.

وعليه كان التناسق الكبير بين سياستي الرجلين واضحا في أكثر من موقف، على غرار الاجتماع الذي عقد في 9 جويلية 1958 والذي حضره ممثلين عن وزارة الإعلام والداخلية ومختلف الأسلاك الأمنية كالقوات المسلحة والشرطة، من أجل اقتراح سبل العمل الأكثر فعالية لتخليص المهاجرين الجزائريين من قبضة وهيمنة الجبهة، وخاصة وأن كلاهما كانت لهما تجربة سابقة في التعامل مع الجزائريين حيث شغلا مناصب بالجزائر من قبل، وقد ذكر "بابون" هذا التوافق في الرؤى في مذكراته حين أشار إل أنه تحصل على كامل الصلاحيات من قبل ديغول الذي كان الرجل الأول في الجمهورية - الرئيس - لتنفيذ كل مخططاته القمعية لاستئصال فدرالية الجبهة من الأراضي الفرنسية بشكل عام ومن العاصمة باريس بشكل خاص.¹

وبمجرد حصوله على الضوء الأخضر باشر "بابون" قمعه المطلق ضد المهاجرين الجزائريين، وكثّف من إنشاء أجهزة أمنية ومراكز مراقبة جديدة وقّدم لها كامل الصلاحيات في اعتقال وتوقيف هؤلاء المهاجرين، ومنها "مصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية" "S.C.A.A" و"مصلحة مساعدة فرنسيي الجزائري المسلمين التقنية" "S.A.T.F.M.A"، "service d'aide technique aux français"، "Musulmans de l'Algérie" واعترف أن مهامها تتجاوز مجرد حفظ الأمن إلى تقنيات أخرى في الجانب العملي²، رغم أن مهامها المعلن عنها كانت تتمثل في تقديم المساعدات الاجتماعية للمهاجرين ذوي الأصول الجزائرية، غير أن الواقع كشف أهدافها الخفية التي سعت لتحقيقها من خلال تشديد الرقابة

1Maurice Papon, les chevaux du pouvoir, le préfet de police du générale de Gaulle, ouvre ses dossiers 1958-1967, Platon, Paris, 1988, pp103-104.

2House et Mac Master, La fédération de la France du FLN et L'organisation du 17 octobre..., op.cit, p 97.

على هؤلاء المهاجرين وجمع المعلومات عنهم ثم إرسالها في تقارير مفصلة إلى المصالح الأمنية والإدارية الفرنسية¹، وذلك من أجل قطع الطريق أمام الإرهابيين والقضاء على الوعاء الذي يحتويهم ويقصد به ج.ت.و.

تم وضع سجل خاص بكل مشتببه به تابع للفدرالية أو له علاقة بها، رمز له بالحرف "Z"، وعليه فإن مصلحة التنسيق الخاصة بسكان شمال إفريقيا أمرت في ديسمبر 1957 بترحيل كل من ورد إسمه في السجل من المشتببه فيهم إلى الجزائر واعتبارهم غير مدانين، واتبعت هذه المصالح في تجسيد ذلك على طريقتين، الأولى هي تقديم المشبوهين إلى المحاكم أين يتم تطبيق قانون العقوبات عليهم وفقا للمادتين 270 و 273 المتعلقة بالأعمال العدائية، ليرحل بعدها الموقوف إلى الجزائر لتنفيذ عقوبته، والثانية هي الحصول على اعتراف مكتوب من قبل العاملين عن العمل يقرون فيه بوضعيتهم كمتشردين ومن ثم عدم الاعتراض على عمليات ترحيلهم إلى الجزائر.²

أيقن "بابون" أن المهمة التي حملها على عاتقه لم تكن سهلة لكنه أصّر على أن يمضي قدما في سياسته وأن يكون عند حسن ظن من وضعوا ثقتهم فيه لإنجاح المهمة، فأحاط نفسه بأكثر الغلاة من العناصر الأمنية التي تحمل حقدا دينا على المهاجرين الجزائريين وتعتبر الأكثر عنصرية وكرامية لهم، بهدف مساعدته في سياسة التخويف والترهيب اللامتناهي لهؤلاء المهاجرين ومحاولة الضغط عليهم بطرق وأساليب مختلفة لإجبارهم على التخلي عن وفاهم لجهة التحرير وقطع دعمهم لها، ومنعهم حتى من التواصل معا أو إقامة أية علاقات مع عناصرها ومناضليها.³

بهدف إنجاح خطته على أكمل وجه عمد "بابون" إلى المزج بين عدة سياسات في آن واحد، وعدم الاكتفاء بالطرق التخويفية فحسب، وهذا ما اتضح حين إنشائه لمصلحة "SCAA" التي برمج فيها ثلاث أقسام بسيكولوجية نفسية، ومراقبة استعلاماتية، وعسكرية أمنية⁴، ويبدو أنه قد اقتدى برئيسه ديغول في هذه الاستراتيجيات القائمة على تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين من أجل استمالتهم ومحاولة التأثير عليهم نفسيا، ومن هذا المنطلق اعتمد بابون ثلاثة مخططات هي "عملية مساكن الإيجار" "opération meuble"، و"عملية الاختبار" "opération testes"، و"عمليات أسموز" "opération osmose"، وكان هدفه منها هو تلميع صورة الأجهزة الأمنية في نظر المهاجرين على أساس أنها تسعى لضمان الأمن العام والاستقرار لهم.

بهدف اختراق صفوف فدرالية الجبهة بفرنسا من خلال التغلغل في أوساط الجالية الجزائرية والتجسس عليها بطريقة مدنية وليست بوليسية، ثم تحليل الوقائع واستنتاج معلومات عن عملها الميداني

1Minceron, la triple occultation d'un massacre ..., op.cit, p126.

2Amiri, op.cit, pp46-47.

3Wallon, op.cit, p 107.

4Amiri, op.cit, pp81-82.

خصوصا بالاعتماد على مختصين في الشؤون الاجتماعية والنفسية حتى أنه تمت الاستعانة بأعضاء من الفرق الإدارية الخاصة التي كانت تنشط في الجزائر على أمل أن لديها تجارب سابقة في كيفية التعامل مع الجزائريين من خلال معرفتها لطبيعتهم وسلوكاتهم، تم إنشاء هذه المصالح ومحاولة التظاهر بالعيش في وسط المهاجرين للاقتراب منهم أكثر باعتبارهم القاعدة الخلفية للثورة والتجسس على خلاياها وطريقة عملها دون دراية من مناضليها البسطاء في القاعدة الشعبية، ومن ثم إحكام السيطرة على أفراد الجالية بطرق ذكية وإستراتيجيات فعالة دون إثارة أي شكوك للقادة ولا لفت أي انتباه لكونها قضية جادة.

* عمليات مساكن الإيجار:

كانت بداية العمل بها في جوان 1958، وترتكز على القيام بعمليات التفتيش والمراقبة لمراكز الإيواء والفنادق الخاصة بالمهاجرين الجزائريين، من أجل ضمان الاحتكاك اليومي بهم ودخول مراكز إقامتهم، وكانت غايتها في ذلك هو إظهار نيتها في الحفاظ على سلامتهم وتحسين ظروف إقامتهم من خلال مراقبة شروط النظافة والظروف الصحية فيها وإجبار المالكين لها على ضمان الإقامة الجيدة والمريحة لزبائنهم، وقد تولّت هذه المهمة خمس فرق من الشرطة تحت رئاسة ضابط من مصلحة الفرقة المضادة للعنف، وضابط وعامل من محافظة السين بمساعدة مستشارين اجتماعيين¹، وباعتبار استقرار معظم المهاجرين بالأحياء القصديرية فقد تركّز نشاط هذه الفرق في تلك الأحياء وكانت تقوم بمراقبة شبه يومية لجمع المعلومات

تقريبا عن كل شخص يقطن بها ثم وضعها في ملفات من أجل الإحصاء الشامل لكل المساكن، ومن ثم التمكن من معرفة المشتبه في ولائهم للجبهة.²

* عمليات الاختبار:

اعتمدت طرق خفية لإنجاح عملية اختراق صفوف المهاجرين من خلال الاعتماد الكبير على المصالح النفسية سواء التابعة للجيش الفرنسي أو للفرق الإدارية الخاصة التي كانت تنشط في الجزائر من قبل، إضافة إلى مجموعة العمل النفسي التي ضمت موظفين من وزارات الإعلام والداخلية وقدماء الجيش ومركز البث الفرنسي والأمانة العامة للشؤون الجزائرية، وقد اعتمدت طريقة توزيع المناشير والبيانات الدعائية وتنظيم الأنشطة الثقافية والترفيهية مثل إقامة حفلات وعروض تعزف فيها الموسيقى العربية وإنتاج الأفلام الدعائية التي تصور العلاقة الوطيدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي³، وإمكانية التعايش فيما بينهم والعيش معا بسلام لأن تاريخهما واحد ومصيرهما أيضا واحد وقد سخرت الحكومة الفرنسية إمكانيات ضخمة لإقناع الجزائريين وغسل أدمغتهم بهذه الأفكار التي كانت واهية ولا أساس لوجودها في الواقع ولا تخدم في الحقيقة إلا الجانب الفرنسي.

1Amiri, op.cit, pp 61-62.

2House et Mac Master, La fédération de la France du FLN et L'organisation du 17 octobre..., op.cit, pp 103.

3Amiri, op.cit, pp 64-65.

* عمليات الأسموز:

ركزت هذه العمليات على عصب الحرب فألقت بكل ثقلها على قطع الدعم المالي للمهاجرين على الجبهة ومنع استمرار تدفق الاشتراكات والمساهمات العينية التي كانوا يقدمونها كل شهر، وكانت الخطة هي تغيير دوري لإقامة المهاجرين حيث يتم تغيير مكان إقامة ثلاثة إلى ستة أفراد من فندق إلى آخر كل فترة زمنية قصيرة، بهدف عدم تمكين عناصر الفدرالية من جمع الاشتراكات بشكل دائم¹، بعد نجاح هذه المصالح في خلط مكان إقامة الجزائريين بين الحين والآخر وقطع الاتصال بين هؤلاء العمال ومناضلي الجبهة، كما أن أية محاولة لإعادة الاتصال بين الطرفين سيكون تحت الرقابة الفرنسية التي ستتمكن من اكتشاف الموالين للفدرالية أو بعض خلاياها.

تتبع القرارات القمعية الصادرة في حق المهاجرين الجزائريين بفرنسا بعد تعيين "بابون" يتّضح جليا أنه نجح إلى حد كبير في التأثير بمخططاته على الحكومة التي أصبحت تستجيب لطلباته وتعمل على تسهيل تنفيذ إستراتيجيته للقضاء على فدرالية الجبهة، بدليل صدور أمرية 07 أكتوبر 1958 والتي تسمح بسجن الجزائريين الموقوفين لمدة أسبوعين، ثم قرار وزير الداخلية "إميل بيليسي" "Emile Pelletier" الذي قرر وضع الجزائريين دون محاكمة في مراكز التجميع، أو إعادتهم إلى الجزائر للمحاكمة بعد تسليمهم إلى الجيش²، وقد تم ترحيل الكثير منهم وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب وفرضت عليهم الإقامة الجبرية في المداشر والقرى الجزائرية، فنتج عن هذا التعذيب عدد كبير من المرضى والمعوقين.³

يبن المؤرخ الفرنسي "شابرون" "Laurent Chabrun" تفوّق الأجهزة الأمنية الفرنسية على فدرالية الجبهة في فرنسا حيث أصبحت تعرف عنها جلّ تفاصيلها وأهم نشاطاتها، وعنون فصله السابع من كتابه "حرب الظل" "la guerre de l'ombre" بعبارة "ج.ت.و تحت المجهر" ليثبت صحة كلامه ويبرهن أنه الواقع الحقيقي للجبهة في فرنسا، وقد استند في ذلك على مصنف "سري جدا" المؤرخ في مارس 1959 من طرف جهاز الاستعلامات العامة الموجه إلى الحكومة وكتب الجنرال ديغول، والذي يحتوي على دراسة مفصلة حول تواجد الجبهة في فرنسا وتطور نشاطها، مع تقديم إحصائيات دقيقة لمواطن القوة والضعف فيها.⁴

غير أن الوقائع التاريخية تؤكد عكس إدعاءات "شابرون" وتبين في معظم المحطات أن الجبهة هي من كانت متفوقة على الأجهزة الأمنية الفرنسية بمختلف أسلاكها وتخصصاتها، فوقفت لجميع محاولات الاختراق الفرنسية بالمرصاد، فأما بالنسبة لعمليات مساكن الإيجار فقد باءت كل محاولاتها بالفشل نظرا للنشاط المكثف للجبهة عبر لجان الشؤون الاجتماعية التابعة لها في تحسين أحوال المهاجرين، وإثارة

1Ibid, p 92.

2House et Mac Master, La fédération de la France du FLN et L'organisation du 17 octobre..., op.cit, pp 98 - 99.

3 Haroun, op, cit, p 366.

4Laurent Chabrun, op.cit, p105.

شكوكهم في كل الإصلاحات الفرنسية مهما بدت رسمية وفعالة، وقد أكدت أحد تقارير هذه المصالح التابعة للجبهة ضعف تأثير الأجهزة الفرنسية على المهاجرين فجاء فيها: "إن المصالح الفرنسية لم تستطع مجاراة قدرة وسرعة مناضلي فيدرالية فرنسا في الهيمنة على مراكز الإيواء والفنادق الجزائرية".¹

وفي ذات السياق فشلت أيضا عمليات الإسموز في مهامها وسعيها لقطع التمويل المالي للمهاجرين للجبهة بسبب تغيير فدرالية فرنسا لتكتيكاتها في جمع الأموال، فقد طورت أساليب عمل جديدة لضمان عمليات جمع الأموال ونقلها، منها السرعة في عملية الجمع والإيداع لتفادي مراقبة الشرطة وملاحقتها، إلى جانب اعتماد الصرامة في إيصال المبالغ المجمعة في مدة أقصاها ثلاثة أيام، لتفادي الدهم الفجائي للشرطة وبعد انتباه هذه الأخيرة إلى ضرورة التركيز على نهاية الشهر وهو تاريخ قبض العمال لأجورهم ودفع مستحقاتهم للثورة، أصدرت الفدرالية تعليمات جديدة تنص على جمع الاشتراكات في تواريخ مختلفة وبطريقة غير منتظمة لتضليل الأجهزة الأمنية²، فنجحت في التصدي لهذه الأخيرة وضمان استمرار دعم المهاجرين المالي للثورة وأثبتت براعتها وتفوقها من جديد ميدانيا حيث استمرت التغطية الشاملة لنفقات الثورة واحتياجاتها المادية من طرف الطبقة الشغيلة المهاجرة بفرنسا.

المطلب الثالث: القمع المبرمج لكل أشكال النضال

• منع التظاهر السلمي:

أشار "بن يونس" الذي عايش أحداث الثورة في فرنسا إلى تجاوزات الشرطة الفرنسية ضد المهاجرين الجزائريين وتزايد وتيرتها طيلة سنوات الحرب خاصة بعد مجيء "بابون" بقوله: "كانت السلطات الفرنسية تقوم على مستوى العديد من المراكز بمعاينة أفراد جاليتنا حسب الحالات إما بفرض الإقامة الجبرية عليهم أو إرسالهم إلى الجزائر بالبلديات التي ولدوا بها أو إلى مراكز أخرى للاعتقال مثل مركز "بني مسوس" و"بول كازيل" أو غالبا ما يتم تحويلهم إلى المراكز العقابية بفرنسا مثل مركز "لارزاك" وغيرها، إن هذا الأسلوب الذي ينتهجه المستعمر في التعامل مع الجزائريين هو في الحقيقة معمول به منذ سنة 1955 ولكن زادت حدته وبشاعته أكثر بقدوم "موريس بابون" على رأس بلدية باريس، وعلى الرغم من كل هذه العدة في الرجال والسلاح ومراكز الاعتقال إلا أنه لم ينجح في إيقاف نشاط "ج.ت.و" التي بقيت تواصل سيطرتها على باريس وضواحيها، فاهتدى إلى فكرة أخرى جديدة تصوّر له تدبيرا آخر من شأنه إبطال مفعول نشاط الجبهة وهو فرض حظر للتجول على المهاجرين الجزائريين... فقام يوم 06 أكتوبر 1961 بالتوقيع على قرار ينصح فيه الجزائريين بعدم التجوال ليلا في شوارع باريس وضواحيها بدء من 20 سا 30 مساء إلى الساعة 05 و30 صباحا".³

1Amiri, op.cit, pp 61 -62.

2Haroun, op, cit, pp307 – 308.

3 Benyounes, op,cit,p132.

في الساعة الحادية عشر وجدوا أنفسهم محاصرين من طرف الشرطة الفرنسية، وبأمر من السّاح النازي "بابون" ومساندة وزير الخارجية "روجي فيري"¹، استعملت أبشع الطرق لتوقيف هذه المظاهرات كالقتل، والدهس بالشاحنات، ورمي جل المتظاهرين في نهر السين²، كما عملت على غلق كل المنافذ التي تصل إلى ساحة الأوبرا خاصة منافذ الميترو والحافلات، وانهالوا عليهم بالعصي والبنادق والرشاشات بدون تمييز بين الرجال والنساء والرضع، ورغم أن المتظاهرين لم يهتفوا بأي كلمة معادية أو لفظة عنصرية³. وصف "هارون" أحد أبشع المشاهد الإجرامية التي شاهدها في شوارع كثيرة من باريس يوم 17 أكتوبر 1961 بقوله: "...لم يمر وقت قصير حتى امتلأت عربات الشرطة بضحايا تدمي أجسادهم ويسمع أنينهم وتتدلى من النوافذ أذرع وأرجل مغمى عليهم، ومع تواصل الإصرار الجزائري على التظاهر استمر معه القمع الفرنسي في الرد والإيقاف الجماعي إلى ساعات متأخرة من الليل... وقد شوهد إطلاق النار على المتظاهرين في شوارع "بون نوفال" "Boon-Nouvelle"، "هينري بينيولي" "Henri Pignolet"، "ميشال غروس سبينتلي" "Michel Croce-Spinelli"، والكثير من القوافل لعربات الشرطة وهي تقل المئات والآلاف من المتظاهرين المعتقلين"⁴

ومن دون شك أن الإدارة الاستعمارية قد وجدت ضالتها في استغلال الحدث ضد الجزائريين الذين لم يحترموا قرار حظر التجول في نظرها، وجابهتهم بأعمال وحشية ووظفت وسائل عديدة لقطع أثر الفعل الجزائري وتركت المئات منهم في دمائهم جراء الضرب بالعصي على الرؤوس، ولعل من بين أعمالها الوحشية رمى 450 جزائري مكبل اليدين والرجلين في نهر السين بباريس، واعتقال الآلاف من المهاجرين وشنق الكثير منهم في غابة فانسان ورمي بعضهم في البحر⁵.

أورد "هارون" مقتطفًا لتقرير أصدرته الشرطة الفرنسية حول أحداث ليلة 17 أكتوبر يحمل اعترافًا صريحًا من مسرح الجريمة بمدى القمع والوحشية الفرنسية ضد المتظاهرين ومما ورد فيه: "...إن ما حدث في 17 أكتوبر 1961 والأيام التي تلت ضد المتظاهرين المسالمين الذين لم نعثر بحوزتهم على أي سلاح يدفعنا من باب الواجب لأن نقدم شهادتنا وأن نبه الرأي العام، إذ لا يمكننا الصمت أكثر دون التعبير عن استنكارنا ورفضنا العام لهذه الأعمال الوحشية الدنيئة... التي يمكن أن تلتخ سمعة جميع أسلاك الشرطة... حتى وصل الأمر ببعض أفرادها إلى التشكيك في قيمة البذلة التي يرتديها... يجب معاقبة كل

1 أعمار عمورة، مرجع سابق، ص 197.

2 محمد غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30 . 11.30، 22 نوفمبر 2022.

3 المجاهد، مصدر سابق، ص 24.

4 Haroun, op, cit, p365.

5 أحمد مريوش، "مساهمة المهاجرين الجزائريين في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وأثرها على دعم الثورة التحريرية"، المصادِر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 21، السداسي الأول 2010، ص 275.

المسؤولين أيا كان منصبهم بما فيهم من أعطى منهم الأوامر ومن تغاضى عنها ومن تركها تسير كما هي ولم يحرك ساكنا...إنه مسار وحشي لا يرحم يريد أن يغرق سلك الشرطة فيه..."¹

• منع التغطية الإعلامية وتجريد المساجين من كل وسائل التعبير

. منع التغطية الإعلامية:

رغم التعتيم الإعلامي الكبير لمظاهرات الجالية الجزائرية بفرنسا الناتج عن أوامر السلطة الفرنسية بعدم تغطيتها بأي نوع من الوسائل الإعلامية سواء المكتوبة أو المسموعة أو المرئية تجنبًا للتعريف والتشهير بالقضية الجزائرية من جهة، ولمنع كشف الجرائم البربرية التي ارتكبتها القوات الأمنية الفرنسية بمختلف أسلاكها من جهة أخرى، إلا أن تأثير هذه المظاهرات وصل إلى الرأي العام الفرنسي والعالمي، وكُشفت العديد من التجاوزات الأمنية والإجراءات القمعية الفرنسية في حق هؤلاء المتظاهرين ومن طرف جهات فرنسية إعلامية وأمنية تميزت بمحافظتها على الضمير الإنساني الحي، فأوردت تقارير وشهادات تفضح السياسة الاستعمارية.

كتب محققو جريدة "فرانس سوار" France Soir عن سير المظاهرات والأحداث المرافقة لها رغم أنهم لم يكونوا مؤيدين للقضية الجزائرية، إلا أنهم شهدوا شهادة حق على بشاعة الجرائم التي ارتكبتها الشرطة الفرنسية ضد المتظاهرين وصوروا بكتابتهم حلقة من الحلقات الدرامية لمساء الثلاثاء 17 أكتوبر 1961، فكتبوا عن إطلاق النار في شارع بون نوفال وهنري بينيولي وميشال غروس سيبتييلي، طواير جديدة من المسلمين نزلت من مونمارتر، وصل الجميع إلى ريشيليلودر حيث سمعت صفارات الشرطة المتحركة فاتحة الطريق لقوافل العربات التي جلبت على متنها آلاف المتظاهرين الذين أوقفوا، كما كتب صحفي آخر: "في هذا المساء برهن رجال الشرطة على تسرع مفرط، حيث كانت حركاتهم تتم عن حقد دفين وقد أفرط الجميع في التسرع، وكانوا عند مرورهم يضربون الرجال بدلا من وضعهم في الاتجاه المطلوب وينعتونهم بصفات الخسة والدناءة وصغار الفئران..."²

جاء تقرير آخر من جهة غير أمنية من طرف المفتش العام للإدارة الذي وجهه يوم 4 ديسمبر 1961 لوزير الداخلية "روجي ويليوم" Roger Guillaume ليؤكد تقرير الشرطة حول فظاعة الانتهاكات الفرنسية في حق المتظاهرين ورد فيه: "أنه من بين إثنان وعشرون ألفا (22 000) متظاهر نُقل 337 جريح للمستشفيات تتلخص إصاباتهم في 183 كسر على مستوى الجمجمة وجروح على الرأس، تسع إصابات على مستوى الوجه، 32 جروح على مستوى وكدمات وكسور في اليد والمعصم والأصابع، 14 كسر على مستوى الأرجل، 39 كدمات على مستوى البطن والصدر، 42 كدمات وجروح مختلفة"³.

1 Haroun, op, cit, p 496.

2 Ibid, pp364 – 365.

3Amiri, op.cit, p174.

اعترفت الشرطة الفرنسية من جهتها في تقرير لها حول المظاهرات بهول الجرائم المقترفة في حق المهاجرين الجزائريين بالقول: "...من بين آلاف الجزائريين الذين اعتقلوا على مستوى حظيرة المعارض لبوابة فرساي، قُتل العشرات منهم تحت وقع الضربات بأخماس الرشاشات وقبضات المعاول من خلال انغراز الدماغ وتفتت الطحال أو الكبد وكسر الأعضاء، لقد داسوا على أجسادهم تحت مرأى ومسمع السيد باري المراقب العام الذي أقرّ بمثل هذه الأحداث الشنيعة، والبعض الآخر قطعت أصابعهم من طرف عناصر من مصالح حفظ الأمن والشرطة والدرك المتنقل... وفي إحدى أطراف جسر نويي خططت مجموعة من حراس السلام وآخرون من الشرطة لتطويق الجزائريين من خلال التقاطع في نقطة واحدة ومحاصرة المتظاهرين من كل جانب ثم يقومون برميهم في نهر السين وقد تعرض حوالي المائة منهم لهذا الفخ والمصير، وفي جسر سان ميشال وصل القمع حدا جعل جثث الضحايا تطفو على السطح يوميا وكانت تحمل آثار التعذيب عليها كالضرب والخنق..."¹

ورغم هذه الوحشية التي تكشفها هذه الأعداد إلا أنه من المؤكد أنها أقل بكثير من الحقيقة لأن الواقع كان أبشع بأضعاف مضاعفة وأن الإحصائيات الحقيقية أكبر من تلك الواردة في التقارير المكتوبة والشهادات الشفوية، ذلك أنه يجب الأخذ بالحسبان أن أعدادا كبيرة من الجزائريين رفضوا التنقل لمختلف المستشفيات الفرنسية رغم صعوبة إصاباتهم نتيجة خوفهم من التعرض للتوقيف والاعتقال.

. تجريد المهاجرين من كل وسيلة للتعبير:

بهدف مضاعفة السلطات الفرنسية لعزلة المهاجرين الجزائريين وحرمانهم من أي وسيلة للتعبير والنضال مهما كانت شرعية والنضال قامت بحل الودادية العامة للعمال الجزائريين وإنهاء عملها وفقا لنص المرسوم الذي أمضاه "غي مولي" في 23 أوت 1958، وتلاه زيادة القمع والاضطهاد ما أدى إلى اضطراب مسؤولي الودادية الرسميين لمغادرة الأراضي الفرنسية باتجاه بعض الدول الأوروبية الأخرى كألمانيا وبلجيكا وسويسرا، وانتهت بذلك مرحلة النضال العلني للودادية وبدأت مرحلة الكفاح السري بواسطة مناضلين غير معروفين لدى الإدارة الفرنسية تفاديا للوقوع في نفس الأخطاء التي وقعوا فيها من قبل بعد أن تأكدوا أن الطابع السري هو الحل الأمثل لاستمرار العمل النضالي، وقد استمرت هذه المرحلة تحت قيادة الفدرالية إلى غاية تحقيق الاستقلال لأن الظروف لم تسمح بالعودة إلى الكفاح العلني وإعادة تأسيس الودادية أو تنظيم مماثل لها.

من هذا المنطلق عمدت السلطات الفرنسية إلى تضيق الخناق على مناضلي "ج.ت.و" باستقدام "موريس بابون" "Maurice Papon" ووضعه على رأس بلدية باريس نظرا لخبرته التي اكتسبها عندما كان في قسنطينة في قمع عناصر الجبهة باعتماده طرق عديدة أهمها الاستعانة بالحركي والخونة، فعمد إلى تكوين هيئة متخصصة في تجنيد جزائريين مستعدين لمساعدة الشرطة الفرنسية في القضاء على الثورة

1 Haroun, op, cit, pp496 – 497.

التحريرية داخل الجزائر وخارجها خصوصا في فرنسا حيث يوجد أكثر المهاجرين الجزائريين، وتدريبهم بعد ضمان إخلاصهم وخضوعهم الكاملين لسادتهم الفرنسيين.

تلقى النقيب "مونتاني" "Montaner" الذي كان ضابطا في المصالح الإدارية الخاصة (S.A.S) بمدينة الجزائر أمرا بتنفيذ مهمة إنشاء هذه الهيئة وسمّيت بـ"قوات الأمن المساعدة" (F.P.A) تتألف من جزائريين يتمّ تجنيدهم بالجزائر، ويتلقون تدريباً خاصاً بنوازي لوساك بضاحية باريس الشمالية، بلغ عدد العناصر الأولى التي تخرّجت مُدرّبة 150 تمّ تعيينهم مباشرة على مستوى الدائرتين 13 و18 لباريس، وفي فترة وجيزة يزيد عددهم بسرعة ليصل إلى 400 مجنّد، ولزيادة تنظيم هذه الهيئة وتنسيق نشاطها مع الهيئات الأخرى وقّع بابون في 23 أوت 1958 على قرار ينصّ بإنشاء مصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية (S.C.A.A) تابعة مباشرة لدوانه، وبهذه الطريقة بدأ العمل في محاربة عناصر الجبهة بالتنسيق مع المصالح الأخرى المتخصصة الموجودة في الميدان مثل مصلحة الإعانة التقنية لفائدة فرنسيي الجزائر المسلمين (SAT-FMA) وفرع المخابرات وقوات الأمن المساعدة نفسها والمصالح الأخرى التابعة للشرطة الفرنسية.¹

انتشر هؤلاء الحركي على مستوى الدائرتين 13 و18 بباريس وباقي الأحياء للمدينة حيث يكثر فيها المهاجرين الجزائريين لاسيما الدوائر 11 و19 و20، يذكر بن يونس في هذا الصدد: "يُعرف عليهم أنهم يتدخلون بعنف باقتحامهم الفنادق التي يقطنها أفراد جاليتنا فيقومون بإخلاء كل الغرف بإخراج سكانها منها بالقوة ثم يحتلون كل الأماكن بما فيها قبو البناية الذي سرعان ما يحولّوه إلى مكان لتعذيب مناضلينا وقتلهم وقد تكلفت الإدارة الاستعمارية بإضفاء الشرعية على هذا العمل وتقرّر ذلك بالوثائق الرسمية التي تمنحها البلدية".²

أعلنت "إرسالية فرنسا" "la mission de France" موقفها الرافض للتعذيب الممارس ضد الجزائريين وكثّفت نشاطها من أجل إسماع صوتها للرأي العام الفرنسي من خلال "لجنة المقاومة الروحية" "Comité de "résistance Spirituelle" ولم تكتفي بالتنديد بل اتخذت مبادرات أخرى أكثر جرأة منها التمرد على الأوامر المنافية للأخلاق والقيم الإنسانية مهما كانت الجهة الأمرة، وهو ما فعله الجنرال "باريس دو بولارديار" "Pàris de Bollardièr" الذي رفض تطبيق أوامر الجنرال "ماسو" بتكثيف القمع على الجزائريين، ثم طلب إعفائه من مهامه في الجزائر يوم 28 مارس 1958 احتجاجا على الانتهاكات الممارسة، أمام الجنرال "بيار هنري" "Pierre- Henri Simon" فقد نشر في الشهر نفسه كتابا بعنوان "ضد التعذيب" بهدف إسماع صوته لأكبر عدد ممكن من القراء والمطالعين، وبسبب تواصل المطالب المنادية بضرورة إيقاف التعذيب اضطرّ رئيس الوزراء "غي مولي" إلى تشكيل "بعثة الإنقاذ"

1Benyounes, op.cit, p 117.

2Ibid, op.cit, p118.

"Commission desavegarde" المتكونة من إثني عشر عضوا يوم 05 أبريل 1957 للتحقيق في مسألة التعذيب والقمع المطبق في الجزائر والتأثير إيجابا على الرأي العام من خلال إظهار جدية السلطات الفرنسية في إيجاد حل للمشكلة المطروحة، غير أن البعثة فشلت في تأدية مهامها بسبب عدم تفاعل الجيش أصلا معها وهذا ما يدل على غياب النية الجادة في العمل.¹

المطلب الرابع: الاعتقال العلني والاحتجاز السري والحرمان من أدنى شروط الحياة

أمام الفعالية الكبيرة التي أضحت تشكلها ف.ج.ت.و بفرنسا عقدت سلطات الاحتلال الفرنسي العزم على استئصال الجبهة من باريس ومن كل التراب الفرنسي، مهما كلفها ذلك من ثمن وهكذا ازدادت منذ خريف 1961 عمليات القمع الممارسة ضد الجزائريين، على أيدي رجال الشرطة الفرنسية، وفي 5 سبتمبر 1961 أصدر "بابون" تعليمة تقضي بتفتيش كل الجزائريين المشكوك فيهم، حيث سيتم توقيف 500 شخص يوميا يُبعث فيهم إلى مركز التحقيق من الهوية في "فانسان" حيث يتعرض بعضهم للحبس في المعتقلات أو الطرد إلى الجزائر، كما سلّطت مصلحة تسيق الشؤون الجزائرية شتى أنواع القمع على سكان المدن القصديرية قصد تضيق الخناق على الجبهة وكثفت من المدهامات الليلية وسرقة الأملاك، ضرب الرجال بغلظة وتمزيق وثائق الهوية.²

في السياق نفسه واصلت السلطات الفرنسية سياستها التعسفية القائمة على القمع والتضييق في حق المهاجرين الجزائريين من خلال اعتماد إجراءات مجحفة في حقهم مثل اعتقال كل مشكوك فيه حتى من دون دليل وتحويله إلى المراكز العقابية من دون محاكمة، الإبعاد إلى الجزائر أو النفي إلى مناطق أخرى نائية وغيرها من السياسات الإنسانية التي تتنافى مع كل القوانين والأعراف الدولية، وفي هذا السياق قامت بملاحقة قيادي ومناضلي الفدرالية بما فيهم أعضاء الودادية العامة للعمال الجزائريين ليس فقط في الشوارع وخارج أوقات العمل بل حتى في منازلهم وأماكن عملهم أيضا، وقد ذكر "بوعلام بورويبة" في هذا الصدد قوله: "أن فرنسا استطاعت أن تلقي القبض في الفترة الممتدة من 6 إلى 21 ديسمبر من سنة 1957 على أكثر من 24 مسؤولا، حوّلت البعض منهم إلى الجزائر ووضعت البقية منهم في السجن..."³

لم تتوقف سلسلة الاعتقالات وعمليات الاستنطاق بل تواصلت بكثافة داخل مراكز للفرز أنشأت خصيصا لمثل هذه الممارسات مثل مركز "فيلودروم" (vélodrome d'hiver) وهو المركز الذي كانت الشرطة الفرنسية خلال فترة الحرب العالمية الثانية بمساعدة مخابرات الغستابو الألمانية بحشد اليهود قبل أن ترسلهم على متن القطارات نحو مراكز الاعتقال النازية أين تتم إبادتهم داخل أفران المحرقة، وكذا ملعب

1 إيدو، مرجع سابق، ص 225.

2 نيل ماك ماستر وجيم هاوس، باريس 1961: الجزائريون إرهاب الدولة والذاكرة، تر: أحمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013، ص 153، 157.

3Bourouiba, op.cit, pp383 – 387.

"كويرتين" وقصر الرياضات ومركز "بوجون" أو مبنى جابي وجوريس للرياضة، وكان مركز "فانسين" أكثر المراكز عذابا بالنسبة للمهاجرين الجزائريين المعتقلين لمدة أيام وأسابيع في ظروف غير إنسانية.¹ من هذا المنطلق عمدت السلطات الفرنسية بمساعدة أرباب العمل على تحديد إقامة العمال الجزائريين بشكل عام ومناضلي الودادية بشكل خاص، وتكوين ما سُمي بسجل "زاي" "Z" الذي كانت مهمته إحصاء المناضلين الجزائريين وإتباع سياسة ردع واسعة وكل من يتم تسجيله في هذا السجل يخضع لإجراءات وملاحقات أخطر من السابقة لأنه حسبهم يعد من المشبوهين والشكليين خطرا حقيقيا على الأمن الفرنسي العام ومن ثمة ضرورة إبعاده نهائيا عن التراب الفرنسي، لهذا عمدت هذه السلطات إلى عدة أساليب للتخلص منهم منها إجبار هؤلاء على توقيع تصريح يعترفون فيه بأنهم متشردون فيتم ترحيلهم بشكل نهائي من فرنسا وإعادتهم إلى الجزائر، وتكثيف عمليات القبض الجماعي باعتبارهم عُصاة ومتمردين عن القانون العام ثم عرضهم على المحاكم طبقا للمادتين 270 و 273 من قانون العقوبات التي ستحكم بإعادتهم إلى بلدهم الأصلي.²

أشار "هارون" أن سلسلة الاعتقالات والمضايقات لم تكن تشمل الجزائريين فقط بل تجاوزتها إلى الفرنسيين أنفسهم الذين كانوا متعاونين مع القضية الجزائرية وداعمين لكفاح الشعب الجزائري، خاصة المثقفين منهم، فقد تمّ اعتقال قساوسة عماليين في ليون بسبب دعمهم لـ"ج.ت.و" خصوصا من خلال نشاط وداوية العمال³، التي كانت تمثل أحد أهم فروعها، بعد أن وصلت تلك النخبة من المثقفين والسياسيين الوطنيين الفرنسيين إلى قناعة راسخة مفادها أن لا مستقبل للمستعمرات ضمن الإطار الفرنسي وأن الحل الواقعي والأمثل هو ترك تلك الشعوب تقرر ما تريد أن تفعله بنفسها بكل حرية، لذا حملوا على عاتقهم مهمة مناهضة الاستعمار وفضح خدعه وكذبه، ومنهم حتى من قام بتشريح الظاهرة لاستعمارية من الناحية النفسية والتاريخية وحُصِّل إلى أن جوهر التفكير الاستعماري يقوم على الاستعلاء والاستغلال والقمع، ولا سبيل لعلاجها إلا بالعنف والسلاح مُبررا بذلك استعمال العنف الثوري للتخلص من الاحتلال الغاشم.

أثارت جريدة "لومانيتي" L'humanité التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي قضية المدهامات السرية وذكرت الاعتقالات العشوائية للمهاجرين الجزائريين المتعسفا وظلما خصوصا من طرف قوات الشرطة المساعدة، حيث كانت تتم من دون وجود أية أدلة تثبت مخالفتهم للقوانين أو تورطهم في ارتكاب أية مخالفات، وفي هذا الصدد ذكر "مدني خالدي" أنه كان في مقهى روسو في باربوس يوم 18 فيفري 1961 على الساعة الثامنة مساء، وقد رآه بعض الحركي فنادوا عليه بالخروج، وبمجرد خروجه أخذوه مباشرة إلى حي آخر خاص بالحركي وهو حي "لاغوت" "Goutte-Dor" الواقع في الدائرة 18 واحتجزوه هناك.⁴

1Benyounes, op.cit,p131.

2 ليندة عميري، مرجع سابق، ص 56 57.

3 Haroun, op, cit, p 69.

4Rossa Moussaoui, Alain Ruscio, l'humanité censurée 1954 -1962: un quotidien dans la guerre d'Algérie, Editions le Cherche Midi, Paris, 2012, pp 231- 232.

كما كتبت الصحفية الفرنسية "بيجو" Poulet Péju "في كتابها "حركى باريس" أن جل العمليات الانتقامية التي قامت بها هذه القوات خصوصا في حي "لاغوت" "Goutte-Dor" كانت غاية في القسوة والهمجية حيث تعرض فيها لكل من تدل عليه ملامحه أنه من شمال إفريقيا وليس فقط الجزائريين بل شمل الاعتقال التونسيين والمغاربة بل وحتى بعض الأوروبيين كالمارتنيك والإسبانيين والبرتغاليين والإيطاليين، وأكدت أن هؤلاء الحركى كانوا دائما مسلّحين بقضبان من حديد ومسدسات، ولم يكتفوا باحتجاز المشتبه فيهم بالمهاجرين الجزائريين بل كانوا يذهبون إلى المقاهي التي كان يرتادها مهاجرو شمال إفريقيا ويقومون بتخريبها ونهبها¹، واستفزاز من فيها لتبرير العنف ضدهم وإذاقتهم أشد أنواع التعذيب في حالة ردهم على تلك الاستفزازات.

. الاعتقال:

اكتسى القمع الفرنسي ضد المهاجرين الجزائريين أشكالا متنوعة وكانت وتيرته تزيد وتشتد يوما بعد يوم منذ إعلان ولائهم لـ "ج.ت.و" والابتعاد عن "ح.و.ج" إلى درجة أنه سُجِّل فوق التراب الفرنسي حوالي 35 ألف توقيف ضدهم في الفترة الممتدة ما بين 1955 و1962، وهو رقم شامل للمعتقلين في السجون الفرنسية أو الخاضعين للإقامة في المعسكرات بفرنسا أو المنفيين منها إلى الجزائر، وهذا ما يكشف عن مدى ما أُخضعت له الجالية الجزائرية من حالة حرب حقيقة ازدادت خطورة ابتداء من أوت 1959، وهو التاريخ الذي وصل فيه المعدل الشهري للتوقيف إلى حوالي الألف في سابقة من نوعها.²

ضاعفت القوات الأمنية عشية 17 أكتوبر 1961 بمساعدة الحركى من قمع الجزائريين باعتقالهم جماعات وأفراد وإحالتهم على مراكز الاستنطاق والتعذيب ثم الزج بهم في السجون سواء في فرنسا أو في الجزائر، بل والكثير منهم من قامت بإعدامهم دون محاكمة، وفي ظل تصاعد التوتر والحملات الوحشية والتعسفية ضد مناضلي ج.ت.و. وتم اغتيال "أحسن شيبان" المدعو "سعيد" ذو 26 سنة والذي كان المنسق الوحيد للتنظيم بفرنسا يوم 18 نوفمبر 1960، وعن دوره الكبير في التنظيم يقول بن يونس: "كان شيبان مسؤولي المباشر لما كنت قائد ولاية بشرق فرنسا، وبعد هذا الاغتيال يتم إنشاء لجنة للتنسيق بقيادة "محمد زاوي" وبمساعدة ثلاثة مسؤولين مراقبين وهم "سعيد عمرو"، "يونس أبركان"، و"أحمد بابا" وكان ذلك في جانفي 1960 بهدف التنسيق قبل وقوع المظاهرة الكبرى لـ 17 أكتوبر 1961".³

أظهرت مظاهرات 17 أكتوبر وجود نية مسبقة لدى القوات الأمنية الفرنسية لاعتقال أكبر عدد من أفراد الجالية الجزائرية حتى دون ارتكابهم لأية أعمال تستدعي ذلك، وهذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم، حيث ذكر "لوفين" في هذا الصدد قوله: "لاحظ الباريسيون يوم 17 أكتوبر 1961 تجند أعداد هائلة من قوات حفظ النظام تجاوز سبعة آلاف شرطي وكتيبتين من الكتائب الجمهورية للأمن وسريتين من الدرك

1 بزيان ، جرائم مورييس بابون ...، مرجع سابق، ص43.

2Haroun, op, cit, p397.

3 Benyounes, op, cit, p124.

المتنقل، وهدفهم جميعا هو الاستعداد لاعتقال الجزائريين حتى وإن كانوا من دون سلاح، وابتداء من الساعة السادسة مساء قامت الشرطة بحملة اعتقال واسعة لكل المغاربة الذين تصادفهم وأرسلتهم إلى "فانسان" "Van saint" و"بوجون" "Beaujon" وقد انساق الجزائريون بدون أية مقاومة، وكان الطقس باردا والمطر ينزل والليل قل حل... أصبح العنف سيد الموقف بعد أن بدأت عناصر الشرطة تضرب بقوة وبوحشية منقطعة النظير.¹

- حرمان المساجين من أدنى شروط الحياة:

لم تكن السجون الفرنسية التي يوضع فيها الجزائريون تتوفر حتى على أدنى مستلزمات الحياة حيث تنعدم فيها النظافة بشكل كلي سواء في الملابس أو الأفرشة والأغطية أو حتى في الوجبات، وهذا ما نستنتجه من شهادة "مزيان الشريف" عندما كان في سجن "لي بومات" "les Boaumettes" والتي ورد فيها: "كانت الحجرات الضيقة باردة جدا ونظرا لكون الجدران رطبة جدا لاسيما في فصل الشتاء، أما أفرشة شعر الخيل فكانت قذرة وبالية لا يستطيع أحد تحملها حيث لم نكن نستطيع تغطية رؤوسنا بتلك البطانية الرثة والممزقة ذات الرائحة الكريهة والتي لا يُعرف بالضبط لونها، كانت الليالي لا تنتهي ولا يتخلل ظلمتها الكالحة إلا أصوات الجرذان المتسللة من الثغور... كان الأكل ذو رائحة متعفنة، وقهوة الصباح تشبه ماءا قدرا نعتت فيه ثياب رثة، وكان حساء العدس يحوي حجارة بنفس عدد حبات العدس وأما حساء الفاصولياء البيضاء فلم يكن أفضل حالا حتى أن بعض السجناء كسروا أسنانهم بعد تناولها، وكان الخبز الأسود فاسدا بسبب الرطوبة المتسربة في كل شيء وفي كل مكان..²

ويضيف المجاهد "مخلوف عزوز" الذي عايش هو الآخر التعذيب في السجون الفرنسية منذ اعتقاله في 24 سبتمبر 1959 ثم تم إخضاعه لمراقبة شديدة ليتم بعدها ترحيله إجباريا إلى الجزائر، حيث أخذ مباشرة إلى معتقل "قصر الطير" ثم "فج مزالة" وتواصلت عمليات التعذيب ضده، حيث ذكر أنهم كانوا يقدمون لهم خبزة واحدة لكل أربعة أشخاص، في الوقت الذي لا تكفي حتى لشخص واحد، ومن دون أي حساء أو ما شابه، وفي أغلب الأحيان يُقدم لهم يابسا وفاسدا إذ يحتوي على رائحة كريهة لا يمكن لأي أحد أن يتناوله بسهولة.³

وفي مقابلة مع المجاهد "بشير كشاد" تحدث هو الآخر عن تعرضه للتعذيب في السجون الفرنسية بطرق لا تخطر على البال منها تشديد الضرب المبرح والركل المكثف حتى كسرت عظام كتفه وركبتيه، بالإضافة إلى سياسة التجويع إذ كان يقدم لهم فاصولياء فاسدة مليئة بالديدان والحشرات كما يمنع عنهم الماء لأيام كاملة، وبعد أن نقل إلى سجن "لاسونتي" في 14 أكتوبر 1958 لمدة تسعة أشهر استمر تعذيبه

1 ميشيل لوفين، مصدر سابق، ص 89. 90.

2 Meziane Cherif, op.cit, p 175 - 176.

3 مخلوف عزوز، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 9.00. 10.00، 11 بكرة، فيفري 2019.

وظل دون مأكل ولا ملابس، ليُنقل مرة أخرى إلى سجن "سان موريس" وتتواصل نفس السياسة التعسفية في حقه وفي حق بقية المساجين، قبل أن يتم ترحيله إلى الجزائر وتحويله إلى سجن "عنابة" الذي مكث فيه شهرين ثم سجن "باتنة" ثم سجن "الحامة" بـ"سطيف"، وبقيت نفس الأساليب القمعية في السجون سواء المتواجدة في الجزائر أو في فرنسا.¹

عمل الاستعمار الفرنسي على فصل الشعب الجزائري عن ثورته وضرورة تحطيم فتوة المقاومة الشعبية في لحم هذا الشعب بوسائل التنكيل به حيث أنه لا يطلب لأداء هذا الواجب جنودا بل يطلب جزايرين²، ومنذ بداية الثورة كانت السلطات الفرنسية تلجأ إلى تصرفات غير إنسانية وغير قانونية حتى في إطار قوانينها الداخلية لتغطية عجزها المتنامي والمتزايد يوميا أمام التطورات التي تشهدها الثورة الجزائرية متجاهلة القانون الدولي لحقوق الإنسان، فكانت تقوم باختطاف المواطنين وتعذيبهم وقتلهم³.

كانت الحياة في السجون والمعتقلات الفرنسية تُشبه إلى حد كبير ما كان يحدث في معتقلات النازية خلال الحرب العالمية الثانية⁴، حيث استعملت الإدارة الفرنسية أساليب ووسائل مختلفة في التعذيب منها الجسدية وكذا النفسية، وهذه الأخيرة كان الهدف منها تحطيم معنويات المساجين وكبريائهم ودفعهم إلى الاستسلام والتخلي عن الثورة.⁵

ذكر المجاهد "عبد الله زديرة" أنه عندما كان في السجن لقي كل أنواع التنكيل خصوصا أثناء فترة إضراب الجوع سنة 1961، حيث اشتدّ التعذيب وظلّ متواصلًا حتى بعد توقف الإضراب إذا استمر إلى غاية وقف إطلاق النار، كما ذكر أيضا اختفاء أعداد هائلة من المساجين بحيث يتم أخذهم بين الحين والآخر إلى أماكن مجهولة من دون عودة إذ يتم قتلهم في مناطق أخرى ليصبخوا في عداد المفقودين.⁶

كشفت جريدة "لوموند" "Le Monde" بطريقة غير مباشرة العدد الهائل للمهاجرين الجزائريين الذين كانوا يقبعون في السجون الفرنسية خاصة الأخطر منها مثل "معتقل لارزاك" حين أوردت في عددها الصادر يوم 10 أبريل 1962 أنه تم الإفراج بموجب وقف إطلاق النار الذي تم التوقيع عنه يوم 19 مارس من نفس السنة عن باقي المساجين من هذا المعتقل الواقع في مدينة "أفينيون" وذكرت أنه احتوى أكثر من 3500 سجين جزائري خلال ثلاث سنوات ماضية وأنه تم نقل ما تبقى منهم عبر جسر جوي إلى "مونبولي" "Monopoly" تمهيدا لنقلهم إلى الجزائر.⁷

1 بشير كشاد، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، 09 ديسمبر 2022 .

2 مالك بن نبي، شهادات حول ثورة التحرير، تق: الصادق سلام، عالم الأفكار، الجزائر، 2016، ص 21

3 زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 . 1962، ط 1، مؤسسة إحدادن، القبة، الجزائر، 2007، ص 41

4 محمد الطاهر عزوي، مرجع سابق، ص 62

5 مسعود عثمان، الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص 329

6 بن زديرة عبد الله، شهادة شفوية، المتحف الوطني للمجاهد بسكرة، 18 أكتوبر 2018.

7 Les derniers détenus musulmans ont quitte le camp de Larsac, Le Monde, N5358, Mardi 10 Avril 1962, p01.

كما أورد "جاك شاربي" Jacques Charby "الذي كان أحد المعتقلين في سجن "فران" Fresnes" من خلال جريدة "إكسبرس" أن عدد المعتقلين من المهاجرين الجزائريين في هذا السجن الذي يعدّ واحداً من أكبر السجون الفرنسية وأكثرها حراسة وأمناً قد بلغ سنة 1961 ما يفوق 1100 سجين من بين 14000 إلى 15000 معتقل في كامل ربوع التراب الفرنسي.¹

كان هؤلاء المعتقلين والسجناء لا يستفيدون من الاستحمام، يحملون الأغلال، تنبعث منهم روائح كريهة جداً، يُرَجَّ بهم في أماكن ضيقة جداً لا تسع أعدادهم الهائلة، فتحوّلت إلى أماكن مرتفعة الحرارة وكل شيء فيها يؤدي إلى الاختناق في جو ليس فيه متنفس، وتنعدم فيها أدنى شروط الحياة حيث لا يوجد ماء للشرب ولا للاغتسال، ولا لتسريح المراحيض ولا لتنظيف الزنانات في إجراءات عنصرية لا إنسانية.²

. الاستنطاق:

يعدّ الاستنطاق المرحلة الأولى التي تسبق باقي المراحل التي تنتهي بالتعذيب مع السجن المؤبد أو الإعدام، وقد كان المستنطقون يتعرضون في مراكز الشرطة إلى كل أنواع التنكيل والهمجية في مشاهد رهيبة من أجل إجبارهم على تقديم اعترافات تخص نشاط فدرالية "ج.ت.و"، قبل أن يتم تحويلهم إلى مختلف السجون الفرنسية لتكامل إدارتها وجلاديتها المهمة، لهذا كانت مراكز الاستنطاق لسياسة التعذيب نقطة انطلاق.

كانت عمليات الاستنطاق القاسية لأفراد الجالية الجزائرية بفرنسا وقائع محزنة في حياتهم ومسيرتهم النضالية، حتى أن أغلب من تم استنطاقهم أصيبوا بجروح خطيرة جعلتهم ينقلون إلى المستشفيات في نهاية الاستنطاق، ورغم ذلك ظل أغلب المناضلين الجزائريين ملتزمين بتعاليم الفدرالية وأولها التزام الصمت قدر المستطاع والتمسك به أمام جلاديه، حيث لا يدخلون أبداً في محادثات مع الأعوان الذين يستنطقونهم رغم صعوبة الموقف إذ كانت آلام التعذيب شديدة ولا تطاق في بعض الأحيان، لذلك كان هؤلاء يلجؤون إلى الجانب الروحي والشجاعة المعنوية التي تمثل سلاحهم الرئيسي للصمود والتحمل.

. التعذيب:

كان التعذيب بمختلف الوسائل والأشكال من أكثر الأساليب الاستعمارية التي اعتمدتها المصالح الأمنية والعسكرية الفرنسية وطبقها في حق المهاجرين الجزائريين ولا تزال تداعياته ماثلة إلى وقتنا الحاضر، وقد شمل جميع السجون والمعتقلات بل وأنشأت مراكز جديدة خاصة بتجريب أنواع مبتكرة للتنكيل بأجساد الجزائريين ومعنوياتهم بل وتجاوزت ذلك إلى التنكيل حتى بجثث المتوفين منهم ثم إخفائها عن الأنظار حتى لا تُكتشف جرائمهم أمام وسائل الإعلام أو الرأي العام الفرنسي والعالمي.

1Jacques Charby, "J'ai vécu a Fresnes avec les algériens", L'express, 02 Février 1961, pp 07- 08.

2Haroun, op, cit, p144.

إن التعذيب الممارس ضد الجالية الجزائرية بفرنسا يندرج ضمن سياسة الأجهزة الأمنية الفرنسية من أجل التصدي لنشاطات فدرالية "ج.ت.و" سواء في فرنسا أو حتى في باقي الدول الأوروبية، ورغم اعتراف الكثير من السياسيين والعسكريين من خلال تصريحاتهم وخطاباتهم بأن هدفهم كان استئصال النشاط الإرهابي لفدرالية الجبهة على غرار وزير الداخلية "ميشال دوپري"، ورئيس الجمهورية "شارل ديغول"، و"موريس بابون" رئيس محافظة الشرطة بباريس، وغيرهم إلا أن كل الحكومات الفرنسية المتعاقبة قد عملت على نفي ممارسات الدولة وسلطاتها السياسية للعنف وكذا رفع تهمة التعذيب عن مؤسساتها العسكرية واستبعاد فرضية تورط الجيش فيها، أما الذي وُجد فلا يعدو إلا أعمالاً فردية وتجاوزات من بعض الأشخاص لا يمثلون الدولة بجميع مؤسساتها.

نشرت لجنة دعم السجناء سنة 1958 ملفاً عنوانه "التعذيب في فرنسا" ندّدت من خلاله بالطرق المستعملة من طرف الشرطة في التنكيل بالمهاجرين الجزائريين على إثر اعتماد شهادات وتصريحات المناضلين الذين تم إيقافهم واستنطاقهم بعدة أساليب همجية كانت معمة على جميع مراكز الشرطة دون استثناء، منها طريقة استخدام الكهرباء وحوض الماء، التعليق من الأرجل والأيدي، قذف الماء المخلوط بالرمل، الجلوس على الزجاج المكسورة، التعذيب بالمسطرة، التعذيب بقلم الرصاص، وإدخال مواد كيماوية الضرب المبرح حتى ينشق طحال المعذبين وتُطمس عيونهم¹، وغيرها من الأساليب البربرية التي لا يستوعبها عقل بشر كالتي مورست على المناضل "محمد غفير" والتي تحدث عنها في مذكراته حيث ذكر أنه تعرض للضرب المبرح بالأرجل على البطن وكسرت أسنانه حتى أُغمي عليه لساعات طويلة من شدة الألم².

كما تحدث المناضل "مزبان الشريف" في مذكراته عن أساليب التعذيب التي مورست عليه بعد اعتقاله وذكر أنه تلقى لطمات ولكمات كثيرة حتى أصبح وجهه المتورم والدامي متخدراً، ومُنِع من النوم حيث كان الجلادون الفرنسيون يسكبون ماء جامداً على جسده، إلى درجة أنه كان يفقد الوعي تحت وقع الضربات، كما ثم تعذيبه أيضاً بواسطة المغطس المملوء بماء بارد ومستعمل حتى التهبّت رئتاه، ثم استعملوا المواد الحارقة التي تدس داخل الحلق مرفوقة بالصفعات والشتائم³.

الحقيقة أن الأغلبية الساحقة من المهاجرين الجزائريين بفرنسا قد تعرضوا لأساليب تعذيب وحشية منهم من لقي حتفه من جرائها، ومنهم من كتب الله لهم أعماراً جديدة غير أنها بقيت عالقة في أذهانهم طيلة ما تبقى من حياتهم تاركة لديهم آثاراً وبصمات جسدية ونفسية لم ينجح الزمن ومرور السنون من مسحها من أذهانهم، وهذا ما لمسناه وفهمناه من الشهادات الحية لعدد المناضلين والمجاهدين من عاشوا مرحلة الاستقلال، فكلهم مازالوا يحتفظون بأدق التفاصيل حول ما تعرضوا له من تنكيل وقمع في الأراضي

1Haroun, op, cit, p398 – 399.

2Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit, p36.

3Meziane Cherif, op.cit, pp168 – 173.

الفرنسية، حتى أن أحدهم ذكر لي في مقابلة شخصية أنه ينسى حتى أسماء أولاده وأحفاده، غير أنه لم يستطع أن ينسى أساليب التعذيب التي طُبِّقت عليه وعلى رفاقه في النضال. مورس التعذيب في كل الأماكن التي وُجد بها الجزائريون أو خطرت ببال الجلادين الفرنسيين، ومنها الذي مورس في أقبية البنايات والبنائات المهجورة، حيث يذكر "بن يونس" في هذا الصدد قوله: "حُوِّلَت الأقبية إلى قاعات لعمليات الاستنطاق والتعذيب ولقد احتلوا بالدائرة الـ 18 ثلاثة فنادق يملكها جزائريون تقع بـ 25 و 28 و 29 شارع لاقوت دور، بعدما تمّ توزيعهم منتشرين . يقصد الخونة . بالأحياء المعنية ينطلق هؤلاء الحركي في مطاردة كل من يُشتبه فيه عربيا من شمال إفريقيا يعتقلونه، يقومون بالدوريات في الليل والنهار مرتدين زياً مميزاً وقبعات زرقاً ولهم كل الحرية في ارتكاب التجاوزات ضد أفراد جاليتنا، وكان الفرنسيون يرون بأعينهم ما الذي يفعله الحركي لكن ولا أحد منهم احتج على سلوكاتهم ولم نر أي مظاهرة نُظِّمت للتبديد بالممارسات الإجرامية التي يقوم بها هؤلاء بل أبدا الفرنسيون إزاء ذلك عدم مبالاتهم الكاملة".¹

إن إشارة "بن يونس" إلى عدم مبالاة الرأي العام الفرنسي بتلك التجاوزات كانت صحيحة حيث رفض جل الفرنسيين الاعتراف بالحقيقة وحين يسمعون أو يقرأون في الصحف عن أساليب التعذيب الممارسة في بلادهم ضد الجزائريين بأنها فاقت أساليب النازية خلال الحرب العالمية الثانية ينكرون ذلك بحجة أن بلادهم رمز الحرية والعدالة وحقوق الإنسان ولا يمكن أن تكون فيها أفعالا مشينة تشبه ما كان يرتكبه الألمان ضد خصومهم ومعارضيه، وهم لا يعرفون أن ردهم هذا كان يشبه تماما رد الألمان بعد انتهاء "هتلر" حيث أنكروا أنهم كانوا يجهلون ما كان يرتكبه جيشهم".²

ظلت سياسة الحكومات الفرنسية ناجحة في تضليل الرأي العام وإبعاده كلياً عن حقيقة الأوضاع السائدة في الجزائر أو في فرنسا، إلى أن فجّر المثقفون الفرنسيون الذين تعرضوا للتعذيب حقيقة تورط المؤسسة العسكرية الفرنسية في جرائم يندى لها الجبين من خلال اعترافاتهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم عن أساليب التنكيل الفرنسية المتبعة ضد الجزائريين، وهذا ما كشف جزء من الحقيقة وجعلها جزءاً من اهتمامات الرأي العام.

كما أن جرأة بعض الصحفيين لاسيما اليساريين منهم في كتابة ونشر مقالات حول أساليب تعذيب الجزائريين كشف المستور وأزاح الغطاء على أعين الكثير من الفرنسيين خصوصاً المثقفين منهم، حيث كتب مثلاً المؤرخ الفرنسي "بيار فيدال ناكي" "Pierre Vidal-Nauet" في كتابه "التعذيب في الجمهورية" "la torture dans la république" قائلاً: "كيف يمكن لبلد ذو تقاليد حرة أن يرى في بضع سنوات

1 Benyounes, op,cit, p119.

2 Hafid Keramane, la pacification, livre noire de six années de guerre en Algérie, préface de Nil Anderson, éditions Chihab, Alger, 2014, p149.

مؤسساته، جيشه، عدالته، صحافته يتآكلون بممارسة التعذيب، بالسكوت والكذب الملاحظ حول المسائل الحيوية التي تضع محل شك تصور أن الغرب يهتم بالإنسان".¹

انتهج "سارتر" نفس النهج وكتب العديد من المقالات التي فضح من خلالها وحشية الجيش الفرنسي، وتورط المؤسسة العسكرية في التعذيب الذي اعتبره جزء من الشخصية الاستعمارية ومن أساسيات النظام الاستعماري، ورغم مصادرة الحكومة لجميع الجرائد التي نشرت تلك المقالات إلا أنه أعاد جمعها في كتاب شامل بعنوان "عارنا في الجزائر"، ثم كتب مقدمة لكتاب "الاستجواب" الذي ألفه "أليغ" "Henri Alleg" وعنوانها بـ "انتصار" وقد أشاد فيها بنجاح هذا الأخير امتحان التعذيب الذي تعرض له من طرف الجلادين القساة.²

لقد كان جميع المعتقلين في السجون الفرنسية يتعرضون لنفس أساليب وعمليات التعذيب الممنهجة، وهي مراكز لم تكن تقل وحشية عن تلك التي أقامتها النازية³، وقد أشار هارون إلى الأساليب الوحشية التي كان الحركي يطبقونها في حق المهاجرين في ظل الصلاحيات الكبيرة التي منحتها لهم أجهزة الأمن الفرنسية فعاثوا بها فسادا وأثاروا رعبا حقيقيا في أوساط المهاجرين خصوصا أمام غياب الرقابة والعقاب وكذا التكنم على جرائمهم لتشجيعهم عليها أكثر، وذكر أن تحركاتهم تركزت في الدائرتين 13 و 18 وكيف انتقل معهم الرعب فيما يشبه معركة الجزائر الجديدة في الأحياء التي تتركز فيها الجالية الجزائرية على غرار نهج "غوت" "Goutte-Dor" ونهج "شاتودو" "Château d'eau de rentier" وكيف اشتدت أعمالهم القمعية وعمليات الاستنطاق العنيفة حين تفننوا في التنكيل بالمهاجرين في أقبية وأماكن تابعة للشرطة الفرنسي.⁴

والموقف نفسه أشار إليه "بن يونس" حين ذكر جرائم الحركي في حق المهاجرين بالقول: "أضيف إلى الجهاز القمعي في سنة 1960 هيئة أخرى سُميت بـ "قوات الشرطة المساعدة" (F.P.A) وهي تضم فرق من الحركي والخونة تأتي بهم السلطات الفرنسية من الجزائر لتدربهم على مطاردة مناضلي جبهة التحرير الوطني واعتقالهم، وهكذا شرع "بابون" ذو الخبرة الطويلة في الميدان في تشغيل آله للحرب ضد أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا بمساعدة من جلبهم من عملاء وخونة من قسنطينة بداية بتوسيع الاعتقالات على مستوى الفنادق التي كان يملكها بعض المهاجرين الجزائريين حيث تقوم عناصر الشرطة بإنزال المعتقلين إلى أقبية هذه الفنادق ليتم استنطاقهم وتعذيبهم والتنكيل بهم بكل الوسائل والأدوات والطرق الإجرامية".⁵

1 Pierre vidal- Nauet , la torture dans la république 1954 – 1962, collection grands-documents, Editions Hibr, Alger, 2012, p11.

2 Jean Paul Sarter, position anticolonialistes, préface de Fatima Beldjorb, collection Voix de l'anticolonialisme, Edition ANEP, Alger, 2006, pp73 – 91.

3 خليفة الجنيدي، مرجع سابق، ص 488.

4 Haroun, op, cit, p 405.

5 Benyounes, op,cit,p131

تفنّن هؤلاء الخونة من الحركى والعملاء في تعذيب المهاجرين الجزائريين بإتباع الكثير من الاستراتيجيات الخطيرة والأعمال السرية، القائمة أساسا على الاستنطاق والتعذيب بمختلف الوسائل المتوقّرة خصوصا في الأقبية والأماكن السرية التي أنشئت خصيصا لهذا الغرض، إلى درجة أنهم كانوا أقسى من الجنود الفرنسيين وفي هذا الصدد يذكر "جوان كلود" "Juin Claude" قوله: "إن المهاجرين الجزائريين في السجون والمعتقلات كانوا يفضلون الاستنطاق على يد الفرنسيين، لأن الحركى بسبب قسوتهم ومعرفتهم بالذهنية الجزائرية قد قدموا خدمات جليلة للجيش الفرنسي، وكانت الاعترافات تتحقق بسرعة أكبر عندما يتولى الحركى عملية الاستنطاق".¹

كشفت صحيفة "L'humanité" نقلا عن (Rossa Moussaoui, Alain Ruscio) بعض الأعمال السرية التي كانت يقوم بها الحركى في الأقبية بعنوان "الأقبية تعني" "les caves qui chantent" فذكرت أن جلسات التعذيب التي كانت تتم على يد هذه القوات كانت تتم تحت أصوات الموسيقى، ومما ورد في شهادات بعض من تعرضوا لذلك: "بقيت جالسا في غرفة الانتظار في المكتب المجاور... جعلوا صادق المسكين يصرخ هناك اسمعه على الرغم من تسجيلات الموسيقى العربية، موسيقى الرقص...".²

استمر هؤلاء الحركى في أعمالهم التعذيبية الوحشية التي تجاوزت في همجيتها وبربريتها كل الأعراف العالمية وتخطّت بقسوتها كل الحدود العقلية والمنطقية إلى درجة أن وصل الحد ببعض هؤلاء المعتقلين من الجزائريين في تلك الأقبية إلى الانتحار وقتل أنفسهم بأيديهم على البقاء أحياء تحت سطوة هؤلاء وغطرستهم، ورغم ذلك فلم تسلم حتى جثثهم من التنكيل والتشويه، وإخفائها عن كل الأنظار حتى لا تكشف آثار التعذيب حجم العذاب الذي تعرضوا له وهول المواقف التي عاشوها من جهة وارتكاب المزيد من جرائم القتل والتعذيب من جهة أخرى.

وردت إحدى شهادات من عايشوا جحيم التعذيب في الأقبية على يد الحركى وهو المدعو "عمر" الذي ذكر حوارا دار بين معتقلين قرروا الانتحار بسبب التعذيب القاسي الذي تعرضوا له علي يد قوات الشرطة المساعدة من هؤلاء الخونة فقال أحدهم: "سنموت هنا بأيديهم، إذن من الأفضل إنهاء ذلك، وقتل بعضنا البعض ما دام الموت مصيرنا المحتوم... كان هناك أنبوب غاز داخل القبو، سحبت نفسي إلى جانبه، وحاولت قطعه بسكين صغير كان في جيبى، وفي تلك اللحظة رفع جزائري آخر يده ملوحا بها وقال لي ماذا تفعل يا أخي؟، قد يكون هناك أطفال ونساء يمكن أن يقتلهم الغاز...".³

1 جوان كلود، جنود جلازون، حرب الجزائر عندما يتحول العساكر إلى آلة تعذيب، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013، ص84.

2Rossa Moussaoui, Alain Ruscio, op.cit, p234.

3Rossa Moussaoui, Alain Ruscio, op.cit, p235.

كما أن الشكاوي التي كان يرفعها بعض الجزائريين عن طريق محاميي "ج.ت.و." لمحافظة الشرطة والمحاكم تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الأجهزة الأمنية الفرنسية قد مارست بالفعل أساليب تعذيب كثيرة أثناء استنطاقها للجزائريين، وهو ما أكدّه بعض المناضلين من كانوا شهود عيان على غرار الرسالة التي كتبها أحد مساجين معتقل "سان موريس لاردواز" "Saint Maurice – L'ardoise" المدعو "صالح ق" المحامي والأستاذ "أوصديق" وصف فيها أشكال التعذيب التي تعرض لها من طرف "م.م.إ." "D.S.T" و"ق.ش.م" "F.P.A" إثر اعتقاله يوم 19 أبريل 1961 إذ أرغموه على شرب ماء الصابون والكلور وأدخلوا عنق قارورة زجاجية في شرجه وكسروا بعض ضلوعه.¹

يبدو أنه كان هناك تنسيق بين المشرفين على التعذيب في الجزائر وفرنسا، حيث يوجد تشابه كبير في طرق وأساليب التعذيب المنتهجة في حق الجزائريين في الجزائر والمهاجرين منهم بفرنسا، منها استعمال الوسائل المحظورة دوليا في عمليا استنطاق المناضلين، والتعذيب بواسطة الكهرباء، والماء والنار، إضافة إلى اعتماد أسلوب العقاب الجماعي مع التركيز على الجانب النفسي خصوصا أثناء المداهمات والاعتقالات للتأثير على بقية الفئات الاجتماعية وإرغامها على التخلي عن الثورة.²

في الوقت الذي تفنّن الفرنسيون لاسيما العسكريون منهم في إبداع أساليب خطيرة في التنكيل والتعذيب وتطبيقها على الجزائريين دون حسيب ولا رقيب، سعى بعض السياسيين إلى محاولة تغطية تلك الجرائم والقول بأنها لم تكن تطبق بأوامر من السلطات الفرنسية الأولى بقدر ما كانت مجرد تجاوزات من بعض الأشخاص في المؤسسة العسكرية، وهو ما أشار إليه الرئيس الفرنسي "غيمولييه" "Guy Mollet" بقوله: "هناك أعمال عنف نادرة حدثت في الماضي، غير أنني أؤكد أنها لم تكن لتحصل لولا الهجمات الوحشية التي نفذها الإرهابيون، إما أعمال التعذيب المتمدة بنية مسبقة وفي حال حصولها فإنني أقول أنها أمر لا يحتمل"³، في حين كان موقف "سارتر" مخالفا تماما لموقف الرئيس حيث اعتبر التعذيب الممنهج ضد الجزائريين سياسة فرنسية متمدة وهي جزء من الشخصية الاستعمارية ومن أساسيات النظام الفرنسي، مؤكدا أن السلطات العسكرية لم تكن لتطبقها لو لم تمل موافقة وتشجيع من السلطات السياسية، وقد كتب العديد من الكتب والمقالات أكد فيها موقفه وفضح بها وحشية الجيش الفرنسي.

كتبت مجلة "جون بول سارتر" عن بشاعة التعذيب الذي تمّ في قصر الرياضة ضد المهاجرين الجزائريين فأوردت: "إن معاملة البشر كالفئران هي عملية وُلدت في مدينة الجزائر واستقرت الآن في باريس، إن الوحشية التي عومل بها اليهود في ملعب فيلودروم" أيام الاحتلال من طرف الشرطة الألمانية كانت أقل من التي عومل بها العمال الجزائريون في قصر الرياضة من طرف الشرطة الديغولية... إن ما حدث هو عكس ما

1Amiri, op, cit, p116.

2Boualem Nedjadi, les tortionnaire 1830 – 1962, édition ANEP, Bouiba, Algérie, 2001, p114.

3Hervé Hamon et Patrick Rotman, les porteurs de valises, collection H comme histoire, édition Albin Michel, Paris, 2009, p69.

تذعرا به ديجول وبابون من وجود إرهاب أعمى لـ"ج.ت.و." بباريس لأن ما حدث بالفعل هو ارتكاب رجال الشرطة ومساعدتهم الحركي لجرائم ضد الجالية الجزائرية وهجمات عقابية شهدت شهورا من أعمال التعذيب والاعتقال¹.

في شهادة للمناضل "رابح يهمي" الذي كان أحد شهود العيان على سياسة التعذيب والاعتقال التي تعرّض لها مع رفيقه محمد في مقر الشرطة الفرنسية، فذكر أنه أُلقي القبض عليهما يوم 24 ماي 1961 وأُصيبا بجروح من نيران الرشاشات المصوبة نحوهما عن قرب، فحملتهما الشرطة إلى المحافظة 13 رغم حالتها الخطيرة التي لا تستدعي التوقيف لأنهما كانا في حالة احتضار، وذكر في شكواه: "هجم علينا عدد من عناصر الشرطة بحد لا يوصف، بعد الضرب بأعقاب البنادق والركل، نزعوا ثيابنا كلها وقاموا بتقييد أيدينا وأرجلنا وتركونا بلا حراك في بركة من الماء والدم، ثم استعمل جلادونا أساليب الغازات بوصول التيار الكهربائي بمختلف أجزاء جسم رفيقي وكان يصرخ من شدة الألم، ورغم ذلك استمروا في تعذيب حتى دخل في غيبوبة، ولم يشفى غليلهم بل انهاروا عليه ضربا بقضبان حديدية حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، بينما رموني قرب جثة رفيقي وواصلوا تعذيبي قبل أن يحولوني إلى المستشفى ثم إلى سجن فران"².

.الإعدام:

تعتبر هذه العقوبة جزاء لا يتجزأ من عملية الكفاح من أجل التحرير الذي قاده المهاجرين الجزائريين بفرنسا وتعدّ استثنائية نظرا لطابعها الأقصى شدة وآثارها الخطيرة وانعكاساتها العميقة في ذاكرة المتهمين، إذ استمرت عالقة في أذهانهم طيلة ما تبقى من حياتهم.

تفنّنت الحكومة الفرنسية في قتل المهاجرين الجزائريين على أراضيها طيلة فترة تواجدهم بالمهجر ثم ازدادت الأمور تعقيدا وقسوة بعد اندلاع الثورة التحريرية في 1954، ليصل القمع أوجه بعد مظاهراتهم في 17 أكتوبر 1961، فمن القتل المتعمد بمختلف الأسلحة إلى التنكيل والموت تحت التعذيب، وصولا إلى الإعدام شنقا وغرقا وحرقا، فلم تترك وسيلة إجرامية ولا طريقة عقابية إلا ونفذتها في حقهم، على أمل الوصول إلى عزلهم بشكل نهائي عن الثورة وفصلهم عن مطلبهم بالاستقلال، وقد كانت تمارس كل تلك التجاوزات أمام أعين العالم والمنظمات الحقوقية الدولية دون حسيب ولا رقيب.

ذكر "هارون" في هذا السياق أنه من بين الجرائم التي تعرض لها المهاجرون الجزائريون طيلة فترة الثورة التحريرية ما حدث في الدائرة 17 حين أُحرق الجزائريون بسبب صبّ الشرطة الفرنسية للبنزين على أجسامهم، كذلك صدمت سيارة جزائري بشاحنة في حادث مرور عادي وتم نقله إلى المستشفى على سيارة الشرطة وقد اكتشف الطبيب أن سبب الوفاة رصاصة في الرأس وليس الحادث، ناهيك عن إغراق الجزائريين في نهر السين وشنقهم في غابة فانسين، أو ضربهم ضربا مبرحا بأدوات صلبة على رؤوسهم حتى الموت،

1Haroun, op, cit, p375.

2Ibid, pp407 – 408.

ولاقناع المترددين من رجال الشرطة الخائفين من العقاب فقد منحهم محافظ الشرطة بابون الضمانات الكافية بقوله: "...سوّوا مع الجزائريين بأنفسكم ما تشاؤون، ومهما حدث فإنكم محاطون بالحماية..."¹ كما ذكر رفيقه في الكفاح "بن يونس" عن تزايد عدد القرارات الفرنسية بإعدام المهاجرين الجزائريين فقال: "قدّر عدد قرارات الحكم بالإعدام خلال حرب التحرير 1954 . 1962 بأكثر من 1500 تمّ صدورها عن المحاكم الفرنسية الاستعمارية العسكرية ضد الجزائريين وتفيد نفس المصادر أن عدد أحكام الإعدام المنفّذة بلغ 222 في نفس الدائرة، تُسجل التقارير أن 29 حكما بالإعدام نُفذت تحت حكومة "بورجيس مونوري" Bourges Maunoury وتقوم فرنسا بإعدام 49 جزائرياً تحت حكومة فيلكس غيار Félix Gaillard، و 80 جزائرياً آخر يعدمون تحت حكم ميشال ديبري Michel Debri قبل أن يعلن الجنرال ديغول عن العفو الشامل رسمياً".²

أورد أيضا ما قامت بنشره الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 17 مارس 1956 عن هذه الأحكام المجحفة في حق هؤلاء المهاجرين، وهما القانونين "56 . 268" و "56 . 269" اللذين يسمحان بتنفيذ حكم الإعدام دون القيام حتى بتحقيق قبلي على أعضاء ج.ت.و. المقبوض عليهم والسلاح بأيديهم، لتصبح هكذا كل التجاوزات مسموحا بها قانونا ولن يُعترف لمقاتلي ج.ت.و. أنهم محاربون يمكن التعامل معهم على أساس القوانين الدولية المعمول بها في الحروب، وتنتهك فرنسا بهذا الشكل قوانين حقوق الإنسان بوضوح أمام مرأى من العالم".³

اتّسعت منطقة المحكوم عليهم بالإعدام لتشمل عددا أكبر من أعضاء فيدرالية فرنسا ل"ج.ت.و." بشكل عام ومناضلو المنظمة الخاصة بشكل خاص، حيث شملت صفوفهم أكبر نسبة للمحكوم عليهم بالإعدام، وقد عانوا طيلة فترة مكوثهم في السجون الفرنسية منتظرين تنفيذ الإعدام في حقهم من كل أنواع الظلم والأسى وتعرضوا لشتى أشكال القهر التي لا تُنسى.

يروى المناضل "مولود أوراغي" وهو أحد أعضاء المنظمة الخاصة المحكوم عليهم بالإعدام في شهادة له عن تفاصيل تواجده بالسجن فيقول: "أخذوني في عربة المساجين...وها أنا بملابس المحكوم عليهم بالإعدام...كنا في زنزانة خاصة معزولين عن بعضنا البعض دون أي أثاث داخلي، لم يكن يُسمح لنا حتى الحصول على قلم، كنا مقيدين بالسلاسل من معاصمنا بشكل يعكّر أمزجتنا، ولكن أكثر من السلاسل كان الانتظار هو الذي لا يُطاق، وقد شهدت إعدامات لسجنين بالمقصلة في الوقت نفسه أواخر سنة 1959...وبقينا نحن في عزلة تامة ننتظر دورنا ليحين، لقد كان ذلك الانتظار عذاب لا يوصف، لا يحس بالجمرة إلا من أحرقتة..."⁴

1 Haroun, op, cit, p361.

2 Benyounes, op.cit,p184.

3Ibid, p184.

4 جريال، مرجع سابق، ص 306 . 307.

"أما بخصوص ج.ت.و بفرنسا فقد تمّ تسجيل 45 حكما بالإعدام مُعلنًا، نُفذت منها 25 حكما خلال حرب التحرير، وقد ذكر "بن يونس" بعض أسماء هؤلاء الشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل أن تحيي الجزائر وهم: "بليل عبد الله" المدعو "لندوشين" اعتقل سنة 1957 بالدائرة 18 بباريس ونُفذ فيه حكم الإعدام في السنة الموالية، ويعدّ هذا الشهيد أول مناضل جزائري يعدم بفرنسا، "ابراهيم ولد حمو" اعتقل في 03 جوان 1957 بالدائرة 19 إثر عملية مسلحة وصدر في حقه حكم بالإعدام، يُنقل ابراهيم إلى السجن سرکاجي بالعاصمة ثم يستفيد من العفو ليطلق سراحه عند الاستقلال، أخوه "عبد القادر" اعتقل إثر عملية هجومية أيضا سنة 1958 وأطلق سراحه عند الاستقلال ثم يُنقل إلى الجزائر، "حمادي آرقي" فدائي آخر حُكم عليه بالإعدام حين قضى على قاتل ينتمي إلى الحركة الوطنية الجزائرية (M.N.A)، "عمار خروبي" بالدائرة 20، و"دانون محند أمقران"، و"توكال مخلوف"، و"سي محفوظ" من قرية إفلكيسن بالقرب من عين الحمام، و"بوخنوفة إيدير" من ولاية تيزي وزو و"زقاوي محند أمقران" وغيرهم كثيرون، "حمادي محند أمقران" صدر في حقه حكم بالإعدام بعد قتله مضليا فرنسيا.

أما الذين نُفذ فيهم الإعدام بفرنسا فأهمهم "بليل عبد الله" 26 سبتمبر 1958 سجن لاصونتي بباريس، "حسناوي عبد الله" 7 جوان 1959 سجن ديجون، "سعداني مقران" 5 جويلية 1959 سجن ديجون، "بن زوزو محمد" 26 سبتمبر 1959 فور مانتلوك بليون، "مولود آيت رابح" 23 فيفري 1960 فور مانتلوك، "أحمد شرشاري" نُفذ فيه الحكم في نفس التاريخ وبنفس المكان مع مولود¹، "أحمد كاروش" 17 مارس 1960 سجن فور مانتلوك، "أحمد قالمّة" 05 أفريل 1960 سجن ديجون، "محمد فغول" نُفذ فيه الحكم في نفس هذا التاريخ بسجن فور مانتلوك، "إبراهيم مناعي" نُفذ فيه الحكم في نفس التاريخ وبنفس السجن، "محمود مقراني" 08 جويلية 1960 فور مانتلوك، "تافر بوخميس" 9 جويلية 1960 فور مانتلوك، "عبد الرحمن لخليفة" 30 جويلية 1960 فور مانتلوك، "ميلود بوقندورة" 5 أوت 1960 فور مانتلوك، "حرمولال بوسّة"².

إن الإجراءات التعسّفية الفرنسية قد حوّلت حياة المهاجرين الجزائريين إلى جحيم حقيقي، وهذا ما يُبيّن بوضوح تام معاناة المهاجرين الجزائريين بشكل كبير في أرض المهجر من جهة، وفي الوقت نفسه مدى حرصهم على مواصلة النضال والكفاح ضد المستعمر الفرنسي وسياسته التعسّفية من جهة ثانية، إضافة إلى تأكيدهم على قوة الروح الوطنية لديهم ودورهم الكبير في دعم الثورة التحريرية وتحقيق الاستقلال من جهة أخرى.

1 Benyounes, op,cit, p186.

2 Ibid, p187.

الفصل الرابع

. الفصل الرابع:

دور الشخصيات السياسية المهاجرة إلى فرنسا وإسهاماتها في الثورة التحريرية

المبحث الأول: محمد مشاطي

المطلب الأول: المولد والنشأة 1921 . 1945

المطلب الثاني: كفاحه السياسي في الجزائر

المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا

المطلب الرابع: حياته داخل السجن ثم فراره منه

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال

المبحث الثاني: صالح الوانشي

المطلب الأول: مولده وظروف نشأته.

المطلب الثاني: مسيرته النضالية في الجزائر

المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا

المطلب الرابع: بين إكمال مهامه بفرنسا والعودة إلى الجزائر

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال

المبحث الثالث: عمر بوداود

المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الفترة ما بين 1924 . 1946

المطلب الثاني: تطور نضاله الوطني خلال وبعد الحرب العالمية الثانية

المطلب الثالث: خروجه من السجن وعودته إلى العمل السياسي 1946 . 1950

المطلب الرابع: نضاله السياسي بفرنسا والمغرب الأقصى

المطلب الخامس: قيادته لفدرالية جبهة التحرير الوطني وأهم إنجازاته: 1957 . 1962

المطلب السادس: دوره في تنظيم المساهمة المالية للفدرالية ومهامه في المجلس الوطني للثورة

المبحث الأول: محمد مشاطي

المطلب الأول: المولد والنشأة 1921 . 1945

1 . الوسط والتنشئة الاجتماعية:

ولد "محمد مشاطي" في 04 مارس سنة 1921 بمدينة "قسنطينة" التي قضى بها طفولته الصعبة وتلقى فيها معارفه الأولى، كان أحد الشباب المتميزين بالمدرسة التطبيقية للصناعة بقسنطينة، كما تمّ تجنيده في صفوف الجيش الفرنسي، وشارك في الحملات الكبرى للجبهة الجنوبية وكان شاهدا على المذابح الكبرى التي اقترفتها السلطات الفرنسية في حق الجزائريين في الثامن ماي 1945، وكان ذلك منعرجا حاسما في تاريخه النضالي حيث ستزداد فعاليته في حزب الشعب ويصبح أحد أبرز المناضلين في المنظمة الخاصة ثم عضوا في لجنة الـ 21 التاريخية، كان من بين أوائل مسؤولي "ف.ج.ت.و" بفرنسا، ليكمل مساره النضالي كالعديد من رفاقه في غياهب السجون الفرنسية أين تعرّض فيها للتعذيب، قبل أن يكتب الله له عمرا جديدا ليعيش فترة الاستقلال التي ضحى بكل ما يملك من أجل تحقيقها.

ينتمي "مشاطي" إلى دوار "مشاط" ببلدية الميلية الواقعة بشمال قسنطينة بين الميلية والقل، جده "بوجمعة مشاطي" الذي كان بائعا لزيت الزيتون الذي تملكه العائلة، والده هو "الطاهر"، ويملك "محمد" عم وحيد اسمه "عبد الرحمن" لأنه الأخ الوحيد لوالده، أما والدته فهي "فاطمة بنت بن اعمر" وهي بنت قسنطينة أيضا، ترعرع محمد في بيت عربي في الحي القديم المسمى "سيدي بوعنابة" رفقة والديه وعمه في ظروف معيشية قاسية¹، حيث كان البؤس طاغيا والثالث الأسود منتشر على نطاق واسع جدا ليس في قسنطينة فحسب بل في كافة أرجاء التراب الجزائري في ظل استمرار السياسة الاستعمارية التعسفية القائمة على تفجير الجزائريين وتجويعهم بمصادرة أراضيهم وتدمير بنيتهم الاجتماعية.

أمام استمرار قوانين مصادرة الأراضي ونزع ملكيات الجزائريين الذين تم طردهم وتهجيرهم إلى الجبال والصحاري والمناطق النائية الصعبة تضاريسا والفقيرة فلاحيا، ما أدى إلى تقلص أراضيهم الصالحة للزراعة والتي كانت مصدر رزقهم الأساسي²، وهذا ما أكدّه أيضا "المدني" بقوله: "إن الفلاحة تعتبر مصدر الرزق الوحيد للجزائريين لذا عمدت فرنسا إلى السيطرة عليها، بحيث منحت أخصب الأراضي للأوروبيين في حين منحت أفقرها للجزائريين"³، ومن هذا المنطلق ظل الواقع المعيشي للجزائريين طيلة فترة الاحتلال الفرنسي مزريا وكارثيا غلب عليه البؤس والحرمان من أبسط حقوق الحياة الطبيعية، والركود في جميع القطاعات الاقتصادية والثقافية وقد زادت الطبيعة بكوارثها المختلفة لاسيما القحط والمجاعة والجراد من تأزم الأوضاع

1 محمد مشاطي، مصدر سابق، ص 15.

2 René Gendarne, l'économie de l'Algérie, sous développement et politique de croissance, Armand Colin, Paris, 1959, p78.

3 أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ط2، المطبعة العربية، الجزائر، 1952، ص 508.

أكثر، حيث ساهمت بشكل كبير في تشجيع سياسة الاستيطان بعد أن لجأ الجزائريون إما إلى الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن مصدر قوتهم فتحولت أراضيهم تلقائيا إلى المستوطنين، أو البقاء كرهائن في أيدي الكولون ليتحولوا من ملاك إلى خماسين بعد أن تم حجز كل أملاكهم وتحويلها لخدمة الاقتصاد الفرنسي عن طريق هؤلاء المستوطنين.

هكذا أصبحت جلّ أراضي الجزائريين في أيدي الأوروبيين وتحول الملاك الأصليون إلى مستأجرين في بلادهم¹، وفي الوقت نفسه استمرت الإدارة الاستعمارية في سياستها المحفزة على نزع ملكيات الأهالي ومنحها للمستوطنين لتكوين مجتمع جديد منهم في الجزائر بمرور الوقت حيث سيتحفز من بقي منهم في أوروبا على المجيء إلى الجزائر للحصول على أملاك وأراضي وتشكيل ثروات وشركات كبرى تمكنهم من خدمة مستقبلهم ومستقبل أبنائهم من جهة، وإحكام السيطرة على الجزائريين من جهة ثانية²، ثم إحكام قبضتهم على الاقتصاد الجزائري ككل³، وإفشال محاولات المقاومة لدى الأهالي حيث سيتم توزيع أراضي المقاومين على المزيد من الأوروبيين القادمين إلى الجزائر، إضافة إلى تحطيم معنوياتهم كون الاعتداء على الأرض عند الجزائريين كان بمثابة الاعتداء على العرض.

نشأ "مشاطي" كغيره من الجزائريين نشأة دينية لعبت فيها الزوايا الدينية والطرائق الصوفية ثم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد دورا بارزا في رسم معالم شخصيته الدينية والوطنية، فقد بدأ تعليمه القرآني في سن الخامسة من عمره في زاوية "سيدي عبد المومن"، وكان الانضباط والاجتهاد سمتان تميزاه طيلة مشواره الدراسي، غير أن قسوة الظروف كانت لها الكلمة الأخيرة في فصل محمد عن الدراسة ومزاولة التعليم لاسيما بعد وفاة والده متأثرا بمرض السل، ورغم إصرار عمه إلى تسجيله في المدرسة الفرنسية للأهالي "مدرسة آراغو" غير أن عمره الذي كان يفوق التاسعة حال دون قبوله باعتباره متجاوز لسن التمدريس القانوني، فكانت النتيجة هي طرده بعد أربع سنوات دون حصوله على الشهادة الابتدائية⁴.

يتجلى بوضوح من طفولة "مشاطي" أهمية العائلة في المجتمع الجزائري ومدى الحرص الدام للجزائريين آنذاك على التماسك الأسري، حيث يعيش الإخوة مع آبائهم وأجدادهم وأعمامهم في بيوت مشتركة، وينوب كل واحد عن الآخر في تولي المسؤوليات من تربية وتعليم ورعاية، حتى لا يكاد يشعر الأبناء بغياب آبائهم أو فقدانهم سواء كانوا عمالا في مناطق بعيدة ومهاجرين، أو متوفين بسبب الأمراض أو الاحتلال، وهذا ما انتبه له الفرنسيون منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر فحاولوا بكل السبل تدمير تلك البنية الاجتماعية تارة بقوانين مصادرة الملكيات والأراضي وتارة بحرب الإبادة وسياسة العقاب الجماعي،

1 عمار ملاح، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 249.

2 فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، د ت، ص 74.

3 هنري كلود وآخرون، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر: محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ص 75.

4 مشاطي، مصدر سابق، ص 16. 18.

غير أن الروابط الأسرية والدينية التي كانت تجمع الجزائريين كانت أمتن من أن تنجح السياسة الاستعمارية في حلها أو قطعها، فظلوا مجتمعين في السراء والضراء، متضامين مع بعضهم البعض أمام كل الأزمات التي تعصف بهم، متحدّين أمام كل المصاعب والعراقيل، وقد انتقلت هذه الروابط وأواصر الأخوة حتى إلى المهجر فقد ظل المهاجرين الجزائريين في فرنسا مثلاً يتجمعون في مراكز ومناطق فرنسية حسب أصولهم ومناطق استقرارهم بالجزائر.

هذا ما يتضح أكثر في طفولة "مشاطي" حيث وبعد فقدانه لوالده "الطاهر" الذي توفي متأثراً بمرض السل، كفله عمه "عبد الرحمن" وقام بتسجيله في مدرسة "جول فيري" في فرع تعلم المهن، مستفيداً من اختلاف رئيسها "بول إيستولج" "Paul Istulege" عن بقية مسؤولي المدارس الفرنسية، كونه كان شيوعياً ينتمي للحزب الشيوعي الجزائري بمحافظة قسنطينة، وقد كان يحب الجزائريين ويحترم الحضارة الإسلامية كثيراً، وهناك استمر تكوين "محمد" ثلاث سنوات بين تربية التكوين النظرية والدروس التطبيقية المسائية في الصناعة، وقد ذكر في هذا الصدد: "كنا نتعلم صناعة القدور وطرق النحاس ونقشه رفقة المعلم "الطيب زولي" من سعيدة... وفي المساء نتعلم الضبط الميكانيكي والرسم الصناعي مع معلم فرنسي، لكن للأسف وجدت نفسي بطلاً بعد نهاية التكوين..."¹

لم يكن مصير "مشاطي" مختلفاً عن بقية الجزائريين الذين كانوا يلقون المصير نفسه حيث لا يتمتعون بحقوق المواطنة ولا أية امتيازات ويتعرضون جميعاً لنفس أنواع الاستغلال والاضطهاد²، ويتخبطون في مأساة حقيقية ميزها التدني الكبير للمستوى المعيشي وهو ما زاد من تعاستهم وشقائهم، حيث لا غذاء كاف ولا مسكن لائق ولا عناية صحية أو رعاية قانونية، ولا عمل يوفر لهم بعض متطلبات العيش الكريم، وكل هذا أنتج انتشار موجات من الهجرة سواء الداخلية - من الأرياف إلى المدن - أو الخارجية نحو البلدان العربية أو فرنسا حيث أصبحت تمثل ملاذاً للهروب من الواقع المظلم والظروف القاسية، غير أن المتاعب ستلاحقهم إلى ديار الغربة.

استمرت معاناة "مشاطي" بسبب البطالة وغياب مصدر رزق يقتات منه رفقة عائلته وأمام تعمد الإدارة الفرنسية على منع الأهالي من الاستفادة من أية فرص للعمل مهما كانت كفاءاتهم أو شهادات تكوينهم، حتى يتسنى لهم الاستسلام أمام قسوة الظروف والبحث عن أي وظيفة تكفل لهم حياة أفضل إما عن طريق الهجرة إلى فرنسا أو التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي، وفي كلتا الحالتين ستكون هي الاستفادة الأكبر من قدرات هؤلاء الشباب وطاقاتهم، ففي الوقت الذي حُرِم فيه الأهالي من كل الوظائف فُتِح أمامهم الباب على مصراعيه للتجنيد وخدمة الدفاع الفرنسي وحماية فرنسا من أية أخطار خارجية محتملة، وهذا ما أشار إليه بقوله: "كان قوت شحيحاً، كانت مرحلة صعبة حقاً، أي أفق لكسب بقمة

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 18.

2 محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، دمشق، ص 24. 25.

العيش بالنسبة لشباب من دون عمل ولا دعم، وتحت خطر الانحراف... كانت السلطة الاستعمارية تحت الشباب على التجنّد من خلال حملات دعائية ضخمة".¹

وصف شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكرياء" حالة الجزائريين المزرية جرّاء السياسة الاستعمارية القمعية بأبيات شعرية في قصيدة معبّرة حملت عنوان "الذبيح الصاعد". أحمد زبّانة. من بين ما ورد فيها:

ليس في الأرض سادة وعبيد	كيف نرضى بأن نعيش عبدا
أمن العدل صاحب الدار يشقى	ودخيل بها يعيش سعيدا
أمن العدل صاحب الدار يعرى	وغريب يحتل قصرا مشيدا
ويجوع ابنها فيعـدم قوتا	وينال الدخيل عيشا رغيدا
ويبيع المستعمرون حمـاها	ويضل ابنها طريقا شريدا
ليس في الأرض بقعة لذليل	لعنته السما فعاش طريقا
يا فرنسا كفى خداعا فإنـّا	يا فرنسا قد مللنا الوعودا ²

زادت معاناة "مشاطي" أكثر بعد وفاة عمه سنة 1935 فقد السند والدعم الذي كان يوفره له، ليجد نفسه وحيدا في الشارع، واضطرّ للقيام بأعمال صغيرة كبائع جرائد في الطرقات، حمال للقفف، أو نادل في مقهى مقابل الحصول على ما يكفيه فقط للأكل والمبيت، ما دفعه بمجرد بلوغه سن السابع عشر ونصف إلى محاولة التجنّد في البحرية الفرنسية رفقة واحد من أبناء حيّه، غير أن طلبهما قبل بالرفض نظرا لعدم بلوغهما السن القانوني للتجنّد (18 عام)، ثم وبعد إعادة التفكير فضل التجنّد في المشاة حتى يبقى قريبا من والدته وعائلته، فتجنّد في اللواء السابع للمشاة الجزائريين لمدة سبع سنوات كاملة وهي المدة المفروضة على أبناء الأهالي مقابل سنة أو سنتين فقط لأبناء الفرنسيين، وللتخفيف من البؤس المسلّط على والدته أمضى "مشاطي" على التزام مؤقت يمنحه الحق في الحصول على 800 فرنك وقنطار من الدقيق.³

كانت الأعمال المؤقتة التي ذكرها "مشاطي" السمة الغالبة لجلّ ما كان يشتغل فيه الجزائريون، وما زاد الوضع سوءا أنها لم تكن دائمة بل كانت مؤقتة لفترات زمنية لا تتعدى الشهرين على أقصى تقدير، ولم يكن لهم مكان بين الوظائف الحكومية ولا المهن المحترمة ذات الدخل المالي الذي يكفل لهم الحد الأدنى مما يحتاجونه في حياتهم البسيطة، وظلوا باعة متجولين وحرفيين صغار ويد فلاحية في مزارع المستوطنين⁴، في حين ظلّت الأغلبية الساحقة منهم عاطلين عن العمل تنخر البطالة حياتهم وتزيد معيشتهم سوءا وفقرا وحرمانا.

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 18.

2 مفدي زكرياء، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 22.

3 مشاطي، مصدر سابق، ص 27.

4 بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشطابية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 239.

2. حياته بعد التجنيد 1939 . 1945

بمجرد اندلاع المواجهة العسكرية الأوروبية الثانية وجد "مشاطي" نفسه في جبهات القتال بعد أن توجه رفقة لوائه السابع إلى تونس بغرض التوجه جنوبا نحو منطقة "قصر الحلوف" الواقعة بالقرب من الحدود الليبية لمواجهة الجيش الإيطالي الذي كان محتلا لليبيا، وهناك أُسندت له مهمة حفر الخنادق في حارة الصحراء الملتهبة كاختبار لقوة التحمل لديهم، وبعد فترة تم إعادتهم إلى الجزائر وبالضبط إلى المدينة العسكرية "بسطيف" حيث توجد فيها بعثة مراقبة ألمانية تسهر على احترام اتفاقيات الهدنة الممضاة مع سلطة الماريشال "بيتان فيشي" "Pitain Vichy"¹ التي كانت تحكم آنذاك الجنوب الفرنسي باسم السلطة الألمانية تحت زعامة مؤسس النازية "أدولف هتلر" "Adolf Hitler" وقد تسبب هذا الأخير في تدهور الوضع في فرنسا خصوصا بعد سقوط العاصمة باريس في جوان 1940²، وقد حملت حكومة فيشي هذا الاسم نسبة لعاصمة جنوب فرنسا وقد اتبع "بيتان" سياسة موالية لدول المحور بقيادة ألمانيا.³

لم يتأثر المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي بهزيمة الجيش الفرنسي أمام الألمان بل بالعكس فقد زاد ذلك من يقينهم بضعف القوات الفرنسية ووجود قوة أكبر منها تمكنت من هزيمتها، وهذا ما بعث عندهم روح التحدي من جديد بعد أن قبلوا فكرة النجاح في التخلص من الاستعمار الفرنسي العاشم، وقد أشار "مشاطي" إلى هذه النقطة في قوله: "كوننا من الأهالي في جيش مهزوم دون قتال لم نكن غاضبين على اتجاه الأحداث، كما أننا استنتجنا بأن لنا أعداء أقوى من أسيادنا الفرنسيين".⁴

يمكن اعتبار هذا الاستنتاج النواة الأولى لبثّ القناعة التامة لدى الجزائريين بإمكانية التغلب على الفرنسيين الذين كانوا يدعون بأن جيشهم لا يقهر، وستعزز تلك القناعة مع مرور الأيام والسنون لتترسخ بشكل أكبر بعد إعادة الفرنسيين لسيناريو الهزيمة أمام الفيتناميين في معركة "ديان بيان فو" في ماي سنة 1954، فكانت تلك الهزيمة بمثابة إعادة بعث للأمل في التحرر من جديد، وستثبت ثورة نوفمبر صحة تلك القناعات وأن فرنسا ورغم كل ما تلقته من دعم الناتو والقوى الاستعمارية الكبرى الحليفة معها ليس بقدرورها إيقاف إرادة التحرر لدى الجزائريين ولا حتى مساومتهم عليها بشروط أو تنازلات أو حتى ضمانات مستقبلية، وهذا ما تأكد حين جلست لطاولة المفاوضات مع ج.ت.و، ورضخت للمبادئ التي أقرتها هذه الأخيرة والتي كان على رأسها الوحدة الترابية والشعبية والسيادة الكاملة.

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 27. 28.

2 شوقي عطا الله، عبد الرزاق إبراهيمي، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة، 2000، ص 269.

3 عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج4، المؤسسة العربية للنشر، لبنان، 1979، ج 680.

4 مشاطي، مصدر سابق، ص 28.

اجتمع ممثلو الحلفاء يوم 27 أكتوبر 1942 بضواحي مدينة الجزائر وخططوا لعمليات الإنزال العسكري، وقد رحّب بهم الجزائريون باعتبارهم يمثلون علامة التحرر لتحقيق مبادئ الميثاق الأطلسي لذلك علّقوا آمالهم عليهم¹، وكانت عمليات الإنزال يوم 08 نوفمبر 1942 وكان "مشاطي" آنذاك ماكثا في اللواء السابع بسطيف لمدة سنتين في الوقت الذي كانت القوات الألمانية متموقة في مطار "عين آرنات" بسطيف، تلقّى هذا اللواء الأمر بإطلاق النار على الألمان المتواجدين بالمطار، غير أن هؤلاء الأخيرين انسحبوا بمجرد اقتراب القوات الأمريكية من المكان لمساعدة الجيش الفرنسي الذي كان محطما معنويا بعد هزيمة بلاده سنة 1940 وسيطرة النازيين عليها، وهذا ما لاحظته "مشاطي" عند توجهه مرة ثانية إلى تونس لمواجهة قوات الجنرال الألماني "رومل" حيث ذكر أن المواجهة كانت من نصيب القوات الأمريكية في حين اكتف الجيش الفرنسي بالمساعدة.²

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية سيدة الموقف في شمال إفريقيا بعد أن نجحت في هزيمة القوات الألمانية في معركة العالمين على الحدود الليبية المصرية ومنعت زحف القوات النازية نحو قناة السويس، والسؤال المطروح هنا هو كيف كان الجزائريون وعلى رأسهم بعض زعماء الحركة الوطنية وقادة الأحزاب السياسية يطمعون في تلقي الدعم من الأمريكيين أو حتى مساعدتهم لهم على تقرير مصيرهم، ألم يأتي هؤلاء لمساعدة الفرنسيين وإعادة بعث قوتهم من جديد؟، أيعقل أن يتخلوا عن هدفهم ويساعدوا الجزائريين على الانفصال عن فرنسا؟، وهذا ما تأكد من موقفهم في النهاية بعد بيان فيفري الذي صاغه وقدمه لهم "فرحات عباس" حيث كانت إجابتهم بأنهم حريصين على إبقاء السيادة الفرنسية على الجزائر وتأييدهم لها، وأنهم لن يتدخلوا في شؤون فرنسا الداخلية معتبرين بموقفهم ذلك أن الجزائر إقليم فرنسي.

بعد انتهاء القوات الألمانية في ليبيا عاد اللواء السابع إلى الجزائر وتموقع بالمنطقة الوهرانية، قبل أن يتم إعادة تدريبه فنياً وتهيئته نفسياً وتجهيزه عسكرياً بالعتاد الأمريكي الحديث لمواصلة العمليات الحربية في أوروبا بدءاً من إيطاليا، وقد تحصل "مشاطي" في غضون ذلك على رتبة "عريف"، وفي نهاية ديسمبر 1943 نزل هذا اللواء بالجنوب الإيطالي في مدينة "نابولي" "Napoli" وقد كانت منطقة الجنوب الإيطالي قد تمّ تحريرها من قبل قوات الحلفاء، وهناك حمل اللواء السابع الذي كان يمثل جزءاً من فيلق المشاة الجزائري الثالث على عاتقه مهمة إكمال تحرير الشمال الإيطالي تحت قيادة اللواء "ديمونزافار" "Démons afar" الذي كُلف باستخلاص الأمريكيين في تأدية المهمة، وقد لُقّب بـ "الجزار" بسبب الهجمات الجنونية التي كان يقوم بها مهما كان حجم الخسائر كبيراً، وقد أظهر "مشاطي" على غرار رفاقه

1 أحمد سميج، حسن اسماعيل، الاستيطان اليهودي في الجزائر 1919-1962، ط1، دار الكتاب الجامعية، الجزائر، 2009، ص105.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص28.

من المجندين الجزائريين بطولة وشجاعة كبيرة مكّنت قوات الحلفاء من إكمال التقدم السريع نحو الشمال الإيطالي والوصول إلى العاصمة روما، وهو ما نال إعجاب الفرنسيين فقاموا بترقيته ثانية إلى رتبة "رقيب"¹. بقي المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي على مر عقود طويلة محل إشادة وإعجاب من طرف الكثير من الفرنسيين نظرا لما أظهروه من شجاعة وقوة لا يضاهيهم فيها أحد في مرافقة الجيش الفرنسي المحارب لخصومه في جبهات القتال، حيث اعترف الكثير من الجنرالات بقدرات هؤلاء المجندين وكفاءتهم وهو ما جعل السلطات الفرنسية تحرص دوما على الاستعانة بهم في حروبها، وكان الإمبراطور "نابليون الثالث" قد عبّر عن مدى إعجابهم بالمجندين الجزائريين كونهم ساهموا كثير في تحقيق إنجازات عسكرية باهرة لطالما أدخلت السرور على الفرنسيين، وهذا ما وضّحه في برقيته إلى الإمبراطورة، والتي قال فيها: "إن الرماة الجزائريون قد أنجزوا عملا رائعا لا يقل أهمية وعظمة عما سبق لهم تحقيقه في حرب القرم، ولهذا صار من الضروري دائما استخدامهم إلى جانب جيوشنا الوطنية في أية حرب أوروبية بعد أن اتضح ما للجزائريين من اندفاع وجرأة فائقة غير قابلة بأي حال من الأحوال للتشكيك أو الطعن..."²

استمر اللواء الفرنسي في التقدّم شمالا ولم يكتفي بتحرير الشمال الإيطالي بل دخل التراب الفرنسي بعد أن أخذ اتجاه الغرب باتجاه مدينة "لابروفونس" "la Provence" التي وصلها في أوت سنة 1944، ثم الوصول إلى "سان تروبي" "Sant Torobi" ليصل بعدها إلى مدينتي "تولون" "Toulon" ثم "مرسيليا" "Marseille" وهناك أُقيم نصب تذكاري بـ "نوتردام دي لاغارد" "Notre-Dame de la garde" اللواء السابع الجزائري تخليدا لأهمية الحدث، ومنها واصلوا التقدم من أجل تحرير "كولمار" "Colmar" و"ستراسبورغ" "Strasbourg" التي وصلت إليهما أيضا القوات الأمريكية قادمة من الساحل النورمندي فتّم السيطرة عليهما في مدة وجيزة ومنها كان الدخول إلى ألمانيا التي استسلمت في النهاية.³

اضطّرت ألمانيا للاستسلام بعد أن وجدت نفسها محاصرة من جميع الجهات، القوات السوفيتية من جهة وقوات الحلفاء من جهة أخرى، وانتهت بذلك الحرب العالمية الثانية في أوروبا في ماي 1945، في حين بقيت مشتعلة ومستمرة في المحيط الهادي حيث ظلّت اليابان الحليفة لألمانيا تقاتل القوات الأمريكية هناك قبل أن تعلن هي الأخرى استسلامها في سبتمبر 1945 بعد تفجير الولايات المتحدة الأمريكية لقنبلتي "هيروشيما" و"ناكازاكي" في 06 و 09 أوت من السنة نفسها، وهكذا حُسمت الحرب لصالح الحلفاء بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي خرجت من عزلتها السياسية لتبرز مكانتها كقوة عالمية، ستبدأ مرحلة جديدة من تاريخها في محاولة السيطرة على العالم ونشر مذهبها الليبرالي بصراعها الإيديولوجي مع الكتلة الشرقية ذات المذهب الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي.

1 نفسه، ص 29.

2 Albert Duruy, Etudes d'histoire Militaire, 1^{er} volume, éditeur Librairie Hachette et Cie, Paris, 1988, p 130.

3 مشاطي، مصدر سابق، ص 30.

هكذا شارك "مشاطي" في الحرب العالمية الثانية منذ بدايتها سنة 1939 طيلة ست سنوات كاملة إلى غاية نهايتها سنة 1945، رغم أنها لم تكن حربا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد، وليس له فيها ناقة أو جمل، سوى أن الظروف القاهرة التي أنتجها الاحتلال الفرنسي على الجزائر كانت أكبر دافع للمشاركة فيها رغم كل المخاطر، على غرار الكثير من أبناء الأهالي الذين اضطروا إلى التضحية بأنفسهم وبصحتهم البدنية والنفسية لقبول التجنيد في صفوف القوات الفرنسية مقابل أجور وامتيازات ضئيلة لم تكن تعكس حجم التضحيات والبطولات التي كانوا يقدمونها في ساحات الوغى، وإذا كان "مشاطي" قد كتب الله له عمرا جديدا وعاد سالما إلى أرض الوطن فإن الكثيرين من أقرانه قد لقوا حتفهم في تلك المعارك والحروب، أو عادوا بتشوهات وإعاقات جسيمة زادت وضعهم المعيشي سوءا ووضعت عائلاتهم قهرا.

لم يهنا "مشاطي" ورفاقه بخبر انتهاء الحرب في أوروبا ومشاركتهم في تحقيق هذا الانتصار على الديكتاتورية حتى سمعوا بخبر المجازر الوحشية المرتكبة في حق الجزائريين في نفس اليوم لاسيما في "سطيف" و"قلمة" و"خرطة"، والتي راح ضحيتها حسب تقديرات أولية أزيد من 45 ألف شهيد وأكثر من 100 ألف معتقل في كل ربوع الوطن، ما جعل مشاعر الفرح والابتهاج تتحول إلى مشاعر حزن وغضب شديدين غطت على مسار رحلتهم في العودة إلى الجزائر، ففي الوقت الذي يحتفل العالم أجمع بطعم الحرية ظل الشعب الجزائري يقاسي الأمرين حيث العنف الدموي والقمع اللامتناهي على يد أفراد الشرطة والعساكر الفرنسيين وميليشيات المستوطنين التي تم تسليحها خصيصا لهذا الغرض وقتل أكبر عدد من الجزائريين المشتاقين للحرية والاستقلال إلى درجة تخصيص أفران لحرق الجثث المنتشرة في كل مكان في محاولة لإخفاء تلك المذابح قدر الإمكان.

بعد وصول "مشاطي" إلى الجزائر لم يُحوّل إلى قاعدة "سطيف" التي انطلق منها بل تم نقله إلى عين طاية" في محاولة لقادة الجيش الفرنسي إخفاء حقيقة المجازر المرتكبة والتي نالت "سطيف" شرف الحصيلة الأكبر من الضحايا والشهداء، وهذا ما يمكن استنتاجه من قول "مشاطي": "بساحة بيجو ألقى قائد الجيش التاسع عشر خطابا على مسامعنا وقال لنا لقد قاتلتم ببسالة وستستفيدون من شهر عطلة بين عائلاتكم... هناك أحداث خطيرة حصلت هنا... والناس يبالغون فحذروا... لا تنصتوا كثيرا لما يقال عنها، لكن بعد ذهابي إلى عائلتي عرفت عن طريق قريب "رشيد"، وأصدقائي "عبد الرحمن غراس"، و"عبد السلام حباشي" حجم المجازر التي حصلت بالفعل، وأن الجزائر عامة وسطيف، قلمة، خرطة، وعموشة قد عاشت الجحيم".¹

وصف "آيت أحمد" هذه المجازر فقال: "أنها عبارة عن حرب سياسية ونفسية ليست بالجديدة، حيث لم تنقطع ولم تتوقف منذ بداية الاستعمار في 1830، كان القمع والعمليات العسكرية تسبق أو تتبع بحملات دعائية، والغاية هي إخضاع الشعب الجزائري، وبالتالي كان النقاش ممنوعا لأن ذلك يعني تفتحا

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 30. 31.

واستماعا ودراسة مشتركة وجدلية، حرية التعبير التي يفرضها النقاش السياسي تتنافى مع الواقع الاستعماري¹، أما "الإبراهيمي" فقد وصف بشاعتها بقوله: "لو أن تاريخ فرنسا كُتب بأقلام من نور ثم كُتب في آخر فصل من هذه الفصول المُخزية بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة، لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"²، وفحوى كلامه هذا هو أن بشاعة تلك المذابح يكفي لتلطّيح تاريخ فرنسا كله بالسواد، وحسب هفان تلك الأعمال لو شهدها فرعون لتبرأ منها ولافتخر لعدم ارتكابه لها.³

المطلب الثاني: كفاحه السياسي في الجزائر

1. نضاله في حزب الشعب الجزائري:

كان وقع الصدمة من المجازر قوّيا على "مشاطي" حيث سيكون منعرجا حاسما في تغيّر حياته من مجند في الجيش الفرنسي إلى ثائر ومناضل حر من أجل تحرير بلاده وشعبه من غطرسة هذا المحتل الذي لا يقدر قيمة ما قدمه له أبناء هذا الشعب لتحريره من قبضة الألمان، ولا ما قدمه لهذا البلد من خيارات وثروات مكنته من مواصلة الحرب وخففت عنه ثقل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبته طيلة فترة الحرب، لذلك قرّر "مشاطي" التخلي بشكل رسمي ونهائي عن خدمة هذا المحتل الغاصب والتصدي له بكل ما أوتي من قوة وخبرة سواء التي اكتسبها من الحرب أو التي أكسبته إياها مرارة السياسات الاستعمارية التعسفية التي رسّخت قناعاته الوطنية أكثر، ولم يثنه عن ذلك لا قوة المستعمر ولا الترقّيات التي سبق وتحصّل عليها نظير خدماته العسكرية، فطلب تحريره من القوات المجندة لبدء حياة جديدة من النضال والكفاح وهو في سن الرابع والعشرين من عمره.

وباعتبار حزب الشعب آنذاك الحزب الوحيد المطالب بالاستقلال التام للجزائر فقد كان الأمل الوحيد للجزائريين حيث يملك قاعدة جماهيرية وشعبية كبيرة، ومن هذا المنطلق كان انضمام "محمد مشاطي" إليه بمساعدة ابن عمه الذي كان يدعى "كرواز" سنة 1945، حيث أدخله في إحدى خلايا الحزب السرية والتي كانت برئاسة "محمد مغلاوي" وشرع في العمل بانضباط وانسجام كبير مع بقية المناضلين في الحزب وهدفهم جميعا تحقيق الاستقلال في أقرب الآجال، وفي الوقت نفسه ظل يحاول الحصول على وظيفة تكفل له لقمة العيش، وبعد محاولات عديدة استمرت لسنوات، تمكن أخيرا من العثور على عمل منتظم عام 1949 كمصوب ميكانيكي في المؤسسة الجهوية العسكرية.⁴

زاد إجحاف سياسة فرنسا الاستعمارية في حق الجزائريين من قناعة "مشاطي" الوطنية على غرار باقي الجزائريين بضرورة التخلّص من هذا الظلم وإعادة الحقوق لأصحابها بعد طرد هذا المحتل الغاصب،

1 حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح (1942 . 1952)، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص 41.

2 سعدي بوزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة، 2005، ص 30.

3 بشير فايد، مجازر 8 ماي 1945 كما تحدث عنها البشير الإبراهيمي، سطيف، منظمة المجاهدين، 2009، ص 121.

4 مشاطي، مصدر سابق، ص 35.

وهو ما زاد من إصراره على دعم حزب الشعب، الذي كان آنذاك تحت قيادة "الأمين دباغين"، و"محمد بلوزداد"، وكان هذا الأخير قد تم إرساله إلى عمالة الشرق بهدف القيام بمهمة إحياء الحزب بعد الخسائر الكبيرة وسلسلة الاعتقالات الواسعة التي تعرّض لها مناضلوه طيلة شهر ماي 1945، كونهم المتهمون بتحريض الشعب الجزائري على التظاهر ومطالبة فرنسا الوفاء بوعودها، إذ وُجّهت الاتهامات من كل حذب وصوب لحزب الشعب، سواء من قبل فرنسا أو حتى من بقية الأحزاب السياسية التي كانت تنشط آنذاك، لهذا كانت حصة الأسد من الاعتقالات والتوقيفات من نصيب مسؤوليه ومناضليه.

الحقيقة أنه حتى ولو كان حزب الشعب المسؤول الأول عن تنظيم تلك المظاهرات فإنه لم يكن المسؤول عن نتائج ما حدث من انتهاكات صارخة للقوانين الدولية والأعراف الإنسانية، حيث فاق هول المنظر تصور العقل البشري، وهذا ما غفلت عنه الإدارة الفرنسية أو بالأحرى حاولت تجاهله إذ أنها وبدل أن تهتم باتهام المتسببين في ارتكاب تلك المذابح البشعة راحت تركز اهتمامها على اتهام حزب الشعب على نشر الوعي لدى الجزائريين ودعوتهم إلى كشف الوجه الحقيقي للدكتاتورية الفرنسية التي زعم العالم أنه قضى على الدكتاتورية . النازية والفاشية . ونشر الديمقراطية، لُثبت مجازر الثامن ماي 1945 حقيقة تلك الديمقراطية المزعومة للغرب الأوروبي وحليفه الأمريكي.

تعرف "مشاطي" في نهاية 1945 على "محمد بلوزداد" الذي كان يحمل اسما مستعاراً هو "سي مسعود" وقد شهد له "مشاطي" بامتلاكه لثقافة سياسية واسعة وإتقانه للغتين الفرنسية والعربية، وهذا يدل على حسن اختيار المسؤولين والقادة في حزب الشعب، وأن العملية كانت تتم وفق شروط ضرورية تنصدها الكفاءة والوطنية وحسن الخلق، وكان "بلوزداد" عند حسن الظن حيث نجح في إعادة تنظيم الحزب بتفان كبير وفي فترة زمنية وجيزة، حيث قام باختيار كل من "عبد السلام حباشي"، "عبد الرحمن غراس"، و"محمد مشاطي" للقيام بمهمة خطيرة وهي نقل البريد السري وتوزيع المنشير والجرائد والتعليمات المختلفة للحزب، إضافة إلى كتابة شعارات حائطية مطالبة بتحرير القادة السياسيين المعتقلين خاصة "مصالي الحاج" الذي كان معتقلاً في "الكونغو برازافيل" وكذا "فرحات عباس" و"البشير الإبراهيمي" المعتقلين في السجن العسكري بقسنطينة.¹

يبدو أن تركيز فرنسا لانتهاوماتها على حزب الشعب دون بقية الأحزاب السياسية الناشطة آنذاك كان مُتعمداً كونه أكثر الأحزاب جرأة في المطالبة بالاستقلال التام للجزائر، إلى جانب ذلك هدفت أيضاً من تركيزها ذلك إلى إعادة تقسيم صفوف الحركة الوطنية وإضعافها من خلال استمالة تيار معين على حساب بقية التيارات، غير أن مفعول التضامن الذي حدث بين تلك التيارات السياسية والذي جسّدته "حركة أحباب البيان والحرية" سنة 1944 ظل سارياً بعد انتهاء الحرب وازداد قوة وصلابة بعد مجازر الثامن ماي

1مشاطي، مصدر سابق، ص36.

1945، بدليل عدم اقتصار مناظلي ح.ش.ج الدفاع عن قادة حزبهم فقط بل كانت مطالبهم الإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين بما فيهم رواد التيار الإدماجي سابقا وكذا مناظلي جمعية المسلمين الجزائريين. الحقيقة أن مواقف ح.ش.ج المعادية للاستعمار كانت واضحة وجليّة منذ ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث كانت معارضته شديدة لتجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، فقد جاء في إحدى نداءاته: "لا شأن لنا مع أعداء لا نعرفهم"¹، ومن هذا المنطلق قام أعضاء الحزب بحملات توعية لحثّ الشباب الجزائري على رفض التجنيد والدخول في حرب لا تفيدهم في شيء²، وذلك من خلال توزيع وثائق ونشرات سرّية جاء في إحداها "فرنسا لم تُقدّم لنا شيء فلماذا الموت من أجلها؟"³، لهذا تمّت حملة الاعتقالات الفرنسية المستهدفة لمناظلي الحزب على نطاق واسع، وجعلت معظم قادة الحزب في تلك الفترة في السجون والمعتقلات منذ اندلاع الحرب⁴، ثم توسعت وازدادت شراسة بعد انتهاء المواجهة وارتكاب مجازر الثامن ماي.

مثلما استمرت الاعتقالات الفرنسية ضد مناظلي الحزب، استمر "مشاطي" أيضا في توعية الجزائريين وكشف التجاوزات الفرنسية في حقّ شعب أعزل لم يكن ذنبه سوى مطالبتها الوفاء بوعودها التي سبق أن قطعتها عليه، مستخدما في ذلك وسائل متعددة كان أهمها وأكثرها فعالية طبع المناشير حيث ذكر أنها كانت تُطبع في قسنطينة بمطبعة النجاح التي كان يسيّرهما "مامي إسماعيل" و"عبد الرحمن ماضي"، إضافة إلى وسائل الدعاية الأخرى التي كانت تصلهم من مدينة الجزائر من طرف كل من "زين العابدين مومجي" و"أحمد حدانو" الملقب بالكابا⁵، وقد لعبت تلك المناشير السرية المُنددة بالتجاوزات الفرنسية دورا بارزا في كشف عمليات التوقف التعسفي أو المظالم المقترفة قصدا اتجاه مناظلي الحزب⁶، كما استطاع هذا الأخير تحقيق نتائج عديدة في مجالات التنظيم والتكوين والتوعية حتى أصبحت نشاطاته تلك تؤدي إلى ردود فعل شعبية قوية مناهضة للاحتلال، ومُطالبَة باسترجاع الاستقلال الوطني كاملا⁷.

استمر "مشاطي" في مهمته بتوزيع مناشير ح.ش.ج في منطقة الشرق كاملة سواء في قسنطينة أو عنابة أو تبسة أو سكيكدة، وكان ناجحا في تأدية مهامه والعودة منها سالما، وهو ما ساعد في زيادة نضجه السياسي منذ انضمامه لحزب الشعب والعسكري منذ سنوات تجنيده في القوات الفرنسية خلال الحرب

1 عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص172.

2 عبد القادر جيلالي بلوفة، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1939 - 1945) في عمالة وهران، ط1، دار الألمعية، الجزائر، 2011، ص14.

3 حميد عبد القادر، فرحات عباس (رجل الجمهورية)، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص81.

4 Jaques Simon – Messali El Hadj (1898- 1974), La passion de l'Algérie libre, éd, tréasias, Paris, 1998, p22.

5 مشاطي، مصدر سابق، ص36.

6 دوم، مصدر سابق، ص33.

7 Mohammed Harbi, Aux origines du Front de libération nationale: la Scission du P.P.A-M.T.L.D, éd. Christian Bourgois, Paris, p 21.

العالمية الثانية، وتعرّف على مفاهيم جديدة زادت من ثراء قاموسه السياسي كان أهمها مفهوم "التمرد ضد المستعمر الفرنسي" يقول في هذا الصدد: "في الواقع تكوّنت أكثر وصرّت أكثر اعتمادا على نفسي، ذلك أن الدور الذي كان يلعبه الحزب في هذا التكوين كان يتلخص غالبا في المناشير والجرائد التي كنّا نتلقاها ونوزعها، لاسيما أنني كنا نقرأها باهتمام كبير، وهي من سيّستنا أكثر... كنا نعي جيدا أن بصدد ترجمة أحاسيس الشعب وجراحه العميقة، مدفوعين بقناعتنا بأهمية امتلاكنا لأسلوب الإقناع وهو ما جعلنا مع مرور الوقت أكثر نضجا وفعالية"¹

أصبح "مشاطي" بفضل نشاطه في ح.ش.ج أكثر حنكة وأكثر ثقة ومتانة، ونظرا لكونه من أولئك الذين لهم تجربة في الجيش والحرب، فقد تم إلحاقه بالجنح العسكري للحزب والممثل في "المنظمة الخاصة" نهاية سنة 1947، بهدف الاستفادة من تجربته تلك في التحضير للكفاح المسلح، وقد نشط قائدا لإحدى الفصائل الثلاث للمنظمة الخاصة بقسنطينة، وكان "محمد بوضياف" هو من المسؤول على المنظمة الخاصة لعمالة قسنطينة، وكان يعتمد إلى جمع قيادة أركانه في بيت منعزل بالقرب من منعرجات وادي الرمال، وكان فريقه يتشكل من "العربي بن مهيدي"، "عبد الرحمن غراس"، "ديدوش مراد"، و"شرقي إبراهيم"، إضافة إلى "عبد السلام حباشي" و"رابح بيطاط" الذين كانا على رأس بقية الفصائل الثلاث للمنظمة الخاصة بالمنطقة، وكلهم يشتغلون تحت إشراف "بوجمعة صالح" الذي كان يدعى "ماندو".²

أثبت ح.ش.ج مرة أخرى تميزه عن بقية الأحزاب السياسية التي كانت تمثل الحركة الوطنية في الجزائر، فمثلما تميّز عنها من قبل بمطالبة الثورية والاستقلالية، عاد في فيفري سنة 1947 ليؤكد من جديد تميزه، باستيعاب النضال المسلح الذي بدأ ممارسته بشكل تدريجي عكس باقي التشكيلات السياسية الأخرى التي لم تكن قد استوعبت بعد هذا المسار، وذلك من خلال تأسيسه للمنظمة الخاصة التي مثلت البعد العسكري للحزب وكانت بمثابة اللبنة الأساسية لتأسيس جيش التحرير الوطني الذي خاض الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي، فهي التي قامت بتزويد الحركة الوطنية بإطارات وكفاءات تلقت تكويننا عسكريا وسياسيا، ولعبت دورا بارزا في مجال التجنيد والتكوين، ومن هذا المنطلق فهي فعلا تعد الركيزة الأساسية للمنظومة الثورية والواجهة الأساسية للثورة وباكورة نضج الحركة الوطنية، وقاطرة نضال التحرير الوطني.

تطور النضج السياسي لـ "مشاطي" مع مرور الوقت وازدادت قناعاته الوطنية بضرورة المضي قدما حتى تحقيق الاستقلال مهما كانت التضحيات، وأول ما ضحى به كان عمله ففي سبتمبر 1949 قرر الاستجابة لسلطة الحزب وترك عمله في المدرسة العسكرية للتفرغ أكثر للنضال، وتوجه مباشرة إلى مدينة الجزائر وهناك التقى بمناضلي المنظمة الخاصة وعلى رأسهم "بوضياف" - سي الطيب - و"بن مهيدي" -

1 مشاطي، مصدر سابق، ص ص 37. 38.

2 نفسه، ص ص 41. 42.

حكيم . و " ديدوش " . عبد القادر . وأصبح عمله الأساسي هناك قائدا منطقة للمنظمة الخاصة للجهة العاصمة وباسم مستعار هو " سي منصور"، وقد شملت تلك الجهة " بئر خادم، بوداوا، بال فونتين، مينرفيل باليسترو أو الأخضرية حاليا، المدية، البرواقية، قصر البخاري، والشلالة"، وتولى عدة مهام كان أهمها تحضير المناضلين للقيام بعمل مسلح كجمع المعلومات ورصد مكان الدوريات العسكرية ومعرفة كيف وأين يمكن مواجهة العدو ومعرفة الأماكن التي تضمن للمنفذين الانسحاب الآمن.¹

أثناء تنقلاته في المنطقة لاحظ "مشاطي" نقطتين واحد إيجابية والأخرى سلبية، أما الإيجابية فهي الاستعداد الكبير لدى الجزائريين خصوصا أهل القرى والمناطق الجبلية للكفاح المسلح وانتظارهم له بترقب كبير، وأما الثانية فهي الرقابة الفرنسية الشديدة المفروضة على سكان تلك المناطق فهم كانوا يعيشون على حد تعبيره تحت وطأة الإقامة الجبرية حيث يتربص الجميع تحركاتهم من أعوان الشرطة إلى الحركي والحراس ومخبريهم، وكل حركة من طرف هؤلاء خارج قراهم أو أحيائهم الأهلية تثير الشبهات التي تجعل محل بحث وتحقيق أو سجن واعتقال، وهذا ما صعب من مهمته في جولاته الاستطلاعية للتعرف أكثر على طبيعة تلك المناطق وسكانها وتحريره الدائم لسلوك الحطة القصوى، وقد أشار إلى صعوبة الوضع بقوله: "... كان العمل مرهقا جدا والضغط النفسي أحيانا لا يطاق..."²

في خضم هذه الحالة المزرية والأوضاع السيئة نتيجة للفقر والجوع وسوء المعيشة وصعوبة التنقل، كان مناضلو ح.ش.ج يشتغلون تحت ضغط رهيب حيث الحرص الدائم على أخذ الحيطة والحذر والانتباه لكل شاردة وواردة، فقد كان أي خطأ مهما كان بسيطا قد يؤدي إلى كارثة حيث ينتج عنه سلسلة واسعة من الاعتقالات والمطاردات، وإلى جانب هذه الظروف زادت سياسة العقاب القاسي التي كانت تُطبق من طرف مسؤولي الحزب على أية أخطاء مرتكبة من صعوبة العمل والتنسيق بين مختلف المناضلين عبر ربوع الوطن، لكنها في الوقت ذاته زادت حالة التأهب الدائم تلك والاستعداد الكبير خوفا من العقاب الفرنسي أو الحزبي من تدريب مناضلي "ح.إ.ح.د" لتحمل مسؤوليتهم الكاملة واختبار مدى قدرتهم على تجاوز مخاوفهم وهو ما سيجعل منهم ثورا قادرين على خوض غمار الكفاح المسلح وتحدي سياسة الاحتلال فيما بعد.

لم تتوقف السلطات الفرنسية من محاولة القبض على "مشاطي" وبقيّة عناصر المنظمة الخاصة وظلت تقوم بعمليات بحث حثيثة لمطاردتهم وفي كل مرة كان "مشاطي" يتمكن من الفرار، لهذا تقرر تعيينه قائد ناحية في المنطقة الوهرانية بهدف تدعيم الحركة السياسية داخل ح.إ.ح.د في الفترة ما بين 1951 . 1953، وقد تولى بالضبط قيادة دائرة "معسكر"، "سعيدة"، "الببيض" التي كانت تسمى آنذاك جيري فيل، "مشرية"، "عين الصفراء"، "بني ونيف"، "بشار"، "القنادسة" التي كانت المحطة المهيأة للقطار، وهناك

1 مشاطي، مصدر سابق، ص ص 45 . 47.

2 نفسه، ص ص 47 . 48.

التقى "مشاطي" بالعديد من المناضلين أمثال "بن معيدي"، "بن عبد الملك"، "بوصوف"، "ديدوش"، "بركات"، "حباشي"، "غراس"، وكلهم كانوا في المنطقة القسنطينية من قبل باستثناء "ديدوش" الذي كان في المنطقة العاصمة، كما كانوا جميعا مطاردون ومدانون ومحل اهتمام الشرطة الفرنسية.¹

حدث تحول في مسار "مشاطي" بعد انتقاله إلى المنطقة الوهرانية كنتيجة للتحول الذي عرفته ح.إ.ح.د. والمتمثل في الانتقال من السرية إلى الشرعية والعمل الانتخابي وهو ما نتج عنه اضطرابا شديدا لدى كافة المناضلين كونه شكل قطيعة مع تقاليد الحركة، لاسيما من ناحية اضطرابهم للتكيف مع الأساليب العلنية للكفاح وهم من اعتاد العمل في السرية التامة²، وهذا ما أشار إليه "مشاطي" عندما قال: "المفارقة في وظيفتنا الجديدة أن كان يتعين علينا القيام بنشاط شرعي مع أننا سرّيون"³، وقد نتج عن هذا التحول انقسام كبير في الحزب ومعارضة شديدة بين المؤيدين والمعارضين لهذا القرار، خصوصا ببروز تيار شباني مثقف رافض إتباع مصالي وقواعده النضالية الجديدة وهو ما سينتج أزمة خانقة عمقت الفجوة بين قيادة الحزب الحاكمة وقاعدته النضالية.

أصبح جل مناضلي "ح.إ.ح.د." من المثقفين يرون أن الحزب قد حاد عن مبدئه الأساسي، وابتعد عن الهدف الحاسم للمعركة، بعد انخراطه في السياسة الانتخابية التشريعية، بينما رأى المؤيدين للمشاركة في الانتخابات أنهم لم يحدوا أبداً عن مبدأ التحرر الذي يتطلب النضال بكل الوسائل والأساليب الممكنة والتماشي مع المتغيرات الحاصلة، وهذا ما أكدّه "لحول" في المؤتمر السري للحركة في فيفري 1947 حين ذكر أن المشاركة في الانتخابات قد تمت بعد التأكد من أهميتها الإستراتيجية.⁴

باشر "مشاطي" نشاطه فور وصوله إلى المنطقة ينتقل من مدينة إلى مدينة للتكلم عن التنظيم السياسي وليس النشاط العسكري مثلما اعتاد على ذلك من قبل في المنطقتين القسنطينية والعاصمة، وقد ذكر في هذا الصدد: "كنت ألتقي مسؤولين محليين أتابع تقاريرهم، أجمع مال الاشتراكات للحزب وأتلقى تعليماته، على غرار انتقاله بين مختلف فئات السكان والجمعيات والعمال والكشافة والطلبة لتوزيع المذكرة التي تم توجيهها سنة 1951 إلى الأمم المتحدة والتي تضمنت تصريح حركة الانتصار بحرية الشعب الجزائري في التحرك كونه في حالة حرب وبالتالي فهو غير ملزم بأي قرار يؤخذ خارج نطاق اختياره الحر والمستقل".⁵

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 54.

2 جيلالي تكران، "الصراع داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين الإصلاحية والثورية 1946 . 1950"، مجلة المفكر، ع 06، جامعة

الجزائر 02، ديسمبر 2019، ص 172.

3 مشاطي، مصدر سابق، ص 54.

4 Benyoucef Benkhedda, op. cit, p127.

5 مشاطي، مصدر سابق، ص 54.

قضى "مشاطي" مدة سنتين في المنطقة الوهرانية بنفس الحماس والنشاط الذي اعتاد عليه في التيطري، وتنفيذ التعليمات بنفس النجاعة والحذر باستعمال وسائل التمويه المألوفة في نشاطاته وتحركاته، وقد لعب دورا بارزا في تخليص المنطقة من تأثيرات الأزمة البربرية التي كانت قد وصلت إليها لاسيما بوجود العديد من المناضلين القبائليين في الحزب، مُرسّخا لدى الجميع أن الكفاح التحرري هو المستقبل القريب ولتحقيق ذلك لابد من الابتعاد عن سياسة التفرقة التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية ويساعدهم عليها بعض الأشخاص بنية تضخيم المشاكل ومن ثم فصل المسؤولين القبائليين، حيث قام بدعوة الجميع إلى عقد جمعية عامة تجمع أكبر عدد من المناضلين مع المسؤولين المحليين وأكد خلالها ضرورة المحافظة على التنظيم من المناورات الدنيئة مع الاستمرار في العمل دون توقف والتركيز على الهدف الأسمى وهو الاستقلال.¹

كان "مشاطي" محققا عندما نسب هذه الأزمة إلى فرنسا كونها كانت تعمل وفق سياسية "فرق تسد"، فحاولت منذ احتلالها للجزائر خلق صراعات وهمية بين العرب والقبائل لتشكك كل طرف في الآخر، وتحل التفرقة بين أبناء المجتمع الواحد²، وقد نجحت بسياستها تلك في التأثير على بعض الجزائريين من النخبة المفرنسة³، التي اتخذت من فرنسا القاعدة الأولى لنشاطهم وأمام التشجيع الفرنسي الامتناهي لهم نجحوا في خلق أزمة حقيقية في ربيع 1949 حين وصلوا إلى درجة انتخاب لائحة تدين أسطورة العربية وهو ما دفع بقاعدة الحزب إلى الاحتجاج ضد هذه العناصر المشبوهة⁴، التي اعتبرت البعد البربري إحدى مكونات الهوية الجزائرية وفجرت بذلك الأزمة وزادت من حدتها⁵، عندما تجرأت على الجهر بمعاداتها للعروبة والإسلام في سابقة خطيرة من نوعها.⁶

ظلت تلك العناصر المنشقة تثير المخاوف داخل الحزب وتنبئ بأزمة كبرى على المديين القريب والبعيد خانقة فقد نجحت في إحداث شرخ كبير داخل الحزب لاسيما في ظل الدعم الكبير الذي حظيت به من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي⁷، وهذا ما أكدته المؤرخ "عمار بوحوش" بأن المتسببين في تلك الأزمة هم عناصر يسارية من القبائل الكبرى معظمهم متواجد في فرنسا، ومسيطرون على خلايا الحزب واللجنة المركزية، برز دورهم جليا حينما شككوا في عروبة الجزائر وإسلامها واتهامهم لمصالي بتعطيله للعمل الفكري، وعلى إثر ذلك طلب "علي بناي" وهو واحد منهم بإنشاء منطقة للمتكلمين باللهجة القبائلية غير

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 55. 56.

2 عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، مجلد 05، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 119.

3 شارل أندري فافروود، الثورة الجزائرية، تر: عبد الرحمن كابوية، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص 29.

4 بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان، الجزائر، 2004، ص 231.

5 مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 257.

6 العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 165.

7 أرزقي باسطة، مواقف وشهادات عن الثورة الجزائرية إيماننا بالله والإسلام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 114.

أن طلبهم قبول بالرفض من طرف اللجنة المركزية، لكن إصرارهم استمر ونجحوا سنة 1948 في وصول أحد عناصرهم وهو "علي يحيى" إلى فدرالية فرنسا بدعم من "علي بناي" وهنا تأكد سعيهم لإنشاء شعبية بربرية¹، غير أن مساعيهم باءت بالفشل كونهم لقوا رفضا ومعارضة حتى من أبناء جلدتهم، فالكثير من العناصر القبائلية نفسها قد واجهت هذا الانقسام، على غرار "كريم بلقاسم" الذي تولى تصفية المعارضين من القبائل لمصالي الحاج²، "أعمر أو عمران"، "القبطان العيد"، "كريم أو عمران فتحى" وغيرهم، وقد تولى هذا الأخير بنفسه تصفية الرأس المدبر للحركة البربرية "ولد حمودة" وأنقض الحزب والجزائر من شره³.

ذكر "مشاطي" في مذكراته موقفا مؤثرا للعناصر القبائلية التي وقفت في وجه الانقساميين والمتسببين في الأزمة فقال: "أثناء الجمعية التي عقدتها مع العديد من مناضلي ومسؤولين الحزب في البيض، لاحظت أن هناك شخصين يعملان على تضخيم المشكل من أجل فصل المسؤولين القبائليين، فانفجرت أمام تلك الأفكار الدنيئة وذكّرت الجميع أن الكفاح التحرري هو مستقبلنا القريب، لذلك فإن الوحدة حيوية ومهمة بالنسبة لنا، وأكدّ أن الأسى الاستعماريين ما فتئوا يمارسون سياسة التفرقة قصد السيطرة علينا فيضربون طائفة بأخرى ومنطقة بأخرى وزاوية بأخرى، ينبغي أن نحصر جميعا على أن لا يتضرر التنظيم من المناورات الدنيئة وأن يستمر العمل دون ضعف، وهكذا مسّت كلماتي جميع الحاضرين فدمعت أعين بعضهم تأثرا وتوبة"⁴.

بأمثال "مشاطي"، "كريم بلقاسم" وغيرهم من المناضلين المخلصين لمبادئ القومية والشخصية الوطنية والواضعين دائما المصلحة العليا للوطن فوق كل اعتبار، تمكّن الحزب من تجاوز الأزمة البربرية وتجنب الجزائريين انعكاساتها الخطيرة على تماسك المجتمع، إضافة إلى تفويت الفرصة على الإدارة الفرنسية التي سعت لتغذية الصراع أكثر وإظهاره للرأي العام على أساس أنه صراع عربي بربري لا علاقة للوجود الفرنسي وسياسته به، وإفشال المؤامرة التي كان يدبرها أعوانها في الخفاء، حتى أن الذين وجدوا أنفسهم متورطين في الأزمة قد سارعوا إلى التراجع والابتعاد عن مفتعلي الأزمة، مؤكدين ذلك بتصريحاتهم لوسائل الإعلام أنه لا يوجد إلا شعب واحد في الجزائر ولا وجود لحزب الشعب القبائلي⁵.

قضى "مشاطي" فترة تعيينه في الغرب الجزائري منتقلا بين مختلف القرى والمدن وصولا إلى الجنوب الغربي حتى الحدود المغربية، وكان كلما تعرض لتوقيف الشرطة الفرنسية يتظاهر بأنه جاء باحثا عن فرصة للعمل في المنطقة كونها تحتوي على العديد من المناجم، وفي كل مرة ينجو بنفسه بهذه الحجة، وفي شهر ديسمبر 1953 تعرض لوعكة صحية ناتجة عن تعرضه للأمراض صدرية جعلته منهكا وازدادت حالته

1 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 318.

2 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، مرجع سابق، ص 319.

3 أحمد علي محساس، أحاديث مع علي أحمد محساس، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2012، ص ص 55. 56.

4 مشاطي، مصدر سابق، ص ص 55. 56.

5 سعداوي، مرجع سابق، ص 255.

المرضية سوء مع مرور الوقت ما أرغمه على طلب استخلافه حتى يتفرغ للعلاج، وقد استجابت قيادة الحزب لطلبه وتم تعيين المناضل "بشير شبحاني" خلفا له في دائرة البيض، بينما انتقل هو إلى مستغانم (كساين وبيريغو) ليحل محل "غراس" لكنه تركها بعد ثلاثة أسابيع من تسلمه للمهام فيها ومحل مكانه " رمضان بن عبد الملك" في حين اضطر "مشاطي" للعودة إلى العاصمة.¹

2. موقفه من أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

انتهت الأزمة البربرية غير أن الأزمة السياسية في الحزب لم تنتهي بل زادت حدتها أكثر بعد اكتشاف المنظمة الخاصة في مارس سنة 1950 رغم طابعها السري، وكانت تلك ضربة موجعة للحزب وخطته في الاستعداد للثورة، ثم انفجرت أكثر بعد أن أحدثت اختلالا كبيرا في القيادة داخل الحركة، ووصلت إلى مفترق الطرق بين المصاليين والمركزيين، بعد أن تعصّب كل طرف لموقفه وفشل الحيايين في إعادة لّم الشمل من جديد رغم محاولاتهم الكثيرة، وبدأت الخلافات تطفو على السطح ليعرفها العام والخاص بعد ما كانت داخلية فقط بين مسؤولي الحزب، من كانوا يرون أن الحركة هي الأمل المتبقي للجزائريين كونها الحزب الوحيد المطالب بالاستقلال فأَيّ فشل أو انهيار لها سيُدخل الاتجاه الاستقلالي في فراغ سياسي وسيبديد آمال الشعب في التحرر واسترجاع السيادة الوطنية.

في خضمّ تلك الأجواء المكهربة والمشحونة بالتوتر وتعصّب كل طرف لرأيه²، وبهدف تجاوز تلك الخلافات وإعادة الحزب إلى مساره الصحيح كان قادة الحزب قد دعوا إلى عقد مؤتمر طارئ بحضور أكبر عدد من المناضلين وعلى رأسهم الزعيم مصالي الحاج، فتمّ إرسال العديد من الأعضاء لمدينة "نيور" أين كان يقيم، لجعله يساهم عن كُتب لعقد هذا المؤتمر³، في الوقت الذي أراد المركزيون قيادة جماعية، وأراد "بوضياف" ورفاقه الاستمرار في الاستعداد للعمل المسلح من خلال إعادة إحياء المنظمة الخاصة، التي كان أعضائها المتخفيين محل اهتمام الشرطة الفرنسية حيث كثّفت من مراقبتها الأمنية ومطاردتها لكل المشتبه فيهم⁴، وبعد سنة كاملة من التأخر عقد المؤتمر واستمرت أشغاله ثلاثة أيام من 04 إلى 06 أفريل 1953.⁵

خرج المؤتمر بعدة قرارات مسّت جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية، وكان أهم القرارات اعتبار الشعب المصدر الأول للسيادة الوطنية، والمحافظة على ركائز الهوية الوطنية

1مشاطي، مصدر سابق، ص 57 . 58.

2 Mohammed Teguai, L'Algérien guerre office des publications universitaires, Alger, 1979, p90.

3عبد الرحمن كيوان، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص 148.

4محمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، تر: حسين محمد الشريف بن دالي، ط2، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص188.

5Boualem Ben Hamouda, la révolution algérienne du premier Novembre 1954, Dar El Noamane, Alger, Janvier 2012, p144.

المتمثلة في العروبة والإسلام، مع العمل على إقامة جمهورية ضمن المبادئ الإسلامية¹، وانتخاب مصالي رئيسا للحركة مع تحديد صلاحياته²، وباعتبار العالم آنذاك يعيش صراعا إيديولوجيا بين الكتلتين الشرقية الشيوعية والغربية الرأسمالية فإن المؤتمر قد قرر إتباع أسلوب الحياد الإيجابي مع السعي قدر الإمكان لتدويل القضية الجزائرية³، وكسب حلفاء جدد لها في مختلف أصقاع العالم.

ظل الانشقاق حول تسيير الحزب مستمرا وظهر نزاع حاد بين المركزيين وأنصار مصالي، وأخذت الخلافات تشتد بين الأجيال القديمة والجديدة وبين الأساليب التقليدية والحديثة وبسبب تفوق الجيل الجديد على أنصار مصالي كونه جيلا مثقفا يملك من الخبرة السياسية ما يمكنه من فرض آرائه، فقد هاجم مصالي اللجنة المركزية بطريقة عنيفة⁴، فخبرته السياسية الكبيرة مكنته من ترصد الخطر الذي يشكّله هذا الجيل على مستقبله كزعيم للحزب وقائد لأكبر قاعدة شعبية، إلى درجة اعتباره لنتائج ذلك المؤتمر بالمؤامرة بعد أن شعر باهتزاز مكانته وزيادة عزله فأعلن رفضه القاطع للقرارات المتمخضة عنه، في الوقت الذي رفض فيه المركزيون أيضا قراراته ما أدى إلى انفجار الخلاف داخل الحزب، خصوصا بظهور قسمين فيه يطالب القسم الأول بإعطاء الأولوية للعمل السلمي وقاده "بن خدة" والأحول"، بينما طالب القسم الثاني بإعطاء الأولوية للعمل العسكري المسلح وقد قاده "بن بولعيد".

تحدث "مشاطي" عن بعض فصول تلك الأزمة وعن توسع الشرح في الحركة منذ مؤتمرها الثاني فقال: "عرفت سنة 1953 تواترت خطيرة داخل الحركة في مؤتمرها الثاني... حيث تم اختيار "رمضان بن عبد الملك" من طرف بوضياف وبن مهدي ليمثلنا، لأنه كان أكثرنا تأهيلا وأقلنا معرفة من طرف شرطة الجزائر... كان مصالي قد طلب الرئاسة مدى الحياة... وقد قام أتباعه الذين لم يكن لهم أي وعي سياسي أو تكوين ثقافي فكانوا مجرد أتباع بلا وعي لمصالي بحملة من أجل أن تكون له كل السلطات، وقد نكرتهم أغلبية اللجنة المركزية ولأول مرة كانت هناك مسألة إخفاق إيديولوجي وسياسي... لاسيما عندما وصفهم مصالي بالانحرفيين وأعداء الثورة واتهمهم بالضلوع في التعاون مع تيار الليبراليين الفرنسيين".⁵

أحدث الوضع الخطير السائد ردود أفعال متباينة بين عناصر الحركة بين مؤيد ومعارض لقراءة مصالي لتطورات الوضع، في الوقت الذي ظل "مشاطي" هادئا منتظرا التأكد من المصادر المقرّبة، حقيقة الخلاف والانفجار الذي حدث في القمة رغم أنه كان منتما للجنة المركزية إلا أنه رفع شعار الحياد في أفق الوحدة من أجل الكفاح القادم، وقد ذكر في هذا الصدد: "حرصتُ أن أستعلم من الأقرب إلى المصدر

1 بن خدة، جنور أول نوفمبر...، مصدر سابق، ص 312.

2 محفوظ قداش وأحمد صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830. 1962، تر: خليل أوزاينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 136.

3 أحمد نبيل بلاسي، الاتجاه الغربي والجزائري ودورهما في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص 143.

4 أحمد توفيق المدني، رد الأديب على حملة الأكاذيب، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 194.

5 مشاطي، مصدر سابق، ص 61.

خصوصاً أنني كنت حينها في مدينة الجزائر، وكان المراقب العام للحزب "دخلي بشير" قد شجّعني على الذهاب إلى قسنطينة... وكنت قد التقيت ببوضياف الذي أعلمني أنه تم إعادة إحياء المنظمة الخاصة وطلب مني أن أعيد بعثها في المنطقة القسنطينية والقل وسكيكدة وعزابة وباتنة وعين التوتة، فقبلتُ، سلّمني المعطيات وحدّد لي موعداً في قسنطينة... برغم التعب عدتُ للتحرّك في المدن المذكورة".¹

اشتدّ الخلاف بين أعضاء الحزب الواحد وبلغ الصراع أوجّه، بعد رفض مصالي لقرارات المؤتمر الثاني للحركة، وطالب من أنصاره عقد مؤتمر آخر لمعالجة الأزمة الداخلية للحزب، يكون خاص بهم في مدينة هورنو البلجيكية، وكانت أهم نتيجة لهذا المؤتمر هي تعيين مصالي رئيساً مدى الحياة وحل اللجنة المركزية واتهامها بالقصور، فردّ المركزيون أيضاً بعقد مؤتمر خاص بهم في مدينة الجزائر وكانت أهم قراراته التأكيد على أن النضال يجب أن يكون من أجل المصلحة العليا للبلاد وليس من أجل المصالح الشخصية²، حيث لم يكن لمصالي الحق في خرق قواعد الحزب كما أنه في ظرف ما قبل الثورة كان لا بد من كبح حب الذات.³

تمسّك كل قسم برأيه وزادت المحاولات للاستحواذ على القاعدة الشعبية من جهة والسيطرة على الحزب من جهة أخرى، رغم مساعي الحياديين لاحتواء الخلاف ولمّ شمل المنقسمين غير أن فشلهم في ذلك أرغمهم على تأسيس "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" في 23 مارس 1954 والتعجيل بتفجير الثورة قبل انفجار الأزمة أكثر، يذكر "مشاطي" في هذا السياق قوله: " كنّا الجيل الجديد ولم نعد نطيق الانتظار، كنا نريد الانتقال إلى العمل المسلح، لكن مصالي كان قد دمرّ الأداة الأساسية التي تسمح بتصوره مسبقاً، غير أن تصميمنا على الكفاح كان أكبر من كل العراقيل والتحديات الصعبة، فكانت "ل.ث.و.ع" بمثابة الطريق الجديد نحو الفعل".⁴

بعد عقد سلسلة من الاجتماعات للتعقّق أكثر في دراسة الأوضاع كان منها الذي تم يوم 23 أكتوبر 1954 والذي قررت فيه اللجنة الثورية حل نفسها، وإنشاء "حزب ج.ت.و" FLN وفرع عسكري لها سمي " جيش التحرير الوطني" ALN، كما تمّت المصادقة فيه على بيان أول نوفمبر⁵، ونسخ منشيره بسرعة بـ "إيغيل إيمولا" من طرف الإخوة زعموم والتي تمّ توزيعها في ليلة 30 أكتوبر⁶، والتأكيد على القيام

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 63.

2 عمار قليل، مرجع سابق، ص 128.

3 مشاطي، مصدر سابق، ص 64.

4 نفسه، ص 64.

5 جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830 . 1962، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2009، ص 458.

6 مشاطي، مصدر سابق، ص 71.

بالثورة المسلحة كآخر سبيل لتوحيد الجزائر وتجاوز الخلافات الداخلية ومن ثم تحرير البلاد¹، في حين رفضها الزعيم قطعاً وطالب بسلطته عليها: "أنا من يقوم بالثورة"²، ورأى غير ذلك محاولة مجنونة سيكون مصيرها الفشل المحتوم³ متحججاً بأن الوقت آنذاك لم يكن مناسباً، ومثلما رفض مصالي الثورة رفضت اللجنة المركزية رأيه أو سلطته عليها، وهكذا كان الشرخ عميقاً بين الطرفين لا ينبئ بأي توافق بينهما مستقبلاً، وهذا ما عبّر عنه "مشاطي" بقوله: "كانت ثورتنا تبدو في الأفق في أوضاع مزرية على المستوى التنظيمي والأخلاقي زادها عدم التحضير على المستوى الوطني..."⁴

انتهت صائفة 1954 في جو صعب وشديد الانسداد وتفاقم المخاوف من كل الأطراف لاسيما بعد حل اللجنة المركزية للوحدة والعمل في جويلية من نفس السنة، ما كان يجعل الإحباط والحيرة يتعاظمان من كل جهة، واستمر تحدي المتحمسين للكفاح المسلح واستمرارهم في التحضير له بكل ما لهم من قوة وخبرة وتجارب سابقة، فضربوا لبعضهم موعداً آخر يجمعهم في أكتوبر، يكون حاسماً لوضع اللمسات الأخيرة لمخططهم الثوري والاتفاق نهائياً على تاريخ اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر⁵ على الساعة 00:00 على أن تكون شاملة لكامل التراب الوطني، شعبية في مسعاها، عظيمة في محتواها، كبيرة في مقاصدها، وقوية في أهدافها.

المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا

1. انتقاله إلى فرنسا

في خضم التوتر والاستعداد لتفجير الثورة التحريرية رحل "مشاطي" إلى فرنسا وهو في حالة صحية حرجية حيث كان يعاني من مرض السل، وبمجرد وصوله إلى التراب الفرنسي توجه إلى "ليون" حيث يتواجد أحد رفاقه وهو "عبد الرحمن غراس"، وأقام معه مؤقتاً ثم شرع في البحث عن العمل، ليضمن لنفسه تكاليف العلاج، حيث ذكر في هذا الصدد: "اضطرت عند أول توظيف أن أمرّ على طبيب العمل الذي وجدني في حالة مزرية، ونتيجة لذلك قام بإرسالني مباشرة لـ"ساناطوريوم بيار بينيت" قرب ليون، في إقامة علاجية استمرت شهرين كاملين"، ورغم حالته الصعبة إلا أنه لم يسلم من مدهمة الشرطة التي حددت مكانه بالمصحّة وطلبت منه العودة إلى مكان توظيفه فور خروجه لاستكمال التحقيق معه.⁶

1 عبد الله مقلاتي، التاريخ السياسي للجزائر 1954 . 1962، ص 19 . 20.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص 69.

3 لا بتريك إيفينو، و جون بلانشايس، حرب الجزائر ملف وشهادات، تر: بن داود سلامنية، ج1، دار الوعي للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 43 . 44.

4 مشاطي، مصدر سابق، ص 69.

5 عبد الله أمقران حسين، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 35 . 36.

6 مشاطي، مصدر سابق، ص 75.

على غرار أغلبية المهاجرين الجزائريين في فرنسا عانى "مشاطي" من تحديات كبيرة وظروف معيشية صعبة وقاسية، حيث وبمجرد خروجه من المستشفى وجد نفسه بلا وظيفة تحفظ كرامته أو تضمن له قوت يوميه، ولا مأوى أو مسكن يقيه برد الشتاء القارص، إضافة إلى الملاحقات البوليسية والتهديدات الأمنية سواء من طرف الأسلاك الأمنية الفرنسية أو من طرف الجماعات المصالية التي كانت منتشرة بكثرة آنذاك في المهجر ومسيطرة على أغلب أفراد الجالية الجزائرية، رغم أنه لم يكن قد حسم بعد كمناضل انضمامه إلى ج.ت.و.

توجّه "مشاطي" إلى المناضل "عمار بوكيكرز" الذي أخذه إلى رجل كنيسة اعتاد على مساعدة العمال الجزائريين على إيجاد سكن، وهو الأب "أبير كارتورون" "Albert Crotone"، وكان هذا الأخير قد سبقت له زيارة الجزائر من قبل بهدف وضع تقرير للوضعية الاجتماعية والاقتصادية للعمال الجزائريين وتقديمه لرئيسه الكاردينال "جيرلي"، وقد تمكن هذا الأب بتجربته في الميدان من إيجاد مأوى لمشاطي في فترة وجيزة لم تتعدى اليوم نفسه للقاء بينهما، وهذا ما اعترف به "مشاطي" عندما قال: "...مر التيار بيننا حتى أنه في نفس الأمسية كان معي مفتاح لاستوديو وللمدة التي أريدها، وشاركت معه فيما بعد في ندوة نظّمها أصدقائه الكاثوليك الذين كانوا منشغلين بالوضع في الجزائر".¹

كان رجال الدين الفرنسيين من الكاثوليك وغيرهم قد أعلنوا إدانتهم للنظام الاستعماري وما نتج عنه من انتهاك لحقوق الإنسان ورفضوا العنف والقمع اللامتناهي المستخدم ضد الجزائريين، وطالبوا بالالتزام بالأخلاقيات الحربية طبقا لتعاليم المسيحية وقيمها، وتبنّوا ضرورة الدفاع عن الكرامة الإنسانية للشعوب بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية والدينية، كما أن ما كانت تقوم به فرنسا ضد الجزائريين يعتبر ابتعادا واضحا عن مبادئ الإنجيل الحقيقية، وعلى غرار الأب "أبير كارتورون" "Albert Crotone" برز قساوسة آخرون قدموا يد المساعدة لمهاجرو شمال إفريقيا بفرنسا طيلة فترة الثورة التحريرية أمثال "فرانسوا بوسو" "François Bousot"، "آبي روبر ديفيزي" "L'Abbé Robert Davegies"، "آبي بارتاز" "L'Abbé Barthez"، "بيرنارد يوداؤاك" "Bernard Boudareque" وغيرهم.²

واصل "مشاطي" مصاحبته لرجال الكنيسة وتعرّف من خلالهم على أشخاص من الوسط النقابي والسياسي، وكلهم كانوا على استعداد لنصرة القضية الجزائرية بكل ما يملكون من شهادات واعترافات ودعم مادي ومعنوي، اعترف بجميلهم فقال: "هؤلاء الرهبان العمال كانوا أناسا صادقين ونزهاء يؤدّون عملا رائعا واستثنائيا، حيث يعملون على إخراج الأفضل من المؤمنين في جمعيّتهم الخيرية، ويملكون روح الانفتاح والفهم تجاه الآخر، ويحسون دوما بكل ما هو عادل وجميل اتجاه الجميع، بقي أغلبهم مجندين من أجل القضية الجزائرية إلى درجة اعتقال بعضهم واتهامهم بالتواطؤ والتعاون مع ج.ت.و. على غرار ما حدث لـ

¹مشاطي، مصدر سابق، ص76.

²Benjamin Stora, la gangrène et l'oubli, mémoire de la guerre d'Algérie, Editions la découverte, Paris, 1992, p60.

"كارتورون" و "كوربون" الذين قيّدت حريتهما حتى غادرا فرنسا وتوجها إلى المغرب للتكفل باليتامى الجزائريين الصغار إلى غاية نهاية الثورة، ولم يكتفيا بذلك بل طالبا الجنسية الجزائرية والتحقا للمساهمة في تنمية الجزائر بعد الاستقلال... كانا مثالا للحب خارج كل نمط وحدود".¹

هكذا نشط هؤلاء الرهبان والقساوسة في فرنسا وفي الجزائر لصالح الجزائريين معتبرين إياهم أصحاب قضية عادلة تستوجب التضامن والدعم، ورافضين لسياسة بلادهم التي فاقت كل حدود الوحشية والهمجية، ففي 15 سبتمبر سنة 1955 كتبوا رسالة جماعية تطرقوا فيها إلى التهذئة المطروحة في الجزائر على مختلف الأصعدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى السياسية، مذكّرين من خلالها أن عمليات القمع والتنكيل المطبقة ضد الكرامة الإنسانية هي جريمة يرفضها العقل البشري ولا يُقر بها أي دين سماوي، كما أن الدفاع عن النفس من المعتدي هو حق مشروع وهو ما يقوم به الجزائريون²، وأضاف رئيس أساقفة الجزائر قوله: "إن إهانة الإنسان هي إهانة لقدرة الله".³

وجّهت جمعية العمل المسيحية في نفس السياق رسالة إلى رئيس بلدية "ترنباش" "Trinbach" في فرنسا ندّدت من خلالها على إقدامها تسمية أحد الشوارع الفرنسية باسم "الجنرال بيجار"، الذي سبق له أن اعترف علانية بأساليبه القمعية وتعذيبه المفرط للجزائريين، وعادت التأكيد مرة أخرى أن التعذيب عمل غير إنساني يسحق الكرامة الإنسانية ويتناقض مع جميع القوانين والأعراف الدولية".⁴

2. دوره في ف.ج.ت. و بفرنسا:

بعد عودة الاتصال بينه وبين "غراس" انتقل "مشطي" إلى العاصمة باريس وترك الجنوب الفرنسي بطلب من غراس، وبمجرد وصوله وُكِّل مهمة الإشراف على المنطقة الشرقية خلفا لـ "سانسيريتي" الذي كان قد خلف بدوره "بن سالم"، وخلال الاجتماع الذي عقده "غراس" بباريس تعرف "مشطي" لأول مرة على العديد من القادة الثوريين أمثال "بن سالم"، و"أحمد دوم"، ونظرا لاعتقال "طربوش"، "ماضي"، و"زروقي" فقد تولّى "مشطي" مهمة المسؤول ضمن النواة الأولى لـ "ف.ج.ت. و" بفرنسا في ظل سياق نضالي صعب جدا، حيث لا وجود للمال ولا لإقامة ثابتة، إضافة إلى الهيمنة الكبيرة لمصالي على الجالية الجزائرية، فتم تكليفه بقيادة الفدرالية في المنطقة الشرقية التي كانت منطقة صناعية بامتياز لكثرة المناجم فيها وبالتالي كانت تعج بالعمال من المهاجرين الجزائريين، في الوقت الذي تولى "غراس" المنطقة الجنوبية والوسطى، "بن سالم" المنطقة الشمالية، في حين رجعت باريس وضواحيها لأحمد دوم الذي ويساعده "عبد الكريم سويسبي".⁵

1 مشطي، مصدر سابق، ص 77.

2 Pierre Houart, l'Attitude de l'église dans la guerre d'Algérie 1954 – 1962, éditions le livre Africain, Bruxelles, 1960, p15.

3 Ibid, p 81.

4 Boualem Nadjadi, les tortionnaires de 1830 à 1962, Editions Anep, 2001, p240.

5 مشطي، مصدر سابق، ص ص 79 . 80.

تحدث "دوم" في مذكراته عن هذا التقسيم وأضاف المهام التي تولّاها كل مسؤول منهم، حيث كان "مشاطي" الإعلام والأخبار والنشر والتوزيع في الشرق الفرنسي بمساعدة "بوشمال"، وتولى "غراس" في الوسط والجنوب الفرنسي مهمة الإعلام والأخبار، في حين كُلف "بن سالم" في الشمال بالطباعة، ودوم في العاصمة المالية¹، وبعد توسع قيادة اللجنة الفدرالية تم إضافة أعضاء جدد هم "أحمد طالب الإبراهيمي" في مارس 1956، وكلفاً أيضاً بمهام الدعاية²، وكذا الطيب بولحروف، وحسين مومجي، وبذلك أصبحت الفدرالية تتكون من ثمانية أعضاء متساوون جميعاً في المسؤولية³.

أصبح إذن "مشاطي" قائداً فدرالياً ومنقذاً في الميدان، وكانت مسؤوليته أكثر صعوبة من باقي المسؤولين في بقية المناطق الفرنسية، كونه أُسندت له منطقة صناعية يتركز فيها عدد هائل من العمال المهاجرين الذين كان مرجعهم الأوحد حزب الشعب الجزائري وقائده المبجل "مصالي الحاج" من جهة، والجو الضبابي الذي كان سائداً حول المفجرين الحقيقيين للثورة حيث كانوا مجهولين لدى الجميع من جهة أخرى، ومن هذا المنطلق كان هؤلاء العمال مقتنعين تماماً أن ح.و.ج. "MNA" هي المسؤولة عن الثورة التحريرية، وهذا ما صعب من مهمة "مشاطي" في تغيير القنوات لدى المهاجرين وإفهامهم حقيقة الوضع في الجزائر وتعريفهم بـ "ج.ت.و" الوطني المفجر الحقيقي لثورة نوفمبر من جهة، وتجنب الضربات القاتلة للمصاليين المسيطرين على المنطقة ومهاجروها من جهة أخرى⁴.

لقد تصدّت الحركة المصالية لكل مناضلي فدرالية الجبهة ونفذت هجمات عنيفة على كل من يشتهه بضلوعه في الفدرالية، وبمرور الوقت وسّعت من رقعة عملياتها العسكرية لتشمل فرنسا وباقي الدول الأوروبية المجاورة خاصة بلجيكا، مشكّلة بذلك ضغطاً عسكرياً ونفسياً كبيرين على الثورة، كما عرقلت عملية جمع الاشتراكات وبذلت جهوداً مضنية لكسب الأحقية في تمثيل الشعب الجزائري وكفاحه ضد الاستعمار، متناسية أنها قدّمت دعماً قوياً لهذا الاحتلال في مساعيه للقضاء على نضال هذا الشعب، وقد شكلت بموقفها تحدياً صعباً واجه قيادة الفدرالية منذ بداية نشأتها حين عرقلت تجسيد هيكله ثورية واضحة المعالم بالمهجر، ولم تمل الكفة لصالح الجبهة على حساب الحركة الوطنية إلا سنة 1958 بعد مرور أربع سنوات كاملة من انطلاق الثورة التي نجحت بعد جهد جهيد من تأطير المهاجرين والأخذ بأيديهم في تأدية واجبهم الوطني.

ذكر "مشاطي" إحدى مواقفه مع المصاليين واعتدائهم عليه فقال: "بعد انتهاء اجتماع لنا في باريس بمقهى "سي موح"... تم استفزازي أنا وبوشمال من طرف صعلوكين مصاليين، وجلب الضجيج آخرين من كل جانب، وكان علينا الفرار، فافترقنا حيث عاد بوشمال إلى المقهى في حين هربت مسرعا

1دوم، مصدر سابق، ص 146.

2 غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية...، مصدر سابق، ص 267.

3Haroun, op, cit, p 22.

4مشاطي، مصدر سابق، ص 80 . 81.

خوفا من تدخل الشرطة واعتقالها لي، غير المصاليين تفوقوا عليا عدديا وتمكّنوا من اللحاق بي وانهالوا عليا ضربا باللكمات والعصي، إلى درجة أن تدخل سكان الحي وأعلموا الشرطة وجاء بعض الأشخاص لنجديتي لأنني كنت ملقى على الأرض أنزف دما... وهرب المعتدون عندما سمعوا بوق سيارة الشرطة... ولذت أنا بالفرار أيضا رغم أنني كنت دائخا ولا أقوى على الوقوف... أما صديقي "بوشمال" الذي سبق له أن أهرب منهم في ليون فقد تم تحديد مكانه في باريس وتم قتله غدرا من طرف أعضاء ح.و.ج، لهذا كما دائما يقطّين لأننا كنا نخشى دائما من خصومنا المصاليين... أكثر من خوفنا من الشرطة بأساليبها".¹

أخذ التحوّل التدريجي طريقه باتجاه الفدرالية وزاد تفاعلهم مع الثورة منذ سنة 1956²، بعد أن بات معلوما لدى لأغلب المهاجرين أن الجبهة هي المسؤولة عن الثورة وأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، وأصبحت هيكلا تنظيميا معروفا لدى الجزائريين في الداخل والمهاجرين في الخارج وكسبت الرهان أخيرا، بعد أن أحبطت مخططات أجهزة الاستعلامات الفرنسية والتحركات المصالية ونجحت في ضبط القاعدة الجماهيرية وإرساء نظام سياسي وإداري مكّنها من مواصلة المسار النضالي بخطى ثابتة وعزم كبير على تحقيق الهدف التحرري رغم كل التحديات والمعوقات.

استمر "مشاطي" في مجابهة الصعوبات وباشر في مهمة إقناع المهاجرين بضرورة الانضمام للجبهة كونها المسؤولة عن الثورة وتصحيح القناعات حول حقيقة المصاليين وحركتهم الوطنية، وكان يعقد اجتماعات كلما أُتيحت له الفرصة خصوصا في المناطق التي يتركز فيها معظم أفراد الجالية الجزائرية، وكانت من أساليبه المعتمدة في الإقناع مطالبته بحضور مصالي ورفاقه للمناظرة أمام الجميع حتى يتبيّن الحق من الباطل، وقد ذكر أحد مواقفه في هذا السياق فقال: "التقتُ بأحد أهم أعضاء "الأمانا" "MNA" واسمه "حميش" وحاولت أن أكون مقنعا، طلبتُ منه أن نلتقي بأكثر عدد من المناضلين وقلت له بإمكانك أن تأتي بمسؤولك المصالي بل وحتى مصالي نفسه، لأنني مستعد لمواجهتهم وأنتم من سيكون الحكم، إنها مسألة شرف بيننا... حدد تاريخ الاجتماع بيننا غير أن المسؤولين المصاليين لم يكلفوا أنفسهم بالحضور، وكانوا في تعداد الغائبين وبعد الجلسة نجحت في تحويل الوضعية تدريجيا لصالحنا، كما تمكّنتُ من كسب هذا المعقل المصالي حيث تحولوا من أعضاء في الأمانا إلى متحمسين لأج.ت.و... ما جعل الوضع يتحسن وأعطانا الفرصة كي نكون أكثر ارتياحا وتفاؤلا بالمستقبل".³

يتضح جليا من شهادة "مشاطي" أن مناضلي فدرالية الجبهة قد فضلوا في منافستهم للمصاليين الأساليب السلمية وطرق الحوار وحاولوا الإقناع بالحجج الدامغة والأدلة الثابتة، حتى بحضور المصاليين أنفسهم ليكشفوا للجميع الفرق بين من يضحى بما يملك من أجل تحرير الوطن ومن يسعى بكل ما أوتي

1Mohammed Méchati, parcours d'un militant, Chihab éditions, Alger, 2009, p99.

2أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص155.

3مشاطي، مصدر سابق، ص 84.

من قوة للحفاظ على مصالحه الشخصية بمعارضة كل من يخالفهم حتى ولو كان على صواب، وهذا ما يعزّز أطروحة الجبهويين بأنهم لم يلجؤوا إلى استخدام القوة إلا اضطرارياً، وما كانوا ليستخدموها لو اعتمد المصاليين على نفس أساليبهم في الإقناع بالحجة والبرهان، خاصة وأنهم من كان يسيطر على أغلبية المهاجرين من جهة، وأنهم من يملك خبرة كبيرة وتجربة رائدة من إرثهم التاريخي في الساحة السياسية وممارسة الدعاية حتى على المستوى الدولي.

في سياق الإقناع وإعادة هيكلة المهاجرين عمل "مشاطي" ورفاقه على استخدام الإعلام كأحد أهم وسائل الإقناع تأثيراً في الجماهير، ولم يكتفوا بنقص كفاءتهم في هذا المجال، وقاموا بإنشاء أول جريدة للقيادة الوطنية لج.ت.و والتي حملت اسم "المقاومة الجزائرية" الذي اقترحه "مشاطي"، وكان اختيار هذا الأخير لهذا الاسم يحمل دلالات عديدة منها تذكير الفرنسيين بالمسار الطويل للجزائريين في مقاومة المحتلين عبر عصور تاريخية غابرة حتى قبل احتلالهم للجزائر وبالتالي سيكون مصيرهم نفس مصير سابقيهم من الغزاة في كل العصور من جهة، وتحسيس الرأي العام الفرنسي بعدالة القضية الجزائرية خاصة بعد معرفتهم لمعنى المقاومة إبان الاحتلال الألماني من جهة ثانية، إضافة إلى بث روح التحدي والصمود لدى الجزائريين داخل الجزائر وخارجها بضرورة الاستمرار في المقاومة وعدم الاستسلام حتى تحقيق النصر.¹

يبدو أن "مشاطي" كانت له قدرة وبراعة في أسلوب الإقناع لهذا تولى المهمة بنجاح سواء شفها عن طريق الاجتماعات التي كان يعقدها بين الحين والآخر والعدد الكبير من المصاليين الذين تخلوا عن الأماما والتفوا بجبهة التحرير، أو كتابيا من خلال جريدة المقاومة وما أحدثته من تأثير على متابعيها داخل وخارج الوطن، وهذا ما جعل مهمته في القيادة الأولى للفرديالية ناجحة بامتياز منذ بداية ماي سنة 1955، فكانت نتيجة أن توسعت القيادة بعد توسع الالتحاق حتى من إطارات قدامى في الحزب، ما جعله شخصية ذات قيمة عالية وتقدير كبير بسبب حسن اتصاله بمختلف الأطراف.

المطلب الرابع: حياته داخل السجن ثم فراره منه

1. اعتقاله ووضعه في السجن:

ظل "مشاطي" ممارساً لنشاطه في الدعاية ودعوة المهاجرين إلى الالتفاف بالثورة التحريرية عن طريق توزيع المناشير والجرائد خاصة بمنطقة الشرق التي كان مسؤولاً عنها لما يقارب سنة كاملة، وفي يوم 28 أوت 1956 تمكّن أفراد الشرطة الفرنسية من اعتقاله رفقة صديقه "حسن شبلي"، بساحة لاناسيون، ووجهت له تهمة المساس بأمن الدولة، وبمجرد اعتقاله تعرّض "مشاطي" لشتى أنواع التعذيب والتنكيل والضرب، وكانت الوسيلة التي اعتمدتها الشرطة للقبض عليه وعلى العديد من رفاقه في النضال هي مراقبة شقة "جان جاك روسي" الذي كان مؤيداً لج.ت.و. ومناضلوها كونه أحد أعضاء الاتجاه الفوضوي اليسار

¹ مشاطي، مصدر سابق، ص 85.

المعروف بمناهضته للاستعمار وسياسته القمعية، لذا وضع شقيقه تحت تصرف مناضلي الفدرالية، ومن هذا المنطلق عمدت الشرطة إلى إيقاف جميع المترددين عليها، ونجحت بذلك في إلقاء القبض على كل من "روسي" "Roussi" نفسه وأحد رفاقه المدعو "ريمان مازور" "Mazure"، "سويسبي"، "غراس"، و "بن سالم"، وبعد وقوفه أمام قاضي التحقيق "بيزار" "Bizarre" الذي كانت له ممارسة طويلة مع السجناء السياسيين، تم اعتبار "مشاطي" منشط لتنظيم إرهابي ذو طابع تخريبي، ثم اقتياده إلى سجن "لاصانتي" "Lassantes".¹

وُضع "مشاطي" بسجن "لاصانتي" في قسم المحكوم عليهم بالإعدام، وكان معزولا عن بقية المساجين لاسيما الذين تم اعتقالهم برفقته وهما "غراس" و "سويسبي" ومكث هناك قرابة الشهرين، قبل أن يتم تحويله إلى سجن "فران" "Fresnes"، بعد أن تم تحويل سجن لاصانتي إلى سجن خاص بالسجناء السياسيين وذلك بعد عملية القرصنة الجوية يوم 22 أكتوبر 1956 والتي تم على إثرها اعتقال أعضاء الوفد الخارجي للثورة التحريرية الذين كانوا على متن الطائرة التي تربط المغرب بتونس، واستمر حال "مشاطي" في سجن فران على نفس الوضع الذي كان عليه في سجن لاصانتي حيث وُضع في زنزانة منفردا، محكوما عليه بالإعدام.²

في سجن فران "Fresnes" كان مشاطي ورفاقه في النضال أول المعتقلين السياسيين من ج.ت.و.³، ورغم إقامتهم بالسجن إلا أنهم لم يكونوا بمعزل عن الأحداث ومتابعاتها داخليا وخارجيا، واستمر نضالهم هناك سواء بالصبر على أساليب التعذيب المنتهجة ضدهم، أو استعمالهم لكل فرصة متاحة لهم للنضال كالإضراب عن الطعام الذي كان سلاحهم الوحيد هناك، لاسيما بعد معرفتهم بتحويل "لاصانتي" إلى سجن خاص بالسجناء السياسيين (أعضاء الوفد الخارجي للثورة)، فتشجعوا هم أيضا للمطالبة بالاعتراف لهم بالنظام السياسي وقرروا الدخول في إضراب عن الطعام للحصول على هذا الحق.

قرّر "مشاطي" ورفاقه (غراس، دوم، وبن سالم) الشروع إذن في إضراب عن الأكل في نهاية نوفمبر وبداية ديسمبر من سنة 1956، خصوصا بعدما قرّر أعضاء ح.و.ج الإضراب أيضا، فكانت الحاجة ملحة لفرض ج.ت.و. نفسها في الريادة، وكان رد فعل إدارة السجن أن فصلت بين كافة المضربين عن الطعام وفق ممارسة حبسية مؤكدة لكسر الحركة بعد مضي أسبوع من الامتناع عن الطعام⁴، غير أن مناضلي الفدرالية كانوا أقوى وأكثر صلابة وصمودا، حيث استمروا بمقاومتهم للجوع والعذاب، ما جعلهم ينتصرون في النهاية ويحققون مبتغاهم بعد أن تم تحويلهم إلى سجن "لاصانتي" "lasanté"، ومُنح لهم النظام السياسي فور

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 90.

2 نفسه، ص 90 . 91.

3 أنظر الملحق رقم 12.

4 دوم، مصدر سابق، ص 204 . 205.

وصولهم إليه¹، وهناك حُصص لهم الطابق الثاني بينما حُصص الثالث لسجناء ح.و.ج من أتباع مصالي، وكانت ظروف العيش والإقامة فيه أفضل بكثير من سجن فرين "Fresnes" حسب شهادة "دوم" باعتبارهم سياسيين²، وقد التقوا فيه بالزعماء الخمسة وكذا الأعضاء الأوائل للجنة الفدرالية³.

ذكر "دوم" في مذكراته التقائهم في هذا السجن بالمعتقلين التابعين لـ ح.و.ج، وقال بأن علاقة التوتر بينهم ظلت قائمة ولم تتحسن رغم وضعهم المأساوي في السجن حيث لم يذكرهم ذلك بأنهم ينتمون إلى نفس الوطن وهو ما يتوجب عليهم نسيان خلافاتهم وتوحيد إمكانياتهم، وتركيز جهودهم على استعادة الحرية لهذا الوطن، غير أن الخلاف استمر بينهم حيث لم يكونوا يكلمون بعضهم البعض حتى في وقت النزهة، ويتم الاكتفاء بالقاء السلام فقط، أي أن علاقتهم كانت في حدود اللياقة ولم تزل الكراهية بينهم، ثم أكد أن الأمل باستقلال الجزائر كان قويا لدى مناضلي الجبهة أكثر واليقين عندهم بالمضي قُدما على الحق يفسر التفاؤل الكبير لديهم عكس المصاليين⁴، وقد أكد ذلك بقوله: "أنا متأكد بأن استقلال الجزائر لن يطول أمده"⁵.

شجع حصولهم على النظام السياسي على اتخاذهم الإضراب وسيلة ناجعة للمطالبة بحقوقهم داخل السجون والمعتقلات، فكانوا كلما دخلت عناصر أخرى أو أفواج جديدة من المساجين أعلنوا إضرابا عن الطعام لتوجيه رسالة لهم تحمل معاني التضامن والتعاطف من جهة، وتنبيه بضرورة انتهاج هذا الطريق لافتكاك ما يمكن افتكاكه من حقوق مهضومة من جهة أخرى، وهذا ما يبين مدى الإصرار والاستمرار الذي تميز به هؤلاء المناضلين في الدفاع عن حقوقهم في كل مكان وزمان ومهما كانت الصعوبات والمعوقات، فلا السجون منعتهم ولا أساليب التعذيب والتنكيل أوقفتهم ولا التهديدات الفرنسية أفشلتهم، بل ظلوا مثالا للصمود والتحدي وقدوة لكل من التحق بهم من بعدهم في الإخلاص لقضيتهم الوطنية وإيمانهم العميق بعادتها وقدرة الله على نصرتهم وتحقيق أهدافهم مهما طال الأمد.

زاد تعاطف النخبة الفرنسية معهم من محامين وشيوعيين من رفع سقف التوقعات لديهم، فقد كانوا يحظون بزيارات تضامنية أكثر منها مهنية من قبل المحامين الذين كانوا يزودونهم بكل المعلومات لاسيما التي كانت تصب في صالحهم، وقد ذكر "مشاطي" بعضا من هؤلاء المتعاطفين أمثال "جاكولين جايجر" و"ميشال بوفيار" الذين دافعا عن ج.ت.و، وأظهرت زياراتهم تلك تضامنا واسعا، وكانت النتيجة أن قرر

1 مشاطي، مصدر سابق، ص 91.

2 دوم، مصدر سابق، ص ص 209. 210.

3 أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري أحلام ومحن، الجزء الأول (1932. 1965)، ط1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 121، 125.

4 ليندة عمراوي، "نشاط الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا. أحمد دوم. وتأثيره على الثورة التحريرية 1954. 1962"، مجلة البحوث التاريخية، مج 07، ع 01، المسيلة، الجزائر، جوان 2023، ص 968.

5 دوم، مصدر سابق، ص ص 199. 201.

مناضلو الجبهة على عدم الاعتراف بسلطة المحاكم الفرنسية في محاكمتهم ولا حتى سلطة المحكمة العسكرية التي تم تحويلهم إليها بتهمة المساس بمعنويات الجيش والأمن الداخلي للدولة الفرنسية.¹ إلى جانب شهادة "دوم" حول تحسّن ظروفهم في السجن بعد حصولهم على النظام السياسي، حيث ذكر أنه استفاد كثيرا في السجن من مطالعة كتب الآداب الكلاسيكية وقراءة كافة الكوميديات الإنسانية لـ"بالزاك"، وتعزّفه على "ستاندال"، و"فيكتور هوجو"، "زولا"، "غي دوموباسان" وآخرون، حتى ساد بين المناضلين تنافس كبير حفّزهم على التعلّم، حتى استطاع التحصل على شهادة نهاية الدروس الابتدائية، وظهرت في السجن كفاءات كثيرة خاصة بعد وصول الفرقة الثانية لفدرالية فرنسا التي كان على رأسها "محمد لبجاوي"، فوصل عدد مناضلي الجبهة إلى قرابة العشرين ومن بينهم من قام بتنظيم سلسلة ندوات في مختلف المواضيع، حيث كان "الحاج حمو" أمين صندوق الاتحاد الفرنسي يقدم للأربعة المنتمين إلى الفدرالية الأولى دروسا في المالية²، جاء اعتراف "مشاطي" أيضا في مذكراته ليؤكد الملاحظة نفسها، فذكر في هذا الصدد: "تحسّنت ظروف معيشتنا اليومية، ونُظمت لنا دروس في اللغتين العربية والفرنسية تولى "طالب الإبراهيمي" تقديمها لنا نظرا لتمكّنه منهما، إضافة إلى تدريس مواد أخرى، كما أصبحت لنا عادة شراء الجرائد للإطلاع على مجريات الأحداث. وتطوّراتها".³

2. فراره من السجن بنجاح:

رغم تحسّن ظروفهم في السجن إلا أن فكرة الفرار ظلّت تراود أذهانهم باستمرار منتهزين أية فرصة تتيح لهم تحقيق هذه التحرر من تلك الأسوار، أو على الأقل تهريب الأعضاء الخمسة للوفد الخارجي، لان العبرة التي تم استخلاصها من مختلف عمليات إلقاء القبض هي ضرورة بقاء الفدرالية واستمرارية نشاطها، وهو ما كان مرهونا بحماية القيادة قدر المستطاع⁴، وكان التركيز على "بوضياف" و"بن سالم"، وقد تمكّن هذا الأخير من الفرار عبر نافذة الحمام التي كانت تعطي على ممر الزوار، بينما فشل "بوضياف" في ذلك، في حين ظل "مشاطي" في السجن لمدة خمس سنوات كاملة إلى غاية صائفة 1961، حين أُفرج عنه بسبب تردي وضعه الصحي لكنه لم يُمنح حريته بل وُضع تحت الإقامة الجبرية بمدينة "ران" الجامعية، وظلت فكرة الفرار تشغله أيضا إلى أن التقى بطلابين جامعيين جزائريين في 31 جويلية 1961، وهما "شارف زيدان"، و"مصطفى مازوني" اللذان ساعدها على تحقيق هدفه حين نقلاه بالسيارة إلى المدينة المجاورة ومنها تمكّن من الفرار إلى باريس عبر القطار.⁵

1مشاطي، مصدر سابق، ص 91.

2دوم، مصدر سابق، ص 228. 229.

3مشاطي، مصدر سابق، ص 92.

4بوداود، مصدر سابق، ص 160. 161.

5مشاطي، مصدر سابق، ص 92. 93.

في الصائفة نفسها وبالضبط في أوت سنة 1961 سيعتبر المجلس الوطني للثورة التحريرية في دورته الرابعة تنظيم "ف.ج.ت.و" بفرنسا "ولاية سابعة" تابعة للولايات الست داخل التراب الوطني¹، ما حفّز "مشاطي" على مواصلة المسار النضالي بحثا عن الحرية، فليجأ إلى مكتب الأستاذ "أوصديق" لطلب الإفراج الطبي نظرا لتردّي حالته الصحية، غير أن المحامي طلب منه العدول عن ذلك لأنه سيصعب من وضعه أكثر، فليجأ إلى الهروب عبر الحدود إلى العاصمة البلجيكية "بروكسل" في سبتمبر 1961، وهناك التقى بمسؤول فدرالية الجبهة ببلجيكا "قدور العدلاني"، ثم غادرها بسرعة إلى ألمانيا لتعزيز حريته أكثر وبـ "كولونيا" التقى بمسؤولي الفدرالية المقيمين بألمانيا وهما "علي هارون" و"عمر بوداود" و"عمار بن عودة" الذي كان طالبا في الطب وهو من سيساعده على الانتقال إلى سويسرا لإكمال رحلته العلاجية كونه كان في وضع صحي جد محرج.²

نجح "مشاطي" في المرور إلى سويسرا عبر جواز سفر مغربي مزوّر باسم مستعار هو "جمال لعروسي" وهو في حالة صحية مزرية، بعد أن قضى عشر سنوات كاملة من السرية والمطاردة والسجن والإضرابات عن الطعام التي أنهكته وزادت من تفاقم مشاكله الصحية لاسيما وأنه كان أصلا يعاني من قبل من مرض السل، وفي سويسرا لاحظ انتصارات الدبلوماسية الجزائرية الساحقة على حساب الدبلوماسية الفرنسية التي لم تستطع إخفاء حقائق جرائمها أمام الرأي العام الدولي، وقد أشار "مشاطي" في مذكراته إلى مدى اندهاشه بما وصل إليه كفاح الجزائريين من إقناع حتى الأوروبيين والفرنسيين أنفسهم بمشروعته، فذكر قوله: "أصبح كفاحنا يجلب تعاطف ومودة العديد من الأوساط في أوروبا، لقد لاحظت ذلك في جينيف عبر الصحافة ولقاء أناس كانوا جد مطلعين على النزاع وتقلباته الأخيرة، من بينهم البروفيسور "ماخ" الذي كان يعالج مجانا العديد من اللاجئين السياسيين بمودة كبيرة، وكذلك الحال في أوساط المثقفين بمدينة "لوزان".³

أيقنت "ج.ت.و" أهمية العمل الدبلوماسي منذ البداية فكان الاتفاق على تأسيس الوفد الخارجي للقيام بهذه المهمة، وقد نتج عن تحركاته المتواصلة في مختلف بقاع العالم صدى إعلامي وسياسي واسع النطاق، كانت بداية الانتصارات من مؤتمر باندونغ حين أعلنت المجموعة الأفرو-آسيوية عن مساعيها لتسجيل القضية الجزائرية في الدورة العشرة لهيئة الأمم المتحدة بداية من سبتمبر 1955⁴، أي قبل أن يمضي عام واحد على اندلاع الثورة وهذا دليل كاف على مدى قوة النشاط السياسي لـ"ج.ت.و" وفلسفتها

1 سيد علي أحمد مسعود، التطور السياسي في الثورة الجزائرية 1960 . 1961، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 46.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص 97.

3 نفسه، ص 97. 98.

4 محمد علوان، القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة 1957 . 1958، تر وتق: علي تابلت وآخرون، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 37. 39.

الدبلوماسية التي تبنت المصادقية والنزاهة قولاً وعملاً، واستمرار العمل على هذا الوتر الحساس لاسيما بعد إضراب الثمانية أيام الذي شمل مدينة الجزائر وباقي المدن الكبرى.¹

لقد حرصت "ج.ت.و" ثم "ح.م.ج.ج" على استغلال كل الفرص المتاحة لتدويل وإيصال صوت الشعب الجزائري إلى الهيئة الأممية باعتبارها أكبر وأهم منظمة بين دول العالم، كما أن أي انتصار للطرف الجزائري في إدخال قضيته الوطنية إلى هيكل هذه الهيئة يعد انتصاراً حقيقياً وفوزاً كبيراً على الدبلوماسية الفرنسية، التي لم تستطع منع إدراجها رغم امتلاكها لحق الفيتو مع الأعضاء الكبار لمجلس الأمن، ومساندة الدول العظمى لها.

خاضت "ج.ت.و" نضالاً دبلوماسياً محكماً ومنسقاً في أعلى مستوى سواء على مستوى التخطيط أو التنفيذ، خصوصاً من خلال التركيز بالدرجة الأولى على البعثات الدبلوماسية و حضور المحافل الإقليمية والدولية للتعريف بقضيتهم الوطنية، وكذا من خلال الدعاية الإعلامية بواسطة البلاغات والندوات الصحفية خاصة في المهجر، ثم إنشاء الجمعيات العمالية والطلابية وإيجاد فروع لها تشارك في مختلف المؤتمرات العالمية والفرنسية من أجل بذل جهود نضالية مكثفة، كُشف من خلالها النشاط الفياض للنخبة الوطنية وأكدت مدى النضج السياسي الذي كانت تتمتع به، والذي كان له الدور البالغ في تعزيز الوطنية لدى المهاجرين وتعميق روح المسؤولية الأخلاقية لدى المتعاطفين من أحرار العالم.

كانت رحلة "مشاطي" في سويسرا علاجية بامتياز حيث أُجريت له سلسلة من العمليات الجراحية بسبب داء في الأمعاء، وقد ذكر أن حالته كانت معقدة جداً إلى درجة أنها أصبحت محل دراسة عند البروفيسور "سايجيسر" وطلبته في مستشفى "لوزان"، إضافة إلى إجراءات عمليتين جراحيتين آخرين في محيط الأذن²، وهذا ما يوضح مدى صعوبة الوضع الصحي لمشاطي الذي يبدو أنه كان فعلاً في معاناة كبيرة حيث يعاني جسمه من أمراض مختلفة وفي مواضع عدة، جعلت منه حقلاً تجارب ودراسة للأطباء.

يكشف وضع "مشاطي" عن حجم التحمل القاسي وأثر الضغط النفسي الذي كان يعيشه مناضلو فدالية الجبهة في المهجر سواء داخل السجون الفرنسية أو حتى خارجها، فحياتهم كانت كلها ترقب وترصد لكل حركة أو شك يتناهبهم، وخوف وحذر من كل خطوة يقدمون عليها، وتوتر وإجهاد يجعل الجسم عرضة لمختلف الصدمات والنكبات، وهذا ما أثر على جميع جوانب الحياة لديهم بما في ذلك الجانب العاطفي والسلوكي والقدرة على التفكير إضافة إلى صحتهم الجسدية، لقد خاضوا حياة مريّة وعبروا طرقاً مجهولة ولقوا أنفسهم أمام مصائر خطيرة في ظل نظام استعماري غاشم لا يعرف الرحمة ولا يملك عقلاً ولا حكمة.

1L'internationalisation du problème algérien désapprobation et consignes de calme, l'observateur du moyen-orient et de l'Afrique, 02 Septembre 1960, p11.

2مشاطي، مصدر سابق، ص 98.

ما زاد الوضع سوءا في تلك الفترة هي الصراعات التي بدأت تحدث حول السلطة حيث بدأت خلافات ومساومات تطفو على السطح ويصل صداها بين الحين والآخر إلى مناضلي الجبهة في المهجر، ذكر "مشاطي" في هذا السياق: "كانت تصلني خلافات شائكة ونوايا سيئة كانت تحدث في مستويات عليا أخبرني بها صديقي "بولحروف الطيب" الذي كان مسؤولا للجبهة بأوروبا عند مروره بسويسرا... وقد أوقفت هذه الأخبار السيئة انطلاقتي مجددا... كل ذلك أزعجني ونفرتني إلى أقصى حد، ورغبت في لحظة ما أن أترك كل شيء، هذه الحياة، هؤلاء الرجال، رفاق الكفاح، السياسة والحزب الذي منحته كل قواي وشبابي وصحتي..."¹

عرفت الجزائر مرحلة جديدة بدأت بمجرد دخول قرار وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ في 19 مارس 1962، وقد كانت مرحلة حرجة بسبب احتدام الصراع على السلطة، وهو ما تجلّى بوضوح في مؤتمر طرابلس ما بين 27 ماي و04 جوان من السنة نفسها، بهدف المصادقة على برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية من جهة أولى وتعيين قيادة تشرف على تسيير المرحلة الانتقالية من جهة ثانية²، وخلال أشغاله ظهر خلاف حاد بين رأيين متباينين حول قضية القيادة حيث طالب الرأي الأول بالإبقاء على الحكومة المؤقتة إلى غاية تأسيس البرلمان التأسيسي وقد مثّل هذا الرأي "بن خدة" ومعظم وزراء الحكومة، في حين طالب الرأي الثاني الذي مثّله "بن بلة" وساندته في ذلك هيئة الأركان بضرورة تعيين قيادة جديدة إثر اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر، غير أنه لم يكن هناك توافق لتوحيد الآراء المتضاربة فتواصل النقاش دون التوصل إلى أي قرار يرضي الجميع فتمّ تعيين لجنة تقوم على جمع أصوات الأعضاء حول الاقتراحات المقدمة وتقديم قائمة تحضا بقبول ثلثي الناخبين.³

إلا أن الخلاف بقي حتى بين القائمة التي قدّمها "كريم بلقاسم" وقائمة "بن بلة" التي كانت أيضا بعيدة عن الأغلبية المطلوبة، وبعد استئناف الأشغال يوم 05 جوان 1962 نشب خلاف "بن بلة" و"بن خدة"، بعد أن تم فيه إثارة قضية التصويت بالوكالات، ورفض هذا الأخير للمقترح واعتباره غير قانوني⁴، باعتبار أن وكالات الولاية الأولى جاءت متأخرة⁵، وأمام تمسك كل طرف بموقفه انتشرت الدسائس وعمّت الفوضى وكثرت الاتهامات بين أعضاء هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة مما أرغم "عمر بوداود" كريس للجلسة لرفع الجلسة واختتام محاضر الاجتماع عندها⁶، وهو ما دفع بدوره إلى انسحاب بن خدة نهائيا من

1 نفسه، ص 98.

2 كافي، مذكرات الرئيس، مصدر سابق، ص 285.

3 Ali Haroun, L'été de la discorde Algérie 1962, Casbah éditions, Alger, 2000, p 22.

4 Ben Youcef Ben Khedda, L'Algérie à l'Indépendance, la crise de 1962, éditions Dahlab, Alger, 2000, p18.

5 جمال بلغريدي، "الجزائر عشية الاستقلال وأزمة صيف 1962"، الأطراف، المواقف، الإفرازات، مجلة الإحياء، مج 20، ع 25، المركز

الجامعي سي الحواس، بركة، جوان، 2020، ص 915.

6 Ali Haroun, L'été de la discorde Algérie 196..., op, cit, p 26.

المؤتمر باتجاه تونس يوم 07 جوان من نفس السنة رفقة معظم الوزراء¹، وهو ما زاد من تفاقم الانقسام وتوسع حدة الخلاف واشتداد الأزمة، وقد أشار إليه "علي كافي" بقوله: "أنه مؤتمر الانفجار ونهاية الشرعية وانتصار المغامرة"².

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال

1. موقفه من الصراع على السلطة:

بعد الإعلان الرسمي عن استقلال الجزائر رُفع العلم الجزائري لأول مرة بعد أزيد من 132 سنة كاملة من الاحتلال والاستغلال³، غير أن الصراع الذي اندلع في مؤتمر طرابلس وتعزز في اجتماع "زمورة" أفسد فرحة طال انتظارها وشوّه إنجازا صنعتته أعظم ثورة في القرن العشرين حين ألقى بظلاله على الواقع السياسي والاجتماعي في الجزائر، ملوحا بحرب أهلية في الأفق قد تُدخل البلاد مرة أخرى في نفق مظلم لا تقل بشاعته عما تسبّب فيه الاستعمار الفرنسي من ظلم وبؤس في مختلف المجالات والميادين، خاصة عندما بدأت تتشكل التحالفات في شرق البلاد وغربها وانضمت عناصر جديدة لكل طرف حيث أعلن البعض تأييده للحكومة المؤقتة واعترف البعض الآخر بهيئة الأركان وكثرة التصريحات المشجعة لطرف والمنددة بأعمال الطرف الثاني ما جعل الأوضاع توحى بدخول البلاد في دوامة صعبة أو متاهة لا مخرج منها.

ظَلَّت القوى المتصارعة على الشرعية تستعد للمواجهة حيث استبق "بن خدة" هيئة الأركان في الدخول إلى التراب الجزائري على رأس الحكومة المؤقتة محاولا السيطرة على الوضع السياسي والأمني، في الوقت الذي استقبلت فيه مدينة تيزي وزو كل من "كريم بلقاسم" و"بوضياف" بحرارة كبيرة، ومن جهة أخرى دخلت هيئة الأركان الجزائر وانتشرت بغرب البلاد وشرقها، ما دفع بلجنة ما بين الولايات إلى محاولة التوفيق بين الطرفين في مدينة الشلف يوم 07 جويلية 1962 وأرسلت تقريرا إلى الحكومة المؤقتة وبن بلة مؤكدة فيه حيادها أمام الصراع الواقع وأملها في تشكيل حكومة جديدة موحدة وأنها ليست منحازة لا لبلقاسم ولا لبن بلة ولا حتى بن خدة⁴، غير أن الخلافات استمرت، وتوالى الأحداث وضجيج المواجهات مما جعل الشعب يخرج عن صمته ويعبر في مظاهرات تاريخية بشعار "سبع سنين بركات"⁵.

1 Ben Youcef Ben Khedda, L'Algérie à l'Indépendance..., op, cit, p17.

2 كافي، مصدر سابق، ص 291.

3 سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، طبع وزارة المجاهدين، 2008، ص 174.

4 عمار ملاح، المرحلة الانتقالية للثورة من 19 مارس إلى سبتمبر 1962، دارالهدى للنشر، عين مليلة، 2005، ص 89.

5 مشاطي، مصدر سابق، ص 99.

في 21 جويلية 1962 تم الإعلان عن تأسيس المكتب السياسي من طرف جماعة تلمسان وهو ما اعتبره "بوضياف" و"بلقاسم" نوعا من الإكراه المبني على التفوق العسكري¹، أما "سعد دحلب" فقد أعلن استقالته من الحكومة المؤقتة والمجلس الوطني للثورة²، واشتد بذلك الخلاف بين إخوة الكفاح وأشقاء النضال، غير أن انضمام شخصيات ثورية أخرى لهذا المكتب سيعزز من مكانته في الساحة السياسية وسيتمكن من الانتصار في النهاية على الحكومة المؤقتة التي أصبحت في خبر كان بعد أن عُزل بن خدة تقريبا بشكل نهائي، وبعد تمكن قوات الحدود من دخول العاصمة الجزائر، تم تنصيب المكتب السياسي في 13 سبتمبر الذي سيعلم يوم 25 من نفس الشهر والسنة عن تأسيس الجمهورية الجزائرية برئاسة أحمد بن بلة.

2. مهامه الوظيفية غداة الاستقلال:

واصل "مشاطي" مساره الدبلوماسي في هذه الدولة الفتية سنة 1963 برتبة وزير مفوض ووظيفة مستشار سفارة ومكلف بالأعمال لم ينتهي إلا عند سن التقاعد بعد أزيد من 23 سنة كاملة من العطاء، فكانت البداية من سفارة الجزائر بألمانيا كمكلف بالأعمال³، فتولى المهام وكله أمل بإكمال مسيرة البناء والتشييد لدولة لطالما حلم باسترجاع سيادتها الوطنية وضحي بكل ما يملك في سبيل تحقيق ذلك، حيث آمن ومن كان معه في المهجر بالوطنية والحرية وجاهدوا حتى حققوها، كما أنه قد واكب اليقظة الوطنية منذ أن كان شابا (بدأ في خدمة استقلال الجزائر منذ سنة 1936 وعمره 15 سنة) وبالتالي له من الخبرة السياسية والعسكرية ما يكفي للمساهمة الفعالة في هذا البناء ومواصلة النضال، وتلبية نداء الوطن الذي كان بأمس الحاجة لشخصية "كمشاطي" ذات رصيد نضالي طويل جمع بين النضال العسكري والسياسي، وله خبرة طويلة وحنكة كبيرة ودهاء دبلوماسي واسع في فن إدارة العلاقات.

لكن الواقع كان عكس ما توقعه "مشاطي" حيث وبعد 18 شهر فقط من تأدية مهامه تم استدعائه إلى الجزائر بعد أن وُجّهت له العديد من التهم كان أبرزها سرقة المال العام، حيث تم سنّ تعليمات جديدة على مستوى الوزارة بخصوص المناضلين القدامى واشترط عليهم تقديم شهادات ليتم تعيينهم، وهو ما اعتبره "مشاطي" إجراء تعسفي حيث رُحز من مستشار من الصف الأول إلى رتبة سكرتير من الصف الثالث مع تركه من دون راتب لأكثر من ستة أشهر كاملة، وبعد ما طلب تفسيرات من مدير المصالح المالية رافضا اتهاماتهم الموجهة إليه دون أي دليل، وبعد أيام من الانقلاب العسكري في 19 جوان 1965 تم استدعاه

1 الطاهر الزبيري، نصف قرن من الكفاح مذكرات قائد جزائري، ط1، الشروق للإعلام والنشر، دار الصحافة فريد زيوش، الجزائر، 2011، ص 285.

2Haroun, L'été de la discorde Algérie 1962, op, cit, pp 145 – 146.

3مشاطي، مصدر سابق، ص ص 99 . 100.

من طرف قاضي التحقيق ورغم إجابته عن كل الاتهامات الموجهة إليه، إلى أنه تم اعتقاله وزج به في سجن الحراش الذي قضى به خمسة أيام بلياليها دون أكل ولا شرب.¹

تحدث "مشاطي" في مذكراته عن تلك الليالي التي قضاها في السجن فقال: "...رغم احتجاجاتي على القرار التعسفي واحتجاجات المحامي الخاص بي" الأستاذ غونون"، تم اعتقالي على الفور وأودعتُ سجن الحراش، قضيتُ هناك خمسة أيام بلياليها دون أن أكل أو أشرب من شدة الغضب والعجز ضد ظلم الأسياد الجدد، لكن وبفضل العمل المشترك لرفاقي في النضال لاسيما رفاق السجن السابقين بفران، خاصة "بن سالم" و"دوم" و"طالب" الذين دافعوا عني وعن براءتي فقد تم الإفراج عني مؤقتا، حيث ذكر لي أن "طالب" دافع عني بقوله: "إذا كان مشاطي سارقا فأنا أكبر السارقين"، وبعد ذلك وقفتُ مرة أخرى أمام محكمة الجزائر بتهمة مهينة وهي المساس بالتراث الوطني... هذه الحلقة من حياتي مرّت بشكل صعب جدا، ولكن في دولة اللاقانون لا يمكن فعل الكثير سوى الكبت في ألم... بقيتُ أبدا شخصا مزعجا بالنسبة للسلطة ومصالحتها بسبب عدم ميولي للإطراء اتجاه أصحاب الجاه".²

جدير بالملاحظة أنه ورغم كل ما مرّ عليه من ظلم وتعتسف بعد الاستقلال إلا أن "مشاطي" ظلّ يتابع عن كثب تطورات الوضع في الجزائر على جميع الأصعدة، مُحاولا في كل مرة تتاح له الفرصة تقديم الدعم والسند لاسترجاع الثقة المفقودة عند الشعب الذي حُيِّب أمله في الأخير حيث أحس أن انتصاره أفتك منه نتيجة خيانة بعض قادته المتهمين أساسا بالركض وراء السلطة، وهي نتيجة حتمية لسلسلة من الأزمات التي ترجع أصولها إلى الشعبوية والديكتاتورية وعدم الكفاءة، حيث يقول: "لقد حرّنا الجزائر لإنهاء حالة العبودية الاستعمارية المذلّة لصالح دولة وطنية مشكّلة من رجال أحرار ومواطنين مسؤولين عن مصيرهم ومصير بلادهم ليجدوا أنفسهم في ظل نظام اضطهادي لا دين له ولا ملّة استحوذ على السلطة بالقوة وأصبح يُسيّر البلاد كمتجر شخصي دون أن يكثرث لمصير شعب بأكمله أخذ رهينة، ومازالت تُداس حرياته الأساسية إلى اليوم، ماذا فعلنا لكي يكون لنا هذا المصير الحزين؟".³

كان "محمد مشاطي" إطارا سياسيا بارزا ومناضلا قّدا ومدافعا كبيرا عن القيم الوطنية، لعب دورا بارزا في التحضير للثورة التحريرية، واضطلع بمسؤولية كبيرة في تسيير وإدارة الجالية الجزائرية بفرنسا، وهذا النشاط الفياض للمجاهد كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجه السياسي، ومن جهة أخرى حنكته وخبرته الكبيرة وموقفه من التحولات إلى سيشهدها المشهد السياسي في الجزائر بعد الاستقلال وانعكاساتها على المجتمع الجزائري، وظلّ خادما لوطنه بكل ما أوتي من قوة وإمكانيات حتى وافته المنية يوم الخميس

1 نفسه، ص 100 . 102.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص 102.

3 نفسه، ص 119.

03 جويلية 2014 الموافق لـ 06 رمضان 1435 عن عمر ناهز 93 سنة قضاها في الجهاد والتضحية من أجل بلاده وأبناء شعبه.

ظل متمسكا بالأمل في إعادة التجديد والبناء من طرف الأجيال الوطنية القادمة التي ستحافظ على أمانة الشهداء وستواصل لا محالة مساهمهم الذي رسموه في مخيلتهم وضحو بالنفس والتفيس من أجل تحقيقه ألا وهو تشييد جزائر حرة ديمقراطية يتنفس شعبها عزة وكرامة.

وستكمل أجيال الاستقلال خطوات أجيال الثورة وتثبت للعالم بأسره قدرتها على بناء دولة عظيمة كعظمة ثورتها التي أصبحت نموذجا للتحرر والانعقاد من قيود الظلم والاستبداد، وعن أمل "مشاطي" في هذه الأجيال يقول: "لقد حان الوقت لكي نثبت بشجاعة وثقة في أنفسنا وفي العبقريّة الخلافة لشعبنا التّوّاق إلى العدالة والحرية والكرامة والذي عانى كثيرا، بثقته المسترجعة ومساهمته السخية والتلقائية سنحقق حلم شهدائنا الذي يتمثل في مجتمع سعيد، في جزائر يطيب فيها العيش للجميع، ولكي نسترجع ثقة شعبنا ليس هناك غير طريق الديمقراطية التي لها مصداقية وتحمل الأمل، وسنبز بذلك للعالم قدرة الجزائر على ابتكار ديمقراطية جديدة بأن تقدّم كمثال في انتظار أول نوفمبر جديد في كنف الوحدة والثقة المسترجعة".¹

المبحث الثاني: صالح الوانشي

المطلب الأول: ظروف تنشأته الأولى

1. مولده ومواكبته اليقظة الوطنية:

ولد "صالح الوانشي" يوم 21 جوان من سنة 1923 في قرية "إغيل مال" التابعة لقبيلة "آيت زمتر" المعانقة لجبال جرجرة بولاية "تيزي وزو"، وهي أهم قرية بالمنطقة كلها مع "آيت وانش"، بدأت مأساته بوفاة والدته المدعوة (ذهبية قاسي) وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره بسبب مرض "التفؤيد"، فكفلته أخته الكبرى صاحبة الـ 14 عاما بمساعدة جدّته (يما حلومة)²، وهذا ما يفسّر أنه عاش طفولة صعبة امتزج فيها الفقر والحرمان من أدنى متطلبات العيش الكريم لطفل في سنه هو بأمس الحاجة للحنان والعطف من جهة وللتعليم والتكوين من جهة أخرى.

لم يتمكّن "الوانشي" من الالتحاق بالمدرسة إلا سنة 1930 في الذكرى المئوية للاحتلال حينما سجل بالمدرسة الأهلية "جانمير" "Jeanmaire" بتيزي وزو متأخرا عن بقية أقرانه بسنة، وتلمذ فيها على يد معلمته الفرنسية التي كانت محبوبة جدا لديه بسبب معاملتها الحسنة له وهي السيدة "آسان" "Acène"، وهناك نجح وتفوّق في تعلّم القراءة والكتابة وتحصّل على الشهادة الابتدائية سنة 1935، وقد اعتبر ذلك عملا بطوليا لأن 10 % فقط من التلاميذ من كان يصل إلى تلك الدرجة، وانتقل بعدها إلى القسم العالي من أجل الدخول إلى المدرسة الابتدائية العالية سنة 1936 وسيلتقي فيها للمرة الأولى بتلاميذ

1 مشاطي، مصدر سابق، ص ص 132 . 133.

2 آن ماري الوانشي، مصدر سابق، ص 13.

أوروبيين، ولم يكتفي بالتركيز على الدراسة فحسب بل حاول مواكبة التطورات السياسية التي عرفتها الجزائر آنذاك، منها قراءة الصحف الوطنية خاصة "جريدة الأمة"¹ خصوصا ما تعلّق فيها بتصريحات "مصالي الحاج" التي يؤكّد فيها دائما أن الجزائر ليست فرنسية ولن تكون كذلك بسبب إرادة أبناءها.²

تؤكد هذه الشهادة أن "الوانشي" قد واكب اليقظة الوطنية منذ أن كان صغيرا حيث حاول بما كان يملكه من معلومات بسيطة فهم مجريات الأحداث في الجزائر لاسيما ما تعلّق بمصير مستقبلها مع فرنسا، من خلال تركيزه على قراءة خطابات "مصالي" وأفكاره التحريرية دون بقية الاتجاهات الفكرية والتيارات السياسية التي كانت تنشط آنذاك في الجزائر، وهذا ما يدل على وطنيته الكبيرة وتعلقه الشديد ببلده الذي أراده حراً مستقلا عن أي جهة أو قوة أجنبية، ما يوحى بفطنته منذ طفولته وذكائه في استشراف المستقبل وإمكانية التنبؤ به بعد فهم أحداث الماضي وتحليل مجريات الحاضر، بدليل أن قراءته لتلك الصحف لم تكن سطحية ولم تمر عليه كباقي أقرانه في السن، بل حاول فهم مدلولاتها وأبعادها وانعكاساتها المستقبلية على الجزائر.

يبدو أن "مصالي" بشخصيته الثورية الاستقلالية كان له تأثير كبير وواضح على الجزائريين كبارا وصغار إذ أن الأطفال أيضا كان لهم نصيب من قراءة أفكاره وخطاباته كونه انطلق في نضاله من صفوف الطبقات الكادحة والمغمورة في سن مبكرة، وهو ما جعله أكثر رواد الحركة الوطنية إحساسا بالجزائريين وترجمة لمعاناتهم وبؤس واقعهم وظروفهم، خصوصا بعد انتقاله إلى فرنسا مجندا عسكريا ثم مهاجرا باحثا عن العمل، ليتحول إلى مناضل وطني وقائد سياسي ذو فكر تحرري انفصالي عن فرنسا.

مثّلت الاحتفالات المئوية وكل ما صاحبها من تطورات طيلة فترة الثلاثينات منعرجا حاسما في تاريخ "الوانشي" وتكوينه السياسي ونضاله ضد الوجود الاستعماري، حيث تمكّن بفضل تعلمه للقراءة والكتابة من فهم العديد من مجريات الأمور ومضامين القرارات والقوانين السياسية، كما اتّضحت له الرؤيا بخصوص نشاط ح.و.ج لاسيما نضال ح.ش.ج بقيادة مصالي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة بن باديس، كما أن احتكاكه بالتلاميذ الأوروبيين أطلعه بوضوح على حجم التمييز الذي كان سائدا بينهم، وكمية الظلم والحرمان الذي يعاني منه أبناء الجزائريين مقارنة بغيرهم من أبناء المستوطنين وباقي الفرنسيين، وهو ما سيشكل لديه قاعدة صلبة للنضال وقناعة راسخة بضرورة التحرر وطرد المحتل المتسبب الأول في تفاقم تلك المعاناة.

1 جريدة الأمة: أسسها مصالي في أكتوبر سنة 1930 وأصبح مديرها السياسي سنة 1931 حيث كان يوقع مقالاته فيها باسم مستعار هو "التلمساني" = للمزيد أنظر: بنجامين سطورة، مصالي الحاج، 1898. 1974، رائد الوطنية الجزائرية، تر: صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999، ص 78.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص 15. 16.

عرفت الجزائر خلال فترة الثلاثينات بعد بلوغ الاستعمار قرنا كاملا اشتدادا لسواعد الوطنيين وتطورا لنشاطاتهم السياسية والثقافية وكان ذلك بدءا من الاحتفالات المئوية وما صاحبها من استفزات فرنسية طبعتها الممارسات العسكرية العنيفة والخطابات الحكومية السلبية التي زادت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية سوءا وبؤسا، كما أن تلك الاحتفالات قد أثبتت أنها أبعد من أن تكون مجرد مناسبة عابرة بل هي شكل من أشكال تأكيد رؤى الاستعمار وتوجهاته المستقبلية من خلال محاولتها بث الفشل في نفوس الجزائريين وإقناع عقولهم بذلك، والتأثير على نفسياتهم بالعجز الكامل عن تحقيق مطالبهم ومن ثم ضرورة تقبلهم للوجود الفرنسي وخضوعهم لفرنسا لأنه لا جدوى من محاولة مقاومتها، وهذا ما يثبتته تفوق قرن من العمل وتأكيده لعبقريّة المستعمر الفرنسي.

لم يبق الجزائريون مكتوفي الأيدي وصامتين عن تلك الاستفزات التي أثارها فرنسا في خطاباتها في تلك الاحتفالات بل ردوا بأنها ستكون دافعا قويا لإثبات شخصيتهم الوطنية ومحفزا كبيرا لهم لبناء مستقبل أفضل لهم بعيدا عن فرنسا وأفكارها الاستعمارية المبنية على الظلم والقهر والاستبداد، كيف لا وهي من سعت بتلك الاحتفالات إلى إعادة إحياء الجرح الدامي في الجزائر وتعميقه أكثر، لكنها لم تكن تعرف أنها قد شحذت الهمم لدى الجزائريين الذين أعدوا العدة لمواجهة هذا الاحتلال العاشم، وهذا ما عبّر عنه ابن باديس بقوله: "إن قرنا من الزمن كان كافيا لكي تلتئم الجراح، لكن يسعى اليوم رجال عديمو الرحمة إثارة الذكريات وإبرام نار الحقد والضغينة، إن تلك الاستعراضات والعروض... تمثل مساسا كبيرا بكرامتنا".¹

2. ظروف نشأته الاجتماعية:

سألت ظروف "الوانشي" الاجتماعية وتأزمت أوضاع عائلته الاقتصادية ولم يتمكن بسبب ذلك من إنهاء سنته الدراسية الثالثة سنة 1939، فكان انقطاعه عن الدراسة جرحا كبيرا سبّب له ألما عظيما خصوصا كونه كان تلميذا نجيبا ومتفوقا حيث تذكر زوجته أنه كان شغوبا بالمطالعة ومحبا كبيرا لها حيث يمضي معظم أوقاته في تصفّح الكتب المتوفرة لديه، وهذا ما أكّده أيضا أحد أصدقائه حين ذكر أن "الوانشي" كان يستعين بقراءة الكتب للصبر على مرارة الواقع الذي كان يعيشه²، حيث اضطرّ لمساعدة عائلته من خلال القيام بأعمال صغيرة مثل تغليف التين ومساعدة والده في القيام بالأعمال البلدية ككنس سوق السبت وتطهير المقبرة من الأعشاب وغيرها من الأعمال التي فُرضت عليه بسبب عجزه عن دفع الضرائب المحلية، وقد شكلت تلك الفترة أياما تعيسة له، لكنها صقلت حياته وزادته صبرا وقوة وقدرة على التحمّل، إلى درجة أنه كان يكره من يشتكي الجوع لأن في نظره من لم يذق الجوع هو من يشتكي منه.³

1 عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 - 1945)، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 93.

2 Anne Marie Louanchi, Salah Louanchi parcours d'un militant algérien, Edition Dahlab, Alger, 1999, pp 13 - 17.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 17 - 18.

في خريف سنة 1939 تعرّف "الوانشي" لأول مرة على الكشافة الإسلامية الجزائرية التي ساهمت في خلق جيل جديد ومدرّب على العمل والنظام ومسلّح بالقيم الوطنية كونه يرفض الانقياد ويتطلّع دوما نحو الحرية¹، وقد حدث ذلك "للوانشي" عن طريق زميله في الدراسة "أحسن علواش"، الذي اصطحبه للقاء القائد "رابح بوبريت"²، هذا الأخير كان له الفضل في إنشاء جماعة من الكشافة الإسلامية بتيّزي وزو سنة 1938، قبل أن يشكّل رفقة "أحمد بوراس" فوجا حمل اسم "الهلال" سينشط في المنطقة تحت إشراف "أكلي سلوم"³، وفيها سيتدرّج "الوانشي" في النضال بعد اكتسابه لمفاهيم جديدة، وأسس كشفية عميقة ستوجّهه إلى تربية سياسية وطنية ذات طابع ديني عميق.

على هذا الأساس كانت فترة الثلاثينيات حاسمة جدا في التاريخ النضالي لـ "الوانشي" نظرا للحياة المتنامية التي عرفتتها الحركة الوطنية والتي بلغت أوجها عام 1936 من حيث نمو الوعي الوطني والإحساس بالهوية⁴، وهو ما جعلها تعتبر محطة هامة في تاريخ الحركة الوطنية، ومن هذا المنطلق فإن الاحتفالات المئوية كانت شعورا بالانتصار والعظمة بالنسبة لفرنسا أما بالنسبة للجزائريين فإنها كانت فترة الانتفاض والمواجهة التي ستترجم فيما بعد في تزايد نشاطه السياسي للحركة الوطنية ثم انتقاله إلى الكفاح الثوري المسلّح الذي سيحسم من خلاله المعركة لصالحه وسيستعيد حريته المسلوبة منذ أزيد من قرن.

انتهت فترة الثلاثينيات باشتعال فتيل الحرب العالمية الثانية سنة 1939 وكان "الوانشي" شابا يافعا في مقتبل العمر لا يتجاوز 16 سنة من عمره، وفي ظل استمرار تكوينه الكشفي أصبح بإمكانه تحليل وفهم مجريات الأحداث خصوصا المحلية والوطنية منها، وربطها بالتطور الحاصل في العلاقات الدولية، لاسيما بعد محاولة بعض الشباب من حزب الشعب الجزائري ربط اتصالات مع القوات الألمانية في محاولة منها للاستفادة من الوضع، فكان مصيرهم التجاهل من طرف الألمان من جهة كونهم لا يختلفون عن الفرنسيين فمشروعهم أيضا استعماري بامتياز، كما تجاهلتهم إدارة الحزب وعلى رأسها "مصالي" الذي اعتبرهم خارجون عن إدارة الحزب وأصبحوا غير ممثلين له ولتوجهاته، ومن جهة ثالثة تعرضوا لحملة من ملاحقات الشرطة الفرنسية الذين اعتبرتهم عناصر خائنة وخطيرة تهدد الأمن الفرنسي وجب القبض عليهم وتصفيتهم.

1 أمال علوان، "مساهمة الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية في الثورة التحريرية 1954 . 1962"، مجلة عصور الجديدة، ع09، 2013، ص173.

2 رابح بوبريت، اسمه الحقيقي مقران بوبريط ولد بتيّزي وزو في 27 أكتوبر 1915، انخرط في الرواد الاتحاديين للكشافة سنة 1931، تعرّف على مؤسسها بوراس سنة 1936 وشارك معه في تأسيس فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية، ثم أنشأ فوج الهلال بتيّزي وزو سنة 1939، وبعد مجازر الثامن ماي هاجر إلى ألمانيا مجندا عسكريا ثم إلى فرنسا وبقي فيها إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية حيث شارك في نشاط جبهة التحرير الوطني، عاش الاستقلال الوطني وتولى عدة مسؤوليات في الجزائر المستقلة منها مدير منتدب للهلال الأحمر الجزائري في 1968 = للمزيد أنظر الشيخ أبو عمران، ومحمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية 1935 . 1955، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 415.

3الوانشي، مصدر سابق، ص ص 21 . 22.

4أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات 1925 . 1954، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 254.

تأثر "الوانشي" على غرار الكثير من أقرانه بالظروف الخارجية التي كانت تلعب دورا بارزا في بعث الحماس لدى الجزائريين وتعميق وعيهم الوطني، في ظلّ ما عرفته الجزائر من تأثر بالوضع العالمي كمشاركتها في الحرب إلى جانب فرنسا، والأوضاع المزرية التي عاشتها كجلّ دول العالم خلال هذه الحقبة، لا سيما بعد انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو الدولي في "و م أ" بحضور خمسون دولة لفرض صياغة ميثاق "هيئة الأمم المتحدة"¹ الذي كان له الأثر البالغ على زيادة نمو الوعي التحرري لدى الجزائريين بعد أن أعطاهم الأمل في نيل الحرية والاستقلال، خصوصا أن "الو.م.أ" كانت حامية السلام الأولى في العالم نظرا للفرغ السياسي الذي كان يشهده العالم آنذاك بعد انهيار القوى العظمى المنافسة لها²، إضافة إلى عملية نزول الحلفاء سنة 1942 التي ستكون محطة حاسمة في نضج الوعي السياسي لدى الوانشي بعدما رأى فارق القوة بين القوات الفرنسية والأمريكية.

أشارت "ماري آن" زوجة الوانشي إلى هذا التأثير الكبير لزوجها بعد نزول الحلفاء وانعكاس ذلك على تطور الوضع والوعي السياسي لدى الجزائريين، فذكرت قولها: "أحدث النزول الأمريكي في نوفمبر 1942 عند صالح وأصدقائه شعورا بسخط العجز وقال لي بعد زمن طويل أن بلدنا كان يُداس دون عقوبة ونحن نتفرج إنه حقا الرمز للفقدان الكامل... لكن في الوقت نفسه كان الحدث نعمة علينا لأنه هو من سيمنح للجزائر مكانة مشروعة على المستوى الدولي، كما أنه سينتج عنه الكثير من الامتدادات التي ستساعد على إحياء الحياة السياسية من جديد".³

المطلب الثاني: مسيرته النضالية في الجزائر

1. بداية نضاله السياسي

لم يكن تطور الوعي الوطني لدى الجزائريين نتيجة الظروف الخارجية فحسب بل نتج أيضا عن تطور الوضع السياسي الداخلي خاصة من خلال النشاط الذي دأب حزب الشعب القيام به، فرغم إيقاف السلطات الفرنسية للنشاط السياسي في الجزائر منذ 1939 لانشغالها بالحرب العالمية الثانية حيث ساءت وتدهورت أوضاعها خصوصا بعد سقوط العاصمة باريس بعد سنة (1940)⁴، إلا أن هذا الحزب واصل نشاطه وحملات التوعية والمقاومة بطريقة سرية رغم قساوة القمع، حيث تم إعادة تشكيل اللجنة المركزية منذ أكتوبر 1942 برئاسة الأمين دباغين وإعادة تنشيط الفروع المحلية والاتصال بأعضاء جدد لزيادة عدد المنخرطين في الحزب بعد النجاح في ضم عناصر جديدة ستكون لها إضافة فاعلة في نشاطاته المستقبلية.

1 سهيل حسن الفتلاوي، المنظمات الدولية، بيروت، دار الفكر العربي، 2004، ص 210.

2 Charles De Gaulle, mémoires de guerre le salut 1944 – 1946 , Librairie Plon, France, 1959, p249.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 25.

4 شوقي عطا الله، عبد الرزاق براهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة، 2000، ص 269.

كان "الوانشي" من بين الأعضاء الجدد المنضمين إلى ح.ش.ج، حيث انتقل إلى مدينة الجزائر واتّصل بالمناضل "حسين عسلة" لدعم الحزب بعناصر أخرى، وقد كان له دور بالغ في التنسيق بين خلايا الحزب في تيزي وزو ولم يكن عمره قد تجاوز العشرين سنة، وهكذا باشر "صالح" نضاله السياسي في ح.ش.ج محاولا فهم مجريات الأحداث والتطورات المحلية والعالمية بهدف إيجاد مخرج لوضعية بلده وشعبه، والتخلص من الهيمنة الاستعمارية بأية طريقة ممكنة¹، مستفيدا من تجاربه السابقة لاسيما التي اكتسبها خلال مسيرته الكشفية.

عرفت الحركة الوطنية خلال هذه الفترة نضجا كبيرا وأظهرت أساليب جديدة في التعامل مع الاستعمار، خصوصا في عهد الجنرال ديغول الذي سعى جاهدا لإعادة هبة فرنسا المفقودة في نظر الجزائريين بتقديم العديد من المشاريع والإصلاحات الوهمية التي لم تخرج عن نطاق سابقتها حيث لا تتجاوز تكريس المشروع الاستيطاني ومواصلة نهب الخيرات الجزائرية لخدمة وتطوير الاقتصاد الفرنسي الذي أنهكته الحرب الألمانية وأثقلت كاهله الديون الأمريكية.

اتّضحت معالم النضج لدى الحركة الوطنية في المشروع الوحدوي الذي قادة "فرحات عباس" يوم 14 مارس سنة 1944 باسم لجنة "أحباب البيان والحرية"، التي ضمت أفراد من مختلف التيارات والتوجهات السياسية الجزائرية كانوا واعين برهانات تحريرهم، حيث حدث فيها انخراط المناضلين وعلى رأسهم "فرحات عباس"، "لمين دباغين"، و"عسلة"، وكذا "صالح الوانشي" الذي تم تعيينه أمينا عاما مساعدا لهذه اللجنة لمدينة تيزي وزو، رفقة الدكتور "واكلي" كرئيس²، وهكذا أصبحت الحركة ذات حجم شعبي واسع وعرفت نشاطا متزايدا كونها أصبحت تمثل اتحادا وتكتلا لكل اتجاهات الحركة الوطنية وهدفها الأساسي الدفاع عن المساواة والحرية، والخروج من التعاسة والتلصص الاستعماري³.

وهذا ما اتّضح في المادة الرابعة من قانونها الأساسي التي ورد فيها: "...جعل فكرة الأمة الجزائرية أمرا مألوفا وتشكيل جمهورية جزائرية مستقلة متحدة مع جمهورية فرنسية مجددة مضادة للاستعمار والامبريالية، وننشئ عند كل سكان الجزائر سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهودا التضامن الجزائري والإحساس بالمساواة كعنصر الأساسي للأمة، فلا عنصرية ولا تحزبية بل ضرورة وجود نظرة خيالية لمصير مشترك لأن المستقبل لا يمكن أن يبنى إلا على صورة جماعية للماضي⁴، مع التأكيد على الدعوة إلى الحق

1 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 25 . 27.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 28 . 29.

3 جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب، مرجع سابق، ص 415.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 29 . 30.

في العيش الكريم وفي الحياة الوطنية للشعب الجزائري¹، وتذكير الفرنسيين بأن عليهم أن يضعوا في خدمة الشعوب المغاربية مثالهم للحرية والوطنية.²

وقد نالت هذه الحركة شعبية كبيرة لأنها أصبحت تمثل تطلعات الجزائريين للحرية وتعبيرا شرعيا عن الوطنية الثورية، غير أن التحكم في زمام الأمور ومراقبة سلوك المنخرطين صارت مهمة صعبة³، كونهم قد غلب عليهم طابع الحماس الشعبي والاندفاع نحو تقرير المصير والتزامهم الكامل للقضية الوطنية لاسيما بتواجد أعداد كثيرة من أتباع "ح ش ج" حيث اتخذوها فرصة للمطالبة بالإفراج عن مصالي الحاج الذي كان محتجزا.

اعتبرت السلطات الفرنسية مناضلي حركة أحباب البيان والحرية عناصر خطيرة تهدد الأمن العام لذا وجب مطاردتهم وتوقيفهم فشنت ضدهم حملة اعتقالات واسعة، فكانت البداية في 10 فبراير 1945 باعتقال سبعة عناصر كان "الوانشي" من بينهم باعتباره أمينا عاما للحركة وفي الوقت نفسه قائد فرقة كشافة، حيث ذكر تقرير شرطة وجه إلى الحكومة العامة يوم 23 فبراير من السنة نفسها أن "هناك تواطؤ بين حركة الكشافة الإسلامية والحركة الوطنية الجزائرية الأهلية، والواقع أن كل المتهمين ثبت انتمائهم إلى النظام الكشفي، لهذا اعتبرت الشرطة "الوانشي" محتجزا إداريا ومحبوسا شرعيا بتهمة المساس بالسيادة الفرنسية، وتم تحويله إلى السجن العسكري بمدينة الجزائر وكان عمره آنذاك 22 سنة.⁴

كانت تلك المرة الأولى التي يسجن فيها "الوانشي" واستمر الوضع مدة عشرين يوما قبل أن يتم الإفراج عنه رفقة بقية زملائه في النضال يوم 09 مارس 1945، بعد أن تبين للشرطة أن المنشور الذي وُزع في تيزي وزو كان قد مرّ على المراقبة بالجزائر وبالتالي فإن نشاطهم كان قانونيا وسجنهم كان قرارا ظالما، وقد كانت لهذه التجربة أثرا بالغا عليهم كونها ساهمت في تطور فهمهم للأوضاع وتنمية حالتهم الفكرية وتعزيز إيمانهم الوطني، والعودة بقوة إلى استئناف نشاطهم السياسي، وفي هذا الصدد ذكر في رسالة وجهها إلى صديقه "رابح بوبريت" الذي كان لا يزال مجنّدا في جيوش الحلفاء: "...إياك أن تحسب أننا تألمنا كثيرا، نحن لم نندم قط على ذلك لأن تجربة سجننا لم يكن لها ثقل كبير علينا بل ساهمت في رفع قيمتنا، وأراهن أنك لن تعرفني يوم عودتك إلى الجزائر لأن ذهني تطور كثيرا... نحن أصحاب صمود، شعار قادتنا هو الصمود وأنا متيقن أننا سنصمد..⁵

انتهت الحرب العالمية الثانية في هذا الجو المشحون بالتوتر والذي رفع بدوره درجة الغليان الشعبي لاسيما في ظل الإفراجات العميقة على مستوى الوعي السياسي الجزائري بعد فهم التحولات العالمية، ما

1 شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مج 2، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص ص 922 . 923.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص 30.

3 Ferhat Abbas, La nuit coloniale, édition Julliard, Paris, 1962, p152.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 30 . 31.

5 Louanchi, op, cit, p 28.

جعل زعماء الحركة الوطنية يغتنمون الفرصة لتنظيم مظاهرات سلمية يوم الفاتح ماي 1945 المصادف لذكرى اليوم العالمي للعمال بهدف إحياء عيد الشغل وتنبيه الرأي العالمي لما يحدث في الجزائر من جهة والتنديد باستمرار القمع الفرنسي من جهة أخرى¹، من خلال رفعهم شعارات تطالب بالاستقلال والحرية ورفع الأعلام الجزائرية لتذكير فرنسا بوعودها التي قطعتها اتجاههم بعد مشاركتهم إلى جانبها في حربها ضد ألمانيا النازية، كما بينت هذه التحركات النضالية فهم الجزائريين لمجرى العلاقات الدولية والتحولت التي شهدتها العالم بعد سنة 1945 حيث ظهور الهيئة الأممية لحماية الأمن والسلم العالميين من جهة وانتشار موجة التحرر في المستعمرات بالعالم الثالث من جهة ثانية، ودعم الاتحاد السوفيتي للحركات التحررية في ظل تعيير موازين القوى لصالح هذا الأخير والولايات المتحدة الأمريكية بعد خروج زعامة العالم من أوروبا.

بهدف تخفيف الضغط الذي تسبب فيه الإرهاب الفرنسي على مناطق الشرق الشمالي الجزائري أمرت قيادة ح.ش.ج بإرسال أمر بالثورة العامة قصد بعثرة القوات الفرنسية المتمركزة هناك، وتم تحديد تاريخها بيوم 23 ماي وكان "الوانشي" ممن كُلف بالإعداد لها، لكن وبسبب استمرار القمع الفرنسي ووصول بعض التسيريات للشرطة بشأن هذه الخطوة تم إرسال أمر معاكس لنفاذي حمام من الدم وزيادة الطين بلة، ورغم ذلك فقد قام بعض الشبان ممن لم يصلهم خبر إلغاء العمليات بتنفيذ العديد منها على غرار تمرد مدرسة شرشال العسكرية، وانفجار قطار الذخيرة في الحراش، ووقوع بعض الاغتيالات بمنطقة القبائل والتي خلالها تم توقيف "الوانشي"².

بقي "الوانشي" في السجن بعد تلك المجازر معتقلا في السجن إلى غاية إقامة الانتخابات التشريعية في أكتوبر 1945 حين خرج في وضعية سياسية مسدودة تماما، كون ح.ش.ج الذي كان ينتمي إليه كان لا يزال في مرحلة السرية وبالتالي بقي في اللاشريعة، ومن هذا المنطلق استحال بقاء "الوانشي" في تيزي وزو فسعى صديقه "رابح بوبريت" إلى تعيينه في مدينة الجزائر كعضو دائم لاتحادية الكشافة الإسلامية بالمحل الكشفي الواقع 08 شارع "لابيشري" "La Pécherie"، وهناك استفاد كثيرا من المعتقلين السياسيين الذين تم الإفراج عنهم بموجب قانون العفو العام في 9 مارس 1946، على غرار "فرحات عباس" الذي سيؤسس حزبه "إ.د.ب.ج" فور خروجه، في الوقت الذي بقي فيه مصالي في السجن إلى غاية 13 أكتوبر من السنة نفسها³، وظلّ حزبه غير شرعي ورغم ذلك استمرت أعماله السرية لنيل الاستقلال لاسيما بعد تأسيسه للمنظمة الخاصة التي أخذت على عاتقها مهمة التحضير للكفاح المسلح.

1 يوسف قاسمي، "مجازر 8 ماي 1945 الخلفيات والأبعاد"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، ع 15، بسكرة، الجزائر، أكتوبر 2008، ص 130.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص 33. 34.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 41.

استمر نضال "الوانشي" الفعّال في تكوين الشبان مع التزامه الكلي بالانتماء لح.ش.ج والمشاركة في النقاش الأساسي آنذاك حول الشرعية والسرية في أعمال الحزب، وواصل ربط علاقاته مع مختلف توابع الحزب وهو ما جعله رجلا محرّرا من أي نوع من التبعية، بعد أن تكونت لديه قنوات راسخة مكّنته من التغلّب على جميع الأزمات التي زعزعت الحركة الكشفية والحركة الوطنية الجزائرية في مسارهما النضالي، وتعمّق إيمانه الراسخ بضرورة الكفاح حتى استرجاع الاستقلال والحرية والتخلص من ظروف الحياة الاستعمارية، فكان طيلة فترة تواجده بمدينة الجزائر يتنقل كثيرا من أجل تفتيش وتنشيط المخيمات والدارس والأفواج الكشفية البعيدة عن المدينة، وفي خضمّ ذلك سعى "الوانشي" إلى التعريف بالقضية الجزائرية ومنح الكشفية الإسلامية الجزائرية سمعة دولية وإبراز اختلافها وتميزها عن الكشفية الفرنسية وهو ما حاول تحقيقه بالمشاركة في التجمع الدولي "جانبوري دي مواصون" "Jamborée de Moisson" الذي ضم خمسين ألف كشاف مثلوا 42 بلدا من مختلف بقاع العالم احتفالا من أجل السلام، فتحدّى "الوانشي" كل عراقيل الإدارة الفرنسية وشارك بمائتي كشاف جزائري قام بانتقائهم بعناية ودقة عالية، وهذا ما زاد من تنمية الشعور بالاعتزاز الوطني.¹

لم تبقى الكشفية الإسلامية الجزائرية على هامش الأحداث التي عاشها المجتمع الجزائري ولم تتبعد يوما عن التطورات السياسية السائدة بل كان لها الحظ الأوفر في نشر الروح الوطنية وزيادة الوعي القومي²، وهذا ما يتأكد من وجود العديد من مؤسسي الأفواج الكشفية مناضلين في ح ش ج، إضافة إلى تسجيل الكثير من العناصر الكشفية لمشاركتها الفعالة في مقدمة الموكب الوطني بزيّها الرسمي في مظاهرات ماي 1945 ورفعها للأعلام الوطنية، ثم الإعلان الرسمي لها عن انتمائها للحركة الوطنية حين دافعت عن مطالب ح.ش.ج عند مشاركتها في "جمبوري دي مواصون" "Jamborée de Moisson" بفرنسا³، ومن هذا المنطلق كان "الوانشي" على غرار العديد من عناصر وأعضاء ح.ش.ج من العناصر الكشفية.

لم تمر مظاهرات الاستقلال للكشفية في الجامبوري دون لفت الانتباه الفرنسي بل زادت من إقناعهم بضرورة اتخاذ الاحتياطات اللازمة والحذر اتجاههم من طرف باقي الاتجاهات الكشفية، لذلك استدعت مصالح الشبيبة الحكومة العامة إلى "سيدي مدني" يوم الفاتح من نوفمبر سنة 1947 مسؤولي كل الحركات باختلاف عقائدها لتطلب منها الموافقة على تصريح مشترك يقضي بعدم تسييس الحركة الكشفية، ومنعها من إظهار أية ميول سياسية مهما كان نوعها والجهة المسؤولة عنها، غير أن الكشفية الإسلامية تميزت عن الجميع بعد رفضها التوقيع على النص المقترح واعتبرته خيانة للوطن⁴، وهذا ما يؤكد

1 نفسه، ص 42. 44.

2 الشيخ بوعمران، محمد جيجلي، مصدر سابق، ص 53.

3 محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939. 1951، تر: أحمد بن البار، ج 2، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 1163.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 46. 47.

مرة أخرى وطنية العناصر الكشفية العالية واقتربها الكبير من أفكار وإيديولوجية حزب الشعب حيث تشترك معه في الدفاع عن الحرية والاستقلال واستعادة السيادة المسلوبة منذ عقود طويلة مهما كان حجم التضحيات المقدمة في سبيل تحقيق ذلك.

اتّضح هذا البعد أيضا بعد اجتماع الحراش الذي تمّ في نهاية جويلية سنة 1948 وتعيين "الوانشي" محافظا عاما لفرع "الرحالة" الذي ضمّ شباب تتراوح أعمارهم بين 16 و20 سنة أو أكثر، وقد تلقى حوالي ألفا من هؤلاء الشباب تكوينا خاصا انطلاقا من برنامج أعده "الوانشي" حدّد فيه المحاور الكبرى في نشرية داخلية من بين ما ورد فيها: "كل تربية لا يقصد بها تسليح الشباب من أجل الكفاح الذي سيقومون به في الحياة ليس له معنى، إن الكفاح يتّخذ أشكالا متنوعة... قد يتطلّب أحيانا الثقافة وفي أغلب الأوقات القوة البدنية ودائما العزم... ينبغي على الرحالة أن يعلموا لماذا يجب عليهم خدمة بلدهم، وتطويره حب الوطن من خلال اطلاعهم على تاريخه، وتعريفهم بالمجالات التي يمكنهم السعي فيها".¹

غير أن هذه الخطوة الجريئة من طرف قادة شبان حزب الشعب ضمن الحركة الكشفية كان له أثر فوري على حياة الكشافة الإسلامية، فقد وضعت الإدارة الفرنسية إجراءات تعسفية ضد القادة والأفواج اعتمادا على دعاوي باطلة واعتقال بعضهم²، كما عرقلت نشاطاتهم وشدّدت عليهم المضايقات البوليسية، وحرمانهم من كل المساعدات الضرورية لتمويل المخيمات ومصيفات الأطفال، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى تعرّض القادة إلى المساس بحياتهم المهنية، وأُجريت تفتيشات مكثّفة للمحلات الكشفية حتى أصبح أولياء الكشافين عرضة للاستنطاق والتهديدات البوليسية، وتم إيقاف عديد الفرق من النشاط دون سبب، ما دفع بـ"الوانشي" إلى تحرير تنديدات وتحذيرات في الصحافة الوطنية والدولية وذكر القمع الذي تعرّضت له الحركة الكشفية.³

وكان "دوم" قد ذكر أيضا في هذا الصدد: "أن الكشافة آنذاك أصبحت تعمل بصعوبات مالية ومادية كبيرة حيث لم تكن تتلقّى أية تعويضات عكس الحركات الكشفية الفرنسية، كما كان أمينهم الوطني "الوانشي" يجد صعوبة في العيش بالمبالغ الزهيدة التي كانت تُمنح له، إذ أن بدايات الشهر كانت شاقة له وكانت فواتير الفنادق تتراكم".⁴

جدير بالملاحظة أن الكشافة الإسلامية الجزائرية قد واصلت مسيرتها النضالية حتى بعد وفاة مؤسسها "بوراس" وظلّت في مساعيها الرامية لتحقيق أهدافها وترسيخ مبادئها، ناجحة رغم بساطة إمكانياتها في التفوّق على العدو الفرنسي حين حطّمت جميع آماله في طمس مقومات الهوية والشخصية الوطنية، كما

1 نفسه، ص 47.

2 أبو عمران الشيخ، محمد جيجلي، مصدر سابق، ص 16.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 48 . 49.

4 دوم، مصدر سابق، ص 28.

ساهمت بفعالية كبيرة بعد مجازر الثامن ماي 1945 في إيقاظ الشباب الجزائري حيث جعلته أكثر استعدادا للكفاح من أجل تحقيق مهمة التحرير، لهذا كانت محل اهتمام هذا العدو الذي قاد حملة اعتقالات واسعة ضد مناضليها وسلسلة اغتيال المئات من رجالها وإغلاق نواديها وتعذيب قادتها دون هوادة، ورغم ذلك تحدّت كل المعوقات واستمرت في النشاط بمختلف الأساليب والوسائل المتوفرة فكانت بحق مدرسة تربوية رائدة في تربية النشء وتكوين جيل مدربا على العمل بنظام مؤمن بالقيم الوطنية مشبع بالروح الثورية والتضحية لقيادة الكفاح من أجل تحرير الوطن.

2. موقفه من أزمات حزب الشعب الجزائري

* موقفه من الأزمة البربرية:

بدأت إرهابات هذه الأزمة تلوح في الأفق بعد مجازر الثامن ماي 1945 عندما انضمت عناصر جديدة لح.ش.ج كانت مختلفة في إيديولوجيتها عن إيديولوجية الحزب وأفكاره الوطنية، ثم تجسّدت حين بدأت هذه العناصر تطالب للجزائر بالبربرية مع رفض أي انتماء للشعب الجزائري بالعروبة والإسلام¹، لتتأكد رسميا في مؤتمر أكتوبر سنة 1946 عندما اتّهم مصالي بالمماثلة في التحضير للعمل المسلح، ومباشرة "واعلي بناي" في المطالبة علنا بإنشاء منطقة واحدة للناطقين باللهجة القبائلية²، فرفضت اللجنة المركزية للحزب هذا المطلب، غير أن نجاح "رشيد علي" في أن يصبح عضوا في اللجنة الفدرالية بفرنسا شجّع اليساريين ومكّنهم من إنشاء الحركة الشعبية البربرية مع إقرارهم باستعمال القوة العسكرية ضد اللجنة المركزية للحزب أو أي رافض لمطالبهم وأفكارهم، والتأكيد على رفضهم المطلق لأي اعتبار بأن الجزائر عربية إسلامية.³

تحت شعار "الجزائر للجزائريين" تبنت تلك العناصر مهمة الدفاع عن الهوية البربرية وخلقت جوا من التطرف كاد أن يعصف بالحركة الوطنية لاسيما بعد أن اتخذت من أرض العدو منطلقا لنشاطها مؤكّدة بذلك توجه خارجي للحركة غير مرغوب فيه زادت من شكوك الكثيرين حتى من أبناء منطقة القبائل نفسها حول مدى مصداقية تلك العناصر البربرية وأفكارهم الإيديولوجية التي كانت تبدو للأغلبية منهم بعيدة تماما عن الانتماءات الوطنية، خصوصا بعد إنشائها لإذاعة باللهجة البربرية بفرنسا سنة 1948 ومحاولتهم التأثير بأفكارهم على المهاجرين الجزائريين في المهجر بعد قيادتهم لدعاية كبيرة في أوساطهم في محاولة منهم للتعريف بهذه المسألة وكسب التأييد لها خارج الوطن، وهو ما أعطى انطبعا على هذه الأزمة لدى الكثيرين بأنها مؤامرة أجنبية ذات أهداف استعمارية ضد القضية الجزائرية الأم.

1 نصر الدين سعيدوني، "المسألة البربرية في الجزائر"، مجلة عالم الفكر، مجلد 32، أبريل 2004.

2 بوحوش، مرجع سابق، ص 318.

3 أجيريون، مصدر سابق، ص 143.

لم يتأثر "الوانشي" مطلقاً بهذه الأزمة المضادة للبربرية والتي لم تمس سوى عناصر قليلة جداً من مناضلي ح.ش.ج بمنطقة القبائل، وذلك راجع لعدة عوامل ذكرتها زوجته في كتابها بالقول: "من المؤكد أن ذلك لم يخصه شخصياً لأنه كان يشعر قبل شيء بأنه بربري متعلق بعمق كبير بمنطقة مسقط رأسه، ولكنه في الوقت نفسه كان يعتبر نفسه جزائرياً قبل ذلك وقبل كل شيء، كما أنه كان يعرف هويته المتعددة دون أي استثناء أو طرح أو انفصام كرأس مال ثقافي ثري جداً متقبلاً لتركيبية عربية مسلمة قي شخصيته عاشها كحدث تاريخي لا مناص منه وكعنصر موحد للجزائر سيقويه في كفاحه ضد الاستعمار الغاشم"¹، الذي لم يكن يفرق في سياسته الجهنمية بين الجزائريين.

لقد استهدف الاحتلال الفرنسي جميع المناطق الجزائرية شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً ووسطاً ولم يكن يستثني أحداً في قمعه الامتياهي، كما أنه عمد منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر إلى تشويه تاريخها، محاولاً إنكار عروبتها، وساعياً لإثبات انتماء الجزائريين عرقياً إلى بلاد الغال بجنوب فرنسا، وليس لشبه الجزيرة العربية، بغرض إقناعهم بتقبل فكرة الإدماج مع فرنسا باعتبار أن وحدة الجنس هي القاسم المشترك بينهم وبين الفرنسيين، وفي السياق ذاته ركّز علماء الآثار والتاريخ الفرنسيين على إبراز تاريخ الجزائر في العهدين الروماني والفرنسي، وتجاهلوا فترة التواجد العربي الإسلامي، بهدف نشر فكرة الجزائر الفرنسية في حاضرها و الرومانية في ماضيها، وأن هذه الأرض رومانية في الأصل وبالتالي يحق للفرنسيين استعادتها وضمّها إلى الأراضي الفرنسية.²

فهم "الوانشي" جيداً هذه القاعدة التي كان يسير بها الاستعمار في الجزائر، ورأى أن البربرية الأصلية لا تنزع شيئاً من الصفة التاريخية للعروبة، وأن هذا الطموح البربري الذي تجلّى في تلك الأزمة لا يمثّل سكان منطقة القبائل لأنه صدر في الحقيقة من مجموعة كان أصلها الاجتماعي والاقتصادي بعيداً كل البعد عن أصل هؤلاء السكان، ذلك أن الأمر كان يتعلق بتلاميذ من أصل متفاوت الثراء تمكّنوا بفضل "حسين آيت أحمد" الذي كان مسؤولاً عن المنظمة السريّة التقرب من القيادة السياسية وهم يجهلون تماماً واقع الميدان لأن حياتهم اليومية كانت تفصلهم واقعياً عن معظم المناضلين، لهذا فإن هذا التمرد القليل لم ينجم عنه أي أثر على القاعدة.³

وهذا ما يؤكد وطنيته العالية وإخلاصه الكبير في النضال لصالح الوطن دون سواه، حتى وإن تعلّق الأمر بمنطقة مسقط رأسه التي آمن يقيناً بأنها كانت ولا زالت وستبقى جزءاً لا ولن يتجزأ أبداً من الجزائر. تولّد عن الحادثة الكثير من المواقف السلبية منها إثارة الشكوك في العديد من مناضلي منطقة القبائل الذين لم تكن لهم صلة بهذه الأزمة، وخشية أن تتوسع دائرة الشك إلى الاتهام تقرر في صائفة سنة

1الوانشي، مصدر سابق، ص 50.

2Walid Bouchakour, sa position est plus qu'ambivalente, "El watan", avril 22, 2017, p14.

3الوانشي، مصدر سابق، ص 50. 51.

1949 بمدينة الجزائر اجتماع بمدرسة راشد ضم مسؤولي الحزب وجميع الأطراف وتم خلاله بشكل رسمي إقصاء الزعماء الرئيسيين للحركة البربرية من ح.ش.ج بشكل نهائي¹، قبل أن يتأزم الوضع أكثر باستغلال فرنسا له.

اتضح عدم تأثير "الوانشي" بالأزمة البربرية أيضا في مواصلته للعمل دون التفات لما كانت تحدثه تلك العناصر التي قادت الأزمة، حيث استمرت نشاطاته ضمن الحركة الكشفية التي كانت تقوم بأعمال متنوعة وهدفها على الدوام الاستقلال والحرية حتى وإن كانت تبدو مطالب خرافية عند البعض آنذاك، وظل يشك أحد أهم محاورها من خلال تكثيف اتصالاته بإطارات جمعيات كشفية أخرى وعقد اجتماعات ولجان وملتقيات من أجل محاولة بناء جبهة موحدة للتفكير في إيجاد حلول للمشاكل التي تعرفها البلاد على مختلف الأصعدة، فترأس إدارة جريدة "صوت الشبان" التي صدرت في الفترة ما بين 1952 . 1954 ورغم أنها كانت موجّهة بدرجة أولى للكشافة، إلا أنها سعت في الوقت نفسه التوجه بمقالاتها ونصوصها إلى الجمهور الواسع من الشباب بهدف المساهمة في إطلاعهم على الأوضاع وتكوينهم لفهم مجرياتها ومن ثم كسب وتوسيع القاعدة الجماهيرية من متابعيها وبث الأفكار الثورية على أوسع نطاق.²

لقد ساهمت هذه الجريدة بمقالاتها في تحسين مستوى القراء وتكوينهم الديني وجعلتهم يفتحون على العالم، حيث كانت تنشر مقالات عن باكستان ومصر وإيران وغيرها، كما كانت تحتّم على المطالعة وتحسّنهم بالوضعية السياسية مع التأكيد دوما على ضرورة الاتحاد لكل القوات الحية بالبلاد وتشكيل جبهة موحدة تتجاوز الدواعي المتناقضة لمختلف الأحزاب للوقوف في وجه الاحتلال، مع تبني الحياد الإيجابي عالميا وعدم الميل للمعسكرين المتصارعين مع محاولة ربط الاتصالات بالأجانب الراضين للاستعمار من الأجانب خصوصا الطلبة من الأوروبيين ورجال الدين المسيحيين وهو ما نتج عنه في النهاية تشكيل "جمعية الشباب الجزائري من أجل العمل الاجتماعي" التي ستواصل نشاطاتها إلى غاية سنة 1956.³

هكذا لعبت الصحافة دورا جبارا في تغيير القناعات لدى الشباب الجزائري بعد توعيته، حيث يصبح قادرا على فهم وقراءة ما بين السطور، فتدعم بذلك النشاط الفكري والتعبير عن الأفكار التحريرية بأساليب غير مباشرة لا تلفت انتباه السلطات الفرنسية كونها لا تفهم لغة الضاد بمعانيها العميقة وعباراتها الراقية التي تحمل في طياتها أكثر من معنى، وفي الوقت نفسه تولّت مهمة الدفاع عن الحقوق المهضومة سلميا وبعيدا عن العنف، وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أول من انتبه لهذا الأسلوب في تمويه الإدارة الفرنسية باستخدام اللغة العربية الراقية بأمثالها وحكمها ومفرداتها الراقية ومعانيها البالغة الأثر

1 قداش، مصدر سابق، ص 1157.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 52 . 53.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 54 . 55.

والمحكمة المعنى، فيفهمها الجزائريون ويعرفون مقصدها في حين يبقى المحتل متفرجا على مقالات لا يفهم محتواها أو على الأقل تبدو له عادية ولا تشكّل على تواجده أي خطر.

تواصلت أعمال "الوانشي" في جمعية الشباب الجزائري وتطوّرت أكثر سنة 1953 بإنشاء مجلة الربع السنوي تحت اسم "الضمائر المغاربية" "Consciencs Maghrébines" التي ستمدد في الميدان السياسي المناقشات التي بدأت في جمعية الشباب خصوصا لدى أعضائها الذين أصبح وعيهم المضاد للاستعمار لا رجعة فيه، وهذا ما أشار له "شولي" "Chaulet" الذي كان من أنشط العناصر في هذه المبادرة بقوله: "قررنا أن نصدر في 1953 مجلة تكون مغاربية، وأردنا أن نعيّن في عنوانها كيف يتحول الضمير الأخلاقي، الذي تكون فينا بفضل مختلف التربيّات إلى توعية شاملة..."¹

ظهر العدد الأول في مارس 1954 وتشكّلت لجنة التحرير من "فرانسوا بشت" "François Becht"، "رضا بسنطجي"، "بيار شولي" "Pierre Chaulet"، "محفوظ قداش"، "صالح الوانشي"، "جان ريم" "Jean Rime"، وحاولوا من خلالها لفت الانتباه للواقع المر الذي كان يعيشه الجزائريون بسبب الاستعمار، أما "الوانشي" فتولّى مهمة توحيد القوات الحية للبلد وتنشيطها، كما كانت له مشاركة بارزة في تحرير جريدة "الجزائر الحرة" باللغة الفرنسية حتى بلغ سحبها سنة 1953 أزيد من 20 ألف نسخة، حيث أجبره ذلك على قضاء ليالي بيضاء في مطبعة "كوكلين" في باب الوادي أين التحق بكل من "عيسات إيدير"، "بن خدة"، "حسين لحول"، و"سعد دحلب"، وهذا ما جعل قيادة الحزب تعيّن في اللجنة المركزية لحزب ح.إ.ح.د نتيجة نضاله المتواصل في الميدان والتزامه الكلي بتأدية المهام الموكلة إليه دوما بكل تفان وإتقان.²

يتضح جليا الدور الكبير الذي لعبه "الوانشي" خلال الفترة التي سبقت اندلاع الثورة التحريرية سواء في المجال السياسي والكشفي أو في مجال الدعاية والإعلام، كما يتبين أن المساعي التي كان يهدف إلى تحقيقها من وراء تلك الأعمال والمهام هي توحيد القوى الحيّة والتيارات السياسية في الجزائر، لمعرفة أن الاتحاد قوة ولا سبيل لمجابهة الاستعمار الفرنسي إلا بالتمسك بالوحدة الشاملة والالتفاف حول الوطن بجعل المصلحة العليا له قبل كل شيء خصوصا المصالح الشخصية لبعض الشخصيات، والثبات على الهدف الرئيسي للنضال والوفاء للمثال الأعلى الذي سطره لأنفسهم في الكفاح ألا وهو استعادة الحرية والاستقلال.

* موقفه من أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

رغم أن حزب ح.إ.ح.د ظلّ الحزب الأكثر شهرة جامعا حوله مختلف الفئات الاجتماعية نظرا لثباته على المطلب الأساسي له وهو الاستقلال الكامل للجزائر، ونجح في الصمود أمام كل التهجمات

1 نفسه، ص 57. 58.

2 نفسه، ص 59. 60.

الفرنسية لإفشاله وبث التفرقة والتفكك بين أعضائه، خصوصا بعد تورط بعض المنتخبين البلديين للحزب في تعاون خطير مع السلطة الاستعمارية بذريعة الواقعية السياسية، ما أنتج ظهور خلافات داخل اللجنة المركزية، ظل "الوانشي" في خضم تلك الأحداث متمسكا بوحدة الصف والمحافظة على الحركة الوطنية¹، خاصة وأنه كان من بين الذين تم إقصائهم من طرف مصالي في مؤتمر هورنو ببلجيكا²، فأيد "ل.ث.و.ع" "CRUA" وأراد من ذلك معارضة إمكانية تأثير مصالي على عناصر المنظمة السرية حتى لا يسترجعهم بالتزلف السياسي الثوري.³

كان هدفهم من تأسيس "CRUA" منع صدع القاعدة النضالية وعقد مؤتمر يعيد للحزب أهميته ووحدته⁴، وأمام تأزم الوضع بين المصاليين والمركزيين مطلع سنة 1954 لم تعد هناك فائدة ترجى من محاولات الإصلاح المتكررة لحل النزاع بين الطرفين خاصة أعضاء المنظمة الخاصة المنحلة الذين تخوفوا من أن يتسبب هذا الانكسار في تثبيط وتأخير المسيرة نحو الكفاح المسلح وكسر المكاسب التي حققتها الحركة الوطنية عبر نضالها الطويل، لذلك واصلوا إعداد مشروعهم مع المحافظة على الاتصال بالطرفين المتخاصمين⁵، واجتمع كل من "بن بولعيد"، "بوضياف"، و"ديدوش" مع أعضاء المنظمة الخاصة من كل جهات الوطن للاتفاق على تحديد الموقف النهائي من الأطراف المتنازعة⁶، وحاولت بكل الوسائل تحقيق هذه الغاية غير أن الظروف لم تكن لصالحها، فتوقفت نهائيا في 20 جويلية 1954.⁷

لم يكن التأخير في صالح الحزب ولا الوطن لذا قرّرت نخبة من المنظمة الخاصة خوض غمار العمل المسلح للتخلص من الاستعمار الغاشم والإسراع الفعلي في التخطيط الجدي لتفجير الثورة، وهو ما تقرر في اجتماع الـ 22 الحاسم المنعقد في جوان 1954 برئاسة "بوضياف" بحي صالامبي⁸، حيث وُضعت فيه اللمسات الأساسية لبدء العمل الثوري، بعد تأسيس اللجنة الخماسية التي تحولت إلى سداسية بعد انضمام "كريم بلقاسم" و"أوعمران"، وهذه اللجنة هي من ستعقد آخر اجتماع للحسم في 23 أكتوبر

1 الوانشي، مصدر سابق، ص 65. 66.

2 بزيان، دور الطبقة العاملة بالمهجر...، مرجع سابق، ص 83.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 65. 66.

4 شيخ بوشيعي، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954. 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018، ص 257.

5 الوانشي، مصدر سابق، ص 66.

6 بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص 155.

7 بوشيعي، مرجع سابق، ص 258.

8 عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954. 1962، ط 1، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 167. 168.

والذي صادقت فيه على تسمية جبهة وحيش التحرير الوطنيين، وإصدار بيان أول نوفمبر واختيار الفاتح من هذا الشهر لتفجير الثورة.¹

حفّز السياق الجيوسياسي آنذاك الجزائريين على التحرك للتعبيل بالعودة إلى الكفاح المسلح، حيث بيّنت هزيمة "ديان بيان فو" "Dien Bien Phu" في ماي 1954 بأن الشعوب المستعمرة قادرة على الانتصار على الجيوش الاستعمارية رغم قوتها وعتادها العسكري المتطور، كما أن وضعية العنف التي كانت سائدة في البلدين المجاورين للجزائر في تونس والمغرب قد زادت من الإصرار لدى الجزائريين على تقليد التونسيين والمغاربة في إعلان الكفاح المسلح على نفس العدو الاستعماري، وفي الوقت نفسه مثل اندلاع الثورة التحريرية محاولة جدّية لإنهاء الخصومات العميقة بين مناضلي الحركة الوطنية²، حيث سيجد الجميع أنفسهم ملزمين بحل أحزابهم ونسيان انتماءاتهم السابقة والالتحاق بصف ج.ت.و في مشروعها التحريري.

عبّأت "ج.ت.و" الشعب الجزائري بجميع فئاته لخوض الكفاح المسلح من أجل الاستقلال، بشكل يجعله يؤمن قطعا بالسيطرة على مصيره واسترجاع حقه في الحرية، ولإضفاء الشرعية على عملها وزيادة هذا الالتفاف الشعبي حوّلت غرة نوفمبر إلى حدث مؤسس للقومية الجزائرية³، بعد أن فتحت باب العضوية لكل من كان هدفه المساهمة في معركة التحرير ووضعت الجميع أمام إجبارية المساهمة ومن يرفض ذلك يعتبر خائنا للوطن⁴، لأن هذه الثورة كانت تعبّر عن شيء واحد هو إرادة شعب كامل في الحياة والحرية.

استطاعت الجبهة إقناع الأغلبية الساحقة من الأطياف الشعبية والسياسية باستثناء المصاليين وبعض المتردّدين، وكان التحاق "الوانشي" بها منذ نهاية عام 1954 حيث دخل بسرية تامة، رفقة "عبد الحميد مهري"، "عبد الملك تمام"، و"عيسات إيدير"، كونه كان خاضعا لتهمة بسبب اعتقال قادة اللجنة المركزية يوم 22 ديسمبر من السنة نفسها⁵، وكانت الوضعية العامة آنذاك سواء في الجزائر أو في فرنسا أو في العالم بأسره حرجة وصعبة تتطلب تجنيد كل الطاقات حيث برزت تطورات كثيرة أحدثت تحولات عميقة على مستوى التطلعات المستقبلية سواء بالنسبة للكتلة الشرقية أو الغربية أو بالنسبة للمستعمرات، من هذا المنطلق سعت ج.ت.و لمواصلة مسارها على المستوى الخارجي ومحاولة كسب أكبر دعم ممكن من مختلف الدول الحليفة أو الصديقة.

1 مبروك بلحسين، المراسلات بين الداخل والخارج الجزائر - القاهرة 1954 . 1956، تر: الصادق عماري، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 35.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص ص 73 . 74.

3 حربي، الثورة سنوات المخاض، مصدر سابق، ص 153.

4 بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية...، مرجع سابق، ص ص 361 . 362.

يبدو جلياً أن أصعب مهمة واجهت الثورة في بداية مسارها هي التعبئة الشعبية والنجاح في إقناع وضمّ المؤيدين لها والمقتنعين بعدالتها داخل وخارج الوطن، وقد وُكّلت هذه المهمة لأكثر المناضلين قدرة على الإقناع حيث تكون لهم خبرة وتجربة في هذا المجال، وكان "الوانشي" من أبرزهم فقد أُسند له القيام بشروح طويلة حتى لدى المناضلين الشيوخ للحصول على الانضمام الجماعي والاستعداد إلى كفاح طويل، وبمساعدة "عبان رمضان" مارس "الوانشي" هذا العمل بإيمان وحماس وشعاره "الإقناع من أجل الانتصار"، خصوصاً اتجاه رفاقه القدامى الذين أثّرت عليهم الانقسامات والخلافات التي عرفها الحزب.¹

تجسّدت نشاطات "الوانشي" في هذا السياق في القيام بعدة مبادرات فعّالة داخل وخارج الوطن، فعلى المستوى الداخلي مثلاً انتقل رفقة "بن خدة" إلى "سان ريمو" "San Remo" لملاقاة "بن بلة" لعرض نيته ونية أصدقائه بالبقاء في طريق شرعي موحد يكون بمثابة تمثيل سياسي لج.ت.و، أما على مستوى الإقناع الخارجي فقد انشغل "الوانشي" للدعاية والإعلام لـ "روبرت بارا" "Robert Barrat" الذي كان يشغل صحفياً لمجلة "France- Observateur" وأنجز استطلاعاً صحفياً كان له وقع كبير في تلك الفترة بعنوان "صحفي فرنسي عند الخارجين الجزائريين عن القانون".²

المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا

1. انتقاله إلى فرنسا والتحاقه بفدرالية الجبهة:

استعدّ "الوانشي" منذ بداية صيف 1955 للذهاب إلى فرنسا بعد تكليفه بمهمة جديدة من طرف القيادة المؤقتة استجابة لنصيحة "الأمين دباغين"، وتذكر زوجته أنه كان متردداً كثيراً قبل موافقته على تحمّل هذا العبء لأنه لم يكن مغترّاً بما سينتظره، لاسيما أن الاتحادية كانت تعاني مشاكل عويصة هناك، بعد أن نجحت الشرطة الفرنسية في توقيف واعتقال الكثير من عناصرها، بل وقتل العديد منهم في ظل تفاقم خطر الاعتداءات المصالية، وظهور الحاجة الملحة لإعادة هيكلة هذه الاتحادية وإعادة النظر في كل ذلك للتكيف مع الوقائع والمعطيات الجديدة.

غادر الجزائر رفقة أصدقائه "أحمد دوم" و"رضا بصطانجي" الذي كان أميناً وطنياً للكشافة الإسلامية الجزائرية، ورئيس كشافة مدينة الجزائر³، وعند وصوله التراب الفرنسي في سفر أول شهر أكتوبر سنة 1955 حاول التعرف على ظروف الإقامة في فرنسا والتي كانت قاسية بالنسبة للمهاجرين هناك، ثم عاد إلى الجزائر وواصل مساعيه التوحيدية وعمله في الإقناع الثوري خصوصاً لدى المركزين المحافظين الذين كان مرتبطاً بهم بعلاقات شخصية، ليعود في سفر ثاني إلى باريس في 27 نوفمبر من نفس السنة عبر رحلة بحرية حيث غادر على متن السفينة، وبمجرد وصوله مدينة مرسيليا بدأت المشاكل والتحقيقات البوليسية

1Ibid, pp 66 - 67.

2الوانشي، مصدر سابق، ص 79 . 81.

3دوم، مصدر سابق، ص 39 .

تطاردته حيث تعرّض إلى الاستنطاق لمدة ساعتين في المحافظة الخاصة بالميناء، قبل أن يطرق سراحه بعد غياب أية أدلة لإدانته.¹

توضح هذه العملية التفتيشية حجم الضغط الذي كان يعاني منه المهاجرون الجزائريون بمجرد وصولهم إلى التراب الفرنسي، فكانوا دائما محل شبهة وعدم ثقة تجعلهم مستهدفين من قبل عناصر الأسلاك الأمنية الفرنسية لأتفه حركة يقومون بها حتى وإن كانت من غير قصد، ولا تحمل في طياتها أية خطورة في الواقع، وكانت معاملتهم تتم على أساس ومبدأ واحد يتم عن تمييز عنصري واضح وحقد دفين اتجاه كل من هو جزائري، فكان ذلك كافيا لزيادة الإصرار في نفوسهم المقهورة على ضرورة التخلص من ظلم هذا الاستعمار وسياسته العنصرية اتجاههم، حيث كانوا يُعاملون دوما كما لو أنهم يمثلون جماعات إرهابية تهدد الأمن الفرنسي العام وحياة الفرنسيين في كل وقت وحين.

تطوّرت ظاهرة العنف البوليسي ضد المهاجرين الجزائريين لاسيما بعد اندلاع الثورة التحريرية خاصة مع من يشته فيه بانتمائه لهياكل فدرالية الجبهة بفرنسا، وتطورت معها أيضا أساليب المناضلين الجزائريين من جهتهم في التخفي عبر أساليب ووسائل مختلفة منها الاستعانة بالأسماء المستعارة، وتزوير الوثائق الشخصية وجوازات السفر، تغيير المظهر الخارجي والتشبه بالفرنسيين والأوروبيين خصوصا لمن كانت لهم ملامح أوروبية على غرار "عبد الرحمن مزيان الشريف" الذي مارس هذا الدور بإتقان كبير، إضافة إلى الارتباط بالفرنسيات اللواتي سيكون لهن دورا بالغا في تسهيل وتنفيذ العمليات الثورية على الأراضي الفرنسية وكسب مؤيدين جدد للثورة على غرار زوجة الوانشي السيدة "آن ماري شولي" التي استطاعت في كسب تأييد العديد من الأوساط الكاثوليكية، وكذا تيسير الحصول على التموين المادي والعسكري لإكمال الكفاح المسلح.

استمر "الوانشي" عند استقراره بفرنسا في مهمته التي ألقنها جيّدا بالجزائر وهي الإقناع الثوري حيث تفرّغ لمهمة إيقاظ الرأي العام من خلال محاولة تغذية المهاجرين الجزائريين وحتى المواطنين الفرنسيين بالمعلومات الصحيحة والأفكار الصائبة، بهدف تجنيد المزيد من الكفاءات والإطارات لصالح الثورة فأقام اتصالات سرّية وحملات توعية للحصول على دعم إضافي يكفي لاستمرار العمل الثوري في الجزائر والإقرار بعدالته ومشروعية كفاحه في فرنسا والعالم، وفي ظل حيوية الكبيرة التي تميّز بها نجح في تشكيل فريق موسع حوله بباريس لإعادة تنشيط الاتحادية بفضل خلايا المناضلين القدامى والجدد في الوقت نفسه خصوصا الذين كانوا مقصون بالنسبة للمنظمة نفسها.²

ونظرا لشخصيته الهادئة ورفضه القاطع لكل مظاهر العنف فقد تحمّس لإنهاء الخصومات الأخوية والقضاء على كل الأعمال التقسيمية أو على الأقل الحد منها وتخفيفها إلى أدنى مستوى، وهو ما برز

1الوانشي، مصدر سابق، ص ص 81. 82.

2نفسه، ص ص 87. 88.

بوضوح في إعادة تأطيره للمناضلين المقصيين من قبل رغم وفائهم للكفاح وكان أبرزهم: "زين العابدين موجي" المدعو "حسين"، الذي كان مداوما في حي بلكور ثم في فرنسا الذي بقي مهماشا منذ أزمة صيف 1954، و"مصطفى الأشرف" الذي كان مناضلا نشطا في صحافة الحزب منذ 1939 وظلّ مستعدا بكتاباته الحادة للكفاح ضد الاستعمار، وكذا "محمد الشريف ساحلي" الذي سمّثل جبهة التحرير طيلة فترة الثورة في الدول الاسكندنافية، و"شوقي مصطفى" الذي استقال من الحزب سنة 1951 بعد أن تفرّغ للطب فكانت إعادة "الوانشي" له إلى صفوف الجبهة مفيدة جدا للثورة، إضافة إلى "محمد حربي" الذي كان طالبا في الجغرافيا والذي تقرر تهميشه أيضا على إثر تشكيل إ.ع.ط.ج، ثم جرت إعادة هيكلته في لجنة الصحافة والإعلام، و"حاج شرشالي" و"عبد الرزاق شتوف" الذين كانا أيضا متحمسين للعمل الثوري خاصة بعد انتقالهما إلى الأراضي التونسية.¹

لم يكتفي "الوانشي" بمهمة الدعاية في أوساط الجزائريين من المركزين والمهاجرين عموما بفرنسا، بل تعدى ذلك إلى محاولة اختراق الأوساط الفرنسية لاسيما اليسارية منها والقليلة الانفتاح على القضية الجزائرية، ومنها مساعدته لـ"فرانس فانون" على الانتقال إلى تونس عبر روما في نهاية جانفي 1957، وقد نجح في توطيد علاقاته مع العديد من المسيحيين الاجتماعيين وعلى رأسهم "أندري ماندوز"²، كما حمل على عاتقه أيضا مهمة الدعاية والتعريف بمواقف وتعليمات ج.ت.و من أجل تقديم إرشادات تتعلق بالحياة السرية والمواقف التي ينبغي اتخاذها اتجاه الشرطة الفرنسية، كما وسّع اتصالاته إلى الأوساط الطلابية والنقابية لاسيما التي كانت مستهدفة بشدة من قبل أتباع مصالي، وإظهارهم على صورتهم الحقيقية التي كان تجهلها أغلب تلك الأوساط.³

بدأ مهمته في تمثيل "ج.ت.و" بفرنسا والتي كان تسييرها آنذاك مختلا بسبب قلة الإمكانيات من جهة، واستمرار نزاعات الحركة الوطنية المتطرفة من جهة ثانية، واعتياد المسؤولين الارتباط بروابط مناضلين من مناطقهم الأصلية من جهة ثالثة، إضافة إلى اشتداد السباق حول تنظيم الهجرة التي كانت محل الرهانات بين مختلف حسابات القيادة نظرا لكتلة المناورة التي تمثلها من جهة والموارد المادية التي توفرها اشتراكاتها من جهة أخرى، وهو ما جعل معركة التغلغل داخل أعماق الهجرة الجزائرية دموية وعنفا يزداد يوما بعد يوم خصوصا في السنوات الأولى لتطور الثورة التحريرية.

تبين هذه الوضعية المعقدة الظروف الصعبة والتحديات الكبيرة التي عمل فيها "الوانشي" في المهجر، فبدأ أولا بالمحافظة على اللجنة الاتحادية التي كانت مُشكلة من قبل لتجنب إحداث تركيز جديد للجهاز وحفاظا على الاتصالات الوثيقة التي كانت تتم بين أعضائها خاصة "فضيل بن سالم" المدعو

1 الوانشي، مصدر سابق، ص 88. 89.

2 جريال، مرجع سابق، ص 30.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 89. 90.

سامي مجيد"، و"أحمد دوم" المدعو رضا أو صالح مستيري"، وكذا "عبد الرحمن غراس" الذي كان يدعى "فرحات السيود"، و"محمد مشاطي"، ثم انتقل إلى السعي لمواصلة تأطير الهجرة والكفاح ضد الحركة الوطنية الجزائرية التي زادت اعتدائها والشرطة الفرنسية التي كثفت من عملياتها في ملاحقة ومطاردة عناصر الاتحادية.¹

في ظل كل تلك الظروف القاسية واجه "الوانشي" كذلك رفضا لتعيينه من قبل أعضاء الفدرالية بسبب تعوّدهم على القيادة الجماعية فيما بينهم فنظروا إليه على أنه عضو جديد ذو تفكير وتوجه مختلف عنهم²، فرفضوا تعيينه ولو ضمينا بل ومنهم من بيّن رفضه له بشكل علني، فقد ذكر "دوم" في هذا الصدد تضرّر "عبد الرحمن غراس" الذي أخبره بأن هذا التعيين جعلهم يحسون بالهوان والإهانة، إذ كان من المفروض عدم تعيين أي قائد جديد إلا بعد موافقتهم عليه، عكس "الوانشي" الذي فُرض عليهم قائدا دون حتى استشارتهم مسبقا، أو الأخذ بعين الاعتبار جهودهم في الميدان باعتبار من لهم الخبرة في هذا المجال.³

يبدو أن "غراس" ورفاقه قد أخطئوا في الحكم على "الوانشي" مسبقا دون معرفته عن قرب، حيث لم تكن لديهم معلومات عن شخصيته الهادئة ولا عن تجربته السابقة وخبرته الكبيرة في التسيير، وهذا ما اعترف به دوم بقوله: "كان سياسيا محتكا، ودبلوماسيا مطلعاً، كان يقدم نفسه وهو محترس بالتصريح بأنه القائد بالرغم من أنه كان كذلك بموجب رسالة تعيينه"⁴، وهذا ما يتّضح من عدم تأثره بذلك الرفض الذي قوبل به من طرفهم وإصراره على جعل المصلحة العليا للوطن فوق كل اعتبار فقد حرص من بداية حكمه على وحدة الصف وضمن الاستقرار للحفاظ على هياكل اللجنة الاتحادية السابقة، من خلال عدم إدخاله لتغييرات جديدة في العناصر القيادية ومحافظة على العناصر القديمة التي نجت من الاعتقال باعتبارها ذات خبرة في الميدان وبالتالي لها الأسبقية في البقاء والاستمرار، ومن ثم قاد الفدرالية بكل حزم متحديا كل العراقيل والصعوبات التي واجهته واعترضت مساره النضالي.

أورد المؤرخ "جربال" وصف "محمد حربي" لواقع الاتحادية بفرنسا في تلك الفترة التي تولى فيها "الوانشي" الحكم بقوله: "...كان هناك فصل واضح بين السياسة الذي كان من فعل الوانشي، والذي كان يقتصر على الاتصالات مع جماعات اليسار الفرنسي والصحافة من جهة، وبين منظمة ج.ت.و التي كانت تجمع التبرعات وتحاول مواجهة الحركة الوطنية من جهة أخرى، لم يكن من الممكن اعتبارها حياة سياسية، أردنا أن نجعل من الفدرالية منظمة سياسية حقيقية وليس مجرد هيئة لجمع التبرعات".⁵

1 الوانشي، مصدر سابق، ص 81.

2 هارون، الولاية السابعة...، مصدر سابق، ص ص 28 . 29.

3 دوم، مصدر سابق، ص 122.

4 نفسه، ص 122.

5 جربال، مرجع سابق، ص 34.

من هذا المنطلق اتخذ "الوانشي" صديقه "طالب الإبراهيمي" مساعدا له في المسائل السياسية تاركا مهمة التنظيم إلى الرباعي "عبد الرحمن غراس، محمد مشاطي، فضيل بن سالم، وأحمد دوم"، إضافة إلى "الطيب بولحروف"1، و"حسين مومجي"، وهي الشخصيات نفسها التي اقترحها "دوم" على بوضياف أثناء لقائهم في العاصمة الإيطالية روما، واجتمعت اللجنة الفدرالية من أجل انتخاب المسؤولين على المنظمة السياسية ومسؤولي القسم شبه العسكري، وبسبب أن الجميع كان في نفس درجة الإخلاص للقضية الوطنية، فقد تم الاتفاق بالإجماع على أن يكون الاختيار بالتصويت السري، وجاء القرار النهائي بوضع "غراس" على رأس التنظيم السياسي، و"دوم" على رأس التنظيم شبه العسكري.²

تمت عملية تعيين أعضاء الهيكل التنظيمي في صورته النهائية على النحو التالي: أُسند التنظيم شبه العسكري لـ"أحمد دوم" نظرا لما يتمتع به من تجربة عسكرية كبيرة في تسيير الصدامات بباريس خصوصا ضد العناصر المصالية، وتولى التنظيم السياسي "عبد الرحمن غراس" الذي كان يتمتع بممارسة وتجربة طويلة في حركة انتصار الحريات الديمقراطية وفي قيادة المنظمة الخاصة، بمساعدة كل من "محمد مشاطي" و"فضيل بن سالم"، في حين تولّى "حسين مومجي" مهام الطباعة والمالية، و"الطيب بولحروف" لجنة المثقفين الجزائريين، أما مهمة العلاقات مع الخارج فتولاها "أحمد طالب الإبراهيمي"، وتكفل "الوانشي" بالعلاقات مع الداخل الوطني (مدينة الجزائر) نظرا لتجربته الكبيرة في هذا المجال.³

تتضح جليًا خبرة "الوانشي" في التسيير وحنكته الكبيرة في المحافظة على الاستقرار فهو لم يتسرع في تغيير القادة القدامى، وتعيين قادة جدد بل فضّل الاستمرار في الحفاظ على هياكل الفدرالية والاستفادة من خبرات هؤلاء المناضلين من كانت لهم خبرة معتبرة في مختلف أجهزتها، بدليل إسناده المهام لمستحقيها حيث وضع كل في مكانه المناسب حسب تجاربه السابقة وإمكاناته المتاحة في المهمة الموكلة إليه، ولم تكن تعييناته عشوائية تحت ضغط ضيق الوقت من جهة أو اشتداد التهديدات الفرنسية من جهة أخرى.

2. تطور نضاله الإعلامي بإدارته لجريدة المقاومة:

توسّعت اللجنة الفدرالية في عهد "الوانشي" بانضمام عناصر جديدة وأعضاء جدد على غرار تدعيم نشاطه الإعلامي بعد تولّيه إدارة جريدة "المقاومة الجزائرية" "Résistance algérienne"، التي أصدرها المناضلون الجزائريون بباريس نهاية سنة 1955 أي بعد مرور حوالي عامين من انطلاق الثورة التحريرية،

1 الطيب بولحروف، مناضل قديم في حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية سُجن إثر أحداث 8 ماي 1945، عين في اللجنة المركزية للحزب سنة 1949، وفي سنة 1951 التحق باتحادية الحزب بفرنسا غداة اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 وعمل بها إلى غاية 1958، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عين ممثلا لها في روما وجنيف، وبعد الاستقلال التحق بالسلك الدبلوماسي كسفير للجزائر بعدة عواصم إلى غاية 1984 = محمد عباس، رواد الوطنية، (شهادة 28 شخصية وطنية)، ط2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص157.

2 عمراوي، مرجع سابق، ص 958.

3 دوم، مصدر سابق، ص139.

وكانت موجهة للمهاجرين وللفرنسيين على حد سواء وتهدف للتعبير بلغة سليمة عن أفكار سياسية مهيكلية ونشر برنامج ج.ت.و. وتبسيط الأسباب التي أدّت هذه الثورة الناشئة لتتوهر بحقيقة المعركة الدائرة في الجزائر، لهذا كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية بشكل صحيفة في ثلاث طبعات مختلفة.¹

لكن نظرا لمحدودية الإمكانيات فإنه لم يُنشر وقتها من تلك الجريدة سوى 05 أو 06 أعداد، إذ لم يكن للفدرالية أي اتصال بالداخل أو الخارج، وبهدف تحفيز مناضلي الجبهة وتجنيد أكبر عدد منهم ولتوضيح حقائق الحرب في الجبال طلب "الوانشي" الذي تكفل بإصدار الجريدة من قادة الولاية إيفائهم ببعض المعلومات حول بعض الأشخاص، خاصة أن ح.و.ج كانت لها جريدتها الخاصة، لذا كان ضروريا للجبهة أيضا أن تكون لها جريدتها هدفها دعم ورفع معنويات مناضلي الجبهة.²

تنوّعت مقالاتها بين مآثر المجاهدين وتعاليق سياسية وصفحات من قصص الواقع الثوري وغيرها³، ونُشرت في ثلاثة أماكن مختلفة: نشرة A لباريس وقد تكفل جان جاك روسي بإيداعها هناك على مَرّ صدورها، وB للمغرب، وC لتونس⁴، وكانت هذه الطبعات الثلاث تتسرب إلى الجزائر بطريقة سرية حيث يتم توزيعها على المناضلين ولم يكن هناك أدنى تنسيق بين الطبعات⁵، وقد ساهمت في انتشار ج.ت.و. داخل المجموعة المهاجرة، خاصة وأن كل ما كان يُطبع فيها كان يهدف إلى إراحة وطمأنة قلب العامل الجزائري، بعدما يعلم بعمليات إعادة الاعتبار التي كان المجاهدون يقومون بها ضد الجيش الفرنسي والمستوطنين ردا للاعتبار وانتقاما للقرويين العزل وتأثرهم ولو نسبيا بالمدينين الأبرياء، وكان الطلبة يدخلون مئات النسخ إلى فرنسا من ألمانيا التي كانت تمثل القاعدة الخلفية الحقيقية لفدرالية فرنسا.⁶

جاءت هذه الجريدة لإعطاء نفس جديد ودفع قوي لمسار الثورة التحريرية في ظل اتساع نطاقها وتعدّد جبهاتها داخليا وانتشار صداها خارجيا، فكانت استجابة لمطلب استحداث إعلام ثوري لمواكبة التحديّات وتقديم نشاطات جبهة وجيش التحرير الوطنيين⁷، ومن هذا المنطلق تأسست لتتبع مسار الثورة والنطق باسمها، فأصبحت وثيقة رسمية ورئيسية عكست الأحداث الثورية على صفحاتها بكل أبعادها السياسية والعسكرية، الاجتماعية والثقافية، ومتابعة للجانب الدولي للقضية الجزائرية والجهود المبذولة خصوصا من طرف الكتلة الأفرو آسيوية من أجل تسجيلها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم

1 عربي عبد الرحمن، عام الاتصال، مرجع سابق، ص 118.

2 دوم، مصدر سابق، ص ص 111.112.

3 الأمين بشيشي، دور الإعلام في معركة التحرير، الثورة الجزائرية أحداث وتأمّلات جمعية أول نوفمبر 1954، باتنة، الجزائر، 1994، ص ص 188.189.

4 دوم، مصدر سابق، ص 112.

5 عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954. 1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 50.

6 دوم، مصدر سابق، ص ص 112.113.

7 أنظر الملحق رقم 13.

المتحدة، وكذا استمرار جهود ومساعي الوفد الجزائري خارجيا من أجل التعريف بقضية الشعب الجزائري وشرعية مطالبه الثورية بحقه في تقرير المصير، فكانت من أهم وسائل المقاومة الجزائرية السلمية ضد الاستعمار الفرنسي وسياسته القمعية ضد الجزائريين داخليا وخارجيا.

كما تناولت في العديد من المقالات صور الدعم والتضامن المغاربي مع القضية الجزائرية من خلال مساعي الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة"¹ والسلطان المغربي "محمد الخامس" وتأييدهما للثورة التحريرية على الصعيدين العسكري والدبلوماسي خصوصا بعد انضمامها رسميا إلى هيئة الأمم المتحدة²، وأكدت أن تلك المساعي تندرج ضمن تأكيد التعاون وتثبيت علاقات الأخوة بين أقطار الشمال الإفريقي، وهذه كانت من أولويات الثورة الجزائرية فقد أكدت أن هدفها هو تحقيق الوحدة بين الأقطار المغاربية الثلاث والسييل إلى ذلك هو إخراج الاستعمار الفرنسي من جميع هذه الأقطار، وأن تحرير الجزائر هو استكمال لاستقلال تونس والمغرب.

لقد نجحت جريدة المقاومة بإدارة "صالح الوانشي" في إضافة دعم حقيقي وفعال لجهود أعضاء الفدرالية الأوائل من خلال تعميق الثورة داخل التراب الفرنسي وتوسيع قاعدتها الجماهيرية هناك، بعد استقطاب أعداد معتبرة من أصدقاء الثورة وزيادة تغلغلها داخل أوساط الجالية الجزائرية بعد نجاح حملة الدعاية والإعلام التي أعطتها الفدرالية أهمية كبيرة.³

لكن وبعد انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 تقرّر إلغاء كل طبعات جريدة المقاومة وتوحيدها في جريدة واحدة باسم "المجاهد" واعتبارها اللسان المركزي لج.ت.و، وعلى هذا الأساس استأنفت جريدة المجاهد ظهورها ابتداء من العدد 08 في 5 جويلية من سنة 1957⁴، ورغم أنها لم تعمر طويلا إلا أنها شكّلت وسيلة إعلامية محورية تتبعت مراحل الثورة ودوّنت أحداثها ووقائعها والفاعلين فيها، فكانت رمزا للوطنية من خلال تبنيها وتركيزها في مضامين مقالاتها على خصوصية الهوية الجزائرية واختلافها عن الاستعمار الفرنسي ومن ثم استحالة جعل الجزائر جزء من فرنسا، وكانت بذلك منبرا سياسيا وإعلاميا للدعاية والكفاح للتعريف بالقضية الجزائرية على المستوى العالمي من خلال المضامين التي كانت تعرضها يوميا على القراء المنتشرين عبر العالم.

غير أن هذا التنظيم السياسي والدبلوماسي الذي قام به "الوانشي" بحرص شديد وإتقان كبير لم يُكتب له أن يُفعل، حيث فشل مشروع المنظمة الذي لم يتجسّد إلا في شهر جويلية 1956 قبل بضعة

¹ الجزائر ونظيرة الرئيس الحبيب بورقيبة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en

Afrique, 02^{eme} année, N° 39, 29 mai 1957, Paris.

² أحمد سعيود، "مساعي جبهة التحرير الوطني في التعريف بالقضية الجزائرية في الخارج"، مجلة النائب، عدد خاص، 2004، ص 171.

³ Haroun, la 7^e Wilaya..., op, cit, pp 17 – 18.

⁴ عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 54.

أسابيع من إلقاء القبض على كل من "غراس" و"بن سالم" و"مشاطي"¹، وكذا "عبد الكريم سويس" الذي كان نائبا لمنطقة باريس وضواحيها²، وتم اكتشاف الفدرالية الثانية من قبل الشرطة الفرنسية التي نجحت في اعتقال أبرز قادتها وهذا ما أدخلها في مرحلة صعبة أطلق عليها "دوم" اسم الضربة القاسية³، بعد أن وجد "الوانشي" نفسه بلا مساندة ولا اتصالات تمكّنه من تسيير مختلف القيادات الإقليمية⁴، غير أنه ورغم موافقته "دوم" في تسمية المرحلة بالضربة القاسية إلا أنه أكد على استمرارية النضال وذكر في هذا الصدد: "... قام بالمواصلة في القاعدة مسؤولون مثل "لدلاني" في ليون و"بلحروف" و"منجي" اللذين أخذوا المناوبة لأنها كانا يعرفان الميدان معرفة جيدة، فالضربة قاسية غير أن الهياكل الموجودة كانت فعالة، وهو ما سمح لي بمواصلة نشاطاتي في الاتصالات المتنوعة"⁵.

فشلت مجهودات "الوانشي" الجبارة أيضا في التأثير على الجماهير الفرنسية واستمالة جزء كبير من الرأي العام الفرنسي لصالح القضية الجزائرية، بل ظلّ اتساع الهوة قائما بين الطرفين وظل الفرنسيون مؤيدون لسياسة حكومتهم في إكمال حربها في الجزائر باعتبار هذه الأخيرة جزء من ترابهم الوطني وبقائها يخدم مصلحة بلادهم على المدى القريب والبعيد، وهذا ما أكّده بقوله: "لا أستطيع أن أجد مكاني في هذا العالم الذي أشعر أنه عدو لي وغريب عني أكثر فأكثر... لم يتقدم شيء على مستوى الرأي العام الفرنسي، بل يبدو أن هناك انحراف للجماهير الفرنسية نحو اليمين فيما يخص القضية الجزائرية وحملة واحدة كانت كافية لحمل البلد على قبول حرب جديدة... إنها لمهزلة أن أمة عظيمة تنطلق للحرب بكل الوسائل ضد ما تسميه الخارجين عن القانون..."⁶

في ظل الظروف الصعبة التي أصبحت فدرالية الجبهة بفرنسا تعمل فيها وأمام استمرار حملة الاعتقالات والملاحقات الفرنسية لأعضائها، عاد "الوانشي" إلى الجزائر سنة 1956 لمناقشة الوضع بعد تقديمه تقريرا مفصلا للقيادة في الداخل عن الوضعية السائدة وسط الجالية الجزائرية خصوصا الطبقات العمالية منها، وهو ما تمّت مناقشته في أشغال مؤتمر الصومام الذي تقرر خلاله تعيين "محمد لبحاوي" خلفا "الوانشي" على رأس الفدرالية التي سيتولى قيادتها ما بين 1956 . 1957.⁷

3. موقفه من مؤتمر الصومام:

1 دوم، مصدر سابق، ص 140.

2Haroun, la 7^E Wilaya..., op, cit, p 27.

3دوم، مصدر سابق، ص 140 . 141.

4جربال، مرجع سابق، ص 30.

5الوانشي، مصدر سابق، ص 100.

6الوانشي، مصدر سابق، ص 91.

7 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 29.

تلّقت اللجنة الفدرالية في نهاية شهر جوان 1956 تعليمات من الجزائر تقضي بضرورة التحضير لعقد اجتماع وطني لإعادة هيكلة الثورة من خلال تشخيص نقاط الضعف لمعالجتها و معرفة نقاط القوة لتدعيمها وتقويتها، وبذلك يتم وضعها في المسار الصحيح الذي يضمن لها الاستمرار حتى تحقيق الأهداف المرجوة، لاسيما بعد نجاح إستراتيجية الثورة في التعبئة الشعبية حيث التفّ الشعب بجميع أطيافه حول ج.ت.و. واعتبرها ممثله الشرعي والوحيد في تحقيق مطالبه، وفي خضم هذه المساندة العامة ارتأى المسؤولون تشييد إطار إيديولوجي لإثراء نداء أول نوفمبر وتعزيز وحدة المقاومة الوطنية.

تضمّنت تلك التعليمات دعوة أعضاء الفدرالية بفرنسا إلى صياغة تقرير شامل عن وضعها وكل نشاطاتها والنتائج التي حققتها خلال السنتين الأوليتين من العمل والنضال، فاستجاب "الوانشي" للطلب وعقد اجتماعا برئاسته ضمّ أعضاء ومناضلي اللجنة الفدرالية، وتم تسليم التقرير في رسالة إلى القيادة العامة في مدينة الجزائر عن طريق "أحمد دوم".¹

تمّ تكليف "عبد الملك تمام" كموفد من قبل "عبان رمضان" إيصال قرارات المؤتمر لأعضاء الفدرالية بباريس باعتباره أحد محرري أرضية المؤتمر وكان ذلك في 18 و 19 أكتوبر من نفس السنة، وقد ناقش هذه القرارات والبرنامج المسطر رفقة "الوانشي" وبقية الأعضاء بعد أن نقل لهم وثيقة "ميثاق الصومام" التي تم توزيعها على نطاق واسع داخل المنظمة ليتمكن الجميع من الإطلاع عليها²، كيف لا وهي تمثل الوثيقة الثانية للثورة التحريرية بعد وثيقة بيان أول نوفمبر، كما تعكس مرحلة التنظيم السياسي والمؤسساتي للثورة وحسم صريح لمرجعية وبعث الثورة الإيديولوجي وانتمائها الحضاري.

تحدث "دوم" في مذكراته مطولا عن أهمية هذا الاجتماع بالنسبة لهم فقال: "بدل القيام بلقاء اللجنة الفدرالية مجتمعة فضّل "تمام" الاجتماع بنا واحدا واحدا، ثم تحدث مع كل من "بولحروف"، "مومجي"، "طالب"، "الوانشي"، و"دوم"، في الوقت الذي كان فيه "مشاطي"، "بن سالم"، و"غراس" في السجن، وكانت تدابير "تمام" هذه قد أملت لها الحيلة التي فرضتها علينا السرية التامة التي كنّا نعيشها، وأثناء الاجتماع عبّر "بولحروف" عن غضبه لدى "تمام" بسبب عدم تعيين المؤتمرين عضوا لفدرالية فرنسا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، فجميع الولايات كانت ممثلة عدا فدرالية فرنسا التي تم إقصائها بكيفية غير عادلة، وكان رد "تمام" أن هوّن عليه الأمر مؤكدا أنه لا يمثل أهمية تذكر لأنهم "يعتبرونهم ولاية".³

أعطى "الوانشي" رأيه من قرارات المؤتمر في مراسلة إلى صديقه "مهري" يوم 08 ديسمبر 1956 من بين ما رود فيها: "...كانت هذه المقابلة ضرورية للجميع لأنهم تمنوها منذ زمن طويل... لقد تحسنت الوضعية اليوم حيث تم توحيد المقاومة وتعزيزها بشكل أكبر كما تم وضع حد للمنافسات التي تولدت من

1 دوم، مصدر سابق، ص 158 . 160.

2 Haroun, la 7^E Wilaya..., op, cit, pp 25 – 26.

3 دوم، مصدر سابق، ص 160 . 161.

انعدام التركيز الذي كان لابد منه في البداية، وأقيم تسلسل صارم ونهائي، لاسيما أن هيئات قيادية قد وضعت مؤسسات جديدة تمثلت في المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ وهو ما حافظ على وحدة الحركة سواء على المستوى السياسي أو الحربي، كما سمح هذا المؤتمر من تحديد قاعدة سياسية كان الجميع يتضررون من انعدامها... وكل ذلك يشكل في رأيي وثبة إلى الأمام ستكون لها آثار نافعة في المستقبل القريب..¹

يعود "الوانشي" ليؤكد إخلاصه للوحدة الوطنية حين أكد أن ممثلي الثورة بالخارج سواء أعضاء الوفد الخارجي الذين كانوا غائبين حيث لم تسمح لهم الظروف بحضور المؤتمر أو مناضلي الفدرالية بالمهجر ومسؤولي اتحادية فرنسا قد استقبلوا قرارات مؤتمر الصومام بإيجابية كبيرة خصوصا بعد بما حمله في مضمونه من تقارير عن نشاطاتهم، لاسيما ما تعلق بتصفية أعداء الثورة والوحدة الوطنية من أنصار البربرية والمصالية ومواصلة الكفاح ضد التحزب قصد تجميع أكبر ما أمكن حول الجبهة فصارت بذلك العمليات في الميدان أكثر قوة وفعالية.²

كان تعيين "الوانشي" عضوا مساعدا في المجلس الوطني للثورة الذي انبثق عن مؤتمر الصومام³، فعلا ومدروسا بدقة عالية فقد تمكن من اشتداد القمع البوليسي على أعضاء الفدرالية من تقوية هيكلية الهجرة الجزائرية عن طرق إنشاء لجنة تنظيمية برئاسة "دوم"، غير أن اعتقال هذا الأخير يوم 17 نوفمبر 1956 حال دون أن ترى هذه اللجنة النور، لكن لم ييأس مناضلو الفدرالية بل شكلوا أخرى جديدة برئاسة "قدور لدلاني" بعد تشكل قيادة "الوانشي" تولى فيها "بولحروف" مهمة الإعلام رفقة عدد من المحررين وعلى رأسهم "محمد حربي" و"موسى بولكرو" و"كُلّف فيها "طالب الإبراهيمي" بمهمة ربط العلاقات الخارجية بين الجزائر وتونس والقاهرة والرباط⁴، وقد برزت بوضوح توجيهات الوانشي في تحقيق العديد من الإنجازات منها النجاح في ضم الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة.⁵

4. موقفه من الحركة الوطنية الجزائرية "MNA":

تميّز "الوانشي" بشخصية هادئة فقد كان مسالم ولا يحبذ العنف ولا إراقة الدماء، وتذكر زوجته في هذا الصدد: "كان صالح ييغض الخصومات الأخوية، وكل عمل تقسيمي، ويسعى دائما إلى التقليل من بذور الخلاف بين الأشقاء، ولأن البعض لم يدركوا ذلك اعتبروه سلبيا أو انتهازيا للغاية، وكان يرى أن الكفاح

1Louanchi, op.cit, pp 96 - 98.

2الوانشي، مصدر سابق، ص ص 98 . 99.

3محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 . 1962، ط1، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 173.

4Haroun, la 7 E wilaya..., op, cit, pp25 – 26.

5الإبراهيمي، مذكرات جزائري أحلام ومحن...، مصدر سابق، ص 106.

من أجل التحرير الوطني لا ينحصر في تصفية حسابات واسعة، ثم إن كفاحه ضد ح.و.ج كان محتوما للمصلحة الثورية كونه كان يبغض التصفيات الجسدية، وبفضل حملات الإعلام والشرح والتحسيس من أجل تجميع القوات الوطنية ومن أجل التوحيد الضروري لحركة المقاومة..¹

بقي "الوانشي" أثناء تلك الفترة المؤلمة من اشتداد الصراع بين الإخوة الأعداء ثابتا ومصمما في التزامه تجاه الثورة، وسمح لنفسه ببعض الوقت محاولا رفض كل منصب في الخارج متذعرا بأن ذلك يبعده عما يعتبره المكان الوحيد الحقيقي للكفاح، داخل البلد، وذكر في هذا الصدد في رده عن كل المتهمين له بالتقصير بقوله: "أنا أشعر بأني حاولت منذ عدة سنوات أن أفعل كل ما استطعت، ليس معنى ذلك مثلا أنني كنت أعتبر نفسي فوق كل لوم... وإن لم أفعل كل ما علي أن أفعله فليس ذلك بسبب نقص العزم أو التفكير فيه، ولكن بسبب نقص الوسائل يعني الإمكانيات..²

جعل الهدوء الذي ميّز شخصية "الوانشي" محل تهمة من طرف البعض ممن لم يفهم حقيقة هذه الخصائص التي ميزت شخصيته ورأوا بأن مواقفه من الصراع مع المصاليين كانت سلبية للغاية بل وتوحي في بعض الأحيان عن تعاطفه معهم، وفي هذا الصدد ذكر "حربي" قوله: "إن الوانشي كان مسالما أمام عنف المصاليين مما جعله محل تهمة من طرف المناضلين والكوادر البسيطة الذين اعتقدوا بالخطأ وجود اتفاق خفي بينه وبين الحركة الوطنية الجزائرية"³، كما ذكرت زوجته ما قاله لها في هذا الصدد: "أنت تعرفين إلى أي حد ألتزم الصمت عن عدة أشياء الله وحده يعرف كل ما ألفظه بمهارة... إن الإثبات الذي مفاده أننا تركنا ميراثا ثقيلا هو سخي فم أجد كلمة أخرى".⁴

لقد مثلت فترة الصراع بين الجبهويين والمصاليين أصعب المعوقات التي واجهت المسار النضالي للثورة التحريرية خاصة على الأراضي الفرنسية أين كان استقرار المصاليين كبيرا وهيمتهم على المهاجرين قويا، وقد أربك هذا الخلاف بعض الأحزاب السياسية الفرنسية، وعدد من الجزائريين المتواجدين بفرنسا التي تساءلت أكثر من مرة من هو الممثل الحقيقي للشعب الجزائري؟ أهى "ج.ت.و" أم "FLN" أم "ح.و.ج" أم "MNA"⁵، التي تزعمها مصالي الحاج واعتبارها تنظيم منافس لج.ت.و.⁶ وقد تسببت تلك الحرب بين الإخوة في سقوط آلاف القتلى من الطرفين.

المطلب الرابع: بين إكمال مهامه بفرنسا والعودة إلى الجزائر

1 الوانشي، مصدر سابق، ص 87.

2 نفسه، ص 104.

3 حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 136.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 104 . 105.

5 سعدي بزيان، "صفحات من تاريخ الصراع الدموي بين الجبهة وحركة مصالي الحاج في فرنسا"، المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19

مارس 1962 إلى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 210.

6 الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954. 1962) ...، مرجع سابق، ص 142.

*** إبعاده من رئاسة الفدرالية:**

تقرر في مؤتمر الصومام رسميا إعلان حرب مفتوحة على الحركة المصالية وجميع أعوانها في فرنسا كخطوة أساسية لفتح الباب أمام "ج.ت.و" لبسط نفوذها وسيطرتها على الكفاح لافتنك الشريعة في تمثيل النضال الوطني والشعب الجزائري على جميع الأصعدة بواسطة التنظيمات النقابية والحركة العمالية والإضرابات السياسية والتظاهرات وكذا الوسائل العسكرية، وبسبب الهدوء الذي تميّز به "الوانشي" في تعامله مع تأزم واشتداد اعتداءات المصاليين تم عزله من على رأس الفدرالية وتعويضه بشخصية أكثر حزم في التعامل مع هكذا مواقف.

بعد أن أصبح الأعضاء الأربعة المشكلين للقيادة الثانية لفدرالية الجبهة بفرنسا في السجن، اتخذت لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام قرارا بتعيين قيادي جديد على رأس الفدرالية بفرنسا فأرسل "عبان رمضان" حينها "محمد لبجاوي" إلى فرنسا لإعادة تشكيل الفدرالية الثانية في أواخر ديسمبر 1956 وأعضاء مساعدين له هم "صالح الوانشي"، "أحمد بومنجل"، "أحمد طالب الإبراهيمي"، "قدور العدلاني"¹، "حسين منجي" و"عبد الكريم سويس" إضافة إلى "حسين مهداوي"، "السعيد بوغزيز"، "سيدي علي مبارك"، "نور الدين بن سالم"، مكلفين بالأنشطة اللوجيستكية والإعلامية والتنظيمية.²

لم ينسحب "الوانشي" من واجهة النضال الثوري بعد عزله وتعيين "لبجاوي" محله على رأس الفدرالية، بل واصل نشاطه تحت رئاسة هذا الأخير محترما قرار القيادة العامة في الداخل، بل ولم يظهر أي تدمير أو معارضة لهذا القرار حتى أن القائد الجديد نفسه كان متأثرا بهذا الموقف، وهو ما عبّر عنه في شهادة لطالب الإبراهيمي حين تحدث عن مواساته له بقوله: "...واصلت لقاءاتي اليومية من جانبي مع الوانشي لكي أخفف عنه وقع القرار، وأرفع من معنوياته بعدما تم تنزيله إلى درجة أقل بطريقة غير مستحقة"³، ويؤكد "الوانشي" بموقفه هذا صدق وطنيته وعظيم إخلاصه للثورة وتفضيله دوما للمصلحة العليا على المصالح الشخصية الضيقة، مثبتا أن مصلحة الوطن يجب أن توضع دوما فوق كل اعتبار.

*** دوره في المفاوضات السرية الجزائرية الفرنسية:**

لعب "الوانشي" دورا بارزا في تعزيز المقاومة الجزائرية باستخدام كل وسائل الضغط المتاحة، ولما بدأت المحاولات الأولى للمناقشات الفرنسية - الجزائرية فترة الرئيس "غي مولي" "Guy Mollet" سنة 1956 بهدف التوصل إلى تسوية سلمية للمشكل الجزائري، تمحور الخط الذي رسمه "الوانشي" لنشاطه في التجميع والتوحيد من أجل التوصل لجعل جبهة التحرير المفاوض الوحيد للشعب الجزائري، خاصة بعد أن فهم أن تلك المناقشات لم تكن جدّية بل كان الهدف منها جس النبض خصوصا من الجانب الفرنسي

1Mohammed Lebjaoui, Vérités sur la révolution algérienne, ANEP, Rouïba, Alger, 2005, p77.

2سعدى بزيان، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17. 10. 1961، مرجع سابق، ص 14.

3 الإبراهيمي، مذكرات...، مصدر سابق، ص 113.

الذي هدف من خلالها إلى إثبات النظرية التي مفادها أن الحكومة الفرنسية تبحث عن السلم في الجزائر بغرض تهدئة الاضطرابات التي أحدثتها حرب الجزائر في فرنسا، والدليل على ذلك هو توقيف طائفة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني التي كانت متجهة إلى مؤتمر السلم في تونس في 22 أكتوبر 1956.¹ تسببت هذه الحادثة في اضطراب وضع الفدرالية، وهو ما عبّر عنه "الوانشي" في رسالة له يوم 08 ديسمبر من نفس السنة ورد فيها: "إن اعتقال الخمسة قد أحدث بعض الاضطرابات، لقد أوقف كل ما كان يجري تنفيذه، ثم أحدث بكيفية مؤقتة انقطاع العلاقات بين المراكز الثلاثة المتمثلة في القاهرة وباريس ومدينة الجزائر، حين عثرت الشرطة في دفاتر هذا وذاك على عناوين الأشخاص الأربع الذين كنا نستعملهم هنا صناديق رسائل ونجحت في إلقاء القبض على ثلاثة منهم..."²، كما وضعت أيضا حدا لمسار ومساعي المفاوضات³، بعدما أكدت عدم وجود رغبة فرنسية حقيقية للتفاوض بعد اعتقالها للمسؤولين الأوائل عن هذه اللقاءات.

رغم أن حكومة "غي مولي" "Guy Mollet" أول حكومة فرنسية تضع في جدول أعمالها الالتقاء بالطرف العدو باعتماد أسلوب الحوار والدبلوماسية بعيدا عن الخيارات العسكرية وساحات المعارك، وحاولت خلق فرصة للمزج بين العنف والسلم وبين الحرب والتفاوض إلا أنها فشلت في إنهاء هذا التناقض⁴، ورغم أن هذه اللقاءات امتدت بشكل متقطع لأزيد من ستة أشهر كاملة من 12 أبريل 1956 إلى نهاية شهر سبتمبر من السنة نفسها عبر عدة عواصم إفريقية وأوروبية بدءا من القاهرة ووصلا إلى روما وبلغراد، إلا أنها انتهت كلها بالفشل في الوصول إلى حل يرضي الطرفين بسبب عدة عراقيل كان أهمها تمسك كل طرف بالمصير النهائي للجزائر، ففي الوقت الذي طالب الجانب الفرنسي بعودة الأمن أولا، تمسك الجانب الجزائري بالاستقلال الكامل بناء على ما اتفق عليه في بيان الفاتح من نوفمبر الذي اشترط ضرورة الاعتراف بالسيادة الجزائرية كوحدة لا تتجزأ أساسا لأية مفاوضات مع العدو مستقبلا، وهو ما حدّ من حرية المناورة لديه⁵، بعد أن أجهض هذا المبدأ العديد من المناورات التي قامت بها الحكومة الفرنسية منذ عهد "جاك سوستال"⁶، إضافة إلى إدعاء الطرف الفرنسي بأن الطرف الجزائري هو السبب في إفشال كل مساعي التفاوض بسبب رفضه لكل الحلول المقترحة.⁷

1الوانشي، مصدر سابق، ص ص 92 . 93.

2نفسه، ص 103.

3Alistair Horne, histoire de la guerre d'Algérie, 4^{ème} édition, éditions Dahlab, Alger, 2007, p22.

4Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN 1954 – 1962, Casbah, Alger, 2003, p 616.

5 Moahamed Harbi, le FLN mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir 1945 – 1962, ENAL, Alger, 1993, p 191.

6جمال قتان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص 261.

7الجزائر والحكومة الفرنسية الجديدة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en

Afrique, 02^{ème} année, N° 43, 26 Juin 1957, Paris, p07.

فهم "الوانشي" وتأكد أن لا نية صادقة للحكومة الفرنسية في إيجاد حل للمسألة الجزائرية، بقدر ما كانت النية الحقيقية كسب الوقت وتحسين صورة فرنسا كدولة باحثة عن حلول سلمية في الوسائل الإعلامية فحسب لأن الواقع كان يثبت عكس ذلك تماماً، حيث استمرت السياسة القمعية ضد الجزائريين داخل وخارج الوطن، بل وازدادت حدتها وشدتها بمحاولة خنق الثورة وعزلها عن الخارج من خلال إنشائها خطي شال وموريس على الحدود الشرقية والغربية مع تونس والمغرب، وسعت لإفشال معركتها الدبلوماسية التي كان يخوضها مناضلو الوفد الخارجي للجبهة بتفان وإتقان كبيرين، من خلال تكثيف جهودها في الهيئة الأممية لمنع إدراج القضية الجزائرية أو مناقشتها باعتبارها قضية داخلية ستتولى الحكومة الفرنسية بنفسها إيجاد الحل المناسب لها.

تحدث "الوانشي" عن هذه المساعي الخسيسة للحكومات الفرنسية المتعاقبة في مراسلة له لصديقه "مهري"¹ الذي كان ضمن البعثة الخارجية بسوريا بتاريخ 08 ديسمبر 1956 جاء فيها: "إن الحكومات الفرنسية الخالية لا تتوقع قط مفاوضات لا في الوقت الراهن ولا في مستقبل قريب، وأعتقد أنه من الوهم أن تنتظر ذلك من حكومة غي مولي أو من الرأي العام الذي لن يحدث هو الآخر أي موقف مخالف لموقف حكومته أو أية محاولة جديّة مادام مولي في السلطة... وكل ذلك يؤكد لنا بطبيعة الحال أن اهتمامنا الرئيسي في الوقت الحاضر يتمثل في تعزيز مقاومتنا بكل وسائل الضغط.. خاصة ما تعلق بالتموين العسكري والإصرار على الاستقلال..."²

جاء تأكيد "الوانشي" لموقفه من تلاعبات الحكومة الفرنسية في تلك المفاوضات المزعومة بعد تأكده من تأكيد هذه الحكومة نفسها لمواقفها السابقة حتى في ظل تعاقب مسؤوليها، حيث سارت على نفس النهج الذي رسمته منذ اندلاع الثورة وتمسكت باعتبار الجزائر قطعة فرنسية أبدية، وهو ما أكدّه أيضاً "أحمد فرانسيس" الذي كان طرفاً في المفاوضات الأولى مع الطرف الفرنسي الذي ظلّ حسب غير جدّي في التعامل مع القضية الجزائرية ولا راغب في إيجاد حل لها³، وفي هذا السياق كان وزير الداخلية "بورجيس مونري" قد صرح أثناء زيارته للجزائر في المجلس الجزائري يوم 26 ماي 1955 بخطاب ورد فيه: "...إن

1 عبد الحميد مهري: ولد في 3 أبريل 1962 في الحروش (سكيكدة) في عائلة متواضعة، فقد انخرط صغيراً جداً في نطاقات-"PPA" "MTLD" قبل أن يتخذ قراراً بالفوز في عام 1948 بمدينة تونس للدراسة في جامعة زيتونة، انضم إلى "APP" في سن مبكرة جداً، حيث تم تكليفه بمهمة دقيقة تتمثل في الإشراف على مواطنيه، ولكن أيضاً وقبل كل شيء القيام بتعليمه الدبلوماسية من خلال نسج العلاقات مع القوميين التونسيين الذي طُرد عام 1951 إلى الجزائر العاصمة بسبب أنشطة حزبية، انضم للثورة التحريرية وناضل في صفوف "ج.ت.و" داخل وخارج الوطن، توفي في المستشفى العسكري لعين نداء بالجزائر العاصمة عن عمر يناهز 85 عاماً يوم الاثنين 30 يناير 2012، للمزيد أنظر: Biographi; d'Abdehamid Mehri, Sous- Série IX par Mme Mehareb Naima (archiviste documentaliste) imprimé et relié; archives nationales 2011, Service des études et recherches inventaire analytique "Fonds Mehri" 1955 – 1963, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص 93 . 94.

3 Abdellah Righi, Ahmed Frzncis 1910 – 1968, le docteur en politique, edition ANEP, Alger, 2007, pp 98 – 99.

الحالة الراهنة لا تنتهي إلا بالقضاء على الثورة قضاء مبرما... إن الحكومة لا تفكر مطلقا في أي مفاوضة مزعومة مع أي إنسان في شأن الجزائر..¹، كما أكد قبله رئيس الحكومة "مانديس فرانس" هذا المبدأ بقوله: "...لن نتفق مع المتمردين ليس هناك تساهل حين يتعلق الأمر بالدفاع عن السلام الداخلي للأمة... إن مقاطعات الجزائر تعتبر جزء من الجمهورية وهي فرنسية منذ أمد بعيد... لن تتنازل فرنسا أو البرلمان أو أية حكومة عن هذا المبدأ الأساسي".²

اتضح موقف السلطات الفرنسية أكثر من استبعاد التفاوض أو الاستجابة لمطالب "ج.ت.و" إثر الردود القوية التي حدثت عقب اعتقال طائرة الوفد الخارجي للجهة ف 22 أكتوبر 1956، وحملات التأييد الكثيرة التي ظلت تطالب بالإفراج عنهم وإطلاق سراحهم، مما جعل أنصار الميل لاستخدام القوة يرفضون أي حل يميل لخدمة تسعة ملايين مسلم جزائري على حساب مليون فرنسي في الجزائر، بحجة أن هذه الأخيرة مختلفة عن بقية المستعمرات الفرنسية وأن المشكلة الجزائرية معقدة بسبب عدم وجود مستعمرة أخرى تشبهها حتى في شمال إفريقيا".³

تؤكد هذه الخطابات والمواقف الفرنسية وتعبّر عن الفكر الذي كان سائدا آنذاك والذي لا يؤمن بفكرة انفصال الجزائر عن فرنسا بأي حال من الأحوال، والإصرار الكبير على المضي قدما في خوض الحرب للقضاء على الثورة التحريرية، وقد استمر هذا التصلب في الموقف الفرنسي حتى سنة 1959 بعد قيام الجمهورية الخامسة برئاسة "ديغول" رغم فشل الخيار العسكري في حل المشكل وإيجاد حل نهائي له، إذ أنها فشلت في إعادة استتباب الأمن في الجزائر بعد مضي عام كامل من اندلاع ما أسمته بالتمرد، وهذا ما يدل على عدم وجود أية نوايا فرنسية صادقة لحل القضية الجزائرية على أساس عادل حيث عجز الأسلوب العسكري من جهة وظل الحل السلمي عن طريق التفاوض يراوح مكانه ولم تتخذ أية خطوات فعلية وجدية لإكماله من جهة أخرى.

2. دخوله السجن ثم عودته إلى أرض الوطن

* تعرضه للاعتقال:

تعرض أعضاء اللجنة الفدرالية بفرنسا خصوصا منذ صيف 1956 إلى حملة اعتقالات واسعة بداية بـ"مشاطي" وصولا إلى "دوم"، ثم جاء الدور على "الوانشي" حيث أُلقي عليه القبض يوم 27 فيفري سنة 1957، وكانت مواضيع الاتهام الموجهة إليه كثيرة ومتعددة منها المساس بوحدة التراب الفرنسي وتهديد الأمن العام، الخيانة والمساهمة في إحباط معنويات الجيش والأمة، الاتهام بشبكة دعم لمدينة ليون، وقد

1 البصائر، ع 219، 20 ماي 1955، ص 07.

2 خالفة معمري، عبان رمضان، تع: زينب زخروف، ط2، منشورات تالة، الجزائر، 2008، ص ص 177 ت 178.

3 R.C. Doty, Durcissement a Paris de la politique nord Africaine, 29 Octobre 1956, MNT, Sé K, cart 01, Dos 43, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord, le conflit dans le monde rabe (Novembre 1956).

تولّت المحكمة العسكرية كل هذه التهم يوم 10 جانفي سنة 1958 وحكمت عليه بالسجن، حيث نقل على إثرها إلى سجن "فران" "Fresnes" وهناك سيلتقي برفاقه في النضال الذين سبقوه من قبل، ويذكر في هذا الصدد على لسان زوجته: "...ها آنذاك أنا بدوري، تم اعتقالي واستنطاقي من طرف الدفاع عن أمن القطر وكل ذلك كان مصحوبا بالضرب المبرح، ثم مررت بسجن الشرطة والتفتيش... الخ ولما انتهت هذه الإجراءات جرى تصنيفنا ووزننا وتصويرنا حتى لا نصبح إلا رقم تسجيل..."¹

لم تجبره قسوة الظروف في السجن على الاستسلام أو التوقف عن النضال بل ظل "الوانشي" يتابع تطورات الأحداث داخل الجزائر وخارجها وظل مقاوما صامدا طيلة الفترة الطويلة لمكوثه بالسجن والتي دامت 1853 يوما، حيث يصف لزوجته حالته الصعبة وهو مسجون في عدة رسائل من بين ما ورد فيها: "...هذا الوقت الضائع مني في السجن يحزنني كثيرا لأن كل أسبوع يمر هو قطعة من حياتي تنصرف دون رجوع... سأقوم بترتيب أفكار لم تسمح لي حياة كثيرة الاضطراب إلى حد اليوم بترتيبها وتنظيمها، سأفكر في المستقبل على المستويين العام والخاص... وسوف يكون كذلك مواصلة الكفاح ولكن في شكل آخر..."²

تعطي هذه الشهادات صورة عامة عن ما كان يعاني منه المساجين الجزائريين في السجون والمعتقلات الفرنسية من سوء المعاملة التي كانت قاسية طول الوقت وتردي ظروف الإقامة في تلك السجون التي كانت تفتقر لأدنى متطلبات العيش كالحماية وشروط النظافة سواء في الملابس أو المأكل أو حتى المرقد، كما أنها توضح أيضا في الوقت نفسه مدى الإصرار الذي طبع شخصية هؤلاء المناضلين، والتحدي الكبير الذي ميّز شخصياتهم المقاومة بكل الوسائل المتاحة للنضال، كما برهنت عن إيمانهم العميق بعدالة نضالهم ومشروعية كفاحهم وقوة أملهم باستقلال الجزائر، وكان تفاؤلهم بذلك سببا حقيقيا للمضي قدما على الحق حتى تحقيقه بقدرة الله وتوفيقه وصمودهم وصبرهم على كل التضحيات التي كانوا يقدمونها في سبيل الحرية والاستقلال.

في 05 نوفمبر 1957 حوّل "الوانشي" إلى سجن "لاصونتي" "La Santé" وهناك كانت له فرصة الالتقاء بزعماء الوفد الخارجي الخمسة الذين تم اختطافهم في حادثة القرصنة الجوية سنة 1956، وكذا أعضاء اللجنة الفيدرالية السابقين الذين تم اعتقالهم في سبتمبر من السنة نفسها وهم (بن سالم، دوم، غراس، ومشاطي)³، وكانت ظروف العيش والإقامة فيه أفضل بكثير من سجن فرين "Fresnes" "حسب شهادة "دوم" بعد أن أصبحوا سجناء سياسيين⁴، وذكر "الوانشي" أيضا قوله: "أدخلت بعض التغييرات على نظامنا، صار عندي فائض من الوقت للمطالعة وأنا أستغله جيدا"⁵.

1الوانشي، مصدر سابق، ص 111. 112.

2نفسه، ص 112.

3الإبراهيمي، مذكرات جزائري ...، مصدر سابق، 2007، ص 121. 125.

4دوم، مصدر سابق، ص 209. 210.

5الوانشي، مصدر سابق، ص 115.

بعد أحداث الانقلاب العسكري في 13 ماي 1958 وسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة، ثم وصول "شارل دي غول" إلى الحكم والسلطة وقيام الجمهورية الخامسة، ومن جهة أخرى تم تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة بالقاهرة برئاسة "فرحات عباس" في 18 سبتمبر في نفس السنة، وعرفت عمليات ج.ت.و اشتدادا على الأراضي الفرنسية، كما مثلت سنة 1958 بالنسبة للجبهة سنة تعيين لجنة فيدرالية جديدة ووضع خطة لزيادة الضغط على الحكومة الفرنسية الجديدة، وكل هذه الظروف أحدثت تغييرات عديدة على إدارات السجون الفرنسية كانت لها آثار سلبية على ظروف الاعتقال و حياة المسجونين حيث ستحدث تشديد للاضطهاد في مراكز الاعتقال، بدعم من وزير العدل الجديد "ميشال دوبري" "Michel Debré" الذي تماشى مع الحكومة الجديدة لتشديد الحرب على الميدان وتضييق الخناق على الثورة ومناضليها داخليا وخارجيا.

في خضم تلك التطورات سعت عناصر مدنية وعسكرية بعد مؤامرة الجيش في 13 ماي إلى الهجوم على سجن "لاصونتي" في محاولة لاختطاف قادة الوفد الخارجي ل ج.ت.و من السجن، غير أن اكتشاف الحكومة الفرنسية لنواياهم أدى إلى تعزيز انتشار القوات الأمنية حول السجن وتكثيف الرقابة لإفشال خطة اختطاف هؤلاء القادة أو أي من المعتقلين، وهذا ما أدى إلى تفريقهم عن بعض في كل أقسام السجن في ظروف مادية صعبة.¹

استمر نضال "الوانشي" ورفاقه في سجن "لاصونتي" بباريس وشنوا إضرابا عن الطعام بداية من 28 أكتوبر سنة 1958²، تضامنا مع "رابح بيطاط" الذي أُلقي عليه القبض وحُبس في مدينة الجزائر ثم حُول إلى جزيرة "ري" التي بدأ بها إضراب الجوع بمجرد وصوله إليها من أجل التمتع بالنظام السياسي باعتباره من قادة الثورة، وقد كانت نتائج الإضراب قاسية حيث ردّت الإدارة الفرنسية بسحبها النظام السياسي انتقاما منهم، وإلغاء نظام المعاملة الخاص بالمساجين السياسيين، بقرار من الوزير الأول، يذكر دوم في هذا الصدد: "حذرنا مدير السجن قائلاً لنا إما أن توقفوا الإضراب، وإما أن تتراجعوا عن النظام السياسي، لكننا واصلنا الإضراب ففقدنا امتيازات النظام السياسي، وتمّت إعادتنا إلى سجن فرين "Fresnes"³، ويذكر "الوانشي" قوله: "أعادونا إلى النظام السياسي غير أننا سنحول إلى سجن فران وعزأونا الهواء والأشجار".⁴

لم يستسلم "الوانشي" وبقية المناضلين للتهديدات الفرنسية وفقدانهم لامتيازات النظام السياسي وإعادتهم إلى نظام القانون العام في 03 نوفمبر من السنة نفسها، بل صمدوا على مبادئهم في التضامن مع بعضهم البعض لأن مصيرهم واحد وعدوهم واحد، وواصلوا النضال وأكملوا إضرابهم عن الطعام إلى غاية

1 نفسه، ص 115.

2 محمد لبجاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص ص 92، 89.

3 دوم، مصدر سابق، ص ص 218، 219.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 116.

رضوخ الإدارة الفرنسية وتلبية جميع مطالبهم حيث تم تحويلهم من جديد إلى سجن لاسانتي¹، خاصة بعد أن تناولت الصحافة الفرنسية القضية، وتدخلت الحكومات العربية بإرسال بعثة لهذا الغرض، فقام الجنرال ديغول أخيراً بإبطال القرار معتبراً ما أقدم عليه "ميشال ديبري" خطأ، وتم إعادتهم إلى وضعهم السابق كمساجين سياسيين²، وحققوا بذلك انتصاراً آخر بعد إعادة النظام السياسي بتدخل ديغول وتوسيعه ليشمل رابع بيطاط³، يقول "الوانشي" في هذا الصدد: "تواصل الإضراب وصار فعلاً... لقد بلغنا مقصودنا في نهاية المطاف".⁴

* إطلاق سراحه وعودته إلى أرض الوطن:

برمج إطلاق سراح "الوانشي" يوم 06 أبريل سنة 1962، غير أن رفض حصوله على الحرية دون بقية رفاقه المناضلين الذين كانوا محكوم عليهم بالإعدام ورفض إطلاق سراحهم، وقد أثار هذا الموقف البطولي للوانشي تعجب واستغراب الهيئة الاستشارية للسجن بعد أن تسبب رفضه ذلك مشكلة قضائية خطيرة، ذلك أن بقاءه في السجن هو بمثابة إبقاء رجال أحرار في الاعتقال وهو ما يعتبر مصادرة، ولم يرد أحد أن يتحمل مثل تلك المسؤولية، حيث لم تتوقف المناقشات بين مكتب وزير العدالة، وإدارة السجن والمعتقلين طيلة يومي 6 و 7 أبريل حتى التوصل إلى اتفاق نهائي، حين تقرر تحويل الأربعة معا مباشرة إلى العاصمة السويسرية "جينيف" بالطائرة ويتم تحريرهم هناك لتجنبهم تهديدات المنظمة السرية الإرهابية التي قد تعدمهم في حال وصولها إليهم، لذلك لم يخرج "الوانشي" ورفاقه من السجن إلا في مساء يوم 07 أبريل بعد 24 ساعة من التأخر.⁵

بعد خروجه من السجن أقام "الوانشي" عند أهل زوجته الذين وقّروا له الإيواء وظروف الإقامة الجيدة غير أنه ورغم ذلك كان مصمماً على أن لا يقيم مدة طويلة في فرنسا، عازماً على العودة إلى بلده التي ضحى من أجلها بكل ما يملك من صحته وشبابه، غير أن اتحادية فرنسا لم تتجاوب معه لأنها لم تكن تسمح لأي معتقل سابق أن يغادر فرنسا في انتظار هدوء الأوضاع في الجزائر لاسيما في ظل الصراع الذي كان يشتد على السلطة والذي ظهر للعلن بعد أشغال مؤتمر طرابلس وما صاحبها من خلافات كادت أن تتحول إلى صدامات مسلحة ستدخل الجزائر المستقلة حديثاً في حرب أهلية لا تحمد عواقبها ولن تكون في صالح أي طرف من أطراف النزاع سوى أنها ستزيد من قهر الشعب الجزائري الذي انتظر الاستقلال طويلاً وستسيء للثورة ومبادئها.

1 نفسه ، ص 220.

2Mohamed Lebjaoui, op.cit,p456.

3 دوم، مصدر سابق، ص ص 220 . 221.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 115.

5 نفسه، ص ص 129 . 130.

لم يستطع "الوانشي" الابتعاد أكثر عن الجزائر والمكوث في فرنسا إلى حين تلقي الأمر من اتحادية الجبهة، وقرر مغادرة باريس برفقة صديقه في النضال "حسين مهداوي" في نهاية شهر أفريل باتجاه تونس التي وصلها يوم 02 ماي 1962، وكان حاله في ذلك حال بقية المهاجرين الجزائريين بفرنسا حيث رغبوا جميعا بعد استعادة الاستقلال في العودة إلى الجزائر، بهدف الإقامة نهائيا في البلد، والعودة إلى العائلة التي اضطروا لهجرها مرغمين منذ سنوات، وبالطبع بهدف الاحتفال أيضا بتحقيق الاستقلال الذي طال انتظاره.¹ وبسبب عصيانه للأوامر فإن "الوانشي" لم يتلقى أي استقبال رسمي عند وصوله، وبهدوء شخصيته المعتاد لم يتأثر كثيرا بعدم استقباله، بل طغت فرحة الرجوع إلى الوطن على كل الاعتبارات والحسابات، ثم بذل كل بوسعه لإيجاد حل للأزمة التي زعزعت القيادة مرة أخرى، وذكر فقي هذا الصدد: "إنه لمن الصعب أن نتصور جيلا من المناضلين المسؤولين الذين قاموا منذ أكثر من عشرين سنة من أجل الاستقلال، يتواجه في مشاكل أشخاص أو اعتلاء السلطة".²

ظل "الوانشي" يدعو للمحافظة على الاتحاد حتى ولو كان ظاهريا، وتفادي الانشقاقات والمواجهات من أجل الاستيلاء على السلطة، حتى يجري الإعلان عن استقلال الجزائر، فرفض جواز السفر التونسي باسم "يحي نور الدين" الذي أعدّه له للذهاب إلى طرابلس من أجل المشاركة في المؤتمر³، وفي الوقت نفسه ظلت قوات الأمن الفرنسية تواصل التمشيطات الميدانية والاعتقالات التعسفية بسبب عدم قدرتها على التحكم في عنف المنظمة السرية "OAS" التي ظلت المخرب رقم 01 في الميدان⁴ مستهدفة المصالح الفرنسية والجزائرية على حد سواء، فنفذت عدة اغتيالات فردية وقتلت أرواحا بريئة وخرّبت منشآت اقتصادية وثقافية.

تحدث "الوانشي" عن جرائم المنظمة السرية فقال: "...رغم وقف القتال فإن اللطخات والتمشيطات في الميدان والاعتقالات التعسفية كانت تواصل لأن قوات الأمن الفرنسية لم تتمكن من التحكم في عنف المنظمة المسلحة السرية، ونذكر مثلا بعض العمليات الإجرامية التي تخضع لسياسة الأرض المحروقة التي لم تحظى غالبا بأثر الاستفزاز المقصود وسقطت يوم 21 مارس قاذفة هاون في ساحة الشهداء، وقتل يوم 01 أفريل عشرة مرضى جزائريين في عيادة بالعاصمة، وخرت يوم 25 أفريل المنشآت البترولية في Edjelé كما تسبب انفجار في الميناء يوم 02 ماي في مقتل 62 حمالا، أما يوم 15 ماي فقد شهد مقتل 52 جزائريا في اغتيالات فردية..."⁵

1دوم، مصدر سابق، ص 259.

2 الوانشي، مصدر سابق، ص 131.

3 نفسه، ص 132.

4Merdaci Abdemadjid, GPRA un mandat historique 19 septembre 1958 -3 aout A962, les éditions du Champ libre,Algérie, 2018, p53.

5الوانشي، مصدر سابق، ص 133.

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال

1. موقفه من سياسة الرئيس بن بلة:

عرفت الوضعية العامة للجزائر غداة الإعلان عن الاستقلال تدهورا خطيرا بسبب اشتداد الصراع على السلطة ميّزها استيلاء قادة محليين على السلطة في بعض المناطق بعد عودة المجاهدين من الجبال، والمقاطعة بين جيش الحدود وجيش الداخل، وهو ما ساهم في توسيع النزاعات في كل التراب الوطني وكثرة السلطات الشرعية وغير الشرعية بحكم الواقع في السباق إلى سدة الحكم، وما زاد الوضع سوء هو تشكّل التحالفات في شرق البلاد وغربها وانضمام عناصر جديدة لكل طرف حيث أعلن البعض تأييده للحكومة المؤقتة واعترف البعض الآخر بهيئة الأركان ولم يستطع أحد وضع حد للأزمة في هذه الفوضى العارمة.

اندثر مصدر كل سلطة حين انفجرت الحكومة المؤقتة واستقال "سعد دحلب" عند الإعلان عن تشكيل المكتب السياسي واندثر المجلس الوطني من جهة، وعجز المجلس التنفيذي المؤقت الذي كانت صلاحياته محددة شرعيا من جهة أخرى، ما دفع إلى عقد اتفاق بين جماعة تلمسان وجماعة تيزي وزو بتوقيع كل من "كريم بلقاسم"، "محمد خيضر"، و"محمد بوضياف" وهكذا استطاع "بن بلة" من الدخول والإقامة في الجزائر مع كل السلطات داخل المكتب السياسي الذي امتنع "آيت أحمد" عن الدخول فيه، واشتدّ النزاع بين أنصار "بن بلة" وأعدائه ووصل حد تبادل النار في العاصمة في نهاية أوت وخلف حصيلة ثقيلة من الضحايا، وتفاقم النزاع الدموي بين الإخوة في العديد من مناطق الوطن ما دفع بوضياف إلى الاستقالة من المكتب التأسيسي¹، وأحدثت مظاهرات شعبية ضد هذه الصراعات تحت شعار "سبع سنين بركات" خوفا من تطورها إلى حرب أهلية بين الأشقاء.²

تخلّى "الوانشي" خلال هذه الفترة عن كل مسؤولية وظلّ وقفاً لخط سلوكه المتمثل في الكفاح من أجل الأفكار لا من أجل الأشخاص، فلم ينضم لأي طرف في النزاع لا إلى جماعة تلمسان ولا إلى جماعة تيزي وزو، وظلّ متتبعا لتطور الأوضاع قلقا عن المصير النهائي للصراع ومحافظا في الوقت نفسه عن الاتصال بـ"بن خدة" و"خيضر"، ونظرا لأنه لم يكن قادرا على التأثير في الأحداث فقد ركّز جهوده على مسقط رأسه محاولا تفهّم تطور البلاد ومستمعا إلى القصص الشنيعة من الأهل والأصدقاء القدامى، ومع بداية التوحيد الوطني على إثر استقرار المكتب السياسي في العاصمة استأنف "الوانشي" نشاطه في الإعلام وتولّت مسؤولية إصدار يومية وطنية باسم "جريدة الشعب" في أكتوبر 1962 رفقة "خيضر"، وقد كانت تلك مهمة صعبة وشاقة كلّفته الكثير من الوقت والجهد فيظل غياب تام لأي سبل للدعم وانعدام كليّ للصحفيين

1 نفسه، ص 146 . 147.

2 مشاطي، مصدر سابق، ص 99.

والفنيين، ورغم ذلك واصل "الوانشي" السعي من أجل وضع الهياكل التي يتطلبها بناء دولة حديثة، مستفيدا من تجربته الطويلة في هذا المجال حين كان عضوا في اللجنة المركزية للدعاية والإعلام أثناء الثورة.¹ وقع ترشيح "الوانشي" في الوقت نفسه للمجلس الوطني التأسيسي في قائمة "تيزي وزو" وتم انتخابه يوم 20 سبتمبر، وكان هذا المجلس هو من تولّى الإعلان عن قيام الجمهورية الجزائرية يوم 26 سبتمبر 1962 بعد وضع حدّ لسلطة وصلاحيات المجلس الوطني والمجلس التنفيذي المؤقت، وهكذا تكرّست الوحدة الوطنية بكيفية شرعية، وقد كتب "الوانشي" عنها في واجهة "الشعب" يوم 22 سبتمبر قائلا: "لقد بيّن الشعب الجزائري بتصويته إرادته القوية للمساهمة في تطهير الجو السياسي الجزائري، وتشيد دولة عصرية، وتحقيق الظروف التي تساعد على نجاح ثورتنا".²

يعتبر هذا المجلس أيضا أول برلمان جزائري، حيث شكّل اللبنة الأولى في بناء مؤسسات الدولة الفتية، وكانت قائمة المرشحين فيه تضم 196 نائبا من بينهم 70 عسكريا³، في إشارة واضحة إلى بداية التدخل الصريح للمؤسسة العسكرية في الحياة السياسية بالجزائر، وهو ما دفع ببعض الولايات التاريخية إلى رفض هذه القائمة من النواب واعتبرتها ناتجة عن عملية مبيتة هدفها إقصائهم من التمثيل النيابي، بل وذهب البعض منهم إلى حد طلب دورة استثنائية للمجلس الوطني للثورة من أجل دراسة الوضعية التي آلت إلى الفوضى⁴، في ظل تزايد الاختلاف والتناقض بين مختلف الآراء ووجهات النظر من جهة، واستمرار هيمنة المكتب السياسي لـ ج.ت.و الذي ضلّت له الكلمة العليا والحاسمة في اتخاذ القرارات التي يراها هو مناسبة دون الالتفات للمعارضين، وقد أشار إلى ذلك "فرحات عباس" بقوله: "إن الانتخابات التي جرت لتشكيل أول مؤسسة تشريعية في ظل الجزائر المستقلة قد جاءت بشيء من الهدوء رغم الظروف المتوترة التي جرت فيها، ذلك أن قائمة المترشحين حضّرها المكتب السياسي لـ ج.ت.و بدون أية مناقشة".⁵

يتضح من هذه الهيمنة للمكتب السياسي للجبهة ظهور البوادر الأولى للانفراد بالحكم وتغيب حرية الاختيار وتقبل الرأي الآخر، وهذا ما جسّده "بن بلة" كرئيس حين عمل على جعل المجلس التأسيسي غرفة تسجيل للخطب لا سلطة للتشريع والمراقبة، وهو ما جعل معارضوه ينتقدونه بالميل إلى الحكم الفردي وعدم استشارته حتى المقرّبين منه واصفا كل معارضيه بالرجعيين، ثم تطور به الأمر إلى حد اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى ممثلي الشعب، وقد أشار "هارون" إلى أن الاشتراكية المطلقة التي كان يسير بها "بن بلة" على خطى "فيدال كاسترو" لم تكن سوى تمهيدا للحكم الفردي المطلق على الطريقة الستالينية.⁶

1الوانشي، مصدر سابق، ص ص 148 . 155.

2نفسه، ص 150.

3حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 218.

4Haroun, op.cit, p 182.

5Ferhat Abbas, l'Indépendance confisqué, édition Garnier, France, 1984, p59.

6Haroun, op.cit, p 199.

أظهر "عباس" الذي كان رئيس المجلس التأسيسي على غرار الكثير من معارضي سياسة "بن بلة" في الحكم والتسلط، والنهج الاشتراكي الذي منحه سبل الحكم الفردي والشمولي حيث جعله يحكم رئاسة الجمهورية والحكومة في الوقت نفسه، إضافة إلى زعامة حزب ج.ت.و وهو ما يؤكد أهدافه الخفية والمعلنة للبقاء في السلطة¹، كما أظهر "عباس" أيضا رفضه المطلق وانتقاده اللاذع لتصرفات الرئيس "بن بلة" وقراراته التي تميّزت بالشعبوية بقوله: "أنا لا أوافق "بن بلة" في سياسته لأنه أدخل الجزائر كدولة حديثة إلى نظام جمهوري شعبي يتّصف بالحكم الفردي وسيطرة الحزب الواحد"²، وهكذا وجد "عباس" أن الاستقالة من رئاسة المجلس التأسيسي هي الحل الوحيد لإحداث القطيعة مع التوجه المعادي لمبادئ الديمقراطية والحرية، فاستقال وذكر قوله: "لا يمكن لأي جزائري مهما كانت مكانته أو وضعه أن يقود البلاد بمفرده دون استشارة الشعب".³

جاءت استقالة "عباس" رفقة "آيت أحمد" احتجاجا على اختراق "بن بلة" للشرعية الشعبية، بعد أن فضّل هذا الأخير وضع دستور للبلاد على يد عناصر من الحزب الموالية له خلاف ما تمّ الاتفاق عليه سابقا بأن المجلس التأسيسي هو من يضع الدستور⁴، غير أن الرئيس لم يكثر لذلك بل ثبت على رأيه وكلف لجنة موالية له وجماعته من الحزب لإعداد المشروع ثم عرضه على ندوة وطنية للإطارات الحزبية فتّمت المصادقة عليه في المجلس الوطني يوم 31 أوت 1963، ثم تمّ عرضه على الشعب يوم 08 ستمبر 1963 لإبداء رأيه فيه بالموافقة أو الرفض وذلك بواسطة الاستفتاء الذي تمّ نشر نتائجه بعد يومين من ذلك في الجريدة الرسمية.⁵

تبّنى "الوانشي" نفس أفكار ومواقف "فرحات عباس" بخصوص سياسة "بن بلة"، حيث كان يحمل نظرة جدّية لحزب قوي يسيطر على كل المنظمات الوطنية، وكان ذلك يتعارض مع فاعلية "بن بلة" الذي أصبح يقرر دون استشارة أحد حتى الذين ساعدوه على الوصول إلى السلطة، فوجد "الوانشي" نفسه في بداية سنة 1963 بين الشرعوية المحافظة لـ "خيزر" والشعبوية الساذجة لـ "بن بلة" على حد تعبير زوجته، مؤكدة أن هذا الأخير كان يتوفر على جهاز الدولة ما ساعده على سنّ القوانين بكيفية مستعجلة وفق حالته البدائية دون انتظار رأي يحظى بكثير أو حتى بقليل من الإجماع، ويحكم بفضل علاقات قوة ظرفية حدّتها تآلفات شخصية أو تاريخية، ولأنه كان رئيس حكومة ومسؤولا عن الدولة والحزب فقد كان يعمل في فوضى صلاحيات الدولة والحزب، وهذا الوضع قد خلق تصوّرين متباينين للسلطة قد يؤدي إلى فتح سلسلة

1Ferhat Abbas, l'Indépendance confisqué, op.cit, p 68.

2Benjamin Stora, Zakiya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, édition Casbah, 1995, p371.

3 Ibid, p 372.

4 رايح لونيسي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، د ت، ص 67.

5 بن يامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، تر: صباح ممدوح كعدان، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012، ص 25.

مواجهات جديدة، ستنتهي بحدوث القطيعة بين "الوانشي" و"خضر" رغم عمق العلاقات التي قرّبتها طيلة سنوات النضال والاعتقال، كما تفاقمت أسوار الانحراف السياسي تدريجيا حتى جعلت من "بن بلة" زعيما جديدا.¹

2. مزاولته النشاط في ظل الأزمة:

رغم تلك الانشقاقات والخلافات لنظام الحكم القائم، ظل "الوانشي" مناضل هادئ ومتميز بمواقفه الحيادية، الساعي دوما إلى التوفيق بين الأطراف المتعارضة، مع عدم التوقف عن العمل والإنتاج بحجة الانتظار حتى نهاية الخلافات وإيجاد الحلول لها، بل واصل نشاطه في الدعاية والإعلام حيث لم يكتفي بإنشاء جريدة "الشعب" التي سيظهر أول عدد لها باللغة العربية يوم 11 ديسمبر 1962 كتحدٍ عظيم في ظل نقص الوسائل البشرية والمادية، بل أنشأ جريدة أخرى أسبوعية في بداية 1963 تحمل اسم "الأطلس"، وأخرى مسائية تحمل اسم "الجزائر المساء"، وكان أكثر طموحا حين أراد إنشاء مركب جديد للنشر والصحافة، وإنشاء هيئة طبع وطنية للتخلص من مراقبة النشرة الفرنسية ولاسيما "هاشيت" "Hachette" التي كان لها احتكار نشر الكتاب في الجزائر، ولم يتوقف عند هذا الحد بل اقترح على "خضر" إنشاء وكالة إشهار محلية استطاعت أن ترى النور يوم 25 سبتمبر وهي "الوكالة الجديدة للنشر والإشهار" "ANEP"²، التي سيكون لها دورا رائدا في تعزيز هذا المجال بالجزائر لسنوات وعقود طويلة.

تمثل دور "جريدة الشعب" في التكوين من أجل إعداد الدولة والشعب للاختيارات الكبرى التي ستقرّ خاصة ما تعلّق بالحفاظ على المبادئ المؤسسة للجمهورية، ونشر أفكار قوية ودعم فعّال للأعمال التي انطلقت، من أجل توجيه البلد نحو ثورة حقيقية تجعل من الجزائر دولة عصرية ومزدهرة، وقد كتب يوم 23 سبتمبر بعد الجلسة الأولى للمجلس الوطني: "...إن ثورتنا قد جعلت الشعب المصدر الوحيد للسلطة، على البلد أن يعيش بالقوانين وعلى الديمقراطية أن تنتظم وعلى المسؤوليات أن تتوسع حول الكفاءات والنزاهة، وعلى حرية الجميع أن تعطى لكل واحد، وعلى العدالة أن تتناسب مع طلبات الذين يألمون..."، فكانت جريدة للشعب ومنصة الحكومة في الوقت نفسه³، غير أنها في الحقيقة كانت خادمة للنظام السياسي أكثر منها جريدة شعبية ذلك أن حرية الجميع التي تحدّثت عنها لم تكن موجودة في الواقع بعد أن كرّس واضعو الدستور الأول من أنصار الرئيس الحكم الفردي وأقصوا الشعب عمليا من صناعة القرار.⁴ أدّى تزايد هذا العداء للوانشي إلى إتباعه نفس منهج "فرحات عباس" في الاستقالة والابتعاد عن مصادر الخلاف السلطوي، فقدّم استقالته من منصب مدير جريدة الشعب في أفريل 1963 وقد خلفه في

1الوانشي، مصدر سابق، ص ص 171 . 174.

2نفسه، ص 158.

3نفسه، ص ص 161 . 172.

4رابح لونيسي، رؤساء في ميزان التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص 89.

هذا المنصب أحد أصدقائه وهو "عبد العزيز زرداني" الذي كان جنديا في جيش التحرير الوطني، وقد عبرت جريدة "le Figaro" عن هذا التغيير بعنوان "حلقة جديدة في تصفية المعارضة بالجزائر، في إشارة إلى أن ذلك نابع من إرادة "بن بلة" ورغبته في تعيين متزايد للمساندين له في المناصب الحساسة ومن ثم تقوية سلطته ومكانته في الحكم¹، وهذا ما يدعم أكثر موقف "عباس" من "بن بلة" حين قال أنه كان: "رافضا لإنشاء دولة الحق والقانون التي تكون متعددة الأفكار وقابلة للاختلاف".²

ثم عاد ليشغل منصب المدير العام للإعلام المرتبط برئاسة الجمهورية بعد أن رفض منصب وزير، ربما لأنه أراد أن يبدع في مجال تخصصه الذي يتقنه جيدا ويملك فيه خبرة كبيرة منذ عقود، فعمل على التفرغ لإعادة تنظيم عميق في الجزائر عند توليه للقطاع منذ بداية جانفي 1965، وتسوية بعض الوضعيات المعقدة التي كان يشهدها مجال الإعلام في الجزائر آنذاك، مثل حق التصرف في توزيع الأنباء وانطلاق المنشورات الوطنية الجديدة، وكان يريد منح احتكار النشر التجاري بما فيه الكتب المدرسية لدور النشر الوطنية، وكذا احتكار الحصص الإذاعية والمتلفزة بما فيها الحصص المدرسية للإذاعة والتلفزة الجزائرية، معتقدا أنه بصدد إرساء قواعد إعلام حقيقي باعتماد هذا النمط من العمل، والهدف الأسمى هو إعادة تنظيم الصحافة الوطنية والمساهمة في إثرائها لاسيما بعد ضم جريدة "الشعب" باللغة الفرنسية إلى "الجزائر الجمهورية" وضم "الشعب" إلى "المجاهد".³

3. موقفه من المعارضة:

رغم هذا الإقصاء والتهميش المتعمد إلا أن "الوانشي" رفض الانضمام للمعارضة وامتنع عن تأييد تلك الاتجاهات المعارضة التي كانت تتزايد يوما بعد يوم ضد "بن بلة" من طرف العديد من رفاقه في النضال أمثال "آيت أحمد" الذي اتهمه بالتسيير التسلطي وكثرة التشخيص، و"بوضياف" الذي كان مبغضا هو الآخر للشعبوية المتطرفة التي جسدها "بن بلة" في حكمه، بل امتدّ الاتجاه المعارض حتى إلى المحافظين أمثال "خضر" الذي عاب على الرئيس الانفراد بالحكم، مؤكدا إرادته في أن تكون السلطة في يد الجماعة كما كان ذلك في عهد حزب الشعب، وفي خضم ذلك ظل "الوانشي" محايدا وبعيدا كل البعد عن تأييد أية جهة معارضة لأنه كان يرى أن الوطنية هي محرك حياته وحركة تحويل المجتمع، فبفضلها خرجت البلاد من العبودية الاستعمارية ونجحت في تحقيق تحرير حقيقي واسترجاع فضاء مشترك سيولد هيكله مجتمع جديد، كما أن بغضه لأي عمل تقسمي جعله يتوقع تشييدا جماعيا لمستقبل الوطن.⁴

رغم الشرعية التاريخية والالتفاف الشعبي الذي حظي به الرئيس "بن بلة" في فترة حكمه للجمهورية الجزائرية إلا أنه لم ينجح في بناء دولة وطنية شاملة لجميع الكفاءات الوطنية، تضم وتجمع كل أبناء الوطن

1الوانشي، مصدر سابق، ص ص 179 . 181.

2 Ferhat Abbas, l'Indépendance confisquée, op.cit, p 63.

3الوانشي، مصدر سابق، ص ص 221 . 232.

4الوانشي، مصدر سابق، ص ص 178 . 183.

الذين لا طالما ناضلوا طويلا وضحوًا كثيرا في سبيل تحريرها¹، بعد إقصائه للعديد منهم بسبل مختلفة تراوحت بين السجن والإقامة الجبرية والتهميش والتهديد والتخويف والترهيب، إضافة إلى التشويه والحكم بالإعدام على البعض بتهمة التمرد المسلح على الشرعية، وغيرها من الطرق التي حوّلت الأمن إلى خوف والاختلاف إلى تعصّب والاستقرار إلى اضطراب أدخل البلاد والعباد في حالة ترقّب وتخوّف من اندلاع حرب أهلية ستكون نتائجها وخيمة على الجميع وستلحق الضرر بسمعة الثورة والنضال الذي طالما جمع ووّحد الجهود.

أدّت سياسة "بن بلة" في مواجهة المعارضة السياسية بقبضة من حديد إلى اشتداد عمق الخلاف بين مختلف الأطراف المتباعدة، وهذا ما أورده "الذيب" في مذكراته حين ذكر ما قاله له "خضر" الذي كان أحد أبرز المعارضين لبن بلة وسياسته التي أدّت إلى تدهور الوضع الجزائري على المستويين الداخلي والخارجي طالبا منه ضرورة اتخاذ موقف صريح لإيقافه وعدم الاستمرار في السكوت لأن ذلك سيكون جناية في حق الشعب الجزائري الذي سيكون الضحية الأولى لهذه السياسة العرجاء، لاسيما وأن "بن بلة" مصرّ على الاستمرار في منهجه ضاربا عرض الحائط النصائح البناءة من العناصر الوطنية المخلصة²، كما عبّرت جريدة "L'observateur" الفرنسية في عددها الصادر يوم 04 ماي سنة 1962 بصورة لـ "بن بلة" عنوانها بـ "بن بلة يحمل بندقية مصرية للتعبير عن نهاية القتال وبداية الفصائل"، معبرة هي الأخرى عن مدى الانقسامات التي ستؤدي إليها سياسة بن بلة خلال معركته لإبعاد كل منافسيه ومعارضيه، والتي ستدخل الجزائر ككل في جو من اشتداد التوتر واللاإستقرار.³

رغم أن "الوانشي" من نفس منطقة "آيت أحمد" إلا أنه لم ينضم للتمرد الذي قاده هذا الأخير ضد "بن بلة" متجنّبا كعادته التلاعب بالوحدة الوطنية، بل وأثار ذلك التمرد سخطه بشكل كبير حيث كان يرى أن خصوصية منطقة القبائل الجبلية وتحملها عبئا كبيرا من أعباء الحرب التحريرية وظهور هذا التمرد منها ضد القومية العربية الشاملة من أجل خدمة طموح رجل سيجعلها أكثر عزلة وسيدخلها في حرب أهلية من أجل أطماع السلطة المفرطة لآيت أحمد، لهذا انضم للجنة تحضير للمؤتمر الذي دعا إليه "خضر" يوم 27 أكتوبر 1963 من أجل القيام بجهد إعداد إيديولوجي قصد التقدم في إيجاد حل عاجل للوضع في البلاد على المستوى الإيديولوجي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والتنظيمي.⁴

تشكلت لجنتين فرعيتين للمؤتمر منذ 08 جانفي 1964 اختصّت الأولى بمعالجة آليات إنجاز الاشتراكية وهياكل الحزب، بينما اهتمّت الثانية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وقد تمّ تعيين "الوانشي"

1 رابح لونيسي، رؤساء في ميزان التاريخ، مرجع سابق، ص 84.

2 الذيب، مصدر سابق، ص 615.

3 Malaise croissant parmi les dirigeants mécontentement dans l'armée, l'observateur du moyen -orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p05.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 184 . 186.

على إثرها مقررا لهذه اللجنة وحمل على عاتقه الإعداد الجدّي للحصول على الصورة الكاملة للوضع وتحديد الاتجاهات الصالحة للمستقبل، وقدّم خلالها مشروع الثورة الفلاحية إلى المجلس الوطني، كما قام بتحديد المشاكل الناجمة عن الاستعمار والحرب والتي ستظهر فيما بعد في ميثاق الجزائر الأول¹، وقدّم أيضا "الحاج بن علي" الذي كان مسؤولا عن الحزب والمنظمات الوطنية في المكتب السياسي، تقريرا تضمّن تحليلا عن الظروف التي أحاطت بتنظيم الجبهة بعد الاستقلال والهيكل الجديد للتنظيم الحزبي ودعا إلى إقرار هذا التنظيم داخل الجيش الوطني.²

رغم صعوبة إعداد المؤتمر وتحرير ميثاق الجزائر بالنسبة لكل أعضاء اللجنة الوطنية، إلا أن ذلك لم يمنع "الوانشي" من مواصلة النشاط على مستويات أخرى وسعيه لبناء مجتمع عادل سواء كنائب أو كمسؤول حزب، حيث عين كعضو في لجنة تشريع بالمجلس الوطني، لاقتراح قانون يربط التربية المحروسة بوزارة العدل، وتحويل فكرة التربية المحروسة إلى المحافظة على الطفولة، خاصة في ظل وجود الآلاف من الأيتام ضحايا الحرب، ثم اقترح في جوان 1964 قانون خاص للنظر في تطبيق حكم الإعدام من عدمه.³ بعد اعتقال العقيد "شعباني" و"حسين آيت أحمد" من طرف جيش التحرير الوطني إضافة إلى العديد من المناضلين الثوريين الذين ساهموا في تحرير الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي الغاشم، وفي خضمّ هذه الاعتقالات كان "الوانشي" يأسف بعمق على تبعثر القوى، ووصول البلاد إلى هذا الحال من الانقسام والاختلاف والنزاع الذي تطوّر إلى صدامات مسلحة عنيفة، وظل بوغيه العالي مناضلا حكيما ذو التزام وطني كبير، جهده منصبا على إلغاء الخصام وتقريب وجهات النظر بما يخدم مصلحة الوطن، وسعيه مستمرا بشكل حثيث لتحسين المستوى المعيشي للشعب الجزائري مع تجنيده كل الطاقات لتحقيق ذلك من أجل تقدم الجزائر.⁴

4. موقفه من الإطاحة ببنة:

تصاعد الخلاف بين الرئيس "بن بنة" والعقيد "بومدين" سنة 1965 رغم أنه كان قد بدأ يتعمّق منذ بداية الاستقلال لاسيما أنالعقيد كان يستغل التمردات المسلحة التي اندلعت في مختلف مناطق الوطن لتقوية نفوذه وإضعاف الرئيس ومن ثم إبقائه رهينة في يده⁵، وعندما تأكّد "بن بنة" من نوايا بومدين وضع خططاً للتخلص منه من خلال إبعاده عن الساحة السياسية والعسكرية، فقام بتغييبه عن الكثير من الاجتماعات وتجنّب استشارته في العديد من القضايا، كما انفرد بالتحضير للمؤتمر الأول لـ ج.ت.و في 1964 دون إشراكه وكبار الضباط في اختيار اللجنة المركزية للحزب ومندوبي المؤتمر، وهو ما جعل

1 نفسه، ص ص 196 . 199.

2El Moujahid, 19 Avril 1964.

3الوانشي، مصدر سابق، ص ص 205 . 207.

4 نفسه، ص ص 215 . 219.

5 رابح لونيسي، الجزائر في دوامة الصراع...، مرجع سابق، ص 91.

بومدين وجماعته يقدمون الاستقالة الجماعية التي رفضها الرئيس خوفا من صعوبة السيطرة على الوضع في حال انفجاره.¹

وصل الخلاف بين الرجلين إلى حد اقتراح الرئيس تشكيل جيش موازي للمؤسسة العسكرية للتخلص من قبضة العقيد بومدين²، وكانت الفكرة قد طُرحت خلال انعقاد مؤتمر الحزب سنة 1964 بتكوين مليشيا شعبية مسلحة منفصلة عن الجيش الوطني الشعبي لمواجهة القوى المضادة للثورة³، ويؤكد "زيري" في هذا السياق رغبة بن بلة في تحييد بومدين وإبعاده، من خلال محاولته تعيينه قائدا للأركان دون استشارة بومدين أو أخذ رأيه في الموضوع، في محاولة الرئيس لضرب عصفوريين بحجر واحد، فمن جهة سيتم إضعاف المؤسسة العسكرية التي كان يقودها بومدين ومن جهة أخرى سيخلق صراعا داخل الجيش بين القائدين زيري وبومدين، غير أن هذا الأخير كان الأقوى والأدكى حيث استطاع حسم المعركة لصالحه وكسب زيري إلى صفه ضد بن بلة خاصة بعد بعض الأخطاء التي ارتكبها الرئيس أثناء زيارته جمهوريات الاتحاد السوفيتي، تشيكوسلوفاكيا، بلغاريا، ومصر.⁴

واصل الرئيس سياسته العدائية للعقيد فقام بإبعاد جماعة هذا الأخير عن الحقائب الوزارية على غرار "أحمد مدغري" الذي تمّ استبعاده من وزارة الداخلية بعد ضمها إلى مسؤوليات الرئيس، وشريف بلقاسم" الذي نزلت من وزارة التوجيه التي كان يشرف عليها نصف الصلاحيات، ثم وصل به الأمر إلى تنحية "عبد العزيز بوتفليقة" من وزارة الخارجية في الوقت الذي كان فيه العقيد غائبا عن الجزائر متواجدا في العاصمة المصرية في ماي 1965 لتمثيل بلاده في اجتماع رؤساء الحكومات العربية لمساندة القضية الفلسطينية⁵، والإعداد لإنشاء المجلس العربي للدفاع المشترك بناء على قرارات القمة العربية الأولى.⁶

بعد عودة العقيد "بومدين" إلى أرض الوطن وعلمه بمخطط الرئيس "بن بلة" عقد اجتماعا مستعجلا رفقة جماعته المعزولة حيث ضم الاجتماع إلى جانب بومدين وزيري كل من بوتفليقة، أحمد قايد، مدغري، وشريف بلقاسم، وتركز النقاش على انتقاد سياسة الرئيس في مختلف المجالات، ثم تقرّر الإطاحة ببنة⁷، والقضاء على سياسة الحكم الفردي التي يتبناها، وذلك بعد جس النبض الذي قام به بومدين وجماعة وجدة للإطارات السياسية والعسكرية للدولة، وتم الاتفاق على أن يكون يوم 19 جوان

1 طاهر زيري، مصدر سابق، ص 100 . 102.

2 صالح بلحاج، جذور السلطة في الجزائر، الأزمات الداخلية لجبهة التحرير الوطني من 1956 إلى 1965، نشر بن مرابط، 2014 الجزائر، ص 221 . 222.

3 لطفي الخولي، عن الثورة في الثورة وبالثورة حوار مع بومدين، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، الجزائر، 1975، ص 61.

4 طاهر زيري، مصدر سابق، ص 88 . 96.

5 الشاذلي بن جديد، مذكرات الشاذلي بن جديد 1929 . 1979، ملامح حياة، ج 1، تحرير: عبد العزيز بوباكير، دار القصة، الجزائر، 2011، ص 213.

6 طاهر زيري، مصدر سابق، ص 107.

7 لويسي، الجزائر في دوامة الصراع...، مرجع سابق، ص 59.

1965 تاريخاً لإنهاء الحكم الفردي لبن بلة¹، وإنجاح العملية التي أطلق عليها اسم حركة التصحيح الثوري والتي جسّدت مقولة زيري: "يا سي أحمد إن مجلس الثورة قد أوقفك، ولم تعد رئيساً للجمهورية".² بعد نجاح هذه الحركة التي أطاح فيها "بومدين" بالرئيس "بن بلة" في 19 جوان 1965 وأمام تغيّر المشهد السياسي والعسكري في فترة الرئيس الجديد للحكم في الجزائر التزم "الوانشي" الصمت رغم أنه كانت له بعض المساعي السرية لتشكيل جبهة موحدة ضد الانقلاب العسكري لبومدين إيماناً منه بأن تغيير الرجال يجب أن يتم بطرق دبلوماسية وعن طريق النصوص الأساسية الموجودة، من دون أي تعصب أو فرض للقوة والعنف، وهذا الموقف يترجم دوماً مواقف "الوانشي" من كل الأزمات التي عرفت التجربة النضالية في الجزائر سواء قبل أو بعد الاستقلال لأنه كان قد حدّد لنفسه قاعدة سلوك المشروعية فلم يرد أن يحيد عنها بأي ثمن، ويؤمن دوماً بوضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار وضرورة بناء وتشديد دولة تنجح في الاستمرار والبقاء ولا تزول بزوال الحكومات والأشخاص.³

إن بناء دولة قوية ذات أسس صلبة وقواعد متينة ينبغي أن لا يرتبط بشخصيات وطنية معينة بقدر ما يجب أن يرتبط بإرادة قوية من جميع أبنائها للمضي بها قدماً نحو مستقبل أفضل للجميع حكومة وشعباً، لأن الشخصيات مهما بلغت رمزيّتها التاريخية وقديسيّتها الشعبية سيأتي يوم ترحل فيه لا محالة، كما أن الشعوب يتغير حالها بتغير وتعاقب الأجيال الصاعدة، من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس ينبغي أن تكون الدولة قائمة على مبادئ راسخة وقيم شامخة، ومبنية على ركائز ثابتة تواكب تطورات العصر وتحفظ مقومات النصر.

لتجنب البلاد مزيداً من الأزمات التي أرهقت الشعب من تبعاتها، قرّر "الوانشي" الانسحاب نهائياً من المشهد السياسي ومن كل نشاط عمومي وتفرّغ للاشتغال في أرضه وبستانه الذي كان يعجّ بأنواع كثيرة من النباتات، وفضّل البقاء في أرض أجداده على مغادرة الجزائر والانتقال للاستقرار في الخارج مثلما فعل الكثيرون من زملائه، لأنه كان يرفض كل إقامة خارج الوطن ويعتبرها خيانة للبلاد، وظلّ بين أهله وذويه رغم كل التهديدات التي قد تطاله أو تعرّض حياته للخطر، وقد ذكرت زوجته في هذا الصدد: "سيشتغل صالح ببستانه بآتم معنى الكلمة حيث سيقوم أولاً بإعادة رسم الأرض المهملة التي كانت لنا والتي كنا ندعوها باعتزاز كبير ببستانا، فحدد حواشي هندسية وممرات متماثلة... وأحضر أحجار من منطقة القبائل الجميلة لبناء جدار، ثم جاء دور غرس الأشجار والفساتل، والبذور المتنوعة... وأصبح البستان محل غرام صالح وقد بلغ شغفه به درجة جعلت أكبر أبنائنا يجيب كلما سئل عن مهنة والده دون تردد "بستاني".⁴

1 طاهر زيري، مصدر سابق، ص 112.

2 عمار جرمان، الحقيقة مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 189.

3 الوانشي، مصدر سابق، ص 235. 239.

4 الوانشي، مصدر سابق، ص 237. 240.

يعتبر "صالح الوانشي" شخصية ثورية متميزة صاحب رصيد نضالي طويل، وأحد أهم المثقفين والقادة الثوريين الذين تولّوا بحزم كبير مسؤولية ف.ج.ت.و بفرنسا، وكان له نشاط سياسي بارز خلال فترة الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، لهذا كان الرهان عليه كبيرا في تمثيل ودعم العمل الثوري خصوصا في المجال الإعلامي والدبلوماسي.

المبحث الثالث: عمر بوداود

المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الفترة ما بين 1924 . 1946

1. مولده

ولد "عمر بوداود" في قرية "أزروبار" التابعة لبلدية "تيقزيرت" في "تيزي وزو" سنة 1924، والده هو "أحمد واعمر" الذي كان مهاجرا بفرنسا قبل أن يعود إلى قريته ويشتري أرضا يستقر فيها رفقة عائلته ومعصرة زيت يستزق منها، تلقى "عمر" تعليمه الأولي في المدرسة الابتدائية بـ"تاروغه" الواقعة بقريته منذ أن كان في سن السادسة من عمره، حيث يذكر في هذا الصدد: "لقد تمّ تزويد قريتنا بمدرسة ابتدائية كانت مهياة أصلا لاستقبال أبناء المستوطنين غير أنني شرعت في التداول عليها منذ سن السادسة...تشكّلت المدرسة من قسم واحد يشتمل على عدة مستويات..."¹

في الوقت الذي كان "عمر" يزاوّل الدراسة في الابتدائية حرص أيضا على حفظ القرآن في مسجد القرية بشكل يومي قبل الالتحاق بالمدرسة على الساعة الثامنة، ما ساعده على التفوّق في التحصيل المعرفي حيث تمكّن من تحقيق النجاح في امتحان شهادة الدراسات الابتدائية ما أهّله لأن يبدو كشخصية مرموقة في نظر أهل القرية الذين أصبحوا يستعينون به لمراسلة أقاربهم المغتربين في فرنسا، كونه يتقن القراءة والكتابة حتى تحوّل إلى كاتب عمومي لأهل بلده لمدة سنة إلى غاية ذهابه إلى مدرسة زراعة الأشجار الواقعة في بـ"مشتراس" على بعد قرابة مئة كيلومتر كاملة عن "تاروغه" سنة 1938 لإكمال دراسته، ونظرا لبعدها عن مقر إقامته فقد كانت تحتوي على داخلية للإقامة، وقد مكث فيها "عمر" حتى أنهى دراسته مدة سنتين.

تمحورت دراسة "عمر" في هذه المدرسة دروسا في زراعة الأشجار العامة والمتخصصة، وأخرى حول الفلاحة العامة والمتخصصة كونها كانت مرتبطة بمديرية الفلاحة في الحكومة العامة، إضافة إلى دراسة اللغة الفرنسية والحساب ومواد أخرى كالغرس والعلاج والزبر، تلقيم الأشجار والكروم، زراعة البساتين، تربية النحل، وغرس الأشجار الغابية والتكنولوجيا كطرق معالجة الزيتون وتصبير الفواكه وغيرها، كما قدمت كذلك دروسا في كيفية مضاعفة الأشجار المثمرة بنوعيات كثيرة عن طريق المشاتل، وكانت عملية التدريس تتم عبر دفعات وأفواج تضم كل واحدة 25 تلميذا أغلبهم من الأهالي، ويشتمل التدريس على الجانبين النظري والتطبيقي تخصص الفترات الصباحية للأعمال التطبيقية بينما تخصص المسائية للأعمال النظرية، وقد تفوق

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 09 . 10.

"عمر" فيها إذ كان دوما من المتفوقين الأوائل والنجباء حيث أنهى السنة الأولى في المرتبة الأولى والسنة الثانية في المرتبة الثانية.¹

بعد نهاية دراسته في "مستراس" عاد "عمر" إلى "تاورغة" سنة 1941 ثم كُلف بمتابعة تربص تطبيقي في بونا "عناية" فتوجه إليها نحو حقول "Lamendière" الواقعة على بعد 7 كيلومتر من المدينة، وهناك سكن في شقة صغيرة تحتوي على غرفتين ومطبخ، إلى حين انتهاء التربص، والجديد في الأمر هو أن هذا التربص لم يكن مجاني بل كان بمقابل مالي وأجرة كانت الأولى من نوعها التي يتقاضها "عمر" في حياته، وهو ما استفاد منه في خدمة عائلته وقريته بعد انتهاء مدة التربص، ويذكر في هذا الصدد: "تقاضيت أجرة لي في سن 17 سنة وكانت أعلى من أجرة عامل فلاح، كنا أثناء التربص نمارس زبر وتلقيم أغراس الكروم، وزراعة الزهور والورود بشكل خاص... بعد عودتي إلى تاورغة انشغلت بتهيئة الملكية العائلية وأنجزت وفق الأساليب الحديثة جنانا رائعا نبتت فيه أشجار من مختلف الأصناف...."²

2. انخراطه في العمل السياسي:

* تأثيره بأثر الحرب العالمية الثانية على الجزائر:

سألت أحوال عائلة "بوداود" على غرار باقي العائلات والأسر الجزائرية فترة الحرب العالمية الثانية حيث عانى المجتمع الجزائري أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة، طيلة فترة الحرب وعاش الجزائريون أوضاعا مزرية في جميع المجالات، ففي المجال السياسي مثالا عانوا من فراغ رهيب إذ لم يكن لهم أي تنظيم سياسي يلتفون حوله للتعبير عن مطالبهم وطموحاتهم، ومن جهة أخرى تميزت هذه الفترة أيضا بغياب أي نشاط حربي مُعلن للحركات السياسية الجزائرية بسبب القمع المسلط ضد كل نشاط سياسي وطني³، وهذه الأوضاع كانت تنذر بانفجار شعبي وهو ما شحن الجماهير الجزائرية بشحنة الثورة والانتفاضة وسهلت من مؤامرة العدو ودعايته لتترجم على أرض الواقع بالفعل في مجازر 8 ماي 1945.⁴

لقد تم استنزاف ثروات الجزائر الاقتصادية خلال فترة الحرب العالمية الثانية من أجل إطعام أوروبا، وهو ما نجم عنه معاناة الشعب الجزائري من مجاعة كبيرة وأمراض قاتلة⁵، وما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت الأوضاع مشحونة بالتوتر بين الجزائريين والفرنسيين، وما زاد الطين بلة الأزمة الاقتصادية التي كانت تعيشها البلاد والتي زادت من حماس الجزائريين وكرههم للفرنسيين باعتبارهم المتسبب الرئيسي في تلك الأزمة، ففي الوقت الذي كان فيه الأوروبي يحقق الازدهار ويحوز على ثروة الجزائريين ويعيش

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 16 . 17.

2 نفسه، ص 17 . 18.

3 عامر رخيلا، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسيرة الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 36.

4 إسماعيل سامعي، انتفاضة 8 ماي بقالة ومناطقها، قالمة، دار الهدى، 2004، ص 41.

5 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ج 3، مرجع سابق، ص 236.

الرفاهية ويسيطر على التقنيات العصرية كان الجزائريون يُحسّون أن الأجنبي يمتص خيرات البلاد وينهب أهلها دون أن يجد من يقف له بالمرصاد، وهذا الإحساس ساهم بشكل كبير في خلق غضب وسخط على السياسة الاستعمارية وتنامي العزيمة على ضرورة التصدي لها ومواجهتها.¹

وصف "بوداود" تلك الأوضاع المزرية بقوله: "كانت الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1940 إلى سنة 1945 صعبة جدا على الجزائريين، كانت الأوضاع العامة تزداد خطورة يوما بعد يوم، كنا نعاني من تبعات الحرب العالمية الثانية وحال البؤس والمجاعة على المدن والقرى إلى درجة أن الأشكال البشرية كانت أقرب إلى الهياكل العظمية... ولم يكن في وسع كثير من الناس أن يتغذى أو يلبس ما يليق، كما عرفت مختلف المناطق استمرار الأمراض المعدية كالحمى الصفراء... وقد ازدادت الأوضاع تدهورا نتيجة تقسيط التموين وضعف المردود الفلاحي، والتصدير المتزايد للحبوب نحو فرنسا المحتلة لتوجه بعد ذلك إلى ألمانيا ولم تعد كميات الحبوب كافية لحاجيات الجزائريين... كما العديد من المناطق عرفت انقطاعا كليا للمؤونة وبداية المجاعة..."²

تدلّ شهادة "بوداود" على أن الشعب الجزائري قد استقبل نهاية المواجهة العسكرية الثانية وهو يتخبط في وضعية اقتصادية واجتماعية مزرية، ويعاني البؤس والفقر والحرمان من جهة وانتشارا واسعا للأمراض الفتاكة من جهة أخرى، فالتوزيع اللامتناهي لطبقات المجتمع أوجدت فئتين متباينتين، الأولى هي القريبة من الإدارة الاستعمارية والتي على الرغم من تفانيها في خدمة هذه السلطة وعدم مراعاتها لشؤون الأهالي إلا أنها لم ترق إلى مصاف أخط الأوربيين قدرا، والفئة الاجتماعية الثانية التي يتشكل منها باقي السكان وهي الأغلبية الساحقة تعيش حياة ضنكة يسودها الاستغلال والتعسف ويغلب عليها الاضطهاد والقمع.

غير أنه ورغم كل ما خلفته هذه الحرب من نتائج سلبية على الشعب الجزائري، فإنها مثّلت منعرجا حاسما في تغيير قناعاته اتجاه الاستعمار بعد فهمه لحقيقة وأهمية التطورات الحاصلة على الصعيد الدولي، والتي كان لها بالغ الأثر في تعميق الوعي الوطني وبعث الحماس الشعبي وتعزيز الأمل في نفوس الجماهير وذلك نتيجة للأحداث الكثيرة التي ارتبطت بهذه الحرب خاصة الآفاق الواسعة التي حملتها مع انتشار المد التحرري في المستعمرات الإفريقية والآسيوية بفعل انكسار القوات الفرنسية أمام الألمان سنة 1940 وانتشار دعاية قوات المحور المعادية للوجود الفرنسي في شمال إفريقيا.³

1 رضوان عيناود، 8 أيار/ماي 1945 والإبادة الجماعية في الجزائر، منشورات أنيب (ANEP)، الجزائر، 2005، ص 27.

2 بوداود، مصدر سابق، ص ص 19 . 20.

3 ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط2، الجزائر، عالم المعرفة، 2008، ص 132.

* انخراطه في حزب الشعب الجزائري:

إن حالة الظلم والتعسف الاستعماري الذي كان يعاني منه الجزائريون كانت ترسخ لدى "بوداود" فكرة التمرد على المحتل الغاصب ويزيد من وعيه بضرورة التخلص من تلك الغطرسة الاستعمارية التي لم تكن ترحم أحدا صغيرا كان أم كبيرا، ولطالما شاهد بألم عينيه منذ أن كان طفلا صغيرا أنواعا وأشكالا من الإهانة والمذلة الفرنسية لأبناء قريته في غالب الأوقات والتمادي في ذلك حتى من دون وجود أي سبب أو مخالفة يتحججون بها لفعل ذلك، وهو ما كان يبعث في نفسه مشاعر الكره والبغض لهؤلاء الفرنسيين وأعدائهم، ويزيد من قناعته بضرورة قدوم اليوم المناسب الذي يطرد فيه هؤلاء الغزاة.

كان "بوداود" يترصد الوقت المناسب للتعبير عن مواقفه في نبذ الكابوس الاستعماري فكانت سنة 1942 الفيصل في حياته حيث تعرّف لأول مرة على إحدى المنشورات السرية لـ ح.ش.ج التي جاء بها ابن معلمه في تاروغة "صالح عربوز" إثر قدومه إلى القرية لقضاء عطلة الربيع، وكانت موجهة إلى الشباب الراغبين في الانخراط في هذا الحزب الذي كان بدوره ينشط سرا في تلك الفترة، وقد أعجب "بوداود" كثيرا بمحتوى المنشور خاصة وأنه تضمن المطالبة باستقلال الجزائر كي تعود إلى سابق عهدها كبلد حر، وقد ذكر في هذا السياق: "إن التمادي في إذلال إماريغن الذي كنت أحسن به في كل خطوة أخطوها بالسوق أو بالشارع، والناجمة عن غطرسة المستوطنين والسلطات الفرنسية وخذامهم من الأهالي كان يثير في نفسي مشاعر التذمر... كان هذا المنشور يستجيب لحاجة في نفسي ويحدث فيها تأثيرا قويا جدا، فسألت صديقي فورا عن الإجراءات التي ينبغي القيام بها من أجل الانخراط في هذا التنظيم..."¹

كان ح.ش.ج يشتغل في الخفاء بطريقة سرية لأن الإدارة الفرنسي كانت قد قامت بتضييق الخناق على أحزاب الحركة الوطنية بسبب انشغالها بالمواجهة مع ألمانيا²، فسجنت زعماء الحركة وصادرت جرائدهم خصوصا التي تشكل خطرا بمطالبها كـ ح.ش.ج الذي قامت بحله في 29 سبتمبر 1939³، ومنعت جرائده من الصدور مثل "الأمة والبرلمان"⁴، واعتقلت العديد من مناضليه على رأسهم "مصالي الحاج" الذي لم تكتفي باعتقاله بل أصدرت في حقه حكما قاسما ومجحفا إذ حكمت عليه بستة عشر عاما سجنًا مع الأعمال الشاقة⁵، ثم واصلت حملة الاعتقال لبقية المناضلين على غرار "مفدي زكريا" و"محمد خيضر" يوم

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص ص 21. 22.

2 صلاح العقاد، المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس): دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، ط2، القاهرة، 1972، ص 328.

3 يحي جلال، العالم العربي الحديث والمعاصر: الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، ج2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص 685.

4 Abderrahmane Kiouane, Moments du Mouvement Nationale : textes et positions, éd. Dahleb , Alger, 1985, p 80.

5 Mohammed Harbi, le FLN (Mirage et Réalité): op, cit, p23.

04 أكتوبر 1939 بتهمة تحريض المجندين الجزائريين على العصيان¹، كما كان معظم مناضليه في السجون والمعتقلات منذ بداية الحرب².

ورغم أن الموقف العام للحزب من المشاركة والتجنيد في الحرب كان الرفض القاطع، إلا أن بعض أعضائه قد شاركوا مجندين في صفوف الجيش الفرنسي على غرار "بن بلة" الذي تقلد رتبة مساعد أول و"كريم بلقاسم" الذي منحت له رتبة عريف بعد مشاركتها في حملتي إيطاليا وفرنسا³، كما قامت جماعة أخرى من المناضلين داخل الحزب باستغلال ظروف الحرب والانشقاق عنه، حين قاموا بتشكيل لجنة "النشاط الثوري لشمال إفريقيا" "CARNA"⁴، التي سعت إلى الاتصال بالألمان باعتبارهم أعداء للفرنسيين بُغية الحصول على المساعدات والتدريب العسكري على حرب العصابات وصنع المتفجرات⁵، لكن مصالي رفض هؤلاء واعتبرهم منشقين ومنفصلين ولا تربطهم أية صلة بالحزب⁶.

لم يكن "بوداود" قد فهم التزامات الحزب وما يجري فيه إلا أنه فضّل الإسراع في الانضمام إليه دون تردد فقط لأن أهم مطالبه هي الاستقلال التام للجزائر وجلاء المحتل، وقد كان انضمامه عن طريق "محمد زروالي"⁷ وهو أحد المسؤولين عن الحزب الذين علموا المناضلين والمنخرطين الجدد أساليب العمل السري وقواعده الميدانية، وعدد من المناضلين الذين سيصبحون أهم رفاقه في النضال وهم "عبد القادر حسلالوي"، "علال بن ابراهيم"، "آيت مسعودان"، "السييل وناس" و"رزقي جمعة" الذي كان من نفس قريته وهو من سيشرح له طريقة عمل الحزب وكيفية سيره وتنظيمه، وسرعان ما فهم "بوداود" الطريقة التي وصفها بالسهلة جدا بقوله: "كان الأمر بسيطا إذ يتكفل أحد الأعضاء بانخراط خمسة آخرين، فيصبح قائدا عليهم، ثم يتكفل كل عضو من الخلية الأولى بانخراط خمسة أعضاء جدد ويصبح هو الآخر قائدا على هذه المجموعة الجديدة، وعند تشكيل خمسة مجموعات تحت رئاسة قائد واحد يتم تشكيل اللجنة المحلية، ثم تتحول خمس لجان محلية إلى مقاطعة، لقد أعجبتُ بالطريقة التي بدت لي عملية وبسيطة في الوقت نفسه"⁸.

وبعد عودته إلى قريته شرع "بوداود" في التعريف بالحزب لكسب عناصر جديدة والمزيد من المنخرطين حتى يتم تشكيل خلايا ومقاطعات جديدة بمنطقة القبائل من جهة، ويثبت للجميع جدارته

1 Charles Robert Agéron: Histoire de l'Algérie contemporaine, éd P.E.F, Paris, 1979, p 585.

2 Jaques Simon – Messali El Hadj (1898- 1974), La passion de l'Algérie libre, op, cit, p22.

3 Belkacem Recham, op, cit, p 180.

4 Gilbert Meynier, op, cit, p60.

5 Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme Algérien, Tom 02, éd, EDIF, Alger, 2003, p636

6 Charles Robert Agéron , Op, cit, p585.

7 هو مؤسس حزب الشعب الجزائري بمنطقة دلس، كان في نفس سن بوداود ومزدوج اللغة، ويتميز بفصاحته الخطابية باللغة العربية والفرنسية وكذا القبائلية، كان يشتغل كاتب محامي في تيزي وزو ومحور الاتصال بين تيزي وزو ومدينة الجزائر = للمزيد انظر: بوداود، مصدر سابق، ص 25.

8 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 22 . 26.

السياسية من جهة أخرى، فبدأ بأقرانه وأصدقائه من يلتبس فيهم تقاسم نفس الانشغالات والاهتمامات الجادة، ثم استمالة الكبار من شيوخ المساجد وكبار المداشر خاصة من يمتلكون بعض المعارف السياسية نتيجة هجرتهم السابقة إلى فرنسا في مرحلة ما من حياتهم أو من كانت لهم تجارب نضالية في صفوف الحركة النقابية الفرنسية، وهكذا بدأت ولادة التنظيم بالمنطقة وأخذت عملية الانخراط تتسع دوائرها تدريجيا يوما بعد يوم، وذكر في هذا الصدد: "بدأت عمليان الانخراط أولا من بلديتنا "بغلية" ثم اتسعت إلى بلدية "تيقزيرت" المتاخمة لنا حيث وجدنا لدى المواطنين استعدادا للنضال فقمنا بهيكلتهم... وابتاع أساليب إقناع دامغة جندت أعضاء جدد حتى أنني لم أعد أذكر عدد الخلايا واللجان المحلية وعدد المقاطعات التي تم إنشاؤها... ما جعل التنظيم يعرف تطورا سريعا بالمنطقة ويمتد ليشمل تادميت والناصرية وبرج منايل ودلس ثم مدنا وقرى أخرى".¹

المطلب الثاني: تطور نضاله الوطني خلال وبعد الحرب العالمية الثانية

1. موقفه من نزول الحلفاء ومحاولة استغلال فرصة التواجد الأمريكي

* موقفه من نزول الحلفاء "Opération torche" في نوفمبر 1942:

شهد يوم 08 نوفمبر من سنة 1942 نزول قوات الحلفاء البريطانية والأمريكية بشمال إفريقيا، وتردد صوت طلقات المدافع والانفجارات من الميناء إلى غاية أعالي مدينة الجزائر مُعلنًا وصول هذه القوات وقيل أن بعض الشيوعيين كانوا على علم بتحضيرات وصولهم²، وقد مثل هذا الإنزال نقطة تحول هامة في صراع طرفي الحرب العالمية الثانية (الحلف والوفاق)، أين كان للجوسسة والدعاية المغرضة دور كبير في تركية الصراع، وباعتبارها مستعمرة فرنسية كانت الجزائر مسرحا للدعاية الألمانية والدعاية المضادة للحلفاء وذلك من خلال إذاعات موسكو، واشنطن ولندن³، كما أنها مثلت بنزول الحلفاء فيها فضاء جغرافيا وسياسيا وعسكريا للقوى المتصارعة من المحور والحلفاء الذين اتخذوا منها نقطة ارتكاز مهمة في تخطيطهم الاستراتيجي بالمنطقة.

تركزت دعاية الحلفاء على مبادئ الميثاق الأطلسي الذي انعقد في 14 أوت سنة 1941⁴، والذي احتوى على ثمانية مواد ركزت على احترام الحريات الفردية والجماعية، وحق الشعوب في اختيار أنظمة حكمها، ورفض أي شكل من أشكال المساومات الترابية وحرية التبادل والتكامل الاقتصادي والتجاري⁵، وقد جاءت هذه المواد تأكيداً للمبادئ التي نادى بها من قبل الرئيس الأمريكي "توماس ولسن"، لاسيما المتعلقة بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها وحقها في الحكم الذاتي، حيث دعا إلى الامتناع عن

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 23. 25.

2 هنري علاق، مذكرات جزائرية، تر: جناح مسعود، عزيزي عبد السلام، دار البقطة للنشر، الجزائر، 2007، ص 89.

3 Ferhat Abbas, La nuit coloniale: guerre et révolution D'Algérie, édition Livres, Alger, 2001, p133

4 Gilbert Meynier, Histoire intérieure du FLN (1954- 1962), éd. Casbah, Alger, 2003, p61.

5 عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا والجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص 128.

استخدام القوة كأداة لتسوية الخلافات الدولية¹، وحل الأزمات التي تنشأ بطرق سياسية ودبلوماسية بعيدا عن الخيارات العسكرية لتفادي الاضطرابات العنيفة²، أو على الأقل التخفيف منها قد المستطاع بدعم وتشجيع سبل التعايش والتعاون بين مختلف الدول.

واكب "بوداود" عمليات إنزال الحلفاء ولم تمر عليه بشكل سطحي كباقي أقرانه في السن، بل حاول فهم مدلولاتها وأبعادها وانعكاساتها على الجزائر، حيث نظر إليها كمنعطف هام ومنعرج حاسم في تاريخ الحركة الوطنية بشكل خاص وتاريخ الجزائريين بشكل عام، خاصة بعد أن تمخضت عنها عدة تغيرات على المستوى المحلي وتبّبت في إضفاء حركية جديدة على السياسة الاستعمارية اتجاه الجزائر في مختلف المجالات سواء السياسية بالدرجة الأولى أو حتى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وصف "بوداود" في مذكراته هذا التطور بقوله: "في نوفمبر 1942 تدفقت الجيوش لأنجلو أمريكية على طول الساحل الجزائري، جاء الأمريكيان معهم برغد العيش وبالتغيير في حياتنا اليومية خفف من وطأة البؤس الذي كان جاثما على حياتنا، كما كان لهذا الإنزال تأثير كبير على نظرنا السياسية للأمر، بالنسبة إلينا كان الفرنسيون والمستوطنون يمثلون قوة يستحيل قهرها، غير أن انكسار 1940 وما عرفه التراب الفرنسي من اكتساح خاطف للألمان قد ترك أبصارنا شاخصة متعجبة بعد أن تأكدنا أن عدونا لم يكن بالقوة التي لا تقهر مثلما كان يوهمننا... كان الفرنسيون هم الطرف المنهزم في الحرب وكان ذلك يعزز آمالنا في المستقبل"، ثم يضيف قائلا: "من المفارقات العجيبة أنه في الوقت الذي استمرت فيه ملاحقة أعضاء حزب الشعب الجزائري بحزم كبير، كانت معاهدتي الميثاق الأطلسي وسان فرانسيسكو تبرمج لتمكين شعوب المستعمرات من تقرير مصيرها بنفسها بعد انتهاء الحرب وسقوط النازية، وقد شجع ذلك التناقض الوطنيين على مواصلة نشاطهم وهو ما خلق جوا مناسبا لتعزيز صفوف حش ج بصورة أكبر وبحيوية أكثر".³

يبدو أن انهزام القوات الفرنسية أمام القوات الألمانية التي تمكّنت من احتلال العاصمة باريس بسهولة تامة سنة 1940 قد كان له مفعول قوي وإيجابي على الجزائريين حين أزلت تلك الهزيمة من نفوسهم عقدة الخوف من القوة الفرنسية التي كانوا يخشونها ويتوهمون أنها لا تقهر، وزادت حدة حقدهم على المستوطنين الأوروبيين الذين عاثوا فسادا في الجزائر ووقفوا عاجزين كجيشهم في دحر الألمان، وهذا ما بعثت آمالا كبيرة لديهم بأنهم قادرون على التحرر والتخلص من سيطرتها فهم ليسوا أقل من الألمان في كره فرنسا من جهة وامتلاك الإرادة والعزيمة التي تؤهلهم لكسر شوكتها من جهة أخرى، لاسيما بعد اكتسابهم

1 شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص 283.

2 نادية حزالله، "مجازر 8 ماي 1945"، مجلة التاريخ، ع 4، 1977، ص 162.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 28.

لخبرات جديدة سواء على المستوى السياسي أو العسكري جراء مشاركة الكثير منهم في تلك المواجهة في أوروبا، ورؤيتهم لقوة العناد العسكري الأمريكي في الجزائر مقارنة بالفرنسي الذي ظهر أمامه عتيقا باليا. من هذا المنطلق سمح هذا الإنزال بزيادة أنشطة الوطنيين ذلك أن تصريحات الرئيس الأمريكي لصالح الشعوب في الحرية كان لها أصداء إيجابية في الأوساط الوطنية¹، وكان من نتائج ذلك أن دخلت الجزائر عهدا جديدا من تطورها السياسي، بعد أن تم إطلاق سراح الكثير من المناضلين في ح.ش.ج من السجون والمعتقلات مع فرض الإقامة الجبرية عليهم وتم العفو عن مناضلي الحزب الشيوعي، فأتاحت بذلك الفرصة لتحرك العديد من العناصر السياسية²، وعلى رأسهم "فرحات عباس" الذي عبّر عن تفاؤله قائلا: "إن الجزائر قد شهدت نزول قوات أجنبية مرتين كانت الأولى في سيدي فرج سنة 1830، والثانية في وهران والجزائر في 1942، وتحمل الثانية بشرى كبيرة أكثر من الأولى"³، كما قام باتصالات عديدة انتهت بتقديم عريضة باسم المنتخبين إلى ممثلي فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية تضمنت عدة مطالب أهمها ضرورة إنشاء دستور سياسي واقتصادي واجتماعي جديد للجزائر كشرط للمشاركة في الحرب، وكان ذلك يوم 20 ديسمبر 1942.⁴

وبعد يومين (22 ديسمبر 1942) أعاد "فرحات عباس" صياغة المذكرة وقدمها للسلطات الفرنسية في الجزائر، وقد تضمنت عدة نقاط أهمها عقد مؤتمر يضم جميع الممثلين المسلمين، المشاركة في تحرير فرنسا بشرط أن تعد بتطبيق هذه الإصلاحات، مع إعداد دستور جزائري سياسي اقتصادي واجتماعي⁵، وهكذا قدّم الجزائريون مذكرة للحلفاء أعلنوا فيها استعدادهم للمساهمة معهم والاشتراك في المجهود الحربي ضد قوات المحور مادامت الحرب تهدف إلى تحرير الشعوب⁶.

وقّع على هذه المذكرة معظم النواب الجزائريين، في حين رفض المسؤول الأعلى لدى الحلفاء الجنرال "جيرو" "Juron" مقترحات الوفد الجزائري وأجاب أنه يحارب ولا يشتغل بالسياسة وأنه يهتم بالتجنيد (أي الجانب العسكري) لا بالإصلاحات (الجانب السياسي)⁷، وكان رد الفعل الجزائري على هذا التجاهل وعدم اعتبار هذه الرسالة أن عمدت بعض الوجوه من الحركات السياسية إلى الاجتماع في مكتب

1 محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830. 1945، تر: محمد المعراجي، دار الأمة، الجزائر، 2016، ص ص 339، 340.

2 محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830. 1954، ط1، دار البعث، قسنطينة. الجزائر، 1985، ص 204.

3 علي تابليت، فرحات عباس رجل دولة، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص 32.

4 فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: رجال أبو بكر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 167.

5 محمد الدرعي، التطورات السياسية في الوطن العربي، ج2، ط1، دار المدني، البلدة. الجزائر، 1995، ص 165.

6 جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1934، ص ص 192، 193.

7 عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936. 1945، ج2، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008، ص 288.

الأستاذ "بومنجل" في مدينة الجزائر العاصمة، وكُلف "فرحات عباس" بتحرير بيان فيفري 1943¹، وقد وُقّع عليه ستة وخمسون من الأعيان والمنتخبين المسلمين، وتضمّن عدة نقاط أهمها إدانة الاستعمار، وتطبيق حق تقرير المصير، ومنح الجزائر دستوراً الخاص الذي يضمن حرية جميع السكان والمساواة بينهم والاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية، إضافة إلى حرية الصحافة والدين وغيرها.²

لقد وُصف بيان فيفري بأنه: "أكثر من مجرد عريضة دفاع لأنه في الواقع شهادة للتاريخ، إذ كان بمثابة عقد إيمان"³، كما مثلاً أيضاً: "أول خرق لفكرة الاندماج عند فرحات عباس"⁴، وبذلك قضى هذا البيان وملحقه على الفراغ الذي كانت تشهده الساحة السياسية الجزائرية، وأنتج تحالف بين القوى الوطنية، كما وُقّر التفافاً جماهيرياً كان لا بد من تنظيمه وهيكلته ليتقرر بعدها إنشاء جبهة موحدة تجمع مؤيدي البيان.

تم تسليم نص البيان إلى الوالي العام "مارسيل بريتون" "Marsile Breton" يوم 31 مارس 1943، وفي اليوم التالي قام الوفد بتبليغ نص البيان إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا، وبعث نسخ أخرى منه إلى لندن والجنرال "شارل ديغول" وكذا الحكومة المصرية في القاهرة، وقد تظاهرت السلطات الفرنسية في بادئ الأمر بقبول البيان وشكّلت لجنة لدراسة مضمونه، غير أنها سرعان ما أظهرت موقفها الحقيقي القائم على رفض المطالب التي تضمنتها⁵، وفي تلك الفترة كان قد تم إطلاق سراح "مصالي الحاج" وأُجبر على الإقامة الجبرية في قصر البخاري⁶، وقد سمحت له الفرصة بالالتقاء مع "فرحات عباس" في سطيف أثناء نقله إلى مقر إقامته فاقترح عليه إضافة ملحق للبيان حتى يضمن له الاستقلالية، وتم تحريره يوم 26 ماي 1943 وهو عبارة عن مشروع للإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمسلمين⁷، ووجه مرة أخرى إلى الجنرال ديغول الذي حاول إقامة إجابة على هذا البيان وملحقه والتي جاءت في مشروع 7 مارس 1944⁸.

بالرغم من تلك الدعاية الضخمة للحلفاء إلا أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الجزائر ومن شمال إفريقيا كان واضحاً من البداية وقبل الإنزال بشهور حيث سعت إلى احترام السيادة الفرنسية بالمنطقة وتعزيز تواجداتها وهيمنتها، وقد تجسّد ذلك بشكل واضح وصريح في تصريح الرئيس الأمريكي "فرانكلين

1 فرحات عباس، ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 170.

2 سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، مرجع سابق، ص 206.

3 Farhet Abbas: l'Algérie devant le conflit mondial: le manifeste du peuple algérien, imp. Officielle, Alger, 1946, p 3 – 17.

4 وليام ب كواندت، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954. 1958، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981، ص 56.

5 عامر رخيعة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم...، مرجع سابق، ص 45.

6 محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، الجزائر، مطبعة حلب، 1990، ص 72.

7 بين يامين سطورا، مصالي الحاج 1898. 1947، تر: عامري صادق؛ ماضي مصطفى، الجزائر، دار القصة للنشر، 2007، ص 186.

8 محمد الطيب العلوي، مرجع سابق، ص 209.

روزفلت" الذي قال بأن هدف بلاده من الإنزال بالجزائر هو منع دول المحور من احتلالها والحفاظ على الوجود الفرنسي فيها¹، كما تجسّد هذا الموقف أيضا بشكل جلي في رد الحلفاء من بيان فيفري الذي صاغه فرحات عباس حين أكدوا على عدم رغبتهم بالمساس بالسيادة الفرنسية معتبرين أن ما يحدث في الجزائر إنما هو مشكل فرنسي داخلي، وهكذا أكدوا موقفهم السلبي من القضية الجزائرية وتناقض سياساتهم الميدانية مع المبادئ التي يتغنّون بها في كل مناسبة.

كما وقّع الجنرال الأمريكي "كلارك" "Clark" والأميرال الفرنسي "دارلان" "Darlan" في 12 نوفمبر 1942 على اتفاق جدّدوا فيه احترام السيادة الفرنسية على منطقة شمال إفريقيا كاملة، وأنه من حق السلطات الفرنسية اتخاذ الإجراءات الضرورية للدفاع عن نفسها في حالة الخطر، ويكون ذلك بمساعدة أمريكية من خلال التنسيق مع القائد العام للجيش الأمريكي²، وهذا ما جعل ردود فعل الجزائريين تجاه هذا الإنزال متباينة فمنهم من تحمّس لذلك واعتبرها فرصة للتخلّص من الاستعمار وتحقيق مبادئ الميثاق الأطلسي³، ومنهم من تأكّد يقينا بأن حديث الحلفاء عن الحرية والمساواة ما هو إلا مجرد آراء وتصريحات هدفها كسب ود الأهالي إلى صفهم حتى يستفيدون من خدماتهم في الحرب فهم يخدمون مصالح دولهم دون مصالح تلك الشعوب.

*محاولة استغلال فرصة التواجد الأمريكي وضعف الموقف الفرنسي:

أثّرت سياسة العنف والقوة التي انتهجها الجنرال "كاترو"⁴ على الوضع العام في الجزائر، حيث تفاقم تشتّت شمل النواب المسلمين الجزائريين بصدور مرسوم 7 مارس 1944⁵ الذي تمخّض عن الخطاب الذي ألقاه الجنرال ديغول في قسنطينة يوم 12 سبتمبر 1943⁶ باسم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، وقد أعلن فيه عن عزمه القيام بإصلاحات شاملة تتمثل في منح الجنسية الفرنسية لعدة آلاف من الجزائريين (حوالي 150 ألف مسلم) مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وزيادة نسبة عدد النواب الجزائريين في المجالس النيابية⁷، وبفتح باب الوظائف العامة أمام المسلمين وإلغاء القوانين الاستثنائية⁸، وبعد هذا

1 سعد الله، الحركة الوطنية ...، ج3، مرجع سابق، ص196.

2 نفسه، ص199.

3 نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص 122.

4 كاترو: (1877 . 1969) هو جنرال فرنسي ديبلوماسي عين واليا على الجزائر بدلا من " بيرتون " ومندوب الدولة للشؤون الإسلامية 3 جوان 1944 ، قضر جانبا وافر من حياته العامة بإفريقيا الشمالية وبالشرق الأدنى = شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنسي سليم الطيب المهري وآخرون، مرا: فريدة السوداني، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1946، ص324.

5 Jean Charles Jauffret, la guerre d'Algérie par les documents, L'avertissement 1943-1946, Tome 1, préface du général Robert Bassac – Vincennes, Service historique de l'armée de terre, 1990, p 527.

6 Farhet Abbas, la nuit coloniale, op .cit, p149.

7 Annie Rey Goldzeiguer, aux origines de la guerre d'Algérie 1940 – 1945, édition Casbah, Alger, 2003, p196.

8 ناهد دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين 1918 . 1939، د ط، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2001، ص232.

الخطاب كلّفت لجنة فرنسا الحرة محافظ الدولة بتأسيس جمعية مختلطة لتحضير هذه الإصلاحات¹، تكوّنت من 16 عضواً منهم 04 موظفين سامين و06 أعضاء من الفرنسيين المحتلين و06 من الجزائريين المسلمين.²

بدأت هذه اللجنة اجتماعاتها في 21 ديسمبر 1943 إلى غاية 8 جويلية 1944³، وكان "فرحات عباس" يتمنى منها أن تلغي مفهوم الاحتلال وتقوم بإصلاحات كبيرة تعود بالفائدة على الجزائر وفرنسا والإنسانية جمعاء⁴، أما "البشير الإبراهيمي" فقد قدّم مقترحاته لهذه اللجنة وتمحورت حول المطالبة بالمواطنة الجزائرية ومساواة جميع سكان الجزائر في الحقوق والواجبات، إضافة إلى تغيير نظام الاحتلال بنظام حكومة جزائرية تكون مسؤولة أمام برلمان جزائري، في حين اقترح "مصالي الحاج" برلمان جزائري منتخب بطريقة ديمقراطية على قدم المساواة مع الأوروبيين واليهود ويعمل كل حسب كفاءته من أجل جزائر حرة وسعيدة⁵، وبعد أخذ وعطاء من مختلف الجبهات السياسية في الجزائر نتج عنها إصدار "أمرية 7 مارس 1944"⁶، باسم لجنة فرنسا الحرة الحاكمة من مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة لفرنسا الجديدة قبل تحرير باريس من الاحتلال النازي.

جاء مضمون هذه الأمرية مخيباً لآمال الجزائريين حين اعتبر الجزائر جزءاً من فرنسا⁷، لهذا قوبل بالرفض من قبل الزعماء الوطنيين فقد رفضه المنتخبون بقيادة فرحات عباس وجمعية العلماء برئاسة محمد البشير الإبراهيمي، وكذا ح.ش.ج بقيادة مصالي الحاج⁸، كما رفضه أيضاً عامة الشعب الجزائري⁹، لأنه لم يأتي بأي جديد بل كان له بالغ الأثر على تفاقم تدهور الأوضاع في الجزائر، وفي الوقت الذي رفضت فيه جميع اتجاهات الحركة الوطنية هذه الأمرية، رحب بها وساندها المسلمون المعتدلين¹⁰، والحزب الشيوعي الجزائري لكن وبحكم تأثيره الضعيف على الرأي العام في الجزائر¹¹ فإن موقفه هذا لم يغيّر شيئاً في الواقع، وعليه وجد الجزائريون أنفسهم مضطّرين إلى تشكيل جبهة سياسية قوية تدّعم المطالب التي قدّمها البيان.

1Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme Algérien 1919 – 1951, T2, 2^{ème}, édition S.N.E.D, Alger, 1981, p652.

2André Noushi, la naissance du nationalisme Algérien 1914 – 1954, édition de minuit, Paris, 1962, p138.

3Ibid, p138.

4Claude Collot , Jean robert Henry ,le mouvement national Algérien textes 1912- 1954, édition L'harmattan, Paris, 1978, p177.

5Claude Collot , Jean robert Henry ,le mouvement national Algérien textes..., op, cit, p p 179 -184.

6André Noushi, op.cit, p138.

7Ibid, p p138- 139.

8 Benjamin Stora, Zakya Daoud ,Ferhat Abbas une autre Algérie, édition Casbah, Alger, 1995, p128.

9 فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها. ليل الاستعمار، تق: أبو بكر رحال، د ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روية، الجزائر، 2010، ص159.

10 عبد الوهاب بن خليف، الوجيز في تاريخ الجزائر، تق: سليم قلاله، ط1، دار بني مزغنة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 120.

11أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر (من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة)، د. ط، تر: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، دار الحقيقة للنشر، حيدرة، الجزائر، ص204.

إن هذا المشروع كان عبارة عن ملخص لمشروع بلوم فيوليت الإدماجي، والذي قد تكبر به ديغول على حوالي 50 إلى 40 ألف من المسلمين الجزائريين بإخراجهم من الجنسية الجزائرية الإسلامية وإدماجهم في الجنسية الفرنسية مع إعطائهم حقوق التمتع بحقوق المواطن الفرنسي، لكن الجزائريين رفضوا تلك المشاريع والإصلاحية التمهيدية وتجسد ذلك في إنشاءهم لمنظمة "تجمع أحباب البيان والحرية" في سطيف بمبادرة من فرحات عباس¹، من أجل الدفاع عن البيان الجزائري ونشر الأفكار الجديدة التي هي روح الحركة، استنكار العنصرية، والعمل على إقناع الجماهير بمشروعية كفاحها بخلق تيار مؤازر للبيان والترويج لفكرة إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة.²

ذكر "بوداود" في هذا الصدد قوله: "إن ميلاد حركة رسمية معترف بها تضم قدماء مسؤولي الأحزاب السياسية، من فدرالية المنتخبين وجمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري بعد النزول لأنجلو. أمريكي بوقت قليل لم يكن من قبيل الصدف، خاصة وأن مطامحها كانت في حدود الاعتراف بالذاتية السياسية ونشاطاتها كانت تتم في وضوح النهار على مرأى ومسمع الإدارة الفرنسية، وقد حازت على ما يبدو حتى على رضا الأمريكيين، كما انها عرفت في فترة وجيزة اتساعا كبيرا ليس في منطقتنا فحسب بل في جميع أنحاء الجزائر... وقد ترددت السلطات الفرنسية في قمعها نظرا لتواجد الحلفاء الأنجلو . أمريكيان كشهود مخرجين".³

وأشار إلى أن ما حدث في منطقة القبائل وهو نفس ما كان يحدث في بقية المناطق الوطنية فيقول: "تعتبر تجربة حركة أحباب البيان والحرية بالنسبة لنا أول فرصة للقيام بعمل سياسي ذي أبعاد قانونية واسعة شملت جميع التراب الوطني، ذلك أن تواجدها قد فتح عهدا من الاجتماعات المكثفة ونشر الجرائد وإقامة اتصالات كثيرة، حيث كنا نستغل مختلف المناسبات كالحفلات والأعراس من أجل تطوير نشاطنا، وكان الجو ملائم للتوعية السياسية وللتجنيد والتنظيم..."⁴

2. تأثيره بمجازر 08 ماي 1945:

بادر "ح.ش.ج" يوم الفاتح ماي سنة 1945 بتنظيم مظاهرات عبر التراب الوطني بمناسبة اليوم العالمي للعمل، ومن المعروف أن هذا الحزب قد احتفظ بتنظيمه السري رغم تواجده ضمن أحباب البيان والحرية، وقد كانت هذه المظاهرات متميزة فقد أعد لها حزب الشعب الجزائري العلم الوطني وحضروا الشعارات التي يرفعها المتظاهرون ومن بينها "استقلال الجزائر"، "نهاية الاستعمار"، "تحرير مصالي"⁵، ويرى

1 محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 46.

2 فرحات عباس، ليل الاستعمار...، مصدر سابق، ص 182، 181.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 28 . 29.

4 نفسه، ص 30 . 31.

5 أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر، 1945-1914، الجزائر، دار المعرفة، 2007، ص 237.

بعض المؤرخين أن الهدف من هذه المظاهرة كان الضغط على الفرنسيين من خلال إظهار قوة الحركة الوطنية ووعي الشعب الجزائري بمطالبه، غير أن المظاهرة التي حدثت يوم الاحتفال صادف الإعداد لها نوع من الفوضى نتج عنها تأخر الحلفاء في تحديد اليوم الذي سيقع فيه الاحتفال¹، وكانت كل الشعارات التي رُفعت تدل على النضج السياسي والوعي المتزايد لدى الجماهير الشعبية والمناضلين، وثانيا عبّرت عن آمال معظم زعماء الأحزاب في هذا الظرف العصيب ومطالب الحركة الوطنية².

خرج الشعب الجزائري صبيحة 8 ماي 1945 في كل من "سطيف" و"قلمة" و"خرطة" في مظاهرات سلمية بمناسبة انتهاء الحرب الكونية الثانية هاتفا بحياة الجزائر المستقلة وحاملا للراية الوطنية، في اليوم نفسه كان العالم الغربي أيضا يحتفل بعقد الهدنة مع ألمانيا فأراد الجزائريون أن يشاركوا في هذا الاحتفال وأن يرفعوا رايتهم عاليا وأن يُعبّروا عن أهدافهم التي تتمثل في حقهم في الحرية والاستقلال، هذا الحق الذي قاتلوا من أجله في صفوف الحلفاء بشجاعة وإقدام، وتعبيرا عن هذه الإرادة حملوا رايتهم صبيحة هذا اليوم في هذه المدن الثلاث وغيرها من المدن³.

وهذا ما لم تتحمّله الجماعات المسلحة من المستوطنين وسلاحي الطيران والبحرية الفرنسية التي ارتكبت أعمال إجرامية حين عمدت إلى تفريق المتظاهرين بالنار، فكانت الإبادة الجماعية دون هوادة والقمع على أوسع نطاق دون تفرقة بين الرجال والنساء والأطفال والشيخوخ، وسقط عدد كبير من المتظاهرين ضحايا برصاص الجيش الفرنسي، بينما جرح الكثيرون.

وصف "بوداود" ما وقع طيلة شهر ماي 1945 بقوله: "وقع الانفجار يوم 08 ماي في سطيف، تظاهر الجزائريون احتفاء بانتهاء الحرب العالمية وكانت الفرصة مواتية لهم لرفع العلم الجزائري، ومناسبة للمستوطنين وقوات الشرطة والجيش الفرنسي للقيام بأول قمع دموي سيشمل السكان المدنيين الذين تعرّضوا طوال شهر كامل لعملية تنكيل ساهمت فيها قوات الطيران والبحرية الفرنسية التي ستقصف القرى والمشتات البائسة في عمق البلاد بإفراغ وابل من النيران بحرا وجوا... تم تسجيل عشرات الآلاف من القتلى، فبينما أعلنت السلطات الفرنسية رسميا عن عشرة آلاف أحصى حزب الشعب الجزائري من جهته خمسة وأربعين ألفا".⁴

لقد كانت المذابح التي حدثت في الثامن ماي 1945 من الناحية السياسية منعرجا حاسما في مسار الحركة الوطنية الحديثة وكانت بحق تعبيرا صادقا عن عمق الإحساس الوطني وما يحمله من تطلعات لبعث جزائر حرة ذات سيادة وبداية حتمية لتحويل مسار الكفاح السياسي من مطالب سياسية إلى البحث

1 أحميدة عمراوي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، الجزائر، دار الهدى، 2004، ص 148.

2 إسماعيل سامعي، مرجع سابق، ص 70.

3 أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1995، ص 213.

4 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 33. 34.

عن خطة ثورة عسكرية وانتهاج أسلوب مقاومة مسلحة كفيلة لوضع حد للوضع الاستعماري¹، فهذه الأحداث التي قادها ح.ش.ج بشكل خاص وجمعية العلماء الجزائريين والجمعيات والهيئات الوطنية بشكل عام قد مهّدت لتهيئة أرضية مناسبة لتفجير الثورة المسلحة حين عدّلت الكثير من المفاهيم والاتجاهات، فكانت حقا نواة لتعبئة ثورية ونقطة تغيير بالنسبة للحركة الوطنية²، وكذا لدى الشعب الذي قرّر الرد الميداني على العطرسة الاستعمارية.

كان "بوداود" من المناضلين الذين أثّرت فيهم هذه المجازر وعدّلت لديهم العديد من القناعات والمفاهيم خاصة وهو أحد أعضاء ح.ش.ج العدو الأول للإدارة الفرنسية التي فهمت مسؤولية هذا الحزب على تلك المظاهرات لهذا قامت بعمليات تمشيط واسعة بهدف ملاحقة المناضلين، وكان "بوداود" أحد الذين أُلقت عليهم القبض يوم 31 ماي 1945 إثر الاكتساح الذي قامت به القوات الأمنية القادمة من تيزي وزو لقرية "تاورغة" في الصباح الباكر، وتمّ اقتياده إلى ثكنة الدرك الوطني بتيزي وزو لمدة أسبوع ثم وضع رهن الحبس بتهمة المشتبه فيهم حيث لا توجد أية أدلة لدى الشرطة تثبت عضويته في حزب الشعب السري، ثم قرر الوالي العام للجزائر "بيغلييه" "Périllieré" بتحويله إلى الإقامة الجبرية في محتشد "Bousset" وهناك تعرّض للتعذيب والاستنطاق، بعد افتكاك الشرطة لاعترافات من "حسبلاوي" الناشط في ح.ش.ج الذي كان في السجن والذي اعترف نتيجة التعذيب المتواصل عليه بعلاقته بـ "بوداود" وبالتالي علاقة هذا الأخير بالحزب.³

هكذا بدأت معاناته مع الشرطة الفرنسية التي لن ترحمه بعد حصولها على الإثبات الكافي بالنسبة لها على ضلوعه في أكبر حزب معادي للمصالح الفرنسية بالجزائر، وسيكتشف هو بدوره حقيقة الإدعاءات الاستعمارية بحمل رسالتها الحضارية إلى الجزائريين وأن ما كانت تلقّنه لأبنائهم في المدارس لم يكن سوى خدمة لمصالحها فقط، أما هؤلاء فما عليهم سوى خدمتها وإلا دفعوا حياتهم وحياة ذويهم ثمنا، يذكر في هذا الصدد قائلا: "تم إخضاعنا للتعذيب.. كنتُ أُحول كل صباح من الولاية إلى فيلا العصفير كي أخضع فيها للاستنطاق وفي المساء يُعاد بي إلى سراديب الولاية، اكتشفت هنا غلظة الشرطة الفرنسية واستخفافها الساخر وكلامها البذيء وشماتها القذرة... اكتشفتُ باختصار تمييزها العرقي، كنت وقتها أستوقف نفسي بجد لأتبيّن أين تبدأ وأين تنتهي الرسالة الحضارية الفرنسية".⁴

تفنّنت الإدارة الفرنسية في تعذيب المساجين وتنوّعت أساليب العقاب من الشتم والتهديد إلى الحرمان من النظّة ومنع الزيارات والبريد، ومن سكب الماء البارد على السجين، إلى الضرب المبرح باستخدام

1 نصر الجدين سعيدوني، "ذكرى وتضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير"، مجلة الذاكرة، العدد 2، الجزائر، 1995، ص 10.

2 محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي، موفم للنشر، 1994، ص 15.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 39. 41.

4 نفسه، ص 41.

الآلات الخطيرة والحادة، وقد يتلقى السجين كل هذه الألوان العقابية، ثم ينتهي به المطاف بالإعدام خاصة باستعمال المقصلة، بل وهناك منهم من أصيب بالجنون بسبب قسوة ما تعرضوا له من تنكيل، ذلك أن الاستعمار الفرنسي قد أرسى دعائم وجوده في الجزائر على أبشع الركائز، كونه احتلال شمولي تتجاوز آفاقه السيطرة على الأرض والإنسان معا وتشمل سياسته جميع المجالات والميادين.

كان الجلادون الفرنسيون لا يدخرون أي تصور في ابتكار أساليب التعذيب خاصة أنهم يشعرون بأن المسؤولين والعدالة يوفرون لهم الحماية اللازمة لتغطية جرائمهم¹، فيجبر الشخص تحت التعذيب على توقيع المستندات التي تُدينه ثم تُرسل كأدلة دامغة على التُّهم الموجهة إليه إلى قاضي التحقيق الذي يصدر أمرا بالوقوف عندها يُنقل المتهم إلى تنفيذ الحكم النهائي في حقه.

شمل التعذيب الجسدي أيضا أنواعا كثيرة كالتعذيب بالنار والكهرباء والماء، حيث يتم غطس المعتقلين في المياه العفنة ومياه الصابون ثم يُرغمون على شربها²، كما كانت تدق المسامير في أجساد المعذبين وتسليخ جلودهم ويوضع فيها الملح وتخلع الأظافر والأسنان والأذان والأعضاء التناسلية وتحرق الجفون بالسجائر وفقى العيون³، كما ذكر المجاهد "سواسي الصغير"⁴ أنه خلال فترة تواجده بالسجن حضر أكثر من 20 عملية إعدام بالمقصلة في حق المساجين الجزائريين سنة 1957، بعد تحويلهم إلى السجن العسكري، بينما حُكم عليه هو بالإعدام ثم بالمؤبد مع الأعمال الشاقة ولم يطلق سراحه إلا في 25 جوان 1962 بعد وقف إطلاق النار.⁵

تعرض "بوداود" لشتى أنواع التعذيب سواء عندما كان في سجن تيزي وزو أو لما نُقل إلى سجن بربروس بالجزائر حيث كانت حياتهم عبارة عن آلام البرد والظلام والجوع المبرح، ما أجبرهم على شن إضراب مفتوح عن الطعام للحصول على بعض الحقوق منها الإقامة معا في قاعة خاصة دون تفريقهم عن بعض وتقديم طعام خاص مع الحق في استلامهم القفف اليومية أو الأسبوعية التي تُرسل إليهم من ذويهم، وقد انتصرت قضيتهم بعد أسبوع من الإضراب، وهناك تعرّف "بوداود" على أحد أهم مناضلي الحزب وهم "سعد دحلب"، و"حسن الحسني" المعروف ببوقرة وغيرهم ممن استفاد منهم كثيرا في فهم وتحليل الأوضاع السياسية السائدة آنذاك، والتعرّف أكثر على حقيقة الحزب، ويذكر في هذا السياق: "لم يدم مقامي في السجن طويلا غير أنه سمح لي بالتعرف على حقيقة حزينا، لقد سمح لنا ذلك التعايش المفروض والأخوة

1Said Benabdellah, la justice du LFN,op, cit,p 22

2يحي بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة أول نوفمبر 1954. 19 مارس 1962، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 198

3عمار قليل، ملحمة الجزائر، ج 3، الدار العثمانية، الجزائر، 2013، ص 45

4 سواسي الصغير، من مواليد سنة 1935 بولاية سطيف، كان شاهدا على مجازر الثامن ماي 1945 وكان عمره عشر سنوات، التحق بصفوف الثورة منذ بدايتها واختص في التموين العسكري على الحدود الشرقية مع تونس، كما كان طالبا في الاتحاد الطلابي وهو رئيس جمعية المحكوم عليهم بالإعدام، تعرض للاعتقال لمدة ستة سنوات ذاق فيها كل ألوان العذاب والتنكيل بمعتقلات كثيرة منها معتقل قصر الطير بسطيف، وسجن باتنة وغيرها، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30. 10.30، 18 ماي 2024.

5 سواسي الصغير، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30. 10.30، 18 ماي 2024.

التي جمعت بين رجال جاؤوا من مختلف مناطق البلاد من أن نفهم البعد الوطني الحقيقي لحزب الشعب الجزائري، وتسبب العلاقات المعقودة في تلك الظروف في تعزيز روابطنا، مما كان له أفضل الآثار فيما بعد، فقد صرنا على معرفة جيدة بالإخوة المناضلين في الحزب في جميع أنحاء الوطن، وتجاوزنا حدود الجهوية الضيقة".¹

يبدو أن السجون لم تكن نقطة انتهاء النضال بالنسبة للجزائريين بل كانت تشكل مرحلة من مراحل مواصلة الكفاح والرفض للاحتلال والغطرسة الكولونيالية بمختلف الوسائل والسبل، بل وبرهنت رغم قسوة الظروف فيها وتعدد أساليب التعذيب المُنتهجة بها على قوة الإصرار والعزيمة لدى الجزائريين الذين لا تُثنيهم قيود على مواصلة الكفاح حتى تحقيق الأهداف، ولأن الأزمة تلد الهمة فقد حوّل المساجين الجزائريين تلك السجون والمعتقلات التي كانوا يقبعون فيها إلى أماكن لتحقيق المزيد من الانتصارات لصالح القضية الوطنية من خلال إتباعهم لعدة طرق وأساليب لإعادة هيكلة أنفسهم داخلها والدفاع عن حقوقهم وكرامتهم.

ظنّت فرنسا أنه بمجرد فصل المعتقلين عن أهلهم ومناطق إقامتهم وتنظيماتهم السياسية وعن المجتمع عامة ستؤثر عليهم بسياسياتها الجهنمية، وستجعلهم يستسلمون ويستكينون للهموم والأحزان حيث سيصبح همهم الأكبر والوحيد هو الخروج من تلك الأوضاع والتخلص من السجن، غير أنها كانت مخطئة تماما في تصوراتها ذلك أن قناعات هؤلاء المساجين كانت أكبر وصلابتهم كانت أقوى، وقدرتهم على التحمل والصبر كانت أعظم من أن يفشلوا أو يستسلموا مهما كانت التحديات والصعاب حتى أنهم كانوا مهياين نفسيا لتلقي أشد أنواع التعذيب حتى قبل دخولهم إلى السجن، إضافة إلى أنهم حفظوا عقلية المحتل الذي يثبت لهم في كل مرة أنهم لا يستحقون الحياة وأن مصيرهم الموت حتى وإن قدموا معلومات أو خدمات تفيدهم، لهذا فإنهم كانوا يستمتتون في الدفاع عن مبادئهم وبلادهم ويعملون دوما على تنسيق جهودهم في مقاومة الاستعمار ما جعل تلك السجون تتحول إلى معقل جديدة للنضال.

بفضل التضامن والتآزر بين السجناء والمعتقلين وتقديم المساعدات لبعضهم البعض تمكّنوا من تحمل مشاققة السجون وقسوة الظروف فيها وآلام الغربة والبعد عن الأهل، ورغم كل المعاناة نجحوا في التغلب على عزلهم اجتماعيا وتحطيمهم نفسيا، وهذا ما يؤكده "بوداود" بقوله: "الواقع هو أن السجن كان مدرسة عظيمة للوطنية ساعدت على تمتين قناعاتنا، عندما انخرطت في الحركة من أحبابي في منطقة القبائل كنا نتقد بأننا كنا نحن الثوريين الكبار في هذا البلد، وبقدورنا تحقيق الاستقلال بمفردنا، كنّا في السجن أشعر بالتواضع بحضرة كبارنا، لقد انبهرت لصلابة عودهم وثبات أمرهم أمام المحن، كنا نستشف فيهم خبرة كبيرة تراكمت لمن عرفوا السجن قبلنا وترضوا للتعذيب قبلنا، كانت مدرسة كبيرة للنضال الحقيقي، لقد تعلمنا كيف نتقاسم نفس النظرة التي يتبناها حزب الشعب الجزائري والثبات على هدفه المتمثل في

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 42 . 46.

الكفاح من أجل تحقيق استقلال الجزائر...¹، كما أكدت هذه الحقيقة في مذكراتها المناضلة "لوزيات غيلاحرز" "Louisette Ghilahriz" التي أمضت فترة طويلة من حياتها في مختلف السجون، وقد أشارت أن هذه الأخيرة كانت مجالا واسعا للتعليم والاستفادة من مختلف التجارب والخبرات التي كان يملكها مختلف المساجين رجالا كانوا أم نساء.²

لقد أتاحت السجون والمعتقلات فرصة تعرّف الجزائري بأخيه رغم تباعد الأقاليم والجهات، ورغم أن إدارة المعتقلات كانت لا تسمح بأي نشاط ثقافي داخل المعتقلات، وتمنع المعتقلين من حيازة أي شيء له علاقة بالقراءة والكتابة والتعليم وحتى قصاصات الجرائد الممزقة لا تسمح بالتقاطها ولا بالنظر فيها، فإن المعتقلين يحاولون جاهدين تلقين بعضهم المبادئ الوطنية وحث أنفسهم على الثبات والمقاومة وحفظ الأناشيد الوطنية مستعينين في ذلك بالكتابة على الجدران وبمصباح علبة الشّمة أثناء الليل في المراقد، وهذا ما قوى أملهم في الحياة وخفف عنهم بعض المعاناة ومكنهم من إفشال جميع المحاولات للنيل من شخصيتهم وتحطيم معنوياتهم وزعزعة ثقتهم بأنفسهم³، وقد استمرت شعلة المقاومة متقدة في نفوس المساجين الجزائريين حتى المهاجرين منهم بفرنسا وهذا ما وضحه "بوداود" بقوله: "من المفيد بالمناسبة أن نبرز مدى الخطأ الكبير الذي تقع فيه السلطة الاستعمارية حين تقوم بالزج بالآلاف المناضلين في السجون، لأنهم ببساطة يخرجون منها بمعنويات أكبر بأضعاف مضاعفة".⁴

شكّلت السجون على اختلافها ميدانا خصبا ومجالا حيويا للإبداع، رغم الصعوبات المختلفة كغياب وسائل الكتابة والقراءة وغيرها⁵، فقد كانت تحوي أشخاصا ذوي طباع وذهنيات مختلفة بحكم اختلاف مناطق وفودهم بين المدينة والريف، وبحكم اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والأهم من ذلك بحكم اختلاف أسباب دخولهم إلى السجن فمنهم المنحرف ومنهم المجاهد في سبيل القضية الوطنية، لذلك حدث تفاعل كبير بين كل هؤلاء المساجين الذين جمعتهم الظروف للعيش في سجون واحدة لشهور وسنوات، لقد ضمت تلك السجون مختلف الأعراق والطبقات والتوجهات ورغم اختلاف المساجين حول أسلوب الكفاح المناسب للتحرر، إلا أن النضال في سبيل استقلال الجزائر كان العامل الأساسي للوحدة بينهم خاصة السياسيين منهم.

تحدّ الجزائريون قسوة الظروف في السجون والمعتقلات وحولوها إلى مدارس تخرجوا منها بتكوين سياسي وثقافي وعلمي، وصمدوا في وجه كل السياسات القمعية الفرنسية، وظلّوا ملتقيين حول القضية الوطنية ومضّرين على تحقيق هدفهم في الاستقلال والحرية، وقد شكّل توافد المساجين على اختلاف أعمارهم

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 46.

²Louisette Ghilahriz, Algérienne récit recueilli par Anne Nivat, Casbah édition, Alger, 2006, p127.

³محمد الطاهر عزوي، مرجع سابق، ص 73، 74.

⁴عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 122.

5Guerroudj,op,cit,p79

ومناطق نفوذهم من مختلف المناطق الجزائرية وجها آخر من أوجه توسيع وتعميق الوعي الوطني داخل السجون، وتحولت هذه الأخيرة من مؤسسة قمعية مقيدة للحريات إلى فضاء من فضاءات النضال التحرري، فكانت بالنسبة لفرنسا نهاية النضال، وبالنسبة للجزائريين بدايته ومرتكز الكفاح ومقرا لتعزيز الوطنية والنضال.

المطلب الثالث: خروجه من السجن وعودته إلى العمل السياسي 1946 . 1950

1. الإفراج عنه واستئنافه للنشاط السياسي:

استفاد بوداود من قرار العفو العام الصادر في 16 مارس 1946 والذي تقرر فيه الإفراج عن جميع السجناء السياسيين الذين تم اعتقالهم في ماي 1945، وكان ذلك بعد أن أمضى سنة كاملة في السجن تعلم فيها الكثير، وقد ذكر في هذا الصدد: "لقد ساهم السجن في نهاية المطاف في تعزيز مصداقيتنا لدى الشعب، بعد العفو الشامل تم نقلنا إلى قرانا على متن شاحنات عسكرية لم نعد بصفة المهزومين لكن كان رأسنا عاليا لم يزد ذلك حركتنا سوى تقديرا واعتبارا واحتراما".¹

عاد "بوداود" فور إطلاق سراحه إلى نشاطاته السياسية وحل على رأس ناحية "دلس" وقام بتعويض "محمد زروالي" الذي لم يشملته قانون العفو الشامل كونه استثنى المساجين المتورطين في القضايا الأكثر تعقيدا والمشاركين في العمل الفدائي ضد الباشاغا "آيت علي"، وتم إعادة هيكلة حزب الشعب في منطقة القبائل حيث تم تقسيمها إلى منطقتين سميت الأولى بـ "القبائل العليا" التي كانت تحت إشراف لجنة يقودها "بناي وعلي" بمساعدة "آيت أحمد"، "ولد حمودة"، "عمر أوصديق"، و"آيت مدري"، أما المنطقة الثانية فسميت بـ "القبائل السفلى" وكانت تحت مسؤولية "بنلونيس" بمساعدة "كريم بلقاسم"، "موح ولحاج"، "أحمد أكزون"، "هاشمي حمود" عن "برج منايل"، و"بوداود" عن دلس.²

عادت الساحة السياسية في الجزائر لتشهد حركية لافتة بعد توقف طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية التي مُنعت خلالها النخبة السياسية من النشاط بعد تطبيق حالة الطوارئ والإجراءات الاستثنائية³، وتم بذلك إعادة بناء الحركة الوطنية مباشرة بعد دخول قانون العفو العام حيّز التنفيذ والإفراج عن قادة الأحزاب السياسية في الجزائر بما فيهم "مصالي الحاج"، في إطار سعي السلطات الفرنسية لامتنعاص غضب الجزائريين من جهة، وحفظ ماء وجهها بعد جرائم 08 ماي من جهة أخرى، والحيولة دون استمرار تفاقم الوضع العام في الجزائر والخروج بذلك من حالة الانسداد التي آلت إليها العلاقات بينها وبين تيارات الحركة الوطنية التي ازداد تبلور أفكارها التحررية من جهة أخرى خصوصا التيار الاستقلالي الذي لطالما ظلّت مساعيه قائمة حتى في فترة الحرب لنشر وتعميم الوعي الجماعي على المستوى الشعبي والسياسي.

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 46.

2 نفسه، ص 47.

3 شكران جيلالي، "الصراع داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين الإصلاحية والثورية 1946 . 1950"، المفكر، ع 06، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2019، ص 169.

بدأ البحث عن بدائل جديدة لمواجهة الاحتلال الفرنسي لاسيما بعد اقتناع العديد من المناضلين بعقم النضال السياسي الذي أكدته مجازر الثامن ماي وبرهن عليه تفكك تجمع أحباب البيان والحرية، غير أن "مصالي" رأى أن التخلي عن العمل السياسي والانتقال إلى الكفاح المسلح لم يحن وقته بعد، وأنه لا بد من مساهمة السياسة الاستعمارية بمواصلة العمل داخل الأطر الشرعية ودعا على إثرها إلى المشاركة في الانتخابات المجلس الجزائري سنة 1947، وتقدم حزب الشعب الذي كان محظورا بقوائم انتخابية باسم جديد هو "MTLD" التي رسمت لنفسها هدفا تمثل في العمل بكيفية قانونية ومشروعة باسم حزب الشعب الذي كان يعمل في السر.

تولى "بوداود" الإشراف على عملية الانتخاب باسم ح.ش.ج في منطقة دلس التي كان مسؤولا عنها، وقد حسمت النتائج لصالح الحزب عبر مرشحه في المنطقة "مزغنة" الذي فاز بعدد كبير من الأصوات متقدما بكثير عن منافسه المدعوم من الإدارة الفرنسية "بن تونس"، لتثبت هذه الحصيلة الانتصار الواسع للحزب لأن أغلبية الشعب كانت متضامنة مع الوطنيين¹، وأكدوا ذلك أيضا بعد مدة قصيرة إثر الانتخابات البلدية التي أُقيمت في السنة نفسها والتي جاءت نتائجها لصالح حركة انتصار الحريات الديمقراطية حيث أسفرت عن فوز ساحق للقوائم الانتخابية التي اقترحتها الحركة.²

تم انتخاب "بوداود" بصفته مرشحا لانتخابات المجلس البلدي في "بغلية" عضوا ثم نائبا ثانيا لرئيس البلدية، وذكر في هذا الصدد: "فور انتخابي نائبا لرئيس البلدية قام هذا الأخير بإفهامنا أن هذه العهدة لن تكون فرصة للراحة، ولجأ إلى الكثير من الحيل لإرهاقنا والتخلص من مضايقة منتخبينا رغم أننا كنا نمثل الأقلية بموجب القانون الخاص بسير أمور البلدية، فقد كان المجلس البلدي مشكلا بثلاثين من الأوروبيين الذين يمثلون الفئة الأولى وثلاث من المسلمين يمثلون الفئة الثانية وبذلك كان الفرنسيون يفرضون إرادتهم حتما مما جعل دور نواب الفئة الثانية رغم أنهم يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان يقتصر على مجرد الحضور... ورغم تلك المظالم القانونية ومناورات القاضي الأول في البلدية فقد التزمنا بحضور كافة الجلسات مما أحبط مساعيه في إرغامنا على التخلي".³

في نفس السياق وأمام هذه الانتصارات الانتخابية المتوالية لح.إ.ح.د وضعت الإدارة الاستعمارية رجلا متغطرسا على رأس الولاية العامة وهو "مارسيل ناجيلان" "Marsile Nijlen" الذي أحدث جوا من التوتر والانقسام واتبع سياسة تعسفية في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حتى أصبح يعرف بزعم التزوير حيث فاقت شهرته في تغيير نتائج الانتخابات والفرز وقطع الطريق أمام مرشحي حركة الانتصار

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 54.

2 بن خدة، جذور أول نوفمبر...، مصدر سابق، ص 166 . 167.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 54 . 55.

والحيلولة دون وصولهم إلى المجالس المنتخبة¹، غير أنه لم ينجح لا في تحطيم الحركة ولا في إجبار مناضليها على الاستسلام، فخلفه "ليونار" "Liunaire" الذي استمر بدوره في تطبيق نفس السياسة لكن بخبرته الأمنية كونه خبير بوليسي أضاف عليها نوعا من الإغراء والمرونة.²

تواصلت المظالم الفرنسية في هذا المجال حيث تغير الوضع في الجزائر بعد إصدار قانون الجزائر الخاص "La statut de l'Algérie" في 20 سبتمبر 1947 بعد أن أصبحت قاعدة العمل تقوم على حرية اختيار الشعب لمن شاء في العمل الانتخابي وحرية السلطات الفرنسية في الوقت نفسه في إعطاء النتيجة المناسبة لها والتي تخدم أهدافها³، مع ارتكاب التجاوزات التي تتجسد في حملات الاعتقال والمحاكمات الجزرية وعدم احترام أوقات فتح وغلق مراكز الاقتراع، وتصل الأمور في بعض الحالات إلى غياب أوراق الانتخاب والتصويت مكان الغائبين والأموات ما جعلها انتخابات تفتقد إلى أدنى معايير النزاهة والمصادقية.⁴

رغم موقف الحركة الذي اتسم بالرفض القاطع لدستور الجزائر الخاص وللانتخابات التي غلب عليها طابع التزوير، إلا أنها آثرت الاستمرار في المشاركة بمختلف الانتخابات المعلنة بين كل حين وآخر ليس تناقضا مع مواقفها بل تأكيدا على مبادئها الاستقلالية رغم الظروف الصعبة والعراقيل المتعددة، وهذا ما وضّحه "مصالي الحاج" عندما كتب عن ترشح الحركة للانتخابات البلدية سنة 1947 حيث أكد أن مشاركتهم ليست للجلوس ببلدية الجزائر بل هدفها استغلال الفرصة لعرض آرائهم السياسية على الجمهور، وإعطاء مظهر لتلك الانتخابات يضعون به حدا للبقشيش وشراء الأصوات التقليدية.⁵

وخلال السنة نفسها وإلى جانب نشاطه في الحزب كان "بوداود" يواصل عنايته بالفلاحة وبمعصرته العائلية، وتمكّن بفضل استقرار أوضاعه من إنشاء تعاونية تضم مالكي حقول الزيتون في "تاورغة" رفقة ثمانية منخرطين، وقد لقيت نجاحا كبيرا في المنطقة، حيث لعبت دورا كبيرا في دعم الفلاحين والمزارعين والقائمين على هذا المجال في المنطقة لاسيما بعد مساعدتهم في تخليص سكانها من سيطرة المستوطنين على معاصر الزيتون العصرية وغطرستهم.⁶

1 مؤمن العمري، مرجع سابق، ص 86.

2 يحي بوعزيز، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص 75. 76.

3 بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر...، مرجع سابق، ص 315.

4 إبراهيم بلوزاع، نظرة على الجزائريين 1947 و1962، من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (الزهرة ، الأسبوع، الصباح نموذجًا)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2015، ص 24. 25.

5 الطيب العلوي، مرجع سابق، ص 267.

6 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 58.

لطالما تسبب هؤلاء المستوطنون في إضعاف أصحاب البلاد الشرعيين، وانتشار الفقر والبطالة وانهيار الحرف التقليدية، فتراجع الإنتاج الزراعي والصناعي وتقهقر النشاط التجاري، وتحول السكان من ملاك إلى عمال أجراء وخماسة عند المستوطنين في المزارع والأراضي التي كانت ملكا لهم في الأصل، بعد تجريدهم من كل ممتلكاتهم واستيلاء هؤلاء الوافدين الجدد عليها من دون وجه حق سوى لأن فرنسا هي الطرف المنتصر وهي من تفرض إرادتها ميدانيا، وأمام تشجيع الإدارة الاستعمارية ودعمها لحركة الاستيطان الأوروبي تفاقمت أوضاع الجزائريين وازدادت سوء في شتى المجالات بعد أن وجدوا أنفسهم ضحايا السياسة الاضطهادية الاستعمارية من جهة وتصرفات الكولون الجائرة من جهة أخرى.

خرج "بوداود" من السجن سنة 1951 وكانت فرحته مضاعفة حين وجد نفسه قد رُزق بمولود "مصطفى" أثناء تواجده في السجن، ثم حظي بميلاد ابنته "مليكة" بعد مدة قصيرة، وكانت عودته إلى قريته "تاورغة" عودة إلى نشاطه الأول كفلاح إلى جانب الاهتمام بأموره العائلية بعد تحطم المنظمة الخاصة وضعف الساحة السياسية في الجزائر خلال تلك الفترة، وقد ذكر في هذا الصدد: "واصلت اتصالي بالمناضلين في الحركة السياسية وبأعضاء المنظمة الخاصة لكن في نظري لم يعد هناك ما يمكن فعله في هذا المجال إذ تحطمت المنظمة التي بنيت عليها آمالي من أجل تفجير الثورة".¹

ظل "بوداود" في خضم ذلك منشغلا بالفلاحة مقسما وقته بين "تاورغة" والجزائر التي كانت عائلته تمتلك فيها مخبزة بشارع "Delta" بالقصبة، تم اتخاذها نقطة التقاء لبعض المناضلين المسؤولين في الحزب ممن وقع البحث عليهم، أمثال "كريم"، "أوعمران"، "عمار نايت الشيخ"، و"هاشمي حمود"، وظلت تلك المخبزة مكانا آمنا لهم أثناء إقامتهم بالعاصمة، في انتظار ما ستسفر عنه الأوضاع في منخفضات أحوال اليأس، كما ساءت أحواله العائلية والنفسية بعد أن طلق زوجته، ووجد نفسه وحيدا²، ما جعله يفكر في الهجرة خارج الوطن وقرر المغادرة إلى مصر مروراً بفرنسا³، وقد كانت القاهرة مركزا لاستقطاب قادة النضال الجزائريين منذ فترة الحركة الوطنية فقد استقبلت الأمير خالد من قبل، أعضاء الوفد الخارجي لـ"ج.ت.و"، ثم مصالي الحاج ومناضلي "ح.و.ج" لإعادة توحيد الصفوف، لتتحول إلى مقر للحكومة الجزائرية المؤقتة والمنظمة الخارجية للثورة التحريرية.⁴

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 73.

2 تزوج عمر بوداود مرة ثانية في جانفي 1958 تحت إشراف اللجنة الفدرالية لجبهة التحرير الوطني في فرنسا من شابة ألمانية تدعى "إنقيبوق" أو "لويزة ومارقوتون"، وهي تنتمي إلى الأوساط الاشتراكية وكانت قد أعلنت دعمها الكامل للثورة التحريرية حيث تميزت بعلو نظرتها للعدالة، وقدمت مساندة كبيرة لفدرالية الجبهة بفرنسا، وقد أثمر زواجهما عن ستة أولاد أربعة إناث هن يمينة، حليلة، صافية وليندة، وذكرين هما فريد وكريم= أنظر عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 130 . 131.

3 نفسه، ص ص 75 . 76.

4La rébellion a l'extérieure et l'aide extérieure a la rébellion, l'organisation extérieure du FLN reste au Caire, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 31°, semaine du 02 08 Mars 1959, pp22 - 23.

2. موقفه من الأزمة البربرية والمنظمة الخاصة

* موقفه من الأزمة البربرية

شهدت الجزائر سنوات 1949 و1950 انفجارا أطلق عليه اسم "أزمة الانتماء البربري" التي تورط فيها بشكل خاص مثقفون شباب من منطقة القبائل العليا تحت قيادة "بناي وعلي" و"ولد حمودة" الذي كان حينها مسؤول المنظمة الخاصة على كافة منطقة القبائل، وكان "بوداود" حينها مناضلا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأحد مسؤولي المنظمة الخاصة بالمنطقة ما جعل له اتصالات مع هؤلاء في مختلف المجالات التنظيمية، غير أنه لم يكن له أي إطلاع ذلك المخططات التقسيمية التي كان ضدها جملة وتفصيلا، وقد ذكر في هذا الصدد: "كانت لي مع "بناي" وولد حمودة" اتصالات في المجالات التنظيمية من دون أن أطلع على محتوى مشاريعهم الخاصة بالانتماء البربري ووقع بيننا خلاف بصدد تقسيم إقليمي يتعلق بمنطقتنا.. لقد أعدّ مسؤولو القبائل العليا مشروع وثيقة لم أطلع عليه سوى يعد مدة زمنية بالرغم من كوني عضوا في قيادة الحزب..."¹

تبنى هؤلاء البربريون كما سماهم أعدائهم مواقف جد متطرفة بدفاعهم عن الهوية البربرية وطالبوا بديمقراطية أكبر وبإدراج البعد البربري في المهام المنوطة بالجزائر المستقلة، وقد طرحت هذه المسألة في أجواء مكدرّة تسبّب في إثارة فوضى في الحزب كادت أن تعصف بالحركة الوطنية، وبوحدة الصف الوطني بعد تغذيتها للفروق العرقية وتنميتها الخلاف بين من جمعهم حزب واحد لعقود طويلة، وما زاد من خطورة الوضع هو ظهور التوجه الخارجي لهذه الأزمة والتخوف من وصول حيثياتها إلى مسامع السلطات الفرنسية التي لن تتوان في استغلال الفرصة لتعميق الخلاف أكثر بين الإخوة وتمزيق الوحدة الوطنية التي اتخذتها هدفا لا طالما سعت منذ احتلالها للجزائر لتحقيقه.

تفاقم الوضع أكثر بعد تعيين "رشيد علي يحي" كمسؤول لفدرالية فرنسا لحركة الانتصار والذي قام بدوره بتحرير وثيقة تتعلق بتنظيم الحزب في فرنسا، والشروع في إنشاء حركة شعبية بربرية تقضي برفض أي فكرة تعتبر أن الجزائر عربية إسلامية لأنها ليست كذلك²، وهو ما أدى باتخاذ الحركة لمنعرج خطير سواء في الجزائر أو في فرنسا لاسيما بعد إنشاء إذاعة باللهجة البربرية بفرنسا، وتوجّه هؤلاء البربريون إلى الدعاية لأفكارهم وقناعاتهم وسط الجالية الجزائرية بفرنسا من أجل كسب تأييدها، ما جعل الوضع يبدو وكأنهم يسعون إلى تأسيس حزب خاص بالشعب القبائلي ويهددون فعلا الوحدة والإيديولوجية الوطنية.

وقعت الوثيقة التي حررها "رشيد يحي" في يد "الحول حسين" خطأ بعد أن أخطأ حاملها في تسليمها لـ"ولد حمودة" كما طُلب منه، وقد أثبت مضمونها لكل من "الحول" و"خضر" وجود تطوير لعمل ثوري مواز، مما تسبّب في تفجير الأزمة واتهام واضعي هذه الوثيقة من طرف الحزب بكونهم يجنحون إلى

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 59.

2 شارل روبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة...، مصدر سابق، ص 143.

العمل الطائفي¹، وهو ما دفع بمسؤولي الحزب إلى إقصاء الزعماء الرئيسيين للحركة البربرية من الحزب نهائيا بشكل رسمي في اجتماع لهم بمدرسة راشد بمدينة الجزائر.²

لقد اتخذ "بوداود" موقفا صريحا من هذه الأزمة وهو الرفض القاطع لها وللمتسببين فيها رغم أنه كان من نفس منطقتهم "القبائل"، وهو ما أكدّه في مذكراته بقوله: "لازلت أتذكر مجريات لقاء جرى في شهر رمضان المعظم، بمدينة الجزائر مع أبرز المسؤولين في الحزب أمثال "الحاج شرشالي" ن "الحول حسين"، و "النجيب سعيدي" فسألني هذا الأخير إن كنتُ ذا نزعة بربرية... فشرحت له رأيي في الموضوع أنني لا أرغب في معرفة إن كانت الجزائر بربرية، عربية أم فرنسية لأن الذي يهمني بالدرجة الأولى هو أن أهوى الجزائر، أن أحمي الجزائر، وأن أموت من أجل الجزائر إذا اقتضى الأمر ذلك باختصار أن أكون جزائريا..."³

كما أكدّ موقفه أيضا عندما انتقل فيما بعد إلى فرنسا بقوله: "كانت الجزائر أرضا مسلمة يسكنها الجزائريون، بلد يتكون من عرب، قبائل، شاوية، بني ميزاب، طوارق، وغيرهم، كنا نحارب جميعا يدا واحدة من أجل هدف واحد هو استقلال هذه الجزائر الموحدة لنا جميعا، أقصد بذلك الجزائر الثرية بتنوعها الثقافي والاجتماعي، والشاملة لكل الفئات البشرية التي تكونها، كان التساؤل الذي يدور بيننا يتمحور حول البحث عن أنجع السبل والوسائل التي تمكن من تحرير شعبنا وجعله في مستوى القرن الذي يعيش فيه".⁴

* دوره في المنظمة الخاصة "L'OS":

تقرّر في مؤتمر 15 . 16 فيفري 1947 إنشاء جناح ذا طابع عسكري سري لح.إ.ح.د بهدف الاستعداد للعمل المسلح⁵، واعتبر ذلك نقلة نوعية في مسيرة الحزب بعد أن أنقذته من الانقسام الذي كان يهدده⁶، كُلف "بلوزداد" بمهمة تشكيلها على أساس معياري الثقة والسرية⁷، وستصبح فيما بعد نواة الثورة التحريرية فهي من وضعت الخطط والاستراتيجيات الكفيلة بتهيئة كافة الأجواء وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية لإنجاح العمل المسلح.

هكذا مزج حزب "ح.إ.ح.د" بين الأسلوبين السياسي والعسكري وتزعم مواجهة الاحتلال الفرنسي بجهتين، واحدة سرية قوامها نشاط المنظمة الخاصة العسكرية وأخرى شبه علنية قوامها النشاط الحزبي

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 60.

2 محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 1157.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 60.

4 نفسه، ص ص 118 . 119.

5 عيسى بوضياف، محمد بوضياف التحضير لأول نوفمبر 1954، ط1، دار الخليل القاسمي، ص 21.

6 الغالي غربي، فرنسا والثورة الجزائرية ...، مرجع سابق، ص 59.

7 بن خدة، مصدر سابق، ص 182.

ضمن الإطار الشرعي القانوني¹، وبنفس طريقة الحزب كانت مهام "بوداود" في تلك المرحلة حيث جمع بدوره بين النشاطين السياسي كعضو منتخب في المجلي البلدي ممثلاً للحركة والعسكري كمسؤول عن المنظمة الخاصة في منطقة القبائل السفلى، وقد ذكر في هذا السياق: "صرتُ عضوا دائما في الحزب أحمل صفة مزدوجة باعتباري مسؤولا إقليميا على الحركة السياسية "PPA-MTLD" ومسؤولا عن الحركة شبة العسكرية "L'OS" وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرون سنة.²

حمل "بوداود" على عاتقه عدّة مهام فإلى جانب نشاطاته السياسية والعسكرية كان يقوم بأعمال توعوية من خلال توزيع الكتيبات والمنشورات التي تحمل تعليمات معينة تكون في أغلب الحالات عسكرية خاصة التي كانت موجهة نحو منطقة القبائل سواء على المسؤولين المعنيين أو على المناضلين العاديين، وقد شهدت تلك الفترة شتّى الشرطة لسلسلة من عمليات التوقيف ضد مناضلي المنظمة الخاصة بمنطقة القبائل حتى أن العديد منهم أُجبر على الالتحاق بالجبال تجنبا للاعتقال، وفي خضم تلك الظروف نجحت الشرطة الفرنسية في إلقاء القبض عليه وهو في منزل والده، وأُجبر على إلقاء في مقر الشرطة القضائية بتيزي وزو لمدة 26 يوما حتى الحصول على الأدلة والإثباتات الكافية لاعتقاله بصفة نهائية، لثبت بذلك الإدارة الاستعمارية مرة أخرى عدم احترامها لأية أعراف قانونية عندما يتعلق الأمر بالجزائريين، ذلك لأن القانون قد حدد مدة الحجز بـ48 ساعة فقط.³

كانت السلطات الإدارية في السجون لا تكفّ عن محاولة تجنيد عناصر عميلة داخل السجون بعد أن تمارس عليهم أصنافا من العذاب والعنف والحرب النفسية، ثم يُخَيَّرُون بين التعاون مع السلطات الاستعمارية أو التعذيب مرة أخرى فينهار بعضهم ممن يخشى العودة إلى العذاب ويتم تجنيدهم كعملاء يتجسسون على المساجين والمعتقلين لرصد معلومات تخدم المصالح الفرنسية، كما جعل ضباط الشؤون الأهلية من المعتقلات مختبرات لتعديل التوجهات السياسية وتكييفها بما يتلاءم ورغبة الاحتلال وكانت أهدافها تتمثل في الطعن في المقومات الأساسية للشعب الجزائري من أجل القضاء على النزعة الوطنية في نفوس المعتقلين وبث روح الهزيمة فيهم تسليمهم بتفوق العنصر الأوروبي.⁴

رغم عدم وجود الأدلة الدامغة على تورطه بأية مخالفة، ورغم فشل إدارة السجن في الحصول على أي اعتراف منه، ظل "بوداود" مسجوناً ولم يتم إطلاق سراحه بل نُقل ووضِع في الحبس الاحتياطي بتيزي وزو بعد أن وُجِّهَتْ له تهمتي تشكيل رابطة مهددة للأمن العام تم حلها، وحياسة سلاح بوجه غير قانوني رغم أنه كان قديما وغير صالح للاستعمال أي أنه لا يشكل أي تهديد، وتعرض هناك لشتى أنواع التعذيب طيلة

1 بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري...، مرجع سابق، ص 127.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 61. 63.

3 نفسه، ص 67. 68.

4 مسعود عثمان، الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص 331، 332.

فترة مكوثه التي ناهزت سبعة أشهر ، وبعدها تم الحكم عليه بالسجن لمدة سنة كاملة وتحويله إلى سجن بربروس "سركاجي"، ورغم أنه كان عضوا منتخبا في حزب متحصل على الشرعية القانونية (حركة انتصار الحريات الديمقراطية"، إلا أنه لم يُعترف له بنظام السجناء السياسيين، بل وُضع مع السجناء من فئة "X" وهو الحرف الذي اختارت العدالة الكولونيالية أن تنعت به الجزائريين بعد إصرارها على عدم الاعتراف بحقوقهم كسجناء سياسيين واعتبارهم في منتهى الخطورة.¹

المطلب الرابع: نضاله السياسي بفرنسا والمغرب الأقصى

1. نضاله في فرنسا 1950 . 1954

* انتقاله إلى فرنسا:

توجّه "بوداود" في صيف 1952 إلى فرنسا أملا في مواصلة الطريق إلى مصر التي كانت تمثل آنذاك مهذا لمعظم الحركات الوطنية العربية، من خلال دعم كفاح شعوبها من أجل الحرية والاستقلال ومقاومة الأطماع الاستعمارية، ما جعلها قبلة للعرب ومعتقلا لثوار المغرب العربي، ولم يكن موقف مصر من الحركة الوطنية الجزائرية حكوميا فحسب بل كان شعبيا أيضا إذ تعاطف المصريون بجميع أطيافهم مع الجزائريين في نضالهم ضد فرنسا²، لهذا قرّر "بوداود" التوجه إلى القاهرة بهدف الالتحاق بالمسؤولين الجزائريين الموجودين هناك، وقد ساعده في ذلك صديقه "حمود هاشمي" الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب.³

التقى "بوداود" في فرنسا بالعديد من قدماء المناضلين الذين اختاروا الهجرة بعد حلول الأزمة على غرار "عمر أوصديق"، "علي محساسا"، و"عبد الله الحميد بن زين"، وكانوا يلتقون في الأحياء الباريسية الوسطى في الدوائر 03، 04، 18، و19 كما التقى برفاق ومناضلين من نفس منطقته وقريته، وقدماء من نجم شمال إفريقيا مثل "سي الجيلاني"، "سرباح"، و"أكلي بانون"، "محمّد امقران"، ويذكر في هذا الصدد: "كنا نتسائل عن مصير الجزائر ونعلق على مجريات الحرب في الهند الصينية، والثورات التي تنفجر في جميع أنحاء العالم ونتسائل عن الأسباب التي حالت دون نجاحنا، وما الذي يجب علينا القيام به ليحقق الحزب الهدف الذي أُسس من أجله، وكان المتسبب في ذلك بالنسبة لنا هو أيضا أعضاء اللجنة المركزية ومصالي خاصة أن الحزب كان يتخبط في أزمة عميقة سنوات 1952 و1953.⁴

تجلّت الأزمة في الحزب بوضوح خلال المؤتمر الثاني الذي عقد في شهر أفريل 1953 حيث ظهرت الخلافات الحادة حول التنظيم والعقيدة والإيديولوجية بين مصالي واللجنة المركزية، ليتطور الخلاف

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص ص 70 . 71.

2 رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، د ط، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1990، ص 139.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 76.

4 نفسه، ص ص 76 . 77.

وتحدث القطيعة نهائيا بين المصاليين والمركزيين ما جعل الحزب يدخل في مرحلة الانقسام مخييا بذلك آمال الجماهير الشعبية التي كانت ترى فيه أملها الوحيد في استعادة الحرية.¹

ظل المناضلون في فرنسا أوفياء للزعامة "مصالي" ووقفوا إلى جانبه أثناء الصراع، وعلى عكس الأغلبية ممن اتخذ هذا الموقف ظل موقف "بوداود" محايدا كونه كان يشعر أن موقعه هو خارج الحزب رغم استمرار علاقته بالمناضلين وعلى رأسهم "امحمد يزيد" المدعو "الزبير" والذي كان مسؤول ف.ح.إ.ح.د في فرنسا، ويؤكد موقفه هذا بقوله: "حتى وإن ظلت علاقاتنا طيبة مع المسؤولين في الحركة فإنه لم يعد هناك نشاط سياسي مهيكّل، كما لم نكن نساهم في المظاهرات التي تقام... كنا نتابع الأمور من بعيد ونعلق على الأحداث في المساء... غير أن الحماس قد انطفأ في القلوب".²

عانى "بوداود" خلال فترة استقراره بفرنسا مؤقتا في انتظار انتقاله إلى القاهرة من ظروف معيشية صعبة حيث لا يتوفر على مأوى ولا عمل ما جعله يستعين ببعض الفرنسيين المتعاطفين لاسيما ذوو التوجهات اليسارية الذين قدّموا لهم يد العون للتعرف أكثر على فرنسا ونمط العيش فيها، ومكث في هذا الحال مدة تزيد عن ثمانية أشهر برفقة صديقه "عمار حداد" المدعو "زيو بلو" "Yeux Bleu" إلى غاية تمكّنهم من الحصول على بطاقات طلاب مزورة ساعدتهم في إيجار شقق لدى الخواص، ثم ما لبث أن بقي "بوداود" وحيدا بفرنسا إذ سرعان ما قرّر الحزب إرسال صديقه "حداد" إلى مصر، فاضطرّ للبحث عن مصدر رزق يضمن له على الأقل تكاليف الإقامة ونجح بعد مدة من الحصول على وظيفة في المساحة الكبيرة "Au Bon Marché" قرب مدخل ميترو "Sèvres Babylone" حيث تم تكليفه بجناح التدفئة، والفلاحة والطبخ والخردوات، وأصبح على إثرها بائعا لمختلف التجهيزات مثل آلات الطبخ والتدفئة مقابل حصوله على نسبة 15% قيمة من السلع المباعة، وبقي مزاولا لعمله لمدة ثلاثة عشر شهرا.³

* موقفه من اندلاع الثورة:

اطّلع "بوداود" على خبر اندلاع الثورة التحريرية يوم 02 نوفمبر 1954 ولم تكن له معلومات دقيقة عن مفجريها، وقد اعتبر سلسلة الأعمال الحربية التي تم القيام بها عبر التراب الوطني بمثابة قارب النجاة معبرا عن ذلك بقوله: "قلّْتُ يومها في نفسي أيّواه الحالة راهي بدأت تتحرك، في وسعنا أن نتفس الآن... كنت كالغريق الذي تم انتشاله من غمرة المياه وكنت أقول في نفسي... لقد جاء اليوم الموعود أخيرا ولم يعتر ثقتي بنجاح القضية أي شبهة من شك، ونحن كقدماء المناضلين بباريس كنّا في معزل عن أعمال

1 عبد الله مقلاتي، في جذور الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010، ص ص 262. 263.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 77.

3 نفسه، ص ص 79. 80.

التحضير ولم تكن على دراية دقيقة بالأسماء التي بادرت للقيام بالعمليات المسلحة، لكن توصلنا إلى التكهّن بها... كنا متأكدين أن مصالي كان غريبا عن المجموعة التي أرسلت الطلقة الأولى للثورة".¹

لم يكن خبر الاندلاع مفاجئاً لقدماء المنظمة الخاصة فحسب بل تفاجأ به الجميع لاسيما أعضاء ح.إ.ح.د من أتباع ومؤيدي "مصالي" الذين حاولوا تنبّي الثورة وطالبوا قادة جبهة التحرير مشاركتهم القيادة²، ورغم أنهم أبناء حزب واحد لطالما جمعهم النضال المشترك، إلا أنهم ساروا على خطى زعيمهم في إظهار تصلّب اتجاه مخالفه لم يبق به أي بصيص أمل في توحيد المسار من جديد، وتوثيق العلاقة ثانية بين الإخوة الأعداء داخل أسرة الحركة، وهذا ما أكّده "الهاشمي محمود" لـ "بوداود" بقوله: "سي عمر بولحية . يقصد بهم مصالي . لم يرد الإنصات إلى حديث الصواب لم أعد أجد حل للمسألة"³، وسرعان ما وسّع دائرة الخلاف مع المفجّرين الحقيقيين للثورة بتأسيسه لحركته الجديدة التي أسماها ح.و.ج "MNA" كبديل لحركة الانتصار التي قامت السلطات الفرنسية بحلها في 05 نوفمبر 1954.⁴

سعى "بوداود" على غرار العديد من قدماء المنظمة الخاصة بباريس إلى الحصول على المزيد من المعلومات من أجل خوض المعترك وذكر أنه حاول رفقة "محساس" جمع بقية المناضلين وبدء المعركة دون انتظار أية تعليمات من الجزائر، رغم أن ج.ت.و لم تقم بعد بتأسيس أولى خلاياها، والحقيقة أنهم لجأوا إلى اتخاذ مبادرات من عندهم لأنهم كانوا قد تكهّنوا بالأشخاص الذين كان في وسعهم اختيار هذا الشكل الجديد من الكفاح، كونهم جميعا من نفس مجموعة النضال سابقا وبالتالي فهم يعرفون عقليات وقناعات بعضهم البعض، وتمّ كل ذلك في ظل توخي الحيطة والحذر كون الأغلبية الساحقة من المهاجرين بفرنسا كانت وفية لزعيمها.⁵

تحدّث "بوداود" عن موقفه من اندلاع الثورة وتأنيده لها رغم إعجابه بمصالي فقال: "اندلعت الثورة أخيرا وجاء أول نوفمبر، كان تحرير الجزائر بالنسبة إليّ قد فرض نفسه في ذلك اليوم، وعزمت خلالها على التجنّد بلا حدود، كنت متيقّنا أن "مصالي" لم يقف وراء تلك الطلقات الأولى، لكن جهلّت طبيعة الخلاف الحقيقي الذي فرق بين المصاليين والمركزيين، كنت أعلم أن المبادرة بالثورة قد صدرت عن الحركة شبه العسكرية التي لم تقف وقتها إلى جهة المصاليين ولا إلى جهة المركزيين... باعتباري من قدماء المنظمة الخاصة فإنني لم أساهم في ل.ث.و.ع لكن كنّا على اتصال دائم، لقد اندلعت الانتفاضة باسم تنظيم يدعى ج.ت.و وكان مجهولا آنذاك".⁶

1 نفسه، ص 82.

2 كافي، مصدر سابق، ص 57.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 82 . 83.

4 زيري وآخرون، مرجع سابق، ص 37.

5 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 83 . 84.

6 نفسه، ص 204.

ظل الوضع بفرنسا على حاله إلى أن انتقل "بوضياف" إلى باريس بصفته مسؤولاً سابقاً عن ف.ح.إ.ح.د وعلى دراية بذوي الثقة من المناضلين الذين تربطهم به علاقة جادة، وكلف "مراد طربوش" بإنشاء الخلية الأساسية ل.ج.ت.و في فرنسا مشكلة بذلك النواة الأولى ل"ف.ج.ت.و" التي ستنبثق عنها فدرالية فرنسا، ولم يكن "بوداود" وبقية المناضلين أعضاء في ذلك الهيكل الأساسي، لذلك قرروا مغادرة الأراضي الفرنسية فتوجه "عمر أوصديق" نحو مدينة الجزائر، وتوجه "محساس" إلى القاهرة استجابة لنداء "بن بلة"، في حين قرر "بوداود" العودة إلى أرض الوطن والالتحاق بالمجاهدين في الجبال مروراً بالمغرب الأقصى.¹

* موقفه من مصالي الحاج:

بالرجوع إلى الخلفية التاريخية والجغرافية التي ترعرع فيها "بوداود" كمحطة أساسية ومرحلة من مراحل النضال الوطني له يتضح جلياً تكوينه الإيديولوجي وأهم الأحداث التي أثّرت على حياته ورسمت مساره السياسي، فقد تربى في بيئة محافظة بمنطقة القبائل واستفاد من التعليم في سن مبكرة، فتمكن من فهم تطورات الأوضاع المحلية ثم العالمية عكس الكثير من أقرانه من كانوا في نفس سنه، وهذا ما جعله مواكبا لليقظة الوطنية ومحاولاً على الدوام فهم المستجدات في الجزائر وتحليل انعكاساتها وهو لا يزال طفلاً.

باعتبار "مصالي الحاج" شخصية وطنية ذات تأثير نضالي طويل ورائداً لفكرة الاستقلال التام، فهو أب الوطنية وقائد النضال الحزبي ضد الفرنسيين، وهو بمثابة مدرسة وطنية تخرج منها معظم قادة الثورة في الجزائر، وأرضاً خصبة أنتجت الفكر الاستقلالي، فقد كان المؤثر رقم 01 على الجزائريين عامة والمناضلين منهم بشكل خاص خلال فترتي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي منذ تأسيس حزب ن.ش.إ بفرنسا ثم تعويضه ب.ح.ش.ج في الجزائر، وكان هذا الأخير أول محطة سياسية في حياة "بوداود" الذي تعرّف من خلاله على القائد "مصالي" والعديد من الشخصيات السياسية الوطنية.

ذكر "بوداود" في مذكراته عن هذا التأثير قائلاً: "كنت شخصاً معجباً بمصالي طيلة الفترة الممتدة ما بين 1942 و1952، كما كان حزبه. حزب الشعب الجزائري. هو الذي جعل مني مناضلاً، كنت مطلق الإيمان به وبمواقفه...وقد حولني مساره الحازم بإصرار رغم سنوات السجن والمنفى إلى مناصر له دون قيد أو شرط".²

غير أن مسار "مصالي" سرعان ما تغيّر عند اندلاع الثورة التحريرية ليتحول من داع إلى حرب تحريرية إلى التعصّب لمنهجه والتصلّب لآرائه، وهذا ما أدى إلى التباس الأمر على الجزائريين داخل الوطن وبشكل أعمق في أوساط الجالية الجزائرية المهاجرة، ليتحول مصطلح المصالية من مصطلح وطني يعبر عن وحدة الجزائريين وتمسكهم بالتحرر وتكوين دولة خارج النطاق الفرنسي إلى مصطلح مرفوض يعبر عن

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 84.

2 نفسه، ص 204.

الخيانة لهذا المبدأ ويفرق بين أبناء الوطن الواحد ليعخدم الأجندة الاستعمارية التي لطالما حاربها لعقود طويلة.

تغيّرت قناعات العديد من المناضلين الوطنيين ونظرتهم لشخصية "مصالي" من النظرة القدسية لمناضل شرس ومقاوم فذ ذو كاريزما، وسيطرة روحية مستمدة من جرأته في المطالبة بالاستقلال الكامل للجزائر في الوقت الذي كانت فيه باقي الاتجاهات تكتفي بالمطالب الإصلاحية، إلى شخص منبوذ شعبيا لأن أعماله أصبحت غير مطابقة لمطالبه التحريرية، بسبب عجزه عن التفكير بصفة جدية في الطرق الناجعة التي تؤدي إلى الثورة وتسهل نجاحها¹، وكان "بوداود" واحدا منهم حيث ذكر في هذا السياق قوله: "إن انفصالي عن أب الحركة الوطنية لم يحدث فجأة في يوم واحد... بدا لي مصالي في صورة مستبد بالحكم لم يعد قادرا على قيادة حركة تحريرية محكوم عليها أن تعتمد على كافة طاقاتها مجتمعة، هكذا بدأ إشعاعه يخف في نظري، وانتقلت نظرتي تجاه الشخص الذي كان قائدا لمدة طويلة من الإعجاب الذي جعلني أرى فيه الشخص الذي عينته الأقدار لتولي مصير الجزائر المستقبلية، إلى الشك أثناء الأزمة، ثم أخير بعد تنصيبه في شانتيلي تحت حماية فرقة السلك الجمهوري للأمن إلى التنديد بالسياسة التي اتبعها"².

لم يعلّق "مصالي" على اندلاع الثورة التحريرية إلا بعد أسبوع كامل حيث أشار إلى أن استمرار السياسة الفرنسية التعسفية ضد الجزائريين هي من أوصلت الأمور إلى هكذا وضع، ورغم أنه لم يعارض الثورة بشكل علني إلا أنه توجه إلى تأسيس حزب جديد بعد حل "ح.إ.ح.د." وقد حمل اسم "ح.و.ج" "MNA" فاستنتج الجزائريون تلقائيا أن ج.ت.و. المسؤولة عن الثورة لا يتزعمها مصالي، وتأكدوا أكثر بعد تأسيسه لجيش معارض ومنافس لجيش التحرير الوطني حمل اسم "جيش الشعب الجزائري" بقيادة الجنرال "بلونيس"³.

مع وضوح الوضعية السياسية والحضور التدريجي ل"ج.ت.و." باعتبارها صانعة الثورة، ازداد الالتفاف الشعبي حولها وازدادت عزلة "مصالي" أكثر، فتحول بذلك من حامل خطاب الحركة الوطنية إلى معادي لمبادئ الحركة التي ناضل وضحي سنين طويلة من أجلها⁴، حتى أصبحت السلطات الفرنسية توفر له الدعم والحماية وتستغله لخدمة أجندتها وإضعاف "ج.ت.و."، من خلال الحفاظ على حياته وتقوية الحماية على معتقله في إجراء لافيت ومحير كشف وأكد معالم الخيانة للقضية الوطنية⁵، كما اعترفت الصحافة الفرنسية

1 حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض...، مصدر سابق، ص 19.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 205.

3 محمد بكار، "الصراع التاريخي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية من خلال الوثائق الفرنسية 1954 . 1955"، دورية كان

التاريخية، السنة العاشرة، ع 35، 2017، ص 69.

4 لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، مصدر سابق، ص 220.

5 عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962، مرجع سابق، ص 227.

بمسؤولية المنظمة المصالية عن الكثير من العمليات المستهدفة للمصالح الجبهوية في فرنسا والدول المجاورة لها على غرار الاغتيالات التي حدثت في الأراضي البلجيكية.¹

ظل "مصالي" مُصرًا على المضيّ قُدما في عداؤه للثورة موهما بقوة دوره كزعيم للنضال الوطني من دون منافس أو منازع، مؤكّدا موقفه الرافض لكل العروض المُقدّمة له، وهذا التعنّت جعل الأغلبية الساحقة يتعدون عنه وعن توجهاته، حتى وصل الأمر إلى مناصريه المقرّبين الذين أدركوا عند نهاية الثورة أن وضعهم لم يعد محتملا، حيث ظهروا في صورة الحليف الموضوعي للاستعمار، والخونة المتعاونين مع القوات الفرنسية بقصد أو بغير قصد، باعتبارهم محاربين لـ"ج.ت.و" بقوة السلاح وبدعم فرنسي، وهذا ما زاد من عزلة "مصالي" بعد أن صارت الحكومات الفرنسية المتعاقبة تستعمله كدمية تناور بها القوى المعارضة لها والحاملة للسلاح في وجهها، فكانت تلك نهاية مؤسفة للشخصية التي اتخذها الشعب الجزائري رمزا للوطنية وتجسيدها لآماله في التحرر والاستقلال.²

2. نضاله بالمغرب الأقصى: 1955 . 1957

لطالما تجسّدت روابط النضال المشتركة بين شعوب شمال إفريقيا لاسيما في المهجر حيث ارتبط العمال المهاجرون بفرنسا من الأقطار الثلاث باتصالات سياسية ونقابية أكّدت الوحدة التاريخية والهوية المشتركة من أجل مواجهة العدو المشترك، ومظاهر التضامن النضالي بين الحركات الوطنية المغاربية التي تبلورت في عدة مناسبات كان أهمها "نجم شمال إفريقيا" الذي جسّد فكرة الوحدة بين الأقطار المغاربية الثلاث، وعمل على نشرها في أوساط الجاليات الجزائرية والتونسية والمغربية بفرنسا بمستغلين في ذلك الحركات الشيوعية التي كانت تنشط آنذاك بقوة في مجابهتها للإمبريالية وسياستها الكولونيالية.

رغم تصدّي الحكومة الفرنسية لبوادر التضامن النضالي المغاربي إلا أن الجهود تواصلت وظهرت التوجّهات الثورية لها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بعد التصلب الكبير الذي أظهره الاستعمار الفرنسي في مواجهة الحركات الوطنية في هذه الأقطار من خلال تزوير الانتخابات في تونس والمغرب ومجازر الثامن ماي في الجزائر، فتولّدت قناعة راسخة لدى شعوب المنطقة بضرورة العودة إلى العمل العسكري المسلح كسبيل وحيد لمواجهة الاستعمار ودحره³، وهذا ما تجسّد في التحاق الجزائريين ببدء الكفاح المسلح سنة 1954 للالتحاق بركب الكفاح الذي كان قد بدأ في كل من تونس والمغرب ثم سعيهم لتوحيد المعركة المغاربية من خلال إنشاء جيش تحرير المغرب العربي تحت إشراف "بن بلة" من الجزائر، "محمد حمادي العزيز" من المغرب، و"عز الدين عزوز" من تونس⁴، واتخاذ الثورة الجزائرية من مشروع الكفاح المغاربي

1 يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003، ص11.

2عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 206.

3محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص ص 21 . 22.

4Mhamed Yousfi, L'Algérie en marche, ENAL, Alger, 1985, p145.

الموحد منطلقا لتأكيد بعدها الإيديولوجي واجتهادها لتكريسه ميدانيا، غير أن اختلاف التوجهات حال دون تجسيد وحدة العمل المسلح على أرض الواقع.

ظَلَّتْ الأقطار المغاربية بحكوماتها وشعوبها تشعر بواجب دعم القضية الجزائرية من منطلق الجوار الجغرافي وحتمية التضامن الأخوي والماضي المشترك، وعملت على توحيد الجهود وتنسيق العمل من أجل نصرة كفاح الشعب الجزائري عن طريق تقديم الدعم المادي والبشري سواء بطرق علنية أو خفية خاصة في مجال التموين العسكري وما تعلق بتمير الأسلحة وإنشاء القواعد الخلفية.

أفصحت هذه البلدان عن دعمها للمشروط للثورة التحريرية منذ الساعات الأولى لاندلاعها، واعتبرتها حلقة من حلقات النضال ضد الاستعمار وتوتيجا لوحدة المغرب العربي على مستوى العمل الثوري المشترك، وهذا ما لخصه "عبد الكريم الخطابي" في ندائه من القاهرة الذي جاء بعنوان "المستعمرون أجبرونا على الانفجار، أيها الأبطال المكافحون في تونس والجزائر ومراكش" ورد فيه: "أيها الإخوان الجزائريون نحن جميعا ما كنا نود في يوم من الأيام أن تصل الحالة في شمال إفريقيا إلى هذه المرحلة الدامية، ولكن رغبة ما يرتكبه الفرنسيون من فتنة هي من أوصلتكم وأوصلتنا إلى الانفجار فنهضتم تدافعون هذا الدفاع المبارك..."¹

إن الموقف الإيجابي للدول المغاربية اتجاه الثورة الجزائرية قد شجّع العديد من المناضلين الجزائريين على التوجه إلى التراب المغربي والاستفادة من الدعم سواء السياسي أو العسكري، وكان هذا الأخير قد شمل الحصول على العتاد العسكري وتطوير نظام التموين والإمداد إضافة إلى التدريب العسكري للمقاتلين والمجندين الجدد وتجنيد المتطوعين ثم تلقينهم التحضيرات العسكرية اللازمة لمباشرة حرب العصابات.

كان "بوداود" قد وصل إلى المغرب الأقصى في نهاية سنة 1955، ووجد ودادية الجزائريين هناك تعمل بدعم ورعاية الإقامة الفرنسية، فحاول رفقة عدد من الشباب الجزائريين إعطائها توجهها سياسيا مستقلا عن وصاية الحماية، وقد نجحوا في ذلك حيث تم انتخاب "وجدي دمرجي" رئيسا للودادية و"علي هارون" رئيسا لفرع فاس، وستكون لهذه الودادية دورا بارزا في إنشاء أولى خلايا جبهة التحرير الوطني في المغرب، كما أنها ستسهل اتصال "بوداود" بالجبهة والعمل معها بشكل منظم ومنسق ابتداء من سنة 1956 حين تأكد فعليا تأسيس فدرالية الجبهة بالمغرب برئاسة "الطيب الثعالبي" المدعو "علال"، وباشرت مهمتها في تأطير وتنظيم المهاجرين الجزائريين المقيمين بالمغرب من جهة، والحصول على الإمدادات العسكرية التي من شأنها أن تدعم الكفاح المسلح في الداخل الجزائري من جهة أخرى.²

تركزت جهود "بوداود" في المغرب على استرجاع الأسلحة بعد أن تم تعيينه في مناطق "مكناس"، و"فاس" وأجزاء من الجنوب المغربي بـ"تينغير" وهناك سيلتقي بالمناضل "شارف معبد" المدعو مهدي" أو "الشیطان" بسبب دهائه وامتلاكه أساليب شيطانية خطيرة في التصرف في المواقف الصعبة،

1 الفضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 1992، ص ص 228 . 229.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص ص 85 . 87.

والذي سيكون له دورا أساسيا وهاما في تموين الثورة بالأسلحة لاسيما بعدما تمت استجابة القيادة لاقتراح "بوداود" بضرورة تعيينه في ألمانيا حيث اتسع مجال نشاطه من شراء الأسلحة إلى تغيير تهئية السيارات إلى نقل الأسلحة والمتفجرات وبعدها إلى الاتصالات العديدة بالبلدان الأوروبية الشرقية التي وافقت على تقديم المدد للثورة على غرار المجر، بلغاريا وبولونيا.¹

لم يبق "بوداود" في وظيفة العتاد بل أصبح عضوا في اللجنة الفدرالية مكلفا بالمالية، وكان مقرها بالرباط تسهيلا للعلاقات مع السلطات المغربية، وظلت هذه اللجنة الفدرالية مرتبطة وظيفيا بمركز القيادة الخامسة بوجدة، وعسكريا بوزارة التسليح والعلاقات العامة التي كانت تحت إشراف "عبد الحفيظ بوصوف" المسؤول الأول في أعلى المراتب الإدارية بالمغرب عن بقية المناضلين هناك، وبعد حادثة القرصنة الجوية في 22 أكتوبر 1956 واختطاف قادة الوفد الخارجي، تعرّض "بوداود" لحادث مرور تسبّب له في كسر كتفه في الوقت الذي كان فيه مصابا بفيروس خطير في اللوزتين ثم التهاب حاد في الكلية ما زاد من تدهور حالته الصحية وعجزه التام عن العمل لمدة قرابة خمسة أشهر مكث خلالها في مستشفى طنجة قبل أن يقضي فترة نقاهة عند "العباسي عزوز" المسؤول المحلي ل ج.ت.و بمكناس.²

لجأت السلطات الفرنسية إلى انتهاج سياسة القوة لإجبار المغرب على تغيير مواقفه من المسألة الجزائرية، وكانت تطلب من السلطان "محمد الخامس" المحافظة على الصداقة الفرنسية المغربية بالتوقف عن دعم القضية الجزائرية، أو على الأقل تبني الحياد في النزاع الجزائري، غير أن المغرب لم يستجب لمطلب الفرنسيين وظل موقفه داعما للثورة التحريرية، وهو ما أكدته التقارير التي كانت ترسلها السفارة الفرنسية في الرباط عن رصد قنصلياتها لمختلف أشكال الدعم والمساندة وللتجاوب الشعبي الكبير الذي يتلقاه الثوار الجزائريون على الأراضي المغربية وتشجّب التورط الرسمي للمغرب في دعم نشاطات الجزائريين المدنية والعسكرية على أراضيه.³

وبسبب عدم استجابة المغرب لضغوطات الحكومة الفرنسية، لجأت هذه الأخيرة إلى تدبير عملية اختطاف القادة الجزائريين الذين نزلوا ضيوفا على المغرب لتشويه صورته من جهة خصوصا لدى شعبه، وإرغامه على التنازل للأوامر الفرنسية بوقف دعم الثوار الجزائريين من جهة أخرى، بل وصل الحد ببعض الساسة الفرنسيين إلى دعوة الحكومة إلى إعادة احتلاله من جديد لأنه أصبح معاديا لفرنسا التي مكنته من الاستقلال بالأمس القريب، غير أن أكد موقفه على لسان وزير الداخلية "إدريس محمدي" الذي خاطب

1 نفسه، ص 90.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 92 . 95.

3 قدور الورطاسي، أربع سنوات مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية، مطبعة البلاد، الرباط، د ت، ص 30 . 33.

الجنرال "كوتي" بقوله: "إن المغرب ليس عدوا لفرنسا لكننا في نزاعكم مع الجزائر واقفون بدعمنا إلى جانب الطرف الجزائري، لأن الجزائريون إخوة لنا ونحن ملزمون بدعم كفاحهم".¹

استغل قادة "ج.ت.و" الدعم المغربي لتوطيد العلاقة أكثر مع القصر الملكي، وقد أكد ذلك "الشيخ خير الدين" مبعوث "عبان رمضان" إلى المغرب والمكلف من طرف جبهة التحرير بالعلاقات المباشرة مع السلطة المغربية (المخزن) وكان يُستقبل باحترام ومودة كبيرين²، وهذا ما أشاد به الشيخ في مذكراته عندما ذكر قوله: "وجدت معاونة ومساعدة صادقة من رجال السلطة هناك"³، كما أكد "بن بلة" أيضا في مذكراته أن الملك محمد الخامس قد أعرب له أثناء لقائهما بالعاصمة الإسبانية أن المغرب سيكون بمثابة العمق الاستراتيجي للثورة وأنه سيواصل تقديم دعمه لها دبلوماسيا وسياسيا وعسكريا.⁴

رغم تأكيد الملك المغربي بدعمه الكامل للثورة إلا أن التطورات الميدانية قد أثبتت عكس ذلك وهذا ما أكدّه العديد من القادة العسكريين في المنطقة الخامسة، حين اشتكوا من تغيّر الموقف المغربي اتجاه الثورة حين أصبحوا يتعرّضون بين الحين والآخر للمضايقات والعراقيل التي خلقت لهم مشاكل في نشاطهم العسكري وتسببت في عرقلة وحدات الجيش ومرور الأسلحة خصوصا في عمالة وجدة، كما أن فشل المفاوضات بخصوص رسم الحدود قد بيّن هذا التغير وبداية الانحياز المغربي للجانب الفرنسي لاسيما بعد مباشرته للمفاوضات مع فرنسا وقبوله المشاركة في مراقبة الحدود مع الجزائر بوضعه لقوات مسلحة ملكية عرقلت نشاط الثوار، وهذا ما أكدّه "بوصوف" عندما أشار إلتزايد الضغوط السياسية التي يظورها القصر وحزب الاستقلال المغربي على نشاطاتهم.⁵

مكث "بوداود" في الأراضي المغربية مدة سنتين إلى غاية صيف 1957 حين تلقى أوامر بالانتقال إلى فرنسا بعد تعيينه مسؤولا على فدرالية الجبهة هناك من طرف مجلس التنسيق والتنفيذ⁶، وتم بموجبه منحه جواز سفر مغربي مزور ليتمكن من تجاوز الحدود بسهولة أكبر، ومبلغ 200 000 فرنك فرنسي قديم وعنوانين لمأواه في باريس مع كلمات السر من قبل "بن خدة" و"عبان" في مدينة تطوان المغربية، ويذكر عن رحلته قائلا: "يبدو أن علاقاتي بقداماء الحزب أو المنظمة الخاصة هو من دفع بلجنة التنسيق والتنفيذ إلى اتخاذ قرار تعييني على رأس فدرالية فرنسا وكلف عبان بتبليغي ذلك...مررت بمدريد عبر القطار معتمدا على جواز سفري المزور وعلى لطف الأقدار متجها إلى مدينة بوردو ومنها إلى العاصمة باريس".⁷

1 Georges Chauffard, les carnets secrets de la décolonisation, Edition Calmann, Lévy, France, 1972, pp120 - 121.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 90. 91.

3 محمد خير الدين، مصدر سابق، ص 182.

4 أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها روبر ميرل، تر: الأخضر العفيف، دار الأدب، بيروت، د ت، ص 101.

5 الذيب، مصدر سبق، ص 218.

6 انظر الملحق رقم 14.

7 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 95. 96.

المطلب الخامس: قيادته لفدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني وأهم إنجازاته 1957 . 1962

1 . إعادة تنظيم وهيكلية اللجنة الفدرالية ونجاحه في ضمان استقرارها:

وصل "بوداود" إلى باريس في نهاية شهر جوان سنة 1957 في هيئة فلاح جاء للبحث عن عمل وذلك من أجل أمنه والحفاظ على حياته حتى لا يتمكن أحد من معرفته خصوصا وأنه كان يحمل جواز سفر مغربي واسم مستعار هو بنائي¹، تكفل بإيوائه في البداية صديقه "كريستيان" الذي كان على معرفة به أثناء إقامته الأولى بباريس، ثم اتصل بصديق آخر له وهو "سعيد سليمي" الذي كان يسكن في رقم 10 من شارع "du Temple" بجانب القصر البلدي الذي جعله في اتصال مع المناضل "بلقاسم بن يحي" ثم مع "أحمد بومنجل" الذي عقد معه اجتماع ضم مسؤولي الفدرالية وهم كل من "طيب بولحروف"، "قدور العدلاني"، "ومنجي" المدعو زين العابدين، "عبد الكريم سويسبي"، و"سعيد" المدعو رابح بوعزيز، أكدوا فيه الموافقة على تعيين "بوداود" كمسؤول أول للفدرالية، ومناقشة المهام الرئيسية التي تم تكليفه بها والمتمثلة أساسا في التحكم بأوضاع المهاجرين الجزائريين بفرنسا، وتعزيز مالية الجبهة، ونقل الكفاح المسلح إلى أرض العدو.²

تغيرت تشكيلة اللجنة بعد حوالي خمسة عشر يوما من وصول "بوداود" إلى التراب الفرنسي، حيث غادر "بومنجل" و"بولحروف" نحو الأراضي التونسية وكان هذا الأخير قد تكفل بالتنسيق بكفاءة عالية بعد اعتقال أعضاء اللجنة الفدرالية السابقة المسيرة من طرف "البجاوي"، فتم تشكيل لجنة جديدة للفدرالية ضمت الشخصيات التالية: "عمر بوداود"، "سعيد بوعزيز"، "علي هارون"، "قدور لدلاني"، و"حسين منجي"³، ثم إضافة عضوين جديدين هما "محمد حربي" الذي كان مسؤولا عن ولاية شمال فرنسا انطلاقا من مدينة "ليون"، و"مسعود قدروجي" الذي كان مكلفا بلجنة الصحافة والإعلام CPI، وذلك بعد إلقاء القبض على "عبد الكريم سويسبي" في أوت 1957.⁴

شرح "بوداود" في التعرّف بداية على أعضاء اللجنة لأنه لم تكن له سابق معرفة بأغلبهم، حيث يذكر في هذا الصدد: "لم أكن أعرف من أعضاء اللجنة سوى زين العابدين منجي... لذا كان علي أن أتخذ لنفسني بسرعة فكرة عن كل رفيق فيها، كنت في أول الأمر أنصت كثيرا مما مكّنتني من الإطلاع على أمور كثيرة تتعلق بسلوك كل منهم..."⁵، ثم بدأ في وضع الهيكل التنظيمي للجنة بنفس ما كانت عليه "ح.إ.ح.د" مع تكييفه بمقتضيات الأوضاع التي فرضتها الحرب، حيث خضع التقسيم الإداري للأقاليم

1 Ali Haroun, la 7eme wilaya..., op.cit, p31.

2 بوداود، مصدر سابق، ص 100.

3 عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي...، ص 546.

4 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 101.

5 نفسه، ص 102.

الفرنسية لكثافة العمال الموجودين في مختلف المناطق، بينما خضع تنظيم مجموع الجالية الجزائرية المهاجرة بنفس الخصوصيات التي تميز مناطقها الأصلية في الجزائر.

تعرضت تشكيلة اللجنة الفدرالية لتغييرات هامة خلال سنة 1958 وتعديلات ستكون لها نتائج وانعكاسات إيجابية على استمرار وتطور المسار النضالي، ومنها الإفراج عن بعض القياديين الذين تم اعتقالهم من قبل على غرار "عبد الكريم سيوسي" الذي عاد على إثرها إلى مزاوله نشاطاته في اللجنة الفدرالية من خلال إشرافه على المالية والفرع الجامعي إلى جانب و.ع.ع.ج، و"زين العابدين منجي" الذي تم تعيينه في مدرسة تكوين الإطارات بألمانيا، في الوقت الذي نقل فيه كل من "محمد قروج" و"عبد الكريم منصوري" إلى المغرب، ثم أرسلت لجنة التنسيق والتنفيذ "علي هارون" للانضمام إلى اللجنة الفدرالية، وبذلك أصبحت هذه الأخيرة تتكون من قيادة جديدة تضم خمسة أعضاء هم "بوداود"، "هارون"، "العدلاني"، "بوعزيز"، و"سيوسي".¹

لقد كان عمر بوداود في مستوى تحديات الثورة حيث تمكن في نهاية 1957 من تكوين نواة قوية وحقيقية ل.ج.ت.و بفرنسا وأوروبا عامة، ونجح في إبعاد المصاليين عن الواجهة وإقناع المهاجرين الجزائريين بحقيقة الثورة و.ج.ت.و كمثل شرعي ووحيد لها²، ثم قرر نقل مقر قيادته إلى ألمانيا الغربية في ربيع سنة 1958 مع الإبقاء على جهاز للمناوبة بفرنسا، حتى يجنبها التعرض لنفس المصير الذي آلت إليه قيادات الفدرالية السابقة بفرنسا، كونها لم تتمكن من الصمود أكثر من ستة أشهر، وقد ذكر في هذا الصدد: "كانت العبرة التي وجب استخلاصها من مختلف عمليات إلقاء القبض واضحة، بقاء الفدرالية واستمرارية نشاطها مرهون بوضع إدارتها بمنأى عن إصابتها من طرف مصالح القمع الفرنسية... كان من الضروري مغادرة التراب الفرنسي والتمركز خارجا شريطة الاحتياط بالبقاء في اتصال دائم بالتنظيم... والحرص على أن لا يتسبب لها هذا التحول إضعاف نشاطاتها، وأن تظل سلطة جبهة التحرير الوطني فعلية وقائمة دوما في كل مكان".³

كما اعتمد أسلوب الحزم والصرامة في اختيار المسؤولين على اعتبار واحد ووحيد هو الكفاءة والقدرة على الصبر وتحمل المسؤولية الكاملة، مع ضرورة توفر بعض الخبرة والتجربة في الميدان، وقد كان موضوعيا جدا وبعيدا كل البعد عن الجهوية أو عواطف الصداقة والزمالة وما شابه، وهذا ما أكدّه بقوله: "تلك هي الظروف التي تمت فيها عمليات التعديل التي وقعت في الفدرالية سنة 1958 فلا محاباة ولا عصبية ولا محسوبية، عندما يتعلق الأمر بتسيير الرجال فإن هدفنا الدائم كان الحرص على أن نعين على رأس

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 149.

2 لزهري بديدة، "فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، إشكالية التأسيس وتطور الهيكلية"، مجلة البحوث والدراسات، ع 11، السنة 08، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2011، ص 266.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 160. 161.

الفدرالية مجموعة منسجمة موثوق بها، في وسعها أن تعمل من أجل انتصار القضية الوطنية"¹، في هيكل تنظيمي متكامل متمحور حول تقسيم المهام فيما بين الأعضاء بما يضمن التكامل بين مختلف المصالح والفروع وبالتالي ضمان النجاح للفدرالية.²

يبدو أن "بوداود" مثلما نجح في وضع استقرار دائم لفدرالية الجبهة بعد نقلها إلى ألمانيا الغربية فمنذ توليه قيادتها لم تعرف أي تزعزع أو انشقاق أو حتى خلاف بل ظلت مستقرة طيلة أربع سنوات حتى انتهاء الثورة وحصول الجزائر على الاستقلال رغم أن مسيرتها قد قدموا من آفاق متباينة ومستوياتهم التكوينية كانت مختلفة، قد نجح أيضا في تحقيق مساعيها وتوسيع القاعدة النضالية والجماعية للثورة التحريرية بفرنسا بعد أن نجح في السيطرة على أهم الطاقات الطلابية وجعلها إحدى أدوات مواجهة الاستعمار في عقر داره.

في ألمانيا الغربية ورغم الصعوبات والعراقيل التي ظلت تعترض مسار الفدرالية خصوصا في ظل تزايد نشاط مصالح التجسس والمنظمات الإرهابية وعملياتها الاغتيالية المستهدفة لكل جزائي مشتبه فيه، وعلى رأسها منظمة اليد الحمراء التي كانت تنشط تحت مسؤولية "الكولونيل مرسبي" "Colonel Mercier"، إلا أن الأوضاع هناك كانت أحسن مما كانت عليه في فرنسا، بفضل مساعدة أصدقاء ألمان الذين زودوا مناضلي الفدرالية بأسمار مستعارة تمكّنهم من استئجار شقق صغيرة والتفرّق عبر مختلف المدن الألمانية لاسيما في مناطق "رينانيا - ويستفاليا، حيث استقر "بوعزيز" في مدينة "دويسالدورف"، والعدلاني وسويسبي في "إسن"، واستقر "هارون" في "مولهيام رور"، أما "بوداود" فقد استقر في مدينة "ديسالدورف".³

جدير بالملاحظة أن "بوداود" قد نجح وتميّز في تسيير الفدرالية وتنظيمها وإعادة هيكلتها تماشيا مع الظروف والمستجدات ومن ثم قيادتها إلى بر الأمان والوصول بها إلى تحقيق كامل أهدافها المسطرة منذ بداية تأسيسها، وذلك بفضل كفاءته العالية التي اكتسبها من خبرته السياسية وتجاربه الميدانية كونه كان مناضلا قديما في صفوف ح.ش.ج ثم ح.إ.ح.د ثم جناحها العسكري الملقب بالمنظمة الخاصة، وبفضل وطنيته الكبيرة التي جسّدت مواقفها من مختلف الأزمات والخلافات كان على رأسها الأزمة البربرية، إضافة إلى عزمته وإصراره القوي على النجاح والمضي بالفدرالية قدما نحو تحقيق الانتصار في معاركها الدبلوماسية والعسكرية، وكذا موضوعيته وصرامته الكبيرة في اتخاذ أي قرار دون تحيّر أو عاطفة.

أورد "بوداود" في مذكراته بعض هذه الصفات التي مكّنته من النجاح فقال: "في وسعي الآن أن أشهد أن اللجنة الفدرالية المشكلة من بوعزيز وهارون والعدلاني وسويسبي وأنا قد نجحت في أداء مهامها إلى غاية تحقيق الاستقلال، وأشرفت على سير أمور الفدرالية بفعالية... بفضل الانسجام الذي ساد بين

1 نفسه، ص 154.

2Einaudi, op, cit, p30.

3عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 162.

أعضائها وحسبهم المتطور بأهمية المسؤولية المنوطة بهم، سيفتح الاستقرار والاستمرارية المحصل عليهما المجال واسعا للفدرالية وللمهجرة الجزائرية في فرنسا وفي باقي أوروبا لتقديم مساهمة ثمينة وحاسمة في إنجاح القضية الوطنية... وهذا ما يفسر قرار المجلس الوطني للثورة بترقية الفدرالية قانونيا إلى مرتبة ولاية سابعة إلى جانب بقية الولايات الستة في التراب الوطني¹، ثم سيتم إضافة ولايتان أخريان سنة 1959 بعد أن توسع التنظيم إلى الدول المتاخمة لفرنسا كبلجيكا وألمانيا الغربية حيث تم تقسيم كل منهما إلى منطقتين، ثم ستضم أيضا سويسرا في مرحلة لاحقة إلى الفدرالية وتصبح منطقة تحت مسؤوليتها مباشرة.² يضيف قوله: "لقد سادت ثقة تامة بيننا نحن الذين كنا نتقاسم نفس الخيار السياسي ونفس النظرة للمستقبل، كانت وجهة نظرنا في شأن سير الثورة متطابقة كنا نؤمن بج.ت.و. ونتبع الخط الذي رسمته بالرغم من الحيرة والمخاوف والتقلبات التي عرفتها حرب كانت آفاقها تبدو بعيدة، كان لنا إيمان راسخ بجهة التحرير الوطني، وهناك عامل آخر ساعدنا على النجاح هو جدارة مناضلي وأعضاء اللجنة الفدرالية حيث كان كل واحد منا مروض على ما يُنتظر منه من مهام في القطاع الخاص به، إضافة إلى رابط الأخوة الذي جمع بيننا كمناضلين وأحباب حيث يعرض كل واحد منا رأيه بحرية مطلقة ثم يُتخذ القرار بالإجماع أو بالتصويت".³

2. كسب ثقة الطلبة والمهاجرين الجزائريين بفرنسا وتعزيز أدوارهم النضالية:

* تأطير المهاجرين الجزائريين وتفعيل أدوارهم:

أدرك "بوداد" بمجرد مباشرته للمهام كمسؤول أول أن تكوين نواة قوية لـ"ج.ت.و." بفرنسا يستوجب إفراغ الساحة من المصاليين وإبعادهم نهائيا عن الواجهة، حتى يضمن هيمنة مطلقة للجهة على الجالية الجزائرية وتأطيرها بشكل فعال للتحكم في أوضاعها، وهذا ما أكدته بقوله: "كزتُ جهدي الأساسي على نقطة تمثل أولوية لا مناص منها في إنجاح مهمتنا ألا وهي استمالة الجالية المهاجرة إلى جانب ج.ت.و."⁴ عمد إلى انتهاز خطة محكمة تقتضي القيام بعمل تمشيطي يغطي أكبر قدر من المربعات الاجتماعية عمليا، وذلك من خلال تشكيل "فرق طائفة" تتكفل بالتوجه في أيام العطل وأيام السبت والأحد إلى الفنادق الجزائرية خاصة في باريس وضواحيها، للتوصل إلى تنظيم ومراقبة تلك المؤسسات التي كانت تنتمي إما إلى ح.و.ج. أو إلى ج.ت.و.، وكان التركيز يتم على الذين أفلتوا من القبضة المصالية، ثم عممت العملية على المقاهي والمطاعم، وقد تمحورت الخطة حول المناضلين غير المعروفين لدى المقيمين من حيث التوجه السياسي لهم الذين يتم وضعهم في الفنادق التي يشغلها الجزائريون من أجل توضيح حقيقة

1 نفسه، ص 154 . 155.

2 بديلة، مرجع سابق، ص 267.

3 عمر بوداد، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 155 . 156.

4 نفسه، ص 104.

الأوضاع السائدة في الجزائر، ليتم في النهاية إقناعهم بأن الوقت قد حان للمساهمة الفعلية في الثورة، وذلك عن طريق الانتظام وجمع الأموال الضرورية لدعمها، وفي حال النجاح في عملية الإقناع يتم إنشاء خلية لج.ت.و لدى سكان الفندق والتماس متطوعين لذلك، وهكذا تزايد عدد الخلايا وتضاعفت العائدات المالية.

تحمّست "ج.ت.و" لتوسيع دائرة سيطرتها على الهجرة من خلال نشر وتعميم الفكر الوحدوي لدى أفراد الجالية المهاجرة وتعزيز الروح الوطنية لديهم بإحلالها محل الانتماء إلى الدوار والقبيلة، فبسطت نفوذها على جميع المهاجرين باختلاف مواقعهم الاجتماعية وعملت على إحصاء عام لهم مع وضع قوائم بكل المناطق الفرنسية المستقرين بها تضم معلومات تحتوي الأسماء وعناوين الإقامة والإمكانات المالية حتى أصبح هؤلاء المهاجرين تحت مراقبة مسؤوليهم في الجبهة بحيث لا يمكن لأحدهم تغيير العمل أو محل الإقامة دون علم هؤلاء المسؤولين¹، وهكذا ساد جو من الثقة بين المناضلين بعد أن تأكدوا من ضرورة التضامن من أجل كفاح واحد وقضية واحدة ووطن واحد.²

لقد كانت معركة الإقناع والاختراق للهجرة الجزائرية عنيفة ودموية، حيث تضاعف العنف والعنف المضاد بين الإخوة الأعداء، فقد اعتمدت ج.ت.و المزج بين أسلوب الترهيب والتغريب حيث اعتمدت الأسلوب الأول في البداية ودعت المصاليين قادة ومناضلين إلى الالتحاق بصفوفها غير أنها فشلت في إقناعهم، فاضطرت إلى تغيير أسلوب التعامل والانتقال إلى طرق التخويف كالتهديد الشفوي والعقاب البدني، قبل أن يتطوّر الموقف إلى التصفية الجسدية لخصومها بسبب مبادرة هؤلاء الأخيرين بالعنف، مما دفع بها إلى إنشاء المنظمة الخاصة في إطار تنظيمها السياسي والإداري³، وهكذا بحلول شهر ديسمبر 1957 رجحت الكفة لصالح الجبهة وانحصر نفوذ ح.و.ج بشكل واضح في مختلف المناطق الفرنسية رغم محافظتها على التواجد في الشمال والشرق وبدرجة أقل في منطقة الوسط.⁴

هكذا تم وضع قاعدة نظامية متينة منذ نهاية 1957، غير أن سنة 1958 هي التي ستعرف هيكلة القسم الأكبر من الجالية الجزائرية المهاجرة ضمن فدرالية الجبهة، بعد أن صار التنظيم يتمتع بمجموعات للصد مكلفة أساسا بحمايته وبالرد على تجاوزات الشرطة أو الهجمات المسلحة للمصاليين، وكانت هذه المجموعات مرتبطة بالولايات الفرنسية الأربعة وتعمل كل منها استجابة لحاجيات هياكلها المحلية⁵،

1 ليندة عميري، مرجع سابق، ص 65 . 68.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 106.

3 عميري، مرجع سابق، ص 63.

4 حربي، جبهة التحرير الوطني...، مصدر سابق، ص 136.

5 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 106.

وأوضحت بذلك السيطرة شبه التامة لصالح الجبهة بعد أن تضاعفت خلاياها لتتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف خلية يناهز عدد نشاطها أربعون ألفا في مقاطعة السين، وبلغ تعداد مجموعات الصاعقة المائة.¹

* كسب ثقة الطلبة وتعزيز نضالهم:

استمر "بوداود" في بسط شبكة فدرالية الجبهة لتشمل ما تبقى من فئات الجالية الجزائرية من عمال وتجار، وطلبة ورياضيين، وأصحاب المهن الحرة والمجندين في صفوف القوات الفرنسية، وذلك بعد نجاحه في عزل المصاليين وإبعادهم عن الساحة السياسية، وقد ركّز جل اهتمامه على الطلبة نظرا لاعتبار إ.ع.ط.م.ج نفسه تنظيما موازيا لـ ج.ت.و، ويذكر في هذا الصدد: "عند وصولي إلى باريس كان بعض الطلبة يشتكون من رئيس الاتحاد "مولود بلهوان" الذي كان يتمتع عن عقد المؤتمر، رغم أن الطلبة كانوا في حالة إضراب استجابة للنداء التاريخي للجبهة في ماي 1956، ورغم أن الاتحاد كان مدعوما ماليا من طرف اللجنة الفدرالية إلا أن بعض مسؤوليه كانوا يعتبرونه تنظيما موازيا للجبهة، ويرفض أن يوضع تحت سلطة الفدرالية، لهذا فقد واجهتنا بعض الصعوبات معهم".²

سعى "بوداود" إلى حسم الأوضاع والمواقف وجعلها أكثر وضوحا فلبجأ إلى الاتصال بلجنة التنسيق والتنفيذ عبر "بوصوف" للبحث في هذه المسألة والفصل بشكل نهائي فيها، وجاء القرار الرسمي للجبهة بأن الطلبة كبقية الجزائريين مهيكلون تحت سلطتها وأن الاتحاد لا يمكنه البقاء خارج هياكلها، وهكذا عقد المؤتمر في نهاية ديسمبر 1957 بباريس، وتقرر فيه رسميا إلحاق اتحاد الطلبة بـ ج.ت.و، وانتخاب مسؤول جديد له هو "مسعود آيت شعلال" خلفا لـ "محمد بلهوان"³، وبذلك نجحت الفدرالية بقيادة "بوداد" من تعميق إشرافها على الاتحاد الطلابي، وتنويع وتوسيع مهامه لينخرط في المنظمات الطلابية الدولية ويدافع من خلالها على المصالح المادية والمعنوية للطلبة الجزائريين وعلى أهداف الثورة الجزائرية عامة.⁴

أدركت السلطات الفرنسية خطورة الطلبة كنخبة مثقفة في تغيير ميزان القوة لصالح الثورة التحريرية في حال استغلال معارفهم وتوظيف قدراتهم في إقناع الرأي العام الطلابي بشكل خاص والعالمي بشكل عام، لذا أعلنت عن حل إ.ع.ط.م.ج وكثفت من رقابة الطلبة وشنّت سلسلة من الاعتقالات في صفوفهم دون هوادة، غير أن اللجنة الفدرالية لم تقف مكتوفة الأيدي بل قرّرت إنشاء هيئة سرّية بجانب قيادة الاتحاد سميت بـ "الفرع الجامعي" للتكفل ماديا وسياسيا بالطلبة المسجلين في أوروبا، تحت إشراف "عبد الكريم

1 عميري، مرجع سابق، ص 65 . 66.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 123 . 124.

3 هلال، مرجع سابق، ص 30 . 31.

4 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 124 . 125.

سويسري" وقد نجح هذا الفرع حيث تم ترقية العديد من الطلبة في رتبة ضباط أو محافظين سياسيين، وتطوع العديد من مناضليه للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، كما ساهم بشكل جاد في نشاط ج.ت.و في أوروبا وبصفة خاصة في فرنسا.¹

3. تفعيل دور المنظمة الخاصة والقضاء على الخونة والعملاء:

* تفعيل دور المنظمة الخاصة:

امتلك "بوداود" خبرة عالية في الميدان العسكري كونه سبق أن تابع تكوينا شبه عسكري في الجزائر عندما كان عضوا في ح.ش.ج لذلك وبمجرد تولّيه قيادة الفدرالية بفرنسا عمد إلى تطوير المنظمة الخاصة التي لم تكن حسبه عملية وفعّالة بالشكل المطلوب في الميدان، لاسيما بعد فشل مسيرها الأول آنذاك "سعيد بوعزيز" في عملية اغتيال الجنرال "ماسو" "Massu" التي كانت مبرمجة أثناء الاستعراض العسكري الذي أقامته باريس في حدائق الإليزي في الاحتفالات المخلدة لـ 14 جويلية 1957، لذلك سعى "بوداود" إلى التعرّف أكثر على حقيقة القدرة التي تتمتع بها تلك الهيئة في التكفل بالمهمة المنوطة بها، وعمل إلى مراقبة جادة للتنظيم شبه العسكري ببرمجة عمليات ناجحة تستلزم الانطلاق من جديد على أسس متينة وبرجال مؤمنين بالقضية ومزودين بالتكوين العسكري المناسب.²

حظيت المنظمة الخاصة إذن في زمن "بوداود" أكثر من أي وقت مضى بعناية فائقة وازداد الاهتمام بها والاستعداد لتطويرها بما يمكنها من فتح جبهة ثورية على الأراضي الفرنسية، وبما أن القناعة التي ترسخت في أذهان القادة منذ البداية قد تركزت على استخدام القوة لتحقيق الاستقلال، فقد عملوا على توفير الموارد المالية اللازمة لتسيير مختلف أوجه الكفاح الوطني خصوصا في الجانب العسكري³، بهدف تعزيز طرق وسبل التمويل والإمداد من جهة والحصول على العتاد العسكري المناسب والكافي لمواصلة العمل المسلح من جهة أخرى.

علم "بوداود" أن المنظمة الخاصة في هذا السياق كانت تستعين بخدمات لصوص مختصين في تهريب السلاح، والذين كانوا غشّاشين حيث يبعون مسدسات وأسلحة فاسدة وقديمة لا تصلح لإنجاح أية عملية، لذا سعى إلى ضبط إستراتيجية جديدة فتوجه إلى المغرب الأقصى للقاء "بوصوف" وشرح له ضرورة دعمه بفدائيين يملكون من البراعة ما يمكنهم من النجاح في تنفيذ العمليات الفدائية في الأوساط الحضرية، وبرمجة عمليات محددة ومضبوطة، فكان رد "بوصوف" إبرام اتفاق مع قائد مخيم التدريب في العرايش

1 نفسه، ص 125.

2 Boudaoud, op.cit, pp111- 112.

3 إسماعيل العربي، "صفحة من نشاط جبهة التحرير الوطني تدويل القضية الجزائرية"، مجلة الباحث، ع 03، الجزائر، نوفمبر 1985، ص ص

لتلقي عناصر المنظمة الخاصة المعنيون التدريب والتكوين المناسب، وكانوا يتوجهون إلى تلك القاعدة بمجموعات صغيرة عبر الحدود الإسبانية الفرنسية تجنباً للفت انتباه السلطات الفرنسية وحفاظاً على مبدأ السرية في العمل¹، وهذا ما يبين أن المغرب قد أخذ قاعدة أساسية ومحطة رئيسية لتدريب فدائيي ف.ج.ت.و بفرنسا عبر مسالك وطرق مختلفة وعلى فترات زمنية منفصلة.

كان اتصال "بوداود" بقيادة الولاية الخامسة المتمركزة في وجدة مثمراً جداً حيث نجح في تشكيل أفواج من الفدائيين وتكوينهم عسكرياً ثم إعادتهم إلى فرنسا للقيام بالمهام التي تم تكليفهم بها والتي كان معظمها ينتهي بالنجاح وتحقيق الأهداف المقصودة²، فأثبتوا بذلك براعة في تنفيذ العمليات الفدائية والمسلحة في مختلف المناطق الحضرية الفرنسية واستهداف العديد من المصالح الاقتصادية، وأخلطت بذلك أوراق مختلف الأسلاك والمصالح الأمنية الفرنسية رغم تفوق هذه الأخيرة من حيث التكوين والعتاد العسكري.

بعد نجاحه في تكوين الرجال لجأ "بوداود" إلى الاهتمام بمسألة التموين العسكري والحصول على الأسلحة الحديثة من مسدسات ومسدسات رشاشة والمتفجرات الموجهة خصيصاً للأهداف الاقتصادية، إضافة إلى بعض القنابل اليدوية، فتوجه على إثرها إلى القاهرة للقاء "أوعمران" العضو باللجنة التنسيق والتنفيذ والمكلف بالتموين والتسليح، وقد كلف "عمار حداد" الذي كان المسؤول عن العتاد في إدارته بتوفير متطلبات "بوداود" من الأسلحة بعد أن استعان بامرأة ألمانية استطاعت أن تشتري لهم خمسة آلاف قطعة من المسدسات في مدة خمسة عشر يوماً، وهكذا نجح أيضاً في الاستجابة لحاجيات المنظمة الخاصة من الأسلحة وبعث الفائض منها إلى الجزائر عبر سيارات مجهزة خصيصاً لنقل مثل تلك البضائع³.

بعد انتهاء قيادة الفدرالية في فترة "بوداود" من مد شبكاتها وتعبئة إمكانياتها المالية والمادية، ووضع نظمها وهيكلها شبه العسكرية، بدأ وقت التطبيق والتنفيذ للمهام على أرض الواقع بالاعتماد أساساً على "المنظمة الخاصة" "L'OS" التي ارتأت القيادة الجديدة تطويرها إلى هيكل عسكري خاص يحمل على عاتقه مهمة نقل الحرب إلى التراب الفرنسي بعد أن كانت مهمتها مقتصرة على القيام بهجمات ضد أهداف عسكرية واقتصادية محددة، وضد الأعوان الذين يباشرون أعمال القمع، وهكذا حملت القيادة الجديدة على عاتقها مهمة إعادة تنظيم المنظمة الخاصة وجعلها أكثر تنظيماً وفعالية، خاصة ما تعلق بطريقة عملها، فعمدوا إلى فصلها كجهاز عسكري عن المنظمة السياسية للفدرالية لتصبح "هيكلاً مستقلاً يمكنه القيام بعمليات منسقة وضخمة"⁴، وعلى هذا الأساس تم تقسيمها إلى ثلاثة فروع متكاملة فيما بينها حيث يتخصص الأول في العمل المباشر من خلال تخريب أهداف محددة، ويستهدف الثاني الخونة والعملاء

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 108.

2Guentari, op.cit, p603.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص ص 108 . 109.

4جريل، مرجع سابق، ص 80.

وأفراد الشرطة خاصة المتورطين منهم في أعمال القمع والتعذيب، في حين تكفل الفرع الثالث بالعتاد العسكري والاستعلام الميداني.¹

وهي من ستقود العمليات المسلحة التي استهدفت مصالح فرنسا الاقتصادية والسياسية والعسكرية لاسيما بعد 25 أوت 1958 والتي تطرقنا إليها في الفصل السابق.

* اصطيد المخبزين والخونة والقضاء على اللصوصية:

بتولي "بوداود" مهمة إعادة تنظيم المنظمة الخاصة على عاتقه ونجاحه في جعلها أكثر تنظيماً وفعالية، خاصة ما تعلق بطريقة عملها، شهدت الفترة الممتدة ما بين بداية سنة 1957 ومنتصف سنة 1958 تحولاً نوعياً في نشاطات المنظمة الخاصة لفدرالية جبهة التحرير بفرنسا من خلال تنفيذها لعدة عمليات استهدفت من خلالها شخصيات ومواقع فرنسية مدنية وعسكرية، إضافة إلى بعض الجزائريين المتخاذلين من الحركي والعملاء المتعاونين مع الاحتلال والمعرقلين بتواطئهم لأعمال الفدرالية أمثال "علي شكال" وغيره.

عمد إلى فصلها كجهاز عسكري عن المنظمة السياسية للفدرالية لتصبح "هيكلاً مستقلاً يمكنه القيام بعمليات منسقة وضخمة"²، وقد جاءت هذه الخطة لاجتناب الوقوع في حالات الخيانة أو التعامل مع الحركي الموجودين في باريس، بعد أن علم أن مصالح الشرطة تقوم بتوظيف عدد كبير منهم في الأوساط الإجرامية فتوجب على القيادة الجديدة حماية هذه الأوساط من كل جنوح إلى التعامل مع الشرطة عن طريق تنظيمهم في هيكلة مناسبة، ذكر تفاصيلها بقوله: "فرض علينا اللجوء إلى تنفيذ فكرة مفادها إنشاء تنظيم يخضع لرقابة ج.ت. وغير أنه يُسيّر من طرف أحد أفرادهم، وتكون مهمته التعبئة في ذلك الوسط، ما جعل الهيكل يشكل تنظيمًا مغلقاً على نفسه، وليست له أية علاقة بالمنظمة الأم، حيث يتم الاتصال في القمة فقط مع المسؤول المعين من طرف المنظمة السياسية للجبهة أما المدن الكبرى كباريس وليون ومرسيليا فكانت تتوفر على هياكل خاصة بها.. لقد أسفرت المبادرة عن نتائج جيدة حيث نجحنا في التوصل إلى الحد من عملية توظيف المخبزين المتواطئين مع الشرطة بعد أن وجدوا أنفسهم تحت الرقابة الصارمة من طرف الجبهة".³

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 165 . 166.

2 جريال، مرجع سابق، ص 80.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 109 . 110.

كتّفت ف.ج.ت.و رقابتها لهؤلاء الخونة بسبب ولائهم الكبير الذي كانوا يكتّونه للدولة الفرنسية وخضوعهم الكامل لتحقيق مصالحها مقابل امتيازات قليلة لا تتعدى مصالحهم الشخصية¹، لذلك أرغمتهم الجبهة على دفع اشتراكاتهم كاملة والخضوع للتعليمات الصادرة عنها إضافة إلى احترام الانضباط المفروض على كامل الجزائريين وأية مخالفة للأوامر سيجعلهم عرضة لعقوبات فرق الصّد التابعة للمنظمة الخاصة، مع العلم أن الجبهة كانت لا تلجئ إلى أسلوب العقاب إلا بعد إثبات الأدلة الكافية لخيانتهم، وقد ذكر "بوداود" في هذا السياق: "كنا نتعامل معهم حسب الأحوال التي يوجدون عليها... المهم أن يظلوا خاضعين لتنظيم محكم وأن لا تتمكن الشرطة من التلاعب بهم كما ألقت فعل ذلك من قبل، لهذا لم نكن مجبرين على القيام بعمليات معاقبة جذرية... ما جعل العديد منهم يغتنم الفرصة للعودة إلى أحضان الثورة والقيام بواجبهم اتجاه الوطن... لقد وصل الأمر ببعض العناصر المعروفة بسمعتها الكبيرة في مجال اللصوصية إلى التعقل وتفضيل مواصلة العمل النضالي في صفوف الجبهة مثل المدعوان "Vespa" و "Philippe" "le dingue" الذين أفلحوا نهائيا عن الأعمال الإجرامية بعد التحاقهم بالمنظمة وتحولوا إلى مناضلين مخلصين للقضية الوطنية في أواخر سنوات الحرب".²

4. تحسين ظروف المناضلين وتكوين إطارات للحصول على هياكل فعّالة:

* تحسين ظروف المناضلين في السجون:

سبق أن أشرنا إلى الظروف التي عاشها "بوداود" في مختلف السجون التي قضى فيها فترات من زهرة شبابه وقد عانى فيها الويل جرّاء السياسة الاستعمارية التعسفية والتجاوزات غير القانونية التي كانت ترتكب في حق المساجين الجزائريين، ومن هذا المنطلق فإنه كان يحس بمعاونة المساجين من المهاجرين الذين كانوا يقبعون في مختلف السجون الفرنسية، لذا عمل على توظيف خبرته المكتسبة إلى جانب استغلال منصبه القيادي كمسؤول أول عن الفدرالية في تحسين وضعية هؤلاء المعتقلين والاستفادة منهم بشكل أكبر في دعم سبل النضال الوطني.

بناء على زيادة التفاف المهاجرين الجزائريين بالثورة التحريرية واستجابتهم لأوامر الجبهة وتعليماتها، كتّفت السلطات الفرنسية من سياستها القمعية اتجاههم من أجل بثّ الخوف والرعب لديهم وإرغامهم على التراجع عن دعم الفدرالية، فما كان عليها سوى الرفع من عدد السجون والمعتقلات حتى اضطرت إلى فتح مراكز أخرى سمّتها "مراكز الاعتقال الإداري"، والتي ستفتنّ فيها بابتكار أساليب تعذيب عديدة نفسية وجسدية تحاول من خلالها التأثير على المساجين من جهة وعلى عائلاتهم وذويهم من جهة أخرى.

من هذا المنطلق عملت "ج.ت.و" على الرد على هذه السياسة وإعادة الاعتبار لكل مناضليها من المساجين وكذا لعائلاتهم وذلك بواسطة تقديم الدعم المادي والمعنوي لهم رغم أعدادهم الكبيرة حيث كانوا

1 بن يونس، مصدر سابق، ص 119.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 100 . 101.

يملئون السجون الفرنسية تاركين ورائهم أسراً وعائلات لا تملك من يعيلها ولا من يهتم بشؤونها، فقامت على هذا الأساس بإنشاء عدة لجان تتولى مساندة المعتقلين بإرسال حوالات مالية بشكل منتظم لفائدة عائلاتهم حتى التي كانت مستقرة في الجزائر، كما تقوم بزيارات تفقدية لأوضاع العائلات التي تعيش في فرنسا.

ذكر "بوداود" عن مساعي الفدرالية لتحسين أوضاع المعتقلين في السجون الفرنسية فقال: "كان المعتقلون يتلقون كل ما يحتاجون إليه من كتب ونقود لاقتناء ما يحتاجون إليه من مأكّل ووثائق والوسائل التي تساعدهم على الدراسة، وقد ضبطت قبل سنة 1957 مبالغ معينة قدرت بـ 5000 فرنك فرنسي قديم لكل معتقل 10 000 فرنك للمسؤولين، فقمّت بعد ترأسي للفدرالية بتوحيد مبلغ الإعانة للجميع وجعله 5000 فرنك، مع ضرورة تسليم المبلغ للمعتقل بإنشاء لجنة ممثلة لمجموع المعتقلين تنتخب من طرفهم والتكفل بالتوزيع العادل للمداخيل العامة".¹

يشير "بن يونس" أيضا إلى قيمة التعويضات التي كانت تقدم لعائلات المساجين والمعتقلين إلى حين الإفراج عنهم، بقوله: "كان التعويض الذي يُدفع للسجين يرتفع إلى 5000 فرنك لتلك الفترة بينما تصل نفقة الزوجة إلى 16000 فرنك التي يضاف إليها إمكّانا 2000 فرنك عن كل طفل²، وهذا ما يوضح حرص جبهة التحرير على كسب ثقة المساجين الذين لن يخشوا شيئا على عائلاتهم وهم بالسجن، لأن الأمر بالنسبة لها مسألة عدالة وقيام بالواجب³، كما شجّعت الفدرالية كذلك على تعزيز روابط الأخوة والتضامن بين المساجين لتحسين حالتهم النفسية من جهة حيث تنسيهم تلك الروابط ألم البعد عن الأهل، وزيادة القدرة لديهم على الصمود من جهة أخرى حيث يضاعف تشجيع بعضهم لبعض من تحمل كل أنواع التعذيب والتنكيل التي كانوا يتعرضون لها بشكل يومي.

لم يتوقف دعم الجبهة للمساجين عند هذا الحد بل أنشأت مجمعا للمحامين للدفاع عنهم وكشف ما كانوا يتعرضون له من معاملة قاسية تتنافى والقوانين الدولية، وكانت البداية من طرف الأستاذ "استيب" "Pierre .Stibbe" الذي كان يشرف على مجمع المحامين الليبراليين منذ عهد حزب الشعب و"ح.إ.ج.د" بالتعاون مع اللجنة الفدرالية للحزب، ثم تولى قرابة عشرة محامين آخرين يعملون تحت إشرافه الدفاع عن المناضلين الجزائريين لدى المحاكم الفرنسية بما فيهم قادة الثورة المعتقلين.⁴

بعد قيام الجمهورية الفرنسية الخامسة برئاسة "شارل ديغول" من جهة⁵، والعمليات الهجومية التي استهدفت فرنسا في 25 أوت 1958 ازدادت حملات الاعتقال الواسعة ضد المهاجرين الجزائريين وتم

1 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 119 . 120.

2 Benyounes, op.cit, p53.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 120.

4 عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرة، مذكرات سياسية...، مصدر سابق، ص 95 . 96.

5 Khalfa Mameri, Abane Ramdane le faux procès, 03^{ème} édition augmenté, Edition Mehdi, Tizi Ouzo, Algérie, 2007, p127.

اعتقال عدد كبير من المناضلين¹، فلم يعد في مقدور المحامي المذكور ومجمع المحامين الليبراليين الاستجابة لطلبات الدفاع عن كافة المعتقلين في السجون الفرنسية، ما جعل أعضاء فدرالية الجبهة يلتصقون منه توسيع مجتمعه ليشمل عدد آخر من المحامين اليساريين الذين عبروا عن تأييدهم للقضية الجزائرية منذ البداية حتى أنهم عرضوا مساعدتهم للدفاع عن المناضلين الجزائريين، غير أنه رفض ضم محامين جدد لم يشرف بنفسه على توظيفهم.²

كان هذا الرفض سببا في رفع اللجنة الفدرالية التحدي حيث قررت إنشاء "مجمع جزائري للمحامين"، في 19 أبريل 1959 يضم محامين جزائريين لا يقلون كفاءة عن نظرائهم الفرنسيين والأوروبيين، إذ تميزوا بقدراتهم الدفاعية خلال المرافعات وبطوعية واستعداد دائمين لتأدية المهام الموكلة إليهم بكل تفان³، وعلى رأسهم "عبد الله عبد الصمد"، "مراد أوصديق"، "مقران ولد عودية"، وغيرهم، وقد تكفل "بشير بومعزة" بالمهام المتعلقة بالعلاقة مع مجمع المحامين، وبتقديم الدعم للسجناء، ثم عوضه مناضل آخر تكفل بتنظيم مهامها بشكل أكثر دقة وهو "أبو بكر بلقايد"⁴، بعد إلقاء القبض عليه، غير أنه لم يلبث طويلا حتى لقي نفس مصير "بومعزة" ليم تعويضه من طرف "حسين مهداوي" إلى غاية 1962، وقد أصبح هذا المجمع تناب لـ"علي هارون" ابتداء من 1960.⁵

كونه تجمعا جزائريا لم يضم محامين جزائريين فقط بل تكوّن من محامين فرنسيين وبلجيكيين كانوا مقتنعين بعدالة الثورة الجزائرية ووجوب نصرتها، فثبتوا في الدفاع عن المعتقلين الجزائريين وطالبوا السلطات الفرنسية بالاعتراف بوجود نزاع مسلح في الجزائر كمستعمرة فرنسية وليست أرضا أو إقليما فرنسيا، ومن ثم يتوجب عليها الاعتراف للسجناء والمعتقلين الجزائريين في سجونها بصفة المحاربين وليسوا فرنسيين متمردين عسكريا ضد فرنسا⁶، ما زاد من تهكم الصحافة اليمينية على مواقفهم ومطالبهم، ورغم ذلك فإن هذا المجمع قد ذاع صيته في فرنسا والبلدان المجاورة لها وكان لمحامييه دور كبير في الدفاع عن القضية الجزائرية بشكل عام وعن السجناء والمعتقلين الجزائريين بشكل خاص بإتباعهم قواعد جديدة وأساليب حديثة تتكيف وتطور الأوضاع الاستثنائية آنذاك.⁷

* تكوين إطارات قيادية للحصول على هياكل فعّالة:

1Benyounes, op.cit, p136.

2عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 121.

3Haroun, op, cit, p 175.

4أبو بكر بلقايد: تقلد بعد الاستقلال العديد من المسؤوليات الوزارية، هو من قدّم اقتراحا على كبار المسؤولين في الدولة الجزائرية بدعوة محمد بوضياف للدخول إلى الجزائر أثناء الأزمة في جانفي 1992= انظر. Benyounes, op.cit, pp58-59.

5عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 121.

6 جاك فرجاس، جرائم الدولة الكوميديا القضائية، مصدر سابق، ص 214. 215.

7عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 122.

لتعزيز الفدرالية بإطارات قيادية مكونة على مستوى عال، عمل "بوداود" على مواجهة الأمية التي كانت منتشرة ومستفحلة في أوساط المهاجرين الجزائريين بفرنسا، ورفع مستواهم التعليمي الذي كان متواضعا جدا، مع تعميم هذه المبادرة لتشمل أكبر عدد ممكن منهم، لتعويض الفراغ الكبير الذي تتعرض له صفوف المناضلين بعد حملات الاعتقال الواسعة المتواصلة كالتي وقعت في أوت سنة 1958 على إثر العمليات الحربية التي شملت جل التراب الفرنسي، ومن هذا المنطلق جاءت فمرة إنشاء مدرسة للإطارات تتكفل بمهمتي التعليم القاعدي الهام والتكوين الجيد الضروري¹، وكان الهدف الأسمى هو تكوين جالية جزائرية تستطيع فهم قيم النضال وسبلها المؤدية إلى التحرر.²

تم إنشاء المدرسة في بداية سنة 1959 في مدينة "هاغن" "Hagen" بـ "واستفاليا" "Westphalie" الألمانية بمساعدة سخية من أصدقاء الثورة في الشبيبة الاشتراكية الألمانية "Die Falken"، الذين وضعوا هذا المقر كمحل خاص باجتماعاتهم تحت تصرف الفدرالية لإنشاء هذه المدرسة، وكانت هذه الأخيرة تحت إدارة "منجي"، أما مهمة التدريس فيها فقد أسندت أساسا لأعضاء لجنة الصحافة والإعلام وهم كل من "علي هارون"، عبد الكريم شيتور، بلقاسم بن يحيى، "زين العابدين"، "منجي" و"حسين بوزاهر" المدعو "سليم"، وقد قام كل منهم بتحضير درس حول موضوع معين ثم جمع الكل في كتيب يحتوي مجموعة المعارف التي يطلب من المتعلم الحصول عليها طيلة فترة التربص لمدة شهر، كما كان لهم الحق في حضور الدروس وتقديم التوضيحات التي يرونها ضرورية في مجال اختصاصهم، وقد لعب "بوداود" فيها دور أستاذ في التاريخ حيث كان يشرف على تقديم عرض عن تطور تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وح.ش.ج إلى ح.إ.ح.د وصولا إلى ميلاد "ج.ت.و".³

كان التكوين ذو فعالية عالية حتى أن مناضلي القاعدة المتكويين أصبحوا بعد انتهاء تكوينهم أكثر اطلاعا من قادتهم وقادرين على تحمل مسؤوليات كبيرة، وابتداء من الدفعة الثانية تغيرت طريقة تعيين الأعضاء المرشحين لمتابعة التربص، واستدعائهم وفق مقاييس تدرج في اعتبارها المستوى الذي يشغله المرشح في سلم المسؤوليات، مما ساهم في تطوير مستوى إطارات الفدرالية، وزيادة النشاط والفعالية في أوساط المتربصين فقد كانت مدة التربص عملا مكثفا في الصباح ومشاركة دائمة بنشاطات وندوات في المساء بعد أن أصبحت لهم كفاءة تمكنهم من رفع التحديات اليومية.⁴

اعتمدت الفدرالية في تكوين المتربصين إلى اعتماد نظام السرية التامة في جميع المستويات، فقد كان المتربصون على جهل تام بأية معلومة تتعلق بمدرسيهم، حيث يذكر "بوداود" في هذا الصدد قوله: "كانوا

1 نفسه، ص ص 115 . 116.

2 الأمين شريط، مرجع سابق، ص 09.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 116.

4 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص ص 116 . 117.

يجهلون أسمائنا ومسؤولياتنا داخل التنظيم، لأن الروح التي كانت سائدة في المدرسة هي التفاهم من أجل التوصل إلى استعادة الهوية المفقودة، والجميع كان يرحب بكل شخص تطوع للكفاح من أجل استقلال الجزائر، كما كانوا مجتمعين على كسب تأييد النخب الأوروبية وجعل ج.ت.و تضم في صفوفها فئات بشرية متعددة، من ديمقراطيين، مسيحيين، يهود، ملحدين، ووطنيين من مختلف البلدان، وإرساء قواعد لجزائر متسامحة مستقبلا تكون غيرة بقيمها لكنها متفتحة على التقدم والعصرية.¹

5. دوره في تنظيم المساهمة المالية للفدرالية ومهامه في المجلس الوطني للثورة:

* دوره في تنظيم المساهمة المالية للفدرالية

لعبت الفدرالية دورا بارزا في تمويل العمل الثوري وضمان استمراره حيث كانت بمثابة البنك الرئيسي لنشاطات الحكومة الجزائرية المؤقتة والخزينة التي تمّولها كونها كانت تغطي أزيد من 80% من ميزانية سيرها، وجعلتها بذلك حرة وفي وسعها التصرف دون ضغوط خارجية، فهي لم تكن تحت تأثير الحاجة التي تجبرها على الانهزام أو ملزمة بقبول إعانات مالية مشروطة من أي طرف كان، بل كانت قادرة بفضل تلك الأموال من تلبية مستلزمات الكفاح بكل حرية وسن سياستها الخاصة بها دون تدخل الممولين الساعين لتحقيق مصالحهم، إضافة إلى مساعدتها على تبني سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز للمعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي.²

نجحت فدرالية الجبهة في تنظيم عملية الدفع لهذه الاشتراكات خلال فترة لبحاوي التي سبقت فترة "بوداود" حيث كان "لبحاوي" قد أرسل رسالة إلى "عبان" ومسؤولي الولايات داخل الوطن شرح لهم فيها الفوضى التي كانت سائدة في دفع المهاجرين لمساهماتهم المالية للفدرالية³، ولتنظيم العملية وجعلها أكثر دقة ومصدقية ارتأت اللجنة الفدرالية لأن تصبح هي من تتولى بنفسها جمع وتحويل هذه الأموال والاشتراكات عن طريق تحويل القسط الأكبر منها إلى سويسرا ومنها إلى مقر الحكومة المؤقتة في مصر، أما الباقي فيتم دفعه في أوروبا كمصاريف لنقل هذه الأموال وتسديد نفقات مكاتب جبهة التحرير في مدن بون وجنيف وروما من جهة، ومساعدة السجناء الجزائريين في سجون فرنسا ودفع نفقات المحامين من جهة أخرى، إضافة إلى دفع تكاليف السفر للمناضلين المهددين بالاعتقال والتوقيف والمُتابعين قضائيا من طرف السلطات الفرنسية⁴، وعلاوة على ذلك كانت هناك مبالغ من جملة الأموال يتم تحويلها إلى جيش التحرير الوطني في الجبال في مختلف ولايات الوطن رغم صعوبة وسائل الاتصال في التراب الوطني.⁵

1 نفسه، ص 117 . 119.

2 نفسه، ص 186 . 187.

3 لبحاوي، حقائق حول الثورة، مصدر سابق، ص 93.

4 بزيان، دور الطبقة العاملة...، مرجع سابق، ص 70.

5 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 187.

أشار "هارون" بدوره إلى مطالبته بضرورة اعتماد نظام شامل يضمن التنسيق التام بين الجزائر وفرنسا في جمع الاشتراكات في الوقت المناسب وحسب حالة وظروف المهاجرين، وذلك بهدف تجنب التداخل بين صلاحيات ومهام فروع الجبهة وهيكلها، وفي هذا السياق أورد بعض ما جاء في رسالة رفعتها الفدرالية سنة 1960 إلى ح.ج.م: "...إلى الأخ وزير الداخلية، لازال مناضلونا في فرنسا يتلقون رسائل من البلاد من مختلف القطاعات ومراكز جيش التحرير تطلب منهم دفع الاشتراكات، لقد طلبنا منكم العديد من المرات التدخل لدى قيادة الأركان لوضع حد لهذه المشكلة..."¹، خاصة أمام مساعي الرئيس الفرنسي "ديغول" لفصل الداخل عن الخارج وتكثيف مناوراته السياسية والعسكرية لتحقيق ذلك طيلة سنوات 1958 و1959.²

يذكر "بوداود" أنه قد طرح حلا يضع حدا للصعوبة التي كانوا يجدونها في إيصال تلك الأموال للولايات في الداخل وذلك أثناء دور المجلس الوطني للثورة التحريرية في طرابلس سنة 1960، عن طريق وضع شبكات متخصصة لتحويل الأموال، فكانت هذه الطريقة فعالة في ضمان وتسهيل وصول الأموال دون عناء كبير مثلما كان عليه الأمر سابقا، حيث كان قائد الولاية المعنية يسلم وصلا يثبت تسلم المبلغ فور قبضه، ثم يوجه هذا الوصل إلى الوزير مع الاحتفاظ بنسخة منه في أرشيف الفدرالية ويتم بعدها تحضير محضر للحكومة المؤقتة بحجم المبالغ المدفوعة والمستلمة³، وكانت الحكومة تخصص 10% من تلك الاشتراكات في مصاريف نقل هذه الأموال إلى خارج فرنسا ومساعدة السجناء وعائلاتهم وتنقلات المناضلين إلى كل من تونس والمغرب.⁴

وهكذا أصبح تمويل جزء كبير من حاجيات الولايات الجزائرية من صلاحيات الفدرالية التي كانت تقوم بعدة دفعات تتراوح ما بين 200 إلى 300 مليون فرنك، وكانت المبالغ تدفع نقدا إلى مختلف مناطق البلاد، وتصل إلى مختلف مناطق الاستلام المحددة من طرف الولاية، فالنسبة للولايات الأولى والثانية فإن الأموال كانت تصل إلى سطيف، عن طريق الأستاذ "سرفاتي" الذي لعب دور الوسيط الذي يقصده المراسل، وبالنسبة للولاية الثالثة فإن المبلغ المتفق عليه كان يصل إلى مقر الولاية، وهكذا كان الشأن بالنسبة لباقي الولايات في الوطن.⁵

واجه "بوداود" طيلة فترة قيادته للفدرالية صعوبات جمة استطاع بحنكته وخبرته السياسية والعسكرية مواجهتها والحفاظ على استقرار الفدرالية وزيادة حيويتها، فمن جهة ظل مناضلوها دوما تحت رحمة الشرطة الفرنسية المطاردة لهم في كل وقت وحين، ومن جهة ثانية التصفيات الجسدية التي كان يقوم بها المصاليون

1 نفسه، ص 409.

2 Henri le Mire, Histoire militaire de la guerre d'Algérie, édition Albin Michel, Paris, 1982, p 403.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 187.

4 بزيان، دور الطبقة العاملة في ثورة أول نوفمبر...، مرجع سابق، ص 33.

5 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 187 . 188.

والتي أحدثت كارثة حقيقية في صفوف المناضلين على المستوى القاعدي، إضافة إلى عقليات حب السلطة لدى بعض المركزين الملتحقين حديثا بالفدرالية، وكذا عناصر أخرى قادمة من مختلف الأحزاب الذين كان همهم الوصول بأية طريقة إلى تقلد مسؤوليات هامة، ما جعل "بوداود" عازما بشكل دائم على مواجهة تلك المنافسة الخطيرة التي لا طائل منها، وقد نجح بالتحكم فيها بأقل الخسائر، والمحافظة على انسجام الفدرالية والتركيز على الهدف الرئيسي والأسمى وهو استرجاع السيادة الوطنية والحربة المسلوبة وجعل الاستقلال الوطني أمرا واقعا.

واجهت الفدرالية في السياق ذاته استمرار النزعة القبلية والولاء للقبيلة أكثر من الوطن فعملت على تنمية وزيادة الوعي الوطني والقومي من خلال إقناع الجميع بأن وحدة التراب ووحدة الشعب لا يمكن تقسيمها، ومحاربة الخصوصيات المحلية والعلاقة التي تشد الفرد إلى قريته وقطع الصلة بهذا الأخيرة بشكل حازم، وقد نفذت هذه المهمة بمشقة كبيرة حيث لم يكن إعادة تغيير أو تعديل القنوات أمرا سهلا، لذا كثفت جهودها على بعث الروح الوطنية وفتح آفاق كفاح مشترك يهدف إلى تحقيق استقلال البلاد، وهذا ما أشار إليه "بوداود" بقوله: "كانت الولاية السابعة تشتمل على خصوصيات تميزها، كونها لم تكن تعمل في جزء من أرض الوطن غير أن نشاطها كان يشمل في قيادة موحدة، كافة الجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا وبأوروبا... ولم تكن متوفرة على تراب خاص بها غير أنه التراب الذي كانت تعمل فيه مثل رقعة ضمت كافة الجزائريين من مختلف مناطق البلاد، كان عليها أن تعكس صورة ودية ومتجانسة للمهاجرين المقيمين في فرنسا، صورة تذوب فيها الحساسيات الجهوية وتنصهر في قلب واحد هو قالب فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا".¹

* دوره في المجلس الوطني للثورة في طرابلس 27 ماي . 04 جوان 1962:

اتخذ "بوداود" موقف الحياد الإيجابي من الصراع الذي كان قائما بين الحكومة المؤقتة وقيادة الأركان فلم يمل لأي طرف، وحاول في الوقت نفسه التوفيق بين الطرفين المتنازعين بسبب مخاوفه من الوقوع في خطر انهيار مؤسسات الثورة، كما أنه لم يكن لديه أي طموح إلى السلطة أو منافسة المتنازعين عليها.

تشكل المجلس الوطني للثورة الذي تم انتخابه من أجل الإشراف على سير المناقشات في طرابلس من ثلاثة أعضاء هم "محمد الصديق بن يحيى"، "عمر بوداود"، و"علي كافي" مساعدين، من أجل تولي مهام السلطة، وتحديد صلاحية تقرير مصير البلاد المستقلة حديثا والتي كانت تشهد الأعمال التخريبية لمنظمة الجيش السري الإرهابية، وقد تضمن جدول أعمال الاجتماع نقطتين أساسيتين هما مناقشة برنامج ج.ت.و، وتعيين قيادة للجبهة.²

1 نفسه، ص 192 . 193.

2 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 229 . 230.

اتّضح للجميع فور افتتاح الدورة خطورة الانقسام الذي كان موجودا بين أعضاء الحكومة وبين الوزراء الخمسة الذين يشاركون لأول مرة في أعمال المجلس الوطني للثورة، وأصبح الجميع على إثر ذلك يعلم بصراع الحكومة مع هيئة الأركان نظرا لاختلاف المصالح بينهما، وفي ظل تلك الظروف المتأزمة ازدادت حدة الفوارق بينهما حتى أصبح خيار المواجهة المسلحة بينهما أمرا واردا، وقد عبّر عن تلك الفوضى بقوله: "ازدادت الأمور تدهورا أمام ضجيج الشتائم والعنف الكلامي وعدوانية المساءلات بين مختلف الأعضاء... حاولت تهدئة الأجواء، وإزاء استحالة استعادة الهدوء رغم دعاواي إلى التعقل شعرت بأننا قد وصلنا إلى حالة تهدد بحدوث دراما، خاصة وأنه قد وجد من الحاضرين من كان متصفا بهوس الاستمساك بسلاحه، قررت على إثرها وضع حد للمناقشات وتعليق الجلسة... وخرجنا من الاجتماع بشكل فوضوي... وهكذا افترق المجلس الوطني للثورة دون الحسم في أمر تعيين قيادة سياسية، وستواصل الأمور خارجا عن المؤسسات الشرعية لـ ج.ت.و، حيث غادرت الأغلبية طرابلس بين من عاد إلى تونس، ومن عاد إلى داخل البلاد، وعدنا بدورنا إلى فرنسا".¹

في ظل تصاعد السباق نحو السلطة السياسية ظل "بوداود" على غرار باقي أعضاء الفدرالية بفرنسا محترما للشرعية المحددة من طرف نصوص ج.ت.و ورفضاً للوقوف مع أي طرف من أطراف الصراع، حيث يذكر في الصدد: "لقد كنا نحن ممثلي فدرالية فرنسا نأمل أن توضع السلطة بشكل قانوني بين أيدي مسؤولين منتخبين من طرف الجميع، ما دام الاستقلال قد تم الحصول عليه بفضل كفاح الجميع... لقد رفضت الفدرالية الاستجابة للعروض المتمثلة في التعاون مع سلطة لم تنبثق في رأينا عن إجراءات مطابقة للقوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني... كنا ببساطة ناس يحرسون على احترام القواعد التي صادقت عليها الجبهة بكل حرية أثناء مؤتمرها الثالث، كنا نعبر عن وفائنا للشرعية الثورية، وبصفتي مسؤولا عن الفدرالية ثم عضوا دائما في مكتب المجلس الوطني للثورة فقد كان من واجبي أن أحرص على تطبيق نصوصه القانونية".²

دفعت الفدرالية ثمن موقفها ووفائها للامشروط لشرعية ج.ت.و، بالرغم من اعتبارها ولاية مكتملة الوظائف منذ ديسمبر 1959 وبالتالي من حقها التمتع بستة عشر مقعد في المجلس التأسيسي شأنها شأن باقي الولايات التاريخية، إلا أن المكتب التأسيسي الذي تم تنصيبه في تلمسان قام بشطبها من القوائم الانتخابية، وهكذا وجدت الجالية الجزائرية نفسها مقصية ومحرومة من أية مساهمة في أول برلمان في الجزائر المستقلة رغم كل تضحياتها وجهودها النضالية، وفي أكتوبر تم حل الفدرالية وخلت الجماعة الجزائرية المهاجرة مرحلة جديدة تحت إشراف "ودادية الجزائريين في فرنسا".³

1 نفسه، ص ص 232 . 233.

2 نفسه، ص ص 234 . 235.

3 عمر بوداود، خمس سنوات على رأس فدرالية فرنسا...، مصدر سابق، ص 239.

أمام احتدام الأطماع في السلطة عقد "بوداود" ورفاقه من أعضاء الفدرالية الحيلولة دون اللجوء إلى السلاح لإنهاء الصراع المحتدم على السلطة، وتجنب تكليف الشعب الجزائري متاعب هذه المحنة التي ستتحول إن حدثت إلى حرب أهلية ستبدي للعالم مشهدا مهينا عن تناحر التاريخيين بعد أن تبخرت آمالهم في تطبيق الشرعية، وتؤكد للجميع أن الحسم في القضية سيكون لموازين القوى في نهاية المطاف، وحدثت معطيات جعلت الخرق يزداد اتساعا بسرعة وأصبحت معظم الأوراق الراححة بين أيدي مجموعة المسماة بـ "جماعة تلمسان" بعد أن ضمت في صفوفها جيش الحدود والعديد من الشخصيات التاريخية المرموقة مثل "بن بلة"، "خير الدين"، "بومنجل"، "عباس"، "بومنجل"، "خير الدين" وغيرهم.¹

كان الشعب الجزائري يجهل تفكك أوامر "ج.ت.و" حيث كان منغمسا برمته في فرحة الاستقلال المسترجع وسط فرحة منقطعة النظير، حتى أنه لم يصدق الصحافة الفرنسية التي كانت تتحدث عن تلك الانقسامات واعتبرها مجرد دعاية استعمارية كاذبة هدفها إفساد صفو السعادة بالحرية المستعادة، غير أن الدراما لم تلبث أن انفجرت بعد أن اصطف إخوة الكفاح في السابق لمواجهة بعضهم البعض بالسلاح وهو ما دفع بالشعب إلى النزول إلى الشوارع تحت صيحات "سبع سنين بركات" بمعنى أنه لم يعد يطيق المزيد من إسالة الدماء، وقد ترجم هذا الشعار مشاعر شعب وصل إلى أقصى حدود الإرهاق.²

ساهم "بوداود" في الحياة السياسية للجزائر المستقلة بتوليته العديد من المناصب منها نائب في المجلس الوطني للجزائر الأول والثاني سنة 1962، إلى غاية استيلاء "بومدين" على السلطة مما تسبب في تجميد كل نشاط في الجمعية العامة، ثم عضوا في اللجنة المركزية لحزب ج.ت.و سنة 1964، وعضوا في مكتب تنفيذي خلال فترة حكم "بومدين"، أما في عهد الرئيس "بن جديد" وفي ظل الانفتاح الديمقراطي والتعددية الحزبية التي عرفت فترة حكم الرئيس الجديد فقد أصبحت لـ "بوداود" عدة مساهمات في العديد من المؤتمرات التي تعقدها المنظمة الوطنية للمجاهدين كالذي عقد في "بن عكنون" سنة 1990، ثم تم انتخابه مسؤولا عن اللجنة الوطنية لمنح الشهادات البلدية للمساهمين الفعليين في الثورة التحريرية وممثلا للولاية السابعة في المجلس الوطني.³

قدم "عمر بوداود" حياته كلها خدمة لوطنه، وأفنى زهرة شبابه في الكفاح من أجل جزائر حرة ومستقلة، ليعيش أبنائها الرفاهية الاجتماعية ويتنفسون عبق الحرية، وظل متمسكا بهذا المبدأ طيلة حياته قبل وبعد الاستقلال، وفي يوم السبت 10 ماي 2020 انتقل إلى جوار ربه عن عمر ناهز 95 سنة، والتحق ببقية رفاقه في الكفاح الذين سبقوه إلى جنان الفردوس الأعلى رفقة الأنبياء والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

1 نفسه، ص 235 . 236.

2 نفسه، ص 237.

3 نفسه، ص 239 . 240.

مثّلت شخصيات "مشاطي"، الوانشي "وبوداود" نماذج فذّة من الشبّان الجزائريين الذين وقفوا بكل ما يملكون من إمكانيات في وجه السيطرة الكولونيالية، حيث رسموا مسارهم النضالي في سن مبكرة بمشاركتهم في الحياة السياسية في الجزائر وكفاحهم ضمن أهم أحزاب الحركة الوطنية . ح.ش.ج . ومواكبتهم للتطورات التنظيمية التي تعرّض لها، حتى تأسيس "ج.ت.و" واندلاع الثورة التحريرية الكبرى.

ثم استمر نضالهم الوطني طيلة فترة الثورة التحريرية في أرض الوطن وبعدها على الأراضي الفرنسية، التي تم تعيينهم فيها مسؤولين عن "ف.ج.ت.و" بفرنسا، ورغم كل ما عانوه من مضايقات وتهديدات الشرطة والأسلاك الأمنية داخل السجون وخارجها، إلا أنهم ظلّوا صامدين في وجه الاحتلال وكل العراقيل إلى غاية انتهاء الحرب وتحقيق الهدف الأسمى لهم وهو استرجاع الحرية واستقلال الجزائر سنة 1962، ولم يكتفوا بذلك بل واصلوا النضال بعد استعادة السيادة الوطنية من أجل بناء الدولة الجزائرية الحديثة التي لطالما حلموا بها، فتولّوا العديد من المهام التي قدّموا من خلالها تجاربهم وخبراتهم في التسيير، وتكريس كرامة الشعب الجزائري وحرّيته، وكيفية إرساء ديمقراطية حقيقية قادرة على بعث الطاقات الحيّة في البلاد التي تضمن الازدهار والرفي في جميع المجالات لكافة أفرادها ومواطنيها.

الفصل

الخامس

. الفصل الخامس:

الشخصيات العسكرية المهاجرة إلى فرنسا وإسهاماتها في الثورة التحريرية.

المبحث الأول: محند آكلي بن يونس المدعو "دانيال". "Mohand Akli Ben Younes" dit "Daniel"

المطلب الأول: التحاقه بالثورة التحريرية وتعزيزه نفوذ "ج.ت.و" بفرنسا

المطلب الثاني: دوره في هيكلة فئات الجالية الجزائرية بفرنسا

المطلب الثالث: دوره في دعم عصب الحرب ماليا وبشريا

المطلب الرابع: مساهمته في إنجاح إستراتيجيات الثورة السياسية والعسكرية بالمهجر

المطلب الخامس: أهم مسؤولياته الثورية في فرنسا

المطلب السادس: حياته بعد الاستقلال سنة 1962

المبحث الثاني: عبد الرحمن مزيان شريف المدعو "علاوة" Abderrahmane Meziane Cherif "Alaoua" dit "

المطلب الأول: المولد والتنشئة الاجتماعية

المطلب الثاني: مجازر 8 ماي 1945 وأثرها في نمو وعيه السياسي

المطلب الثالث: حياته بعد الهجرة إلى فرنسا

المطلب الرابع: التحاقه بصفوف الثورة التحريرية على الأراضي الفرنسية

المطلب الخامس: دوره في العمليات العسكرية 25 أوت 1958

المطلب السادس: مسيرته النضالية في السجون الفرنسية

المبحث الثالث: محمد غفير المدعو المدعو . موح كليشي "Mohammed Ghafir" dit. "Mouh Khicuy"

المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الجزائر وهجرته إلى فرنسا

المطلب الثاني: اعتقاله والانتهاكات المنتهجة ضده

المطلب الثالث: حياته الجديدة في السجن

المطلب الرابع: كفاحه ونضاله الثوري في فرنسا

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال وإسهاماته في واجب الذاكرة.

المبحث الأول: محند آكلي بن يونس المدعو "دانيال"

المطلب الأول: التحاقه بالثورة التحريرية وتعزيزه نفوذ "ج.ت.و" بفرنسا

1. التحاقه بالثورة التحريرية :

ولد "محند آكلي بن يونس" في 13 نوفمبر 1936 بعين الحمام التابعة لولاية "تيزي وزو"، ناضل من أجل القضية الوطنية منذ نعومة أظفاره في مسقط رأسه بـ "تيزي وزو"، ثم في فرنسا التي هاجر إليها لمساعدة والده في تسيير شؤون تجارته ببلدية "سانت دوني" "Saint Denis" بالضاحية القريبة من باريس ثم بحي باريس في الدائرة 18 للعاصمة الفرنسية، ليتلحق على إثرها مباشرة بـ "ج.ت.و" مستفيدا من تجربة والده النضالية في الحركة النقابية، ونظرا لكفاءته العالية ونشاطه الفعال في النضال أصبح "أكلي بن يونس" عضوا نشطا في شبكة "ج.ت.و" التي كانت لا تزال حينها في طور التكوين من جهة، وفي خضم المعارك الطاحنة مع الجماعات المصالية من جهة أخرى، واستمرت معركته النضالية الطويلة في الكفاح من أجل استقلال الجزائر طيلة فترة تواجده في فرنسا.

كانت مشاركة "بن يونس" فعّالة منذ البدايات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية، فرغم صغر سنّه الذي كان لا يتجاوز 18 سنة إلا أنه التحق بوالده مباشرة يوم اندلعت الثورة بضواحي باريس وبالضبط في بلدية "سانت دوني" "Saint Denis"، وانضم إلى صفوف ج.ت.و من دون أي تردد، وعلى إثرها مُنح اسما ثوريا مستعارا هو "عبد الله أو "دانيال" "Daniel"، ونظرا للكفاءة العالية التي أظهرها في النضال خلال فترة وجيزة فإنه قد تقلّد العديد من الرتب، وارتقى فيها بدءا من كونه مناضلا بسيطا وصولا إلى قائد على منطقة "ليون" وضواحيها، ثم تمّ تعيينه مسؤولا مستقفا على ولايات فرنسا، وبقي ينشط في هذا الإطار دون أن يغادر إقليم فرنسا أبدا، ولم يضطلع بكل المسؤوليات فحسب بل جاب البلاد الفرنسية كلها بحكم تعييناته ومهامه دون كلل أو ملل فقد ساهم بشكل مباشر في نشاط وتعزيز خلايا وهيئات ج.ت.و، وهذا ما يسمح لنا بوصفه بـ "شاهد العيان ذي الإمتياز، والمناضل المخضرم الفعال".¹

كغيره من بقية المهاجرين علم "بن يونس" بخبر انطلاق الثورة في الجزائر عن طريق الصحافة الفرنسية التي كانت تعلق على الأحداث الواقعة على أنها عصيان مدني مسلح، يشرف عليه مجموعة من المتمردين الخارجين عن القانون والذين يملكون جميعا سوابق عدلية، وهو ما أكّده الحاكم الفرنسي العام بالجزائر "روجي ليونارد" في تصريحه عندما قال: "أن ما يحدث في الجزائر لا يعدو أن يكون عملا إجراميا قامت به عصابات إجرامية"²، في محاولة فرنسية يائسة لتشويه صورة الثورة وسمعة مفجريها أمام الرأي العام الفرنسي والعالمي.

1Mohand Akli Benyounes, op.cit,p 16.

2مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر...، مرجع سابق، ص96.

غير أن "بن يونس" ورفاقه كانوا يعرفون تماما أن هؤلاء المتهمين بأبشع الصفات هم أشخاص شرفاء ووطنيون حتى النخاع لم يرتكبوا أية جريمة، بل هم بصدد الدفاع عن حق بلادهم وشعبهم في الحرية والاستقلال والعيش في أمن وسلام.

وكذلك الشأن بالنسبة للرأي العام الجزائري بما فيه الجالية الجزائرية بالمهجر، فرغم أن القليل منهم من فهم حينها مدى مقاصد بيان أول نوفمبر 1954 الذي أعطى ميلادا لـ"ج.ت.و." وأعلن اندلاعا للكفاح المسلح ضد الاستعمار، إلا أنه كان حسب "بن يونس" يعلم علم اليقين أن هؤلاء الذين تصفهم الصحافة الفرنسية بتلك الأوصاف القبيحة هم أشخاص عقلاء وشرفاء لم يرتكبوا أية جريمة، وأنضحت الأمور لهم وزاد وعيهم بعدالة القضية الجزائرية، وبضرورة الانضمام الفوري إلى صفوف "FLN" داخل وخارج الوطن باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.

نظرا للتصعيد الكبير الذي كانت تقوم به "ح.و.ج" في فرنسا وسعيها الحثيث لكسب تأييد الجزائريين لصالحها، مدّعية أن جيش التحرير الوطني تابع إلى قيادتها ويتحرك تحت إمرتها وهدفها من ذلك هو الاستيلاء على الثورة من خلال إقناع المهاجرين بأنها من قام بتفجيرها، ومن أجل وضع حد لهذا الغموض الذي كان يوشك أن ينتشر واسعا بين أوساط المهاجرين ويربكهم إزاء تطورات الوضع قرر "بن يونس" ورفاقه في النضال إرسال مبعوث إلى المنطقة التي ينحدر منها "عين الحمام" ويدعى "حسيني سي الطيب" وهو مناضل سابق في ح.إ.ح.د من أجل التأكد من حقيقة الأوضاع السائدة في الجزائر، وكان ذو أخلاق عالية وجدّية كبيرة في العمل جعلته محل ثقة الثورة، وهذا ما أكدّه بقوله: "كلفناه بمهمة الاتصال بعمار آيت الشيخ وهو أحد أعيان المنطقة الذي يحظى باحترام الجميع ليفيده بالوضع السائد... وباعتبار مبعوثنا جاد في عمله وذو أخلاق عالية فقد وضعنا ثقتنا فيه لتنفيذ هذه المهمة وإفادتنا بحقيقة ما يجري في بلدنا الجزائر".¹

جاء هذا الإجراء في الوقت الذي كثّف فيه مصالي وأتباعه من محاولاتهم الاقناعية بمسؤوليتهم عن الثورة، معتبرين أن حركتهم الجديدة تعد استمرارا للتنظيمات الاستقلالية التي كان يتزعمها سابقا، وأنه قد قام بحملة تطهير لها ممن سماهم بالخونة وحلفاء الاستعمار الجديد، كونهم مناوئين للثورة وأغلبهم من أعضاء اللجنة المركزية، مؤكدا أن حركته الجديدة هذه ليست معادية للثورة بل هي معادية لـ"ج.ت.و."²، من هذا المنطلق أراد "بن يونس" ورفاقه فهم مجريات الأحداث والتأكد من حقيقة الأوضاع ومن ثم إفهام باقي المناضلين في الداخل والخارج.

1Benyounes, op.cit, pp15 – 16.

2رابح لونيسي، تحولات الحركة المصالية وتفسيرها، ملتقى إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص127.

لتسهيل مهمة الانتقال من وإلى الجزائر تكفل أحد التجار المدعو "يويو إيدير"¹ الذي كان يقطن بسانت دوني وهو ذو أصول قبائلية حيث ينحدر من دشرة "تاكّا" الواقعة بدوار "آيت يحيى" ببلدية "عين الحمام"، بدفع كل نفقات السفر للمبعوث "حُسيني" ذهاباً وإياباً، وهنا يبرز جلياً أهمية تمركز المهاجرين الجزائريين في فرنسا حسب أصولهم في الجزائر حيث ساعدهم ذلك في معرفة خصوصيات كل منطقة في الجزائر وعادات وتقاليد سكانها وزيادة فرص التضامن والتآزر والتكافل فيما بينهم في ديار المهجر، والحرص على الحفاظ على الطابع الاجتماعي الذي تتميز به مختلف المناطق الجزائرية.

وفي هذا الصدد يذكر "بن يونس" أنه في بداية 1955 أي في البدايات الأولى لاندلاع الثورة كان البعض من المهاجرين الجزائريين بـ "سانت دوني"، وقبل بقية المناطق الفرنسية ينتمون إلى هيئات ثورية تابعة للقرية ومهيكلين في تنظيم "ج.ت.و" الذي كان حديث التكوين بسانت دوني وينظم صفوفه تدريجياً، قد فهموا المسألة جيداً وأن ما يحدث في الجزائر هي ثورة تحريرية تحت مسؤولية وقيادة "ج.ت.و"، فكانوا يرسلون اشتراكاتهم وأموالهم إلى الجبال حيث يوجد المجاهدون.²

بمجرد وصول "حُسيني" إلى الجزائر اتصل بـ "عمار آيت الشيخ" وعرض عليه الهدف من زيارته وما يُتَظَر منه قبل العودة إلى فرنسا، فحضر له هذا الأخير لقاء مع "عمار أوعمران"³ الذي كان وقتها يضطلع بمسؤولية هامة في صفوف جيش التحرير الوطني، وانتهى لقائهما بتسليم "أوعمران" رسالة إلى "الحسيني" مبيناً فيها أن جيش التحرير الوطني هو تنظيم تولّد عن "ج.ت.و"، ويُعدّ ذراعها المسلح في قيادة الثورة من أجل الاستقلال، كما جاء في الرسالة أيضاً طلب المهاجرين بإيقاف إرسال الأموال إلى منطقة القبائل وتحويل اشتراكاتهم لفائدة هيئات ج.ت.و، وقد كان "سي الطيب" عند حسن ظن رفقائه بالمهجر حيث نجح في تأدية مهمته.

بعد عودة "حُسيني" إلى "سانت دوني" "Saint Denis" قام "بن يونس" ورفاقه بنشر محتوى الرسالة الممضاة من قبل "أوعمران" بين أوساط مناضلينا على نطاق واسع، وهذه الظروف أنشئت الهيئة الأولى لإدماج القرى في تنظيم "ج.ت.و" بسانت دوني، ومن أشهر المناضلين الجزائريين الذين كانت تضمهم المجموعة الجزائرية المقيمة بهذه البلدية "محمّد أعراب"، "حسين بن يونس"، "إيدير بن يونس"، "بن عبد السلام رمضان"، "بن قوقام شريف"، "إيدير يويو"، "ولد يونس أرزقي"... وغيرهم كثيرون، وهذا ما

¹ أصبح يويو إيدير بعد استقلال الجزائر وبالضبط في الفترة الممتدة ما بين 1962 . 1965 أول قنصل للجزائر بمدينة نانسي بفرنسا، توفي في مارس 2012، أنظر Benyounes, op.cit, p 13.

² Benyounes, op.cit, p15.

³ عمر أوعمران، نائب قائد المنطقة الثالثة (القبائل)، حضر مؤتمر الصومام، أصبح قائدا للولاية الرابعة بعد مؤتمر الصومام الذي كان مزعماً عقده في بداية سنة 1956 نظراً للقوة التي أصبح يشعر بها قادة المناطق بعد إدراكهم لأهمية التواصل فيما بينهم = شهادة عمر أوعمران، يومية الشعب، العدد 6473، الجزائر، 20.08.1984، ص05.

جعل منطقة سانت دوني تتحول خلال فترة وجيزة أحد أهم معاقل FLN، وكان أول من ترأس الجبهة في هذا الحي هما كل من "بوشريط يحي"، و"عليان حامي" الذين عُيّنَا فيما بعد كمسؤولي ولاية.¹ بمجرد عودة "حسيني" إلى باريس تولّى بن يونس ورفاقه نشر محتواها بين أوساط المهاجرين انطلاقاً من مقر إقامتهم ب"سانت دوني"، وقد لقيت استجابة واسعة من طرفهم حتى أصبحت في وقت وجيز أحد أهم معاقل ج.ت.و بفرنسا.²

جدير بالملاحظة أن البدايات الأولى للثورة التحريرية فوق الأراضي الفرنسية كانت من العاصمة باريس وهذا دليل على قوّتها من جهة وعظمة الجالية الجزائرية المستوطنة فيها من جهة ثانية، وحنكة ودهاء مسؤولي ج.ت.و من جهة ثالثة، فكيف لمن تصفهم السلطات الاستعمارية بالإرهابيين والخارجين عن القانون أن يدرسوا مخططاتهم وينفذونها انطلاقاً من مركز العاصمة التي تعدّ أحد أهم رموز السيادة الوطنية لواحدة من أعظم الإمبراطوريات الاستعمارية في العالم، وكيف لم يكشف أمرهم ولم يتم التعرف على مخططاتهم أو على الأقل رصد تحركاتهم التي ستتطور بمرور السنوات لتصبح رمزا تاريخيا من قلب ووسط فرنسا لثورة تحريرية لا تنسى.

اتخذت "ف.ج.ت.و" العاصمة باريس المستقر والقاعدة الرئيسية للتنظيم وهذا لأسباب مختلفة، أهمها تدويل القضية الجزائرية وإسماع صوتها للرأي العالمي، لأن أي عملية أو حدث يقع بها سيتجاوز صدها التراب الفرنسي إلى المستويين الأوروبي والعالمي، إضافة إلى سبب آخر هو شساعة مساحة أحيائها وارتفاع الكثافة السكانية فيها وتنوّع وسائل الاتصال والتنقل فيها، وهذا ما يسهّل النشاط السريّ لمناضلي الجبهة، حيث يمكن للغريب أن يعيش في هكذا وسط دون أن يُعرف أو يُكشف بسهولة، وهذا ما يبرّر انتقال أهم عناصر الفيدرالية من مختلف المدن والمناطق الفرنسية إلى باريس مثل "أحمد دوم" الذي انتقل إلى باريس من مدينة "سوشو" التي كانت أحد أهم معاقل "ح.إ.ح.د"، وكثيرون غيره من قام بنفس الخطوة بسبب سهولة رصدتهم من قبل عيون الشرطة الفرنسية واعتقالهم.

تمتّع باريس بأهمية إستراتيجية وجيوسياسية كبيرة لاسيما منذ أواخر القرن التاسع عشر خصوصا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حتى أنها أصبحت مركزا للتكنولوجيا والنشاطات التجارية، كما عرفت ازدهارا للنشاط السياحي وتطوّرا لفن العمارة، إضافة إلى بناء شبكة مترو أنفاق "RER" بعد أن توسّعت المدينة وأصبحت تشمل ضواحي بعيدة على شكل مدن جديدة ملتصقة بالعاصمة، وبسبب ارتفاع النشاط الصناعي فيها أصبحت مركزا لتجمّع واستقطاب المهاجرين من مختلف المناطق والبلدان.

هكذا بدأ نشاط "بن يونس" مع "ج.ت.و" بسانت دوني "Saint Denis" إلى غاية 15 فيفري 1957، حين اضطرّ إلى الانتقال إلى الإقامة في مدينة باريس رفقة والده الذي كان يملك مع شريكه وقريبه

1Benyounes, op.cit, p 15-16.

2Ibid, p16.

"محمّد أعراب" فندقا يحتوي على مقهى ومطعم ب31 شارع بواسونني بالدائرة الـ18، وقد عقد اتصلا مع قائد مجموعة صغيرة من المناضلين وهو "فطاس حسين" المدعو "الهندي"، وشكّلوا مجموعة من سبعة أشخاص، وقاموا بعملية تفتيش مدقق لكل الحي الذي وجدوا فيه تواجدا مميزا للجزائريين المهاجرين، ومقهى صغير بشارع "شاربونيار" لصاحبه "بوجمعة" الذي حدّثه قائلا: "وسط هذا العالم كله الذي ترى فيه، إن هذا المقهى فقط من يُحسب في صفوف ج.ت.و، أما بقية الأماكن الأخرى فهي إمّا في صف ح.و.ج أو حيادية وفي كل الحالات ليست مهيكلة في صفوفنا".¹

لهذا بمجرد استقراره بباريس قرر "بن يونس" مساعدة والده في إدارة المطعم الذي كان يملكه هناك، وحوّله إلى إحدى نقاط ارتكاز الجبهة بتلك المنطقة حيث اتخذوا منه مقرا لمعظم اجتماعات مناضلي "ف.ج.ت.و"، خاصة عندما يخلف والده في تسيير النزل حينما يغادر إلى الجزائر في مهام ثورية، وقد ذكر أنه عندما قامت عناصر الجبهة بتصفية "هويا" في 17 سبتمبر 1957 وهو أحد الخونة الجزائريين الذين كانوا يعملون لصالح الشرطة الفرنسية، شكّت هذه الأخيرة فيه واتهمته بأن له يد في تصفيته فيقول: "في الغد الموالي - أي لمقتل هويا - وفي حدود الساعة الخامسة صباحا سمعتُ طرقا قويا على باب النزل إنها الشرطة ، كان معي في الشقة التي كنت أبيت فيها المناضل رمضان بن عبد السلام نزلنا إذا مسرعين وفتحنا الباب فوجدنا أماننا عددا من أفراد الشرطة يتقدّمهم مسؤولهم ليطلب منا وثائق هويتنا ثم يسألني عن صاحب النزل، فأجبت أنه صاحب النزل والذي وهو حاليا في سفر إلى الجزائر - في الحقيقة غادر والذي فرنسا ليلتحق بالثورة في الجبال بالولاية الثالثة وقد وكلّني على تسيير هذا النزل إلى غاية عودته..."²

2. دوره في تأسيس فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا:

إن التكامل النضالي بين الجزائريين في الجزائر وإخوانهم المهاجرين في فرنسا قد تجسّد قبل اندلاع الثورة التحريرية بكثير، وبرز منذ أن بدأت الإيديولوجية الوطنية تشغل نفوس المهاجرين الجزائريين بفرنسا، فقد كان ثمة دائما هيئة قيادية تتولّى بشكل أو بآخر تنشيط الحياة السياسية بين أوساط هؤلاء المهاجرين بداية من تأسيس ن.ش.إ إلى "ح.ش.ج" و"ح.إ.ح.د" وصولا إلى "ف.ج.ت.و"، ولطالما كانت الجالية الجزائرية بفرنسا لبنة نضال أساسية ذات وزن وإسهامات كبيرة في الحركة الوطنية، وقد انتبه "محمد بوضياف" لهذه المعطيات وفهم جيّدا الإضافة القيّمة التي يمكن لهذه الجالية إضافتها لكفاح الشعب الجزائري لذا قرّر استغلال هذه الورقة وتوظيفها في خدمة الثورة.

أدرك "بوضياف" ضرورة خلق الانسجام بين وضع الجزائريين في فرنسا والوضع الذي كان سائدا داخل التراب الجزائري، وكان وقتها متواجدا بفرنسا رفقة "ديدوش مراد" ضمن اللجنة الفدرالية لح.إ.ح.د، ثم عادا الاثنان معا إلى الجزائر العاصمة بداية من سنة 1954 لتنظيم اجتماع "الـ22" حيث سيتم تحديد

1 Benyounes, op.cit, p 17.

2 Ibid, pp79 – 80.

التدابير والأساليب الأخيرة لتفجير الثورة المسلحة، بعد أن وصلت الحركة الوطنية إلى طريق مسدود بسبب الأزمة التي أوقعتها فيها صراع الأشخاص، والتي كادت أن تعصف بوحدة المناضلين واستقرار الحزب وتضرب بكل تحضيراتهم لبدء الكفاح المسلح عرض الحائط، فكان إعلان الثورة هو المخرج الوحيد خاصة وأن الظروف الدولية والإقليمية كانت ملائمة لذلك.

كثّف "بوضياف" اتصالاته مع مختلف الأجنحة المتصارعة وحاول جاهدا إقناعهم بضرورة الانتقال إلى العمل المسلح، خاصة بعد إجابات التسويف والتهرب التي تحصل عليها من الطرفين المتخاصمين بخصوص مساعدة الثورة، فتأكد في الأخير ورفقائه في النضال من ضرورة الاعتماد على النفس وعلى المخلصين لوضع قطار الثورة على السكة الصحيحة خاصة وأنه تأخر كثيرا مقارنة بتونس والمغرب، وقد حسم كل هذه المواقف في اجتماع الـ22 في جوان 1954 بالعاصمة الجزائر حين قدم تقريرا مفصلا عن الحالة التي يمر بها الحزب وعن نضال المنظمة الخاصة لأجل الثورة وموقف الجناحين المتصارعين، وهذه الأخيرة بدأ العد التنازلي لها مباشرة بعد هذا الاجتماع، وزادت التحضيرات الكثيفة لجماعة الـ22 للإسراع بتفجيرها والإعلان عنها.

بعد اجتماع الـ22 مباشرة وفي جويلية 1954 انتقل "بوضياف" إلى سويسرا للقاء "أحمد بن بلة" وإطلاعه على نتائج هذا الاجتماع، وفي اليوم 24 من نفس الشهر والسنة تقرر في اجتماع بفندق النخيل بسويسرا بحضور كل من "بن بلة"، "بوضياف"، "بن بولعيد" و"ديدوش" إعطاء عنوان للثورة بتسمية "ج.ت.و" كعنوان للحركة التي تقود الثورة في الجزائر وأن تكون هذه الجبهة إطارا عريضا لكل أبناء الجزائر المخلصين ولكل الأفكار والآراء لإثبات ابتعاد أبنائها عن الأطراف المتنازعة في ظل الصراع الدائر بين أبناء ج.إ.ح.د.

في الوقت الذي كان الجميع متخوفا من اشتداد الأزمة وخطورة اكتشاف السلطات الفرنسية لها، واستغلالها لصالحها من جهة، وصعوبة تفجير الثورة وإقناع العالم بل وحتى الدول العربية بها من جهة أخرى، كون أغلب مفجريها غير معروفين تماما، هناك من كانت له نظرة مختلفة للموقف وإيجابية من زاوية أخرى وتخدم الثورة، وهو "بن بلة" الذي طلب بضرورة استغلال أزمة الحزب في انطلاق الثورة كون هذه الوضعية تصعب على فرنسا معرفة مفجري الثورة الحقيقيين، وبالتالي تسهل لأعضاء الجبهة التنقل كونهم غير معروفين لدى السلطات الفرنسية، وإذا أمعنا النظر نجد أن "بن بلة" كان محققا في رؤيته فمع بداية الثورة لم تتمكن فرنسا إلا اعتقال الوجوه المعروفة سياسيا من أعضاء حزب الشعب سابقا.

كلف "بوضياف" "مراد طربوش" بإنشاء هيئة بفرنسا مهمتها القيام بتأطير أفراد الجالية الجزائرية من أجل تحضيرهم للمشاركة في الثورة المندلعة، يقوم بعدها هذا الأخير باتصالات مع عدد من أعضاء "ج.إ.ح.د" الذين كانوا لا يزالون حينها ينشطون بفرنسا لإنشاء لجنة فدرالية، تتكون من عدة أعضاء سرعان ما تم كشف أمرهم حين اعتقلتهم الشرطة، ثم يتم تعويضهم مؤقتا بلجان أخرى مؤهلة، وبقيت حالة

اللاستقرار هذه مستمرة إلى غاية السداسي الثاني من سنة 1957 أين يتم تأسيس هيئة أخرى خارج الإقليم الفرنسي برئاسة "عمر بوداود"¹.

يشير "بن يونس" إلى دوره الهام في هذه الفيدرالية وما كانت تتميز به من السريّة التامة فيقول: "عُيِّنْتُ يوم 10 ماي 1960 مسؤولاً قائداً على الولاية بالشرق الفرنسي، لأخلف "علي بوداود" الذي اعتقلته الشرطة، وعلى الرغم من اعتلائي أعلى رتبة في هيئات التنظيم فإني لم أتعرف على كل أعضاء اللجنة الفدرالية إلا بعد وقف إطلاق النار، فقد التقيتُ بـ"قدور لدلاني" المكلف بالتنظيم العضوي ثلاث مرات بمناسبة زيارات سريعة إلى المنطقة الباريسية، مرتين اثنتين نهاية 1960 ومرة واحدة بداية سنة 1961..."²

3. معارضته لـ"ح.و.ج" MNA تعزيزه نفوذ الجبهة FLN بين المهاجرين:

حينما كانت الثورة التحريرية تشهد تصعيداً كبيراً في الجزائر كانت "ح.و.ج" "M.N.A" تسعى في عملياتها المنظمة لكسب تأييد الجزائريين لصالحها، مُدعية أن جيش التحرير الوطني تابع لقيادتها ويتحرك تحت إمرتها، ويشير "بن يونس" أن هذه المخادعة بدأت في مارس 1955 لما تركت "ح.و.ج.د" "M.T.L.D" مكانها لـ"ح.و.ج" التي تريد الاستيلاء على الثورة وأنها هي من قام بتفجيرها في أعين الوطنيين الجزائريين بفرنسا، وذكر أن الجزائريين في المهجر كانوا على علم بالمماطلات التي كانت تشهدها "ح.و.ج" في اتخاذ قرار تفجير الثورة منذ سنوات طويلة، كما أنهم كانوا مدركين للخلافات التي ظهرت بين "مصالي الحاج" وأغلبية أعضاء اللجنة المركزية لـ"ح.و.ج.د" فقد ذكر قوله: "كثر علينا الكلام والخُطب السياسية العقيمة... لا شيء يستحق حمل السلاح لقتال الكولون من أجل الاستقلال، هذا ما كنا نسمعه عادة بين مختلف فئات الجالية الجزائرية"³.

بحكم أن "ح.و.ج" كانت الأكثر انتشاراً ومعرفة في أوساط المهاجرين الجزائريين فقد وجد "بن يونس" ورفقائه في النضال صعوبات جمّة لإقناع الجزء الأكبر من الجالية الجزائرية بحقيقة الأحداث الثورية وأحقية "ج.ت.و" في قيادتها، ورغم ذلك لم يستسلم "بن يونس" بل كان يجوب شوارع باريس وفنادقها ومطاعمها ومقاهيها بحثاً عن حلفاء جدد للجبهة، خصوصاً لدى المهاجرين الذين كانوا يعملون في المصانع أو الورشات أو يمارسون التجارة وكانوا لا يزالون يُبدون موقفاً متحفظاً ومرتبكاً اتجاه الثورة وجبهتها، وكان "بن يونس" رفقة "فطّاس" ينظّمان اتصالات تحسيسية مع هذه الشريحة بهدف كسب تعاطفها مع الثورة وإقناعها بضرورة الانخراط في النشاط النضالي للجبهة.

يذكر "بن يونس" في هذا الصدد قوله: "كان "ضحّاك مولود" المدعو "موسطاش" مسؤولاً على المنطقة "باريس" "barbes" وبدأنا معه في عملية تجنيد المناضلين ولكن كنا نختار من بين المتقدمين الأصلح منهم، لاحظتُ على أرض الواقع أن هؤلاء الأشخاص المخلصين لم يكونوا ينتظرون في الحقيقة إلا

1Benyounes, op.cit, p 29.

2Ibid, p 30.

3Ibid, pp 12-13.

إشارة واحدة منا للانخراط في ج.ت.و، وتبني قضية الكفاح المسلح من أجل استقلال الجزائر"، ويضيف بقوله: "باشرنا إذاً اتصالاتنا مع هذه الفئة من الوسط الجزائري بكثير من الدبلوماسية والصرامة في الوقت نفسه، وقد كان لهؤلاء قناعات واهتمامات بعيدة كل البعد عن القضايا السياسية التي نريد أن نتمنّاها في نظرهم، كما وجدناهم من جانب آخر يمتازون بالشجاعة ويحبون المغامرة يعرفون خبايا الحي وحتى المدينة ككل ويتدبرون ببراعة أمرهم في كسب مصروفهم".¹

مثلا اعتمدت الثورة على المستوى الداخلي إستراتيجية التنظيم الجماهيري والتأطير لزيادة هيكلية الثورة ومختلف الفئات الاجتماعية من طلبة وعمال وتجار وغيرهم، اعتمدت فدرالية الجبهة أيضا نفس الإستراتيجية في فرنسا، فهيكلت ونظّمت صفوف الثورة حسب تمركز الجالية الجزائرية ووضعها المعيشي، الاقتصادي والثقافي، فمثلا تم هيكلية العناصر العاملة في المصانع والورشات كمجموعة لوحدها، والشيء نفسه بالنسبة لفئة التجار وأصحاب الفنادق والمقاهي، والمتقنين، وكل مجموعة كان ينبغي عليها أن تنشط ضمن حدود المنطقة فقط، أما الهياكل الأخرى على مستوى الخلايا فتجهل هذا التنظيم وتعمل هي الأخرى على مستوى نطاقها المستقل.

يؤكد "بن يونس" هذه الإستراتيجية والهيكلية بقوله: "رأينا أن نهيكّل هؤلاء العناصر تحت تسمية مميزة هي "العناصر الخاصة"، أردنا بهذا أن لا يكون هناك خلط بينهم وبين الفئات الأخرى المكونة للتنظيم فقصّدا عزل المجموعات عن بعضها البعض ضمانا لأمن الجميع، وهكذا يتم هيكلية العناصر العاملة كمجموعة لوحدها ونفس الشيء بالنسبة لبقية الفئات...، خصوصا فئة التجار التي يعود لها الفضل كله في نجاح تنظيمنا هذا، حيث لم تكن محلات التجارة مصدرا لكسب المال ونقاط لقاء بين أفراد الجالية الجزائرية فحسب ولكن كانت أيضا عبارة عن مكاتب تُستخدم لصالح التنظيم لعقد الاجتماعات وتسليم الوثائق السرية وتلقّي الرسائل وتمير الأسلحة... الخ، وكذلك كانت هذه المؤسسات والمحلات التجارية بمثابة البنوك التي تعبر وتُنقل إليها الأموال التي يتم جمعها من أفراد الجالية الجزائرية ثم تُبعث لتعزيز ميزانية الحرب لدى ج.ت.و".²

المطلب الثاني: دوره في هيكلية فئات الجالية الجزائرية بفرنسا

1. تحدّيه لصعوبة المهمة:

كما هو معروف فالأغلبية الساحقة من الجزائريين من هاجروا إلى فرنسا طوعا أو كرها لم يكن لهم مستوى ثقافي عال يمكّنهم من إكمال دراستهم أو تحسين مستواهم هناك أو تقلد مناصب مرموقة في مختلف المجالات، لهذا كانوا جميعا عمالا في الأشغال الشاقة بالمصانع وورشات البناء وغيرها من المهن التي كان الفرنسيون يترقّعون عنها ولا يرضون بها لأنفسهم ولا لأبنائهم، وعلى هذا الأساس فإن هؤلاء

1 Benyounes, op.cit, p 18.

2Ibid, p19.

المهاجرين كان أغلبهم من الطبقات البسيطة عمالا وتجارا وفلاحين، وقلة قليلة جدا ممن ينتمون إلى الطبقات المثقفة التي يمكن أن تفهم بسهولة مجريات الأحداث ومستجداتها، وهذا ما يدل على صعوبة المهمة التي سيتولاها "بن يونس" وغيره من مناضلي الجبهة لإقناع هؤلاء بحقيقة مصالي وحركته المناوئة باللغة الخطورة، وبحقيقة الجبهة ومسؤوليتها عن الثورة.

باعتبار أن عدد المهاجرين الجزائريين بفرنسا كان يختلف بين مختلف المناطق الفرنسية الشمالية والجنوبية الشرقية والغربية، فإن العاصمة باريس وتحديدًا بلدية "سانت دوني" "Saint Denis" كانت الأكثر تجمعا وتمركزا للجالية الجزائرية نظرا لقربها من مختلف المصانع والورشات التي كان يقصدها المهاجرون الجزائريون للعمل، وهذا ما جعلها تمثل منطقة المجموعة الجزائرية الأكثر تسيُّسًا على مستوى باقي المناطق الفرنسية، وعلى هذا الأساس فإن سكانها كانوا أول من شعر بأهمية الثورة التحريرية وضرورة الالتحاق بها والانضمام إلى صفوفها، وهذا ما يوضح بشكل جلي الدور البارز الذي لعبه آكلي بن يونس في تأطير المهاجرين بهذه المنطقة وتنظيم صفوفهم لصالح ج.ت.و.

لم يستسلم "بن يونس" لصعوبة المهمة بل باشر عمله الميداني في ضمّ عناصر جديدة للجبهة من خلال تنوير المهاجرين وإقناع أكبر عدد منهم بضرورة الانضمام إليها والمساهمة الفعالة في إنجاح الثورة التحريرية، ولم تكن المهمة سهلة أبدا بل كانت مليئة بالعقبات والعراقيل خصوصا أمام الانتشار الواسع لعناصر ح.و.ج، التي كانت تترصد بالتهديد كل مشتبه فيه حيادي أو خارج عن نطاقها وأعلنتها حربا لا هوادة فيها ضد مناضلي الجبهة، في الوقت الذي كانت المسيطر الأول على الأغلبية الساحقة من هؤلاء المهاجرين نظرا لسمعة الزعيم مصالي الحاج وتاريخه النضالي في المهجر.

يتحدث عن هذه المهام فيقول: "ما كدنا نستقر في هذا الحي حتى تمت مهاجمتنا من قبل عناصر ح.و.ج الذين كانوا يترصدوننا بعدما وصلهم الخبر بانتمائنا لج.ت.و... غير أننا لم نستسلم بل قمنا بعقد اتصال مع المسؤول الجهوي الأول عن الدائرة 18 وهو "فطّاس حسين" المدعو "الهندي"، وكنا نشكل مجموعة سبعة أشخاص فقمنا بتفتيش مدقق لكل الحي... ووجدنا أن معظم الجزائريين الذين يقطنون ببلدية باريس... ووجدنا أن معظم الجزائريين الذين يقطنون ببلدية باريس "Berbes" متعاطفون مع ح.و.ج... فقرّرنا أن ننظّم اتصالات تحسيسية مع الجالية الجزائرية لكسب تعاطفها مع قضيتنا وإقناعها بالانخراط إلى نشاطنا النضالي... ثم بدأنا بعدها بعملية تجنيد المناضلين وكنا نختار من بين المتقدمين الأصلح منهم".¹

رغم أن عملية التأطير وإعادة الهيكلة لم تكن مهمة سهلة إلا أنها كانت موفقة فقد نجحت ج.ت.و في الأخير من كسب الرهان والتحكّم في الجالية الجزائرية مع الاستفادة من جميع إمكانياتها

1 Benyounes, op.cit, pp16-17.

المالية والبشرية،¹ وهو ما زاد من فعالية الثورة التحريرية على جميع الأصعدة داخليا وخارجيا، وانتشار أنبائها إقليميا ودوليا، وحضورها اللافت ووزنها الثابت في مختلف المحافل العالمية لاسيما المتعلقة بدعم التحرر والنصوص الثورية.

اعتمد "بن يونس" لإنجاح مهامه الكثير من الدبلوماسية والصرامة في نفس الوقت لاستمالة العدد الأكبر من المهاجرين، خصوصا أن هؤلاء كانت لهد اهتمامات بعيدة كل البعد عن القضايا السياسية التي يريد مناضلو الجبهة إقناعهم بها، غير أنهم لم يستسلموا لصعوبة المهمة بل عزموا على كسبهم إلى صفوف الجبهة بكل السبل، وهذا ما أكدّه "بن يونس" بقوله: "لم نفكر أبدا في التخلّي عن هؤلاء الأشخاص بل بالعكس كنا نرى ضرورة كسبهم إلى قضيتنا باستعمال كل الوسائل واستعملنا نوع من التعامل النفسي المدروس لقدراتهم ومختلف استعداداتهم إضافة إلى تكليفهم بتنفيذ مهام ترفع من معنوياتهم وتزيدهم ثقة بأنفسهم".²

لقد نجحت "ج.ت.و" في تجنيد الجزائريين كرجل واحد في القتال، وإحلال الروح الوطنية بدل العلاقات القروية أو الجهوية وكان لذلك تأثير كبير أكسب التنظيم قوة وحيوية، وجعل المناضلون يشعرون أنهم بين ذويهم أينما حلوا وارتحلوا، وقد جعلت الفدرالية من هذه الروح الوطنية شعارها الرسمي ونجحت بها في تعبئة المهاجرين وهو ما تجسد في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وإضراب المساجين عن الطعام، فأسست بذلك عقيدة سياسية وإيديولوجية رسمت توجهات الثورة وساهمت في إذكاء شعلة الإيمان لدى المحاربين والآفاق المستقبلية للجزائر.³

وكان "بن يونس" يُعتبر لدى المسؤولين في الجبهة عنصرا خبيرا بفرنسا لاسيما بالمنطقة الباريسية، كونه لم يتعرّض أبدا وطيلة فترة نضاله كمسؤول في "ف.ج.ت.و" إلى التوقيف أو الاعتقال، حيث نجح نجاحا باهرا في قيادته للتنظيم سريّا، والتفوّق على كل التدابير والإجراءات التي كانت ترصدها سواء الشرطة الفرنسية أو الحركى للإيقاع به بسبب خبرته وشدة ذكائه، ومعرفته الكبيرة بمختلف المناطق الفرنسية، إضافة إلى تطبيقه الدقيق للتوجيهات والتعليمات الصارمة الموجهة له من قبل مسؤولي الفدرالية.

2. دوره في هيكلة فئتي العمال والطلبة لصالح الثورة:

عملت "ج.ت.و" على تنظيم صفوف العمال والطلبة المهاجرين حتى يتبنّوا مبادئ الثورة التحريرية، لأهمية وجودهم فيها، فالنسبة للعمال تمّت هيكلتهم ضمن "و.ع.ع.ج" بفرنسا ابتداء من 21 فيفري 1957 وحدد مقرها الاجتماعي بـ18 شارع مابليون بالمقاطعة السادسة بباريس⁴، لتكون بشكل من

1 خليفة الجنيدي، مرجع سابق، ص 192.

2 Benyounes, op.cit, pp17-18.

3 خليفة الجنيدي، مرجع سابق، ص 195. 196.

4 بغداد خلوفي، مرجع سابق، ص 24.

الأشكال امتدادا لـ"إ.ع.ع.ج" التنظيم الذي أسسه النقابي "عيسات إيدير" الذي تمّ إعدامه داخل السجن، وقد أنشئت تحت رعاية "ج.ت.و" التي أرادت أن تستفيد من خبرة النقابيين الجزائريين الذين ينشطون ضمن النقابات الفرنسية، خاصة تلك التابعة للكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T) والكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (C.F.T.C) والكونفدرالية الفرنسية الديمقراطية للشغل (C.F.D.T) والقوة العمالية (F.O) النقابة الحرة.¹

أما بالنسبة لفئة الطلبة فقد تمت هيكلتهم ضمن "إ.ع.ط.م.ج" الذي تأسس بباريس في جويلية 1955 خلال مؤتمر جمع الطلبة الفرنسيين مع الطلبة الآتين من الجزائر بشكل خاص، وقد تبني هذا التنظيم بعد إنشائه فكرة استقلال الجزائر وهو ما لفت انتباه الشرطة فكثفت من مراقبة تحركات أعضائه، وهذا لم يثنى الاتحاد من توسيع نشاطه باتجاه الحركات الطلابية الأخرى لربط علاقات الدعم والتضامن مع القضية الجزائرية وتدويلها.

لقد لبى العمال والطلبة نداء "ج.ت.و" لهم بمن خلال المساهمة في جمع الأموال والأصدقاء الجدد لتمويل الثورة ماديا ومعنويا، أو من خلال الإضراب والتوقف عن العمل والدراسة حسب تعليمات وأوامر الجبهة في المكان والزمن المناسبين سواء في الجزائر أو في فرنسا، أو من خلال التحاق العديد منهم بالجبال حاملين السلاح منضمين إلى صفوف جيش التحرير الوطني، وقد سقط الكثير منهم شهداء في معارف الشرف، وآخرون تم توقيفهم وإدخالهم السجون وهناك تعرضوا لشتى أنواع التعذيب والتنكيل.

لعب "بن يونس" دورا بارزا في هيكلة هاتين الفئتين وهذا ما يؤكد به قوله: "كان عبد الكريم سويس" العضو في اللجنة الفدرالية المكلف بالمالية وهو المسؤول الأعلى عن هذين التنظيمين الودادية العامة للعمال الجزائريين والفرع الجامعي، ولما عيّنت قائدا على التنظيم بشرق فرنسا لزم عليا الدخول في اتصال مع مسؤول الودادية السرية عن طريق "محمد الصغير" قائد العمالة المدعو "سعود" أو "ستيفان"، إنه "العربي يوسف" الذي كان يدرس اللغة العربية بمدينة "ستراسبورغ" فقد ساعدنا كثيرا بحكم علاقاته واتصالاته مع الوسط الجامعي ومع رجال الدين التابعين لهذه المدينة بخاصة وهذا ما سهّل علينا إيجاد أماكن للإيواء وأعوان اتصال".²

رغم توسع نشاط اتحادية "ج.ت.و" بفرنسا ليشمل العديد من الدول الأوروبية من أجل توسيع النشاط الثوري لصالح القضية الجزائرية³، إلا أن مهمة إيجاد رجال أو نساء أو أسر بكاملها يقبلون تقديم المساعدة لـ"ج.ت.و" لم تكن سهلة بالمرّة بل كانت صعبة للغاية خصوصا عندما يتعلق الأمر ببعض الخدمات الخطيرة كإيواء أعضاء الفدرالية في بيوتهم والمسؤولين المطاردين من قبل مصالح الشرطة الاستعمارية، والقيام بإخفاء الأسلحة أو الحقائق المليئة بالأموال المحصلة عن طريق الاشتراكات.

1Benyounes, op.cit, p 60.

2Ibid, pp 61 -62.

3 أحمد صاري، دور المهاجرين الجزائريين في الثورة، ط1، الجزائر، 2002، ص241.

يضيف في ذات السياق : "بعد 17 أكتوبر 1961 لما عُيِّنَتْ منسقا بين ولايات فرنسا السبع من قبل اللجنة الفدرالية، قمتُ بعقد اتصالات مع المسؤولين في و.ع.ع.ج من بينهم "عمر أولحاج" عضو في نقابة الكونفدرالية العامة للشغل ونائبه "بوشامة علي" المدعو "أليكس" الذي كان هو من جانبه عضوا في الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين مثلما كانت لي اتصالات أخرى مع الفرع الجامعي الذي كان يمثلته الطالب "ديدين عباس" وهو ابن أخ "فرحات عباس" وكذا "عبد اللطيف رحال"، كان لنا مع هؤلاء ومع المسؤولين الآخرين في الودادية نشاط كبير في خدمة التنظيم . فدرالية جبهة التحرير . ونتج عن ذلك صداقة متينة بيننا امتدت وأصرها إلى ما بعد الاستقلال.¹

3. دوره في كسب فئة التجار لدعم العمل الثوري:

باعتبار والده تاجرا لديه فندق وسط العاصمة باريس اكتسب "بن يونس" خبرة من والده في هذا المجال، خاصة حينما كان يخلفه في تسيير هذا النزل طيلة فترة غيابه لاسيما عندما عاد إلى الجزائر ملتحقا بالكفاح المسلح في الولاية الثالثة²، ونظرا لأهمية هذا المجال من الناحية المادية والمالية في إعطاء دفع كبير لاستمرار العمل الثوري، حرص "بن يونس" على جعل ميدان التجارة والتجار أحد أهم القواعد الأساسية للثورة وأكبر روافد الدعم الرئيسية للقاعدة النضالية وذلك من خلال ضمان مصادر دخل مالية ومراكز اجتماعات محصنة إلى حد كبير من المراقبة الأمنية.

مثل التجار بما يملكون من إمكانيات عناصر أساسية بالنسبة لتنظيم "ج.ت.و"، ولعبوا أدوارا ريادية في دعم الثورة التحريرية على مختلف الأصعدة سواء من حيث جمع المعلومات والأخبار أو دفع الاشتراكات والأموال، أو توفير أماكن للسكن ومقرات للاجتماعات بالنسبة للمناضلين، كون أغليبيتهم يملكون فنادق ومطاعم ومقاهي في مختلف المناطق الفرنسية، فهم من كان يرى ويسمع ويتابع كل شيء من خلال محلاتهم التجارية، واحتكاكاتهم المستمرة مع الزبائن بمختلف شرائحهم الاجتماعية، مما جعلهم يشكلون مصدرا أساسيا للمعلومات وعونا هامة في تنظيم جبهة التحرير الوطني لا يمكن تعويضهم، وحتى الشرطة الفرنسية كان من الصعب عليها اكتشاف أمرهم بسهولة لكثرة تنقلاتهم ولحصولهم على رخص قانونية لجل أعمالهم.

يذكر "بن يونس" واحدة من أهم مظاهر دعم أحد التجار الذي كان يوفر إحدى غرف نزله كمكان لاجتماع مناضلي "ج.ت.و" بباريس وعند وجود أية إشارة لقدم الشرطة أو أي تهديد كان يقوم بقطع التيار الكهربائي للحظات فيفهم المشاركون بسرعة وجود زيارة مشبوهة فيتفرقوا ويلتحقوا بالغرف الأخرى المجاورة، أو ينزل بعضهم إلى المقهى لإبعاد كل الشكوك، وقد تم إيقاف العديد من المناضلين لاحقا لما اكتشفت الشرطة أمر هذا التاجر الذي ساعد كثيرا في إنجاح سير تنظيم الجبهة، وتعرضت على إثرها الكثير من

1Benyounes, op.cit, p 63.

² أنظر الملحق رقم 15.

المحلات التجارية للغلق مما سبّب لأصحابها خسارة مادية كبيرة كما زُجّ بالكثير منهم في السجون والمعتقلات.¹

إن الحضور القوي والنشاط الكبير للتجار الجزائريين بفرنسا كان له إسهامات جبّارة وأدوار بارزة في خدمة الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، فطالما كانوا يشكّلون محور اهتمام مختلف التشكيلات قبل الثورة وأثنائها، وأكّدوا بما قدّموه من دعم ومساندة لثورتهم عن مدى تلاحمهم مع قضيتهم المصيرية المتمثلة في الكفاح من أجل استرجاع الاستقلال الوطني.

كما أن الاشتراكات الشهرية التي يقدّمها التجار كانت أكثر من تلك التي يقدّمها العمال الأجراء، وتصل إلى مبالغ معتبرة جدا تفوق أحيانا الألف فرنك بالنسبة للبعض وثلاثين فرنك بالنسبة للعامل الأجير، وبمرور السنوات أصبح واضحا أن المهاجرين المتمركزين بالمنطقة الباريسية والذين كان أغلبهم تجارا نظرا لامتلاكهم مقاهي وفنادق ومطاعم عديدة، صاروا يمتلكون ثقافة وطنية عميقة، وكان تأييدهم للاستقلال مطلقا ومساندين بأغلبية ساحقة لـ ف.ج.ت.و من دون منافس لاسيما "ح.و.ج" MNA التي كانت أقوى هؤلاء المنافسين لها على أفراد الجالية بالمهجر.²

وقد مثّلت فنادقهم ومطاعمهم تلك ملاذا آمنا إلى حد كبير لمسؤولي ومناضلي الفدرالية لعقد اجتماعاتهم ودراسة مجريات الأوضاع وتطوراتها، وكمثال على ذلك فإن الهجوم الذي نُظّم على مصنع الذخيرة بمدينة "فانسين" قد تمّ التخطيط له في أقبية نُزّلين اثنين يملكهما تاجران جزائريان يقع الأول بـ64 شارع "بواسوني" بالدائرة 18، والثاني بـ93 شارع "كلينيونكور" بنفس الدائرة، وهذا ما يدل على مدى المساهمة الكبيرة والهامة التي برهن عليها التجار المهاجرون في تقديم الدعم اللوجستيكي لـ"ج.ت.و" بفرنسا.³

تمّ القبض على صاحب النزل الأول الكائن بشارع "بواسوني" "Poissonniers" من قبل الشرطة مباشرة بعد تنفيذ عملية الهجوم على مصنع الذخيرة يوم 25 أوت 1958، إنه "رابح سرباح" الذي ينحدر من منطقة القبائل وكان الجميع يناديه باسم "عمي رابح" نظرا لكبر سنه مقارنة بباقي المناضلين وتعبيرا منهم على احترامهم له، وقد بقي في السجن إلى غاية نهاية الثورة ولم يطلق سراحه إلا عند استقلال الجزائر سنة 1962، يروي "بن يونس" قصة لقائه مع "عمي رابح" بعد الاستقلال وكيف أراد أن يعتذر منه حين أحسّ أنه السبب في اعتقاله وكل ما حدث له في السجن كونه - بن يونس - من قرر أن يقيم بنزله مناضلو ومنقذو العملية، فيقول: "لما هممت وقتها عند لقائي به أن أقدم له اعتذاري سبقني عمي رابح بالكلام، وهو يقرأ

1Benyounes, op.cit, p 19-20.

2 جيل مانصرون، الحجب الثلاثي للمجزرة في كتاب مارسيل وبوليت بيجو، 17 أكتوبر ما يملكه الجزائريون، تر "رشيدة خوازم، دار سيديا، الجزائر، 2013، ص108.

3Benyounes, op.cit, p20..

في عيني مقصدي بقوله: بفضلك أنت أمكن لي القيام بواجبي اتجاه وطني، والمساهمة في تحرير بلدي على الرغم من كبر سني، أنت لست مُطالباً بالاعتذار لي يا بني بل أنا الذي عليّ أن أشكرك".¹

كان للتجار المهاجرين بفرنسا الدور الرائد في بلوغ "ف.ج.ت.و" ذروة قوتها المالية والسياسية، حتى أصبحت عصب الثورة التحريرية، فبفضل أموالهم السخية وتبرعاتهم تمكن العمل الثوري من الاستمرار ومواصلة الكفاح، وبفضل مطاعمهم وفنادقهم تواصل التنسيق بين أعضاء جبهة التحرير وفدراليتها داخليا وخارجيا حيث استمرت بها دراسة القرارات المتخذة وتنفيذ الاستراتيجيات المعتمدة لإنجاح النضال الوطني.

ويذكر "بن يونس" نموذج آخر لتاجر ساهم في نقل الثورة التحريرية إلى التراب الفرنسي، وهو المناضل "علي" صاحب مقهى يقع بـ "5 شارع جيرمان بيون" "5rue Germain Pillon" فيقول: "... وضع سيارته الكبيرة والفاخرة من صنع أمريكي تحت تصرفنا وقام هو بنفسه بنقل المجموعة إلى مكان تنفيذ العملية، وعند عودته كانت عناصر الشرطة تترصدّه وإثر تبادل لإطلاق النار بين الجانبين سقط "علي" شهيدا، أما رفيقه "محززي يوسف" الذي كان معه في السيارة فقد أصيب بجروح بليغة ثم تم القبض عليه وأدخل سجن "فرين" "Fresnes" الذي استطاع الفرار منه سنة 1961".²

أما عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى من الجزائريين المتواجدين بفرنسا، من ثانويين وجامعيين ومهن حرة وعمال في المصانع والورشات وغيرها فقد كان جل أعضائها أحسن اطلاعا على مجريات الأمور، من خلال الصحافة أو النشرات الإخبارية أو لكون بعضها جزء لا يتجزأ عن النظام، إلى جانب الأصدقاء التي تعكسها الحركات التقدمية.³

المطلب الثالث: دوره في دعم عصب الحرب ماليا وبشريا

1. ماليا (جمعه وتنظيمه للاشتراكات والتبرعات):

كانت ج.ت.و تعرف أنه لضمان سير العمل الثوري واستمراره سواء داخل أو خارج الوطن كان يتوجب عليها إيجاد المال الذي تحتاجه لشراء الأسلحة والوسائل الأخرى الضرورية لمواصلة الكفاح، ولا يمكن الحصول على هذا المال إلا عن طريق جمعه بالاشتراكات والتبرعات التي يدفعها أفراد الجالية الجزائرية بالمهجر، كل حسب قدراته المالية المتوفرة، وللبدء في هذه العملية كان يجب هيكلة وتنظيم المهاجرين رجالا ونساء بعد اقتناعهم بمبادئ الجبهة وتبنيهم لمواقفها الوطنية، وهذا ما ساهم فيه "بن يونس" بشكل كبير منذ التحاقه بصفوف الثورة التحريرية في بداياتها الأولى.

1Ibid, p21.

2 Benyounes, op.cit, p 22.

3بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 102 . 103.

كانت المساهمات المالية للعمال الجزائريين بالمهجر في تطور مستمر، وذلك راجع إلى تزايد وتعاضم عدد المنظّمين لـ"ف.ج.ت.و" من جهة، وزيادة عدد المؤطرين فيها من جهة أخرى فأصبح بذلك الانضمام أكثر والتنظيم أدقّ، واستمر تطورها مع تطور الثورة، ولم يكن الأمر يقتصر على الاشتراكات المفروضة بل كثيرا ما تبرّع الجزائريون بمبالغ إضافية، وحتى المغتربات من بنات الجزائر قد ساهمن أيضا في تحمّل جهد تمويل الثورة ولو بمبالغ بسيطة، ليؤكدّن بذلك مساهمة كل المهاجرين بفرنسا رجال ونساء لفي دعم القضية الوطنية واحتضان الثورة التحريرية كل حسب قدراته المالية وظروفه المادية.

يذكر "بن يونس" في هذا الصدد: "كانت هناك ثلاث فئات قاعدية هي المناضلون والمنخرطون والمتعاطفون، تستلزم المرحلة الجديدة التي انتقل إليها نشاطنا إعادة هيكلتهم، فبدأنا التجنيد على مستوى المتعاطفين ثم انتقلنا إلى مستوى المنخرطين قبل أن نصل إلى مستوى المناضلين، ولم يتم تأسيس هذا التصنيف هكذا بالصدفة أو اعتباطا بل رتب على أساس المعايير المرتبطة بالأمن والثقة، وأؤكد أنه لم يكن يوجد أيّ انتقاء نعمل به في تجنيد عناصرنا إذ كنا نجند كل من يأتيينا من مختلف الفئات دون معايير نفرضها فكان يكفي للشخص أن يتقدّم إلينا بصفته جزائرياً، وبما أن نشاطنا داخل التراب الفرنسي كان سرياً غير مسموح به لزم علينا إذا العمل بالتحرّي والفحص الدقيق وانتقاء العناصر المؤهلة ذات الثقة..."¹

لعبت الجالية الجزائرية الدور البارز في دعم المجهود الحربي في الجزائر من خلال ما كانوا يقدمونه من التبرّعات السخية، لضمان استمرار العمل الثوري، ورغم الأعمال الشاقة التي كانوا يقومون بها مقابل أجور زهيدة لا تكفي حتى لتلبية متطلباتهم الأساسية إلا أنهم آثروا مصلحة الوطن على أنفسهم ومصالحهم الشخصية، وبما أنهم كانوا يحصلون على مرتباتهم بانتظام فإنهم كانوا يدفعون دوما جزءا من مرتباتهم لدعم الثورة التحريرية.²

شخص لنا "بن يونس" العملية بدقة عالية بقوله: "كان يجب علينا أن نضع الشخص المجند في امتحان نجربه لنرى مدى صدقه والتزامه بالقضية، تبدأ العملية على مستوى فئة المتعاطفين ثم ينتقل المجند في تجربته الميدانية إلى مستوى المنخرطين قبل أن يصبح مناضلا حقيقيا، تمنحه هذه الصفة الأخيرة مكانة كاملة العضوية ضمن التنظيم العام وتفتح له المجال لتقلّد كل المسؤوليات ويكتسب حينئذ صفة المجاهد القادر على تنفيذ كل المهام التي تكلفه بها ج.ت.و، و كانت العملية تجري في الميدان على النحو التالي: يقوم العنصر المناضل بمراقبة تحركات العنصر المنخرط الذي هو بدوره يراقب العنصر المتعاطف، أسسنا خلايا حسب الفئات الثلاث وبنفس العدد بالنسبة لخلية المنخرطين أما خلية المناضلين فحددناها بثلاثة أفراد..."³

1Benyounes, op.cit., p71.

2عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، مرجع سابق، ص544.

3Benyounes, op.cit., p72.

بعد استكمال مناظلي الجبهة لأعمالهم التوعوية والسياسية، انتقلوا إلى عملية تحصيل وجمع الأموال من أجل دعم الثورة التحريرية، وقد ساعد نقل المهاجرين الجزائريين تركيبتهم الاجتماعية التقليدية إلى فرنسا وبقائهم مجتمعين وقريبين من بعضهم البعض حسب مناطق أصولهم في الجزائر (القبائل، السطايفية، الشاوية...) على تعزيز أواصر الأخوة والتضامن بين الأفراد والعائلات رغم قسوة الحياة في المهجر، ما سهّل مهمة جمع الأموال وإرسالها للثورة في الجزائر.

كان المهاجرون الجزائريون يدركون جيدا أهمية المسؤولية الملقاة على عاتقهم، واعتبروا أن تمويل الثورة هو واجب وطني، كما حاولوا إقناع الشعب الفرنسي بأن ما كانوا يقومون به في فرنسا من دعم متواصل لـ"ج.ت.و" ناتج عن خوض الحرب ضد الاستعمار، هذا الأخير الذي يستعين بالمعمرين المغتصبين لخيرات الجزائر من جهة، ويسخر الجيش لخدمتهم والدفاع عن حياتهم من جهة أخرى".¹

يشير "بن يونس" إلى ذلك بقوله: "استغللنا في البداية هذه الميزة الاجتماعية الحسنة لتحصيل الأموال وجمعها ثم إرسالها إلى الجزائر، وكانت العملية تتم قبل هيكلة الثورة لها حيث كنّا نرسل الأموال لدعم الثورة في الجبال، وبعد ظهور تنظيم "ج.ت.و" وهياكله وتعليماته التي تنظم كيفية جمع الأموال من الجزائريين، أصبحت الجبهة المخوّلة حصريا لجمع الأموال، بدأنا بتحديد قيمة الاشتراك للفرد الواحد بـ 1000 فرنك فرنسي قديم والتي تعادل 10 فرنكات جديدة فيما بعد، ووصل مبلغ الاشتراك عشية الاستقلال إلى 30 فرنكا جديدا للعامل الواحد، أما قيمة اشتراكات التجار وأصحاب الأملاك فتّم تحديدها على أساس مجموع الفوائد أو المبيعات... إضافة إلى الهبات الأخرى التي يتقدّم بعض الجزائريين لها من أجل دعم الثورة لاسيما عند حلول بعض المناسبات التاريخية مثل أول نوفمبر و5 جويلية".²

بعد الانتهاء من عملية الجمع والتحصيل للأموال تبدأ عملية نقلها إلى الثورة في الجزائر ولم تكن العملية سهلة بالمرّة، بل كانت في غاية الصعوبة والخطورة حيث كانت تُنقل عبر قنوات سرّية نحو ألمانيا أين تستلمها اللجنة الفدرالية المقيمة هناك، عن طريق البنوك وليس في الحقائب كما كان يُعتقد، ويؤكد "بن يونس" ذلك بقوله: "في الحقيقة لم نكن نستعمل هذه الوسيلة إلا داخل فرنسا من منطقة إلى أخرى، أما خارج فرنسا فالأموال تنقل عن الطريق البنكي، وهذا النظام في نقل الأموال أنشأه السيد "كوريل" "Curiel" كونه ينشط ضمن شبكة فرانسييس جونسون المساندة لج.ت.و".³ إضافة إلى خبرته في هذا المجال لأنه ابن مصرفي.⁴

2. بشريا (كسب سند جديد للثورة من فرنسيين وأجانب معارضين للاستعمار):

1 أعمار بوحوش، العمال، مرجع سابق، ص 219.

2 Benyounes, op.cit, pp 75-76.

3 Ibid, p78.

4 هرفي هامون، باتريك روتمان، مرجع سابق، ص 125.

أسرع قادة "ج.ت.و" بعد اندلاع الثورة التحريرية للبحث عن كسب التعاطف الرأى العالمي عامة والفرنسي خاصة، فهم كانوا متأكدين أنهم سيجدون دعم حتى وإن كان بسيطاً بين أوساط الشعب الفرنسي، خصوصاً لدى العقلاء الذين لديهم ضمائر تؤنبهم إزاء ما يتعرض له الجزائريون من وحشية الاستعمار وسياسته القمعية المنتهجة في حقهم، وقد بدأ مسؤولو الجبهة بالبحث عن هذا الدعم بداية في وسط الأحزاب السياسية اليسارية خصوصاً أن أغلبها كانت تؤمن بعدالة القضية الجزائرية ومشروعية كفاحها، حينها قام قادة الجبهة بإنشاء شبكات خاصة بدعم ومساعدة مناضليها في معركتهم التحررية.

إن المقاومة التي قادتها النخبة الفرنسية المثقفة عن الثورة الجزائرية وأساليب التعذيب المنتهجة ضد الجزائريين، قد تولدت عنها أدبيات ملتزمة نشرت في العديد من الكتب المفصلة، وكتاب "مأساة الجزائر" للكاتب اليميني "ريمون أرون" "Raimond Arond" الذي تحرك ضميره للقضية الجزائرية خير مثال على ذلك، والذي يسرد فيه الوضعية المتدهورة في الجزائر وواقع الجزائريين الصعب والكارثي والأحداث الأليمة التي كانوا يعيشونها يومياً، مُندداً بالتعذيب والقمع والسياسة الفرنسية المتدنية.¹

عملت "ف.ج.ت.و" بفرنسا منذ البداية على ربط اتصالات مع بعض الأصدقاء الفرنسيين الذين ناهضوا السياسة الإمبريالية التي كانت تطبقهم حكومة بلدهم ضد الجزائريين، لهذا سعوا لتقديم يد العون بشكل أو بآخر للثورة التحريرية، بعد أن تخطوا حاجز الخوف وخرجوا عن صمتهم ووحّدوا جهودهم من أجل خدمة الديمقراطية والدفاع عن القضية الجزائرية والإقرار بعدالتها، ما أعطاهم وزن كبير في الساحة الثقافية الفرنسية والعالمية، كما أنهم ناضلوا ضمن جبهة رفض الحرب في الجزائر وضرورة وضع حد لها وكثيراً منهم قد أفصح عن رأيه وعمل على إسماع صوته بطريقة فردية أو جماعية.²

عند وصول "بوداود" إلى قيادة الفدرالية سعى إلى توسيع دائرة هذا الدعم وتقوية هذه المساندة، خاصة بعدما لاحظ أن هؤلاء الأصدقاء كانوا قلة ولم تكن هناك قدرة على الزجّ بهم في المواقع الأمامية لاعتبارات أمنية كونهم كانوا معروفين في الأوساط الأمنية، لهذا كان لابد من التزام أقصى درجات الحذر لأنهم من غير قصد كانوا يشكّلون حبالاً متينة قد توصل الشرطة إلى قلب تنظيم الجبهة في باريس.³

كان "بوداود" قد التقى بجونسون في جويلية 1957، واطّلع على رغبته في دعم نضال الشعب الجزائري فعقد معه لقاء تشاوري تطرقا فيه إلى أشكال الدعم وسبل ذلك، على غرار توفير مساكن خاصة لبعض الإطارات وملاذا لبعض المستهدفين بملاحقة الشرطة، وعن سبل نقل الأموال والرجال، والاتفاق على إتباع كل ما يوصل إلى الاستقلال بالشروط والطرق التي تحددها وتسييرها ج.ت.و، وبعدها شرعت الفدرالية في تعاون مثمر مع الشبكة السرية لجونسون، وعور تعزيز هياكلها تم تقسيمها إلى فروع نشاط متعددة منها

1 Rimond Arond, la tragédie algérienne, 2dition ANEP, Alger, 2006, p 10-15.

2 أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 194.

3 بوداود، مصدر سابق، ص 133. 134.

فرع الإسكان وفرع الأسلاك المكلفة بالتمير من أجل الدخول إلى فرنسا والخروج منها عبر الحدود، والفرع المكلف بنقل الأموال، خصوصا أن المبالغ التي يتم تحويلها إلى للثورة قد تزايد بشكل كبير مقارنة بما كان عليه الوضع قبل ذلك.¹

كان جونسون وزوجته منذ 1955 يلتقيان مرارا بالمهاجرين الجزائريين وقيادات "ف.ج.ت.و" بباريس²، وكان العمل في البداية مركّزا على كيفية تمرير المناضلين نحو البلدان الأوروبية المجاورة لفرنسا، وسيتم ضبط هذه العملية نهاية عام 1957 ثم تطوير أساليبها في السنوات الموالية، خصوصا بعد تولي "بوداود" لقيادة الفدرالية وتوطيد العلاقة مع مختلف الشبكات المشكلة من قبل أصدقاء الثورة في فرنسا وإيجاد فروع لها في هذه الدول وعلى رأسها ألمانيا، سويسرا، وبلجيكا، وقد أدى فرع أسلاك المرور ضمن شبكة جونسون طيلة سنوات عديدة دوره بإحكام تام عبر الحدود الألمانية والبلجيكية والإسبانية دون لفت أي انتباه للسلطات الفرنسية، وكان هذا السلك تحت مسؤولية صديق جونسون السيد "جاك فينيس" Jacques Vignes" الحامل لاسم مستعار هو "دانييل" Daniel"، ويذكر "بوداود" أن هذا الأخير كان مشتهرا بالدقة والصرامة، حيث قام بتنظيم طريقة للتهريب فرنسية محضة في بداية الأمر ثم أوروبية بعد أن دعمها برفاق بلجيكيين وسويسريين وكذا رهبان عماليون أمثال "دوزني" Dawzni"، "مانين" Magnin"، "شيز" Chaise"، "سيسيل ماؤيون" Cécile Marion"، "هلين غينا" Hélène Géunat" وقدموا جميعا مساهمة عفووية وغير مشروطة للثورة.³

رغم أن عدد الفرنسيين الذين ساندوا الثورة التحريرية ماديا كان قليلا إلا أن مساهمتهم كانت جدّ معتبرة، حيث يقول بن يونس: "لن نفهم حقّهم أبدا إزاء ما قدموه لنا من تضحيات من أجل أن يقدموا لنا المساعدة، فقد ضحّوا بحياتهم المهنية وتحملوا الصعاب وأتهموا بالخيانة وتعتوا بأوصاف مُهينة وُجِّح بهم في السجون وعُذّبوا، لكن كانوا في الحقيقة أبطالاً نصرّوا مبادئ حقوق الإنسان الأساسية ومن هذا المنطلق فهم كانوا في الواقع يدافعون عن شرف فرنسا وصورتها الملطّخة بشظايا حرب دموية جائرة، كانت مساهمتهم كبيرة جدا في دفع قضيتنا نحو الأمام وزادنا دعمهم المعنوي والمادي قوة إضافية في مواصلة كفاحنا من أجل التحرر".⁴

لقد مثّل هؤلاء الفرنسيون القوى الحية المحبة للسلام والحرية والتمسكة بقيم الثورة الفرنسية، والمثل العليا التي نادى بها، ورغم أن الكثير منهم لم تكن مواقفه صريحة وواضحة اتجاه القضية الجزائرية بصورة علنية إلا أنهم في الواقع قد تخطّوا حاجز الخوف ووحّدوا جهودهم من أجل خدمة الديمقراطية والدفاع عن القضية الجزائرية والإقرار بعدالتها، ما أعطاهم وزن كبير في الساحة الثقافية الفرنسية بشكل خاص

1 Boudaoud, Du PPA au FLN, op, cit, p137.

2 Rachid Khettab, op, cit, p22.

3 Boudaoud, Du PPA au FLN, op, cit, pp138 – 140.

4 Benyounes, op.cit, p 65.

والعالمية بشكل عام، وظلّ نضالهم قائما طيلة فترة الثورة التحريرية ضمن جبهة رفض الحرب في الجزائر وضرورة وضع حد لها.¹

يواصل "بن يونس" حديثه عن دعم هؤلاء للثورة الجزائرية قائلا: "علمتُ أنا شخصا بهذا الدعم المقدّم لصالح قضيتنا سنة 1958 لما عُيّنَت مسؤول عمالة بشرق فرنسا وقد كان أول اتصال لي مع الأستاذة الجامعية بمدينة ميلوز السيدة "آن" Anne زوجة علي أومغار الذي كان يسيّر أحد مراكز العمال، قامت هذه السيدة بعقد اتصال بيننا وبين طالبة شابة اسمها "جانين كاهين" "Jeannine Cahen" التي سبق لـ"عمر بوداود" أن اتصل بها في تلك الفترة حيث كلفها بمهمة نقل الأموال في الحقائق إلى غاية باريس، لكن سرعان ما تمّ القبض عليها من قبل الشرطة".²

يضيف قوله: "كذلك استفدنا من إعانات "جورج شوفالو" "Georges Chevallot" الذي كان يقطن بمنزلةين بهما شقق صغيرة بمدينة فيش لوشاتيل بمنطقة بلفور أين رأينا العائلة كلها تقدم لنا المساعدة، إذ وفّروا لنا النقل ووسائل طبع المنشورات وكل الوثائق التي نحتاج إليها وهيئوا لنا الغرف لعقد اجتماعاتنا، وأذكر أيضا "كامي كياك" "Camille Caillac" الذي ساعدنا هو بنفسه وبمشاركة أفراد أسرته، وبستراسبورغ كان اتصالنا قائما مع "ميشال مولر" "Michel Muler" وزوجته اللذين كانا لا يزالان طالبين في تلك الفترة، وكنا نلتقي بهما في حي "قاليا"، وكذلك كنا نجد مساعدة من قبل "أوديت أندري" "Odette André" التي تنحدر من منطقة "فوسج"، وبمدينة هيانج كانت لنا اتصالات مع "جون ماري" "Jean Marie" و"بليون مع" "جون لوي" "Jean-Louis Hurst" المدعو "موريان".³

وكان هذا الأخير قد نشر كتابا سماه "الفاّر من الجيش" "le déserteur" وكان هو نفسه قد فرّ من الجيش حتى لا يذهب إلى الجزائر للمشاركة في الحرب، يقول بن يونس "لقد ساعدنا كثيرا في عبور الفارين الجزائريين نحو سويسرا ومن ثمّ يلتحقون بتونس أو المغرب..."، ثم يضيف قائمة بأسماء الفرنسيين الداعمين للثورة التحريرية فيقول: "أذكر أيضا الدكتور "قبريال قراني" "Gabriel Granier" الذي كنا نتصل به بضواحي باريس، و"آدلفو جوزيف كامينسكي" "Adolfo Joseph Kaminski" الخبير المختص في تزوير وثائق الهوية، و"آني" "Annie" وروجي راي "Roger Rey" اللذين قدما لنا الكثير من أجل مواصلة كفاحنا بالإضافة إلى "جيرار سبيتزي" "Gérard Spitzer"، سمون بلومنتال "Simon Blumenthal"، "دونني بيرجي" "Denis Berger" والقسّ "روبير دافيزي" "Robert Davezies".

يضيف "بن يونس" قوله: "كذلك يجب ذكر القسّ الآخر كارترون "Carteron" بمدينة ليون الذي وضعني باتصال مع عدد من المسيحيين بمقاطعة دوبس ولاسيما بحي فوجوكور حيث آوونا نبيت داخل مبنى الكنيسة محمد الصغير وأنا شخصا، كما لا أنسى أيضا عائلة "كاتز" "Katz" إخوة وأخوات

1 أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 194.

2 Benyounes, op.cit, p 65.

3 Ibid., pp 65-66.

القاطنة بشارع كاردينال لوموان بباريس و"غي بلوففي" "Guy Plouvier" والآنسة "جانفيي" "Janvier" بـ 110 نهج الجنرال "ليكلرك".¹

المطلب الرابع: مساهمته في إنجاح إستراتيجيات الثورة السياسية والعسكرية بالمهجر
أولا . سياسيا

1. دوره في إنجاح إضراب الثمانية أيام:

شاركت الجالية الجزائرية بفرنسا بشكل مميز في اشتداد دوي ولهيب الثورة التحريرية سواء على الأراضي الفرنسية أو حتى الجزائرية، فقد ساهمت في جلّ التظاهرات الكبيرة التي نُظّمت على الأراضي الجزائرية مثل "إضراب الثمانية أيام" في الفترة ما بين 27 ماي و05 فيفري 1957، هذا الأخير الذي أثبت انتصار "ج.ت.و" وتفوّقها على جميع منافسيها خصوصا "ح.و.ج" التي شهدت انسحاب كبير لمناضليها بعدما تأكّدوا أن الجبهة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري وثورته، وأنها من فرض كلمته الأولى والأخيرة في الميدان.

أصدرت القيادة العليا في "ج.ت.و" قرار تنظيم هذا الإضراب في التاريخ المصادف للمناقشة التي برمجتها منظمة الأمم المتحدة لدراسة القضية الجزائرية، وقد حاولت حينها الدبلوماسية الفرنسية الحيلولة دون عقد هذه الجلسة رافعة حججها التي تقول بأن الجزائر جزء من فرنسا وبالتالي فما يحدث في الجزائر هو شأن داخلي فرنسي ومشكلة داخلية بحتة ولا يحق لأحد التدخل فيها، في الوقت نفسه أدرك مناضلو "ج.ت.و" أن عليهم أن يرفعوا التحدي لتفنيد تلك الإدعاءات الفرنسية، ويثبتوا للعالم أجمع أن الأمر يتعلق حقيقة بحرب تحريرية يقودها شعب بأكمله من أجل استرجاع حريته واستقلاله والانعقاد من الهيمنة الفرنسية الاستعمارية المُضطهدة له منذ أزيد من قرن كامل، والبرهنة للرأي الدولي أن "ج.ت.و" هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري وثورته.

كتبت الصحافة الفرنسية أن الإضراب قد فشل وأن ج.ت.و قد حصدت فشلا ذريعا بسبب عدم استجابة كامل التجار والعمال للإضراب، كما أن الهيئة الأممية ستتجه إلى إعطاء فرنسا كامل الصلاحيات لحل القضية الجزائرية على ضوء المشروع الذي حدّده الرئيس "غي مولي".²

غير أن مناضلو ج.ت.و فنّدوا الادعاءات الفرنسية، حيث تحدّث من شارك في الإضراب من المجاهدين على غرار "زهرة ظريف" التي أوردت في مذكراتها أن الإضراب شكّل منعرجا تاريخيا حاسما لأنه سمح بإزالة اللثام عن حقيقة المسألة الجزائرية وطبيعة الحضور الفرنسي في الجزائر وفنّد عبارة الجزائر

¹Benyounes, op.cit, pp 66-67.

²الإضراب العام أخفق هيئة الأمم تنظر في القضية، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 20, 20 Janvier 1957, Paris, p08.

الفرنسية¹، وأثبت شل النشاط الاقتصادي والتجاري الذي تسبب فيه هذا الإضراب أهمية النضج السياسي الذي كان يتمتع به الجزائريون داخل وخارج الوطن.

لقد أثبت إضراب الثمانية أيام للعالم التفاف الشعب الجزائري برومته حول "ج.ت.و" من خلال الاستجابة الواسعة لنداء الإضراب الذي لبّته عموم فئات المجتمع الجزائري عمّالا أجراء وموظفين وتجارا، وقد نجح هذا الإضراب بشكل واسع مثلما حُطّط له سواء في الجزائر أو في فرنسا، إذ بيّن مدى تأثير جبهة التحرير في أوساط المجتمع الجزائري، ما جعل المستعمر يردّ بقوة وينتهج أساليبه الوحشية المعتادة في قمع الجزائريين²، وبالتالي فهو كما أكد "بن خدة" قد حقّق جميع أهدافه المسطرة ومراميه المرجوة³.

كان إضراب الثمانية أيام بفرنسا بمثابة التجربة الأولى في تجنيد الجزائريين سياسيا والتفافهم حول "ج.ت.و"، أما شعار الإضراب فقد أطلقته لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E) التي انبثقت عن مؤتمر الصومام، ويذكر "بن يونس" تجربته في هذا الإضراب فيقول: "بدأنا في جانفي 1957 بتوزيع المنشورات التي تدعو العمال الأجراء بعدم الالتحاق بمناصب عملهم بالمصانع والورشات والتجار بغلق محلاتهم، وصاحب توزيع هذه المنشورات تنظيم اتصالات ولقاءات في المقاهي لتحريض الجزائريين على تلبية نداء الإضراب وهو الأمر الذي أرغم بعض المناضلين على الكشف عن أنفسهم بأنهم ينشطون في ج.ت.و. ويخرجون بهذا العمل عن إطار السرية وهذا يعني أنهم أصبحوا معروفين على الأقل لدى الأشخاص الحاضرين في المجلس حتى ولو بقيت أسماؤهم مجهولة، فقد خلقت هذه العملية العديد من المفاجآت وسط جاليتنا، وكان الذين يتناولون الكلمة ويدعون الناس إلى الإضراب هم شابا في سن العشرين تقريبا"⁴.

يبدو أن صراع الأجيال الذي ظهر جليّا في أزمة ح.إ.ح.د بين المصاليين كقدماء للحزب يرون أنفسهم أصحاب الخبرة والتجربة الكافية لفرض قراراتهم وتعميمها على الجميع، وبين المركزين كشباب واعين ومتحمسين للتغيير ومواكبة ما يحدث من تغيرات على الساحة المحلية الإقليمية والعالمية. العالم كان يتغير بوتيرة سريعة في اتجاه تحرر الشعوب ونهضتها. قد استمر وتّجسد حتى لدى المهاجرين الجزائريين بفرنسا بين المنخرطين الجدد في التنظيم الجديد لجبهة التحرير الوطني وجُلّهم من الشباب المتحمس للكفاح المسلح وبين الجيل السابق من المهاجرين الذين بقوا تابعين لتيار مصالي الحاج وكلهم كبار في السن يرفضون تلقي تعليمات سياسية من هؤلاء الشباب الذين أرادوا أن يُملوا عليهم النهج الواجب إتباعه، وبالتالي فالعملية كانت صعبة في الواقع على هؤلاء الشباب.

1زهرة ظريف، مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني منطقة الجزائر المستقلة، تر: محمد ساري، دار الشهاب، الجزائر، 2014، ص 338.

2Benyounes, op.cit, p23.

3بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص125.

4Benyounes, op.cit, pp 23-24.

أشار "بن يونس" إلى صعوبة عملية الإقناع بالإضراب فأورد: "كان من الصعب على هؤلاء الشباب أن يجلسوا إلى وسط رجال كهول هاجروا إلى فرنسا منذ سنين عديدة... ليوجهوا لهم تعليمات سياسية... هذا لم يمنع من وقوع بعض الصدامات بحيث لم يبد بعض التجار الكبار في السن استعدادهم الكامل لغلق محلاتهم أثناء الإضراب... فمثلا في 20 شارع بولونجري بسانت دوني وجدنا ثمة تاجرا يوجه لنا عتابه قائلا: كيف بظنكم يمكننا العيش إذا وجب على التجار غلق محلاتهم وعلى العمال التوقف عن عملهم؟ فأجبتُه بأن له الليل كله لإيجاد إجابة لهذا السؤال فردّ منفعلا على كلامي لكن أحد أعمامي الذي كان في نفس سنه تدخل ونصحه بإتباع رأي الجميع وتوحيد الصفوف والدخول في الإضراب مع ج.ت.و".¹

لقد استطاعت هذه الأخيرة من وراء هذا الإضراب تعزيز مكانتها داخليا وخارجيا، وأثبتت وجودها على جميع المستويات الدبلوماسية والعسكرية وحتى الإعلامية، بحيث لا يمكن لأية دولة أو منظمة نقابية أو وسيلة إعلامية التحدث عن القضية الجزائرية أو الخوض في تفاصيل هذه المسألة دون المرور عبر جبهة التحرير الوطني²، التي أثبتت للجميع قوة الروح الثورية لدى الشعب الجزائري وطابعه التنظيمي الناتج عن إتباعه لتعليماتها كونها ممثلة الشرعي والوحيد.³

لعب "بن يونس" دورا فعّالا في إقناع المهاجرين الجزائريين بأهمية الإضراب وضرورة الانضمام إلى الجبهة من خلال اللقاءات التوعوية بالمقاهي على مستوى فنادق التجار الذين كانوا قد انضموا إلى الجبهة، رغم أن العملية كانت صعبة وخطيرة نظرا لاشتداد الرقابة وتحركات الشرطة الفرنسية وكذا عناصر الحركة الوطنية الجزائرية (M.N.A)، ويقول في هذا الصدد: "كنا نقوم بكتابة بالند العريض على جدران البنايات القريبة من المصانع والورشات التي يعمل بها الجزائريون شعارات وطنية وأخرى مناهضة للاستعمار مثل، تحيا ج.ت.و، يحيا جيش التحرير الوطني، تحيا الجزائر مستقلة، يسقط الاستعمار... أتذكر أنني في خضمّ ذلك النشاط تلّزم عليّ رمي معطفي في المزبلة لأنني لطّخته بمادة القطران التي استعملناها في كتابة تلك الشعارات على الجدران، لو أن الشرطة رأتهني به لأوقفتهني على الفور".⁴

على غرار استجابة الشعب الجزائري للإضراب في الجزائر، استجابت الجالية الجزائرية أيضا في فرنسا بشكل واسع لنداء ج.ت.و. و ولدعوة الإضراب فكانت في الموعد خاصة بعد أن أعطتها وسائل الإعلام ثقة أكبر حين وصلتتها أصداء عن طريق الإذاعة والصحافة، وأصبحت على إطلاع بكل ما يحدث في الجزائر من تطورات وما يحمله الإضراب من أهمية على مستوى صيرورة الكفاح من أجل الاستقلال، كما كان لتلك التدخلات العنيفة التي قام بها مضليو الجيش الفرنسي بالجزائر العاصمة لإجبار تجار حي

1Benyounes, op.cit, p24 -25.

2زهرة ظريف، مصدر سابق، ص391.

3جودي الأخضر بالظمين، لمحات في ثورة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص83.

4Benyounes, op.cit, p25.

القصة بفتح محلاتهم والتهديدات التي وجهت للمشاركين في الإضراب أن زادت وعززت من شعور التضامن لدى المهاجرين الجزائريين من أجل الثبات على الموقف الوطني.

يؤكد "بن يونس" هذه الاستجابة بقوله: "قمنا في اليوم الأول من الإضراب ثم في الأيام التي تلت بجولات استطلاعية حول مختلف الأحياء لمعرفة مدى استجابة جاليتنا لنداء ج.ت.و، فلاحظنا أنها كانت في الموعد واستجابت بشكل واسع لدعوة الإضراب... وأدركنا حينها تمام الإدراك بأهمية الإضراب وبتأججه الإيجابية على مستوى سيرورة الكفاح من أجل استقلال وحرية الجزائر... لقد عزز هذا الإضراب شعور التضامن لدى مهاجرين من أجل الثبات على الموقف الوطني، وكان تجنيدهم قويا ونجحت هذه الحركة بشكل واسع في ديار الغربة وبرهنت على وزنها الحقيقي الذي بات لا يستهان به في نظر الرأي العام الفرنسي".¹

من هذا المنطلق كان مجيء "ديغول" إلى رئاسة الجمهورية الخامسة متمحورا أساسا على القضاء بكل السبل الممكنة والمتاحة على "ج.ت.و"، وهذا ما طبقه بالفعل بمجرد وصوله إلى السلطة حيث كثف استراتيجياته الحربية والدبلوماسية ومزج بين الأساليب العسكرية والإغرائية لفصل الشعب الجزائري عن الثورة وإبعاده عن الالتفاف حول جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وهذا ما يمكن استنتاجه من خطابه الموجه للجزائريين سنة اعتلائه لسدة الحكم عندما سئل في نهاية مؤتمره يوم 15 مارس 1958 عن رأيه في تطور الأوضاع في الجزائر، فأجاب: "...إن السنوات الـ 130 التي استمرت حالة عدم اليقين في الجزائر، ولمدة أربع سنوات أو أكثر، لا تتوقف المعارك والهجمات... أقول إن فرنسا اتخذت قراراتها ولديها خطة واضحة ومؤكدة، وأنها تتبع هذه الخطة، وأن عليها، مع الجزائريين، أن تحقق تحول الجزائر بطريقة تكشف عن الشخصية الجديدة لهذا البلد..."²

2. دوره في محاربة الخونة والقومية:

نظرا للخطر الداهم الذي شكله هؤلاء الخونة على مسار الثورة ومستقبل البلاد ككل فإن مسؤولو فدرالية الجبهة بفرنسا قد قرروا تصفية أكبر عدد ممكن منهم كلما سمحت الفرصة لذلك، لاسيما بعد أن استعانت بهم الحكومة الفرنسية وأوجدت لهم رواتب خاصة وترقيات في السلم الأمني تشجيعا لهم على التجنّد لخدمتها ومساعدة مصالحها الأمنية في القضاء على مناضلي الجبهة من جهة وتهديد وتخويف المهاجرين من الانضمام لها من جهة أخرى.

يمثل هؤلاء الحركي "Harkis" حسب ما أطلقه عليهم الجيش الفرنسي جنودا مسلمين فرنسيين طيلة فترة 1954 - 1962، وقد كانت بدايتهم في الأرياف والمدن الجزائرية ثم انتقلت أعداد منهم إلى

1Ibid, p26 – 27.

2Le générale de Guelle et le problème Algérien, Une œuvre de longue haleine...inimaginable sans la présence et la situation de la France, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 34°, semaine du 23 au 29 Mars 1958, p01.

فرنسا، بعد أن سعت هذه الأخيرة إلى الاستفادة من تلك العناصر الخائنة لوطنها والباحثة فقط عن مصالحها الضيقة التي تكمن أساسا في خدمة مصلحة فرنسا وإعلان الولاء التام لها.¹

مثّلت هذه الفئة أحد أكثر العراقيين صعوبة على مسار العمل الثوري في الجزائر، لسيما في ظل تزايد أعدادهم من جهة، وتوسيع السلطات الفرنسية لنطاق السجون والمعتقلات من جهة أخرى، فقد شهدت سنوات نهاية الخمسينات وبداية الستينات ارتفاع كبير لعدد الجزائريين في مختلف مؤسسات التعذيب الفرنسية، وهو ما حثّ على قيادات الثورة ضرورة البحث عن أنجع السبل للقضاء على الخونة والعملاء من جهة، وتحرير ما أمكن من السجناء والمعتقلين من جهة أخرى.

تحدث "بن يونس" عن سياستهم في محاربة هذه الفئة فذكر قوله: "قرّرنا أن تكون ضربتنا الأولى الموجهة موجّهة ضد بعض أفراد القومية الذين كنّا نرى في انضمامهم الطوعي إلى صفوف الجيش الفرنسي مساسا بشرف الشعب الجزائري وبالكفاح المسلح من أجل الاستقلال، فتمّ تشكيل مجموعة قتالية في الدائرة الـ 18 الباريسية للتكفل بهذه العملية يقودها المناضل "بلاغ إيدير"، راحت عناصرنا تتابع القومية من ساحة الشانزيليزي حيث تفرّقت الجموع العسكرية بعد نهاية الاحتفال إلى غاية قصر فانسين أين يقيمون فقتلوا منهم قويا واحدا وأصابوا العديد منهم بجروح، نجحنا إذن في هذا اليوم 25 أوت من إسماع صوتنا ولفت أنظار الرأيين العامين الفرنسي والدولي، وثلما كنّا نتوقع جاء الردّ عنيفا ووحشيا من قبل مصالح الأمن الفرنسية التي سارعت مباشرة بعد العملية إلى فرض قوانين جائرة ضد الجزائريين المهاجرين وحصرهم وشرعت في إيقاف العديد من مناضلينا بما فيهم المسؤولين الكبار في التنظيم".²

"تمّ اعتقال "موسى قبائلي" قائد الولاية وإطارات أخرى نشيطة ثم إحالتهم على عمليات الاستنطاق الرهيبة، فقد نشرت دار Minuit الفرنسية كتابا تحت عنوان La gangréné يفصح ويؤنّد بشدة ممارسات الشرطة الوحشية أثناء استنطاق الموقوفين داخل السجون، وكان لهذا الكتاب رواج كبير تجاوز حدود فرنسا. "تركّت هذه الاعتقالات العديدة ضد مناضلينا أثرا بالغا على تنظيم ج.ت.و بفرنسا لكن ليس لدرجة التي يمكن أن يُقضى على التنظيم ككل فقد كانت هيئاتنا المختلفة محضّرة لمثل هذه الظروف حيث تتوالى فيها الضربات علينا وتعودنا عليها بحيث يتم بسرعة تعويض المسؤولين المعتقلين بآخرين ممن نتوّسّم فيهم الحنكة والنزاهة ثم نغيّر أماكن لقاءاتنا المعتادة ويستمرّ نشاطنا كجمع الأموال، توزيع المنشورات والتعليمات، نقل الأسلحة والوثائق السرية ففي خضم هذه الظروف والمستجدات تمّ تعييني للنشاط بشرق فرنسا".³

ثانيا: عسكريا

1 - دوره في الاستعراض العسكري لجبهة التحرير الوطني على التراب الفرنسي:

1 François-Xavier Hautreux, la guerre d'Algérie des Harkis 1954 – 1962, Perrin editions, France, 2013, p17.

2 Benyounes, op.cit, p 94-95.

3Ibid, p 95.

رغم توالي النجاحات التي حققتها الثورة التحريرية على المستويين الداخلي والخارجي، إلا أن الموقف الفرنسي منها لم يتغير وظل يتراوح بين الإدعاء تارة بأنها مجرد عمليات إرهابية متفرقة لا تمثل إرادة الشعب الجزائري، والتأكيد تارة أخرى على أنها مؤامرة خارجية ينفذها متواطئون مع جهات أجنبية إما سوفيتية بالأبعاد الإيديولوجية الشيوعية وإما إسلامية مصرية بأبعاد الأفكار الجهادية والدينية، وظلت هذه الصورة النمطية تغطي على عناوين وتفاصيل الصحافة الفرنسية لتغليط الرأي العام الفرنسي وإقناعه بهذه الصورة ليبقى بعيدا عن فهم حقيقة المسألة الجزائرية وما تعنيه بالنسبة لسلطاته الحكومية.

غير أن "ج.ت.و" كان لها رأي آخر ووقفت بالمرصاد لكل التلاعبات والمخططات الفرنسية، وعملت على تأسيس جناح تابع لها بفرنسا بهدف نقل الحرب الملتهبة نيرانها في الجزائر إلى عقر دار المستعمر، وزعزعة ضمير الشعب الفرنسي على وجه خاص والضمير العالمي على وجه عام بخصوص حقيقة كفاح الجزائريين من أجل الحرية والاستقلال.

يؤكد "بن يونس" هذه الخطة التي اعتمدها الجبهة بقوله: "هكذا قررنا تنفيذ عدد معين من العمليات التي تحمل طابعا استعراضيا قادرا على إثارة الاندهاش لدى المجتمع الفرنسي، أذكر من ذلك ثلاث عمليات مسلحة تركت صدى كبيرا على مستوى الرأي العام المحلي والدولي، وجعلت الكثير من المتتبعين سواء من العامة أو الخاصة يهتم بالقضية الجزائرية، كانت العملية الأولى "في 26 ماي 1957 حين جرت مقابلة في كرة القدم لنيل كأس فرنسا بين فريقي تولوز وأنجرس بملعب كولومب أمام أكثر من 43000 متفرج، وقد انتهت المباراة لصالح الفريق الأول بستة أهداف مقابل ثلاثة وسُلِّمت له الكأس من قبل رئيس الجمهورية الفرنسية "روني كوتي" "René Coty" الذي غادر الملعب بعدها مُحاطا بعدد من المسؤولين وكان من بينهم النائب الجزائري أحد أنصار الجزائر الفرنسية ويدعى "علي شكّال"¹، والذي تمّت تصفيته من طرف أحد فدائيي "ج.ت.و" وهو "محمد بن صدوق" صاحب 27 سنة.²

أما العملية الثانية فكانت في 26 جويلية 1958 قبل فتح الجبهة الثانية بفرنسا حين قاد الفدائي "دزّاز عبد القادر" عملية مسلحة ضد الخائن "أحمد جبّور" فأصابه بجروح بليغة بأحد المطاعم بالدائرة 15 بالعاصمة باريس، وكان جبور هذا قريبا "لجون ماري لوبان" "Jean-Marie Le Pen" عُيّن نائبا من 1958 إلى غاية 1962 مؤيّدا ومناصرا لفكرة "الجزائر الفرنسية"³، هذه الأخيرة التي عمل أعضاء وقادة

1 علي شكّال، جزائري من مناصري فكرة الجزائر فرنسية حيث دافع عنها بحماس في المجلس الجزائري الذي كان يشغل فيه منصب نائب الرئيس، بل راح يدافع عنها في نيويورك بمجلس الأمم المتحدة حيث تم استخدامه من قبل الوفد الفرنسي من أجل كسب الشرعية الدولية لصالح النوايا الاستعمارية= Benyounes, op.cit, p 97.

2 أحمد زروال، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00 . 11.15، 10 أكتوبر 2018.

3 Benyounes, op.cit, p 98.

المنظمة السرية "OAS" لتحقيقها بكل السبل والوسائل حتى وإن اقتضى ذلك زعزعة هيبة الإدارة الفرنسية، حتى أنها لم تتوانى عن قتل الكثير من عناصر الشرطة والجيش الذين وقفوا في طريق تنفيذ مخططاتها.¹ في حين حدثت العملية الثالثة في 15 سبتمبر 1958 حين قام كومندو "ج.ت.و" يتكون من الفدائيين "أوراغي مولود"، و"عدّور اسماعيل"، و"شروق عبد الحفيظ" بتنظيم كمين ضد "جاك سوستل" "Jacque Soustelle" بساحة إيتوال بباريس، وكان سوستال حاكما عاما على الجزائر ومساندا قويا لأطروحات المستوطنين الأكثر تطرفا وحلفائهم العسكر بدليل انضمامه إلى منظمة الجيش السري الإرهابية (I.O.A.S)²، التي كانت وظلت تنشط المقاومة الفرنسية في الجزائر وتسعى بكل قوتها للحفاظ على بقاء الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الأقاليم الفرنسية.³

2. دوره في فتح الجبهة الثانية للثورة على الأراضي الفرنسية في 25 أوت 1958:

يعتبر هذا اليوم من أهم تواريخ كفاح الجزائريين بالتراب الفرنسي ويمثل مرحلة جديدة في مواصلة معركة التحرير والاستقلال، وشاءت الأقدار أن يمثل يوم تاريخي عند الفرنسيين أنفسهم لأنه يصادف ذكرى تحرير مدينة باريس من الاحتلال النازي من سنة 1944، وكان المهاجرون الجزائريون يعيشون وضعاً صعباً خصوصاً بعد زيادة تصعيد السلطات الفرنسية لعملياتها العسكرية وسياساتها القمعية بعد نجاح طوائف المستوطنين في استمالة السلطات المدنية وكسب تأييد الجيش الفرنسي لأطروحاتها وهو ما تجسّد في تمردهم يوم 13 ماي 1958 الذي بذلت الحكومة الفرنسية كل جهودها للوقوف في وجه الداعين والمشجعين على هذا التمرد سواء كانوا من الجهات العسكرية أو المدنية.⁴

يبدو أن اختيار القيادة الجديدة لألمانيا بالذات سنة 1958 زمن "عمر بوداود"، لم يكن اعتباطاً بل كان اختياراً ذكياً جداً، وله خلفيات تاريخية وإيديولوجية حيث تم الاستعانة بالعلاقات التاريخية المتوترة بين فرنسا وألمانيا وكره هذه الأخيرة لفرنسا، كما أن الجميع يعلم أن أكره شعب لدى الألمان بعد اليهود هم الفرنسيين، لذلك كان اختيار الثوار لألمانيا مقراً للفدرالية هدفه ضمان التأييد الألماني وعدم انقلابه في كل الأحوال عكس ما يمكن أن يحدث في بقية الدول الأوروبية التي لم تخرج أبداً عن ولائها لفرنسا.

لم تنفع تهديدات الحكومة الفرنسية حيث بدا عجزها واضحاً وسائراً نحو الهلاك⁵، ما دفع بنسبة كبيرة من غلاة الفرنسيين والمستوطنين إلى الوقوف تأييداً لمواقف جنرالات الجيش الفرنسي بالجزائر أمثال

1 فتحي الذيب، مصدر سابق، ص 526.

2 Benyounes, op.cit, p 99.

3 Jean – Jacques Suisini, Histoire de L'OAS, Time la table ronde, Paris, 1963, p16.

4 يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، ج 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، د ت، ص 288.

5 الجنرال ديغول، مذكرات الأمل التجديد 1958 . 1962، تر: سمويح فوق العادة، منشورات عويدات، لبنان، 1971، ص ص 24 . 25.

القائد الأعلى للقوات العسكرية الجنرال "سالان"¹ "Salan"، والجنرال "ماسو" "Massu" الذي مُنحت له كل السلطات المدنية والعسكرية التابعة لمدينة الجزائر من أجل القضاء على نشاط فدائيي المنطقة الحرة، وشكّلت ما يسمى وقتها بـ"لجان الخلاص الشعبي" أو "الإنقاذ العام"² التي راحت تجمع تحت لوائها مؤيدي مقولة الجزائر الفرنسية.³

ازداد الوضع اضطرابا بسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة⁴ وازدياد الخلافات في هرم السلطة الفرنسية، بفعل الضربات الموجعة للثورة التحريرية التي أثبتت للعالم مرة أخرى نجاحها وقوة التفاف الشعب حولها، رغم رفع الميزانية العسكرية للجيش الفرنسي في الجزائر حيث بلغت 1,2 تريليون وهو المبلغ الذي حدده "فيليكس غايارد" "Félix Gaillard" للإنفاق العسكري سنة 1958⁵، ما دفع بالفرنسيين إلى الاستنجاد بالجنرال "ديغول" لتولي السلطة، والذي سيتفنن بدوره في محاولة القضاء عليها وفصل الشعب عنها بكل الطرق الترهيبية العسكرية (القمع والوحشية مثل توسيع نطاق السجون والمعتقلات، المحتشدات والمناطق المحرّقة، مخطط شال...) والترغيبية الإغرائية (السياسية والاقتصادية مثل مشروع سلم الشجعان وقسنطينة، تقرير المصير،...).

نتيجة لذلك ازداد الضغط على الشعب الجزائري في الأرياف والمدن، فعمدت "ج.ت.و" إلى القيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق بفرنسا، لتخفيف الضغط المُستلظ على الثوّار في الجزائر من جهة، وتُثبت للحكومة والشعب الفرنسيين مدى انخراط الجزائريين في قضية استقلال بلادهم سواء داخل أو خارج الوطن من جهة أخرى، فكانت هجمات 25 أوت 1958 على الأراضي الفرنسية.

لم يكن تنفيذ هذه العمليات سهلا ولم يتم اتخاذ قرار تطبيقها بين عشية وضحاها بل بدأ التحضير لها منذ فترة استمرت عدة شهور، كما تمّ تكوين الكثير من العناصر الذين أوكلت لهم مهمات قتالية وتدريبهم في المنظمة الخاصة وكان ذلك بالمغرب الأقصى ضمن قواعد جيش التحرير الوطني حيث يتلقى المقاتلون تدريباً على تقنيات التخريب بكل أنواعه واستخدام المتفجرات واستعمال الأسلحة الحربية، ويرأس هذه المجموعة الخاصة "رابح بوعزيز" الذي كان عضواً في اللجنة الفدرالية بمساعدة "نصر الدين آيت مختار" المدعو "مجيد" نائباً، يذكر "بن يونس" في هذا الصدد: "كان عناصر المجموعة محضّرين بالطبع

1 سالان، التحق بسلك المشاة التابع للجيش الاستعماري منذ 1917، قائد عام بالجزائر 1965، في سنة 1958 عبر عن تمسكه بالجزائر الفرنسية ثم التحق منذ 22 أبريل بحركة الانقلاب العسكري ليصبح لاحقا رأس منظمة الجيش اسري، للمزيد أنظر محمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، تر: عبد المجيد بوجلة، موفم للنشر، الجزائر، 2001، ص18.

2 رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958. 1962، منشورات نوبة للدراسات والبحوث، الجزائر، 2012، ص186.

3 عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج2، دار العثمانية، الجزائر، 2013، ص342.

4 بورغدة، مرجع سابق، ص 186.

5 André Morice, en Algérie, l'administration civile aussi doit faire son devoir, (MNT), Sé K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

للعمليات المسلحة ولكن دون علمهم بطبيعتها أو بمكان تنفيذها إذ يقتضي المبدأ أن يكونوا دائما على استعداد تام لأي أمر، تم تقرير هذا اليوم الموعود لنقل الكفاح المسلح بالتراب الفرنسي خلال اجتماع اللجنة الفدرالية مع قادة ولايات فرنسا، ثم صدرت التعليمات بالبدء في العمليات العسكرية¹.

لقد ركزت هذه العمليات على ضرب أهداف عسكرية واقتصادية حساسة حتى تظهر في شكلها الثوري الاستعراضي مما يُلقى بالتأثير الكبير على الرأي العام الفرنسي والدولي، وهكذا ضرب إذن كومندوس جبهة التحرير الوطني ما يقارب 200 هدف عبر كامل التراب الفرنسي، وكانت الضربة الأكبر ذات المشهد العظيم تفجير خزان الوقود بموريان "Mourepaine" بالقرب من مدينة مرسيليا الذي بقي يحترق لمدة أسابيع، ونج عنه إتلاف أزيد من 16 ألف متر مكعب من الوقود وخسائر مالية فُدرت بحوالي نصف مليار سنتيم²، كما توالى الهجمات بعد 25 أوت 1958 لأيام وأسابيع في كامل التراب الفرنسي وفق تقارير الشرطة الفرنسية لتشمل معظم المناطق والهياكل القاعدية والبُنَى التحتية³، والمراكز الحيوية تحت أصبحت على إثرها تحت طائلة الخطر في أي وقت⁴.

لعب "بن يونس" دورا كبيرا في التحضير والتنظيم والتخطيط لهذه العمليات التي تركزت أهدافها العسكرية أساسا على محافظات الشرطة، حيث تمت مهاجمة عدد معتبر منها بسلاح فدائيي ج.ت.و مثل الهجوم الذي نُظم على مصنع الذخيرة لمدينة فانسين لكن تم توقيفه فجأة ولم يُنقذ بسبب المرور المفاجئ بموقع العملية لدورية الشرطة التي تفتنت لوجود الكومندو قبل تنفيذ الهجوم بلحظات، ويتحدث عن دوره في الحادثة فيقول: "على الرغم من أنه قد تمّ التحضير لهذه العملية بشكل جيد إذ أشرفتُ شخصا على كل التحضيرات بأقبية 64 شارع "بواسوني" و 93 شارع "كلينيونكور"، وقمتُ بتعيين الفدائيين الذين اخترتهم من بين مناضلينا في الدائرة الـ 18 الباريسية لتنفيذ العملية، وقد قمتُ بذلك بالاتفاق مع رفيقي المناضل "موسى قبائلي" قائد الولاية، لما ظهر أن عناصر المجموعة الخاصة المكلفين بتنفيذ العمليات العسكرية لم يكونوا مستعدين للقيام بهذه العملية⁵.

يوصل "بن يونس" الكلام عن مهامه في تلك العملية بقوله: "كُلّفت بصفتي مسؤولا على ناحية الدائرة الـ 18 بانتقاء وتشكيل مجموعة تتكون من 27 مناضلا متطوعا لبعثهم إلى المغرب من أجل التدريب تحضيرا للعمل العسكري المخطط له، وقبل اليوم الموعود بقليل أتاني قائد هذه المجموعة ليخبرني عن قلقه كون الفدائيين الذين عُيّن مسؤولا عنهم لم يتلقوا بعدُ التدريب اللازم فأباح لي أنه لا يمكن الاعتماد عليهم في مثل هذه الظروف، قمتُ مباشرة بإبلاغ "أحمد يرماش" قائد المنطقة بهذا الأمر الذي بعث بتقريره ليبلغ

1 Benyounes, op.cit, p 90.

2 بزيان، دور الطبقة المهاجرة...، مرجع سابق، ص 37. 38.

3 Benyounes, op.cit, pp 87- 94.

4 بزيان، دور الطبقة المهاجرة...، مرجع سابق، ص 42.

5 Benyounes, op.cit, p91.

"آيت حسين" قائد العمالة الذي راسل هو بدوره "موسى قبايلي" قائد الولاية، ثم استدعاني هذا الأخير شخصيا حتى يسمع مني تفاصيل هذه القضية التي وصلته أخبارها عن طريق التقارير، التقيته وشرحت له الوضع فكلّفني حينها بأن أتولى أنا بنفسى انتقاء وتنظيم عناصر الكومندو لتنفيذ العملية المسلحة، وهكذا قمتُ بتكليف عناصر مجموعة الصدام التي تنشط بالناحية التي كنت مسؤولا عنها بتنفيذ الهجوم على مصنع الذخيرة بفانسين¹.

يشير "بن يونس" إلى عدة شخصيات جزائرية من مختلف ربوع الوطن كان لها الدور البارز والحاسم في هذه العمليات بقوله: "كان قائد المجموعة اسمه "حمدي العربي" المدعو صاحب الأذنين الطويلتين والمولود بمنطقة تيزي ترقا بتيزي وزو، ويساعده نائبا "محرزي يوسف الذي ينحدر من قسنطينة، وقد شارك في العملية "بوخار محمد" من مسيردة، و"خليفة عبد القادر" من أولاد ميمون بولاية تلمسان، "هيونة بوجمعة" من أزفون و"حبّيش" من ولاية بجاية، "مهني" من قسنطينة، "سلافة مولود" من سطيف، و"ولد علي مجيد" من عين الحمام، وآخرون كثير، وقد استشهد معظمهم أثناء الاشتباك مع الشرطة الفرنسية ووصلت حصيلة الخسائر من جانبنا في المجموع إلى 11 فدايا تم القبض عليهم... بينما قُتل شرطي واحد وإصابة العديد من الجرحى من جانب العدو، وكانت نتائج هذه العملية بليغة الدلالة إذ تم تسجيل 56 عملية تخريب لمنشآت مختلفة، 242 هجوما نفذها فدائيونا من بينها 181 هدفا أصيب بنجاح، نتج عن هذه العملية 88 قتيلا و188 جريحا من الجانبين"²، وبذلك تمكّنت الثورة من إرغام السلطات الفرنسية على إعادة ترتيباتها الأمنية وترقب لما ستقدم عليه الجبهة من أعمال في مواقع أخرى مختلفة في قادم الأيام³.

بدأت هذه العمليات مع اندلاع الثورة ردا على اعتداءات عناصر ح.و.ج لمصالي الحاج، وأفراد الشرطة الفرنسية ممن يجرون على الجزائريين، وضربا للحركة والقومية الذين تمّ إحضارهم من الجزائر ليجوبوا شارع الشانزليزي بباريس في استعراض مقدّمين أنفسهم أمام الشعب الفرنسي وأمام الرأي العام الدولي. كما تريده فرنسا. أنهم يمثلون الجزائر مساندين راضيين بسياسة سلطة المستعمر⁴.

المطلب الخامس: أهم مسؤولياته الثورية في فرنسا

1. تعيينه مسؤولا لمنطقة باريس:

مثلما تم إعادة تقسيم التراب الفرنسي حسب المعطيات الجديدة سيتم أيضا موازاة مع هذا التغيير في التقسيم الجغرافي إعادة تعيين الكثير من الإطارات وهذا لتعويض المسؤولين الذين اعتقلوا من جهة وتعيين قادة آخرين جدد في المناصب الجديدة التي خلقتها الجبهة حسب التقسيم الجديد من جهة أخرى، وفي هذا السياق تم تعيين "أكلي بن يونس" مسؤولا على منطقة باريس وعلى الدوائر الثلاث 17 و18 و19،

1Ibid, p 91.

2 Benyounes, op.cit, p92.

3Karim Flissi, Jacques Verges l'anticolonialiste, édition du Félin, Paris, 2005, p58.

4Benyounes, op.cit, p 94.

ويقول في هذا الصدد: "أما تعييني قائد منطقة فيعود سببه إلى كون "أحمد يرماش" المسؤول السابق تمّ ترقّيته قائد عمالة وتعيينه بشرق فرنسا، وتبيّن أن هذا الأخير كان مسؤولاً سابقاً في ح.إ.ح.د بشرق فرنسا وبالتحديد في مدينة سوشو، حيث كان مقيداً اسمه في سجلات الشرطة، وعلى هذا الأساس فلا يمكن الإبقاء على هذا التعيين بحيث سيؤدي به حتماً إلى زنانات المستعمر بمجرد أن تطأ قدمه رصيف محطة قطار مدينة سوشو، الأمر الذي أدى إلى إلغاء التعيين على الفور وهكذا عُيّن شخصياً قائداً عمالة بشرق فرنسا..¹

يضيف قائلاً: "كانت ولاية الشرق أي. الرابعة. مقسّمة إلى عمالتين اثنتين، كانت العاملة الأولى التي عُيّن على رأسها تضم إليها عدة محافظات تمتد من منطقة الألزاس أي الراين المرتفعة والمنخفضة وفوج وإقليم بلفور وفرانش كونتي إلى غاية ديجون وبونتارلي وصولاً إلى الحدود مع سويسرا مروراً على بيزنسون، أما العمالة الثانية التي عُيّن "عبداس جعفر" قائداً عليها فكانت تتربع على منطقة اللوران أي "موزيل" و"مورث" والتي تمتد إلى غاية الحدود الألمانية ومنطقة "دوشي" الكبيرة التابعة للكسمبورغ، كانت هاتان العمالتان تخضعان لأوامر "علي بوداود" المدعو "بيرنار" قائد الولاية الرابعة الذي أتى من منطقة باريس رفقة "ميلود هارون" الذي كان قائماً بشؤون الدعاية والإعلام.²

في 20 ديسمبر 1958 غادر "بن يونس" باريس منتقلاً إلى ولاية الشرق ضمن استراتيجيات الفدرالية لإعادة هيكلة التنظيم واتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لتجنّب الوقوع في أيدي الشرطة الفرنسية، يتحدث عن انتقاله فيقول: "قرّرت الالتحاق بمهمتي وأداء واجبي لكن بنوع من الأسى وأنا أرى نفسي أغادر باريس ليس لأن لي بها دراية كبيرة فحسب وإنما أيضاً أترك أصدقائي وأقاربي، اتجهت إلى محطة الشرق لركوب القطار للسفر إلى مدينة ميلوز وكان عمري حينها 22 سنة وقد رافقني إلى المحطة صديق الدرب المخلص بن عبد السلام... لبستُ لهذا السفر بذلة صدرية وربطة عنق، ثم قرّرت تغيير هندامي فبدلت حقيبتني بأخرى ذات الاستعمال الرياضي تُحمل على الكتف وبستُ قميصاً مزداناً بلوان حتى أُعطي مظهراً لرجل ريفي فلاح، وُرّحت أظهار مثل عامل جزائري يبحث عن عمل، هكذا فرض العمل السري نفسه علينا بشكل طبيعي..³

لم يقتصر العمل السري على مناضلي الفدرالية فحسب بل كان هذا النظام السري معمول به أيضاً على مستوى الوفود الجزائرية التي كانت تمارس النشاطات الدبلوماسية في بلدان أوروبا الغربية حيث تلجأ دوماً إلى تقمص هوية دبلوماسية مستعارة عادة ما تكون لدول عربية أخرى كسوريا، اليمن، تونس والمغرب، من أجل المشاركة في مختلف المحافل الدولية كالأمم المتحدة، أو الاتصال بزيارة مختلف البلدان الأوروبية وعواصمها، وقد اضطرت تلك الدول للاتصال بهم بغض النظر عن وضعهم الدبلوماسي المستعار، وهكذا

1Ibid,p102.

2 Benyounes, op.cit p 102-103.

3Ibid, p109.

تمكّنوا من كسب أصدقاء جدد للثورة وتحصيل معونات متنوعة وتغيير مواقف الرأي العام بتلك البلدان لصالح القضية الجزائرية.

كانت ف.ج.ت.و تتحرّى دائما السريّة التامة في كافة عملياتها بسبب ما يتعرض له مناضلوها من الاعتقال، وإحالتهم على عمليات الاستنطاق التي كانت تُقام تحت التعذيب الوحشي مما يسمح للشرطة أحيانا على معلومات مختلفة مثل عناوين المخابى، أو أسماء لمسؤولين في الجبهة وهذا يؤدي إلى تفكيك هيئة من مجموع هيئات التنظيم التي يتطلب تكوينها جهودا كبيرة، لهذا كان مناضلو الجبهة حريصون على إتباع التعليمات الصارمة واتخاذ كل الاحتياطات لتجنب الوقوع في أيدي الشرطة منها التظاهر دائما بالتصرف كعمال أجراء بالمنطقة التي عُيّنوا بها، والحذر من سؤال القابض عن سعر التذكرة عند ركوب وسائل النقل حتى لا يبدون غرباء لا يعرفون الأسعار وغيرها من الاحتياطات التي كانت تبدو سهلة لكنها صعبة التطبيق تحتاج حذرا دائما وشخصية مُصطنعة لإبعاد الشبهات.

2. تعيينه منسقا على مستوى التراب الفرنسي:

أمام النتائج الكبيرة التي حققتها مظاهرات الجزائريين السلمية بباريس في 17 أكتوبر 1961، عقدت السلطات الفرنسية العزم على استئصال ف.ج.ت.و من باريس بشكل خاص ومن كل التراب الفرنسي بشكل عام، فكتّفت لتحقيق ذلك من عمليات القمع والاعتقال لكل مشتبّه فيه بانتمائه أو تعاطفه مع الثورة، ما تسبب في تضيق الخناق على مسؤولي الفدرالية حيث اضطر من بقي منهم خارج السجون والمعتقلات إما إلى الاختباء في أماكن مجهولة بعيدا عن مدامات الشرطة الفرنسية، وإما عبور الحدود ومغادرة التراب الفرنسي نحو الدول المجاورة لفرنسا كألمانيا وبلجيكا وسويسرا وإسبانيا.

يذكر "بن يونس" في هذا الصدد: "بعد حملة الاعتقالات التي شنت يوم 9 نوفمبر 1961 ضد مناضلينا سافرت إلى باريس لأتفقد أوضاع التنظيم هناك فاتّصلت بالمسؤولين الذين أفلتوا من الاعتقال وكان أول اتصالي بـ "محمد عتّابة" قائد ولاية التقينا على موعد بأحد المقاهي بساحة "نوترودام دولورات" بالدائرة التاسعة، أخبرني بأن عددا من أعضاء لجنة التنسيق قد تم توقيفهم وأن "محمدي محند صادق" قائد ولاية بباريس قد غادر العاصمة الفرنسية حتى لا يتم اعتقاله هو بدوره، أما بخصوص الوضع بالنسبة للولايات الأخرى فلم تكن لدى محدثي أية معلومة فافترقنا هنا وأكدنا على بقائنا في اتصال، الأهم الآن هو مواصلة العمل والنشاط باتخاذ كل الإجراءات الضرورية وكان انشغالي أكبر على الأموال التي جمعناها من أفراد جاليتنا..."¹

توضّح هذه الشهادة مدى الحنكة والخبرة التي يمتلكها "محمّد آكلي بن يونس" حيث أنه وفي عزّ تأزم الأوضاع في العاصمة الفرنسية على المهاجرين الجزائريين بشكل عام وعلى مسؤولي الفدرالية بشكل

1 Benyounes, op.cit, p 138.

خاص إلا أنه استطاع التنقل إليها ومواصلة العمل باتخاذ كل الإجراءات اللازمة لمواصلة النضال الوطني رغم كل التحديات والعراقيل، وهذا ما يؤكد أنه يتميز بحسن التدبير قبل القيام بأي خطوة إلى الأمام من جهة، وأن له قدرة فائقة على التصنّع والتمثيل بحيث لم يلفت انتباه أيا من عناصر الأسلاك الأمنية الفرنسية رغم شدة تحرياتها وكثرة تركيزها على استهداف الجزائريين ومن يشبههم، وظلت هذه ميزة استثنائية لـ"بن يونس" الذي لم يتعرض قط للاعتقال طيلة فترة تواجده بالأراضي الفرنسية، وهذا ما جعل قيادة الفدرالية تختاره لإكمال المسيرة النضالية خلال تلك الفترة الحساسة من خلال ترقيته إلى مسؤول للتنسيق بين مختلف المناطق والولايات الفرنسية.

يضيف "بن يونس" قائلا: "بعد أيام قلائل عدتُ إلى باريس والتقينا نحن الاثنين في المكان نفسه وأخرج لي "عتابة" رسالة من جيبه وسلمها لي وكانت من "قدّور لدلاني" العضو في اللجنة الفدرالية المقيمة بألمانيا وتحمل إمضاءه، فتحتُ الرسالة فوجدتُ عليها مكتوبا من اللجنة الفدرالية يتضمن تعيين "دانيال" . اسمه المستعار أثناء الثورة . منسقا على مستوى التراب الفرنسي ونطلب من كل المسؤولين أن يتبعوا أوامره، وعيّنتُ بذلك منسقا بين الولايات الفرنسية، وبعدها وضعت الأموال التي كانت بيد "عتابة" في مأمّن غادرتُ ليون نهائيا للإقامة بباريس، ثم شرعتُ في تعويض المسؤولين الذين أصبحوا غير جاهزين للقيادة فعيّنتُ مكانهم قادة جدد للولايات وأعددتُ برنامجا جديدا لتنظيم جبهة التحرير الوطني بفرنسا..."¹

كان "بن يونس" شديد الحرص على تنظيم كل الأمور المتعلقة بالعناصر الناشطة في فدرالية الجبهة خصوصا إذا تعلق الأمر بالجانب الأمني، حيث يسعى دوما لضمان الاستقرار في صفوف المناضلين والمسؤولين وإبعاد أية شبهات مهما كانت صغيرة لأنها قد تلفت انتباه السلطات الفرنسية، وهذا ما يتضح في العديد من التقارير التي كان يكتبها أو يرسلها للقيادة عند قيامه بأية خطوة جديدة، حيث أشار في تقرير له يوم 05 ديسمبر 1961 أنه قد غيّر العديد من العناوين المستخدمة لدى مناضلي المنظمة الخاصة للجبهة بباريس (فنادق، شقق، مقاهي...) قبل مغادرته لها، كما أوضح أنه لم يقبل على هذا القرار إلا بسبب عدم تلقيه للرد من طرف القيادة العليا رغم انتظاره له أكثر من عشرة أشهر كاملة.²

بوجود مثل هذه الشخصيات الفذة استطاعت ف.ج.ت.و العودة من جديد رغم كل الأساليب الوحشية والسياسات القمعية التي طبقتها الشرطة الفرنسية في حق الجالية الجزائرية أثناء مظاهرات 17 أكتوبر 1961، ومساعدتها لتحطيم هذه الفدرالية بشكل نهائي بعد اعتقال جلّ إدارتها ومناضليها خصوصا الذين تقلدوا مسؤوليات بباريس، إلا أن الجبهة استطاعت وفي ظرف أسابيع فقط من إعادة تكوين وتركيب التنظيم

1 Benyounes, op.cit, pp140-141.

2Rapport d'activités Daniel, Paris le 5/12/1961, B1.D2 ¹⁰, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger.

سواء على مستوى القيادة أو القاعدة، وأعيد تأسيس نظام الولايات السبع السابق تماشياً مع الظروف الجديدة.

وهذه كلها دلائل واضحة على قوة الثورة الجزائرية في فرنسا من خلال وصولها ثم هيمنتها على مختلف الأقاليم الفرنسية بعد إبعادها لمنافسيها من ساحة المعركة من جهة، ونجاحها في تأطير وتنظيم المهاجرين وتحويلهم إلى ورقة رابحة لصالح القضية الوطنية من جهة ثانية، وعلى الإخلاص والروح الوطنية العالية التي تميّز بها أفراد الجالية الجزائرية بالمهجر من جهة، والتفافهم حول "ج.ت.و" وقيادتها، وتمسّكهم بمبدأ الحرية والاستقلال مهما كان الثمن من جهة أخرى.

المطلب السادس: حياته بعد الاستقلال سنة 1962

1. تواصل جهوده النضالية خلال الفترة الانتقالية:

واصل التنظيم نشاطه بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار، خصوصاً في ظل العمليات الإرهابية التي كانت تقوم بها منظمة الجيش السريّ من اغتيال الجزائريين وعمليات التخريب الواسعة لأي شيء قد يستفيدون منه، كما عملت الفدرالية على تقديم المساعدة المادية والمعنوية للمهاجرين الجزائريين لاسيما الخارجين من السجون والمعتقلات وإعادة دمجهم مع الأوضاع الجديدة، وعلاوة على ذلك تولت الفدرالية أيضاً خلال هذه المرحلة إلى جانب المهام المذكورة، مهمة تكوين المناضلين من المهاجرين وتهيئتهم لتسيير الجزائر الجديدة ما بعد الاستقلال بعد تكوينهم كإطارات سامية، وتهيئتهم لتولي مسؤوليات جديدة والمشاركة في بناء الدولة الفتية في ظل نقص تجربة الجزائريين آنذاك في الإدارة والحكم مع بقاء التنظيم، مُخلصاً في ولائه للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عكس ما كان يحدث في الجزائر من بداية الصراع حول الأحقية في تسيير شؤون البلاد.

لم يتوقف نشاط "بن يونس" بوقف إطلاق النار واسترجاع الجزائر لاستقلالها بل تواصلت مسيرته النضالية في معركة البناء والتشييد من جهة والحفاظ على المكتسبات المحققة من جهة أخرى، لاسيما في ظل التوترات الأمنية التي عرفت الجزائر غداة الاستقلال من طرف أفراد وأعوان منظمة الجيش السري الإرهابية التي عاثت فساداً في البلاد وأطلقت العنان لارتكاب جرائم وحشية في العباد، وزادت بوادر الصراع على السلطة السياسية بين رفقاء النضال في الأمس القريب الطينة بلة والوضع تأزماً، وأصبح الجميع من الحاضر متخوفاً والمستقبل متربحاً.

يتحدث عن دوره في استمرار مهام الفدرالية في فرنسا بعد تاريخ 19 مارس 1962 بقوله: "بقينا وقتها نحافظ على تماسك جهودنا النضالية حتى نقف سدا منيعاً أمام هذه الهجمات المنظمة ضد أفراد جاليتنا ونحبط كل محاولة لزعة ركائز هيئاتنا النظامية التي أصبحت الآن معنية بمهام أخرى جديدة تتمثل في استقبال وتوجيه الآلاف من مناضلينا الذين أطلق سراحهم من السجون والمعتقلات والذين هم بحاجة إلى المساعدة المادية والمعنوية مثلما يجب إحصاؤهم وتنظيمهم، ولهذا الغرض فتحنا عدة مراكز حيث نقوم

بتوزيع على إخواننا الملابس والأغطية وحصصا من المال لاقتناء بعض الحاجات اليومية، وخلال هذه الفترة نفسها قرر التنظيم فتح مدرسة بالضاحية الغربية لباريس لتكوين إطاراتنا ومناضلين لضمان دمجهم مع الأوضاع الجديدة وإتمام تكوينهم وإثراء معارفهم للاضطلاع بالمسؤوليات الجديدة في الجزائر المستقلة والمشاركة في بناء أسس إدارتنا الفتية، وكان من بين المكونين الذين يقومون بتأطير هذه المدرسة "بلقاسم بن يحيى"، "عبد الكريم شيطور"، "زين العابدين مونجي"، "جعفر عبدس"، و"موسى قبائلي"¹.

2. دوره في التحضير لاستفتاء الأول من جويلية 1962:

إلى جانب كل تلك المهام كانت "ف.ج.ت.و" متفرغة لمهمة أخرى صعبة للغاية وهي التحضير لاستفتاء تقرير المصير، وقد شارك "بن يونس" في هذه المرحلة الانتقالية من خلال تهيئة المقرات التي تتم فيها عملية الاستفتاء بفرنسا، وإيجاد المستخدمين لاستقبال الناضحين في مكاتب الاقتراع وضمان السير الحسن للعملية الانتخابية، من أجل إنجاح الاستفتاء ومشاركة الجالية الجزائرية فرحة الاستقلال التي طال انتظارها.

لقد تم انجاز هذا العمل بالتعاون مع السلطات الفرنسية التي كانت على اتصال مع "حسين مهداوي" الذي كان وقتها مسؤولا عن جماعة المحامين التابعة لتنظيم الجبهة، نصّب مكتب هذه الجماعة رسميا بشارع الجامعة بالدائرة السابعة بباريس بمقر وضعته لجنة ما بين الحركات المساعدة للمهجرين (C.I.M.A.D.E) تحت تصرفها، ويرأس مكتبه "أحمد دوم"، وقد تم تحويل هذا المكتب إلى 23 شارع "لويس لوقراند" "Louis leGrand" بالدائرة الثانية الباريسية ثم يتحول إلى مقر للودادية الجزائرية بفرنسا التي جاءت لتخلف لجان اليقظة التي تأسست سنة 1962 لتأييد ومساندة المكتب السياسي.²

بمجرد دخول قرار وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في 19 مارس 1962 عرفت الجزائر مرحلة جديدة كانت صعبة وحرجة نظرا لاشتداد الصراع حول السلطة، وهذا ما تجسّد بشكل واضح في مؤتمر طرابلس خلال نفس السنة، والذي هدف خصيصا إلى المصادقة على برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية، وتعيين قيادة جديدة تشرف على تسيير المرحلة الانتقالية باعتبارها مرحلة حاسمة في تاريخ الدولة الجزائرية الفتية³، وقد شارك هذا التنظيم في هيئة قيادة الثورة المتمثلة في المجلس الوطني للثورة الجزائرية في هذا المؤتمر، وكان ممثلا في هذا الاجتماع عن طريق أربعة أعضاء من اللجنة الفدرالية أما الخامس وهو "قدور لدلاني" فقد بقي بفرنسا ليضمن مداومة نشاط التنظيم هناك.⁴

1Benyounes, op.cit, p 168-169.

2Benyounes, op.cit, pp 169-170.

3علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 . 1962، ط1، دار القصة، الجزائر، 2011، ص 285.

4 Benyounes, op.cit, p170.

تم تنظيم هذا الاستفتاء تحت رعاية الجهاز التنفيذي للحكومة الجزائرية، الذي أُسس عقب مفاوضات إيفيان الثانية لضمان عملية الاختيار ما بين بقاء النظام الكولونيالي أو استقلال الجزائر، وكان على رأس هذا الجهاز التنفيذي "عبد الرحمن فارس" الذي خرج من السجن غداة الإعلان عن وقف إطلاق النار، وإعلان الرئيس الفرنسي "ديغول" أن المسألة الجزائرية قد اقترنت بالحل وأن المأساة قد انتهت أخيراً¹، وقد جرى الاستفتاء أول جويلية لتقرير مصير الشعب الجزائري في ظروف حسنة وبنجاح تاريخي عظيم حيث صوّتت نسبة 99,72% بنعم لاستقلال الجزائر و0,28% ضد هذا الاستقلال²، وبهذه النتيجة الإيجابية انتصرت إرادة الشعب الجزائري باسترجاع السيادة الوطنية على كامل أراضيه واسترجاع حريته المسلوبة منذ عقود طويلة وإنهاء الاحتلال الذي دام أزيد من قرن و32 سنة كاملة.³

3. من طرابلس "Tripoli" إلى "مولون" "Melun"⁴

بقي "بن يونس" يواصل نشاطه في جمع الاشتراكات وتنفيذ المهام الجديدة التي فرضها وقف إطلاق النار، حيث يذكر في هذا الصدد: "كنا في الحقيقة بفرنسا نتابع باهتمام أعمال المجلس الوطني للثورة الجزائرية ونترقب ما طبيعة القرارات التي سيخرج بها من طرابلس طالما كنا معنيين بها ككلية، لكن للأسف خابت آمالنا في هذا الاجتماع ولا شيء خرج به المجلس إن لم نقل شقاً كبيراً قسم الهيئة العليا للثورة، الأمر الذي دعانا أمام هذه الحقيقة المخيبة حتى لا نقول المثبطة إلى عقد ندوة خاصة بالتنظيم بمولون بتأطير كل من "دانيال" و"حسين المهداوي" و"سليمة بوعزيز" المدعوة "سعدية" على شكل مؤتمر يجمع كل الإطارات دون تمييز بالإضافة إلى عدة ضيوف من بين المسؤولين المجاهدين في الجزائر دعوانهم لحضور هذا اللقاء، إلا أنه ولا أحد من الضيوف لبى الدعوة فالبعض منهم تجنب الحضور حتى لا يُحسب منخرطاً إلى موقف الفدرالية لأن هذه الأخيرة كانت تؤيد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والبعض الآخر فضّل أن يبقى محايداً، وكان من بين المشاركين في الندوة "محمد بوضياف" و"مراد طربوش"، "بوينيدر صالح" وضباط من الولاية الرابعة وهم "حرموش سعيد" و"بولخروف يوسف" والملازم الأول "علواش" الناطق الرسمي باسم الولاية الرابعة".⁵

1 الجنرال ديغول، مصدر سابق، ص 141.

2 Benyounes, op.cit, p169.

3 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر...، مرجع سابق، ص 540.

4 مولان، مدينة فرنسية شهدت محادثات بين الطرفين الفرنسي والجزائري بتمثيل كل من "يومنجل أحمد" و"محمد الصديق بن يحي" يوم 25 إلى غاية 29 جوان 1960، غير أنها باءت بالفشل بسبب تأكيد نوايا فرنسا الاستعمارية التي سعت إلى وقف إطلاق النار مقابل بقاء مصالحها فوق كل اعتبار، إضافة إلى استصغارها لمفاوضي الحكومة المؤقتة التي أشار إليها "عباس" بأنها كانت ترفض مناقشة الند للند وتعتمد حكم القوي للضعيف وإملاء شروطه عليه = L'Algérie la France et le G.P.R.A comment le dialogue peut reprendre, De Gaulle et le FLN restent observateur du moyen-orient et de l'Afrique, 15 Juillet 1960, pp 09- 11. sur leurs position, observateur du moyen-orient et de l'Afrique, 09 Septembre 1960, p06.

5 Benyounes, op.cit, pp170 - 171.

بالرغم من اعتبارها ولاية مكتملة الوظائف منذ ديسمبر 1959 على غرار باقي الولايات التاريخية إلا أن الفدرالية قد دفعت ثمن موقفها الثابت بخصوص شرعية "ج.ت.و"، حيث قام المكتب التأسيسي الذي تم تنصيبه في تلمسان بشطبها من القوائم الانتخابية، لتجد بذلك الجالية الجزائرية نفسها مقصية من أي شكل من أشكال المساهمة في أول برلمان في الجزائر المستقلة رغم كل التضحيات والجهود النضالية التي قامت بها في المهجر على جميع الأصعدة، ليتم حلها نهائيا في أكتوبر 1962.¹

تمحورت القرارات التي خرجت بها الندوة حول نقطتين أساسيتين تمثلت الأولى في عدم قبول أي واحد من الإطارات من أعضاء اللجنة الفدرالية في المجلس التأسيسي الذي سيتم تنصيبه قريبا في الجزائر، أما النقطة الثانية الثاني فكانت حول الأموال التي حصلت عليها وجمعتها ج.ت.و من أفراد الجالية بفرنسا ولم يتم نقلها بعد إلى الحكومة المؤقتة عن طريق السبل المعتادة، وقد تم الاتفاق أثناء هذا الاجتماع على بقاء هذه الأموال في صناديق التنظيم لدى اللجنة الفدرالية ولن يتم تسليمها إلا لصالح السلطة الشرعية الجديدة التي ستنبثق في الجزائر المستقلة عند نهاية الأزمة.²

كما تقرر في هذا الاجتماع أيضا حل اللجنة الفدرالية ذاتها وضم أعضائها إلى ولايات الداخل، وهكذا يصبح كل من "عمر بوداود" و"سعيد بوعزيز" و"قدور لدلاني" تابعين إلى الولاية الثالثة، وتم إلحاق "علي هارون" بالولاية الرابعة، ثم عيّنوا نوابا في المجلس التأسيسي الجزائري في سبتمبر 1962 في إطار حصص المقاعد الموزعة على الولايات، أما "عبد الكريم سويس" فلم يتم تعيينه نائبا في ذات المجلس.³

في نفس الفترة تفوّقت جماعة تلمسان وأعلنت رسميا عن تأسيس المكتب التأسيسي يوم 21 جويلية 1962، عقب اجتماع ضم جميع أنصار هذه الجماعة وحملوا على إثرها وزراء الحكومة المؤقتة الخمسة الذين كانوا معتقلين مسؤولية تفاقم الأزمة، بعد أن اتهم "بن بلة" بالتحالي والاستبداد المبني على نوع من التفوق العسكري⁴، وتشكلت بعد أسبوع اللجنة الوطنية للدفاع عن الثورة لتصبح القطب الثالث في حلبة الصراع على الشرعية بعد تلمسان والجزائر العاصمة، في حين أعلن باقي أعضاء الحكومة المؤقتة استعدادهم لقبول هذا المكتب شريطة النظر فيه بعد استدعاء المجلس الوطني للثورة للانعقاد⁵، غير أن استقالة "سعد دحلب" و"آيت أحمد" من الحكومة المؤقتة والمجلس الوطني للثورة قد أعاد ترتيب المشهد من جديد.⁶

على مستوى فدرالية الجبهة يذكر "بن يونس" أن: "بوداود" الذي استودعه "عبد الكريم سويس" أمانة أموال ج.ت.و قد قام بوضع هذه الأموال تحت تصرف "محمد خيضر" الذي كان يشغل وقتها

1 بوداود، مصدر سابق، ص 239.

2 Benyounes, op.cit, p 171.

3 Benyounes, op.cit, p, p 171.

4 الطاهر زيري، مصدر سابق، ص 285.

5 حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع...، مصدر سابق، ص 294.

6 Haroun, L'été de la discorde..., op, cit, p 145.

منصب أمين عام في ج.ت.و، وعودته إلى ندوة "مولون" يمكننا القول أنها كانت بمثابة المؤشر على تفكك فدرالية "ج.ت.و" بفرنسا فقد رأينا كيف تمّ الإسراع في تجاوز قراراتها الأساسية، في الحقيقة تركت هذه الندوة شعورا مليئا بالأسى لدى أغلبية الإطارات الذين تفرقوا بعدها وهم يحملون همّ البحث عن عمل أو وظيفة يجدونها في الجزائر حتى يعولوا عائلاتهم التي فارقوها لمدة طويلة، كانت الخيبة عظيمة جدا، إلا أن بعض المناضلين كانوا يتصورون في الحقيقة أن نيل الاستقلال لا يعني بالضرورة نهاية نشاطهم النضالي بل كان ذلك سوى مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر وهذه مرحلة أخرى لمعركة جديدة في بناء الجزائر الحرة".¹

يضيف عن مصير الفدرالية وأهم مؤسسيها قوله: "وقد جمعت مهمة البناء هذه أقلية من بيننا تلتفت من حول "محمد بوضياف" وعلى الرغم من أن هذا الأخير تم انتخابه عضوا في المجلس التأسيسي الجديد إلا أنه رفض المشاركة في جلساته ثم استقال منه، وقرّر مغادرة ج.ت.و التي يُعدّ هو من بين أكابر مؤسسيها، لينصرف إلى تأسيس حزب جديد سماه "حزب الثورة الاشتراكية" (P.R.C) وقد انعقد الاجتماع التأسيسي لهذه التشكيلة السياسية الجديدة بفرنسا بحضور العديد من المجاهدين أتوا في معظمهم من الجزائر، وبعد تنصيب هياكل وهيئات حزب الثورة الاشتراكية شرعنا في التعريف بأفكاره وأهدافه ونشرها لكن سرعان ما ظهرت الخلافات حول بعض القضايا".²

لم يبق حزب "ج.ت.و" بنفس الإيديولوجية التي كانت سائدة أثناء الثورة المسلحة، عندما كان يضمّ كل التيارات السياسية التي كان هدفها متمحورا على تحرير الجزائر بكل السبل الممكنة، إذ سرعان ما استولى عليه "بن بلة" وجماعته وأفرغوه من تلك الإيديولوجية خاصة بعد أن تحول إلى حزب ببرنامج سياسي محدد في مؤتمر طرابلس 1962 ويستهدف تحقيق فكرة "بن بلة" وهي الديمقراطية الشعبية في الجزائر³، وأصبح تدريجيا الحزب الوحيد في الجزائر وفقا لهذا المؤتمر الذي أكدّ عناد المشاركين فيه بما لم ينفعه بعد فشلهم في توحيد الرؤى المستقبلية لأفكارهم وآرائهم⁴، بعد أن تم إلغاء كل تشكيل حزبي غير جبهة التحرير الوطني، وقد ألغي في هذا السياق الحزب الشيوعي في 29 نوفمبر 1963، كما اعتبر حزب الثورة الاشتراكية بزعامة "بوضياف" حزبا خارجا عن القانون.⁵

ذكر "بن بلة" في مذكراته مدافعا عن وجهة نظره في تصفية كل العناصر والأحزاب التي لها قناعات وإيديولوجيات مختلفة عن أفكار "ج.ت.و" بالقول: "عليّ أن أقول إننا عندما وصلنا إلى السلطة، لم يدر بخاطرنا أن نترك الأحزاب السياسية تتكاثر في الجزائر، وإن تعدد الأحزاب عندنا لا يمكن أن يقود إلا إلى

1Benyounes, op.cit, p 172.

2Benyounes, op.cit, p 174

3لونيس، رؤساء في ميزان التاريخ...، مصدر سابق، ص 69.

4Le FLN après la réunion de tripoli, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 69°, semaine du 18 au 31 Janvier 1960, pp32 – 33.

5بن يامين ستورا، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، تر، صباح ممدوح كعدان، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012، ص24.

البليلة وتشيتت الجهود والفوضى، وربما إلى ما أسوء من ذلك وهو التدخل الأجنبي، إضافة إلى رغبتنا في الإصلاح الجذري للأبنية الاجتماعية والاقتصادية، لهذا فنحن بحاجة إلى حزب واحد ووحيد يجمع كل قوى البلاد".¹

أما عن سبب ابتعاده عن "بوضياف" فيقول "بن يونس": "لم يقبل "عمر بوداود" الذي كان لا يزال يقبض عنده أموال "ج.ت.و" بوضع هذه المبالغ تحت تصرف حزب الثورة الاشتراكية مثلما طلب منه بإلحاح "بوضياف"، ولما تأكد هذا الأخير بأن الفدرالية ليست على استعداد إطلاقا لتسلمه هذه الأموال التي يطمع فيها خرج بفكرة أن أعضاء ذات الفدرالية لم يعودوا يمثلون اهتماما لديه، وإزاء هذا الموقف قررنا بعد اتفاق مشترك الانسحاب من تنظيم "بوضياف" والخروج من فرنسا والدخول إلى الجزائر العاصمة.²

4. حياته من الاعتقال بالجزائر العاصمة إلى تأسيس جبهة القوى الاشتراكية (F.F.S) بمنطقة القبائل:

رغم تمتع "بن بلة" كرئيس للجمهورية الجزائرية بحنكة سياسية ورمزية تاريخية مهمة، جعلته يحظى بالشرعية التاريخية والالتفاف الشعبي في معركة بناء الدولة الفتية، كما أن مساعدة "بومدين" له مكّنه من ردع خصومه داخل البلاد وخارجها نظرا لما كان يتمتع به من هبة عسكرية كبيرة تخيف كل منافسيه³، إلا أنه لم ينجح في بناء دولة وطنية شاملة لكل أبناء الوطن الذين ناضلوا جميعا من أجل تحريرها⁴، بعد أن تم إقصاء العديد منهم إما عن طريق السجن أو الإقامة الجبرية أو الفرار خارج الوطن، وهي نفس السياسية سيكملها "بومدين" عندما انقلب على "بن بلة" حيث تواصلت في عهده اختراق الشرعية الشعبية وعدم الاستجابة لطموحات الشعب في العدالة الاجتماعية بعد أن عمل دستوره على إقصاء الشعب عمليا من صناعة القرار وتكريس الحكم الفردي.

في ظل التطورات الكبيرة التي كانت تشهدها الساحة السياسية في الجزائر غداة الاستقلال أُعتقل "بن يونس" يوم 21 جوان 1963 على الساعة الثامنة مساء بالبريد المركزي بالعاصمة الجزائر ونُقل إلى الجنوب الغربي للصحراء يقول في هذا الصدد: "أُعتقلتُ على الثامنة مساء بالعاصمة وتمّ اقتيادي أولا إلى مقرات الدرك الوطني للمبيت لأنقل في اليوم الموالي على متن طائرة الهليكوبتر باتجاه الصحراء، وجدت على متن الطائرة ب"وضياف"، و"موسى قبائلي"، والملازم الأول "علواش" الناطق الرسمي باسم الولاية الرابعة سنة 1962، كانت محطتنا الأولى بشار حيث أمضينا فيها أربعة أيام ثم نُقلنا إلى أدرار، اعتقلنا لمدة خمسة أشهر نظّمنا خلالها إضرابا عن الطعام لمدة ثلاثين يوما قبل أن يُطلق سراحنا شهر نوفمبر 1963".⁵

1 روبر لميرل، مذكرات أحمد بن بلة، تر، العفيف الأخضر، دار الأدب، بيروت، د ت، ص ص 162 . 163.

2 Benyounes, op.cit, p 174

3 الطاهر زيري، مصر سابق، ص 23.

4 رابح لونيبي، رؤساء في ميزان التاريخ، مرجع سابق، ص 84.

5 Benyounes, op.cit, p 174-175.

بعد خروجه من السجن انضم "بن يونس" إلى صفوف جبهة القوى الاشتراكية "F.F.S" التي انضمت إليها العديد من الشخصيات الهامة التي كانت تمثل زعماء وضباط منطقة القبائل بهدف إرساء قواعد ديمقراطية صريحة¹، وبقي في هذه التشكيلة السياسية يمثل فيها الناطق الرسمي باسم الجالية الجزائرية إلى غاية 15 جوان 1965 الذي تم فيه عقد اتفاق بين جبهتي القوى الاشتراكية والتحرير الوطني لوضع حد للنزاع قبل التصحيح الثوري الذي كان في 19 جوان 1962 ويذكر أن موقفهم كان مختلفا من هذه الحركة ضد "بن بلة" حيث أراد البعض الانخراط فيها في حين رفض البعض الآخر ذلك، لذلك قرر الانسحاب من المشهد السياسي والانخراط في المجتمع المدني والاهتمام بعائلته وعمله، ويقول في هذا الصدد: "...لم أعد أرى أية فائدة من مواصلة كفاح لم يعد يملك أي آفاق في إطار جبهة القوى الاشتراكية فقررت الانخراط في المجتمع المدني والاهتمام بعائلتي وعملي وفي نفس الوقت خدمة رفاقي المجاهدين في إطار الجمعية التي كنت أترأسها، ولم أنخرط في أي حزب سياسي، مثلما قمْتُ بمواصلة نشاطات أخرى في إطار المنظمة الوطنية للمجاهدين في بداية الأمر ثم ضمن جمعية مجاهدي ف.ج.ت.و بفرنسا التي ترأسها منذ 2004 والتي كانت تنشط بمتطوعين لدى مكتبها الوطني بالعاصمة الجزائر وبمقراتها الجهوية المختلفة المنتشرة عبر ولايات الوطن وبمفوضيتها المقيمة بفرنسا".²

لقد نجح "بن يونس" نجاحا باهرا في قيادته للتنظيم الجبهوي في فرنسا سرّيا، والتفوق بخبرته وشدة ذكائه على كل التدابير الأمنية والإجراءات البوليسية التي كانت ترصدها الشرطة أو الحركي والخونة للإيقاع به، وذلك راجع لعدة عوامل منها معرفته الكبيرة بمختلف المناطق الفرنسية، وتطبيقه الدقيق للتوجيهات والتعليمات الصارمة المؤجّة له من قبل مسؤولي الفدرالية وتنفيذه لها بتركيز ودقة عالية وبكل احترافية، من هذا المنطلق يُعتبر "بن يونس" بالنسبة للمسؤولين في ف.ج.ت.و عنصرا خبيرا بالأراضي الفرنسية خصوصا ما تعلّق بالمنطقة الباريسية، كونه لم يتعرّض أبدا وطيلة مساره النضالي خلال الثورة التحريرية كمسؤول في الفدرالية إلى أي عملية توقيف أو اعتقال.

لقد كان من أبرز المناضلين الوطنيين الذين تقمّصوا بذلة الكفاح منذ الطفولة، وتشبّثوا بها خلال فترة الشباب وواصلوا المقاومة طيلة الثورة حتى تحقيق الاستقلال، ثم أكمل عملية البناء والتشييد للدولة الجزائرية الفتية، ينتمي إلى أسرة مناضلة حيث كان خير خلف لخير سلف حيث أكمل مسيرة والده في النضال الوطني، وكان كفاحهما معكوسا إذ بدأ والده "بشير بن يونس" النضال كمهاجر في فرنسا مناضلا نشيطا في الحركة النقابية، ثم أكمل الجهاد في الجزائر بعد اندلاع الثورة بالولاية الثالثة التي شملت منطقة القبائل حتى استشهد فيها دفاعا عن وطنه يوم 16 مارس 1961، في حين بدأ ابنه "محمّد آكلي" مسيرته الجهادية في الجزائر وأكملها في المهجر منذ انتقاله إلى فرنسا كإطار في ف.ج.ت.و هناك.

1 بورقعة، مصدر سابق، ص 135. 136.

2 Benyounes, op.cit, pp 176-177.

باعتباره مناضلا في ف.ج.ت.و بفرنسا، تجنّد "محمّد آكلي بن يونس" المدعو "علاوة" للدفاع عن الإسهامات الكبيرة للجالية الجزائرية بالمهجر في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة والمستويات، وقد برّز ذلك بعدة أسباب منها أن هذه الإسهامات للمهاجرين الجزائريين في الثورة الجزائرية بالأراضي الفرنسية هي شبه مجهولة لدى الأجيال الحالية، إضافة إلى أن البعض يشوهون تاريخ هذا الكفاح ويقلّلون من أهميته ويروجون إلى أقوال وتصريحات مغرضة لا تليق بالوطنيين الذين جاهدوا لصالح الثورة في المنفى، ويذكر أن البعض الآخر منهم قد ذهب إلى حد القول أن أولئك المناضلين في المهجر إنما كانوا يتنزهون في مدن فرنسا، ويعيشون حياة الترف في الوقت الذي كان إخوانهم يواجهون قمع ووحشية الاستعمار داخل الجزائر.

كما يؤكد في ذات السياق صعوبة العثور على الكتابات التي تعالج بالتفصيل كفاح الوطنيين المهاجرين في فرنسا الكولونيالية، وأن القلة القليلة فقط من تناول هذا الموضوع ويبيّن لنا بطولات المناضلين من المهاجرين الجزائريين في المهجر التي سجلوها على الأراضي الفرنسية تحت لواء "ف.ج.ت.و"، وأن الكثير من هؤلاء الفاعلين المباشرين في الأحداث التاريخية قد غادروا إلى الأبد وماتت معهم ذكرياتهم وشهاداتهم دون أن تتمكن من الاستفادة منها أو توثيقها.

لذا حاول من خلال شهاداته ملء هذا الفراغ وتبيين جزء من نشاط الجزائريين النضالي بفرنسا بدءا من 1954 إلى غاية 1962، بل ورأى ذلك ضرورة ملحة تفرض نفسها لرد الاعتبار لرفقائه في الكفاح بالمهجر الذين تمنوا بالإجماع أن يُردّ لهم اعتبارهم الحق فيما قدموه من مساهمة عظيمة في استقلال الجزائر، كونه يعتبر - بن يونس - من خلال مساره الشخصي في حرب التحرير أحد أبرز الشخصيات التي بإمكانها الحديث عن العمل الذي قام بهم ناضلوا ف.ج.ت.و بأرض المستعمر، ومن بين أجدر ممثلي هذا الجيش من المناضلين الذين استطاعوا نقل الحرب إلى التراب الفرنسي وتهديد فرنسا في عقر دارها.

المبحث الثاني: عبد الرحمن مزيان شريف "Abderrahmane Meziane Cherif"

المطلب الأول: المولد والتنشئة الاجتماعية

1. مولده ونشأته:

ولد "عبد الرحمن مزيان الشريف" سنة 1938 بمدينة "العلمة"¹ التابعة لولاية "سطيف"، وينحدر من عائلة وطنية معروفة بمشاركتها الفعالة في ثورة التحرير الوطني، سافر إلى فرنسا سنة 1958 بحثا عن

1 العلمة: هي إحدى الدوائر التابعة لولاية سطيف، والتي كانت معقلا لنشاط الحركة الوطنية الجزائرية بفضل موقعها الاستراتيجي في ملتقى الطرق التي تربط الشمال بالجنوب، حيث كان بها مقر حركة أحباب البيان والحرية، ومعقلا لمفجري الثورة التحريرية والمسؤولين التاريخيين عن الكفاح المسلح، ما جعلها أحد أكبر معازل الكفاح ضد الاستعمار، كانت تسمى أثناء الاحتلال الفرنسي بـ"سانت آرنو" نسبة للجنرال الدموي سانت آرنو الذي كان ضابطا مرافقا للجنرال بيجو المشهور بمحارقه التي كان يرتكبها ضد قبائل ومداشر متمردة بأكملها داخل مغارات ويشعلنيران متأججة عند مداخلها فيلقى مئات الأطفال والرجال والنساء حتفهم في ظروف رهيبة ومعاناة شنيعة= للمزيد أنظر Meziane Cherif, op.cit, pp 23- 25 .

عمل لتحسين ظروفه المادية والمعيشية، وهناك التحق بصفوف ج.ت.و. وانضم إلى المنظمة الخاصة، لنقل الثورة إلى التراب الفرنسي وإشعال فتيل الحرب في عمق المصالح الفرنسية العسكرية والاقتصادية، ونظرا لكفاءته تم تعيينه مسؤولا عن ناحية عملياتية هامة، وهو في مقتبل العمر حيث لم يكن عمره يتجاوز 18 سنة، وقد نجح في تنفيذ العديد من العمليات الميدانية في مختلف المناطق الفرنسية، مثبتا بذلك كفاءة عالية في التنظيم والقيادة والتنفيذ وتحقيق عدة أهداف إستراتيجية لصالح الثورة التحريرية.

عاش طفولة صعبة حيث الفقر وقسوة الظروف المعيشية القاهرة، إضافة إلى انفصال والديه وتطليق والده لأمه وهو طفل صغير فحرم من حنان الأبوة والأمومة، وهو ما حاول جده محمود وجدته فاطمة تعويضه إياها ولو بنسبة قليلة¹، وترتّب تربية دينية إسلامية قائمة على حب الوطن وضرورة الدفاع عنه بكل قوة باسم الجهاد، وهذا ما نستنتجه من كلامه القائل: "...ترسخت في ذهني الطفولي تقاطيع صورة وطني مع ترسخ الأناشيد الوطنية التي كان يلقيها لنا قادتنا الكشفيين، وتراكم حكاياتنا الجميلة في أذهاننا حين كنا نستمع لفصولها ونحن جلوس في حلقة حول الراوي في سوق القرية، وكان الشاعر المتجول يصل إلى القرية عشية السوق الأسبوعي ليروي لنا بطولات حول الفرسان المسلمين الذين يتبارزون مع الكفار فيتغلبون عليهم دائما ويلحقون بهم هزائم نكرة... كنا نستشعر بعمق ونستحضر بوضوح الصورة العظيمة للسيد علي بن أبي طالب وعنترة ابن شداد وهما يهاجمان بسيوفهما أعداء كثيرين، كنا ننقل تلك الأوضاع ونُسقطها في حياتنا اليومية."²

عاش ظروفًا مزرية حيث يفتقر المجتمع الجزائري آنذاك إلى أدنى شروط الحياة أمام نظام استعماري عنصري يمارس تمييزا وفصلا عنصريا بين المستوطنين الأوروبيين والفرنسيين الذين يتمتعون بكامل الصلاحيات والحقوق والامتيازات مقابل الجزائريين المجردين من الحقوق في مختلف المجالات وقد ذكر في هذا الصدد: "كان أسلافنا يرددون على مسامعنا بهدف مواساتنا، بأن الرومي كانت له وفق إرادة الله كل الحقوق وكل الثروات في الدنيا، أما نحن فكان مكتوب علينا أن نعيش في نعيم وهناء في عالم أفضل وهو عالم الآخرة، كان ذلك يساعدنا على تجاوز محننا اليومية، وأوضاعنا كمقهورين في الأرض... وهذا ما يفسر وضعيتنا كفقراء ومقملين، كنا نقيم في مساكن تشبه مغارات غير نظيفة ينعدم فيها الماء والكهرباء وكان يقع علينا طبعاً ومشقة جلب الماء يوميا."³

يضيف قائلاً: "كانت بيوت الراحة إن وجدت جماعية، وفي هذه الحالة كانت كل عائلة تساهم في إبقائها على درجة كبيرة من النقاء، كنا نعيش لعدة أشخاص في غرفة واحدة، دون تهوية كافية في غالب الأحيان ومحرومة من الضوء تقريبا، كانت تلك الغرف متجمعة في شكل حارات وهي مجموعة من الغرف

1Meziane Cherif, op.cit, p18.

2Meziane Cherif, op.cit, p13.

3Ibid, p14.

الجماعية، تنعدم فيها الحياة الخصوصية الشخصية تقريبا، رغم الستائر السميكة التي كانت معلقة بالأبواب أو ما يسمى "الكالات"، وهي تشبه ما تم بثه في فيلم "دار السيطار" المقتبس من رواية محمد ديب".¹ تلقى تعليمه الأول في المدرسة القرآنية التي أسستها ج.ع.م.ج في قريته تحت إشراف الشيخ "محمد بلعجوز" الذي كان صارما في تعليمه رفقة أقرانه لبذل المزيد من الجهود لحفظ القرآن الكريم وتعلم أركان الإسلام ومبادئ اللغة العربية والإلمام بقواعد النحو ومبادئ علوم الطبيعة ومفاهيم التاريخ خاصة وأنهم كانوا محرومين من تعلم ذلك في المدرسة الفرنسية، ويذكر في هذا الصدد: "رغم قسوة هذا العجوز إلا أنه قد نجح في تعليمنا القراءة والكتابة وتنوير ذاكرتنا"، والمدرسة الفرنسية التي كانت عصرية مقارنة بالقرآنية ومخصصة للأهالي الجزائريين. المدرسة الأهلية. حيث كانوا يتلقون تعليمهم فيها على يد معلم يدعى "سعد شريط" الذي كان هو الآخر صارما في تعليمهم الفرنسية وتكوينهم بما يمكنهم من الالتحاق مستقبلا بمسار التاريخ.²

اعتبر "مزبان الشريف" الانضمام إلى مدارس ج.ع.م.ج والانتساب إليها يعبر بوضوح عن الإيمان بالانتماء للوطن الجزائري، خصوصا بالنسبة للأطفال ذلك أنهم كانوا يتعلمون شعار الجمعية القائم على شعار "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب ومن قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب، وظل هذا الشعار صرخة انضمام وانتماء يرددها كل الرافضين لسياسة الاندماج الفرنسية³ والتمسك بمقومات الهوية الوطنية، لاسيما أن تلك المدارس كانت مجانية للأطفال الجزائريين وكانت لها أهداف دينية تتعارض كليا مع الإسلام الرسمي الذي كانت تتبناه الحكومة الفرنسية العامة بالجزائر، حيث يشجع على نشر ثقافة المزارات والأضرحة وتطوير ثقافة المرابطين المهتمين بمصالحهم الشخصية ومساعدة المساعي الفرنسية على نشر وتعميم سياسة التجهيل في الجزائر، وهذا ما زاد من مسؤولية الجمعية في محاربة هؤلاء وتطهير الإسلام من الشوائب والخرافات رغم كل العراقيل والصعاب التي واجهوها من قبل هؤلاء المرابطين المدعين من الإدارة الفرنسية وهو ما أدى إلى نشوب نزاعات دموية بين الإخوة في الجزائر.⁴

حاربت ج.ع.ج. جهته الفئة كونها عملت على إبعاد الجزائريين عن القرآن الكريم والسنة النبوية وعكفت على تضليل الجزائريين وعزلهم عن أصول الدين الإسلامي الصحيحة، فمكّنوا فيهم خلق الخوف

1Ibid, p14.

2Ibid, p20.

3الإدماج: في السياق الكولونيالي الفرنسي للقرن 19 يأخذ معنيين مختلفين، فهو يُعبّر عن الإدماج العرقي والعقلي أو الثقافي يتوافق مع تبني الأنديجان المنهزمين ميزات العرق الفرنسي من جهة، ويمكن أن يُتبع بالإدماج القانوني عن طريق التجنيس، أما من الجهة الثانية فإن الإدماج السياسي. الإداري يعني إنشاء نفس المؤسسات السياسية والتشريعية، التعليمية والقانونية للميتروبول في المستعمرات، ويعني الإدماج الإداري الانتقال من الإدارة العسكرية إلى الحكم المدني الذي أراده الكولون، والذي شيد على حساب حقوق الأنديجان =: AbdellaliHajjat, les frontières de l'identité national " l'injonction à l'assimilation en France métropolitaine et coloniale, éditions la Découverte, Paris, 2012, p47.

4Meziane Cherif, op.cit, pp38 - 39.

منهم والرجاء فيهم والطاعة والخضوع لهم، خاصة وأنهم ركّزوا اهتماماتهم على الفئة الجاهلة باستخدامها في أغراضهم الخاصة والتي تخدم الوجود الفرنسي، وذلك عن طريق الطقوس الأجنبية مثل الخلوة والتوسل لغير الله، وهكذا أصبحت مقاليد العامة بأيدي هؤلاء الطريقين ومن ثمة في أيدي الإدارة الفرنسية¹.

لقد ازداد نشاطهم وكثرت الطرائق حتى اكتسحت جميع المدن والقرى بل والبوادي أيضا، حيث لم يكن شيء يتداول بين مستنيري الناس غير الفكر الصوفي الذي لا يتجاوز سير الشيوخ وكراماتهم، وميل أهل التصوف من عوامهم خصوصا إلى الأعراق والروحيات والكلف الشديد بالخوض في أمور الغيب في سبيل اليقين والتعلق المثير بمشاهد البركة والمناقب والكرامات².

لعبت ج.ع.ج دورا بارزا في تطوير المعتقدات الصحيحة خاصة في أوساط المهاجرين الجزائريين المغتربين بفرنسا ونجحت في تلقينهم معتقدات وقيم عربية إسلامية صحيحة³، فنبأ روادها ومناضلوها مكانة أدبية وإصلاحية وفكرية كبيرة في أوساط الجزائريين خاصة المغتربين منهم على الأراضي الفرنسية حيث عزموا على خوض غمار المواجهة ومقاومة الاحتلال وسياسته، بعد أن نجحت الجمعية في تعزيز انتمائهم الوطني بالجزائر رغم بعد المسافات التي تفصلهم عن ذويهم وأهاليهم، وكانت سببا في إفشال كل جهود المؤامرة الاستعمارية والطرقية ضدهم.

يبدو أن ربطه الانتساب لمدراس وكتاتيب الجمعية بالانتماء الوطني والفكر الثوري كان في محله ذلك أن مفجري الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 كانوا من خريجي هذه المدارس التي رسخت في أذهانهم ركائز ودعائم الشخصية الوطنية وضرورة التحرر عن الفرنسيين بكل السبل ومهما كانت التضحيات، ومن هذا المنطلق فإن جمعية العلماء المسلمين قد نجحت في خلق جيل على قدر كبير من الوعي في إفشال جميع مخططات الاستعمار الفرنسي وسياساته التعسفية الرامية إلى طمس مقومات الهوية الوطنية بشتى الوسائل والطرق الجهنمية، فضل هذا الجيل بأفكاره الإصلاحية والوطنية والقومية مناوئا لمخططات الاستعمار التغريبية التي شملت جميع أنحاء التراب الجزائري.

كما أن المتأمل في هذه السياسة المرتكزة على تربية النشء وفق إيديولوجيا معينة تخدم الأهداف المستقبلية للدولة، يفهم جيدا أنها محل اهتمام الدول الكبرى في العالم خلال الوقت الراهن لفرض هيمنتها مستقبلا في مختلف المجالات.

1 محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008، ص40.

2 أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الطبعة 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص94.

3 Meziane Cherif, op.cit, p39.

انضم إلى الكشافة الإسلامية¹، التي تُعدّ واحدة من المؤسسات الهامة المساهمة في تكوين الشباب وتربيتهم²، وأخذ تعاليمها على يد المحافظ " الطاهر بوسيف " الذي أشرف على تكوينه رفقة العديد من الشبان من أبناء جيله، وكان مزيان الشريف متأثرا جدا بسي الطاهر الذي غرس فيه أفكارا وقناعات وطنية تتصف بالكثير من العناد والشدة والعزم على التحرر مهما كانت التضحيات بعدما جعل منهم مناضلين ورجالا أحرارا مسؤولين عن مستقبل بلادهم ومقتنعين بعدالة قضيتهم الوطنية، وهذا ما زاده انضباطا ووطنية وتأثرا بويلات البطش الاستعماري حيث ساهم الفكر الكشفي في تهيئته لرفض هذا الاحتلال العاشم وسياسته التعسفية القائمة على تجهيل الجزائريين وإضعافهم بكل السبل والحيل، وقد تمكّن "مزيان الشريف" من قيادة إحدى دوريات الكشافة وهي "دورية الأيائل" التي كانت مهمة بالبحث عن الرسائل الرمزية والإشارات والمساهمة في العمليات المرتبطة بإقامة المخيمات، كما كانت الأناشيد الوطنية التي يرددونها تزيد من انضباطهم الجماعي³.

يذكر في هذا السياق: "استطاع ح.ش.ج أن يسيطر على عدد من الحركات الشبانية منها جمعية الكشافة الإسلامية الجزائرية وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا لفرنسا وكذا جمعية الطلبة المسلمين الثانويين وتلاميذ الإكماليات الجزائريين الذين كان عددهم قليل لأن الاستعمار كان دوما يعتمد إلى توقيف مسار تدمرهم، لكنه بإتباع هذه السياسة خلق عددا مماثلا من المدارس الوطنية الثورية كان ذلك حال الكشافة الإسلامية الجزائرية التي كانت من بين كل المنظمات أكثر تأطيرا وتتيح إطارا نضاليا تنظم إليها منظمات أخرى لتنصهر فيه، كان هذا التأطير في اتجاه عمق الشباب الجزائري، وقد شكّل من وجهة نظري أفضل تحضير ممكن للحرب الحتمية التي سيواجه فيها الشعب الجزائري واحدة من أكبر القوى الاستعمارية في تلك الفترة التي كانت فوق ذلك تنتمي للحلف الأطلسي"⁴.

2. مجازر 8 ماي 1945 وأثرها في نمو وعيه السياسي:

يعتبر "مزيان الشريف" من شهود العيان على مجازر الثامن ماي 1945 التي أحدثت أثارا بالغة على نفسيته وفكره التحرري، حيث يذكر في هذا الصدد: " تلقى الشعب الجزائري ضربة موجعة وقاسية مسته في الصميم، وكانت منطقتي (سطيف) وقرتي (العلمة) قد عرفت أكبر أعمال القمع وحشية وسجلت على إثر ذلك أكثر الخسائر فداحة على الإطلاق وهو ما لا ينقص في شيء مما عانته مناطق أخرى في باقي جهات الوطن مثل قالمة...وقد قدرت عن قرب المعاناة التي كابدها المواطنون فيها...في ذلك اليوم وفي اليوم الذي

1 ساهمت الكشافة الإسلامية الجزائرية في خلق جيل جديد مدرب على العمل والنظام ومسلح بالقيم الوطنية بعقلية جزائرية ترفض الانقياد وتتطلع نحو الحرية = آمال علوان، مساهمة الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية في الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص173.

2الوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927 . 1954، د ط، دار شطايب، بوزريعة، الجزائر، 2013، ص 283.

3Meziane Cherif, op.cit, pp27 – 29.

4Meziane Cherif, op.cit, p37.

كانت تقام فيه الاحتفالات المصاحبة للنصر على النازية، ارتكبت مجازر رهيبة غير منتظرة في الجزائر، وهذه الأحداث الأليمة مهدت الطريق للثورة...¹

شكلت هذه المجازر منعرجا حاسما وبداية حقيقة لإشعال فتيل الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 وفي هذا الصدد يقول صالح خرفي: "وأحداث الثامن ماي 1945 كانت البوتقة التي انصهرت فيها الاجتهادات الإصلاحية والسياسية، وهو الانصهار الذي سيولد جبهة التحرير بعد عقد من السنين، وهذه الأحداث لم تضيف جديدا إلى التعبئة السياسية وإنما صبتها كلها في قالب ثوري عملي..."²، كما تحدث "آيت أحمد" عن هذه المجازر فقال: "بأنها عبارة عن حرب سياسية ونفسية ليس بالجديدة، حيث لم تنقطع ولم تتوقف منذ بداية الاستعمار في 1830، كان القمع والعمليات العسكرية تسبق أو تتبع بحملات دعائية، والغاية هي إخضاع الشعب الجزائري، وبالتالي كان النقاش ممنوعا لأن ذلك يعني تفتحا واستماعا ودراسة مشتركة وجدلية، فحرية التعبير التي يفرضها النقاش السياسي تتنافى مع الواقع الاستعماري"³.

يذكر "مزيان الشريف" أن حجم هذه المجازر كان بحجم تطلعات الجزائريين للحرية وآمالهم بانتهاء غطرسة الاستعمار الغاشم، ويؤكد ذلك بقوله: "في بداية شهر أبريل سنة 1945 كان الشعب الجزائري في حالة ترقب، وفي تلك الأيام كنا نعتقد أنه لا يمكن أن تهب رياح الحرية على العالم أجمع، دون أن تصل إلى الجزائر، بل أن بعض الجزائريين الأكثر تفاؤلا بدأ يراودهم الحلم بتشكيل حكومة جزائرية، لاسيما أنه تم إخطار القوى الكبرى المتحالفة المجتمعة في ندوة سان فرانسيسكو بالقضية الجزائرية ما سيجبرها على تدخل حاسم"⁴.

كان لانعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية بحضور خمسون دولة لفرض صياغة ميثاق "هيئة الأمم المتحدة"⁵ أثرا بالغا على زيادة نمو الوعي التحرري لدى الجزائريين، إذ أنه منحهم الأمل في نيل الحرية والاستقلال، فقد كانوا مقتنعين بأن الأمريكان سيفرضون على فرنسا بعد انتصار الحلفاء إنهاء الاستعمار في الجزائر وهذا ما أكدّه فرحات عباس في خطاب ألقاه في مدينة سطيف في نفس الفترة الزمنية أي أبريل 1945 بأن مؤتمر سان فرانسيسكو سيضمن حرية جميع الشعوب وأن الشعب الجزائري حتما سيكون من بينه⁶، كما صرح إبراهيمي أيضا خلال نفس الفترة في مدينة تلمسان أن الرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" قد وعد باستقلال الجزائر خلال ندوة سان فرانسيسكو.

1Ibid, p31.

2نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط2، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص 220.

3 حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح (1942 . 1952)، تر: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص 41.

4Meziane Cherif, op.cit, p33.

5 سهيل حسن الفتلاوي، مرجع سابق، ص 210.

6أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1830.1945، ج3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 241 .

كان الإعلان عن "الميثاق الأطلسي" قد تم من طرف الرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" ورئيس الوزراء البريطاني "ونستون تشرشل"، والذي نصّت مادته الثالثة على حق تقرير المصير¹، وكان ذلك في 14 أوت 1941 عند الاجتماع الذي حدث بينهما في سفينة بوتماك على السواحل الكندية وقد جاءت مبادئه تأكيداً للمبادئ التي نادى بها من قبل الرئيس الأمريكي "توماس ولسن"، لاسيما المتعلقة بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها وحققها في الحكم الذاتي، فدعا إلى الامتناع عن استخدام القوة كأداة لتسوية الخلافات الدولية²، وحل الأزمات التي تنشأ بطرق سياسية ودبلوماسية بعيدا عن الخيارات العسكرية حتى يتم قد المستطاع تفادي الاضطرابات العنيفة³، وهذا التصريح ثمنه الشعب الجزائري وحمسه للسعي لافتكاك حقوقه من المستعمر الفرنسي بكل الوسائل ومهما كان الثمن غاليا.

وهذا ما زاد من حماس الجزائريين وألهم مشاعرهم فتسارعت وتيرة التأسيس عند الأهالي وازداد عدد المناضلين ليس فقط في المدن بل في الضواحي التي يقطنها المهاجرون وحتى الأرياف وهكذا بدأت بوادر الوعي السياسي⁴، وكل هذه الأحداث التي عرفتها الساحة السياسية في الجزائر تدل على أن الفترة ما بعد 1940 كانت حافلة بالنشاط، خاصة بعد المساهمة الفعالة لحركة أحباب البيان والحرية في توحيد مشاعر الأمة أكثر فأكثر بتوحيد مختلف ومعظم التيارات السياسية واتخاذ حزب الشعب الجزائري السري من هذه الحركة غطاء لنشاطه المكثف والدليل على ذلك المسيرات التي انطلقت في أول ماي في مختلف مناطق الجزائر احتفالا باليوم العالمي للشغل والتي كانت تحت مسؤوليته⁵، وبانتهاء سنة 1944 باتت الحركة الوطني أكثر وعيا وصلابة، ومن ثم دخلت عهدا جديدا من التحدي والمواجهة لم تعرفه من قبل وهو العهد الذي انتهى بمأساة ماي 1945⁶.

عاشت الجزائر عشية الثامن ماي أوضاعا اقتصادية واجتماعية وثقافية جد متدهورة، باتت تنذر بانفجار شعبي وهذا ما شحن الجماهير الجزائرية بشحنة الثورة والانتفاضة⁷، فقد تمّ استنزاف ثروات الجزائر الاقتصادية خلال المواجهة العسكرية الثانية من أجل تموين أوروبا، وهو ما زاد من معاناة الجزائريين من مجاعة وأمراض قاتلة⁸، وهذا ما زاد من حماس الجزائريين وكرههم للفرنسيين لأنهم المتسبب الرئيسي في تلك

1 عبد الحفيظ أمقران الحسين، مذكرات من مسيرة النضال والجهد، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص20.

2 شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص283.

3 نادية حرزالله، "مجازر 8 ماي 1945"، مجلة التاريخ، ع4، 1977، ص162.

4 غول زيفر، أني راي، جذور حرب الجزائر، مرجع سابق، ص356.

5 الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954، تر: بن حراث عبد القادر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص78.

6 محمد الدرعي، التطورات السياسية في الوطن العربي، ج2، ط1، البلدة، دار المدني، الجزائر، 1995، ص147.

7 إسماعيل سامعي، انتفاضة 8 ماي بقالة ومناطقها، قالمة، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص41.

8 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص236.

الأزمة، وكانوا يُحسّون أن الأجنبي يمتص خيرات البلاد وينهب أهلها دون أن يجد من يقف له بالمرصاد، وهذا الإحساس ساهم بشكل كبير في خلق غضب وسخط على السياسة الاستعمارية وتنامي العزيمة على ضرورة التصدي لها ومواجهتها¹.

في تلك الفترة وبعد أن أثارت انتباهها الحوادث والمظاهرات التي وقعت بقصر الشلالة في 19 أبريل 1945 لتغطية فرار مصالي الحاج مثلما ادّعت قرّرت السلطات الفرنسية نفي هذا الأخير إلى الكونغو الفرنسية²، لهذا تمحورت الشعارات التي رُفعت في المظاهرات حول "استقلال الجزائر، ونهاية الاستعمار وتحرير مصالي"³، وكل تلك الشعارات التي رُفعت في المظاهرات كانت تدل على النضج السياسي والوعي المتزايد لدى القاعدة الشعبية والمناضلين، وثانيا عبّرت عن آمال معظم زعماء الأحزاب في هذا الظرف العصيب ومطالب الحركة الوطنية⁴، ورغم أن تلك الشعارات كانت تدور حول المناداة بالحرية واستقلال الجزائر ولم تظهر فيها عبارات العداء للفرنسيين⁵، إلا أن الاستعمار أصّر على التصدي لتلك المظاهرات ومنع ظهور شعاراتها الاستقلالية أمام الرأي العام الدولي مهما كلف ذلك من ثمن⁶.

لقد أثّرت مجازر الثامن ماي 1945 على الجزائريين بجميع فئاتهم سواء مواطنين عاديين أو مناضلين سياسيين أو مجندين عسكريين، ووفي هذا السياق كان "الإبراهيمي" قد صدمه أيضا هول الجرائم المرتكبة، وعبّر عن استغرابه لرد الفعل الفرنسي القاسي والمبالغ في استخدام العنف دون أي مبرر لذلك، فتساءل إن كانت مكافأة فرنسا للجزائريين الذين شاركوا في تحريرها من النازية تتم بهذه الوحشية والهمجية، إذ أنها وبدلا من أن تعطيهم الاستقلال كاعتراف بالجميل على صنيع أعمالهم التي قدموها لها، أهدتهم قتلا وتشريدالهم ولأهاليهم، معبّرا عن ذلك بقوله: "لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام؟، ويجوع أهله وأهلك بطان؟، أيشرفك أن ينقلب الجزائري في ميدان القتال على أهله؟ بعد أن شارك في النصر لا في الغنيمة... ليجد الأب قتيلا والأم مجنونة من الفزع..."⁷

أزالت مجازر الثامن ماي من نفوس الجزائريين عقدة الخوف من القوة الفرنسية التي كانوا يخشونها، وزادت حدة حقدهم على المستوطنين الأوروبيين، وكل هذه المؤشرات كانت تُؤكّد بأن علاقة الجزائريين بالسلطة الفرنسية مقبلة على عملسيؤدي إلى القطيعة النهائية⁸، وفي هذا الصدد يذكر "مزيان الشريف": "في هذا الظرف تم الشروع في إعداد الشبان من جيلي للمرحلة القادمة التي ستقلب رأسا على عقب كل قناعات

1 رضوان عيناود ثابت، 8 أيار/ماي 1945 والإبادة الجماعية في الجزائر، منشورات آنيب (ANEP)، الجزائر، 2005، ص 27.
2 Meziane Cherif, op.cit, p34.

3 أحمد محساس، الحركة الثورية في الجزائر، 1914-1945، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 237.

4 إسماعيل سامعي، مرجع سابق، ص 70.

5 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 230.

6 الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 45.

7 محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1997، ص 371.

8 عامر رخيعة، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسيرة الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 57.

الفرنسيين وخاصة المعمرين بخصوص الإبقاء على الوضع الراهن، حتى أنهم رفضوا قانون 1947 الذي كان يشكل في الواقع طوق نجاة جد متأخر لتصورهم لجزائر مهيأة لصالحهم¹، وكأنهم كانوا متيقنين من فشله كونه كان يسعى إلى المساواة بين شعبين مختلفين عقائدهما ضمن إطار الوحدة الفرنسية، ما سيجعلها مساواة صورية وغامضة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن توحد أهداف هذين الشعبين وبالتالي فإن الخلاف سيضل قائما بينهما.²

استمرت السلطات الفرنسية في تركية سياساتها الإصلاحية التي لم تكن في مصلحة الجزائر ولا الجزائريين الذين عبروا مرارا وتكرارا عن رفضهم القاطع لهذه المشاريع الاستعمارية، التي تحاول فقط امتصاص غضبهم وإبقاء الأوضاع على حالها، وهو ما أكدته المقررات المتخذة في الجلستين المعقودتين في 9 و 11 سبتمبر 1947 لدراسة الأوضاع في الأقطار المغاربية الثلاث: تونس، الجزائر، المغرب. حيث أكدت اللجنة عزم الحكومة على المضي قدما في تطوير شمال إفريقيا وتوسيع سياسة المشاركة لجميع سكان المنطقة في إدارة الشؤون الاقتصادية والإدارية والسياسية، مؤكدة استمرار عملية اللامركزية وفقا لمبادئ وطرائق النظام الأساسي الذي وضعته وزارة الداخلية والذي يوفر مجلسا جزائريا ينتخبه زميلان ويتألف من عدد متساوي من الأوروبيين والمسلمين.³

كانت "لجنة شمال إفريقيا" قد أوضحت في برنامجها بأنها ستعمل على تحسين الأوضاع في أقطار شمال إفريقيا، وأكدت عدة مسائل مستعجلة قررت النظر فيها من حيث المبدأ شملت ما يلي:

- انضمام مواطني شمال إفريقيا إلى الوظائف العامة والتقنية، سيقوم مدير الخدمة العامة بتلخيص المذكرات التي يعدها كل بلد بشأن هذا الموضوع والأحكام الواردة في العاصمة.
- الإصلاح الإداري في الجزائر وتونس والمغرب (مقترحات مبدئية - العمل جار).
- إصلاحات بلدية في البلدان الثلاثة (إنجازات مستمرة).

- الإنجازات في ميدان آفاق تنمية مساعدة الفلاحين من الشعوب الأصلية في 1947.⁴

غير أن كل خططها بقيت مجرد حبر على ورق ومحض وعود زائفة، ولم تطبق أي منها على أرض الواقع. يبدو أن نتائج تلك المجازر على نفسية الجزائريين ومستقبلهم النضالي لم يكن متوقعا حتى لدى الحكومة الفرنسية التي اعتادت التلاعب بمشاعرهم من خلال الإعلان عن إصلاحات كاذبة لا تخدم سوى

1Meziane Cherif, op.cit, p34.

2 Pièr Laffont, Histoire de la France en Algérie, 1^{ère} édition, librairie Plon, Paris, P380.

3 Décisions prises au cours des séances du 9 et 11 septembre 1946, 6^o session du comité, Orientation de la politique Française, (MNT), Sé SG, S/Sé SG₂, cart 195, Dos 27, Correspondances relatives aux réunions d'ordres politiques et administratifs du "Comité de l'Afrique du nord" termes en France et netes sur les reformes de la fonction publique présenté à ce comité.

4Questions ayant déjà fait l'objet d'un examen et d'une décision de principe du comité de l'Afrique du nord, (MNT), Sé SG, S/Sé SG₂, cart 195, Dos 27, Correspondances relatives aux réunions d'ordres politiques et administratifs du "Comité de l'Afrique du nord" termes en France et netes sur les reformes de la fonction publique présenté à ce comité.

مصالح المستوطنين في الجزائر، كما كانت تعتقد أن ردة فعلهم لن تكون مختلفة عن السابق حيث لن تتعدى التنديد والاستنكار من طرف الأحزاب السياسية آنذاك، وبعض المناوشات والعمليات العسكرية التي لا ترقى لمواجهة القوات الفرنسية المتفوقة عليها عددا وعتادا، وهذا ما كشف عنه "مزيان الشريف" بقوله: "إن الحكومة الفرنسية قد أساءت تقدير غضب الشعب الجزائري واستصغرت عزيمته فاعتقدت أنه سيهدأ بعدها (يقصد مجازر 8 ماي) فوعدت بإصلاحات سياسية واقتصادية لهم، لكن المستوطنين كانوا يعارضون باستمرار تطور الوضع السياسي في هذا البلد، الشيء الذي كان يريح الجزائريين في موقفهم الرفض للاحتلال بفضل التعتن الاستعماري"¹، لكنها لم تكن تعرف أن تلك المذابح ستكون نقطة الانطلاق لثورة تحريرية شاملة ستقف كإمبراطورية استعمارية عاجزة بكل قوتها عن التصدي لها.

هذه الثورة ستكون نواتها الأولى "المنظمة الخاصة" التي أسسها ح.ش.ج سنة 1947 كجناح عسكري له، وقد قادها في البداية "محمد بلوزداد" الذي كوّن قيادة أركان عامة تكونت من "بن بلة"، "بوضياف"، و"عبد القادر بلحاج"، لكن وبسبب معاناته من مرض عضال (السل) تم تعويضه بالمناضل "حسين آيت أحمد" الذي شكّل قيادة ثانية للمنظمة تكونت من "بوضياف"، "بلحاج"، و"جيلالي رجيبي"، غير أن الأزمة البربرية وما أحدثته من شبهات، أدخلت المنظمة مرحلتها الثالثة بقيادة "بن بلة" سنة 1949 بعد عزل "آيت أحمد" وتشكّلت من "بلحاج"، "محمد بوسيطي"، "بوضياف"، و"أحمد محساس"، و"عبد الرحمن بن سعيد"، وقد عرفت المنظمة تطورات هامة من حيث عدد أعضائها بعد أن ارتفع إلى نحو 1000 عضو، كما تولّت القيام بعدة نشاطات ونقّذت جملة من العمليات السياسية والعسكرية أشهرها عميلة استهداف بريد وهران لتخليص المنظمة من الضائقة المالية الحادة التي كانت تعاني منها²، وظل عناصرها في حماس دائم للثورة منتظرين الأوامر لتفجيرها وكانوا يرددون بعض الشعارات منها: "أعطونا سلاحا، نريد أن نموت مرة واحدة"³، وواصلت مهمة تكوين المزيد من الرجال المؤهلين لحمل السلاح لذا وُضع تحت تصرفها الإمكانات المالية والمادية اللازمة.⁴

يقول "مزيان الشريف" في هذا السياق: "عمد ح.ش.ج إلى تأسيس منظمة خاصة عام 1947 وهي نوع من أنواع الجيش السري، كان قوامه ألف مناضل مستعدون جميعا لخوض العمل المسلح، وقد استعملت هذه المنظمة على الخصوص لتأطير مختلف أنواع التدريبات لصالح النشطاء المستقبليين للمعركة الوطنية وكانت تضم المناضلين الأكثر التزاما، لكن عددهم الكبير كان في حد ذاته خطرا بسبب احتمال انضمام عناصر مُندسّة يكون الحاكم العام قد جنّدها، لهذا شكّل الجزائريون الخونة هدفا رئيسيا للمنظمة حيث سعت إلى إبطال مفعول كل متعاون مع الإدارة الاستعمارية... تمّ تفكيك المنظمة الخاصة من طرف

1Meziane Cherif, op.cit, p35.

2Houcine Ait Ahmed, mémoires d'un combattant, Alger, 1990, p165.

3محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985، ص ص 244 . 246.

4Benyoucef Benkhedda, les origines du 1 er novembre 1954, Alger, 1989; p 134.

الشرطة الفرنسية في شهر مارس 1950، وقد عمد حزب الشعب إلى حل المنظمة الخاصة لكن في 1953 قرر الحزب إعادة تشكيل التنظيم من أجل تحضير الكفاح المسلح الذي أضحي البديل الوحيد في تلك الفترة¹.

استمرت الأوضاع المزرية للجزائريين وازداد تدهور وتدني المستوى المعيشي لهم حتى انفجار الثورة سنة 1954 في ظل الهيمنة الاستيطانية للمعمرين حيث كانت نسبة 90% من الفوائد الاقتصادية تعود لصالح المؤسسات الأوروبية²، وفشل كل الإصلاحات السياسية التي وعدت بها فرنسا، وما زاد الوضع سوءا هو النمو الديمغرافي المتسارع للجزائريين حيث كان يتضاعف بنسبة 2,5% سنويا، ما جعل كل محاولات العصرنة الاقتصادية غير مجدية وهي محاولات كانت موجهة أساسا لصالح المستوطنين³، بدليل اتساع الفارق بين المستوى المعيشي للجزائريين ومثيله لدى المستوطنين⁴، وقد نجم عن ذلك ظهور البيوت القصديرية وانتشار البيانات الفوضوية حول المدن بسبب فشل السياسة الريفية للإدارة أيضا، وهذا ما زاد من تعفن الوضع السياسي المحلي والانسداد على الجبهة الاجتماعية التي كانت مرتبطة بنوايا متناقضة لا تخدم سوى المصالح الفرنسية⁵، وقد ظل هذا النمو يقلق المسؤولين الفرنسيين وسعوا إلى محاولة التقليل من الظاهرة حيث صرح الأمين العام للحكومة العامة قائلا: " تتلخص رؤيتنا المستقبلية في تحديد سقف الولادات بالنسبة للعائلات الجزائرية بثلاثة أطفال"⁶.

ذكرت الباحثة الاجتماعية "جيرمان تيون" "Germaine Tillon" في ذات السياق وهي التي عاشت في الجزائر وأجرت عدة أبحاث ميدانية وصفت فيها الوضع الاجتماعي المأساوي للجزائريين، أن ثلاثة أرباع الرجال من الجزائريين صاروا على حافة الضياع والتشرد بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية، كما أن تسع من بين عشر عائلات جزائرية كانت تعيش بالموجود الذي لم يكن موجود بل كان نادرا وشبه منعدم⁷، في حين استمرت سيطرة الكولون على الاقتصاد في الجزائر والسلطة السياسية والقرارات التنفيذية حتى في فرنسا، حتى صاروا يمثلون بالجزائر إمبراطورية ذات حكم مميز وهي بمثابة دولة داخل دولة⁸، حيث تخشى السلطات الفرنسية غضبهم وتسعى دوما لاسترضائهم كونهم ذراعها الأيمن في الجزائر ومستقبلها الآمن فيها.

1Ibid, p36.

2Marianne Cornevin, Histoire de l'Afrique contemporaine de la deuxième guerre mondiale à nos jours, 2ème édition, édition Payot, Paris, 1978, p158.

3Meziane Cherif, op.cit, p 41.

4Roger Le Tourneau, évolution politique de l'Afrique du nord Musulmane 1830 – 1961, 1^{ère} édition, Armand Colin, Paris, 1962, p381.

5Meziane Cherif, op.cit, p41.

6Daniel Lefeuve, Chère Algérie, comptes et mécomptes de la tutelle coloniale, société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1997, p 81.

7Germaine Tillon, L'Afrique bascule vers l'avenir, l'Algérie en 1957 et autres textes, les éditions de Minuis, Paris, 1960, pp 48- 54.

8Pièrre Bourdieu, Sociologie de l'Algérie, collections (que –sais-je?), 6eme édition, presses universitaires de France, Paris, 1980, p112.

ظَلَّت معاناة الجزائريين متواصلة في الجانبين المادي والمعنوي، وهم يلاحظون تضاعف القوة السياسية والاقتصادية للمستوطنين وما صاحب ذلك من تنامي سريع لمستواهم المعيشي، واتساع الهوة بينهم وبين هؤلاء، كما أن تزايد مظاهر الحرمان في الجزائر ستؤدي إلى تزايد مشاعر الغضب الممزوجة بالأمل لدى الجزائريين وهي ما سيُفسر الصدى القوي الذي خلّفه الإعلان عن ميلاد ج.ت.و لديهم وإعلانها الانتقال إلى الكفاح المسلح بعد أن بلغت الحركة الوطنية مرحلتها الأخيرة من الانجاز وأثبتت فشل كل السبل السياسية لتحقيق الاستقلال الوطني والتخلص من أنياب الامبريالية وعملائها ومختلف تراكماتها، وإعادة بناء دولة جزائرية ديمقراطية واجتماعية ضمن إطار المبادئ الإسلامية.¹

تحدث "مزيان الشريف" عن وقع الصدمة التي أحدثتها اندلاع الثورة التحريرية في الأوساط الفرنسية سواء على المستوى الحكومي أو الشعبي لاسيما المستوطنين الذين كانوا قد عاثوا فسادا في أملاك الجزائريين، والتي كان هو شاهدا عليها، رغم ما كانت تدعيه الحكومة الفرنسية في خطاباتها بأنها مجرد أعمال إجرامية يقوم بها متمرّدون وخارجون عن القانون وسيتم احتواء الوضع في وقت وجيز، غير أن الواقع كان يثبت عكس تلك الإدعاءات تماما، حيث ذكر قوله: "...فهمت في ذلك اليوم أن شيئا مهما وخطيرا جدا قد وقع...ومن شأنه أن يغير حياتنا في العمق...وهذا ما أكّده لي جدي بأننا كنا مقبلين على أيام صعبة وطلب مني تأدية واجبي فيها...لأن ثورتنا لن تغيّر مسار حياتنا فحسب بل ستغير أيضا مجرى التاريخ".²

بدأت ملامح النضج السياسي تظهر لدى "مزيان الشريف" منذ الساعات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية حيث كان يتابع باهتمام كبير تطورات الأحداث والأوضاع داخل الوطن وخارجه وكله أمل في تحقيق الثوار للهدف الأسمى وهو طرد الاحتلال واسترجاع السيادة الوطنية، وقد ذكر في هذا الصدد: "...كان جدي يشعر بالخوف على حياتي بشكل فعلي، حيث كان يلاحظ اهتمامي بالأحداث ومتابعتها عن قرب لأنني كنت أحدثه عنها بشغف، وكنت أعلق على الأخبار باستمرار وكانت تلك الأحداث تلهبني وتحرك مشاعري وكنت متأكد أن هذه المرة ستكون الحاسمة وأنها ستكون مختلفة عن كل المرات السابقة التي ثار فيها أسلافنا وأجدادنا ضد الطغيان والاستعباد الاستعماري والتي باءت كلها بالفشل..."³، وهذا ما زاد من احتقان الشعب الجزائري وانتظاره فقط للفرصة المناسبة لإشعال فتيل الحرب، وهذا ما يتضح من قول أحد مفجريها وخو "مراد ديدوش" عندما ذكر: "إن الشعب أشبه بغصن يابس لا ينتظر سوى النار ليشتعل، يجب إلقاء الثقاب أيها الإخوة، يجب إلقاء عود الثقاب".⁴

1Meziane Cherif, op.cit, pp 43-44.

2Ibid, pp 44-46.

3Meziane Cherif, op.cit, pp46- 47.

4 حزب جبهة التحرير الوطني، الطريق إلى نوفمبر، مج01، ج01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص280.

انعكست سياسة المستعمر سلبا على وضعية الجزائريين نظرا لاستنزافها كل الخيرات الفلاحية وتحويلها إلى فرنسا بعد فراغ مخازن الجزائر، ليعم مناطق البلاد الفقر والجوع تحت غطاء تعذية الميتروبول¹، لاسيما أن محاصيل الجزائر وما كانت تدره من خيرات كانت محتكرة في يد المستوطنين²، الذين بينوا أن هدفهم من البداية كان نزع ملكية الأهالي وتكريس المشروع الاستيطاني من أجل إحكام السيطرة على الجزائريين³، حتى أصبحوا باستثماراتهم الكبرى ممثلين للرأسمالية الفرنسية بعد أن نجحوا في السيطرة المطلقة على الاقتصاد الجزائري⁴، وتكوين شركات ضخمة وثروات طائلة مكنتهم من تعزيز قدراتهم وتطوير الاقتصاد الفرنسي لعقود طويلة.

تفانم تدهور الوضع المعيشي للجزائريين وتطورت أحداث الثورة وزاد اهتمام "مزيان الشريف" بها ما دفع بجده محمود إلى البحث عن ملجأ لحماية حفيده، ولأن الثورة التحريرية كانت شاملة لجميع التراب الوطني سواء في الأرياف والقرى أو في المدن والحواضر وبالتالي فالخطر قائم ودائم عليه في الجزائر فاهتدى إلى نصحه بمغادرة الوطن والانتقال إلى فرنسا خصوصا أن وضع العائلة السيئ كان يحتم عليه الهجرة والبحث عن مصدر دخل مهما كان زهيدا لسد حاجة أسرته، ورغم رفض الحفيد مغادرة الوطن إلا أنه كان مضطرا في النهاية لطاعة أوامر الجد والسفر إلى فرنسا التي توجه إليها مجبرا على حد قوله: "قرر جدي إبعادي عن الخطر الداهم الذي كان يتفانم يوما بعد يوم...ووعيا منه بأن الأسرة كانت بأمس الحاجة إلى أجرتي فقد قرر أن أسافر وهكذا توجهت على مضض إلى فرنسا".⁵

المطلب الثاني: حياته بعد الهجرة إلى فرنسا

1. انتقاله إلى فرنسا وظروف استقراره فيها:

غادر "مزيان الشريف" قريته وقلبه يتمزق ألما، تاركا عائلته وأهله في قهر اعتبره موتا جزئيا وقفزة حقيقية نحو المجهول كونه متوجه إلى بلد لا يعرف عنه إلا بعض الصور التي عرضت عليه عندما كان تلميذا في المدرسة الفرنسية بقريته، كما اعتبرها أيضا انتهاء لمرحلة الطفولة المضطربة التي عاشها بحلولها ومرها واعتبرها مرحلة الإحساس بذوق الحياة رغم كل الصعاب والمعاناة التي ميزتها، وقد وصف ذلك بقوله: "ركبت القطار في اتجاه الجزائر العاصمة، في يوم كان الجو فيه باردا وغائما زاد من حزني واكتئابي،

1 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص188.

2 محمد قناش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص110.

3 فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبوبكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، د ت، ص74.

4 هنري كلود وآخرون، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر: محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ص75.

5 Meziane Cherif, op.cit, p48.

تركت جدي وقد أغرقني فراقه حزن عميق... كان العبور إلى الضفة الأخرى بمثابة مأساة ومحنة، استمرت 24 ساعة من التمايل والتأرجح في جوف إحدى سفن الشحن المختلطة التي كانت تربط بين مدينتي الجزائر ومرسيليا... وكان خوفي يتعاظم كلما اقتربت السفينة من ميناء مرسيليا.¹

بعد رحلة متعبة وصل إلى مدينة "أفينيون" "Avignon" التابعة لإقليم فوكلوز والواقعة في جنوب شرق فرنسا، وهناك التقى بعمه "ثابت" الذي كان قد سبقه في الهجرة إلى فرنسا بستتين، وكان مستقرا بهذه المدينة ويملك فيها مقهى ومطعم، ما جعل "عبد الرحمن" يتوقع منه الترحيب به ومساعدته على التأقلم مع حياته الجديدة في الغربة لكنه تفاجأ بعكس ذلك حيث لم يفرح عمه بقدومه ورأى أن مجيئه لم يكن مناسباً في ذلك الوقت، وبوجه قاسي وموقف جاف كلّف العم ابن أخيه بغسل الصحون في مطعمه²، فكانت تلك مهنته الأولى في المهجر على غرار أحد رفاقه في النضال "أحمد دوم" الذي بدأ هو الآخر أول عمل له بفرنسا في غسل الأواني بمطعم، لكي يتمكن من التكفل بمصاريفه والبقاء فيها.³

التقى "مزيان الشريف" في ذلك المطعم بالسيد "مختار العريبي" "Mokhtar Arribi"⁴ وهو أحد الرياضيين في كرة القدم المهاجرين من نفس مدينته "سطيف"، وهو من سيكون له الدور البارز في مرافقة "عبد الرحمن مزيان الشريف" بفرنسا خصوصا وأنه كان مولعا بهذه الرياضة منذ نعومة أظفاره، ويذكر في هذا الصدد: "كنت مولعا بكرة القدم منذ كنت طفلا صغيرا... كان عريبي يحدثني عن بطولة فرنسا وعن الفرق التي تتنافس على الريادة... كنت أصغي إليه بشغف ولم أكن أقاطعه إلا لطلب توضيح حول الخطة المتبعة خلال مرحلة أو أخرى من اللعب... كان عريبي يهتم بأسئلتي إلى درجة أنستني حالة الفقر والذل التي كنت أحيّاها".⁵

لم يستسلم لقسوة الحياة التي فرضت عليه في المهجر من غربة ومعاملة عمه السيئة وكذا من عمله الذي كان يعتبره منحطا، خاصة وأنه لم يسبق له أن رأى هذا العمل في الجزائر لا في أسرته ولا في بلده، بل كان يرى النساء هن من يتكفلن بغسل الأواني وليس الرجال وبالتالي فهذا العمل حسبهم كان حكرا على النساء، ومن هذا المنطلق سعى للبحث عن عمل آخر يليق به فغادر في اليوم الموالي فندق عمه وسافر عبر الحافلة رفقة بعض رفاقه من أبناء بلده متوجها إلى ورشة انجاز سد "سان مونتون" وهناك التقى برفاق آخرين من معارفه القدامى أمثال "أحمد بوخروبة" و"اعمير زقار" الذين رحبا به كثيرا في الورشة التي كانت تضم

1Meziane Cherif, op.cit, pp 49 – 50.

2 Ibid, pp 50-51.

3 أحمد دوم، مصدر سابق، ص ص 48 . 49.

4 هو لاعب كرة قدم جزائري لفريق وفاق سطيف ولد في 24 فيفري سنة 1924 بسطيف وهو أحد مؤسسي فريق جبهة التحرير الوطني لكرة

القدم، توفي في سبتمبر سنة 1989 = Marc Barraud, dictionnaire des footballeurs étrangers du championnat

professionnel français 1932 – 1997, édition Harmattan, Paris, 1998, p120.

5Meziane Cherif, op.cit, pp51 – 52.

عمالا من كل ربوع الجزائر، على أمل أن يجد عملا له هناك رغم صعوبة المهام حيث كان العمل بها شاق جدا، لكنه فشل في ذلك حيث تم إيقاف التشغيل بالورشة¹.

لم يكن عبد الرحمن مختلفا عن بقية أقرانه من المهاجرين الجزائريين بفرنسا حيث كانت الظروف المعيشية لهم قاهرة وبحثهم الحثيث عن أية فرصة للعثور على أي عمل مهما كان شاقا ومرهقا ومؤذيا لصحتهم، لاسيما أنهم لم يكونوا يملكون أية خبرة أو تأهيل مهني يؤهلهم للعمل في الصناعات البناء والمعادن والصناعات الكهربائية والميكانيكية²، وهذا ما يدل على أن البطالة كانت أحد أخطر الآفات الاجتماعية التي تنخر مجتمع المغتربين بفرنسا وعبئا ثقيلا يرهق كاهلهم، وكانت النتيجة الحتمية أن زاد وضعهم سوءا وفقرا وتفاقم حالهم ظلما وقهرا.

2. رحلته الشاقة للبحث عن العمل:

صمّم عبد الرحمن على التمسك بالأمل والمضي قدما لتجريب حظّه وعدم الاستسلام للتشاؤم خاصة أنه كان في منطقة فلاحية تضم العديد من المحاصيل الزراعية التي حان وقت جنيها كالبطيخ والعنب، لذا ذهب في اليوم الموالي للبحث عن فرصة للعمل في تلك المزارع وقد نجح في الحصول على أول وظيفة له هناك رغم حظوظه التي كانت شبه معدومة، غير أن حسن تعامل عبد الرحمن مع الموقف وإتقانه للغة الفرنسية وحماسه الشديد للعمل أجبر هذا المسؤول على قبول طلبه، يصف ذلك قائلا: "...ذهبت أنا وأحمد ووقنا في الطابور الطويل الذي شكله المطالبون بالشغل وهم ينتظرون أمام مكتب مسؤول الموظفين...الذي كان عملاقا بجسم مصارع وذو وجه فظ ونظرة سيئة يحطم أمل محدثه بنبرة جافة أن لا وجود لأي تشغيل...ثم بحركة آلية أشار عليا بالخروج وفي الوقت الذي ساجتاز عتبة الباب استعداد نبرته المتعجرفة وقال لي: عد إلى هنا أنت تحسن الفرنسية مقارنة بسنك...طيب أنت مقبول وستشتغل بالترجمة في الورشة...ناولني أيضا قسيمة الإيواء وأصبح من حقي الحصول على بيت جاهز..."³

جدير بالملاحظة أن "مزيان الشريف" استطاع وبسرعة كبيرة الاندماج مع الجالية الجزائرية في فرنسا، خاصة بعد أن وجد الكثير من أبناء بلده هناك، حيث وجد منهم دعما كبيرا وتضامنا عظيما مكّنه من تجاوز محنته في الغربة والتخفيف من وطأة التعب والتحديات التي كان يواجهها في طريق بحثه عن تحسين وضعه المادي والمعيشي من خلال العثور على عمل يقتات منه ومسكن يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ومن ثمة تقديم الدعم لأهله وأسرته في الجزائر. العلة. والتي ظلت محفورة في ذاكرته أملا في العودة إليها وهو في أحسن حال، وهي الأهداف نفسها التي تقاسمها أغلب المهاجرين الجزائريين بالأراضي الفرنسية.

1Meziane Cherif, op.cit, pp52 – 53.

2شارل أندري فافود، الثورة الجزائرية، تر: عبد الرحمن وسالم محمد، منشورات دحلب، 2010، ص 247.

3Meziane Cherif, op.cit, pp54 – 55.

أشار أنه عندما فشل في العثور على وظيفة بورشة بناء السد قد تلقى مواساة من صديقه "أحمد بوخروبة" الذي لم يكن قد حصل بعد على وظيفة وأخبره بأنه سيعثر على عمل معين في مكان آخر في كل الأحوال، وهو ما تذكره بمجرد قبول طلبه للعمل حيث يقول: "...قالي لي بوخروبة لا عليك... هذه ليست نهاية العالم ستجد عملا آخر، نظرت في عينيه مليا قبل أن أجيبه أنه علي القيام مبكرا للبدء بالعمل... يجب عليا أن أسجل حضوري منذ الصباح الباكر... هنأني رفاقي بكل الصدق الذي يمكننا أن نشعر به في مثل هذه الفترة وفي هذا السن حينما كانت تجمعنا محن الحياة وشدائدها"¹

كان المهاجرون الجزائريون يتجمعون في أقاليم فرنسية محددة حسب مناطق أصولهم واستقرارهم في الجزائر حتى يتسنى لهم مساعدة بعضهم البعض في تجاوز محنهم اليومية، وخلق نوع من التضامن والتآزر فيما بينهم، فكان السطايفية مثلا يضلّون معا، وكذلك الأمر بالنسبة للقسنطينية، القبائل، الشاوية... الخ، فمثلا كانت منطقة "سانت إتيان" تضم المهاجرين الجزائريين من بلاد القبائل وبوسعادة وقسنطينة وباتنة، وضمت منطقة "غرونوبول" المهاجرين من سطيف وقسنطينة والبويرة ومنطقة البليان، أما "ليون" فقد كانت نقطة استقطاب لمهاجري الأوراس وبلاد القبائل.²

كانت استجابة توزيع المهاجرين الجزائريين في المهجر للمرجعية الجغرافية ذات مفعول إيجابي كبير، سواء على حياة المهاجرين أو على النضال الوطني بشكل عام، فإلى جانب أنها تسهل عليهم التواصل فيما بينهم إذ عند وصول المهاجرين الجدد إلى فرنسا كان ملاذهم الطبيعي لدى أقاربهم المنتمين إلى نفس القرى، وقد أعيد بهذه الطريقة تشكيل الجماعات القروية الجزائرية من خلال المقاهي والفنادق الجزائرية بباريس، فهي أيضا تعتبر ضمان انسجام وقوة تعزز تشكيل أرضية تنظيم صلبة مكّنت ج.ت.و فيما بعد من التحكم في أقصى عدد من هؤلاء المهاجرين.³

بدأ "عبد الرحمن" عمله ك مترجم وبدأت مع تلك الوظيفة حياته الجديدة وآفاقها، وعلى غرار بقية أقرانه من المهاجرين كان منضبطا في أوقات العمل والاستيقاظ الباكر والالتزام الحرفي بالتعاليم التي يتلقاها من المسؤولين، وقد وضع ذلك بقوله: "مضت الأيام ثم الأسابيع كنت أنهض في الصباح الباكر مصرا على أن أكون أول الواصلين إلى الورشة التي كانت تضم عددا كبيرا من العمال المهاجرين من أصول شمال إفريقيا، وكان أغلبهم أميون ولا يشتغلون إلا كعمال يدويين، أو كمساعدين للحفارات العملاقة والشاحنات الضخمة التي يعبئونها بالتراب والحجارة تحت مسؤولية عدد من المسؤولين الفرنسيين الذين كنت مطالبا بترجمة أوامرهم وتوجيهاتهم بشكل واضح وبدقة عالية ما أجبرني على ضرورة مضاعفة الانتباه لما أقوله..."⁴

1Meziane Cherif, op.cit, pp53 – 55.

2أبو بكر الصديق حميدي، أصول الهجرة الجزائرية وتوزيعها بفرنسا والتأثير الإصلاحي في أوساطها، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ع11، جويلية ديسمبر 2014، ص345.

3 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 104 . 107.

4Meziane Cherif, op.cit,p56.

وُفق كثيرا في عمله حيث كان مترجما باهرا وعاملا منضبطا ومطيعا لأوامر مسؤوليه وتوجيهاتهم، واستطاع بتفانيه في العمل كسب ود هؤلاء المسؤولين الفرنسيين الذين أعجبوا بولائه ودقته العالية في الترجمة كما نجح في الوقت نفسه من كسب تعاطف العمال شمال الإفريقيين خصوصا الجزائريين حيث كان يقاسمهم وجبته الخفيفة التي كانوا يتناولونها في فترة الاستراحة وكذا مسكنه حيث لا يملك معظمهم الحق في الإيواء، وقد كان في خضم ذلك يشعر بسعادة غامرة خاصة حين يستلم أجرته ويرسل منها ما يكفي لمساعدة جده وأسرته في الجزائر، وهذا ما اعترف به قائلا: "...لما تسلمتُ أجرتي...هرولت مسرعا نحو أول مكتب للبريد لإرسال حوالة لجدي، كنت مسرورا جدا لفكرة مساعدته وخاصة لعلمي أنه سيكون معترزا بي وأنه سيتحدث عن ذلك لمحيطه...لم أتأخر أبدا عن إرسال الحوالة إليه، لقد أصبحت بالنسبة لي عادة وواجبا أؤديه بكل فرح وسرور".¹

كحال "عبد الرحمن" كان حال باقي المهاجرين الجزائريين بفرنسا في تقديم الدعم والعون لعائلاتهم وذويهم في الجزائر رغم ظروفهم المأساوية بالمهجر والأعمال الشاقة التي كانوا يمتهنونها والأجور الزهيدة التي كانوا يتقاضونها، حيث لم ينسوا يوما أهلهم وأقاربهم ولم يتخلوا أبدا عن أسرهم ووطنهم، بل ظلوا دوما على العهد والإخلاص للوطن رغم البعد الجغرافي وقسوة الظروف، فكانوا مثالا حيا للوطنية الصادقة والرغبة الجامحة في التخلص من الاستبداد وإنهاء الاستعباد، واسترجاع حق العباد وحرية البلاد، بإصرار حاد وصمود ذو أبعاد، لازال يمثل نموذجا للاقتداء بقوة الإيمان بالنجاح واليقين التام بالتوفيق والسداد.

لم يستسلم المهاجرون الجزائريون لقسوة الظروف وصعوبة الأعمال التي كانت توكل لهم بل أجبرتهم مسؤولياتهم أمام أهاليهم وذويهم على التحمل والصبر على كل الأعمال الصعبة والقيام بها على أكمل وجه، فصنعوا استثناء حقيقيا أمام باقي الجاليات الأجنبية على الأراضي الفرنسية، وهذا ما أشار إليه السيد "راي" "Mr.Ray" بقوله: "إن الإفريقيين هم من أنشط المهاجرين وأقدرهم على العمل، كما أنهم أكثر تلك الجاليات عددا. يقصد الجزائريين. فalcادرون منهم على العمل يقدرون بـ 29% من مجموعهم، في حين تنزل تلك النسبة بين الطليان إلى 57% وبين البولنديين إلى 44%".²

في مدينة "أفينيون" التي بدأ بها مشواره الوظيفي، التقى بعد بضعة أشهر بابن عمه "رابح مزيان الشريف" الذي كان مستقرا في ليون رفقة العديد من أبناء قريته الذين كانوا مستقرين بفرنسا منذ فترة، حيث قام بزيارته وهناك التقيا لأول مرة في المهجر رفقة ابن عمه الآخر "جعفر" وصديقه "سي العربي" و"أحمد بوخروبة" وهناك استذكر كل واحد منهم معاناة إخوانهم في الجزائر جراء استمرار السياسة القمعية الفرنسية، والأحداث التي كانت تعصف بالجزائر آنذاك خاصة وأن "جعفر" كان قد قدم من الجزائر منذ فترة وجيزة فوضعهم جميعا في الصورة الحقيقية لما كانت تشهده الساحة في الجزائر من تطورات ميدانية خصوصا

1Ibid,pp56- 57.

2بوعزيز، مرجع سابق، ص234.

ازدياد شعبية الثورة وارتفاع عدد المنظمين إليها والملتحقين بجيش التحرير الوطني في الجبال رغبة منهم في التخلص من الاحتلال الفرنسي الغاشم مهما كانت التضحيات والتحديات.¹

يدل ما ورد في هذا اللقاء على بقاء أفراد الجالية الجزائرية متابعين لكل ما كان يحدث في وطنهم من أحداث وتطورات، حيث لم ترغمهم الظروف المعيشية الصعبة ولا الإجراءات القمعية الفرنسية عن ذلك، فكانوا كلما وصل مهاجرون جدد إلى فرنسا إلا واجتمعوا بهم للاستفسار عن تطورات الوضع في الوطن، والمحاولة قدر المستطاع تقديم يد العون والمساعدة مهما كانت بسيطة، والمساهمة في دعم الكفاح الوطني، حتى أصبحوا رمزا للثورة والوطن، وهذا دليل واضح على استمرار غيرتهم على أرضهم وحنينهم لوطنهم والحرص على قضيتهم، حيث كان ما يسمعون عن بلدهم يشحنهم همهم ويرفع معنوياتهم ويرسم لهم خطوات إلى الأمام تزيدهم صبرا على واقعهم المرير بعد أن صاروا غير قادرين على سماع أصوات مدنهم وقراهم التي تبكي دما كل يوم على فقد أبنائها وضياح أملاكها وطمس مظاهر هويتها وتهميش وتكميم للأفواه المعارضين فيها وحصار وتقييد مقاوميهها فصار واقعهم مخيفا وبؤسهم قاتلا متسلسلا يقتل كل يوم الكثير من الأرواح والطموحات.

رغم أن أفراد الجالية الجزائرية بفرنسا لم تكن تُمنح لها سوى الأعمال الشاقة والمحتقرة ليس من طرف الفرنسيين فحسب بل حتى من طرف باقي الجاليات الأجنبية المقيمة بالأراضي الفرنسية والتي كانت تقع دائما في السلم الأخير من الوظائف بفرنسا²، إلا أنها مثلت بأجورها الزهيدة بالنسبة الجزائريين مصدر تمويل هام سواء عائليا أو ثوريا، حيث كانت تمثل أهم مصدر لأسرهم وأفرادها وثورتهم ومناضليها في الجزائر.

المطلب الثالث: التحاقه بصفوف الثورة التحريرية على الأراضي الفرنسية

1. ظروف التحاقه بالكفاح الوطني:

تأثر "عبد الرحمن" أيما تأثر بما كان يرويه ابن عمه جعفر عن تفاقم الأوضاع في الجزائر جراء السياسة الاستعمارية وقرر أن يتخذ موقفا حاسما مما يحدث، فكان الانضمام إلى ج.ت.و بفرنسا والالتحاق بابن عمه رابح الذي كان عضوا في منظمة الجبهة بمدينة ليون، وهذا ما أشار إليه بالقول: "كان غضبي يزداد مع استمرار جعفر في ذكر معاناة أقاربي في أرض الوطن، وبعد هذا اللقاء أخبرني ابن عمي رابح بانتمائه لمنظمة جبهة التحرير الوطني بمدينة ليون الفرنسية، وطلب مني الالتحاق به، وهكذا لم أتردد ولو لحظة في اتخاذ قرار الانضمام النهائي إلى صفوف الثورة والنضال من أجل تحرير بلادتي، وكان ذلك بالنسبة لي عملا طبيعيا يندرج في منطق الأشياء فقد كنت أنتظر منذ مدة الوقت المناسب للانضمام..."³

1Meziane Cherif, op.cit, pp57 – 58.

2Jean Blanchard, le problème algérien, réalités et perspectives, P.U.I, Paris, 1955, p55.

3Meziane Cherif, op.cit, pp57 – 58.

بعد إعلانه الانضمام لصفوف الجبهة خضع "عبد الرحمن" لاستجواب واختبار حقيقي من طرف أحد أهم مسؤوليها وهو "بوزيان ولد الشيخ" الذي كان مسؤول المنظمة الخاصة بمدينة ليون، بهدف التأكد من مدى صدق ولأئه وقوة صبره وصموده، وإمكانية الاعتماد عليه في الكفاح، حيث يذكر في هذا الصدد: "قدمني ابن عمي رابح للسيد بوزيان ولد الشيخ... وقد أخضعني لاستجواب حقيقي دون أن يبدو ذلك عليه، حيث سألتني مطولا عن الماضي الشخصي وعن عائلتي وميولي، وتناول معي المسائل السياسية الأكثر تعقيدا، لمست من خلال نظراته أنه تفاجئ لمستوى اطلاعي على تاريخ الجزائر والحركة الوطنية والعالم العربي والإسلامي عامة... كنتُ أجيب عن أسئلته حتى التافهة منها، بكل تأن وهذوء وصدق كامل وقد استغرق ذلك فترة ما بعد الظهر كلها... كانت إجاباتي من دون شك مقنعة لأنه ابتسم في الأخير ومد إلي يده وقال لي ببساطة مرحبا بك في المنظمة الخاصة الكثير من العمل ينتظرنا سنلتقي غدا... أنا أعلم أنك تملك التدريب القاعدي والتكوين الضروري كونك كنت عضوا في الكشافة الإسلامية الجزائرية وبالتالي فإن لديك المستوى النفسي والذهني المطلوبين".¹

هكذا أصبح "عبد الرحمن" جنديا قاعديا بسيطا تابعا للضباط ولد الشيخ بمدينة ليون وهناك سيتم تعريفه بباقي أعضاء المجموعة على غرار "رشيد لخروبي" من لخروب بقسنطينة، "خواني الحاج"، "الحسن كورتيز" من العلمة بسطيف، "الطاهر العنابي" من عنابة وكلهم يمثلون أعضاء واجهة المجموعة المسلحة في مدينة ليون، المتعلقة بتنظيم مجموعات الصدام والمواجهة، وهم من كان "عبد الرحمن" يعرفهم دون غيرهم نظرا للنظام الصارم الذي كان معتمدا في الفصل بين المجموعات حيث لا يستطيع أي عضو أن يتعرف على عناصر غير أعضاء المجموعة التي ينتمي إليها، وقد ظل العمل بهذا الفصل طيلة فترة الثورة التحريرية، إلى درجة أن مصالح الأمن الفرنسية لقيت صعوبات جمة في اختراق هذه المنظمة، يقول في هذا الصدد: "لقد كان النظام مبني على هيكل تنظيمي من النوع الهرمي يرتكز على الرقم 3 أي أن كل مجموعة من مناضلي القاعدة تضم عنصرين وقائد، والقائد لا يعرف إلا العنصرين الموجودين تحت قيادته وكل واحد منهما لا يعرف إلا رفيقه ومسؤول الخلية".²

يبدو أن استقرار المهاجرين الجزائريين في مناطق فرنسية معينة حسب مناطقهم الأصلية بالجزائر كانت له فوائد جمة بالنسبة للكفاح الوطني، فباستثناء "خواني الحاج" الذي لم يذكر عبد الرحمن مسقط رأسه في الجزائر يتضح أن باقي الأعضاء كانوا جميع من الشرق الجزائري (سطيف، قسنطينة، عنابة)، وكان دوم قد أشار إلى ذلك عندما ذكر أن هذا التقسيم كان يتم لاعتبارات نفعية أكثر منها جهوية وأنها تفيد المهاجرين الجزائريين في غربتهم، فالمهاجر الوافد حديثا إلى فرنسا يتوجه مباشرة وبطريقة آلية إلى المنطقة التي يستقر فيها ناس قريته حتى يتلقى المساعدة اللازمة، وفي بعض الأحيان يحرص على عدم تغيير مكان

1Ibid, pp 61- 62.

2Meziane Cherif, op.cit, pp63 - 64.

إقامته إلا بعد استئذانهم والحصول على موافقتهم كونهم أكثر دراية بتلك المناطق، ورغم اعتبار هذا السلوك المعهود. انكماش اجتماعي يقصي الدخيل، فإنه لم يكن يُصرّح به جهرا.¹

2. مساره النضالي في المنظمة الخاصة:

كانت الانطلاقة الحقيقية للمسار النضالي لـ"عبد الرحمن" مباشرة بعد قبوله كعضو في المنظمة الخاصة حيث التقى بأحد أكبر قادتها وهو "عمر حرايق" المدعو "سي اسماعيل" الذي كان عضو فعال يسيّر المنظمة الخاصة بنجاح كبير في مناطق الجنوب الفرنسي رفقة "حسين بن دالي" والتي ضمت ليون "Lyon"، "غرونوبل" "Grenoble"، "سانت إيتيان" "Saint-Etienne"، مرسيليا "Marseille"، "وبوردو" "Bordeaux"، وكان له دورا رئيسيا في إرساء هياكل جديدة للمنظمة، بعد أن أصبحت فرعا من فروع جيش التحرير الوطني بفرنسا، وكان فريقه يضم إلى جانب "مزبان الشريف" "Meziane Chérif" كل من "محمد بلحواس" "M'hamed Belhaouas"، "أحمد بلحسين" "Ahmed Belhocine"، "علي بطروني" "Ali Betroni"، "علي بوشينة" "Ali Bouchina"، أما القائمين على تسهيل عملية الاتصال والتواصل بينهم فهم "مختار الصغير" "Mokhtar Seghir"، "يمينة إجري" "Yamina Idjeri" المدعوة "أنطوانيت" "Antoinette"، وكذا "زينة حرايق" "zina Haraigue".²

في اعتراف من "مزبان" حول شجاعة "عمر حرايق" وحنكته الكبيرة في تسيير المنظمة وكسب ثقة المناضلين فيها، ذكر بأنه: "كان وطنيا لا يساوم ومنظما بارعا ورجلا صادقا وصاحب مبادئ ووفيا في الصداقة، وكان لديه ما لا أعرف مما يجلب له احترام كل الذين عرفوه... كان من الوجوه الأكثر بروزا في المنظمة الخاصة وفدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني... يقود عملياتنا الهجومية بتفوق القادة الكبار، وكان له من النزاهة والاستقامة بما كان إلى درجة أنه سيكون له الكثير من الأعداء ضمن أصدقائه المزعمين... وما كان استدعائه إلى تونس وأمره بترك عمله بفرنسا إلا دليل على الغيرة التي كان يضررها له هؤلاء".³

أكمل "عمر حرايق" مساره النضالي في تونس التي وقفت بكل قوتها إلى جانب الثورة الجزائرية ودعمتها بكل ما تملك من سند مادي عسكري ودبلوماسي سياسي⁴، شعبا وحكومة، فلطالما أعرب شعب تونس عن تضامنه الأخوي التام مع الجزائر في معركتها التحريرية⁵، وهو ما تجسّد في العديد من المؤتمرات

1 أحمد دوم، مصدر سابق، ص ص 44. 45.

2 Neser Eddine Ait Mokhtar, op, cit, pp78 - 79.

3Meziane Cherif, op.cit, pp 63 - 65.

⁴تصريح الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية رقم 98 على إثر انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وثيقة رقم 1543، 1959/09/28، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر.

5(MNT) Archive nationale Tunisien , Sé K, cart 01, Dos 43, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord, le conflit dans le monde rabe (Novembre 1956, p05.

واللقاءات الحكومية من جهة¹، والندوات التي عقدتها مختلف الأطياف الشعبية التونسية من جهة أخرى مثل مؤتمر الاتحاد الجهوي بالكاف، والندوة الصحفية التي عقدها الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين رفقة الاتحاد العام لطلبة تونس وجمعية الطلبة المغاربة وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وكذلك الجلسة العامة لفرع صفاقس للاتحاد العام لطلبة تونس، وقد عبّروا جميعا عن تضامنهم المطلق مع إخوانهم الجزائريين في كفاحهم من أجل الحرية والاستقلال، ولم يقتصر الأمر على الرجال فحسب، بل شاركت النساء التونسيات أيضا في التعبير عن تضامنهن مع القضية الجزائرية ومن مظاهر ذلك خروج نساء مدينة "المهدية التونسية" في مظاهرات كانت عبارة عن موكب تكوّن من 300 امرأة عقب اختطاف طائرة الوفد الخارجي لـ"ج.ت.و" احتجاجا على القرصنة الجوية والسياسة الاستعمارية الفرنسية، ومطالبات بالإفراج عن قادة الجبهة، والتعجيل بتسوية المسألة الجزائرية.²

أما على المستوى الحكومي الرسمي فقد ثبت الموقف التونسي دائما على مبدأ تأييد الجزائر في تقرير مصيرها وإنهاء الاستعمار الفرنسي فيها، وقد تجسّد هذا الموقف في العديد من المرات، حيث دعا مثلا "منجي سليم" الممثل الرسمي لتونس في الأمم المتحدة إلى تشكيل اتحاد شمال إفريقيا بعد استقلال الجزائر، مؤكدا أن تونس مستعدة لتقديم تسهيلات من أجل حل القضية الجزائرية بما يرضي الشعب الجزائري³، كما أكّد الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" أنه لا يعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد حل عادل للقضية الجزائرية بحكم موالاتها ودعمها المفضوح لفرنسا⁴، التي أوضح أنها لا تملك رغبة حقيقية للتفاوض وحل النزاع في الجزائر حتى لا يتكون اتحاد شمال إفريقيا جامع للأقطاب الثلاث، معتقدة بأنها ستحسم الحرب لصالحها، غير أنها لا تعلم أن من تسميهم المتمردين عازمون على الاستمرار إلى أجل غير مسمى، وطالما أنهم لم يستسلموا فإنهم ينتصرون ويزيدون الحرب صرامة⁵، وقد كان "بورقيبة" رجل الوضعية آنذاك كما عبرت عنه بعض الصحف الفرنسية حيث كان يؤكد في كل خطابه ومقابلاته الصحفية أن استقلال الجزائر ينبغي أن يكون الهدف النهائي للمفاوضات⁶، ونظرا لتواصل هذا الدعم فقد خصصت

¹الجزائر ونظرية قادة ج.ت.و، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 64, 20 Novembre 1957, Paris, p03.

²protestations contre l'arrestation des chefs FLN, manifestation féminine à Mahdia, le petit matin, du 01.11.1956.

³ M. Mongi Slim préconise une fédération nord- africaine après reconnaissance de l'indépendance de l'Algérie, 31.07.1957, (MNT), Sé K, cart 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

⁴Déclaration Bourguiba sur l'Algérie, 01.08.1957, (MNT), Sé K, cart 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

⁵M. Bourguiba déclare a la revue "Newsweek", les français n'ont pas encore la volonté véritable de négocier en Algérie, (MNT), Sé K, cart 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

⁶ Bourguiba et l'Algérie", Bourguiba l'homme de la situation déclaration à l'envoyé de news week, le monde, du 1/8/1957.

فرنسا له دعاية كبيرة للتقليل من شأنه، وتأكيد سيطرتها على الوضع بشكل تام سواء في تونس أو في الجزائر.¹

كُلف "عبد الرحمن" رغم صغر سنه بتنفيذ عملية مسلحة خطيرة في قمة السلم الهرمي لجهاز الشرطة تمثلت في مهمة اغتيال محافظ الشرطة الفرنسية في شارع "فوبون" وهو "شابو" لأنه كان من أفضح من يمارسون التعذيب ضد المهاجرين الجزائريين الذي يلقي القبض عليهم حيث يتلذذ بالتنكيل بهم حتى الموت، ويمارس أيضا ضغطا رهيبا على المنظمة الخاصة لفدرالية الجبهة، ومن ثم كان يجب التخلص منه قبل ظهور منافسين له في فن التعذيب، وإعطاء درس لباقي أعوان الشرطة للتوقف عن تعذيب الجزائريين خوفا من أن يلقوا نفس المصير، إضافة إلى ذلك كان مناضلو الفدرالية يسعون من وراء هذه العملية التي أرادوا أن يكون لها صدى واسع إثبات قوة الجبهة في فرنسا وانتصارها على كل منافسيها، خصوصا ح.و.ج، لذا سعوا إلى وضع قبلة في مقر محافظة الشرطة في شارع "فوبون" للقضاء على المحافظ وعدد آخر من مساعديه والموظفين معه.²

مُنح "عبد الرحمن مزبان الشريف" اسما مستعارا وهو "علاوة" أو "ديدي جان لويس"³، وطُلب منه المساعدة في تنفيذ العملية لكونه يملك ملامح أوروبية فهو لا يشبه المهاجرين شمال إفريقيا الذين كانوا يتم تمييزهم بسهولة، وبالتالي سيمر دون أن يلفت انتباه أحد، ويقول واصفا نفسه: "كنت لا أثير الشكوك بفضل ملامحي وبشرتي البيضاء وشعري الأشقر الذي كنت أعطني به كثيرا... كنت مهوسا باختيار أحسن الألبسة مع ميول خاصة إلى الأقمصة ذات الطوق النظيف وربطات العنق المنسجمة كما أحرص على ارتداء آخر صيحات الأحذية والملمعة جيدا"، وهكذا كلف "خواني" بتنفيذ عملية التصفية الجسدية لـ "شابو" عن طريق طلقة نارية بينما يتولّى "علاوة" إشعال فتيل القبلة قبل الخروج من المكتب، وبالتالي فهو من تحمل الجزء الأهم والأخطر من العملية، في حين سيساعده "الحسن كوريتز" من خلال إطلاق عيارات نارية في الهواء والصراخ حتى لا يفكر الجمهور ورجال الشرطة إلا في إنقاذ أنفسهم والاحتفاء في أي مكان آمن، أما "عمار العنابي" فسيقود السيارة بالمجموعة صباح اليوم الموعود وهو يوم الثلاثاء على الساعة العاشرة صباحا.⁴

عندما وصل الموعد المحدد نقّذ "علاوة" ورفاقه العملية لكن المحافظ "شابو" كان محظوظا لأنه لم يكن موجودا في المركز في ذلك اليوم وبالتالي فقد نجا من الموت، ورغم ذلك نجحت المنظمة الخاصة في زرع الرعب والهلع في أوساط المصالح الأمنية الفرنسية، حيث يقول في هذا الصدد: "وهكذا حققنا

¹حوادث الحدود مع تونس، AL DJAZAIR, N° 04, 1^{ER} Année, 08 Aout 1958, Paris, P07

2 Meziane Cherif, op.cit, pp 69 - 70.

3Neser Eddine Ait Mokhtar, op, cit, p86.

4Meziane Cherif, op.cit pp70 – 72.

هدفنا جزئياً، صحيح أننا لم نتمكن من قتل الجلاد "شابو" لكننا وجهنا إليه ولأمثاله إنذاراً جدياً¹، ويمكن أن نستشف من هذه الشهادة مدى الإصرار الكبير الذي كان يميّز هؤلاء المناضلين وتشبّثهم بإنجاز المهمة الموكلة لهم حتى في حال الفشل لمرات عديدة في تحقيق الهدف، حيث يمنحهم ذلك الفشل دفعا قويا للاستمرار والثبات حتى الوصول إلى المبتغى.

تعرض "علاوة" إلى التوقيف من طرف الشرطة الفرنسية التي كانت لديها شكوك بمشاركة في العملية لكن لا ترتقي إلى أدلة قطعية بتورطه في الهجوم على مركز الشرطة، ورغم غياب الأدلة الدامغة التي تثبت إدانته إلا أن ذلك لم يشفع له فقد تم تفتيش بيته وتحطيم أغراضه، وتعرض لتعذيب قاسي وتنكيل مفرط من ضرب وصفع، ولطم واحتجاز وركل حتى فقد الوعي لمرات عديدة وصار جسمه مخضباً بالدماء ووجهه متورماً، قبل أن يتم إطلاق سراحه بعد الفشل في افتكاك أي اعتراف حول مشاركته في العملية أو انخراطه في فدرالية الجبهة، وقد ظل نائماً لأيام متوالية حتى تمكن من استرجاع عافيته تدريجياً، ويعود إلى عمله كسائق للجرار في شركة سكك الحديد "لافيروفيار"، والعودة للعمل الثوري المسلح من جديد رغم كل ما تحمّله من عذاب وقمع بوليسي².

يتضح جلياً مدى القوة والصلابة التي كانت تميّز مناضلي المنظمة الخاصة بفرنسا حيث كانت عملية انتقائهم تتم وفق شروط صارمة لا مجال فيها للتنازل، وقدرات خارقة في تحمّل كل أنواع التعذيب، والأهم من ذلك هو استعدادهم التام للتضحية مهما كان الثمن، وللموت في أية لحظة على كشف الخفايا أو البوح بأسرار تخصّ هياكل المنظمة أو الفدرالية ما سيلحق الضرر بالثورة سواء على التراب الفرنسي أو خارجه، وعلى شاكلة "عبد الرحمن مزيان الشريف" كان بقية مناضلي المنظمة الخاصة في المهجر جنوداً أشاوس للأوامر العسكرية مُطيعين، وللتعليمات السياسية مُطبّقين، وللأسرار الثورية كاتمين، وعلى المبادئ الوطنية والإسلامية ثابتين، وللدرب الجهاد سالكين بخيارين اثنين لا ثالث لهما فإنّ النصر وإنّما الاستشهاد.

بسبب فشل عملية مقتل "شابو" ونجاة الشرطي الحارس الذي تمت إصابته برصاصات أثناء تنفيذ العملية، وخوفاً من استعادة هذا الأخير لوعيه وتمكّنه من التعرّف على وجوه منقّذي العملية، إضافة إلى الشكوك التي كانت تحوم حوله والتي تعرّض على إثرها لتعذيب قاسي، ظل "علاوة" مشتبهاً به في نظر الشرطة الفرنسية، ما دفع بالمنظمة الخاصة باسم "عمر حرايق" إلى محاولة إبعاده عن مصدر الخطر وذلك من خلال إخراجه نهائياً من فرنسا وإرساله إلى تونس ثم إعادته إلى الجزائر، ليتحول إلى ضابط عسكري ويشارك في عمليات جيش التحرير الوطني التي كان يخوضها هناك بدعم الشعب كله، حيث يذكر في هذا الصدد: "...لقد قررت المنظمة الخاصة إرساله إلى تونس لأدمج هناك في وحدة نظامية لجيش التحرير وأدخل إلى الجزائر... لم يراودني التفكير أبداً لمناقشة الأمر فأنا جندي تابع للمنظمة وعليه أن يطيع الأوامر،

1Ibid, op.cit, pp 80 .

2Ibid, pp 80 – 86.

كما أنني شعرت بالراحة وأنا أفكر في الأمر لأن المقاتلون الجزائريون هناك كانوا يقاتلون... حيث العدو معروف عند الجميع، وبالتالي فإن الأمور ستصبح أكثر وضوحا وسهولة... نظرا للدعم الشعبي الكبير الذي كانوا يحضون به الوطن، أما في فرنسا فقد كنا على أراضى العدو ونعيش في قلق دائم لأن المحيط والشعب الفرنسي معاديان لنا".¹

يشير "علاوة" إلى الصعوبات والعراقيل الكثيرة التي كان يلاقيها المهاجرون الجزائريون بفرنسا في إطار كفاحهم ونضالهم التحرري سواء السياسي أو العسكري، فليس بالأمر الهين قيادة ثورة متكاملة الأركان فوق أرض العدو وفي عقر داره، حيث الأعداء أكثر والرقابة الأمنية أكبر، وهذا دليل واضح على الدور الهام الذي لعبه أفراد الجالية الجزائرية في المهجر عموما وفي فرنسا بشكل خاص، حيث ظلّوا أوفياء للعهد مخلصين للوطن صامدين في وجه العدو صابرين ومتحمّلين لكل سياساته الجهنمية ضدهم، ومضحين بالغالي والنفيس من أجل استرجاع حرية واستقلال بلادهم التي ظلت حية في وجدانهم ونبض قلوبهم رغم بعدها الجغرافي عن مكان تواجدهم ومقر إقامتهم، وبذلك فهو يرد على كل المشكّكين أو المنقّصين لدور المهاجرين في الكفاح.

توجه "عبد الرحمن" رفقة "حرايق" إلى أحد الكنائس في غابة "قرونوبل" للاحتفاء هناك حتى صدور الأوامر بالرحيل إلى تونس، حيث عبّر العديد من رجال الدين المسيحيين في مختلف الكنائس والأديرة عن تأييدهم للثورة التحريرية والقضية الجزائرية بعد أن اعترفوا بعذاتها وصدق أهدافها، فقدّموا الدعم لمناضليها ومسؤوليها، وعبروا في مناسبات كثيرة عن قلقهم إزاء الأوضاع الكارثية التي آلت إليها الجزائر، محتمّلين الحكومة الفرنسية مسؤولية ذلك، داعين إيّاها إلى التحلّي بالضمير الإنساني وتحسين الأوضاع المعيشية للجزائريين، ومن بين ما ورد في هذا السياق: "وكما قلناه عدة مرات، فمن المستعجل زيادة الجهود في مكافحة الفقر والبؤس والبطالة، كما يجب الحفاظ على روح المحيط، ونؤكد ضرورة رفع مستوى المعيشة"²، وقد فهم هؤلاء حقيقة البطش والقمع الذي يمارسه الاستعمار ضد الشعوب وأنه لم يكن عملا خيريا يعكس حبه لهم أو إحسانه إليهم، مثلما كانت تدعي الرواية الفرنسية التي كانت تصور للشعب الفرنسي أن عناصر الجيش في الجزائر لم يكونوا جنود احتلال بل كانوا بناء يعاملون الناس بإحسان ومن ثم يجب مساندتهم ودعمهم في المصلحة المهمة والحضارية لفرنسا.³

كما أنهم اعتبروا أن السياسة الاستعمارية المجحفة والممارسات القمعية للفرنسيين ضد الجزائريين الأبرياء هي إهانة للعقيدة المسيحية، ومن أمثلة ذلك ما أورده مثلا القس "بيير نغار" Pierre "Nagar" عندما أعلن مسؤوليته عن تفجير القنبلة الإنسانية التي هزّت عرش المسيحيين في مناطق أمريكا اللاتينية، بعد الإعلان الصريح عن حقيقة وقوع تجاوزات سلطوية استعمارية من طرف السلطات الفرنسية ضد

1Meziane Cherif, op.cit, p 90.

2 مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية ...، مصدر سابق، ص 96.

3Meziane Cherif, op.cit, pp 93 - 94.

الجزائريين¹، كما نُقشت أيضا في هذا السياق عبارة الأسقف "دوفال" "Duval" الذي ظل ثابتا مساندا للقضية الجزائرية وثورتها والتي أقرّ بعدالتها ومشروعيتها بقوله: "حق الإنسان في الحياة، لا يتوافق مع ممارسة التعذيب والإعدام بلا محاكمة"²، كما انتقد في بيان له عدم استقلالية العدالة بالشكل الكافي، وطالب بضرورة الوفاء في تأدية مهمة القضاء من خلال اختيار ووضع الرجال ذوي الضمائر الحية.³

في سياق الدعم المسيحي للثورة التحريرية لعبت "إرسالية فرنسا" لعبت "إرسالية فرنسا" "La mission de France" التي تأسست يوم 24 جويلية 1941 في ظل الاحتلال النازي لفرنسا، وقد أعلنت مساندتها لفدرالية "ج.ت.و" بطريقة فردية وسرية، وهذا ما وضّحه القس "جان فيناتيبي" بقوله: "كان العديد منا في إرسالية فرنسا يقومون بأعمال متنوعة لصالح "ج.ت.و" دون أن يعلم أحد بذلك".⁴

يعود سبب مساندة هذه الإرسالية للثورة إلى معرفة أغلب أعضائها لحقيقة الوضع في الجزائر على غرار القس "جان أرفواس" "Jane Orvoas" الذي كان عاملا في "ميزون كاري" - الحراش حاليا. وكان له دور كبير في إقناع العديد من الرهبان والقساوسة بمساندة ودعم فدرالية الجبهة في فرنسا بعد إطلاعهم بأساليب التعذيب الهمجية التي كان يمارسها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين، وكذا القس "بيار مامي" "Pierre Mamet" الذي عاش في "سوق أهراس" قبل أن يتم ترحيله رفقة العديد من زملائه القساوسة إلى فرنسا سنة 1956.⁵

مكث "علاوة" بتلك الكنيسة قرابة الشهرين وهناك وجد مناضلا آخر من نفس أصوله السطايفية وهو المدعو باسم مستعار "لاس دو بيك" على إحدى أوراق لعبة القمار، فنشأت صداقة قوية بينهما كونها من نفس المنطقة بالجزائر، وخلال تلك الفترة يذكر عبد الرحمن أنه كان يُعامل معاملة جيدة من طرف رجال الدين في الكنيسة يحث يقول: "... كانت معاملة رجال الدين لي جيدة فقد اعتنوا بي بشكل خاص، ولم يدعوا للحاجة أي منفذ إليّ، إلى درجة أنهم كانوا يطمئنوني بأن وجبات الطعام التي يحضرونها لي كانت خالية من لحم الخنزير وأنهم كانوا يجلبون اللحم من عند جزائر الأصل، وقد تأثرت كثيرا بمثل تلك الرقة والعناية الفائقة".⁶

1 نور الدين عسال، الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية والتعذيب إبان الثورة التحريرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج3، ع2، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، الجزائر، د ت، ص269.

2 عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962)، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص132.

3Après le procès des libéraux, une déclaration de S.Exc., Mgr Léon-Etienne Duval archevêque d'Alger, (MNT), Sé K, cart 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

4Sybille Chapeu, des chrétiens dans la guerre d'Algérie, l'action de la Mission de France, Dahleb Editions, Alger, 2010, p68.

5Sybille Chapeu, op , cit , pp 69 – 71.

6 Meziane Cherif, op.cit, p 91.

إلى جانب إعلان هؤلاء القساوسة والكهنة المسيحيين تأييدهم للثورة ومشروعيتها، عمد مناضلوها إلى الاستعانة بهم لإبعاد الشبهات عنهم كجزائريين، وتجنباً للملاحقات الإدارية الفرنسية التي غالباً ما تطالهم دون غيرهم من بقية الجاليات الأجنبية بفرنسا، لأن أغلب تلك المهام والمساعدات التي كان يقدمها رجال الدين المسيحيين كانت تتم بتكتم وسرية بهدف إبعاد شكوك الشرطة والمصالح الأمنية باعتبارهم فرنسيين، عكس المهاجرين الجزائريين الذين كانت عليهم الرقابة البوليسية والعسكرية الفرنسية شديدة¹، ويتم اعتقالهم في أغلب الأحيان دون ارتكابهم لأية مخالفات أو وجود أدلة ملموسة تثبت مسؤوليتهم عن أعمال معينة أو مخالفات محددة.

في الوقت الذي كان فيه "علاوة" ينتظر قرار المغادرة إلى تونس حدث مستجدات ميدانية في فرنسا أرغمته على البقاء والاستمرار في النضال هناك، حيث نجحت القوات الفرنسية من تفكيك فرع المنظمة الخاصة في مدينة "غرونوبل" لذا كُلف بإعادة بنائها، بمساعدة "حرايق" ومناضل آخر من المدينة نفسها، ونظراً لكفاءة "عبد الرحمن" وخبرته في هذا المجال فقد تمكن في ظرف قصير لم يتعدى بضعة أيام من إعادة تشكيل فريق جديد للمنظمة الخاصة تكون على حد تعبيره من رجال شجعان ومستعدون للتضحية وقد تم اختيارهم على أساس رصيدهم الثوري وماضيهم النضالي، حيث كان في رصيد كل واحد منهم على الأقل عملية هجومية مسلحة سواء ضد العدو أو ضد المصالح المصالية، وكان أكثر هؤلاء الرجال نباهة رجل من أصول سطاييفية يحمل اسماً مستعار يشبه اسمه وهو علاوة².

ترأس الفريق الذي كونه "عبد الرحمن" بمدينة "غرونوبل" صديقه "خواني الحاج" الذي قدم من مدينة "ليون" وكان قد شاركه عملية الهجوم سابقاً على محافظة الشرطة بشارع "فوبون"، فتولى إكمال المهمة في حين توجه عبد الرحمن إلى باريس لينتقل منها إلى ألمانيا ثم نحو تونس، غير أن القدر كانت له الكلمة الأخيرة مرة أخرى حيث ألغيت ترتيبات السفر مجدداً بعد أن أخبره "عبد المجيد" جراء تفكك المنظمة الخاصة في باريس وتكثيف الشرطة الفرنسية لتحركاتها للقبض على مناضليها، وهكذا اضطر عبد الرحمن للعودة إلى "قرونوبل" والاستقرار ثانية في الكنيسة التي تضمن له الترحيب والاهتمام من جهة والأمن والحماية من جهة أخرى³.

استمر "علاوة" في الاستقرار بالكنيسة لمدة زمنية غير محددة حتى جاءه أمر بضرورة الانتقال بشكل رسمي إلى مدينة "مرسيليا" لإعادة تشكيل فريق للمنظمة الخاصة هناك، بعد أن تمكنت السلطات الفرنسية من إلقاء القبض على أغلب أعضائها، فأبلغه "حرايق" أنه لم يعد يوجد هناك من له القدرة على القيام بأعمال من شأنها دعم الكفاح، وكلفه بمسؤولية الذهاب إلى مرسيليا وإعادة تنظيم الأمور فيها وتسويتها بتوظيف تجاربه وخبرته السابقة التي اكتسبها من نضاله في "ليون" و"غرونبل"، وهكذا غادر

1 عبد الله مقلاتي، المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص 237.

2 Meziane Cherif, op.cit, pp 91- 92.

3 Meziane Cherif, op.cit, op.cit, p 93.

الكنيسة رفقة حرايق متوجهين إلى مرسيليا بعد أن ودّع الكهنة في الكنيسة الذي وفّروا له المأوى والرعاية طيلة تواجده معهم، وقد أحبهم وتركوا فيه بصمة جميلة وهذا ما يتضح من وصفه لهم بقوله: "...لقد كانوا أناسا ذوي حِلْم ورفق يكرهون الظلم والاضطهاد لذلك قاموا بالدفاع عنا...لم أستطع نسيان هؤلاء الأشخاص البسطاء".¹

يبدو من تصرفات وأخلاق هؤلاء القساوسة والكهنة أنه كلما كان الدين قريبا من الإنسان أكثر كلما أثر ذلك إيجابا على حياته وحياة من حوله، فرغم اختلاف التعاليم الدينية بين مختلف الديانات السماوية إلا أن القواسم المشتركة فيما بينها تثبت وجود قناعة عميقة بتوفر الأخلاق الكونية وثوابت وقيم أخلاقية كبرى جامعة للبشر، وكلها تحترم الذات والذوات الأخرى مع الاعتراف بعقائد الآخر وشخصيته وإنسانيته، ولهذا يتخذ التسامح فيها بعدا كبيرا يقوم على عدم التمييز في القيمة الإنسانية وقيمة الأخلاق الالتزام بالقيم في الحرية والعدالة والسلام، أما ما حدث تاريخيا وما يحدث حاليا بين مختلف الدول والشعوب باسم الدين خاصة من طرف الغرب المسيحي ضد المسلمين، فإننا لو أمعنا النظر جيدا سنجد أنه في الحقيقة ليس بسبب الدين بل هو المتاجرة باسم الدين، والغرض هو تحقيق أهداف دنيوية بالدرجة الأولى.

وصل المناضلان إلى مرسيليا وقاما بجولة خفيفة للتعرف عليها أكثر وهناك لاحظ عبد الرحمن التشابه الكبير بينها وبين الجزائر العاصمة من حيث الهندسة المعمارية واللون الأبيض الغالب على جل البنايات والشوارع الضيقة إضافة إلى انتشار المحلات والمطاعم والمقاهي التي يتردد عليها الكثير من المغاربة، إضافة إلى التشابه المناخي كونهما مدينتان متوسطتان لهما إطلالة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط، وخلال هذه الجولة تلقى تعليمات صارمة من طرف "حرايق" كان أهمها ضرورة توخي الحيلة والحذر في كل تصرفاته كونها مدينة مليئة بالمخبرين ومؤيدي الحركة الوطنية المصالية، ولهذا ينبغي عليه التنكر قدر الإمكان والتصرف كمواطن فرنسي حتى لا يلفت انتباه الشرطة وأعوانها من الخونة والعملاء، والحد من الاتصالات مع مسؤولي التنظيم السياسي الإداري لأقصى درجة وتجنب ملاقاتهم أكثر من مرة في مكان واحد.²

يصف "علاوة" إستراتيجيته في التشبّه بالأوروبيين وإتقانه مهمة العميل السري الممتاز بقوله: "كنت أهتم كثيرا بهندامي...قمت بشراء عدة بدلات باهظة الثمن وملائمة لذوق ذلك العصر اخترتها بتكلف وعناية إلى جانب ربطات عنق متجانسة وأحذية رفيعة الجودة حتى أبدو بمظهر لائق في جميع الحالات يعطي عني انطباعا جيدا اتسع نطاق عملياتي ليشمل شقتين إضافيتين تقعان في أحياء مرموقة وراقية يرتادها أفراد البرجوازية المارسييلية...قررنا عدم الإقامة في الأحياء ذات الأغلبية السكانية المغاربية وأجبرنا بذلك على

1Ibid, pp 95 – 96.

2 Meziane Cherif, op.cit, p 97.

دفع أموال إضافية طائلة...لازلت مندهشا من المهارة والإبداع الذين تميزنا بهما في كفاحنا عندما اقتضت الضرورة ذلك".¹

في اليوم الموالي شرع المناضلان الذين كانا في هندام لا يشبه هندام العمال المغاربة، في التشاور الجدي لإعادة بناء التنظيم من الأساس مع محاولة تجنب الوقوع في نفس الأخطاء السابقة والسهر على المسائل الأمنية، لذلك شرع "عبد الرحمن" في إقامة خلايا محكمة التنظيم تتكون من ثلاثة مناضلين يركز عملها على مبدأ عدم معرفة أي شخص منهم لأكثر من شخصين أو ثلاثة من المنظمة، وباعتبار أن مرسيليا كانت مدينة ذات أهمية اقتصادية كبيرة فقد أصبحت الأهداف الرئيسية للمنظمة هي استهداف المصالح الاقتصادية والعسكرية في المدينة وضواحيها بشكل خاص وفي منطقة الجنوب الشرقي الفرنسي بشكل عام، لذلك كان ينبغي اختيار المناضلين فيها بدقة عالية بحيث تكون قادرة على خوض المعركة الجديدة بنجاح وتتمكن من القيام بتنفيذ العمليات الهجومية التي سيتم تكليفها بأدائها كاملة من دون أية نقائص أو أخطاء.²

أصبح "علاوة" مسؤولا للمنظمة الخاصة بمرسيليا وعمره لا يتجاوز العشرين سنة، في حين كان قائده "عمر حرايق" مسؤولا عن منطقة جنوب شرق فرنسا، ومعهم مناظلون آخرون كلفوا بمنطقة "بوردو" و"ليون"، وكان قادة المناطق تحت مسؤولية "رابح بوعزيز" وهو عضو اللجنة التي تسير اتحادية فرنسا وكان يدعى "سعيد" أو "فريد"، وظل عبد الرحمن مستعدا لتلقي الأوامر بتنفيذ أي هجوم على التراب الفرنسي في أية لحظة، حيث يقول: "كان نشاطنا في المنظمة الخاصة يمثل خطرا على أرواحنا وحریتنا ومن جهتي لم أكن أعلم طبيعة الأعمال المرتقبة"، لاسيما بعد أن عرفه "حرايق" بالمناضل "محمد بوديا" المدعو "كمال"، وهذا الأخير سيشرح له كل ما يتعلق بالتنظيم السياسي والإداري للجبهة، ويعزز التواصل بينهما عبر "محمد الصغير أوكانو" الذي كان العمل معه مثمرا وأخويا إلى أبعد الحدود كون ابن بجاية كان ذو فعالية فائقة في جلب الأفراد الذين تم تحويلهم ودمجهم في المنظمة الخاصة والذين كان معظمهم ضمن مجموعات الصدام التابعة لفدرالية الجبهة.³

المطلب الرابع: دوره في العمليات العسكرية 25 أوت 1958

1. التخطيط النظري والتحضير للعمليات:

اتخذ المناضل الشاب والطموح الشجاعة والالتزام معيارين أساسيين في انتقاء الأعضاء الجدد القادرين على خدمة وطنهم "الجزائر" من خلال تنفيذ الأعمال الهجومية وتصفية الأعداء والخونة رغم كل المخاطر التي تحيط بهم، واستطاع في بضعة أسابيع تجنيد قرابة عشرين (20) خلية تتشكل من حوالي ستين (60) عنصرا تم اختيارهم بدقة عالية، ويذكر في هذا السياق: "...بالرغم من أنه لم تكن لدي سوى

1Ibid, pp 103.

2Ibid, pp 98 – 99.

3Ibid, pp 99 – 100.

معلومات بسيطة قدمها لي عمر، وبالرغم من صغر سني إلا أنني استطعت تعيين نخبة من الرجال من شأنهم إلحاق ضرر مادي ومعنوي بالعدو ويكونوا بذلك مصدر فخر لجبهة وجيش التحرير الوطني¹. في انتظار صدور الأوامر له بالتحرك وتنفيذ عمليات ما، لم يبق "علاوة" منتظرا فقط بل استغل الفرصة وقام بجولات واسعة في مختلف الشوارع والأحياء المارسييلية بهدف اكتشاف المدينة جيدا وحفظ كل مساراتها وطرقها لاسيما التي تتقاطع في نقاط معينة لاتخاذها منافذ للفرار من الأسلاك الأمنية الفرنسية عند الضرورة، فكلما كانت المعرفة بالمدينة عميقة ودقيقة كلما كانت سبل النجاة من ملاحقات ومطاردات الشرطة أيسر وأسهل وبالتالي زيادة إمكانية النجاح في تنفيذ العمليات الهجومية للثورة وتحقيق الأهداف المرجوة، وهذا ما كان هدفه من وراء قيامه بعدة جولات استطلاعية بالإضافة إلى تجنيد أعضاء جدد للتنظيم العسكري يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها في العمليات الهجومية وتقديم مساعدات لوجستية قيمة للثورة.

هكذا كان مناضلو الثورة التحريرية داخل التراب الفرنسي دائما على أهبة الاستعداد وفي كامل الانتباه والحذر حيث يتم اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة للتعامل مع أي طارئ، إضافة إلى استغلالهم لكامل وقتهم في النضال والكفاح سواء في أوقات العمل أين يتم التعرف أكثر على العقيلة الفرنسية من خلال الاحتكاك بأرباب العمل واكتساب خبرات جديدة في الحياة، أو خارجها إذ أنهم كانوا يستغلون حتى إجازاتهم في النضال من خلال قيامهم بجولات استطلاعية إلى مختلف الأحياء والشوارع والمحلات والمحطات بهدف تسهيل الكفاح لاسيما العسكري، وعلى هذا الأساس أفنوا حياتهم في خدمة الثورة ودعمها بكل ما يملكون من قوة وإمكانات مادية أو معنوية سلمية أو عسكرية.

إن التحضير لجعل مرسيليا ميدانا للعمليات ومحطة استهداف المنشآت الحيوية الفرنسية كان الهدف الحقيقي لجولات "علاوة" الاستكشافية، وهذا ما أشار إليه في قوله: "قمتُ باستعمال كل وسائل النقل الحضرية وتجولتُ في المدينة في كل الاتجاهات إلى حد أنني تعودتُ على أغلب الشوارع والأحياء التي استكشفتها بطريقة منهجية، الواحد تلو الآخر خلال بجولاتي المطولة... تجولتُ أيضا على أرصفة حي "لاجوليات" "Joliette" وتابعْتُ باهتمام كبير تعاقب السفن العملاقة على الميناء ولاحظتُ أنها كانت تغار دوما مكتظة بالجنود والتجهيزات العسكرية في اتجاه الجزائر... انتهى بي الأمر إلى معرفة شبه كاملة ومدققة لهذه المدينة الكبيرة وضواحيها..."، وهكذا لفت حي "الأسلاك" انتباهه نظرا لاكتظاظه بالسكان واحتوائه على منشآت بترولية ضخمة وخزانات عملاقة تحوي كل مخزون النفط الخام أو المكرر الذي يُمون جنوب فرنسا،² وهي المنطقة التي سيتم استهدافها وتدميرها في الأعمال الهجومية للمنظمة الخاصة يوم

1Meziane Cherif, op.cit, pp 101 – 102.

2Ibid, pp 102 - 103.

25 أوت 1958 والتي ألحقت أضرارا بالغة بالاقتصاد الفرنسي، وكانت فتحا للجبهة الثورية في عمق التراب الداخلي الفرنسي.¹

وصلت مهارة مناضلي المنظمة الخاصة في التنكر وقدرتهم في اختراق العمق الفرنسي إلى درجة أن وضعوا أسلحتهم المخزنة في نفس مكان تواجد الشرطة الفرنسية، وكان ذلك في منزل بشارع "الجمهورية" "la république" الذي كان يتكون من أربع غرف وقاعة استقبال فسيحة وفي الطابق السفلي كان يوجد مركزا للشرطة، يصف "عبد الرحمن" هذا التحدي بقوله: "من كان بإمكانه تصور أن التنظيم الخاص يخزن أسلحته أما مرأى ومسمع العدو؟... كان ذات المكان الذي أخفيت به كمية كبيرة من السلاح كالرشاشات من نوع (مات 49) والمسدسات (بيريتا) وكذا باقي العتاد الذي استلمته المنظمة تحسبا للأعمال الفدائية القادمة".²

يبدوا أن السلطات الفرنسية رغم عدم معرفتها بجل أسرار الثورة في أراضيها إلا أنها كان لها إحساس عميق بمدى الخطورة التي تشكلها "ف.ح.ت.و" في مختلف أنحاء التراب الفرنسي، فسعت جرأ ذلك إلى محاولة استئصالها بداء من العاصمة باريس وضواحيها وصولا إلى باقي المناطق والمدن الفرنسية، مستعينة في ذلك بكل ما تملكه من قوة عسكرية ودبلوماسية حتى وإن استعملت أساليب قمعية وإجراءات عنصرية كشفت شعارات حقوق الإنسان الوهمية التي كانت تتبجح بها وادعاءاتها بقيادة قاطرة الحريات.

وهذا ما جسده مظاهرات المهاجرين في باريس يوم 17 أكتوبر 1961 حين رسمت صورة حية للهمجية والوحشية التي تحلى بها رجال القانون في فرنسا³، حين أثارت بتنظيمها وسلميتها هستيريا لدى قوى القمع أدت إلى ارتكاب مجزرة في حق هؤلاء المتظاهرين لا يُعرف بالضبط عدد ضحاياها.⁴

استمر جيش التحرير الوطني لاتحادية فرنسا في سياسة التموين والإمداد العسكري للثورة انطلاقا من مرسيليا، وذلك من خلال صنع القنابل التي كلف بها "محمد أوزناني" الذي كان خبيرا حقيقيا في هذا المجال، رفقة كل من "عبد الرحمن سكاني" و"شايب ماروك" الذين كانا مختصين في المتفجرات وقد التحقا عن طريق إسبانيا رفقة الفوج التابع للمنظمة الخاصة، وكان التصنيع يتم ببيت ريفي بضواحي مرسيليا تم استجاره خصيصا لهذا الغرض، وإلى جانب ذلك كان يعتبر أيضا بمثابة مركز للمراقبة لتجنب الرقابة البوليسية قدر الإمكان، ومن ثم توفير الجو الملائم للتصنيع المثالي والتركيز العالي للمصنعين والمشرفين على العملية، للوصول إلى النتيجة المطلوبة حين يتم استخدامها في مختلف العمليات الهجومية وقد استعملت بنجاح في عمليات 25 أوت 1958⁵، التي كانت مبادرة استثنائية ميزت الثورة الجزائرية لأول مرة في تاريخ

1Ali Haroun, op.cit, p89.

2Meziane Cherif, op.cit, p 104.

3منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 . 1962، مرجع سابق، ص 200 . 201.

4بوداود، خمس سنوات عاى رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 181.

5Meziane Cherif, op.cit, p 111.

الحركة الاستعمارية الفرنسية يتمكن حزب وطني عن طريق نشاطه العسكري المحتل في عقر داره وعاصمته، مهددا مصالحه السياسية والعسكرية.¹

2. التطبيق الميداني وتنفيذ الهجمات:

عزمت اتحادية فرنسا ل.ج.ت.و على خوض فاتح نوفمبر آخر على التراب الفرنسي من خلال استهداف أهم المنشآت الحيوية لاسيما المواقع العسكرية والاقتصادية بما يجعل الرأي العام الفرنسي والعالمي في حالة ذهول تام من تأثير هذا الاستهداف، وقد وصف "علاوة" هذا الموقف بقوله: "مثل تاريخ 25 أوت يوم الفاتح من نوفمبر بالنسبة لنا نحن أفراد المنظمة الخاصة أي انطلاقة أخرى للكفاح ولا بد للأعمال أن تتواصل لكن يجب أن تكون البداية مذهلة من أجل إرباك العدو... لا ينبغي أن أنسى أنا ورفاقي المناضلين أننا جنود في أرض العدو".²

لم يكن اختيار قادة الفدرالية لأواخر شهر أوت اعتباطا بل حاولوا ربط ذلك بالانتصارات الدبلوماسية والعسكرية الكبيرة التي حققتها الثورة في الجزائر وعلى رأسها هجمات الشمال القسنطيني في 20 أوت سنة 1955 ثم مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956³، فإذا كانت هجمات المنطقة الثورية الثانية قد مثلت النفس الثاني للثورة في الجزائر خصوصا بنجاحها في إدراج القضية الجزائرية ضمن جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة وإقناع المترددين من الشعب الجزائري بالانضمام للثورة، بعد أن أكدت فعاليتها وقدرتها على خوض غمار الحرب حتى النهاية، فإن مؤتمر المنطقة الثالثة قد نجح هو الآخر في إعادة هيكلة الثورة وتنظيمها بما يمكّنها من الاستمرار والمضي قدما حتى تحقيق النصر والاستقلال.

بعد تعبئة الإمكانيات المالية والمادية المطلوبة ووضع النظام والهيكل شبه العسكرية للمنظمة الخاصة التي أرادتها مهام عسكرية واقتصادية بامتياز، بدأ التخطيط الفعلي للتنفيذ الجدي رغم كل العراقيل التي صادفت مناضلي المنظمة المكلفين بتنفيذ الهجمات، وكان من بينها تعطل السيارات الموعودة التي كانت من المفروض أن تُقَلِّ مُنفذي العمليات، غير أن ذلك لم يجبرهم على الاستسلام أو على الأقل تغيير موعد التفجيرات بل زادهم إصرارا وارتجالا على المضي قدما لتأدية الواجب وتحقيق الهدف المرجو، ووضع بصمة المنظمة الخاصة و.ج.ت.و في جلّ أنحاء فرنسا.

أخذ المكلفون بتنفيذ العمليات العسكرية كل احتياطاتهم لتجنب أي شبهة يمكنها توريطهم فقرروا استبدال السيارات المعطلة بسيارات التاكسي مع الأخذ بعين الاعتبار التوقف على مسافة معينة من الهدف حتى لا يتفطن السائق لما كانوا يحملونه من قنابل أو للأماكن التي يقصدونها تحديدا، يقول "مزيان

1Rémy Valat, les calots bleus et la bataille de Paris, Editions Michalon, Paris, 2007, p 42.

2Meziane Cherif, op.cit, p 118 – 119.

3 بوداود، مصدر سابق، ص ص 156 . 166.

الشريف": "...لكن الأهم في تلك الليلة الخانقة بالنسبة لي هو الوصول إلى الهدف الذي كرست كل طاقتي وأفكاري لمدة شهور من أجله، فلا يعقل أن عطلا ميكانيكيا من شأنه إفشال المهمة في آخر مراحلها..."¹

سبقت عملية التنفيذ التي شملت كامل التراب الفرنسي تخطيط دقيق لضمان النجاح في تحقيق المبتغى²، على غرار افتعال الحرائق بغابات "الأستريل" "l'Esterel"، ثم وضع القنابل في الأماكن المتفق عليها، وقد وصف "مزيان الشريف" تلك المشاهد بقوله: "كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحا عندما وصل الأفراد الثلاثة إلى نقطة الجدار الخارجي الذي يحمل علامة توضيح... ووضعوا القنبلة في المكان المخصص لها ثم اختفوا بسرعة وعادوا سالمين، جرت العملية كما تم التخطيط لها، لأن العمليات التي التدريب التي قمنا بها كانت ناجحة...وبذلك تم إلقاء القنبلة الموقوتة داخل الخزان الضخم بدون أي صعوبة".³

حققت تلك العمليات في مجملها جل أهدافها خصوصا الرئيسية منها وهو ما عبرت عنه جريدة "لوموند" الفرنسية في عنوان عريض لإحدى مقالاتها "الحرب من الجزائر إلى التراب الفرنسي" واصفة منقّذي تلك الهجمات بالإرهابيين ومن لقي حتفه فيها من الفرنسيين بالأبطال، وهو ما دفع بلجنة التنسيق والتنفيذ بالقاهرة للرد في بيان لها والتأكيد بتعهداتها بتدمير نفط الصحراء في فرنسا لإجهاض كل الاستثمارات الهادفة لاستغلال ثروات الجزائر دون موافقة الدولة الجزائرية المستقلة، كما أنها أكدت رفضها المطلق للاستفتاء الذي يتم الإعداد له للجزائر الفرنسية لأن مصيره واضح هو التزوير والتدليس، وكان قسم الشرطة ب"بوش دي رون" "Bouche du Rhone" قد أقر في إعلان ظهر يوم 02 سبتمبر 1958 بتحقيق الثورة لأهم أهدافها بعد أن جسدت حالة الحرب بفرنسا على أرض الواقع لاسيما بعد أن أجبرت الكثير من القوات الفرنسية على البقاء بفرنسا لحراسة المنشآت الحساسة وبالتالي عدم ذهابها إلى الجزائر.⁴

للتخفيف من وطأة التأثير الذي أحدثته تلك العمليات ادّعت السلطات الفرنسية عبر الدعاية الإعلامية بتوقيفها لأزيد من 30 جزائري في الفترة ما بين 26 أوت و 6 سبتمبر 1958 مشتبه فيهم بتنفيذ أعمال التخريب بموريبان وهم جميعا أعضاء في جبهة التحرير الوطني، في محاولة لتخويف بقية المتورطين وزرع الرعب والقلق بينهم من جهة ورفع معنويات وقدرات القوات الفرنسية من جهة ثانية، إضافة إلى طمأنة الفرنسيين من جهة أخرى بأنها قادرة على توفير الحماية لهم وإعادة استتباب الأمن في فترة وجيزة، وهذا ما حقّز مسؤولي المنظمة الخاصة على تنفيذ هجمات جديدة بهدف تفنيد الإدعاءات الفرنسية مع استهداف مراكز الشرطة باعتبارها رمزا للدولة.

1 Meziane Cherif, op.cit, p 125.

2بوداود، مصدر سابق، ص 126.

3Meziane Cherif, op.cit, p 126.

4Ibid, pp138 – 140.

يبدو أن "ف.ج.ت.و" بفرنسا كانت تهدف من وراء إكمال سلسلة الهجمات على مختلف المصالح الفرنسية ومواصلة العمل العسكري، إثبات قدرتها الكبيرة على استهداف مواقع جد إستراتيجية في الداخل الفرنسي دون إحداث أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين، وإشعال فتيل ضجة إعلامية من شأنها أن تزيد في تشييط معنويات أنصار استمرار الحرب في الجزائر، وفي الوقت نفسه تعزيز رأي الفرنسيين الراغبين في السلام والتعجيل بإيجاد حل نهائي وعادل للقضية الجزائرية.

وهذا ما أشارت إليه جريدة "لومانيتي" "L'humanité" في إحدى صفحاتها حين ذكرت الحالة الحرجة التي صارت تعيشها فرنسا وأجهزتها الأمنية جرّاء تزايد العمليات العسكرية للجبهة واستمرارها هناك، واقترحت حلاً لإيقاف العنف المتواصل في فرنسا والمتصاعد في الجزائر من خلال إحلال السلم في الجزائر كونه أصبح ضروري أكثر من أي وقت مضى من قبل.¹

استمرت المنظمة الخاصة في شن هجماتها العسكرية على المصالح الفرنسية ففي يوم الثلاثاء 16 سبتمبر 1958 وقعت هجوماً على المعسكر المتواجد بـ "مونفورون" "Montfuron" الملحق بموقف المدفعية، بشارع "ديلاس" "Desplaces" الذي يعد تكملة لشارع "رباتو" "Rabatau" أين يتم تصليح العديد من المدرعات قبل إرسالها إلى الجزائر، وقد نجح أفراد المنظمة الخاصة في مخادعة الحراس ووضع قنبلة قوية على دبابة وزن 40 طناً وقد انفجرت على الساعة الثامنة والنصف وقد قتل الميكانيكي وجرح 05 جنود داخل الحظيرة، إضافة إلى اهتزاز المنازل التي كانت محاذية لشارع "ديلاس" "Desplaces" نتيجة قوة الانفجار، كما استمر استهداف مراكز الشرطة من خلال إطلاق النار على العديد منها، ما دفع بالحكومة الفرنسية إلى الاعتراف بتفاهق الإرهاب على حد تعبيرها حيث لم تسلم أية منطقة بفرنسا من تلك الهجمات.²

أصبح الشعب الفرنسي يعيش الحرب ويذوق مرارتها على مر الأيام في كل الشوارع والمدن الفرنسية، ولم يتوقف الأمر عند العامة بل وصل إلى الحكومة في حد ذاتهم حيث لم يكن أعضائها في منأى من ضربات المنظمة الخاصة ولم يسلموا من موجاتها العنيفة، حيث كان قادة الجيش ورجال الدولة الفرنسية كلهم في مرمى الأهداف الرئيسية للمنظمة الخاصة وفدرالية جبهة التحرير كونهم جميعاً متورطين في استمرار عمليات القمع والإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب الجزائري.

اغتنم "فرحات عباس" تلك الظروف وأعلن من العاصمة المصرية القاهرة أن استهداف المسؤولين الفرنسيين سياسيين كانوا أو عسكريين لن تتوقف لأنها ضمن الأهداف المسطرة للثورة التحريرية في حملتها داخل التراب الفرنسي³، لاسيما بعد العملية الهجومية الثالثة التي استهدفت "جاك سوستال" "Jacques"

1 L'humanité, 26 aout 1958, p 01.

2 Meziane Cherif, op.cit., pp 155 – 156.

3 Ibid, p p156 - 157.

"Soustelle"¹ الذي يعتبر رمز الجزائر الفرنسية ومحبوب المتطرفين في الجزائر من الفرنسيين والمستوطنين واليهود والتي أكد عليها "عباس" بأنها لن تكون الأخيرة وستُعاد في أوقات وأماكن مختلفة لاحقاً²، وقد عكست هذه العملية إصرار عناصر الجبهة على تصفيته رغم فشلها في ذلك مرتين من قبل يوم 05 و08 سبتمبر من السنة نفسها بسبب سلوكه لطرق أخرى غير التي تم تجهيزها لاستهدافه³.

تلا هذه الانتصارات الجبهوية في فرنسا انتصار آخر سياسي ودبلوماسي كبير تمثل في الإعلان عن ميلاد "الحكومة الجزائرية المؤقتة" بالقاهرة برئاسة "عباس" يوم 19 سبتمبر 1958، وقد عبّر "مزيان شريف" عن ذلك بقوله: "... شعرت باعتزاز كبير لهذا الخبر حيث أصبح لدينا من الآن فصاعدا حكومة ستعرض قضيتنا على كل حكومات العالم وستكون الطرف الذي يفاوض الجنرال ديغول... كما حان الوقت لأنصار الجزائر الفرنسية أن يتيقنوا بأن استقلالنا أصبح أمر حتمي وأنه من المجدي التسليم بالتطور المحتوم للأمر"⁴.

غير أن الأطراف الفرنسية كان لها موقف آخر مخالف للواقع حيث راحت تروج دعايتها الإعلامية لعدم أهمية هذه الحكومة وفشلها في خوض جميع معاركها سواء على الجبهة الحربية أو الدبلوماسية، بل ولاستهزاء بمسارها التفاوضي مع الحكومة الفرنسية، مدعية بأنها كانت تحاول دائما مسايرة المطالب الفرنسية أولا قبل التجوؤ على المطالبة بتحسين أوضاع الجزائريين وتسوية قضيتهم العالقة منذ عقود طويلة، وهذا ما أكدته "la semaine en Algérie" في ردها وتعليقها على البيان والخطاب الذي وجهه "فرحات عباس" لجميع الولايات الثورية في الجزائر يوم 20 نوفمبر 1959 حيث أكدت أن ذاك البيان قد جاء استجابة لمقتضيات فرنسا الدولية، كما أنه من السذاجة اعتبار البيان إعلانا لبداية محادثات جادة مع الحكومة الفرنسية⁵.

كان ميلاد "GPRA" في العاصمة المصرية تأكيدا آخر على مدى الدعم الكبير الذي قدمته مصر حكومة وشعبا للثورة الجزائرية، فهي التي وقفت إلى جانب الجزائريين في كفاحهم التحرري منذ اللحظات الأولى لاندلاع الثورة حيث تم الإعلان عن بيان الفاتح من نوفمبر من إذاعة صوت العرب بالقاهرة، واحتضنت أعضاء الوفد الخارجي لـ"ج.ت.و" طيلة فترة الثورة حتى استرجاع الاستقلال، حتى

1 جاك سوستال: هو سياسي فرنسي يهودي الأصل، ولد في 03 فيفري 1912، دارس للفلسفة والأنثروبولوجيا، كانت بداية مشواره السياسي عند انضمامه إلى لجنة المثقفين المناهضين للفاشية سنة 1942، ثم تعيينه محافظا وطنيا للإعلام سنة 1943، وفي 1955 عين حاكما عاما للجزائر ووقف بكل قوته ضد الثورة الجزائرية وأسس الفرق الإدارية الخاصة لعزل الشعب عن الثورة، توفي يوم 06 أوت 1990 = للمزيد أنظر: Nacer Eddine AitMokhtar, la Guerre d'Algérie..., op, cit, p47. أو، عاشور شرفي، مرجع سابق، ص 196.

2Meziane Cherif, op.cit, p 156.

3جربال، مرجع سابق، ص ص 250 . 251.

4Meziane Cherif, op.cit, p 157 - 158.

5Textes explicatifs de Ferhat Abbas commentant le communiqué du GPRA du 20 Novembre 1959 et adresse a toutes les wilayas, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, N64°, du 07 au 13 Décembre 1959, p32.

وصل الأمر إلى تعرضها للعدوان الثلاثي¹ من طرف ثلاث قوى استعمارية كبرى وهي "فرنسا، بريطانيا، والكيان الصهيوني" في أكتوبر 1956 لإيقاف هذا الدعم المتواصل للجزائريين.

لقد عبّر الفرنسيين علنا عن هذا العدوان الغاشم مبررين ذلك بضرورة إجبار حكومة "جمال عبد الناصر" عن التدخل في شؤون الأمن الفرنسي العام من خلال إيقاف دعمه للمتمردين في الجزائر ومثيري الفوضى في الأقاليم الفرنسية، وهذا ما تحدث عنه الصحفي "ريموند إيرون" "Raimond Aurone" في مقال له بعنوان: "les forces navales franco-britanniques approchent de l'Egypte".

"La force n'est qu'un moyen", par la méditerranée et par la mer rouge
"القوات البحرية الفرنسية البريطانية تقترب من مصر عبر البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر"، "القوة ليست سوى وسيلة"، حيث ذكر قوله: "يستيقظ القرار الفرنسي البريطاني بإعادة احتلال منطقة قناة السويس في كل من أمشاعر عنيفة و متناقضة. من ناحية، نذكر سلسلة الهجمات الطويلة التي كان العقيد ناصر مذنباً بها، والخطب المهينة، والضحك، وإرسالا لأسلحة إلى المتمردين في الجزائر، والتهديدات بمحو إسرائيل من خريطة العالم، القوة ليست سوى وسيلة، في الجزائر لعدة أشهر كان من الصعب معرفة الغرض من استخدام القوة. يجب أن تكون الأهداف واضحة غدا، يجب أن تكون واضحة في أذهان قادتنا، على الصعيد السياسي، يجب اتخاذ مواقف- في الجزائر يجب أن نحدد الخطوط العريضة لمستقبل المنطقة وأن نؤكد مرة أخرى أن مصير الجزائر ستحدده فرنسا وحدها خارج المسارات التي اختارتها ج.ت.و، (وإلا ما كان الهدف من إيقاف قادتها)"².

استمرت المنظمة الخاصة في تنفيذ مخططاتها وتكثيف هجماتها في كل أنحاء فرنسا ضد أهداف عسكرية وإستراتيجية ما أدى إلى تفاقم هاجس الحرب الذي كان يخنق مرسيليا بشكل خاص وباقي المدن الفرنسية عامة، مبرهنة بذلك على عزم الشعب الجزائري في تحقيق الاستقلال وإظهار ذلك للعدو ولكل الرأي العام العالمي، وهو ما عبّرت عنه السلطات الفرنسية بتزايد نشاط المتمردين على حد تعبيرها رغم الوسائل الهائلة التي تستعملها لصد ذلك، كما ركزت الصحافة الفرنسية بمختلف وسائلها من مجلات وجرائد والمحطات الإذاعية والتلفزيونية وغيرها دعايتها المغرضة على تشويه صورة المسلم الجزائري الذي لا يكثرث للحياة البشرية ولا يهتم باستهداف المدنيين العزل بل همهم الوحيد هو التخريب وإثارة الفوضى والإستقرار.

المطلب الخامس: مسيرته النضالية في السجون الفرنسية

1. اعتقاله ونضاله في السجون الفرنسية

¹دقت ساعة الاختيار. P02, 18 Juillet 1958, Paris, 1^{ER} Année, N° 01, AL DJAZAIR

2-Raymond Aron, la force n'est qu'un moyen, le figaro, vendredi 02Novembre 1956.

* اعتقاله وتعرضه للتعذيب:

توالى عمليات التوقيف الفرنسية ضد أعضاء التنظيم السياسي والإداري ونجحت في توقيف الكثير من قادة النواحي التابعين لـ ج.ت.و خاصة بمنطقة الجنوب الشرقي لفرنسا وعلى رأسهم "أرزقي بوشقة" ذو 23 عاما بمرسيليا، "أرزقي بوخروبة" البالغ من العمر 31 سنة، "سي أحمد" ذو 29 عاما وكانوا جميعا مسؤولين على قادة مناطق آخرين، كما تم التعرف أيضا على أعوان اتصال وحجز العديد من الوثائق المهمة، وبذلك تم تفكيك التنظيم السياسي والإداري التابعين لـ "مزيان الشريف" ومن ثمة فقدان الموارد المالية التي كانت تموله، وقد ذكر في هذا الصدد: "كنا في عوز مالي وكنت أكتفي باقتناء الضروريات فقط، لكن الاكتفاء بتناول وجبة طعام واحدة في اليوم لا يكفي للحفاظ على موارد المالية الزهيدة، ومن الواضح أن ضعف المنظمة الخاصة يكمن هنا بالذات خاصة بعد أن فقدت كل اتصال بالتنظيم السياسي والإداري المسؤول عن تحصيل الاشتراكات... وقد قضت عملية توقيف كوادر ولايات الجنوب على كل آمالي وكل الذين استطاعوا الإفلات منها قد لجئوا إلى العودة إلى السرية أو الانتقال إلى مكان آخر".¹

في صباح يوم 01 أكتوبر 1958 تم إلقاء القبض على "علاوة" رفقة "عيساوي" واقتيادهما إلى سجن "المطانية" "Évêché" وهناك تعرض لاستجواب قمعي وتعذيب وحشي من طرف العديد من الجلادين، حيث ذكر قوله: "تلقيت لطمات ولكمات كثيرة حتى أصبح وجهي المتورم والدامي متخدرا... منعوني من النوم ثم سكبوا ماء جامدا على جسدي، كانت المعاناة شديدة إلى درجة أنني كنت أفقد الوعي تحت وقع الضربات... ثم عذبوني بواسطة المغطس المملوء بماء بارد ومستعمل... والتهبت رثائي إلى حد أنني لا أعلم لماذا لم تنفجرا، ثم استعملوا المواد الحارقة التي تدس داخل الحلق مرفوقة بالطمات والشتائم... وعندما يفشلون في افتكاك أي اعتراف مني لأن كل ما كنت أفعله هو ترديد عبارة لا أدري سيدي، فيقومون بجري إلى حجرتي ويلقوني أرضا وعندها أحس بالألم يندفع من كل جسدي... لقد كان ألما يعجز الإنسان عن وصفه".²

استمر تعذيب "علاوة" و "عيساوي" لأيام وأسابيع ثم تم تحويلهما إلى سجن "لي بومات" "les Beaumettes" أين التقوا ببقية الموقوفين من رفاقهم المناضلين، وهناك تعرضوا لكل أنواع الإهانة والإذلال بغرض إضعاف معنوياتهم وكسر عزيمتهم وإحباط همتهم، وقد زاد فصل الشتاء وقسوة البرد من معاناتهم، غير أن هؤلاء المناضلين كانوا على دراية تامة بمخططات الفرنسيين في إذلالهم فصمدوا في مواجهة كل التحديات وحرصوا على أن لا تمس كرامتهم بسوء من جراء تلك الممارسات المستفزة والمزعجة لهم طوال الوقت، متمسكين بيقين تام بأنهم أقوى من كل الجلادين الفرنسيين وأساليبهم التعذيبية لأنهم أصحاب حق ولا بد لهم أن يستردوه مهما كانت التضحيات والآلام.

1Meziane Cherif, op.cit, p 164 - 166.

2Ibid, pp168 – 173.

لم تكن السجون الفرنسية في فرنسا مختلفة عن التي أُقيمت في الجزائر حيث عانى المناضلون الجزائريون فيها الأمرين، لاسيما المهاجرين منهم بفرنسا حيث عاشوا ألما مضاعفا مزج بين قسوة السجون وألم الغربة والبعد عن الأهل والوطن، وهذا ما أكدته شهادات الكثيرين منهم من أطال الله في أعمارهم وكتب لهم رؤية حلمهم يتحقق في استعادة الحرية والسيادة الوطنية، فرووا ودونوا ما عانوه من خلال شهاداتهم الحية ومذكراتهم الشخصية.

يصف "علاوة" وطنية هؤلاء المساجين من المهاجرين وبقاء تمسكهم بجزائريتهم رغم كل ما كانوا يعانونه من ظلم في واحدة من المواقف التي تعرض لها رفقتهم، بمناسبة عرض إحدى الأوبرات أمام المعتقلين عندما كانوا في سجن "لي بومات" بقوله: "كان للجميع في السجن آنذاك ذلك اليقين الراسخ أن الجزائر ستنتزع استقلالها لا محالة، لكن كنا متأكدين أننا لن نشهد ذلك اليوم المبارك...وعندما تقدم الممثلون على المسرح لتقديم تحية لم يستطيعوا إخفاء تأثرهم وكبح دموعهم، وقد بقينا في مكاننا لعدة دقائق نذرف دموعنا في صمت...لم نكن نبكي على قدرنا لأننا قبلناه يوم الخوض في الكفاح من أجل التحرير، بل تحسّرنا على أننا لن نشهد الاستقلال".¹

* نضاله في السجون الاستعمارية:

سعى "علاوة" ورفاقه في النضال بسجن "لي بومات" إلى الحصول على صفة "السجناء السياسيين" أو حتى "سجناء الحرب" فقامت اتصالات بين المناضلين في مختلف السجون وتم اتخاذ قرار تأسيس "لجنة مساندة المسجونين" التي كانت تعمل للتضامن معهم وتحسين ظروفهم، فكان ذلك سببا في تحسن معنويات مناضلي ج.ت.و حيث أصبحوا يشكلون كتلة موحدة ضد نظام السجون، لاسيما بعد تزايد عدد المساجين والمعتقلين سواء الذين اعتقلوا بتهمة القيام بأعمال حربية أو الذين سجنوا بسبب تورطهم في جنح وجرائم تخص القانون العام خصوصا بعد تحويل المعتقلين القادمين من الجزائر وكان منهم "محمد خميسي" الذي التقى به "علاوة" في سجن "لي بومات" فكان ذلك من أسباب زيادة قدرتهم على المقاومة المستميتة من أجل القضية الوطنية.²

ظلّ الجانب الفرنسي يصنّف مناضلي ج.ت.و والقابعين في السجون في خانة مرتكبي "جرائم القانون العام" وبالتالي وجب معاقبتهم، في الوقت الذي ضلّ فيه المجاهدون من جبهة مُصرّين على ضرورة معاملتهم كـ"مناضلين"، ولم يستسلموا لتعنّت الموقف الحكومي الفرنسي بل صمدوا هم أيضا على مبدأهم وعملوا بكل السبل المتاحة لهم لاستعادة حقوقهم وإجبار الجانب الفرنسي على تعديل قراره والعدول عن موقفه، لاسيما بعد تأسيس الفدرالية لجنا للدفاع عن حقوق المساجين، وكذا تجنّد العديد من رجال

1Meziane Cherif, op.cit, p p179.

2Ibid, op.cit,p p176 - 177.

القانون الفرنسيين الشرفاء للدفاع عنهم وكشف مخلفات وتجاوزات سلطات بلادهم في معاملة هؤلاء المساجين والمعتقلين.

بسبب تدهور الوضع بشكل كبير في السجن وزيادة القمع الفرنسي ضد السجناء¹، شرع "علاوة" وباقي المناضلين في سجن "لي بومات" في إعلان إضراب مفتوح عن الطعام مع نهاية جويلية 1959 واستمروا على تلك الحالة لأزيد من 15 يوما حتى تم نقل بعض المناضلين إلى العيادة أين تمت محاولة إطعامهم بالقوة نظرا لتدهور حالتهم الصحية على غرار "علاوة" الذي ذكر أنه: " صار نحيفا جدا لا يكاد يستطيع تحمل العيش، كما تدهورت واضطربت قواه العقلية جراء امتناعه عن تناول الطعام لفترة زمنية طويلة"، وقد نجحوا جراء ذلك في إرغام مدير إدارة السجن بوزارة العدل على الاعتراف بصفتهم معتقلين سياسيين يحق لهم الاشتراك في ثلاث جرائد واستلام طرود المؤن من عند المنظمات المعتمدة لدى الإدارة، إضافة إلى حقهم في تنظيم حصص دراسية ومزاولة نشاطات ثقافية ودروس دينية والتجمع لأداء صلاة الجمعة².

كان مطلب التعلم أهم ما طالب به سجناء "لي بومات" فتم الترخيص لهم بتنظيم حصص تعليمية بعد تخصيص قاعة أو اثنتان في كل طابق في السجن للدراسة، وكانت هذه الأخيرة بالنسبة للمناضلين ترويحاً عن النفس، يقو "علاوة": " خلال هذه الفترة حصلت على تكوين في الثقافة العامة والفلسفة وقررت دراسة الحقوق لأنني كنت معجبا بمحاميي الجمعية الذين دعمونا معنويا منذ البداية في مواجهة المؤسسة القضائية الفرنسية..."³.

2. محاكماته القضائية ثم عودته إلى أرض الوطن:

* محاكماته القضائية:

تعرض "علاوة" لسلسلة من المحاكمات العديدة في مسرته النضالية كانت أول جلسة منها أمام المحكمة الدائمة للناحية العسكرية التاسعة بمنطقة "فورسان نيكولا" بمرسيليا حيث تمت محاكمته في مشاركته بتفجيرات "موريان" "Mourepiane" ووجهت له تهمة هز قواعد الجمهورية الفرنسية وقد اعترف بها "مزيان" عندما أتيحت له فرصة للكلام أمام الجميع في المحكمة، مؤكدا عدم خيانتة للأمة الفرنسية التي لا ينتمي لها أصلا بل ما فعله كان تطبيقا لأوامر تلقاها من جيش التحرير الوطني في الجزائر التي تعد أمتة الحقيقية، وهذا ما رافع من أجله المحامي الفرنسي المكلف بالدفاع عنهما وهو "جاك فيرجاس" "Jacques Vergés" وقد أورد "علاوة" جزءا مما جاء فيها: " السيد الرئيس لا يمكنك إصدار

1 Haroun, op, cit, p 143.

2Meziane Cherif, op.cit, pp178 – 179.

3Ibid, p180.

حكم في حق عيساوي ومزيان ورفقائهما فهم جنود لجيش أجنبي جيش التحرير الوطني الجزائري وإذا فعلت ذلك فسيكون بمثابة فظاعة قضائية...¹

عملت هيئة الدفاع عند محاكمة المتهمين في عملية "موريبيان" على توضيح التناقض الصارخ بين أطروحات النيابة وتطبيق قانون الطوارئ الذي ترجع إليه النيابة لدعم دعاويها، وهو ما تجسد في ما أكده المحامين "جاك فيرجاس"، "موريس كوريغ"، و"ميشال" في رسالة منهم إلى رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر يوم 17 فيفري 1960، من بين ما ورد فيها: "إن النيابة تتهم جزائريين بقيامهم كفرنسيين بحمل السلاح ضد فرنسا لصالح المتمردين الجزائريين، ووفاء منا لواجبنا قمنا مع زملائنا في نقابات المحامين بباريس وليون وغرونوبل ومرسيليا بالدفاع عن موكلينا فوق نفس الميدان الذي اختارته النيابة، وأثبتنا أنها لا يمكنها أن تعترف لجيش التحرير الوطني بصفة جيش أجنبي في حرب مع فرنسا وترفض في الوقت ذاته لأعضاء هذا الجيش وهو جزائريون جنسيتهم الجزائرية المختلفة تماما عن الفرنسية.²

انتهت المعركة القضائية بانتصار "مزيان" ورفاقه حيث خلصت المحاكمة إلى الاعتراف بانتمائهم لجيش أجنبي في حالة حرب ضد الجيش الفرنسي، ما أجبر المحكمة على التأيي في حسم القضية التي استمرت ثلاثة أسابيع حيث تم تأجيلها عدة مرات لأجل تكملة التحقيق، وفي غضون ذلك ظل مزيان ورفاقه يمثلون بين الحين والآخر أمام المحكمة العسكرية على غرار امثالهم يوم 19 جانفي 1961 في قضية تفجير مصنع الغاز وقد طالب النائب العسكري العام بالحكم على عيساوي بالإعدام وعلى "مزيان" بالسجن المؤبد مع الأعمال الشاقة والسجن عشرون سنة لباقي المناضلين معهم، وقد ذكر في هذا الصدد: "أحكم النائب العام تثبيت نظارته ثم قال باسم الشعب الفرنسي...وبعد المداولات وتطبيقا للمواد..." مزيان الشريف عبد الرحمن المدعو "علاوة" وكذا "ديدي جان لويس" حكمت المحكمة الدائمة عليك بالإعدام...³

تم تأكيد حكم الإعدام ضد "مزيان" . علاوة . من طرف محكمة النقض يوم 11 جوان 1960 إلى جانب كل من "عيساوي" و"عمر حرايق" غيايبا، وأمام إصرار المحامين بالدفاع عنهم باعتبارهم جنودا في حالة حرب ضد الجيش الفرنسي، والعمل على إطالة المداولات لأطول مدة زمنية ممكنة ربحا لبعض الوقت، استمرت العدالة العسكرية من جهتها في العناد وأعادت الحكم عليهم بالإعدام للمرة الثالثة يوم 02 ماي 1960، رغم استمرار المحامين في المقاومة لإثبات تناقض قرارات المحكمة العسكرية ومحاولة إعادة الاعتبار لهؤلاء المناضلين.⁴

وقفت فدرالية "ج.ت.و" إلى جانب مناضليها فور تعرضهم للاعتقال، وتكفل مباشرة بمتابعة أمورهم وتقديم الدعم الكامل لعائلاتهم حتى لا تلجأ إلى التسول، إلى درجة أنها تكفلت بضمان سير

1Ibid, p p187 - 190.

2Haroun, op, cit, p172.

3Meziane Cherif, op.cit, p193.

4Ibid,pp197 -201.

أعمالهم وتجارتهم، إضافة إلى حرصها على استدامة التضامن مع المساجين، وتخصيص عشرات المحامين الجزائريين والأجانب للدفاع عنهم، وبهذه الطريقة وضع المناضلون السجناء ثقتهم الكاملة والتامة في "ج.ت.و" التي كانت تقوم بالواجبات بكل جدية وعدالة.¹

لقد مثل هؤلاء المحامين بكفاءاتهم الكبيرة وضمائرهم الحية، وبقدراتهم المعرفية والقانونية خلال المرافعات عن جميع المعتقلين جهازا دفاعيا يتحصن به هؤلاء المعتقلين²، وحصنا متينا يتكئون عليه في ظل غياب العدالة القانونية عندما يتعلق الأمر بشيء يخص القضية الجزائرية حيث تختفي حينها كل القوانين الإنسانية والأعراف الدولية وتُنسى تماما تعاليم ومبادئ الثورة الفرنسية التي طالما شكّلت مصدر فخر واعتزاز لدولة فرنسا التي تدعي تطبيق المدنية ونشر الحضارة في كل أراضيها داخل وخارج فرنسا، غير أن ما كان يُطبّق في سجونها أثبت للعالم بأسره عكس كل تلك الإدعاءات.

جرت المطالبة بإسكات أولئك اللامسؤولين ومغامري نقابة المحامين، حيث اعتبرهم محامي اليمين مجرد خونة انتقلوا لخدمة العدو أكثر من بلادهم، وطالبوا بشطب أسمائهم من نقابة المحامين، وهو ما جعل هؤلاء المحامين من هيئة الدفاع يعانون الأمرين فقد طُرد "فيرجاس" "Vergés" من الجزائر في 14 أوت 1959، و"ميشال زافريان" "Mechel Zavrian" في 20 ديسمبر، وأوقف "ألبير شيانو" "Albert Shiano" عضو نقابة مرسيليا في ديسمبر وحُكم عليه بسبعة أشهر سجنًا وشطب اسمه من نقابة المحامين، كما وُجّهت إلى "بن عبد الله" "Benabdallah" و"أوصديق" "Oussedik" تهمة المساس بأمن الدولة، ونفس التهمة وُجّهت أيضا لكل من "فرجيس" "Vergés"، "زافريان" "Zavrian"، "كوريج" "Courrège"، و"بوفيلار" "Beauvillard".³

بحجة إعادة تنظيم العدالة العسكرية وتعديل قانون الإجراءات الجزائية، صدرت قرارات 12 فيفري 1960، ومن ثم تم استخدام غطاء قانوني لكل ما سبق من الممارسات اللاشرعية لنظام القمع السياسي والقضائي، وهو ما تجسد في الزيادة المنتظمة للأحكام بالإعدام في حق الجزائريين وقد نطقت بها المحاكم العسكرية، وكان أعضاء هيئة الدفاع ضمن المعنيين بهذه القرارات والأحكام.⁴

في السنة نفسها كان الرئيس "ديغول" يرى الأمور بمنظور آخر مختلف مبني على مستجدات الأوضاع السياسية والعسكرية التي تصنعها الثورة التحريرية على الصعيدين الداخلي والخارجي والتي كانت تشير بوضوح إلى قرب انتصارها وتحقيق أهدافها، رغم تصاعد وحشية الرد الفرنسي لإيقافها، وهذا ما يمكن

1 بوداود، مصدر سابق، ص 120 . 121.

2Haroun, op, cit, p 175.

3Meziane Cherif, op.cit, p 173.

4Haroun, op, cit, p175.

استنتاجه من التصريح الذي أدلى به في 1960 حينما قال: "إن السلام في الجزائر على الأبواب، وأن الامر يستغرق لخطات قليلة فقط لتحقيق ذلك..."¹

ظل "مزيان" ورفقائه من المناضلين في زرنانات ضيقة ينتظرون مصيرهم المحتوم "الإعدام" لا يؤنسهم في ذلك الانتظار إلا إيمانهم الكبير بالله تعالى، في الوقت الذي ظلت فيه فكرة الموت تلازمهم لمدة طويلة منذ توقيفهم في سبتمبر 1958 إلى فيفري 1962، حيث لا ينامون الليل متوقعين أنهم يعيشون ساعاتهم الأخيرة وأن ساعات كل فجر سيتم اقتيادهم إلى المقصلة، إلى أن تم نقلهم إلى معسكر "فارني" الذي كان مخصصا من قبل لقوات الحلف الأطلسي، وأصبح مخصصا للمحكوم عليهم القادمين من مختلف السجون في الجزائر كوهرة وقسنطينة وغيرها وقد ضم حوالي 260 معتقلا، وهناك تخلصوا ولو قليلا من التفكير الدائم بالموت، هذا الأخير كان بمثابة رفيق مرعب يلازمهم في زرناناتهم بسجن "لي بومات"، وهناك كان "مزيان" ومن معه يتابعون باهتمام بالغ وبشغف كبير سير المفاوضات الفرنسية الجزائرية الجارية بـ"إيفيان" خاصة من خلال إذاعة "مونتي كالو"²، وهناك سيزف للجميع خبر وصول الطرفين المتفاوضين لوقف إطلاق النار في 18 مارس 1962.³

تلقى "مزيان" خبر انتهاء الحرب في المستشفى حيث كان يعالج جرحا خطيرا متعفنا في جسمه كان قد تعرض له عندما كان في زرناته، وقد وصف ذلك الإحساس بقوله: "...كان ذلك الخبر المفرح بمثابة تحقيق لأمني، ذلك اليوم الذي حلمت به وتلك اللحظة التي ضحيت بشبابي من أجلها...عدت إلى المعسكر بعد أن استرجعت عافيتي...واستمرت أجواء الفرح في المعسكر وبعد أيام تم إصدار العفو عنه وعن رفاقه المحكوم عليهم بالإعدام مع إمكانية عودتهم إلى الجزائر"⁴، بالإضافة إلى ذلك تم أيضا إطلاق سراح المعتقلين المسجونين في الجزائر بما فيهم القادة السياسي⁵، مع إمكانية دخول المهاجرين الجزائريين من كانوا خارج الوطن إلى الجزائر.⁶

* عودته إلى أرض الوطن:

نقل "مزيان" إلى الجزائر عبر طائرة مروحية ثقيلة في رحلة استغرقت ثلاث ساعات قبل أن يصل إلى منطقة "التلاغمة" القريبة من مدينة "قسنطينة"، وهناك تم نقلهم عبر شاحنة مغطاة لمدة حوالي ساعتين إلى سجن "لامبيز" الذي لطالما مثّل لعقود طويلة رمزا للقمع والظلم، وظلّ ورفاقه هناك حتى يوم 10 ماي

1Déclaration du général de gaulle lors de son voyage dans le Sud-est, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 98°, semaine du 20 au 26 Octobre 1960, p01.

2Meziane Cherif, op.cit, pp 206 – 209.

3بشير بلاح، تاريخ الجزائر في القرنين 1800 . 2000، ج2، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2016، ص544.

4Meziane Cherif, op.cit, pp209 – 210.

5Amar Mohand Amer, la crise du FLN de l'été 1962, indépendance nationale et enjeux de pouvoir, préface de Omar Carlier postface de Mohammed Harbi, Editions Frantz Fanon, Boumerdès, Algérie, 2003, p64.

6زهير إحدادن، مصدر سابق، ص 90.

1962 حين أذن لهم بالخروج وفي البوابة تم استقبالهم من طرف حشود غفيرة من الناس التي شاركهم الفرح والبهجة راسمين بذلك أجواء من السعادة التي زادتها الأعلام الوطنية المرفرفة في كل مكان جمالا وسرورا، وهناك اتجه "مزيان" في حافلة مزينة بالورود والزهور إلى مدينة "سطيف"، ويصف ذلك بقوله: "صعدتُ على متن الحافلة التي زين بالزهور الملونة بالألوان الوطنية باتجاه سطيف مصحوبا بلحظات الوداع المؤثر لصديقي سعدان... كل شيء كان مشرقا السماء والابتسامات والناس وكل الأشجار التي كانت تصطف على حافة الطريق... وبدأت الرايات الوطنية كأنها زرعت طبيعيا في المكان مثل براعم ربيع جديد تعكس صورة النصر الجزائري الباهر".¹

يوصل "مزيان" وصفه لعودته إلى الوطن ووصوله إلى مدينته الأم فيقول: "لقد كانت "سطيف" مدينة الوطنيين ومركزا لنشاط المقاومة الجزائرية أما "العلمة" فكانت ولا زالت بؤرة الوحدة الوطنية... التحقت بعد أيام بأهلي وذرفت الدموع عند معانقتهم، لقد غيرتني المحن فعدت إليّ بشاشتي واستنفعت من معاناتي لأبلغ رشدي، أنا مدين لنعمة الله تعالى الذي قدّر لي لأعيش تلك اللحظات وألتقي بأهلي أخيرا، فكانت خاتمة سعيدة... وحن الوقت الآن لبناء الجزائر المستقلة الجديدة.."²

لم ينتهي نضال "مزيان الشريف" بانتهاء الحرب مع فرنسا بل تواصل عطاؤه للجزائر حتى بعد الاستقلال، حيث تقلّد عدة مناصب ومسؤوليات تمكّن من خلالها من المشاركة بفعالية كبيرة في معركة البناء والتشييد للدولة الجزائرية الفتية، على غرار تعيينه واليا على ولايات الجلفة، بجاية، قالمة، عين الدفلى، ثم الجزائر العاصمة، ثم عُيّن قنصلا عاما للجزائر بألمانيا، ليعود إلى الجزائر ويصبح مديرا للطاقة والصناعة في ولاية الجزائر العاصمة بين عامي 1971 و1979، ثم وزيرا للداخلية والجماعات محلية والبيئة والإصلاح الإداري سنة 1994 في فترة الرئيس "اليمين زروال"، وهي فترة حساسة وعصيبة من تاريخ الجزائر (فترة العشرية السوداء أو ما تسمى بسنوات الجمر خلال التسعينات)، ثم تم تعيينه بعدها سفيرا للجزائر لدى جمهورية التشيك في الفترة ما بين 1995 و2004، ثم قنصلا للجزائر في باريس ما بين 2004 و2010، ليضل إلى الوقت الراهن خادما لوطنه بكل ما أوتي من قوة وخبرة مؤكدا أنه سيبقى جنديا في خدمة الدولة الجزائرية.

هكذا عاد "عبد الرحمن مزيان الشريف" - علاوة - إلى وطنه "الجزائر" الذي أحبه وعشقه حتى النخاع، فغادره مرغما إلى فرنسا في فترة مبكرة حيث كان في سن صغيرة، لكنه لم ينساه يوما بل متعلقا به مخلصا له مجاهد من أجله مضحيا بزهرة شبابه في المهجر لمدة ست سنوات متتالية، تكبد خلالها معاناة قاسية لكنه أظهر خلالها مقاومة وصمودا منقطع النظير، وكتب الله له عمرا جديدا حين نجا من الإعدام عدة مرات ليسرد لنا البطولات التي خاضها على غرار باقي المهاجرين الجزائريين بفرنسا طيلة فترة تواجدهم

1Meziane Cherif, op.cit, pp213 – 216.

2Meziane Cherif, op.cit, pp216 – 219.

هناك، والذين أظهروا تصميمهم اللامتناهي على خوض غمار الكفاح حتى آخر نفس لهم، فمَثَلُوا بحق جذوة النضال الوطني، وقدوة لأجيال الاستقلال في الإخلاص للوطن والدفاع عنه مهما كانت الأثمان باهظة، وأثبتوا بصمودهم أن حب الوطن لا يقدر بأي ثمن.

بناء على مسيرته النضالية يُعَدُّ "مزيان الشريف" واحداً من الشباب الجزائريين الذين ثاروا ضد نير النظام الاستعماري من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، لاسيما بعد أن التحق بصفوف ج.ت.و بفرنسا، وشارك في عدة عمليات مسلحة استهدفت مواقع عسكرية ومنشآت صناعية، مما كلفه عدة محاكمات وصُدور أحكام إعدام عديدة في حقه، وقد تكفل فريق المحامين التابع لـ ج.ت.و بالدفاع عنه وعن باقي رفاقه، وقد نجا "علاوة" من المقصلة بأعجوبة وظلّ واحداً من أهم جنود الخفاء الذين واصلوا حرب ف.ج.ت.و بفرنسا خائضاً لمغامرة نضالية كبيرة ونشاطات سرية متعددة.

المبحث الثالث: محمد غفير المدعو . موح كليشي "Mohammed Ghafir" dit .

"Mouh Klichy"

المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الجزائر وهجرته إلى فرنسا

1. المولد والنشأة

ولد "محمد غفير" المدعو "موح كليشي" في "قنزات" بولاية "سطيف" يوم 19 جانفي سنة 1934 لأسرة مكونة من ثلاثة أطفال محمد وهو الذكر الوحيد والأكبر في الأسرة وأختين له هما "الطاموس" و"ليلي"، والده هو "شريف" كان مهاجراً في فرنسا ومقيماً فيها منذ 1926، وفي قريته نشأ وتلقى تعليمه الأولي، حيث أخذ أبجديات السياسة في الكشافة الإسلامية الجزائرية¹، التي تُعَدُّ واحدة من المؤسسات الهامة المساهمة في تكوين الشباب وتربيتهم²، ولهذا فقد سار في نفس المسار الذي انتهجه غيره من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية الذين كانت الكشافة المنطلق الرئيسي في مسارهم التربوي والتكويني.

مزج "غفير" بين الثقافتين العربية والفرنسية وبين العلوم العقلية والنقلية، ففي الوقت الذي كان فيه تلميذاً في المدرسة القرآنية بقريته كان أيضاً يزاوِل دراسته في المدرسة الابتدائية الفرنسية بجدّ كبير، إلى أن تحصل على شهادة الدراسات الابتدائية يوم 25 ماي سنة 1951 في مدينة "لافايت" المسماة حالياً "بوقاعة" التابعة لولاية سطيف، ثم تمّ توجيهه إلى قسنطينة لإكمال دراسته، غير أن ظروفه المعيشية الصعبة حالت دون ذلك حيث لم يكن له المال الكافي لتغطية مصاريف النقل والدراسة، وعلى إثر فشل مشروع دراسته غادر في العام الموالي إلى مدينة الجزائر في بداية السنة الموالية (جانفي 1952) وهناك اشتغل

1Mohammed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris, op, cit, p 27.

2الوناس الحواس، نادي الترقّي ودوره...، مرجع سابق، ص 283.

ككاتب عمومي في حمام البركة الذي كان يسيّر مزايون في حي بلكور "بلوزداد حاليا"، وبمساعدة عمه "محمّد" الذي كان حارسا في مدرسة في شارع "برو" نجح "غفير" في دخول مسابقة بالتكوين المهني في مارس 1952 ومواصلة تعليمه المهني لمدة ثلاث سنوات (1952 . 1953 . 1953)، بعد أن أثبت جدارته ونجح ضمن الأوائل وصار مضبطا في المعادن.¹

وفي أوت من سنة 1955 كانت أول مواجهة له مع القوات الأمنية الفرنسية حيث تمكّنت مصالح الدرك الاستعماري من إيقافه في "بلكور" وهو في سن 21 عام، بتهمة عدم تأديته للخدمة العسكرية فتمّ على إثرها إدخاله بشكل إجباري في ثكنة "بيزو" في البليدة، ويذكر المجاهد أن سبب رفضه وعزوفه التام عن التجنّد في الجيش الفرنسي هو تأثره بهول ما رآه في مجازر الثمن ماي 1945 وكان عمره آنذاك إحدى عشر سنة، والتي كانت فاتحة عهد جديد من القمع والإبادة والاعتقالات في حق الجزائريين.²

ولأن كل الشعارات التي رُفعت في تلك المظاهرات كانت تدل على النضج السياسي والوعي المتزايد لدى الجماهير الشعبية والمناضلين، وثانيا عبّرت عن آمال معظم زعماء الأحزاب في هذا الطرف العصيب ومطالب الحركة الوطنية³، فقد أحدثت اضطهادا عنيفا من طرف الشرطة ومختلف الأسلاك الأمنية الفرنسية، وتسبّب في مقتل الكثير من المتظاهرين، ثم امتد الاضطهاد ليشمل الشرق الجزائري تحت ضغط مليشيات المستوطنين للتحويل إلى مجازر ومذابح بلغ القمع فيها أعلى درجات الشناعة⁴، خصوصا في مناطق سطيف وقالمة وخرّاطة وغيرها من المدن⁵، حيث ارتكبت الجماعات المسلحة من المستوطنين وسلاحى الطيران والبحرية الفرنسية أعمالا إجرامية حين قرّرت المتظاهرين بالنار فكانت الإبادة الجماعية دون تفرقة بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، وسقط عدد كبير جدا من المتظاهرين ضحايا وجرح الآلاف منهم.

ورغم أن هتافات الجزائريين كانت تدور حول المناداة بالحرية واستقلال الجزائر ولم تظهر فيها عبارات العداء للفرنسيين⁶، إلا أن الاستعمار أصّر على التصدي لتلك المظاهرات ومنع ظهور شعاراتها الاستقلالية أمام الرأي العام الدولي مهما كانا لثمن⁷، وكانت هذه المذابح مُدبّرة أراد الاستعمار من ورائها إرهاب باقي المستعمرات وإظهار القوة الفرنسية لها حتى لا تطلب الاستقلال⁸، ولا تتجرأ أي منها على تقليد الجزائريين في التظاهر أو المطالبة بالحرية لأنها ستلقى حينها المصير نفسه.

1Mohammed Ghafir, op, cit, pp27 – 28.

2 محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 954 . 955.

3إسماعيل سامعي، مرجع سابق، ص70.

4الوانشي، مصدر سابق، ص33.

5أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات متحف المجاهد، 1995، الجزائر، ص 213.

6سعد الله، الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ص 230.

7الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص 45.

8عمار قليل، ملحمة الجزائر، ج1، ط1، دار البعث، الجزائر، 1991، ص 141.

أوردت إذاعة القاهرة أن عدد القتلى قد فاق 80 000 قتيل¹، ومن جهتها التقديرات الأجنبية اختلفت فبعضها اقتربت من الإحصائيات الفرنسية وهي في الغالب بين 5000 و7000 قتيل²، حيث قدرت جريدة "نيويورك تايمز" عدد القتلى ما بين 7000 و18 000 بسبب استعمال الفرنسيين للقنابل والإعدام الجماعي على حد تعبيرها³، في حين ذكرت وكالة الأنباء "United Pressa" من "مدريد" بتاريخ 23 ماي 1945 أن عدد القتلى الأوروبيين بلغ 300 قتيل بينما عدد الضحايا الجزائريين وصل إلى أزيد من 10 000 قتيل⁴.

ذهب بعض الفرنسيين أيضا إلى ربطها بتأثير النازية الألمانية وادّعوا أن الكره الذي اكتسبه الجزائريون ضد المعمرين في أحداث 8 ماي 1945 بناء على ما ذكرته لجنة "توبير" إنما هو ناتج عن الحرب العالمية الثانية، وبالضبط إلى عهد حكومة فيشي حينما استغل بعض الجزائريين فرصة هزيمة فرنسا أمام ألمانيا ونادوا بضرورة استغلال تلك الظروف لصالحهم والتخلص من خرافة الجزائر الفرنسية، متأثرين بالدعاية الألمانية، وفي هذا السياق ذكرت لجنة توبير أيضا أن المسلمين كانوا يستمعون إلى راديو النازية في المدن والقرى⁵، وعلى هذا الأساس أعلن الحاكم العام "شاتينيو" "Châtenion" أن أحداث 8 ماي كان ورائها عناصر تابعة للنظام الألماني من خلال تكوين عملاء كانوا مندسّين بين الأوساط الشعبية، كما أشار النائب الشيوعي "فاجمون" "Figement" في المجلس التأسيسي الفرنسي أن ما حدث في الثامن ماي 1945 إنما هو مؤامرة فاشستية دبرها عملاء فيشي وهتلر وفي هذا السياق حاولت فرنسا ربط مجازر 8 ماي 1945 التي ارتكبتها بأحداث دولية أخرى⁶.

يؤكد لجوء فرنسا إلى سياسة المؤامرة الخارجية محاولتها إنكار وتغطية الجرائم التي ارتكبتها أمام الرأي العام العالمي، ومضيها قدما في سياسة التهرب من مواجهة مسؤوليتها عن تلك المجازر، وإخفائها السبب الحقيقي المتمثل في تنكرها لجميع وعودها للجزائريين بالاستقلال، واستعمالها للعنف المفرط في محاولة منها لكبح نمو الوعي الوطني لدى أعضاء الحركة الوطنية خاصة ولدى الشعب الجزائري عامة، إضافة إلى محاولتها استرجاع مكانتها وهيبته العالمية المفقودة بعدما خرجت نصف منتصرة من الحرب العالمية الثانية وعجزت عن تحرير نفسها من الهيمنة النازية الألمانية لولا تدخل الحلفاء ومساعدتهم لها. ويرى المؤرخ "سعد الله" أن كلالا لفرضيات التي قدّمتها الحكومة الفرنسية خاطئة وبعيدة تماما عن الواقع، لأن مؤتمر سان فرانسيسكو ضمّ الدول الامبريالية الحليفة لفرنسا وبالتالي ستدافع عنها لا عن

1 علي تابلت، 8 ماي 1945، ط3، مطبعة ثالة، الجزائر، 1996، ص134.

2 M'Hamed yousfi, le complot: L'Algérie (1950-1954), édition ENAL, Alger, 1986, p25.

3 سعد الله، مرجع سابق، ص239.

4 تابلت، مرجع سابق، ص17.

5 سليمان قريي، مرجع سابق، ص103.

6 Claude Collot et Jean-Robert Henry, Le mouvement national Algérien : Textes 1 (1912- 1954), préface de Ahmed Maliou, édition Office des publication universitaires, Alger, 1978, p 150.

الجزائر، كما أن الحرب السورية مستبعدة نظرا للبعد الجغرافي الكبير بين المنطقتين، وبالتالي فالتبريرات الفرنسية وتصريحات المسؤولين تدخل ضمن سياسة التضليل التي انتهجها المحتل لتبرير جرائمه في ضل تصاعد المدى التحرري لدى شعوب العالم الثالث وظهور منظمات دولية تدعو إلى ضرورة منح حق الشعوب في تقرير مصيرها¹.

ضل هذا اليوم "طلعة شؤم على الجزائريين بما يحمل من آلام ودموع لكل واحد منهم..."²، غير أنه وبالرغم من ذلك مثل منطلقا لزيادة الإصرار لديهم على الاستمرار ومتابعة المعركة مهما استمر الاضطهاد والقمع ومهما سلط عليهم من مضايقات وإجراءات اعتقال، وهذا ما يؤكد أن تلك الأحداث كانت فعلا تُنبؤ بمؤشرات عزم كبيرة لدى الشعب الجزائري على مجابهة فرنسا التي فقدت هيبتها خلال الحرب العالمية الثانية، وأزالت من نفسه عقدة الخوف من القوة الاستعمارية التي كان يخشاها، وكل هذه المؤشرات كانت تبرهن بأن علاقة الجزائريين بالسلطة الفرنسية مقبلة على فعل سيؤدي إلى القطيعة النهائية³.

تحصل "غفير" في يوم 15 من نفس الشهر والسنة (ماي 1945) على رخصة لزيارة عائلته في "قنزات" فاعتنم الفرصة عند رجوعه إلى مدينة الجزائر للفرار والانتقال في سبتمبر من السنة نفسها إلى فرنسا ويستقر رسميا بالعاصمة باريس وبالضبط في ناحية "كليشي"⁴.

2. هجرته إلى فرنسا والتحاقه بفدرالية ج.ت.و:

انخرط "غفير" بمجرد وصوله إلى باريس في "ج.ت.و" ولقب باسمه الثوري "موح كليشي" نسبة لمدينة "كليشي" "Clichy" وهي بلدية صغيرة تقع في باريس في محافظة "سان دوني" - "Saint Denis" بمنطقة "إيل دو فرانس" "Ile-de-France" وكانت منطقة تركز كبير للمصاليين، حيث يعيش فيها خمسون شخصا من أبرز القادة والمسؤولين موزعين على فندقين، ما جعلها تشهد صراعات دامية بين التيار المصالي والجهوي، وقد شهدت في النهاية انتصارا لـ "ج.ت.و" ومقتل جميع القادة المصاليين المستقرين فيها على غرار "عبد القادر شريف" يوم 25 جويلية 1959، و"محمد قرقور" في 29 أوت 1959، "مختار مفتاح" يوم 31 ديسمبر 1960⁵.

عمل "موح كليشي" هناك تحت مسؤولية "محمد الشريف" الذي كان مناضلا قديما في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وسيصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني سنة 1957 في الولاية الثالثة⁶ رفقة العقيد "عميروش"¹، وهناك سببرهن "غفير" عن قدراته الكبيرة في التسيير والتنظيم ما

1 سعد الله، الحركة الوطنية...، مرجع سابق، ص 247، 248.

2 يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 215.

3 عامر رخيلا، مرجع سابق، ص 57.

4Mohammed Ghafir, op, cit , p29.

5Stora, les immigrées algériens en France..., op, cit, p215.

6Mohammed Ghafir, op ,cit,, p29.

أهله لتولي مسؤولية قادة ناحية المنطقة الشمالية لباريس والدائرة 17 "Asniere Gennevilliers Levallois Clichy Saint – Quen" سنة 1957، وأصبح بذلك إطارا لـ FLN على الأراضي الفرنسية.

ألقي القبض على "كليشي" من طرف مديرية حراسة التراب الفرنسي يوم الأربعاء 08 جانفي سنة 1958 في باريس الدائرة أربعة وفي نهج "les Blancs Manteaux" رقم واحد، وبعد يومين وليتين من التعذيب والاستنطاق تم تقديمه إلى القاضي "بيراس" "Perez" الذي اتهمه بالمساس بالأمن الخارجي للدولة وأودع على إثرها في سجن "فريسنس" "Fresnes"، وقد تم الحكم عليه يوم 30 جويلية من السنة نفسها بعامين سجن من طرف الغرفة 10 للجنح بالسجن، ثم مثل في الاستئناف يوم 08 أكتوبر أمام نفس الغرفة التي زادت سنة في السجن وحكمت عليه بثلاث سنوات سجن نافذا بسبب قيامه أمام المحكمة بقراءة التصريح السياسي الذي حرره كل من "حسين آيت أحمد و محمد بوضياف" والمتضمن شعارات الجبهة ومنها "تحيا الجزائر حرة ومستقلة"، "تحيا ج.ت.و. وجيشها الوطني"، "تحيا الجمهورية الجزائرية" و"تحيا الثورة التحريرية".²

أُفرج عنه من محتشد "لارزاك" "Larzac" يوم 06 فيفري بعد أن أجرى أربع عمليات جراحية جرّاء آثار التعذيب والجوع نتيجة الإضراب عن الطعام خلال سنوات 1958 و 1959 في مختلف السجون للحصول على النظام السياسي، ولم يكن "غفير" ليحصل على هذا الامتياز والإفراج لولا تدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومجموعة محامي "ج.ت.و." إضافة إلى الخدمات الاجتماعية لمحتشد لارزاك، وقد تم هذا الإفراج بعدة شروط أهمها منعه من الإقامة في عدة عمالات ومناطق فرنسية وعلى رأسها عمالة السين بباريس.³

نظرا للأهمية البالغة للعاصمة الفرنسية باريس كمدينة عالمية مرموقة، ونظرا لتركز أعداد لا بأس بها من المهاجرين الجزائريين فيها وبالتالي معرفتهم لأهم شوارعها وأزقتها، فإن ف.ج.ت.و. قد ركزت عليها واتخذتها قاعدة أساسية لمختلف نشاطاتها السياسية والعسكرية، وهذا ما يفسر تنظيمها لمظاهرات 17 أكتوبر 1961 بباريس تحديدا، وهذا ما فهمته السلطات الفرنسية من جهتها فطلت تحاول دوما إبعاد مناضلي ج.ت.و. عنها خاصة من كانت لهم مسؤولية سياسية وعسكرية، حتى لا يستخدمونها كمركز

1 عميروش أيت حمودة، الملقب بأسد جرجرة ولد يوم 31 أكتوبر 1926 بقرية تاسافت أوقمون بعرض بني وسيف بإحدى قرى جبال جرجرة حيث ترعرع في أحضان أسرة فلاحية فقيرة التحق بالمدرسة القرآنية في قريته كما تعلم اللغة الفرنسية وعند بلوغه سن 18 تم تجنيده إجباريا في الجيش الفرنسي لمدة سنتين، انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، هاجر إلى فرنسا في بداية الخمسينات، التحق بالثورة وأبدى قدر كبيرة في التنظيم حيث تمكن من مواجهة كل المخططات التي رسمها العدو ومن أشهرها عملية الأمل والبنديقية استشهد سنة 1957 = للمزيد أنظر يسمينة سعودي، العقيد عميروش وإرساء قواعد التنظيم بالولاية الثالثة التاريخية 1957. 1959، مجلة مجتمع تربية عمل، مع 08، ع 01، جامعة الجزائر 02، 2023.

2Mohammed Ghafir, op ,ci, p31.

3Ibid, p31.

للدعاية لثورتهم ومن ثمة استقطاب الرأي العام الفرنسي والعالمي لتفاصيل القضية الجزائرية وإطلاعهم أكثر على حقيقة الأوضاع ومستجداتها وهو ما سيؤثر لا محالة على سمعة فرنسا العالمية وهيبته الدولية، وفي هذا السياق تندرج عقوبة "كليشي" بمنعه من الإقامة في باريس وضواحيها.

انتبعت ف.ج.ت.و لأهمية العاصمة باريس في مسارها النضالي سواء من حيث لفت انتباه الرأي العام أو كسب العدد الأكبر من المهاجرين ومن ثم إبعاد جميع منافسيها خصوصاً المصاليين، وهذا ما دفعها إلى تشكيل فرق مكلفة بمراقبة الفنادق الجزائرية بباريس وضواحيها حيث تقوم بزيارات إليها خلال أيام العطل ونجحت في فترة وجيزة بالتحكم في أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين، ثم توسعت العملية بعدها إلى باقي المناطق الفرنسية، ولم تصل سنة 1958 حتى نجحت الجبهة في تحقيق غايتها ومالت الكفة نهائياً لصالحها فقد قُدرت عدد خلاياها ما بين 04 و05 آلاف خلية وتجاوز عدد نشطائها 40 ألفاً في مقاطعة السين لوحدها.¹

لم يكتثر "غفير" لهذا القرار بالمنع ولم يلتزم به بل التحق بباريس متحدّياً بذلك كل التدابير المتخذة لإبعاده من عمالة السين، ورجع ثانية إلى مواصلة نشاطه في اتحادية فرنسا لجبهة التحرير الوطني بمنطقة باريس الجنوبية بفضل المحامي "مراد أوصديق" الذي تكفل بداية بإيوائه وإقامة الاتصال بينه وبين المنظمة، ثم تولى منسق الولاية "محمد محمدي الصادق" تعيينه في مستوى ولاية باريس في الضفة اليسرى تحت مسؤولية قائد الولاية "معمر قاسي"، بصفته قائد المنطقة الأولى في العمالة الثانية من الولاية الواحدة لهذا كان يحمل رقم 1.2.1، وكانت هذه المنطقة تغطي المنطقة الجنوبية لنهر السين في باريس وكانت تتضمن الدوائر التالية 13 و14 و15 و05 و06 والضواحي المجاورة لها.²

ذكر "غفير" في هذا الصدد: "استدعنتني الإدارة الفرنسية لتخبرني بأني قابل للخروج ابتداء من يوم 06 فيفري، وأنه كان يمنع عليّ الإقامة في عدة عمالات فرنسية ومن بينها السين...عندما خرجتُ آلمني أن أترك رفاقي خلفي، اقتادوني إلى محطة ميلاو فأتيّت مباشرة إلى باريس، فتوجهت بداية إلى عمي الذي كان يسكن نهج "قيادي دي تامبل" وركنت أمتعتي ثم ذهبت لرؤية المحامي "أوصديق" في شارع "غينيغو"، وطلبت منع أن يصلني بالمنظمة إلى أن جاء المسؤول الجبهوي عن تلك المنطقة وكان "محمدي محند الصادق"، وقد أعطاني موعداً بعد عدة أيام في مكان حيث صنعوا لي أوراق وذهبت إلى 115 شارع سانميشال حيث مكتب الطلبة المسلمين الجزائريين فتم تسجيلي كطالب ومن هنا قدمني إلى مسؤول الولاية "معمر قاسي" المدعو "موسطاش" وقد أعطاني المنطقة 121 ابتداء من جوان 1961".³

1 عميري، مرجع سابق، ص 65.

2 Mohammed Ghafir, op ,cit, P30.

3 Ibid,P84 – 85.

بفضل حماسه وتفانيه في النضال نجح "كليشي" في جلّ مهامه بالمنطقة حيث قادها أثناء معركة باريس إذ كان أحد منظمي مظاهرات الجالية الجزائرية في 17 أكتوبر 1961¹، التي كانت منعرجا حاسما في التعجيل بالاستقلال حين أكّدت للعالم جميعا قوة ومدى التفاف الجالية الجزائرية حول الجبهة ووزنها الكبير في المهجر، وهو ما لم تتحمّله الشرطة الفرنسية فترجمت ذلك بعنف همجي فاق حدود الإنسانية، حين أعطى "بابون" الضوء الأخضر لعناصره باستعمال كل وسائل العنف لأنهم محميون من طرف القانون مادام الضحايا جزائريون².

ظلّ "غفير" مناضلا ثوريا إلى غاية حصول الجزائر على الاستقلال وعاش جلّ أحداث الثورة التحريرية حيث ناضل في الفترة ما بين 1955 و1958 في الكفاح ضد المصاليين ومساعدة "ج.ت.و" في تنظيم وهيكله المهاجرين بفرنسا، ثم قضى الفترة ما بين 1958 و1961 في مختلف السجون والمحتشدات الفرنسية متعرّضا لشتى أنواع التعذيب والتنكيل مواصلا كفاحه داخلها رغم كل ما واجهه من صعوبات من خلال نشاطاته النضالية في مختلف لجان الاعتقال مكلفا باللجنة الاجتماعية والثقافية، ثم قضى ما تبقى من سنوات النضال الثوري في الفترة ما بين 1961 و1962 في الرجوع إلى النشاط النظامي في اتحادية فرنسا للأفلام بصفته قائدا للناحية وعضوا في لجنة الولاية الأولى³، وهذا ما عبّر عنه بقوله: "أنني من الأطر النادرة في اتحادية فرنسا لـ"ج.ت.و" الذين عاشوا مراحل حرب الاستقلال"⁴.

المطلب الثاني: اعتقاله والانتهاكات المنتهجة ضده

1. تعرّضه للاعتقال والاستنطاق

نجحت الشرطة الفرنسية في إلقاء القبض على "كليشي" يوم الخميس 09 جانفي سنة 1958 على الساعة 00:30 ليلا بفندق في نهج "لي بلون مونتو" "les Blancs Manteaux" رفقة صديقه "الحسن"، غير أن مفتشو الشرطة قد سبقوه إلى المكان وألقوا القبض عليه بمجرد دخوله، حيث يذكر المعني في هذا الصدد: "بمجرد ما وصلت أمام مكتب الفندق وبدون أن أنطق كلمة واحدة وفي رمشة عين هاجمني المفتشون الثلاثة ومسدساتهم في أيديهم، وقد عشت تلك اللحظات وكأنني في حلم لكنني عرفت أنني وقعت في فخ وقد ألقى عليّ القبض..."⁵

شكل اعتقال "كليشي" ضربة قاسية وموجعة لاتحادية فرنسا لجبهة التحرير الوطني حيث ترجمت هذه العملية استمرار ضغوطات الشرطة على قادة الفدرالية ونجاحها في اصطيد بعض رؤوسها ومسؤوليها السياسيين والعسكريين وهو ما سيحقّزها أكثر ويشجّعها بشكل أكبر للمواصلة في إلقاء القبض على المزيد

1 Ibid, P32 – 33.

2 Benyounes, op,cit, p134.

³ أنظر الملحق رقم 16.

4Mohammed Ghafir, op ,cit,P34.

5Mohamed Ghafir, Ma douleur, l'événement le plus douloureux de ma vie mon arrestation par la D.S.T le mercredi 08 Janvier 1958 à Paris, éditions Ourahmoune, Algérie, 2021, Pp 22- 25.

وبالتالي فهو انتصار مادي ومعنوي لها، وفي الوقت نفسه يمثل انتكاسة للفدرالية التي يتوجب عليها أخذ المزيد من الحيطة والحذر في كل خطوة تخطوها على جميع الأصعدة وبالتالي زيادة الضغط على مسؤوليها ومناضليها.

إن المنطقة الحساسة التي كان يشرف عليها "كليشي" يحتم على الفدرالية ضرورة إيجاد بديل له في فترة زمنية وحيزة لملء الفراغ الذي تركه بعد اعتقاله، ذلك لأن المنطقة الباريسية كانت تمثل مركز ضغط الشرطة باعتبارها العاصمة السياسية للبلاد من جهة، ومركز استيطان المصاليين والحركي من جهة أخرى حيث تمثل مجال نفوذهم ومركز دعايتهم، وبالتالي أي تراجع لمكانة الجبهة سيقلب الموازين ضدها لصالح هذه الجبهات المعادية.

وصف "كليشي" خطورة عملية اعتقاله بالقول: "تذكرت مسؤوليتي والفراغ الذي سأتركه في المنطقة، أنا أعرف أنهم سيعوضوني ولكن المنظمة ستعرف بعض الصعوبات في فترة معينة قبل أن يرجع كل شيء إلى مكانه، لأن القطاعات التي كنت أشرف عليها في "سانتوان" "Saint-Ouen"، "كليشي" "Clichy"، "إيني" "Epinay"، "دومون" "Domont"، "أنغيان" "Enghien"، "مونتمايني" "Montmagny" إلى غاية "سانليس" "Senlis" كانت أصعب القطاعات في الضاحية الشمالية وفي كل باريس، لا أريد أن أقول بأنه لا يمكن تعويضي أو أنني مؤهل أكثر من الآخرين، لكن فقط من أجل خبرتي لمدة فاقت السنتين من المسؤولية التي كانت على عاتقي في هذا القطاع، لهذا كان اعتقالي قاسيا جدا".¹

كان ضروريا إعادة تنظيم الفدرالية مع ازدياد حجمها وسعتها وتوسيع لجنيتها وزيادة عدد منخرطيها، من هذا المنطلق كان المسؤولون الفدراليون يجوبون المناطق الواقعة تحت قيادتهم لملاقة المناضلين، للتنظيم، للهيكلة، وللشرح، وهي مهام صارت تزداد امتصاصا للوقت، فتبينت ضرورة تعيين لجنة للتنظيم، تكلف لتلك التنقلات، وصار ضروريا إعادة النظر في كل ذلك للتكيف مع المعطيات الجديدة، والتوافق مع الوضعية الجديدة الناجمة عن ثورة أول نوفمبر²، وعلى هذا الأساس كان أي اعتقال في صفوف مسؤولي الفدرالية يشكل ضربة قاسية لها حيث يصعب أحيانا تعويضهم بسهولة وبالسعة الكافية.

انتقل "كليشي" وصديقه "الحسن" في سيارة من نوع بيجو 203 مع ثلاثة مفتشين للشرطة إلى شارع التعذيب حيث سيتعرض هناك لأقسى أنواع التنكيل والتعذيب النفسي المعنوي والبدني الجسدي لدرجة أنه لم يتوقع للحظة أنه سيخرج من هناك حيا لأن ما تعرض له هناك كان مميتا من دون أدنى شك، وقد روى كل ما عاشه من رعب طيلة فترة اعتقاله في كتاب أعطاه عنوانا معبرا جدا حيث يمكن للقارئ أن يفهم المحتوى من العنوان، الموسوم بـ "وجعي، الحدث الأكثر ألما في حياتي" "Ma douleur, l'événement le plus douloureux de ma vie"

1 Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit., Pp25 – 26.

2 أحمد دوم، مصدر سابق، ص 137.

يروى في هذا الكتاب تفاصيل اعتقاله بقوله: "بمجرد وصولي إلى المكتب الذي تم إدخاله فيه طلب مني التجرد من ثيابي وأبقيت فقط على الملابس الداخلية والجوارب ففتشوا ثيابي بشكل دقيق، وقد وجدوا في إحدى جيوب السترة أربع نماذج من وثائق استعلامات غير مملوءة من السفارة التونسية، كما وجدوا في غمد المشطة ورقة كتبت عليها تعليمات اجتماع عقدته مع رفاقي في النضال يوما قبل ذلك، وورقة أخرى كتب عليها بعض الأرقام التي سجلتها من التقرير المالي الأخير شهر ديسمبر 1957 وهي أموال الاشتراكات، إضافة إلى حزمة مفاتيح تضم ثمانية مفاتيح".¹

بدأت عملية الاستنطاق بمحاولة التأثير على الجانب النفسي للضحية، وإجباره على الاعتراف بالحقيقة وتمويهه بمعرفة الشرطة لكل التفاصيل من خلال الأدلة التي عثرت عليها أو اعتراف زميله الذي تم الفصل بينهما، والاستمرار في إحداث غسيل للمخ بواسطة محاولة إقناعه بضرورة التخلي عن دعم مسؤولي "ج.ت.و" الذين لا يهتمون به وبأمثاله حيث يلقونهم إلى التهلكة في الوقت الذي يعيشون هم في قصور الرباط وتونس والقاهرة ودول أخرى ولا يلاقون نفس مصير المغرر بهم من المناضلين.

2. الانتهاكات المنتهجة ضده

لم يستسلم "كليشي" لكل الضغوطات التي مارسها عليه مفتشو الشرطة بل أنكر نضاله في الجبهة وأكد لهم أنهم مجرد محب بسيط لها حيث لا ينشط فيها سياسيا ولا عسكريا بل يقتصر دوره على دفع اشتراكه فقط، ويذكر في هذا الصدد: "من أجل مصلحة المنظمة لأنني لو أتحمّل المسؤولية عن كل ما تم اكتشافه عندي فإنهم سيعرفون دوري وسأكون موضع استنطاق أعمق وأقسى لينتزع مني اعترافات عن المنظمة (المسؤولين والمرؤوسين) لأنهم وجدوا في الأوراق التي أخذوها قائمة مساجين وأخرى لأشخاص محولين إلى مناصب أخرى وفيها الأسماء والعناوين... وأعتقد أنني قمّت بواجبي في مثل هذا التصريح للتقليل من الخسائر وأن أتجنب الوقوع بين أيدي المفتشين الجلادين، غير أنهم لم يقتنعوا بكلامي وواصلوا استنطاقهم بقولهم لقد طالت المهزلة بما فيه الكفاية إنك تضحكننا بهذه الحكاية التي ستبكيك، أنت لا تريد أن تقول الحقيقة لكننا سنجعلك تقولها".²

أمام قسوة الحراس والجنود الذين انتقلوا من عالم المخلوقات العادية إلى كائنات شاذة همهم التفنّن في تعذيب المعتقلين العزل³، وأمام كبرياء المعتقلين الجزائريين وصمودهم في وجه التنكيل بهم، اتبعت الإدارة الفرنسية أساليب ووسائل أخرى في التعذيب حيث لم تكتف بأساليب التهيب والتخويف الجسدي

1 Ibid, p 28 – 29.

2 Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit, p 35 – 37.

3 خليفة الجنيدي وآخرون، حوار حول الثورة...، مرجع سابق، ص 91، 90.

فقط بل أضافت إليها أساليب الإغواء والإغراء النفسية، وكان الهدف من هذه الأخيرة هو تحطيم معنويات المساجين وإجبارهم على الاستسلام¹، وفي هذا السياق أنشأت داخل السجون ومراكز الاعتقال مصالح متخصصة في الدعاية النفسية لتحقيق هذه الأغراض².

اهتدت السلطات الاستعمارية سواء المدنية أو العسكرية إلى استخدام الحرب النفسية بعد أن اتفقت على أن الظرف الذي تعيشه الجزائر واتساع رقعة الثورة، يُحتم عليهم التفكير في تبني أسلوب مغاير للتعامل مع المشكلة الجزائرية تكون نتائجه إيجابية على الجانب الفرنسي³، وقد استخدمت فيها أحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشافات علم النفس الفردي والاجتماعي، من أجل التأثير النفسي على الجزائريين وتثبيط همم السجناء وتدمير ثقتهم في قيادتهم السياسية والعسكرية.

ذكر المجاهد "بشير كشاد" في ذات السياق بعض أنواع التأثير النفسي التي كانت تُمارس ضدهم في السجون الفرنسية للضغط على معنوياتهم قوله: "أثناء قيامنا بشن إضراب عن الطعام دفاعا عن حقوقنا وتضامنا مع قادة الوفد الخارجي الخمسة ل ج.ت.و، كانت إدارة السجن توهمنا يوميا بأن "بن بلة" ورفاقه قد تناولوا طعامهم وألغوا إضرابهم وبالتالي فما عليهم إلا الاقتداء بقاتلهم، وأن "فرحات عباس" يعيش رفقة أفراد عائلته في القاهرة بأحسن حال، عكسكم أنتم كشباب في مقتبل العمر تعانون الأمرين"⁴، وقد لجأت إلى هذه الطريقة أيضا للتأثير على كل الجزائريين حتى داخل الوطن⁵، غير أن الحقيقة كانت عكس ذلك تماما لأن الجميع كان مجندا بكل ما يملك من قوة وإمكانات للدفاع عن الثورة التحريرية واستكمل طريق التحرر، وهذا ما أثبتته "فرحات عباس" حين أثر أن يضحي بنفسه من أجل الإفراج عن أعضاء الوفد الخارجي المحتجزين في سجن "فران" بفرنسا، حيث طلب من الحكومة الفرنسية أن تعتقله هو مقابل أن تُفرج على الأعضاء الخمسة⁶.

لقد تفنن الاستعمار الفرنسي في تعذيب الجزائريين خلال الثورة مُتبعاً نفس الأسلوب النازي الألماني، وزاد ذلك تزامنا مع تزايد واشتداد الثورة واتساع نطاقها، وقد اضطرت السلطات الفرنسية لإتباع أساليب بشعة لاستنطاق وإرهاب وتخويف كل من له علاقة بالثورة⁷، وأعطت الحق والمبررات لأجهزتها الأمنية لاستخدام وتطبيق كل الأساليب الجهنمية والتقنيات الإجرامية لضرب الثورة من خلال إتباع الأسلوب

1 مسعود عثمان، الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، مرجع سابق، ص 329

2 عبد الواحد جلام، الحياة اليومية داخل المعتقلات الفرنسية بالولاية الخامسة أثناء الثورة التحريرية 1954. 1962، مجلة المعرف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 9، جانفي 2017، جامعة محمد لخضر الوادي، ص 325. 326

3 غربي، مرجع سابق، ص 159.

4 بشير كشاد، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00. 11.00، 09 ديسمبر 2022.

5 نوار الجزائر ينفصلون عن القاهرة، *El Bark (L'Eclair)*, journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 01^{er} année, N° 04, 26 Septembre 1956, Paris.

6 Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit, p383.

7 رشيد زويير، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1956. 1962، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 20

النفسي الوجداني والجسدي البدني على جميع المعتقلين والمساجين دون أي استثناءات، وبالرغم من أن التعذيب حُرّم في المواثيق الدولية إلا أن فرنسا تلاعبت بالقانون وأخرست كل المعذنين بأساليبها.

وذكر المجاهد في ذات السياق أيضا التفائه بالقادة الخمسة (أعضاء الوفد الخارجي ل ج.ت.و) الذين سمّاهم "الأحرار الخمسة" وتضامنه معهم بالمشاركة في شن إضراب عن الطعام، ثم القيام بإحراق السجن بطوابقه الثلاث، من أجل تحسين ظروف إقامتهم في السجن ومنحهم الحق في النظام السياسي، وفي ظل حركة الاحتجاج الواسعة والفوضى العارمة في السجن، لجأ مسؤولو السجن الفرنسي إلى واحدة من أساليب التأثير النفسي حيث طلبوا من "بن بلة" التدخل لتهدئة الأوضاع نظرا لتقدير وحب المساجين له واحترامهم لشخصه، وهو ما تم بالفعل بمجرد توجيهه نداء للمساجين ودعوته إياهم للهدوء وعدم تصعيد الأوضاع أكثر بعد أن فرض شروطه على إدارة السجن بتحسين أوضاع المساجين وجميع المعتقلين من كل النواحي وعدم معاقبتهم نتيجة هذا الفعل، وكانت النتيجة أن لقي خطابه بالفعل أذانا صاغية من طرف الجميع وهدأت الأوضاع في غضون ثواني".¹

انتهى أسلوب الحوار والتأثير النفسي وبدأ التعنيف البدني حيث انهالوا عليه بالضرب والصفع واللكم والطم على مختلف مناحي جسمه خصوصا الضلوع والكبد والبطن، ورغم الضرر والألم الفيزيائي المادي الذي اجتاحت جسده ظلّ "كليشي" يتسلّح بالشجاعة وبالأيات القرآنية التي كان يقرأها سرا في نفسه، واستعراضه تعاليم المنظمة وتضحيات زملائه داخل وخارج الوطن الذين مات جلّهم تحت التعذيب وتألّموا بين أيدي الشرطة وفي المحتشدات والسجون، يقول: "اجتاحني غثيان كبير وفقدت كل طاقتي الجسدية، وكل قواي الجسمية كانت مبهوتة غير أن قواي الروحية بقيت في أحسن ما يرام"، فتعب الجلادون وتم تعويضهم بجلادين آخرين ولم يستسلم "كليشي" لمطالبهم إذ لم يعترف بأي سر مما يعرفه عن ف.ج.ت.و. ومنظمتها الخاصة، وأمام هذا الصمود قال له أحد المشرفين على تعذيبه "ستموت هنا وسيكون هذا من غلظتك".²

كانت الشرطة الفرنسية أثناء عمليات الاستنطاق تعتمد اللعب على الحبلى واستعمال أسلوبى الترغيب والترهيب فى الوقت ذاته من أجل إجبار المعتقلين على الاعتراف بما يعرفونه عن فدرالية "ج.ت.و"، حيث كانت الشرطة تلجأ للعنف عند مقاومة المناضلى بعناد أثناء استنطاقه بالركل والضرب بالسوط المصحب بالسب، ثم يستخلف رجال الشرطة الطيبون هؤلاء الأشداء، ويلعبون دور أبوى ويقولون مثلا: "هل رأيت؟ نحن لن نؤذيك" وإذا لم تشأ الكلام فلك ما تريد لكن سيأتى الآخرون. الأشداء. وينترعون المعلومات منك، لذا ينبغي الاعتراف لتجنب ضرباتهم، ثم يُترك الموقوف لعدة أيام بلا طعام ولا ماء ويُوعد بهما كمقابل إذا وافق على الكلام.³

1 بشير كشاد، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، 09 ديسمبر 2022.

2Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit, p36.

3Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, pp 401 – 402.

لم تكن الحرب النفسية الممارسة من طرف فرنسا في الجزائر وليدة العدم بل جاءت إثر الدرس الذي أخذته من انهزامها في الهند الصينية والتي شكلت صدمة قوية لها بعد أن تراجعت مكانتها الدولية وخسرت هيبتها القارية والعالمية، على إثر الهزيمة النكراء التي لحقت بشرف مؤسستها العسكرية في معركة ديان بيان فو¹، وتجنباً للوقوع في نفس الأخطاء المرتكبة في الفيتنام فبدأت المؤسسات العلمية المختصة التابعة لوزارة الدفاع الفرنسي تتلقى الدراسات والتحليلات والاجتهادات ممضاة من طرف عدد من الضباط الذين عايشوا الهزيمة بهدف تقييم التجربة الفرنسية والوقوف عند أسباب الانكسار العسكري.²

وكانت أهم الدروس المستخلصة من تلك الهزيمة هي ضرورة تطوير بنية الجيش الفرنسي ليتأقلم مع طبيعة الحرب الثورية والحرب الدعائية النفسية، وكانت النتيجة التي توصلت إليها تحليلات هؤلاء العسكريين، هي أن نجاح الحرب الثورية يعتمد في أساسه على التلاحم مع القاعدة الشعبية، ومن هذا المنطلق فإنه على فرنسا إن أرادت الاحتفاظ بالجزائر والقضاء على الثورة الجزائرية أن تسيطر سيطرة كاملة على الشعب الجزائري بمختلف توجهاته، وتفصله عن دعم ثورته ما يؤدي في النهاية إلى عزل هذه الأخيرة والقضاء عليها.

ونفس الخطة تمّ اعتمادها في فرنسا إذ بعد دراسات خبراء الحرب وضباط المخابرات الفرنسية في علم النفس لسلوك وخصوصية المهاجرين الجزائريين أدركوا بأن الثورة تعيش وسط الجالية الجزائرية، وأن محاولات القضاء عليها لن تأتي بثمار جيدة، مادام مناضلو فدرالية "ج.ت.و" يعيشون وسط هذه الجالية وتزودهم بكل حاجياتهم، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تفكر من جديد في طرق أكثر فعالية لفصل المجاهدين عن المحيط الشعبي بالاعتماد على التأثير النفسي على عقول المهاجرين ومحاولة استمالتهم بطرق غير مباشرة، فكان اتدأؤها إلى وسيلة الحرب النفسية.

تُعد الحرب النفسية نوعاً من أنواع القتال الموجه ضد العدو، وتُمارس بعدة وسائل وهي لا تهدف إلى إقناع الطرف الآخر بقضية ما، بل تعمل على تحطيم إرادته الفردية³ من خلال تجريد الطرف الثاني من إرادته القتالية وتشتيته بإرباكه والوصول إلى إحداث خلل في توازنه النفسي وزعزعة ثقته⁴، كما تُعتبر الحرب النفسية بأساليبها المختلفة أداة من الأدوات الهامة في التأثير لأنها كثيراً ما تنجح في تحقيق أهدافها خاصة

1 الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، ج1، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ت، ص744.

2 رافيل برانش، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، تر: أحمد بن محمد بكلي، طبعة خاصة، دار أمد وكال للنشر، الجزائر، 2010، ص35.

3 حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974، ص37.

4 أحمد نوفل، الحرب النفسية من منظور إسلامي، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987، ص199.

إذا تطرقت بنجاح للمداخل النفسية والعلمية الصحيحة، ولأساليب الفنية الملائمة لكل هدف كما تُعرف بأنها وسيلة من وسائل إقناع الخصم بالهزيمة.¹

رغم قسوة العنف التي تعرّض لها "كليشي" وانهياره البدني أمام الضربات واللكمات التي عمّت جميع جسده وأسالت دمائه من كل مكان من فمه وأنفه وأذنيه، إلا أنه لم يضعف أمام العنف والتعذيب بل ضلّت معنوياته عالية وإرادته كبيرة في مواصلة التحدي مهما كانت النتائج لأن الهدف كان غالبا ويستحق كل ذلك العناء، فالحرية لا تعطى مجانا ولا تمنح بمقابل زهيد بل تؤخذ بالصبر والصمود والتضحية بالنفيس. لعب الجانب الروحي دور المنقذ الرئيسي للمهاجرين الجزائريين من الشعور بالضعف والاستسلام لأساليب القمع الفرنسية، حيث كانوا يلجئون إلى تقوية عزائمهم بقراءة الآيات والسور القرآنية التي يحفظونها من جهة، وتذكّر حجم المآسي والتضحيات التي يعيش فيها ويقدمها الشعب الجزائري سواء داخل الجزائر أو خارجها في سبيل استرجاع الحرية المسلوبة من جهة أخرى وبالتالي فإن أي ضعف أو استسلام يعد خيانة لتلك التضحيات ومن ثمة تخل عن دورهم في تحرير الوطن من براثن الاستعمار الغاشم.

لم يخرج "كليشي" عن هذه القاعدة بل كان جانبه الروحي حيث كان القرآن اللبنة الأساسية في انطلاق مسيرته النضالية في الحياة. لهذا كان الجزائريون يحرسون دوما على تلقين أبنائهم القرآن منذ نعومة أظافرهم ليكون لهم حصنا وسندا في حياتهم المستقبلية. وإيمانه الكبير بعدالة الثورة التحريرية، أكبر محفز له على الصمود والتحمل، وهذا ما يتضح من قوله: "رغم الآلام والمصائب الجسدية والخلقية التي قاسيت منها، إلا أنني كنت متأكد أن معنوياتي لم تتغير وأن ذهني وإرادتي كمناضل جيد وثوري بقيت كلها ثابتة وصامدة، والشكر لله ففي مثل هذه المصائب بين أيدي الجلادين يتميز المناضل الحقيقي الذي يعمل بإيمان وإرادة من أجل وطنه المعذب... إن وعيي لم يتغير قيد أنملة بل بقي ثابتا منذ البداية لهذا الكابوس الذي أنا فيه.. كما أن الشجاعة والثبات قد بقي بدون تحوّل والحمد لله".²

لقد كان الجانبين الروحي والوطني حيث الاعتصام بحبل الله تعالى من جهة والاعتزاز والتمسك بالقيم الوطنية من جهة أخرى السلاح الوحيد لدى هؤلاء المساجين للصمود في وجه كل ما كانوا يعانونه من ظلم واضطهاد كبيرين، وقد وصف المجاهد "مخلوف عزوز" الذي كان أحد مناضلي فدرالية جبهة التحرير بفرنسا وأحد المساجين الذين ذاقوا شتى أنواع التعذيب والتنكيل في السجون الفرنسية، فذكر في هذا الصدد: "كان تعذيب المعتقلين قاسيا جدا لدرجة لا يتحملها أي إنسان عادي، حيث وصل التعذيب إلى حد أن لحومنا كانت تتحول إلى ما يشبه الإسفنج من شدة الضرب المبرح، ويؤكد أن الله هو من كان

¹ موسى بن إبراهيم حريزي، الحرب النفسية ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء، ط، العالمية للطباعة والخدمات،

الجزائر، 2015، ص 29.

2Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit, pp 53 - 56.

يمنحهم الصبر والقدرة على التحمل لأنهم أصحاب حق، ولولا ذلك ما كانوا يستطيعون المقاومة والتحمل".¹

كما وصف "مزيان الشريف" في مذكراته واحدة من هذه المواقف التي تعرّض لها رفقة أقرانه من المساجين عندما كانوا في سجن "لي بومات" بقوله: "كان للجميع في السجن آنذاك ذلك اليقين الراسخ بفضل الله تعالى أن الجزائر ستنتزع استقلالها لا محالة، لكن كُنّا متأكدين أننا لن نشهد ذلك اليوم المبارك... وكنا نذرف دموعنا في صمت..."²

المطلب الثالث: حياته الجديدة في السجون الفرنسية

1. وضعه في السجون الفرنسية:

بعد ثلاثة أيام من التعذيب المتواصل تم نقل "كليشي" يوم الجمعة 10 جانفي صباحا من زنزانه نحو محطة شاتلي "Châtelet" أي قصر العدالة حيث تم تقديمه إلى قاضي التحقيق "بيريز" ووجهت له تهمة المساس بالأمن الخارجي للدولة الفرنسية، وفي المساء تم تحويله مع سجناء آخرين إلى سجن "فريس" "Fresnes" القسم الثاني ووضع في زنزانه 148 تحت رقم التسجيل 26216.³

بعتبر سجن فريس واحد من أكبر السجون الشهيرة في فرنسا وأحد السجون الرئيسية في منطقة باريس إلى جانب كل من سجن "لاسونتي" و"ميروجيس"، ضمّ في زواياه وزنازينه المئات من المهاجرين الجزائريين الذين مورس في حقهم أبشع وأفظع أساليب ووسائل التعذيب، وكل أنواع القتل والتنكيل والتشريد وإجراءات سياسية وعسكرية ظالمة لسنوات عديدة خصوصا فترة الثورة التحريرية، وهو ذو طاقة استيعاب معتبرة ويمثل مؤسسة عقابية لكل المتمردين عن القانون الفرنسي أو المشتبه بانتمائهم لجبهة التحرير الوطني أو فدراليتها بفرنسا.

كان المساجين الجزائريين في هذا السجن سنة 1959 قد تدهورت حالتهم بشكل كبير، وأصبحت حياتهم فيه قاسية جدا، بسبب مضاعفة إدارة السجن لإجراءات التأديب والإزعاج لهم من كل نوع، وإخضاعهم لنظام سجناء القانون العام، حيث تم تعيين نائب مدير سجن "لاسونتي" المعروف بتشدده في المجال التأديبي، وعادت العقوبات الجسدية لأنفذه الأسباب والضرب المبرح لهم والزج بهم في زنزانات انفرادية، لهذا قررت اللجنة الفدرالية الرد على هذا التدهور ولجأ سجناء "ج.ت.و" بتلقائية إلى تعيين لجنة المساجين التي أعربت عن رغبتها في شن إضراب للحصول على نظام سياسي موسع إلى جميع سجون فرنسا وعلى الحقوق المتعلقة به، لكنها سرعان ما طالبت بتأجيله إلى حين تحضير باقي السجون ومراكز الاعتقال من أجل إنجاحه أكثر من خلال إعطاءه صدى عالمي.⁴

1 مخلوف عزوز، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.00.10.00، 11، 11 فيفري 2019.

2Meziane Cherif, op.cit, p p179.

3Mohamed Ghafir, Ma douleur, op.cit, p60.

4Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, p 143.

تقرّر هذا الإضراب بعد طول تحضير من فدرالية فرنسا لـ"ج.ت.و"، وتم اختيار بدايته رمزيا في الفاتح من نوفمبر، وقد مسّ كافة السجناء في التراب الفرنسي ودام قرابة عشرين يوما، ومثّل أحد اللحظات الفريدة في التاريخ الحديث المترعة بتلك الهبات الأخوية السخية، حيث قدّم الجزائريون المنضبطون والمدفوعون بحس أخوي وطني الدليل على إيمان قادر على زعزعة الجبال، فكان إضرابا تاريخيا لأنه سمح في النهاية بتحقيق الهدف المقصود بعد الاعتراف بالنظام السياسي للسجناء السياسيين¹، وتحسين ظروف باقي المساجين من خلال فتح الزنانات والسماح بدخول الصحافة وغيرها، ما جعل أصداء هذا الإضراب تصل إلى هيئة الأمم المتحدة، وزاد من تدويل القضية الجزائرية عالميا فتحتم على السلطات الفرنسية الشروع في المفاوضات لتسويتها.²

تعرّض "موح كليشي" قبل سجن "فران" "Fresnes" إلى الاعتقال والعنف في محتشد "لارزاك" "Larzac" يوم 06 فيفري ولم يُفرج عنه إلا بعد أن أجرى أربع عمليات جراحية كاملة جزاء التعذيب والجوع خلال سنوات 1958 و1959، ولم يكن ليحصل على هذا الإفراج لولا تدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومجموعة محامي "ج.ت.و"، حيث كشفت عدة تقارير الحالة المزمنة التي كان يعاني منها السجناء الجزائريون في هذا المحتشد، والتي أجبرت حتى المنظمات الدولية على التدخل والمطالبة بتحسين الأوضاع الكارثية فيه والاعتراف بشيء من الحقوق والعدالة في حق من كانوا بين جدرانهم.³

2. مواصلته النضال داخل السجون:

واصل "كليشي" نضاله في السجن رغم حالته الصحية الصعبة حيث التقى برفاقه من مناضلي ج.ت.و هناك، وقد تمّ التكفل به من طرف لجنة المساجين للفدرالية التي لعبت دورا كبيرا في التنسيق مع المعتقلين وتشجيع مقاومتهم⁴، وفي هذا السياق ذكر "غفير": "استقبلت زيارة مجموعة المحامين التي عينتها المنظمة وعلى رأسهم "مراد أوصديق" "Mourad Oussedik" و"ميشيل بوييلار" "Michèle Beauvillard"، فأعطيتهم كل التفاصيل عن توقيفي ووصت لهم التعذيب الذي سلّط عليّ... يجب أن أعترف أنني ارتحت كثيرا عندما علمت أن المنظمة قد وجدت كل شيء بمساعدة المسؤولين "عباس محمود" "Abbas Mahmoud" و"أبو شملة محمد الزين" "Bouchemla Mohamed Zine" وهما مساعدان لي في كليشي "Clichy" وسانتوان "Saint-Ouen"، وبدأت حياتي الجديدة في السجن".⁵

في سياق استمرار النضال في مختلف السجون الفرنسية أشارت عدة تقارير لـ"ج.ت.و" لطريقة نشاط هؤلاء السجناء رغم قسوة الظروف التي كانوا فيها، حيث كانوا حريصين على مبدأ الكفاءة حتى يكون

¹ أنظر الملحق رقم 17.

² دوم، مصدر سابق، ص 225. 227.

3Vue la situation à L'Arzac, B02, D03 05.01, paris 17.08. 1961, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger.

4Ahmed Doum, de la Casbah d'Alger a la Prison de Fresnes op, cit, pp150- 153.

5Ghafir, Ma douleur..., op.cit, p60.

ممثليهم في لجان الدفاع عنهم في مستوى المهام الموكلة إليهم، وتغييرهم كلما دعت الضرورة لذلك، إضافة إلى الالتزام التام بمبادئ الثورة التحريرية في الحفاظ على الهدوء والانضباط وربط علاقات ودية مع باقي المساجين من مختلف الجنسيات لكسب المزيد من الحلفاء حتى في السجون والمعتقلات.¹

شكل هؤلاء المحامين الجزائريين بكفاءاتهم التي لا تقل عن كفاءة نظرائهم الفرنسيين والأوروبيين، ودافعوا بقدراتهم المعرفية والقانونية خلال المرافعات عن جميع المعتقلين ونجحوا بذلك في تأدية المهام الموكلة إليهم²، وهو ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى العمل على عرقلة نشاطهم بكل السبل، من خلال إتباع سلسلة من الإجراءات الردعية للنيل من عزيمتهم، لأنهم حسب زعمها يدافعون عن أشخاص إرهابيين ومخربين، ومصدر تهديد دائم لأمن الأمة الفرنسية.

شكل الجهاز الدفاعي الذي أسسته ج.ت.و من المحامين للدفاع عن مناضليها المعتقلين، شوكة في حلق الإدارة الاستعمارية التي اضطرت في الكثير من المرات لكبح سياساتها التعسفية وإخفائها عن الرأي العام، وبالرغم من أن عدد هؤلاء المحامين كان قليلا إلا أنه كانوا يتمتعون بثقة التنظيم الذي كان بإمكانه أن يعتمد على التزاماتهم لضمان أفضل دفاع لصالح مناضلي الجبهة، وأشهرهم "ولد عودية"، "مراد أوصديق"، بن عبد الله، "جاك فيرجاس" Jacques vergés، "ميشال زافريان" Michel Zavrian، "موريس كوريجي" Mourice Courrégé، "ميشال بوفيار" Michéle Beauvillard³، "ريني ستيب" Rene "Stibbe"، "ميشال زافريان" Michel Zavrian، "موريس" و"جانين كوريجي" Mourice et "Jannine Corrige"، "كلودين ناهوري" Claudine Nahore، "ماري كلود رادزييفسكي" Marie Claude Radzeiwsky، "جاكلين جاكر" Jacqueline Jeagr وغيرهم.⁴

كما أن المحامين الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين قد استطاعوا وضع براعتهم وأحيانا تسامحهم في خدمة المناضلين الجزائريين المتابعين قضائيا، بهدف التعبير عن أفكار سياسية غير مطابقة لما سلم به الاستعمار، إضافة إلى أن أعضاء في هيئة المحامين بباريس على غرار "ستيب" Stibbe، "دوزون" Douzon، "ديشيزيل" Dechezelles، "براون" Braun، و"فاي" Weil قد بذلوا جهودا كبيرة في عبور البحر المتوسط بشجاعة كبيرة وقناعة تامة للمرافعة عن قضية الوطنيين.⁵

هكذا استطاعت "ج.ت.و" تجنيد هيئة دفاعية قوية لمجابهة التجاوزات الاستعمارية في حق مناضليها بقوة القانون وشعار تحقيق العدالة والإقرار بحقوق الإنسان، وقد ضمت هذه الهيئة محامين جزائريين هدفهم الأسمى الكفاح من أجل قضية مبادئها مقبولة عالميا، ومحامين فرنسيين ناضلوا ودافعوا عن

1Le militant du 1^{er} étage (coté nord), B2 D3 2², Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger, Le 18.08.1961.

2Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, p 175.

3 Benyounes, op.cit, p 59.

4Labdjaoui, op, cit, p176.

5Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, p 167.

الثورة التحريرية من أجل خدمة مصلحة بلادهم المستقبلية والاعتراف بالحق الدائم، ورغم اتهامهم من طرف أقرانهم بتهمة المساس بالأمن الخارجي للأمة الفرنسية واعتبارهم حلفاء لأعداء فرنسا، إلا أن التاريخ قد أنصفهم.¹

ظَلَّت ف.ج.ت.و على اتصال دائم بالمساجين وأنشأت لذلك ما عرف بـ"الجنة المعتقلين"، ووضعت لها خزينة خاصة مهمتها تقديم تمويل وإعانات مالية لجميع المعتقلين وعائلاتهم وكذا تعيين محامين للدفاع عنهم، وقد تحوّلوا بمرور الوقت إلى وسطاء في نقل المعلومات السرية بين قيادات الفدرالية داخل السجون وخارجها²، وكان هدفها من ابتكار هذه اللجنة هو إغاثتهم وإبقائهم على اتصال دائم بالتنظيم السري للفدرالية، والاستفادة من خدماتهم في مختلف المجالات، وهذا ما جعل السجون على اختلافها تشكل مجالا حيويا للإبداع ومواصلة النضال والمقاومة.³

كان المحامي ينقل بعد زيارته للمناضل في السجن كل الأخبار والمعلومات حول ظروف وأسباب اعتقاله مما يسمح للتنظيم أن يقدر العواقب الممكنة لهذا التوقيف، كما يقوم المحامي أيضا في بعض الأحيان باستدعاء كل موكله إلى جلسة واحدة عن طريق إدارة السجن، مما يُمكن كل المعتقلين التابعين لجبهة التحرير بالتلاقي وتبادل الأخبار وتميرير التعليمات، وفي مثل هذه الظروف تتخل لجنة مساندة المعتقلين مباشرة حتى تتمكن عائلة المناضل السجين من تلقي المساعدة المالية التي تُمنح لزوجته أو لأحد أفراد أقربائه.⁴

زاد نشاط هيئة الدفاع للجبهة أمام جميع المحاكم حيث نظمت حملة بعد اغتيال "ولد عودية" وأخرى أعقبت محاكمة الطلبة الجزائريين بفرنسا، كما سهلت نشر كتاب "الغونغرنا" ونسقت الإعلام المتعلق بالإضرابين الكبيرين عن الطعام الذين شنهما المعتقلون في جوان وجويلية 1959 مساهمة بذلك في نجاحهما، لذلك استفاد لحدith الرأي العام الفرنسي عنها، ما جعل صحافة اليمين تتخذها موضوعا للسخرية غير أنها سرعان ما اعترفت بقوتها وأصبحت الهدف الذي يجب الإحاطة به.⁵

هذا ما يبيّن أن الجبهة قد اعتمدت إستراتيجية التنظيم الجماهيري لتنفيذ مخططاتها وإنجاحها، فمثلا طبّقتها في الجزائر لجأت إليها أيضا في فرنسا في إطار هيكلية المهاجرين خاصة بعد أن نقلت العمل الثوري إلى هناك، كما أن تنظيمها بالمهجر لم يقتصر فقط على نشاطات الخلايا والمجموعات القتالية بل توسّع إلى كل مجالات الحياة لدى هؤلاء المهاجرين من أجل حمايتهم والدفاع عنهم، ومن هذا المنطلق تقررّ تكوين اتحادات وتنظيمات وطنية مستقلة عن الفرنسية فجمعت العمال مع الودادية العامة للعمال

1 Ibid, p 168.

2Boudaoud, Cinq ans à la tête de la fédération de France, op, cit, pp 123 – 125.

3Guerroudj, op, cit, p79

4Benyounes, op. cit, p59.

5Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, pp171 – 172.

الجزائريين، والطلبة مع الاتحاد العام للعمال الجزائريين، كما قامت بتأسيس جماعة المحامين من أجل الدفاع عن مناضليها في المحاكم الفرنسية.

لم يتعافى "كليشي" من أثار التعذيب القاسية التي تعرّض لها في السجن من جهة، ومن ألم الابتعاد عن الأهل والوطن والعيش في الغربة من جهة أخرى، حتى وصله خبر آخر كان أكثر قسوة عليه، وهو وفاة والدته "حافري تالا" "Hafri Tala" في 21 أكتوبر 1959 في مستشفى سطيف بعد عملية جراحية، وقد مثل ذلك صدمة قوية جدا له عبر عنها في رسالة له من بيم ما ورد فيها: "إن هذا الخبر بقي بالنسبة لي ذا قسوة قصوى، أسوء ما يمكن أن يتعرض له الإنسان لقد عرفتُ الآن كل آلام الروح، ست سنوات في المنفى والحياة السرية التي يقتضيه الكفاح من أجل التحرير الوطني، الاعتقال، التعذيب، عقوبة العزل في ردهات السجون وإضرابات الجوع والمعاملات السيئة للاستعمار والأوجاع النفسية والجسدية، يا أمي لم تعود في الحياة ولا شيء يمكنه أن يسليني وأنا معتقل بين جدران وقضبان... يا ربي يا قدير ثبتت في نفسي الصبر ومقاومة القلق والدموع، الوحشة، الجوع، البرد، الآلام النفسية أعط لبلدي الحرية الشرعية... أنا الآن أجز شبابا مؤلما، محتقرا وعاجزا لم أعد أعيش إلا للأوجاع ولم يعد لي شعور إلا للحزن... أريد أن أعيش ولا أعيش، أريد أن أموت ولا أموت، لم يعد للحياة ذوق ولا جاذبية في قلبي تبقى أمي الضوء الذي لا ينطفئ والحرارة التي لا يخمدتها أي رماد... نامي هادئة إلى الأبد لأن ابنك الوحيد محند سيواصل كفاحه من أجل حرية بلاده ليعيش رجلا حرا أو يموت شهيدا".¹

سُجن إذن لمدة ثلاث سنوات من 1959. 1961 وهي فترة طويلة نسبية مقارنة بنشاطه النضالي قبل الاعتقال ومكانته الحساسة في فدرالية الجبهة بفرنسا، وانتقل خلالها بين مختلف السجون الفرنسية الأكثر شهرة على غرار "لاسونتي" "La Santé" و"فران" "Fresnes"، واكتسب من خلالها تجربة رائدة وخبرة كبيرة في ممارسة النشاط وإكمال النضال داخل السجون للدفاع عن من فيها من المساجين والمعتقلين الذين كانت معاناتهم أكبر ممن كان خارجها من جهة، وإعادة تنظيمهم وهيكلتهم لصالح القضية الوطنية من جهة ثانية، وترسيخ عقيدتهم بمبادئ الثورة ونشر الوعي في أوساطهم من جهة ثالثة.

على غرار بقية المناضلين الجزائريين الذين كانوا يقبعون داخل السجون الفرنسية بصمود كبير وتحدي عظيم للوضع القاسي فيها، ومواصلته النضال الوطني بكل الوسائل المتاحة لهم وعلى رأسها الإضراب عن الطعام، لم يختلف "كليشي" عنهم بل اخترق الصبر جراحه وآلامه وأنس الكفاح وحشته وغربته وظل حبه للجزائر وأمله في رؤيتها حرة مستقلة منبعا لمواصلة الصمود والاعتناق من الاستعمار وما يفرضه من قيود.

وضع خبرته الميدانية في خدمة ج.ت.و فشارك في إضراب الجوع المقام بهدف الإفراج عن القادة الخمسة المختطفين في حادثة القرصنة الجوية يوم 22 أكتوبر 1956 والذين أطلق عليهم اسم قادة التمرد

1Ghafir, Ma douleur..., op.cit, pp 72 - 74.

في الجزائر¹، وقام بتحرير رسالة يوم 9 نوفمبر 1958 من المعتقلين الجزائريين في سجن "فريسنس" بباريس وتوجيهها إلى وزير العدل "ميشال دوبري"، والتي أخبره فيها بإضرابهم عن الطعام لمدة 48 ساعة من 09 إلى 11 نوفمبر لتأكيد تضامنهم الفعال مع قادتهم أعضاء الحكومة المؤقتة المعتقلين في سجن "لاسونتي"، إضافة إلى الاحتجاج الشديد ضد التنغيصات الكثيرة والإهانات المتكررة المسلطة على كل المعتقلين الجزائريين والتي كانت مخالفة تماما لاتفاقية جنيف الدولية.²

المطلب الرابع: كفاحه ونضاله الثوري في فرنسا

1. دوره في إضراب الثمانية أيام 27 جانفي . 04 فيفري 1957:

احتضنت الجالية الجزائرية بفرنسا بقوة إضراب الثمانية أيام الذي حدث في الجزائر والذي قرّره لجنة التنسيق والتنفيذ من 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957³، وقد شمل المدن الكبرى في الجزائر ووصل صدها إلى مختلف وسائل الإعلام العربية، الفرنسية والعلمية⁴، الذي مثّل إرادة الشعب الجزائري وشرح المشكلة الجزائرية أمام الرأي العام الدولي⁵، خاصة بعد أن وافقت الجمعية العامة على لائحة تعبر فيها عن أملها في إيجاد حل سلمي وديمقراطي وعادل للقضية الجزائرية وبالتالي تحقق الهدف الأساسي للإضراب.⁶ ساهمت الجالية الجزائرية في إنجاح هذا الإضراب من البداية، حيث بلغت نسبة المشاركة فيه 40% في اليوم الأول لترتفع إلى 75% في اليوم الثاني وتبلغ 80% في اليوم الثالث واستمرت نفس النسبة حتى نهايته، وقد شارك "كليشي" في هذا الإضراب من خلال توزيعه للمناشير وقيامه بحملات توعية واسعة من أجل تعزيز اللجنة الفدرالية لـ ج.ت.و بفرنسا، والقيام بالدعاية اللازمة في المقاهي والفنادق التي تتركز فيها عناصر الجالية عبر كامل التراب الفرنسي، وقد نجح في إقناع الغالبية لضرورة المشاركة والمساهمة في إنجاح هذه المعركة السياسية الكبيرة من جهة وإبطال مفعول الدعاية الكبيرة التي قامت بها العناصر المصالية المنافسة من جهة أخرى.⁷

أشرف "كليشي" على تكوين مجموعات مصغرة من المناضلين في الناحية التي يشرف عليها ضمت كل من "الربيع الربيع"، "الجنس مخلوف"، "عمار بلعيد"، "أحمد عبد الرحمن"، "إبراهيم بلالي"، "محمد الطاهر شرفاوي"، تقتضي مهمتها القيام بالدعاية في المنطقة في مدة لا تتجاوز الثلاثون دقيقة في المكان الواحد، حيث كان المتحدث يطوف شخصا بجميع الأحياء ممتطيا دراجة نارية لتحذير المناضلين

1Arrestation de chefs rebelles en Algérie, Paris-presses l'intransigeant, Mercredi 31 Juillet 1957, (MNT), Sér K, cart 01, Dos 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

2محمد غفير (موح كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30 - 11.30، 22 نوفمبر 2022 .

3Mohammed Ghafir, Ma douleur... ,op ,cit, p 29.

4L'internationalisation du problème algérien désapprobation et consignes de calme, l'observateur du moyen-orient et de l'Afrique, 02 Septembre 1960, 11.

5Benyoucef Ben Khedda, Alger capitale de la résistance..., op.cit, pp 49 – 50.

6زهير إحدادن، المختصر في الثورة الجزائرية 1954 . 1962، مصدر سابق، ص 40.

7غفير، المهاجرون الجزائريون احتضنوا الإضراب بـ 80 بالمائة، جريدة الشعب، العدد 16008، الأحد 20 جانفي 2013.

وإعلامهم بأي تحرك للشرطة الفرنسية أو العناصر المصالية، وقد نجحت هذه الأخيرة في اغتيال رئيس الخلية "الربيع الربيع" رميا بالرصاص الذي اخترق فمه ورأسه فاستشهد وهو يقوم بالواجب الوطني، ويذكر "كليشي" أنه كان شاهدا على عملية الاغتيال التي أكدت عنف المصاليين وتوسيعهم لدائرة الصراع الدموي بين الإخوة الأعداء، خصوصا أن "الربيع" كان من نفس منطقته "قنرات بسطيف" وبالتالي فهو يعرفه بأنه بعيد من العنف مخلص لـ ج.ت.و. ولم يكن يحمل سلاحا للدفاع عن نفسه من بطش المصاليين، فكان أول شهيد لفدرالية الجبهة في فرنسا.¹

أفاد المجاهد أن العمل لم يتوقف بل واصلت الفدرالية عملها انطلاقا من جنازة الشهيد التي اتخذها هو شخصا فرصة لإقناع الجزائريين المشيعين للفقيد بمقبرة "نياس" بفرنسا يوم 04 فيفري 1957 وكان معظمهم قاطنين في باريس وضواحيها، حيث يذكر: "اغتنمتُ الفرصة لتوجيه نداء إلى كل المهاجرين في المقبرة للالتحاق بصفوف الجبهة"²، كما ذكر باعتباره شاهد عيان أنه في اليوم الموالي في 05 فيفري وانتهاء الإضراب عاد العمال الجزائريون إلى عملهم في المصانع الفرنسية الكبرى كمصنع بيجو ورونو وكانوا ضائنين بحتمية طردهم، غير أنهم تفاجئوا بعكس ذلك حيث نالوا إعجاب بقية العمال من الفرنسيين وبقيّة الأجانب وتم استقبالهم بتصفيق حار مع ترديد شعار "الفلاّقة عادوا من جديد إلى عملهم"، كما أن بعض المصانع لم تقم بخصم أيام الإضراب التي غاب فيها العمال عن عملهم بل قامت بدفع مستحقات الثمانية أيام للعمال رغم الضرر الكبير الذي لحق بالاقتصاد الفرنسي نظرا لارتفاع عدد العمال الجزائريين الذي قدر عددهم آنذاك بـ 350 ألف عامل.³

هكذا عايش "كليشي" هذه المحطة التاريخية الهامة مع الجالية الجزائرية بالمهجر، حيث سهر على تنفيذ تعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ برئاسة "عبان" و"ف.ج.ت.و" التي كانت آنذاك بقيادة "محمد لبجاوي"، والتي كانت قد أعطت أوامر إلى جميع خلاياها ومجموعاتها العاملة على مختلف المستويات للتحضير للإضراب عبر القيام بحملة توعية شاملة في المقاهي والفنادق والتجمعات السكانية التي يرتادها المهاجرون الجزائريون قصد إقناعهم بضرورة الاستجابة الجماعية لهذا الإضراب وتوزيع المناشير بطرق سرية، وقد نجح في تأدية المهام الموكلة له بفعالية عالية إتقان وتفان كبيرين.

كان هذا الإضراب معركة سياسية سلمية مثلما أرادتها "ج.ت.و" حيث شارك فيه الجزائريون داخل الوطن وخارجه ملتزما بأوامر الجبهة وتعاليمها، متحدّيا القمع الرهيب من طرف السلطات الفرنسية من أجل إفشاله، ووجدت القضية الجزائرية من خلاله طريقها إلى المحافل الدولية حيث احتضنتها جامعة الدول

1 غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30. 11.30، 22 نوفمبر 2022.

2 غفير، جريدة الشعب، ع16008، مصدر سابق.

3 غفير، 53 سنة على إضراب الـ 8 أيام محطة أخرى لانتصار القضية الجزائرية، جريدة الشعب، ع15098، الجزائر، الخميس 28 جانفي 2009.

العربية والمجموعة الأفروآسيوية، كما تم مناقشتها في الدورة الحادية عشر لجدول أعمال الجمعية العامة للهيئة الأممية، وتأثر به الرأي العام الدولي لاسيما بعد أن تحدثت عنها مختلف الإذاعات وكتبت عنه الصحف الفرنسية والعالمية، بعد أن أصبح فرصة لوكالات الأنباء ومراسلي الصحف الأجنبية لكشف الصورة الواقعية لما يعيشه الشعب الجزائري في ظل السياسة الاستعمارية التعسفية.

أثبتت الجبهة بهذا الإضراب تفوقها على ح.و.ج بعد أن نجحت في تجنيد الأغلبية الساحقة من المهاجرين ورائها حيث بلغت النسبة 98% باعتراف المصاليين أنفسهم، وبالتالي نجحت فدرالية الجبهة في الدعاية وأكدت للرأي العام الفرنسي والعالمي انتماء الجالية بالمهجر للوطن فزال الغموض عن الرأي العام نهائيا، وزاد الاعتراف الدولي بالقضية الجزائرية وتمثيل الجبهة دون سواها لها.

يتضح هذا التزايد في التأييد العالمي للثورة التحريرية والإقرار بعدالتها من خلال ما دُون في جريدة "la semaine en Algérie" حين أوردت ارتفاع عدد المصوتين في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لصالح القضية الجزائرية في دورتها التي تلت إضراب الثمانية أيام في الجزائر والتي كانت يوم 14 فيفري 1957، حيث صوّت الأغلبية لصالح إيجاد حل عادل للمسألة الجزائرية بما يضمن حقوق الشعب الجزائري في الحرية¹، خصوصا الدول الأفروآسيوية التي حملتها فرنسا وزر استمرار القتال في الجزائر كونها أكبر داعم للمتمردين فيها.²

لقد كانت أيام الإضراب في أوساط الجالية الجزائرية طيلة أسبوع كامل حدثا بارزا في مسيرة نضالها، لأنه نظم عملها الثوري ووضع قواعد تنظيمية لنضالها الميداني عسكريا وسياسيا حين أكد درجة التفافها حول "ج.ت.و"، وتأكيد كفاحها على جميع الجبهات كما أنه رسّخ مبدأ وحدة الشعب ووحدة القيادة، وبدأت "ج.ت.و" تظهر شموليتها وزعامتها للنضال الوطني، ومن ثمّ تكثيف عملياتها على التراب الفرنسي وتعلّق المهاجرين بالحرية والسيادة، والتحرّر من مقولة الجزائر الفرنسية.

2. دوره في مظاهرات 17 أكتوبر 1961:

باعتباره مسؤولا جبهويا عن الضفة اليسرى لمنطقة باريس وضواحيها فإنه قد لعب دورا بارزا في الإعداد لمظاهرات الجالية الجزائرية بالعاصمة الفرنسية من جهة، وكشف التجاوزات والممارسات القمعية للشرطة الفرنسية التي ازدادت حدّتها خلال شهري سبتمبر وأكتوبر من سنة 1961، وكانت سببا فرض على ف.ج.ت.و بفرنسا ضرورة الرد للحد منها أو على الأقل للتخفيف من حدتها.

1Le FLN, ses alliés et l'ONU, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 8°, semaine du 08 au 14Septembre 1958, p04.

2إثارة قضية الجزائر في الأمم المتحدة، ونظرية فرنسا حيالها . مناقشات وفود الدول في أمرها، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 66, 04 Décembre 1957,Paris, p03.

من بين الأعمال التي قام بها "غفير" في هذا السياق كتابته لتقرير في أوت من السنة نفسها عنوانه "أوت 1961 المنعرج" "Aout 1961:le tournant" من بين ما ورد فيه: "إن القمع البوليسي على مناضلينا في باريس وضواحيها قد تضاعف منذ الأيام الأولى لشهر أوت ذلك أن عمليات التفتيش والمداهمة والضرب التي تنفذها قوات الشرطة الفرنسية من جهة والقوات المساعدة لها من الخونة والحركة من جهة أخرى قد أصبحت كثيفة وشبه دائمة حيث تتم ليلا ونهارا وفي كل ناحية من الشوارع والبيوت والفنادق أمام تشجيع السلطات الحكومية وعدم مبالاة الشعب الفرنسي بذلك، في الوقت الذي كانت فدرالية الجبهة قد أوقفت جميع الأعمال المسلحة لمناضليها الفدائيين منذ فترة، غير أن القمع الفرنسي لم يتوقف ضد المهاجرين".¹

تزايد الإرهاب الفرنسي ضد المهاجرين الجزائريين وظلّت سياسة القمع والتقتيل بجميع أشكالها مستمرة ومتواصلة رغم التزام الفدرالية بسياسة التهدئة وقد اعترف الفرنسيين أنفسهم بذلك، حيث جاء في شهادات لصحفيين وموظفين فرنسيين بأن الأيام الأخيرة لشهر سبتمبر والأيام الأولى لشهر أكتوبر من سنة 1961 قد عرفت تزايدا كبيرا لعدد المفقودين وانتشارا واسعا لجثث الجزائريين التي كن يُعثر عليها طافية فوق القنوات المائية بالعاصمة باريس.²

أكد "كليشي" هذا الموقف وذكر أن العنف ضد الجالية الجزائرية ظل مستمرا طيلة شهر أوت ثم زادت حدته بشكل كبير خلال شهر سبتمبر من سنة 1961، وقال أن المؤرخين الفرنسيين قد سمّوه بالشهر الأسود نظرا للعدد العام من الموتى والجرحى الذين زادت أعدادهم منذ وصول الحركى فيما بين 1960 و 1961 إلى مدينة باريس، ويذكر "كليشي" إحصاء 327 غريق حسب الأرقام التي أوردها "مراد أوصديق" محامي ج.ت.و بناء على الأرقام الموجودة في تقارير المعهد الطبي الشرعي، وقد تم إثبات هذه الإحصائيات من طرف "جان لوك إينودي" "Jean Luc Einaudi" في كتابه "أكتوبر 1961" "Octobre 1961".³

إن استمرار هذه التجاوزات البوليسية ضد أفراد الجالية الجزائرية قد جعلت "غفير" يتنبأ بوقوع حدث هام في المستقبل القريب ذلك أن العديد من مسؤولو الفدرالية في كل المستويات قد طالبوا بضرورة الرد الحازم على تلك الانتهاكات وإيقافها رغم الصعوبات التي سيواجهونها، من خلال تسليح عناصر المجموعات المسلحة والصمود إلى غاية الانتصار السياسي، وذكر موافقة منسق اتحادية فرنسا للجبهة والمكلف بالاتصال بين اللجنة الاتحادية في ألمانيا "كولوني" والولايات الستة للمنظمة في فرنسا "محمدي محمد الصادق" على مقترحات القاعدة ودعمها بقوة من أجل العودة إلى الأعمال العسكرية التي تم إيقافها منذ عدة أشهر، بل وطالب بتعميمها على كامل الأراضي الفرنسية وليس العاصمة فحسب، حيث اقترح

1Mohamed Ghafir, Ma douleur..., op.cit,P93 – 94.

2Emmanuel Blanchard, Algériens et algériennes dans les manifestations ...,op, cit, p10.

3Mohamed Ghafir, Ma douleur..., op.cit,P78.

القيام بعملية كبرى على شاكلة عمليات أوت 1958 وذكر قوله: " نستطيع حرق التراب الفرنسي بكامله لو رخص لنا بذلك، إن الجزائر محترقة فلماذا لا أحرق فرنسا أيضا؟"¹

رفضت قيادة الفدرالية مطالب القاعدة بالعودة إلى الأعمال العسكرية لأسباب سياسية حيث كان هدفها تجنب عرقلة الاتصالات التي كانت بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والحكومة الفرنسية، وهذا ما يؤكد الطابع الإنساني والسلمي للثورة التحريرية كونها تبحث دوما عن الحلول السلمية للقضية الوطنية ورغبتها الملحة في إكمال عملية التفاوض وتجنب إراقة المزيد من الدماء، وكانت قد بينت وأكدت هذه المبادئ في ميثاقها الأول بيان أول نوفمبر 1954.

أكد بيان أول نوفمبر أن قرار الثورة لم يأتي إلا بعد استنفاد الجزائريين لكل السبل السياسية التي تحاشتها فرنسا ولم تستجب لأي مطلب من مطالب الحركة الوطنية، فتمخضت القناعة التامة بأن حق تقرير المصير واسترجاع الحرية المسلوبة لن يتأتى إلا بالكفاح المسلح الذي ترجم فعليا في الفاتح من نوفمبر 1954، وحمل في طياته رغم ذلك نزعة سلمية هدفها الأسمى تصفية النظام الاستعماري وسياسته الكولونيالية وحمل فرنسا على الاعتراف بهذا المبدأ.

لقد حمل بيان أول نوفمبر العديد من القيم والدلالات التي تصبّ إجمالا في المبادئ الإنسانية والأهداف الوطنية، بنظرة وحدوية شاملة كانت من بين الأسباب الرئيسية لتحقيق تضامن استراتيجي ومصري ساعد الثورة على كسب المعركة من خلال كسبها حلفاء جدد من مختلف الدول والقارات، بدء بالأشقاء المغاربة والعرب وصولا إلى باقي الإنسانية في العالم.²

في هذا الإطار كتفت ج.ت.و من نشاطاتها الدبلوماسية لكسب أكبر عدد ممكن من الدول الحليفة خاصة الإفريقية والآسيوية³ وبلدان أمريكا اللاتينية، باعتبار أن القاسم المشترك فيما بينها هو تعرضها للاستعمار ومعاناتها من سياسته الهمجية في كل المجالات، وقد كان لهذه الدول دورا بارزا في مساندة القضية الجزائرية في مختلف المحافل الدولية ودعم حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بهيئة الأمم المتحدة في كل دوراتها، بالإضافة إلى دعم الاتحاد السوفيتي خصوصا في عهد الرئيس "نيكيتا خروتشوف" للمسألة الجزائرية والمطالبة بضرورة الإسراع في تسويتها.⁴

أدركت "ج.ت.و" أهمية التعريف بالقضية الجزائرية والدعاية لها في العالم، فقررت بداية إنشاء الوفد الخارجي، ثم تأسيس مكاتب لها في مختلف الدول بداية بالدول العربية الشقيقة ثم بالدول الصديقة من

1Ibid, P94.

2مسعود خرنان، الوحدة المغاربية من خلال موانيق الثورة الجزائرية، القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة، دار الهدى، الجزائر، 280 . 281.

3مشروع جديد لحل قضية الجزائر، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 47, 07 Aout 1957, Paris, p04.

4Le dossier de FLN a LUNO, l'observateur du moyen -orient et du l'Afrique, 30 Septembre 1960.

آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية، وصولاً إلى الدول الأوروبية التي ركّزت فيها على دول أوروبا الشرقية كونها ذات توجه شيوعي وبالتالي فهي داعمة للحركات التحررية والدول المتاخمة حدودها لفرنسا كونها مناسبة جداً لاتخاذها كقواعد خلفية لتعزيز نشاط ف.ج.ت.و على الأراضي الفرنسية خاصة ما تعلّق بإيواء المناضلين الفارين من ملاحقة الأسلاك الأمنية الفرنسية من جهة وإدخال الأسلحة وتميرها إلى الجزائر عبر بعض الدول العربية.

من هذا المنطلق لم تستسلم "ج.ت.و" وفدراليتها بفرنسا لكثرة العقبات والعراقيل التي واجهتها في دول أوروبا الغربية كونها دولاً مساندة للحكومة الفرنسية ومتضامنة مع قراراتها المتخذة ضد الجزائريين، لذلك اعتدت الجبهة مبدأ السرية التامة حفاظاً على مناضليها من جهة وأصدقائها من تلك الدول من جهة أخرى، ذلك أنهم كانوا محل تهديدات واغتيالات من طرف المخابرات الفرنسية والمنظمات الإرهابية كمنظمة اليد الحمراء التي كثّفت من نشاطاتها الإجرامية في ألمانيا وتسبّبت في اغتيال العديد من المواطنين الألمان من تجار الأسلحة.¹

في ذات السياق وفي إطار المعركة الدبلوماسية التي كانت "ج.ت.و" تخوضها دولياً من أجل التعريف أكثر بالقضية الجزائرية، وتفنيد الأكاذيب الفرنسية وجهودها الجبارة لصرف الأنظار عن حقيقة الأوضاع في الجزائر وإخماد الحركة التحررية للشعب الجزائري، فكّرت الفدرالية في القيام بعملية مثيرة بهدف لفت أنظار العالم نحو الأوضاع المأساوية المفروضة على الجزائريين، نتيجة لاستمرار السياسة الكولونيالية فاهتدت إلى استغلال أكثر لعبة رياضية شعبية في العالم وهي كرة القدم لتحقيق هذا الهدف.

أدركت "ج.ت.و" أهمية الكرة المستديرة والشغف الذي تتميز به في أوساط الفرنسيين، فعملت على إنشاء فريق جزائري ذو مستوى عالي، خصوصاً وأن هناك من الجزائريين من كانوا يمتلكون العديد من المواهب في هذا المجال أمثال "مخلوفي"، "زيتوني"، "بن تيفور" وآخرون وكلهم كانوا نجومًا في كبار الأندية الفرنسية لهذا عملت الفدرالية على استقطابهم كمناضلين جدد في صفوف الثورة، وقد أبدوا موافقة فورية على ذلك، وكانت بداية الخطة هي ضمان خروجهم جميعاً سالمين من التراب الفرنسي دون لفت انتباه السلطات الفرنسية التي كانت تفرض عليهم رقابة لصيقة، وقد نجحوا بإمكانياتهم الخاصة على الانسحاب الجماعي من فرقهم الفرنسية والالتحاق بتونس عن طريق جنيف وروما في 14 أبريل سنة 1958²، موجّهين بذلك ضربة قاسية لم تكن في الحسبان للمحترف الفرنسي.³

اهتزت أجواء الحياة اليومية في فرنسا بعد سماعها بخبر خروج النجوم الجزائرية في كرة القدم وأحدث لها ذلك صدمة لم يسبق لها مثيل، كيف لا وهي قد فقدت أفضل لاعبيها في الوقت الذي كانت

1Nassima Bougherra, les rapports franco-allemands à l'épreuve de la question algérienne 1955 – 1963, Peter Lang, Bern, 2006, p144.

2 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 126 . 127.

3 المجاهد، ع 22، 15 أبريل 1958، ص 10.

تستعد لنهائيات كأس العالم في السويد، في الوقت الذي هدف فيه اللاعبون بأن يكون أثر هذه الهزة خادما للثورة الجزائرية معرّفاً بها أكثر على المستوى الفرنسي والأوروبي والعالمي، تم استقبالهم من طرف المكتب المحلي لـ"ج.ت.و." بتونس تحت مسؤولية "الرائد قاسي"، وتم الاتفاق على تشكيل فريق قوي للجبهة على الأراضي التونسية يشكل سنداً إضافياً في نشر صورة الجزائر عبر العالم، وقد وُفق في إبهار الهواة في البلدان العربية والدول الاشتراكية حيث امتد صيته عالمياً وتفوق على أندية ذات مستويات عالية دولياً وساعد بذلك على إذكاء لمعان الكفاح التحرري الجزائري¹، وكسب مؤيدين جدد له من مختلف الدول والقارات وذلك من خلال مبارياتهم التي خاضوها عبر مختلف أنحاء العالم.²

لطالما واجهت "ج.ت.و." الخيار العسكري بالدعوة إلى السلم وتغليب الخيار الدبلوماسي ومنطق الحوار لحل النزاع بين الطرفين بعيداً عن إراقة المزيد من الدماء، وهو ما تجسّد في دعواتها الصريحة منذ البداية إلى التفاوض سواء في بيان أول نوفمبر أو في ميثاق الصومام، غير أن الطرف الآخر كان دوماً يراهن على الخيار العسكري، وهذا ما أكّده الكثير من ممارساته مثل تزايد النفقات العسكرية ومحاولاته الدعائية لتشويه صورة الثورة التحريرية على أنها حرب دينية أهدافها عنصرية ووسائلها إرهابية.

يمكن القول أن استمرار العنف المسلط على المهاجرين الجزائريين قد أجبر ف.ج.ت.و. على الرد، ورغم ذلك آثرت أن يكون هذا الأخير سلمياً بعيداً عن كل الخيارات العسكرية لهذا دعت إلى تنظيم مظاهرات سلمية حاشدة تتضمن شعارات معبرة عن رفض قرار حظر التجوال دون أي استخدام لأي أنواع من الأسلحة مهما كان نوعها حتى وإن كانت بسيطة، مؤكّدة أن التظاهر السلمي هو السبيل الأمثل للرد على القمع، وللضغط على الحكومة الفرنسية بهدف إرغامها على الدخول في مفاوضات جدية للإسراع في إيجاد حل للقضية الجزائرية.

يمكن أن نستنتج من هذا المنطلق أن وصول التعليمات حول المسيرات السلمية إلى القاعدة الشعبية كان في وقت متأخر حتى أن هناك من المناطق من وصلت إليها في نفس يوم المظاهرات (17 أكتوبر) يندرج في هذا السياق أي إبراز سلمية فدرالية الجبهة من جهة وتحقيق مطالبها بأقل التكاليف من خلال اعتماد الأساليب السلمية والابتعاد قدر الإمكان عن إراقة الدماء من جهة أخرى، إضافة إلى تعزيز مبدأ السرية التامة المعتمد، وتجنّب حدوث أي احتكاك مع الأسلاك الأمنية الفرنسية قد يتحول إلى أعمال قمعية وعنف سيكشف الخطة ويفشل العملية قبل بدايتها.

أكّدت العديد من التقارير التابعة للفدرالية أن التعليمات بالتظاهر قد وصلت إلى القاعدة الشعبية في الساعات الأخيرة ليوم انطلاقها، فقد ورد مثلاً في تقرير للفدرالية كُتب صبيحة انطلاق المظاهرات، ومن

1 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 127 - 128.

2 Meriem Belabed Mouhoub, jeunesse, sports et revendications nationales Algérie 1940 –n 1962, publication du centre national d'études et de recherche sur le mouvement national et la révolution de 1^{er} novembre 1954, Imprimerie Houma, Alger, 2007, p 428 – 429.

بين ما ورد فيه: "نحن علمنا بالمظاهرة من التقارير الفعلية يوم 17 أكتوبر 1961، ونحن نحاول تقديم أقل نظرة عامة كما كان مخططا في البداية حسب التعريف الذي صدر عن تعليماتالولاية الثانية W.2"، ونحن نهتم بمختلف الهيئات المشاركة في العملية اهتماما كبيرا لجمع المعلومات أكبر حتى نتوقع رؤيتها على الفور"¹، كما وردت تعليمات مماثلة في تقارير أخرى جاءت على شكل تذكيرات من القيادة للمناضلين مع المطالبة بضرورة الالتزام بها حرفيا خلال المظاهرات لضمان نجاح هذه الأخيرة وتحقيق أهدافها المسطرة²، وهو ما أكدّه أيضا المجاهد "مسعود شوال" في مقابلة مع الباحثة، حيث ذكر أن تعليمات التظاهر قد وصلت لأفراد الجالية الجزائرية قبل مدة قصيرة جدا من بدء الخروج إلى الشوارع، وكان قد أرسل مناضلين من "ف.ج.ت.و" إلى باريس من مختلف الجهات الفرنسية لنشر رسائل الفدرالية وتلبية نداء الجبهة.³

في المنطقة التي كانت تحت إشراف "كليشي" وصلت إليها التعليمات يوم الخميس 12 أكتوبر على الساعة العاشرة على لسان قائد الولاية "معمّر قاسي" الملقب بـ"موسطاش" فعقد اجتماعا مع "موح كليشي" و"محمد الطاهر" المدعو بدوي، في حديقة صوفيا حيث يقيم المناضل "محمد أوسيايف" إذ كان حارسا للحديقة، وقد كان لهذا الاجتماع أهمية بالغة حيث تم فيه تحليل معمق للتعليمات خصوصا للمظاهر الانضباطية والأمنية المحيطة بالعمل، ثم تمّ الالتزام بتبليغه إلى القاعدة مع المحافظة على السرية التامة، وفي عشية نفس اليوم على الساعة الرابعة بعد الزوال تم ضبط المواعيد لعقد اجتماع قادة المناطق بالنسبة لعمالتي "كليشي" و"بدوي" كل في مقاطعته من أجل التحضير الجيد مع البقاء في حالة الاستنفار.⁴

يفصّل "كليشي" في هذا الحدث فيقول: "بالنسبة لقائدي المنطقتين الواقعتين تحت مسؤوليتي "الطبيي البشير" و"بن حلّمة صالح" المدعو "روجي" عقدنا اجتماعا في "بانيو" ملتقى طرق الشهداء في شقة عائلة "بن عزّة"، أما رفيقي "بدوي" فقد اجتمع مع قادة مناطقه في "بولونيبيانكور" في الوقت نفسه، وبالنسبة للهيكل القاعدية الأخرى تمت برمجة لقاءات من الجمعة 13 إلى الأحد 15 أكتوبر، لهذا فإن تاريخ 17 أكتوبر قد تم تبليغه يوم 15 بسريّة تامة وحسب التعليمات التي تلقيناها المتضمنة إيصالها إلى القاعدة شفويا بدون كتابة، بهدف إحداث المفاجأة عند الشرطة.⁵

في ذات السياق كان "محمد الزواوي" قد أرسل إلى اللجنة الفدرالية مخططا لسير المظاهرات يمر بثلاث مراحل ابتداء من 17 إلى 20 أكتوبر، تكون البداية بمظاهرات للعمال ثم يليها إضراب عام للتجار

1 Octobre 1961 à Paris, B7 D1 1⁸, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger, Le 20.10.1961.

2 Quelques rappels, B7.D1 1¹, des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger, S.D.

3 مسعود شوال، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 09.15 .10.30، 18 فيفري 2019.

4 Mohamed Ghafir, Ma douleur..., op.cit, pp102 -103.

5 Ibid, p103.

في اليومين التاليين، ثم تختم النساء بتنظيمهن مظاهرات في اليوم الرابع رفقة أطفالهن لتجنب القمع البوليسي الفرنسي¹، لتثبت بذلك أن الجزائريين بجميع فئاتهم ملتفين حولها، ومنفذين طائعين لأوامرها.

تضمنت تعليمات اللجنة الاتحادية أيضا عدم مشاركة الإطارات الدائمة ولالية، عمالة، منطقة، ناحية وذلك من أجل المحافظة على الأمن وعلى هيكلية المنظمة السياسية والإدارية، وهذه التعليمات كانت لصالح الإطارات على حد تعبير "كليشي" الذي ذكر أنها أراحتهم كثيرا ومكنت مجموعة هياكلهم من تطبيق ومتابعة التعاليم دون أن تكون مؤطرة، وهكذا فإنهم يبرهنون على التزامهم بالكفاح التحرري في أوساط الهجرة وفي قلب العدو مع ما في ذلك من تضحيات طوعية، ومن هذا المنطلق فإن ضمان نجاح المسيرة السلمية وتفادي أي تجاوزات محتملة فإن الإطارات الصغرى في القاعدة، الخلية، المجموعة، الفوج، القسمة، والقطاع كلها مكلفة بتوجيه المسيرة على أن يكون كل واحد في حي من باريس عينته المنظمة.²

أكد هذا الموقف أيضا المجاهد "أحمد زروال" باعتباره أحد المشاركين في مظاهرات 17 أكتوبر بباريس، وذكر قوله: "في 11 أكتوبر تم الاتصال بنا من كل الدوائر في ليون وفي بقية الولايات الفرنسية فانتقلنا إلى باريس يوم 14 أكتوبر لإقامة المظاهرات بقوة السلاح، لكن عند وصولنا حضرنا اجتماعا كان تحت قيادة "محمد غفير" المدعو (موح كليشي)، وبعد يومين أي في 16 أكتوبر تم إخبار الجميع بالتعليمات الجديدة وهي أن المظاهرات ستكون سلمية ومن دون استعمال أي نوع من السلاح، والهدف هو إقناع الرأي العام الأوروبي والفرنسي والعالمية بأننا لسنا لصوصا ولا متمردين عن القانون بل نحن مناضلين من أجل قضية وطنية شريفة وعادلة، فاستجبنا للمطلب الجبهوي وخرجنا يوم 17 أكتوبر على الساعة السابعة صباحا وسط أمطار غزيرة من كل شوارع باريس رجالا ونساء، رافعين الأعلام الوطنية مرددين شعار "تحيا الجزائر".³

بعد 15 يوما من المظاهرات والجرائم التي سُجّلت فيها، انعقد اجتماع لجنة الولاية الأولى بباريس في "بانيو" في شقة لمناضل بعنوان 1 بحديقة مونتيسكيو في الطابق الثاني وهي شقة تابعة لعائلة "جناس"، وقد تشكلت هذه اللجنة من ثلاثة أشخاص هم "معمر قاسي" المدعو مسطاش كقائد للولاية، "محمد الطاهر لبان" المدعو بدوي كقائد عمالة، و"محمد غفير" المدعو موح كليشي كقائد عمالة أيضا، وكان الهدف من الاجتماع تجليل كل وضعية المنظمة بعد المجازر الرهيبة التي شهدتها المظاهرات والتي نتج عنها مئات الأموات والمفقودين وآلاف الاعتقالات، ودراسة التقارير المقدمة من القاعدة النضالية، إضافة إلى وضع حصيلة شاملة للجنة الاتحادية وذلك بتحليل كل المظاهر التنظيمية والسياسية والمالية وحتى النفسانية للمناضلين.⁴

1House et Macmaster, op.cit, p149.

2 Mohamed Ghafir, Ma douleur..., op.cit,Pp,103 – 104.

3 أحمد زروال، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00 . 11.15، 10 أكتوبر 2018.

4Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit, p211.

بدأ الاجتماع على الساعة 10 صباحا غير أن الشرطة الفرنسية تمكّنت من رصده بعد أربع ساعات فقط من بداية أشغاله فداهمت الموقع لإلقاء القبض على الحاضرين فيه والذين بدورهم كانوا أكثر استعدادا فنجحوا في الفرار، وهذا ما أكدّه "كليشي" الذي كان شاهد عيان عن ما جرى فيه من أحداث حيث ذكر: "تفاجئنا على الساعة الثانية بعد الزوال بسماع طرق للباب بكيفية غير عادية فتأكدنا أن قوة وخشونة الطرق كان من قبل العناصر البوليسية، وفي ثوان قررنا تقطيع ماكان لدينا من أوراق وتقارير وقفزنا الواحد تلو الآخر من نافذة مؤدية إلى ربوة صغيرة آخذين في ذلك كل المخاطر وأخذ كل واحد منا اتجاها مختلفا، وقد دفعت عائلة جناس ثمن ذلك حيث اعتقلت الزوجة والأولاد لثلاثة أيام في محافظة شرطة "بانيو" "Bagneux" وقضوا فيها ثلاثة أيام قبل أن يتم تسريحهم في حين بقي الزوج معتقلا إلى غاية الاستقلال".¹

بيّن المصير الذي لقيه هذا الزوج مدى القهر والظلم الذي كان يتعرض له كل من تسوّل له نفسه مساعدة الجزائريين حتى وإن كان فرنسيا، غير أن هؤلاء المتضامنين قد عبّروا من مساندتهم للثورة التحريرية عن صدق نواياهم حين قدموا الكثير من الجهود الميدانية ذات الفعالية مثل إخفاء المناضلين وجمع التبرعات، والدعاية الإعلامية للتعريف بالقضية الجزائرية وغيرها من الأعمال والمهام التي نهضت بها أعداد كبيرة منهم، ورغم كل الملاحقات والضغطات والتهديدات المستلطة عليهم ظل موقفهم ثابتا واستنكارهم لتجاوزات ووحشية سياسة بلادهم ضد الجزائريين مستمرا.

لم يمنع هذا الفرار من نجاح الاكتتاب الذي تم تنظيمه في المنطقة الكبرى بمناسبة الذكرى السابعة لاندلاع الثورة التحريرية، فقد تم جمع 32 829 850 فرنك فرنسي سددها 15062 مهاجر جزائري رغم تسجيل 894 تأخر حسب "كليشي" بسبب كثرة الاعتقالات في صفوفهم حيث كان معظمهم في المحتشدات ومراكز التحقيق وحتى المستشفيات من جراء ما سلط عليهم من عنف في القمع البوليسي، كما فقد العشرات من المناضلين الاتصالات فيما بينهم بعد توقيف العديد من الإطارات، إلا أن هذا الاجتماع يبقى تاريخا مهما ويوما تذكاريّا يعتز به، وهذا ما بيّنه بقوله: "لولا كل تلك الصعوبات لكان بوسع المساهمة أن تكون كاملة، ربما خسرنا مليوناً أو مليونين ولكن الانتصار السياسي للاجتماع كانت له قيمة لا يمكن حسابانها".²

أثناء التحضير للمظاهرات السلمية ضد قانون حظر التجوال الذي فرضه "بابون" يذكر "كليشي" أن الأعمال كانت صعبة للغاية والمسؤولية كانت ثقيلة خصوصا خلال الستة أيام التي سبقت المظاهرات والتي لم تتوقف فيها القاعدة النضالية من السعي في الخلايا والمجموعات والفروع والقسمات والقطاعات، لاسيما أن التعليم بالتظاهر لم تصل إلى القاعدة سوى يوم 14 وفي مناطق أخرى 17 أكتوبر ما صعب المهمة

1 Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit.Pp212 – 213.

2 Mohamed Ghafir, Ma douleur..., op.cit, Pp86 – 87.

للإطارات والمناضلين، ورغم ذلك نجحت المظاهرات في تحقيق أهدافها وهو ما يؤكد قوة جبهة التحرير في حضان الهجرة على التراب الفرنسي.¹

لم تثنى هذه الصعوبات والعراقيل بما فيها تجمعات الشرطة وقوات الأمن الفرنسي المهاجرين الجزائريين في باريس من الخروج للتظاهر السلمي وتنفيذ أوامر ف.ج.ت.و، بل تحدّوا الظروف وخرجوا ابتداء من الساعة الثامنة والنصف ليلا من كل أحيائهم الفقيرة التي كانت تملأ ضواحي العاصمة الفرنسية، متّجهين إلى قلب باريس في جموع غفيرة ومظاهرات سلمية كبيرة²، ترجمت قوة التفافهم بالثورة وشدة التزامهم بمبادئها وعلى رأسها استرجاع السيادة الوطنية بكل السبل ومهما كانت التضحيات.

هكذا ظل "موح كليشي" وعلى غرار بقية المهاجرين بفرنسا يناضل بكل طاقته لإعادة الاعتبار للقيم الوطنية التي دّسها الاستعمار ومنظومته القمعية في مهد الهيمنة الديكتاتورية، بعد أن صار في قلب النفق وارتقى في وطيس معركة غير متكافئة، سلاحه فيها الثبات والإصرار على مجابهة القوة الاستعمارية وزرع الخوف والارتباك داخل أرض العدو، وكله أمل في إنهاء معاناة شعبه حتى وإن كلفه ذلك أوجاعه وزهرة شبابه.

المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال وإسهاماته في واجب الذاكرة

1. دوره خلال المرحلة الانتقالية غداة الاستقلال

بعد توقيع اتفاقيات إيفيان والاتفاق على وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962، شارك "موح كليشي" في المرحلة الانتقالية التي سبقت استفتاء تقرير المصير، حيث عينته المنظمة يوم 20 جوان من السنة نفسها عضوا في لجنة مراقبة الاستفتاء الذي كان عليه أن يقع في فرنسا بالنسبة للمهاجرين يوم الأول من جويلية، وقد تكونت هذه اللجنة من إطارات في ج.ت.و. تحت إشراف الجهاز التنفيذي المؤقت في الجزائر والذي يمثله "عبد اللطيف رحال" المكلف باللجنة المركزية في فرنسا.³

شارك "كليشي" أيضا في الإشراف على اختيار 25 طبيبا مناضلا ومتطوعا تم إرسالهم إلى الجزائر للمساعدة في التكفل بالجرحى ضحايا العمليات الوحشية التي ارتكبتها عناصر منظمة الجيش السري الإرهابية "L'OAS" بطلب من الجهاز التنفيذي في الجزائر يوم 25 جوان 1962، وكان هؤلاء الأطباء مهيكلين في مجموعة المثقفين في عمالته "المنطقة الكبرى" بباريس وضواحيها.⁴

رغب أغلب المهاجرين في العودة إلى الجزائر بعد استعادة الاستقلال، من أجل الاحتفال بالاستقلال والإقامة في بلادهم التي هُجّروا أو هاجروا منها مُرغمين منذ سنوات وعقود طويلة، وفي تلك المرحلة الانتقالية بين وقف إطلاق النار والاستقلال تم تنظيم ملتقيات تكوينية من طرف الفدرالية في كل من

1 Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Pari..., op.cit,P102.

2 Pouillot Henri, op.cit, p107.

3 Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Pari..., op.cit, P53.

4 Ibid, pp53-54.

باريس، ليون ومارسيليا، للتأكد من التكوين السياسي للإطارات، وقد جرت أشغال تلك الملتقيات في محلات الكنفدرالية العامة للشغل، والكنفدرالية الفرنسية للعمال الكاثوليكين، وبمشاركة الكثير من المناضلين والطلبة، وفي نهاية الملتقى وتشجيعاً لهم على تسجيل أقصى ما يمكن من نقاط كان المشاركون مدعوون لتقديم تقرير حول الدروس المقدّمة.¹

بطلب من الجهاز التنفيذي المؤقت للمحافظة على النظام والأمن، رافق "غفير" 500 متطوع من الفدائيين والمناضلين وقع اختيارهم في الولايتين الأولى والثانية وإرسالهم من باريس إلى الجزائر يوم 28 جوان 1962، وقد ساعده في تلك الرحلة كل من زميله في الكفاح "البشير الطيبي" الذي كان قائدا للمنطقة 121 بفرنسا وكذا "رزقي قاضي" الذي كان بدوره قائدا للمجموعة المسلحة، وقد تم إيصال المتطوعين من مرسيليا إلى مدينة الجزائر وتم استقبالهم ببرج البحري من طرف ضابط في جيش التحرير الوطني وممثل الجهاز التنفيذي المؤقت "محمد خميسي"، وكانوا يحملون اسم عون مؤقت للمناسبة "ATO" وقاموا بمسار في المصالح الأمنية حيث أنهوا أعمالهم فيما بعد كضباط سامين في المديرية العامة للأمن الوطني.² بعد تنظيم الأمور داخل الوطن عاد المجاهد "كليشي" من جديد إلى الأراضي الفرنسية للإشراف على احتفالات الجالية الجزائرية هناك بفرحة الاستقلال التي طال انتظارها، وبمجرد الإعلان الرسمي عنه في 5 جويلية 1962 في كل الولايات المهيكلة في اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا تم تعيين كل مسؤول دائم لتنسيق هذه التظاهرة في كل منطقة، ويذكر في هذا الصدد قوله: "بالنسبة لي ترأسْتُ الاحتفال في كل من "شوازي لورو" "Choisy - Le-Roi" وما جاورها حيث كانت تقطن مجموعة لا بأس بها من الجزائريين، مع مساهمة السلطات المحلية التي كانت شيوعية والذين تم استدعاؤهم حول كسكس لديد وغيرها من الأطباق التقليدية الجزائرية، وفي اليوم نفسه تم تنظيم حفل استقبال في قاعة "جانفليي أسنار" "Gennevilliers- Asnieres" في شارع "لاغريزون" "Grésillons" من طرف منسق ولاية باريس³، بحضور مجموعة إطارات الاتحادية والضيوف الفرنسيين المحبين لجبهة التحرير وأعضاء بلدية "جانفليي" والمناطق المجاورة لها.⁴

تحدث المجاهد والمناضل في "ف.ج.ت.و" بفرنسا "أحمد دوم" بدوه عن الاحتفالات الشعبية العارمة التي أقامتها الجالية الجزائرية هناك احتفالاً بالاستقلال واسترجاع الحرية فذكر أنه: "في يومي 05 و06 جويلية 1962 تمّ تنشيط حفل كبير دون انقطاع في جميع الأحياء ذات التمرکز الجزائري في قاعات مهياة، بالغناء والرقص إلى مطلع الصباح في جو احتفالي لم يسبق له نظير، جرت أكبر الاحتفالات في أوبريفيليي حيث شد أوركسترا القاعة في حالة انجذاب وانتشاء إلى غاية الفجر، وكان الكسكسي والمشوي

1 دوم، مصدر سابق، ص 259.

2Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Pari..., op.cit, P54.

³ أنظر الملحق رقم 18.

4Ibid, Pp54 - 55.

يقدمان بسخاء في كل مكان، كما حجزت الفدرالية فندق كانتوننتال لتنظيم حفل على شرف السلك الدبلوماسي المعتمد، سفراء، قناصل، رجال سياسة، وشخصيات علمية وأدبية... لكن وبسبب تهديدات منظمة الجيش السري بتفجير الفندق ألغي الاستقبال والحفل، لكن ورغم كل تلك التخويفات والتهديدات التي زادت من صيتها الصحافة الفرنسية إلا أنهم لم يتوصلوا إلى تعكير سعادة الجالية الجزائرية في فرنسا باسترجاع الحرية والاستقلال.¹

كانت هذه المنظمة قد تمكنت بأعمالها التخريبية من إسماع صوتها الرافض للمفاوضات، فقد نفذت مائة وخمسين عملية بين 20 ماي و08 جوان 1961 وكان من أبرز ضحاياها المحافظ المركزي "غافوري" في 31 ماي 1961 الذي مكلفا بمتابعة ملف المنظمة الجيش السري بالعاصمة، كما نفذت في هذه الفترة أيضا حوالي مائتي تفجير²، وسقط أزيد من 200 قتيل برشاشاتها في يوم واحد بالعاصمة الجزائرية في 26 مارس 1962³، غير أن الرئيس الفرنسي "ديغول" أكد أن كل مساعي هؤلاء المتمردين لانتهاك الالتزامات التي تمّ التعهد بها للجزائريين من جهة وللجيش أيضا من جهة أخرى سيكون مصيرها الفشل المحتوم، لأن قرار التفاوض السياسي مع الجبهة أصبح ضرورة لا مفر منها.⁴

لم تنني جرائم المنظمة السرية ولا جرائم السلطات الفرنسية وسياساتها التخويفية الجزائريين عن التمسك بهدفهم والمضي قدما لتحقيق استقلال بلادهم مهما كانت التضحيات، وأيا كانت السبل المعتمدة من طرف العدو لعرقله مساهمهم التحرري، بل أثبتت التقارير الصادرة في السنوات الأخيرة من الثورة أن إرادة الشعب الجزائري لم تتغير ولم تتأثر بمضاعفة القوات الفرنسية لعتادها العسكري وسياستها الجهنمية داخليا وخارجيا لفصله عن الثورة، بل ظل ملتفا حول هذه الأخيرة بمعنويات مرتفعة⁵ على مختلف الأصعدة السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية والثقافية⁶ خصوصا في السنوات الأخيرة للحرب التي كانت صعبة جدا نظرا لتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي وتزايد قمع آلة الحرب الفرنسية⁷، ضاربا بذلك مثلا حيا في قوة التحدي والصمود حتى النهاية التضحية بكل غال وثمان من أجل الجزائر.

1 دوم، مصدر سابق، ص 260.

2 دحمان تواتي، منظمة الجيش السري ونهاية الإرهاب الاستعماري الفرنسي في الجزائر 1961 . 1962، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 307.

3 مسعود عثمان، الثورة الجزائرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 721.

4 Le sens des pleins pouvoirs pas d'abandon en Algérie par notre correspondant spécial l'observateur du moyen -orient et du l'Afrique, 05 Janvier 1960, pp09- 10.

5 تقرير عام عن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري، وثيقة رقم 1538، 1959/11/03، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر.

6 أنظر الملحق رقم 19.

7 تقرير عن تدهور الأوضاع في الجزائر، القسمة 70، في جوان 1960، الوثيقة 1008، 12.08 جوان 1960، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر.

لم تقتصر المنظمة في عملياتها التخريبية على الجزائر فحسب بل شملت أيضا الجالية الجزائرية بفرنسا، وقد أورد أحد المهاجرين الجزائريين وهو "إبراهيم التيجاني" الذي كان يقطن في شارع "لا غارين" 100 بمدينة "نانتير" "La Garenne 100 à Nanterre" يوم 14 مارس سنة 1962، ما تعرض له ورفاقه وما شهدته من الأعمال التخريبية للمنظمة واعتداءاتها الوحشية والمتكررة عليهم، فذكر انه كان شاهدا على عملية اعتداء لعناصر المنظمة السرية عليه في محل البقالة الخاص به وذكر قوله: "في نفس اليوم رأيت سيارة زرقاء تحمل عناصر من المنظمة السرية بزي مدني، هجموا علينا في وطلبوا منا رفع أيدينا إلى الأعلى، ثم سرقوا من أحد الحاضرين حقيبة نقوده، وعندما لم يجدوا ما يبحثون عنه رموها في بقلتي في الأرض، وعند ابتعادهم عنا قليلا اتصلت مع رفيقي بشرطة مدينة "نانتير" وأعطيناها كل التفاصيل عنهم ليسهل القبض عليهم".¹

استمرت هذه المنظمة في تنفيذ أعمالها الإجرامية حيث قامت يوم 10 ماي 1962 بتنفيذ ما أطلق عليه اسم "عملية فاطمة" حين قامت باغتيال عدد من النساء الجزائريات العاملات في البيوت الأوروبية وهن في طريقهن إلى العمل صباحا²، وبعد أقل من شهر قامت بإحراق المكتبة الجامعية بمدينة الجزائر يوم 07 جوان 1962 وإتلاف كل ما كانت تحتويه من كتب قيمة ووثائق مهمة³، كما دمرت بلدية وبريد الأيبار وجناح من ولاية الجزائر والعديد من المتوسطات⁴، إضافة إلى ما قام به أحد مؤسسيها وهو "جان كلود بيريز" "Jean Claude Brize" الذي أقام قاعة سرية تحت عيادته بباب الواد للتشكيل بالجزائريين وتعذيبهم بوسائل وحشية يندى لها الجبين فقد عثرت الشرطة بعد اكتشاف القاعة جثتين مغطستين في مادة الأسيد سولفيريك السامة.⁵

لم تبق "ج.ت.و" مكتوفة الأيدي وفي موقف المتفرج على بشاعة وجرائم منظمة الجيش السري وتصعيد العنف ضد الآلاف من الجزائريين، بل تصدّت لها وقررت تدميرها⁶، حتى وإن اضطرت لاستخدام الأساليب العسكرية لاسيما في المدن الكبرى التي كانت المنظمة تسعى لإفراغها من الجزائريين، كما أعطت أوامر صارمة لتجنّب الوقوع في فخ استفزازات هذه المنظمة⁷، وتوخي الحيطة والحذر من أعمالها الإرهابية،

1 L'OAS en France, B3 D1 2⁴, Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger, le 14.03. 1962.

2 كريم مقنوش، جرائم المنظمة المسلحة السرية OAS في الجزائر، مجلة المصادر، ع09، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة الفاتح نوفمبر 1954، الجزائر، جوان 2004، ص 24.

3 رضا مالك، الجزائر في إيفيان المفاوضات السرية 1956 . 1962، تر: فارس مغضوب، دار الفرائي، لبنان، 2003، ص 322.

4 تواتي، مرجع سابق، ص 336 . 337.

5 محمد شرقي، أبرز القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية 1954 . 1962 دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005 . 2006، ص 358.

6 تواتي، مرجع سابق، ص 379.

7 مقنوش، مرجع سابق، ص 25.

والحرص على تأمين تحركاتهم وإبلاغهم بكل ما يصلهم من معلومات عن نشاط هذه المنظمة ومؤامراتها ضد الجزائر¹، حيث ورد في بعض المناشير التي قامت بتوزيعها في العاصمة: "إن الساعات التي نعيشها مثيرة وحاسمة وأملنا المشترك في الحرية والاستقلال أصبح اليوم حقيقة واضحة لا تقهر وأذئاب الفاشية أصبحوا الآن منهزمين وكل ما يقومون به من تخريب راجع عليهم".²

ومن جهتها باشرت السلطات الفرنسية تطبيق إجراءات صارمة ضد عناصر المنظمة السرية منها القيام بحملات تفتيش واسعة وملاحقة كل المتواطئين معها بتضييق الخناق عليهم والتأكيد لهم بأن لا أمل لهم في النجاح، وأن عليهم التوقف عن الأعمال الإرهابية والتكيف مع الوضع الجديد الذي فرضته ج.ت.و. حتى وإن لم يكن في صالحهم وهو إما البقاء في الجزائر كمواطنين جزائريين وإما الرحيل والعودة إلى فرنسا، وكانت النتيجة أن غادرت الأغلبية الساحقة بما فيهم زعماء المنظمة السرية بعد أن أعلنوا يوم 23 جوان 1962 عن الفرار لكل من استطاع إليه سبيلا.

وهذا ما يدل على أنه كان هناك تنسيق بين الحكومة الفرنسية والهيئة التنفيذية المؤقتة في الجزائر بخصوص سبل القضاء على مسؤولي وأعضاء المنظمة السرية، ووضع حد لأعمالها الإرهابية التي لم تستثني أحدا سواء في فرنسا أو في الجزائر، بعد تأكدت من ضياع هذه الأخيرة من أيديهم وتواطؤ فرنسا حسب اعتقادهم في ضياعها وتخليها عنهم رغم كل ما قدموه لها من توضيحات، وهذا ما كشفت عنه زيارة السيد "عبد الرحمن فارس" إلى باريس منذ 04 ماي سنة 1962 وعقده لقاءات مع الرئيس الفرنسي ووزير خارجيته لبحث سبل التعاون بين البلدين من أجل التعجيل في القضاء على "L'OAS" ووضع حد لاستمرار عملياتها التصعيدية والانتقامية.³

استطاعت "ج.ت.و." بإستراتيجيتها الدقيقة ضرب المنظمة العسكرية في العمق وتخليص الجزائريين من شرها، حيث نجحت في إزالة الستار على وجوه مؤسسيها الغلاة وكشفت حقيقة نواياهم الخبيثة حتى أمام عناصرها ومؤيديها من المستوطنين الذين أصابهم اليأس من نجاحها في تحقيق مطالبهم المستحيلة بالبقاء في الجزائر، وهكذا كانت نهاية المنظمة باستسلام قادتها حين لم يجدوا الدعم لا من الرأي العام الفرنسي ولا من وحدات الجيش التي كانت في الجزائر، فألقي القبض على أهم عناصرها على غرار "جوهر" في 25 مارس 1962، و"دغالدر" في 07 أبريل و"سالان" في 02 أبريل من السنة نفسها.⁴

مثل استسلام المنظمة السرية والقضاء على رؤوسها دليلا آخر على نجاح الثورة التحريرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، والتأكيد مرة أخرى أن لا وجود لأسطورة الجزائر الفرنسية التي لطالما دافع

1فتحى الذيب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي، ط2، القاهرة، 1990، ص 530.

2مقنوش، مرجع سابق، ص28.

3 Pierre Arnold, M. Fares a Paris le dorage du dispositif, L'observateur du moyen- Orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p04.

4مقنوش، مرجع سابق، ص30.

عنها غلاة المستعمرين الفرنسيين والمستوطنين الأوروبيين طيلة فترة احتلالهم للجزائر، وبرهنت أن ما بُني على باطل وأُخذ بالقوة والقهر سيكون مصيره المحتوم الفشل في البر والبحر، وأنه مهما طال الظلم والشر فالخير لا محالة في النهاية منتصر، وأن لاشريعة لحكم جائر ولا معرقل لإرادة شعب ثائر.

حضر المجاهد "غفير" أيضا ملتقى الإطارات الدائمة لاتحادية فرنسا لجهة التحرير الوطني في المركز الدولي "La rochette Melun" والذي تم تنظيمه من قبل "محمد بوضياف" و"صالح بوبنيدر" من 10 إلى 15 جويلية 1962 وقد تمت فيه مناقشة الوضعية الغامضة التي كانت تشغل بال الجميع بسبب الصراع الذي كان بين الحكومة المؤقتة وأركان الجيش بهدف الاستيلاء على السلطة، حيث أخبر "بوضياف" و"بوبنيدر" الجميع بهذا الصراع وتطورات الخطيرة التي كانت تهدد مستقبل الجزائر ما أثار انفعال البعض وصدمة آخرين من ما آل إليه الوضع وهذا ما ذكره "كليشي" عندما وصف ردة فعل رفيقه في الكفاح وهو السيد "عبد القادر بلحاج" الذي لم يستطع توقيف دموعه من شدة الغضب وقال بصوت منكسر ومخنوق ومتشنج والدموع لا تكاد تنقطع مع شهيق متواصل عبارة ثقيلة بأن الساعة خطيرة ولا تبشر بالخير.¹

أشارت جريدة "L'observateur du moyen- Orient et du l'Afrique" الفرنسية إلى تفاقم هذا الصراع ومطالب "UGUMA" و"UGTA" وإطارات "ف.ج.ت.و" بفرنسا إلى تكثيف الجهود التنسيقية لوضع حد لمعاناة الشعب الجزائري الذي خاض حربا لأكثر من سبع سنوات من أجل الحرية ليجد نفسه قد دخل في دوامة من العنف لكن هذه المرة بين رفقاء الكفاح، ونادوا بضرورة إصلاح الأوضاع وإعادة الوحدة من جديد بهدف معالجة المشاكل الخطيرة التي ستنتج عن تفاقم هذا الصراع²، وضرورة بناء جزائر فتية وجديدة تضم جميع أبنائها داخل الوطن وخارجه مع إعادة اللاجئين منهم في البلدان المجاورة³ لمنحهم جميعا فرصة المساهمة في معركة البناء والتشييد.

تفاقم الصراع بين إخوة الكفاح بالأمس القريب ما دفع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى حل نفسها بعد أن تخلى عنها العديد من الأعضاء، بعد أن أعلن رئيسها "بن خدة" عن الصيغة المختصرة "سبع سنين بركات من إراقة الدماء"، وقد ترجم هذا الشعار مشاعر شعب وصل إلى أقصى حدود الإرهاق على حد تعبير "بوداود"⁴، وقد تداول هذا الشعار من طرف الجماهير الجزائرية على شكل واسع، والأمر نفسه اتخذته اتحادية فرنسا لجهة التحرير الوطني التي أوقفت نشاطاتها منذ نهاية أوت 1962 ثم بصفة رسمية

1 محمد غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30 . 11.30، 22 نوفمبر 2022.

2 La crise entre dirigeants FLN les serveurs jugements de la "BASE", L'Observateur moyen orient- et du l'Afrique, 27 Juillet 1962, p12.

3 أنظر الملحق رقم 20.

4 بوداود، خمس سنوات على رأس الفدرالية...، مصدر سابق، ص 237.

في سبتمبر 1962 بواسطة المكتب السياسي للجهة والمجلس الوطني، وفي أكتوبر تم حلها بشكل نهائي.¹

2. إسهاماته في حفظ الذاكرة الوطنية:

ساهم بعد استقلال الجزائر في بناء وتشيد بلاده كموظف وإطار مسير في مناصب مسؤولية منها مفتش عمل في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية مع رفيقه في الكفاح بفرنسا "بشير بومعزة" سنة 1963، ثم متصرف إداري في وزارة إعادة البناء التي سورها "محمد بومنجل" سنة 1965، وفي سنة 1968 أصبح عضوا في اللجنة التنظيمية للمكتب السياسي للجهة التحرير الوطني مع "قايد أحمد" المدعو "سي سليمان"، وفي الفترة ما بين 1969 و1972 أصبح إطارا ضمن الفريق المسير لتعاونية "كوييماد" "coopemad-BTP" التي عوضت تعاونية الشبان للبناء، ولم يتوقف عن خدمة وطنه حتى بعد حصوله على التقاعد سنة 1988 وعمره 54 سنة.²

ظلّ ينشط بكثير من الطاقة والشغف في معركة الذاكرة ضد النسيان من خلال تقديم شهاداته الحية والتمينة لكل المهتمين والباحثين في التاريخ الجزائري المعاصر، خاصة ما تعلق بنضال الجالية الجزائرية بفرنسا.

من أهم إنجازات المناضل في هذا السياق اهتمامه بإحياء ملف الشهيدة "فطيمة بدار"، وهي من مواليد بجاية بتاريخ 05 أوت 1946 لعائلة متواضعة، هاجرت رفقة والدتها وعمرها لم يتجاوز الخمس سنوات إلى فرنسا للالتحاق بوالدها الذي كان قد هاجر قبلهم من أجل العمل، وكان يشتغل عاملا بسيطا في غاز فرنسا وقد كانت له مشاركة في الحرب العالمية الثانية إلى جانب فرنسا ضد الألمان، ورغم ذلك لم تشفع له التضحيات التي قدّمها حيث ظلت حالته المعيشية صعبة ومتدهورة، سكنت عائلته بداية في مدينة "سارسيل" "Sarcelles" ثم استقرت فيما بعد في مدينة "ستانس - ساندوني" "Stains-Saint Denis".³

شهدت مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وعمرها لا يتجاوز 15 سنة، حيث لم تهتم لأوامر والديها بالعودة السريعة إلى البيت إثر انتهاء دوامها الدراسي في المتوسطة التجارية الصناعية للإناث في نهج "بوشري" "Boucheries" في "سطينس" "Stains"، وأرادت أن تبرز مثل باقي المهاجرين الجزائريين ارتباطها بالقضية الوطنية والحرية، ف اتخذت قرار المشاركة في تلبية نداء "ف.ج.ت.و" ⁴ للتظاهر السلمي ضد استمرار سياسة العصا الغليظة والاعتقال بالإغراق وعمليات الملاحقة العنصرية، وتزايد القمع المفرط و التجاوزات التعسفية ضد أفراد الجالية الجزائرية⁵، ومنذ خروجها من المتوسطة لم يظهر لها أثر ولا خبر ما

1 نفسه، ص 239.

2 Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Pari..., op.cit, Pp33 – 34.

3 Mohamed Ghafir, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Pari..., op.cit, p 181.

4Ibid, p181.

5 Haroun, la 7^{eme} wilaya..., op, cit, p 359.

جعل أبوها يخرج كل صباح منهارا للبحث عنها، غير أنه لم يعثر سوى عن محفظتها، ولم تظهر جثتها إلا بعد مرور أسبوعين من انتهاء المظاهرات وذلك في 31 أكتوبر حيث عثر عليها غارقة في قناة "سطينس"، من طرف عمال التنظيف فتحات سد هذه القناة وكان جسدها ملتصقا بشبكة التوربين.¹

روى "كليشي" تفاصيل العثور على جثة الشهيذة "بدار" وذكر أنه في البداية لم يتمكنوا من التعرف عليها بسبب أن الجثة كانت متحللة وفي مرحلة متقدمة من التعفن، ونظرا إلى أن والدها كان قد أودع شكاوي وتصريح عن ضياعها لدى مختلف المصالح الأمنية فقد اتصلت هذه الأخيرة به لعله يتمكن من تمييزها، وهذا ما حدث بالفعل إذ أنه وبمجرد وصوله إلى القناة استطاع التعرف على خصلات شعرها وأجزاء من ثيابها بقيت صامدة في الماء، ولولا ذلك ما استطاع أحد التعرف عليها لاختفاء ملامحها كليا، ثم نُقلت إلى مقبرة "سطينس" ودفنت هناك.²

تدخل "كليشي" بعد الاستقلال لدى عمدتي "كليشي" "Clichy" و"أنيار" "Asnières" من أجل تشريف ذاكرة الشهيذة بمناسبة الذكرى الـ 48 لمظاهرات 17 أكتوبر 1961، وكان قد طالب بنقل بقايا جثمانها إلى الجزائر سنة 2006 في مثل يوم استشهادها (17 أكتوبر) ليعاد دفنها في مربع الشهداء بمسقط رأسها في "تيشي" "Tichy" بولاية بجاية، وكل ذلك تم على حساب المجاهد الخاص حيث يعود له الفضل في إحياء ملف الشهيذة ثم إقناع السلطات الجزائرية والفرنسية بتحويل جثمانها إلى بلدها الذي ضحت من أجله، وبعد حصوله على الموافقة دفع من ماله الخاص لإكمال تكاليف عملية النقل والدفن، لئلا تدفن أخيرا في أرض أجدادها المسقية بدم إخوانها الشهداء.

ذكر المناضل تفاصيل هذه الملحمة الحماسية التي ترجمت إصراره المشهود للتغلب على تراخي ولا مبالاة بعض الإدارات في سلطة القرار بقوله: "دامت هذه التحركات خمسة أشهر كاملة ما بين باريس وتيشي ومدين والجزائر لإنجاز هذا العمل الذي ظل يشد اهتمامي بشكل كبير كونها المرأة الوحيدة التي رُميت في قناة ساندوني يوم 17 أكتوبر 1961... إن هذا التحرك الطويل قد أتى أكله في الأخير، وصراحة لم تلبى أية سلطة تدخلاتي وكتاباتي المستمرة، إلى أن التزمت بلديتي "تيشي" و"سطينس" بعد اتفاقها على تسليم بقايا جثمانها وإعادة دفنها إلى جانب أمها المتوفية سنة 2003، وتحققت بذلك أمنية عائلتها خاصة والدها المقعد منذ سنوات.⁴

استمر نضال المجاهد "كليشي" وتقديم إسهامات معتبرة ومميزة في واجب حفظ الذاكرة الوطنية، حيث ظل يشغل دون هوادة فلم تنه لا حالته الصحية المتدهورة، ولا كبر سنّه، عن مواصلة مسيرة النضال الوطني ولم يتوقف إطلاقا عن المساهمة عبر اللقاءات والمحاضرات المتبوعة بنقاشات منظمة من قبل

1Ghafir, cinquantaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit, pp 181 - 182.

2غفير (موج كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30. 11.30، 22 نوفمبر 2022.

3Ghafir, cinquantaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit, p182.

4Ghafir, cinquantaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit, p 190.

مختلف المؤسسات الوطنية والأجنبية (الفرنسية، الكندية... الخ)، بما فيها الجامعات والمعاهد والمراكز الثقافية وحتى الثانويات والمتوسّطات والمراكز التكوينية وكذا المتاحف ونوادي المراكز الثقافية، بالإضافة إلى القنوات الإذاعية والتلفزية وجرائد الصحافة المكتوبة، فكان ولا يزال يلبي كل الدعوات دون أن ييخل بأي جهد.

يؤكد المجاهد دوما في لقاءاته مع الطلبة في المعاهد والجامعات ومع التلاميذ في المتوسّطات والثانويات على مستوى مختلف ربوع الوطن، على ضرورة حفظ وصون أمانة الشهداء والمُضني قدما في تحقيق الرقي والازدهار للجزائر المستقلة التي ضحّوا بالغالي والنفيس من أجلها، فإذا كان جيل الثورة قد نجح بعد تضحيات كبيرة وضريبة كبيرة من الشهداء في معركة التحرير وتمكّن من استرجاع السيادة الوطنية، فإن جيل الاستقلال عليه مواصلة معركة البناء والتشييد بكل ما يملك من قوة في جميع المجالات والميادين، كما عليه الحرص أيضا على إيصال هذا الوطن إلى أعلى المستويات من التطور ومواجهة كل العراقيل والصعوبات خاصة وأن العالم المعاصر يعيش في ظل الرهانات والتحديات.

سلّط محمد غفير الضوء على جزء كبير من الأحداث التي عرفتها الثورة التحريرية في فرنسا وسط الجالية الجزائرية خاصة ما تعلق بأحداث 17 أكتوبر 1961 المأساوية، وذلك من خلال مؤلفاته وكتبه من جهة وشهاداته الحية من جهة أخرى فكانت بذلك إسهامات حقيقية في كشف الستار عن العديد من الوقائع التي ظلّت إلى عد قريب مجهولة لدى القراء والمهتمين بالتاريخ الجزائري المعاصر، كما تعتبر شهاداته إضافة حقيقية في الميدان التاريخي كونها صادرة من مجاهد عايش الأحداث بتفاصيلها حيث كان ينشط بمقاطعة كليشي وعلى اتصال بمناضلي الفدرالية والمهاجرين الجزائريين.

إن حرص المجاهد "غفير" على الإدلاء بشهادته ونقلها للأجيال الصاعدة نابع من إيمانه القوي بضرورة المحافظة على ذاكرة الأمة الجزائرية وإطلاع الجيل الصاعد بحجم التضحيات التي قدمها أجدادهم حتى لا تكون في طي النسيان فيزيد بذلك تعلقهم بهذا الوطن ومواصلة مسيرة البناء والتشييد.

أن شخصية "موح كليشي" تتميز بالوطنية الصادقة والإيمان الراسخ بانتصار القضية الجزائرية رغم كل ما تعرض له من معاناة بسبب كثرة المصاعب والعراقيل التي اعترضت مسيرته النضالية، فكان مناضلا بحق أظهر على غرار باقي مناضلي فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا حكمة وتفان وصمودا وإتقان، وحقّق بذلك انتصارات كبيرة بعد كفاح مرير وتحدي كبير.

خاتمة

خاتمة:

في نهاية البحث خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات حول أهم الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا وأثرها على الثورة التحريرية في الفترة ما بين 1954 . 1962 وأهمّها ما يلي:

أولا:

كانت الهجرة الجزائرية إلى فرنسا مدرسة تكوينية مهمّة تكوّن فيها المناضلون الأوائل، فهناك بالمهجر اكتشف المهاجر الجزائري مجتمعا متقدما ومتحضرا مختلفا تماما عن مجتمعه الذي ألفه في الجزائر، وتعرّف على مفاهيم جديدة كالعدالة والديمقراطية وحق تقرير المصير والمزيد من الأفكار التحررية، وانخرط في النقابات التي كانت تناضل ضد الاستعمار وكل أشكال الاستغلال، فتعرّف بذلك على أساليب نضال حديثة واكتشف بذلك عالما جديدا أدرك من خلاله مدى القهر والظلم الذي كان يعيشه مجتمعه وبلده.

كما كانت الهجرة سببا في القضاء على الفكر القبلي القائم على التعصّب للقبيلة والدوّار والعرش، وتعويضه بالفكر الوطني الشامل القائم على الولاء والإخلاص للجزائر كوطن يحوي ويضمّ جميع أبنائه شمالا وجنوبا، شرقا وغربا وأصبحوا مستعدين جميعا للتضحية بالنفس والنفيس من أجل استقلاله، وهذا ما تجسّد في أعضاء "ف.ج.ت.و" الذين كانوا من مختلف المناطق الجزائرية دون أي استثناء.

ثانيا:

عانى المهاجرون الجزائريون بفرنسا وضعاً معيشيا كارثيا بصعوبة مضاعفة، وإلى جانب غربتهم وبعدهم عن عائلاتهم وبلدهم كانوا أيضا يعيشون واقعا يملؤه التناقض والتحدّي، فقد كانوا أميون وسط بيئة متعلمة، وفلاحون وسط حياة مدنية، ومسلمون وسط بيئة مسيحية، ومحافظون وسط بيئة تعجّ بالفتن والمغريات، وقوة مؤثرة في الأوساط العمالية لكنها في الوقت نفسه محرومة من أدنى الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها أقرانهم من جنسيات مختلفة، ووطنيون وسط بلد مستعمر لوطنهم ومستنزف لخيراتهم.

رغم كل التحدّيات والمعوقات شكّل هؤلاء المهاجرون بفرنسا مصدر دعم كبير للقضية الوطنية وللثورة التحريرية ماديا وبشريا، ومصدر خطر عظيم وتهديد مباشر للسلطات الفرنسية في عقر دارها، ومنطلقا حقيقيا لكسب تأييد الرأي العام العالمي وتدويل المسألة الجزائرية، من خلال كشف السياسات الاستعمارية المتنافية مع كل المواثيق والأعراف الدولية، فشكّلوا بذلك ملحمة نضال حقيقية ودفعوا قويا للثورة خارج حدودها الإقليمية، ومصدر فخر وإلهام للأجيال الحالية والمستقبلية.

ثالثا:

تجسّدت أهمية "ف.ج.ت.و" بفرنسا في كونها كانت تمارس نشاطها انطلاقا من أرض العدو نفسه، وتغلّغت في أوساط المهاجرين الذين كانوا يملكون مؤهلات مالية وبشرية ولوجيستية، ومن هذا المنطلق فقد ساعدت بفعالية كبيرة في الدفع بالقضية الوطنية بالمهجر خصوصا بعد سنة 1957، حين

نجحت في غرس نظامها السياسي والعسكري والمالي في التراب الفرنسي لاسيما المناطق التي كانت تشهد تواجدا مكثفا للجمالية الجزائرية وتمثل معقلا رئيسيا لها، وكل هذا ساهم في إضعاف فرنسا وهدد أمنها واقتصادها وأضعف وجودها في الجزائر من جهة، وكشف حقيقة الوضع في الجزائر للعالم بأسره من جهة أخرى.

حملت فدرالية الجبهة على عاتقها مهمة نقل العمل الثوري إلى التراب الفرنسي، ودعوة المهاجرين الجزائريين وكذا الرأي العام الفرنسي إلى الإيمان بعدالة قضيتها والدفاع عن حق الشعب الجزائري في الحرية، فنجحت وقدّمت نموذجا مثاليا في تنظيم وهيكلية المهاجرين وتعزيز وطنيتهم، كما أدّت في الوقت نفسه مهمة الكشف عن سياسات فرنسا التعسفية والإجرامية وكل مناوراتها لتصفية القضية الجزائرية بكل السبل.

رابعاً:

لعبت الجمالية الجزائرية في الخارج عامة وفي أوروبا وفرنسا خاصة دورا بطوليا تحت قيادة "ج.ت.و" لا يقل أهمية عن كفاح إخوانهم بأرض الوطن، وهذا ما أكدّه "عمر بوداود" بالقول: "من الواجب التذكير بالنشاط المجازف والخطير الذي قام به مناضلونا في أرض العدو، هؤلاء المناضلون الذين كانوا يوصفون من طرف من تغافل بازدراء عن العشرات التي التهمتھا المقصلة، وعن العشرات التي زجّ بها في السجون، ويصفونهم بمناضلين بربطة العنق في حدائق الإليزي، لقد كانت مهمتنا في الواقع أثقل وأخطر بكثير مما قد يتبادر لأول وهلة، فقد كنّا على الدوام فوق المجرم تحت رحمة الشرطة الفرنسية التي كانت تطاردنا، والمصاليين الذين كانوا يقومون عن غير وعي منهم دون شك في المستوى القاعدي بمهمة تصفية جسدية أحدثت كارثة حقيقية في صفوفنا..¹

لم يقتصر دور الجمالية الجزائرية بفرنسا على الدعم المالي والنشاط العسكري فحسب، بل تعدّاه إلى المشاركة في عمليات العصيان المدني والقيام بمظاهرات ومسيرات سلمية خاصة تلك التي حدثت في 17 أكتوبر 1961، احتجاجا على قانون حظر التجوال وحرمان الجزائريين من حريتهم في التنقل، وقد ساعدت في تدويل القضية الجزائرية لما كان لها من أصداء عالمية بسبب القمع الذي تعرّض له المتظاهرون، كما برهن هؤلاء المهاجرون عن مدى الترابط العفوي بين أبناء الجزائر داخل وخارج الوطن وعن الروح الوطنية العالية التي يتميزون بها، ما جعل نضالهم بالمهجر إحدى أهم الصفحات الخالدة للمقاومة الوطنية ضد الاستعمار الغاشم وإحباط نواياه وأعدائه من خلال إفشال جميع مساعيهم للتفرقة بينهم وإبعادهم عن كل ما يربطهم بوطنهم الأم.

1 بوداود، الولاية السابعة، مصدر سابق، ص 191.

إن مساهمة الهجرة في كفاح التحرير كان لها دورا بالغا ووزنا كبيرا يعادل وزن أية ولاية من الولايات الستة التي كانت تمثل التقسيم العسكري الثوري للجزائر الثائرة، وهذا ما جعل اجتماع العقلاء العشر سنة 1959 ثم المجلس الوطني للثورة سنة 1960 إلى الإقرار بتسمية فرنسا بالولاية السابعة.

خامسا:

كان إقناع الرأي العام الفرنسي والعالمي من أهم وأصعب الإنجازات التي حققتها "ف.ج.ت.و"، حيث نجحت في كسب تأييد العديد من النخب الفرنسية المثقفة، وتشكيل مجموعة شبكات سرّية وعلنية لعبت الدور البارز في دعم الكفاح المسلح بالجزائر، وإيقاظ الرأي العام خاصة الفرنسي الذي كان خاضعا لعمليات تنويم ممنهجة واستراتيجيات تضليل مبرمجة، وكان ذلك النجاح سببا كافيا ودافعا قويا لتحريك العديد من الجهات لوضع حد للحرب في الجزائر، والتعاون مع جبهة وجيش التحرير الوطنيين لتحقيق هذا الهدف.

لقد كانت النخبة الفرنسية المثقفة سنداً حقيقياً للثورة التحريرية، بعد أن قامت بدور هام في دعم الكفاح الثوري، وجعلت من المهاجرين الجزائريين بفرنسا احتياطيا ثوريا ذا شأن عظيم شاركوا في الكفاح بكافة الوسائل وأثبتوا بتفانيهم الثورية حبّهم وإخلاصهم للوطن وارتباطهم بالواقع الجزائري وإصرارهم على استعادة السيادة الوطنية والحرية المسلوبة منذ عقود طويلة، فتفانوا قولاً وعملاً في سبيل ذلك ضاربين بذلك المثل الأعلى في نصرة الحق مهما كان مختلفاً عنهم، وضلّت بذلك أحد أهم البصمات النضالية التي وسّمت تاريخ الجزائر المعاصر وكان لها الأثر البالغ على مستقبل العلاقات بين البلدين.

سادسا:

مثّل نضال المهاجرين الجزائريين كشريحة هامة من المجتمع الجزائري رغم الصعوبات والتحديات التي واجهوها مسار كفاح حافل بالإنجازات ليس خلال الثورة التحريرية فحسب بل منذ احتضانهم لميلاد أول حزب وطني واستقلالي "نجم شمال إفريقيا"، فكان هذا المسار مهداً لانطلاق وتطور الحركة الوطنية السياسية في الجزائر، ثم مصدراً لتعدد وتنوع مساهماتها المالية والعسكرية والسياسية، إلى إعطاء نفساً جديداً لاستمرار الكفاح المسلح.

بفضل العمل الدؤوب لـ"ج.ت.و" والانتشار الجيد لخلاياها في مختلف المناطق الفرنسية، خاصة التي تستقطب أعداداً كبيرة من المهاجرين الجزائريين، والذين أظهروا حماساً قوياً في دعم الثورة، استطاعت هذه الأخيرة تجاوز محتتها المالية والحصول على مصادر تموين ثابتة لتغذية نشاطها المتنوع ودعم هيئاتها المختلفة، وتغطية معظم ميزانيتها لتأمين حاجياتها والإنفاق على مختلف مؤسساتها وهياكلها وفروعها داخل الجزائر وخارجها، وهذا ما يؤكد أنها استطاعت تشكيل نظام مالي قوي نجح في بلوغ الهدف الأسمى بالوقوف نداءً للسلطات الفرنسية إلى غاية استرجاع الاستقلال الوطني.

لم تتوقع فرنسا التي سعت للقضاء على الثورة التحريرية بكل ما أوتيت من قوة، أن تطول مدة محاربتها لكفاح الجزائريين، نظرا لقوة الإرادة والعزيمة التي أبدوها في النضال وصلابة التحدي والصمود الذي التزموا به طيلة مدة الكفاح، وما فاجأها أكثر هو قدرة هذا الشعب على نقل العمليات الثورية إلى عمق الأراضي الفرنسية وتهديد الأمن الفرنسي في عقر داره، فكانت بذلك ثورة استثنائية في العالم بأسره إذ لم توجد ثورة أخرى غيرها استطاعت أن تنقل عملياتها العسكرية إلى أرض العدو.

سابعاً:

استطاعت الشخصيات الجزائرية المهاجرة بفرنسا سواء التي نشطت سياسياً أو عسكرياً أو حتى في مجالات أخرى، من دعم الثورة بكل السبل والإمكانات المتاحة، حيث نجحت في تجنيد القوى الوطنية بالمهجر لصالح الكفاح الثوري، ودفعها للإسهام في إنجاحه مادياً ومعنوياً، خصوصاً بعد هيكلتها للفئات الطلابية ثم العمالية وصولاً إلى النخب الفرنسية المثقفة، واستغلال طاقات هذه الفئات في تقديم خدمات جليلة للثورة وإنهاء الحرب في الجزائر.

لعبت هذه الشخصيات المهاجرة دوراً فعالاً في تأكيد عدالة القضية الجزائرية، حيث سجلت قوة تمثيلها لمبادئ الثورة الجزائرية، فكانت لها إسهامات كبيرة في النضال ضد الاستعمار وسياسته القمعية في الجزائر ثم في فرنسا، واقتحمت مجالات عمل متنوعة حيث كان منها التجار، المحامين، الطلبة الجامعيين، والإعلاميين، وغيرها من المهن التي رفعوا بها التحدي لنصرة الثورة ومقاومة الاستعمار والتنديد بجرائمه، ومن ثم التعريف بعدالة القضية الجزائرية وهذه المواقف والأدوار كانت منعرجاً حاسماً في مسار الكفاح التحرري للشعب الجزائري، بعد أن دفعت بنظام الحكم الفرنسي وباقي الجهات المؤيدة له إلى تغيير مواقفهم حفاظاً على مصالحهم وما كانت تمليه عليهم تطورات الأوضاع الدولية بعد أن أصبحت القضية الجزائرية تحتل حيزاً هاماً من الاهتمام لدى المجتمع الدولي.

وفي الختام ما يسعنا إلا أن نقول أن الإرادة والحنكة والقوة في التعامل مع كل التحديات التي تواجهنا في الحياة هو من يصنع الفارق ويحقق الهدف النهائي مهما كان سبيل الوصول إليه صعباً، وهذا ما أكدته لنا الجالية الجزائرية في المهجر وانتصارها في النهاية بعد استمرارها بالعمل والنضال والكفاح في أصعب الظروف.

إن البحث في التاريخ عملية مستمرة لا تنتهي أبداً، ونحن نأمل من دراستنا لهذا الموضوع أن يكون مساهمة لإثراء البحث العلمي التاريخي، والمشاركة في إحياء الذاكرة الوطنية، ومن المؤكد أن طلبة وباحثين آخرين مستقبلاً سيتناولون هذا الموضوع من زوايا أخرى مختلفة، خصوصاً بعد أن يتم الإفراج على ما تبقى من الأرشيف المرتبط بهذا الموضوع، ونحن نتمنى أن يجدوا في أطروحتنا هذه مساعدة حقيقية لإكمال أعمالهم، وسندا لإظهار خبايا جديدة حسب ما يعثرون عليه من وثائق وأدلة تاريخية حديثة.

الملاحق

N° 98

» Il fera tout pour éviter à la classe ouvrière parisienne de se laisser entraîner à l'aventure ou de tomber dans une provocation;

» Il met en garde contre les conséquences prévisibles d'un appel à la participation, dans les circonstances présentes, à cette

manifestation interdite : traquenard policier, tentative des fascistes de s'infiltrer dans les rangs des participants pour changer le caractère de la manifestation, prétexte à une répression d'envergure contre les organisations syndicales et ouvrières, arrêt du développement ultérieur du mouvement. »

LA MIGRATION ALGERIENNE EN FRANCE

Pour expliquer sa condamnation de l'indépendance algérienne, le général de Gaulle n'a pas seulement parlé du million de Français qui habitent l'Algérie et des très nombreux musulmans algériens qui veulent demeurer liés à la France, il a également évoqué « les 400.000 Algériens qui

travaillent dans la Métropole et qui ne trouveraient pas d'emplois ailleurs ».

Il y a effectivement près de 400.000 Algériens en France métropolitaine, il y en aura d'ici peu d'années un demi-million.

Il convient d'expliquer pourquoi ils y sont venus, quels problèmes pose leur développement social et quel est leur avenir.

POURQUOI IL EXISTE UNE MIGRATION DES ALGERIENS VERS LA FRANCE

LES CHIFFRES

Une analyse chiffrée de la migration algérienne est faite constamment par les autorités responsables. Elle permet de suivre l'évolution du phénomène et de le décrire très objectivement.

Les données fondamentales sont les suivantes : 350.000 Français de souche nord-africaine vivent en France, ainsi que 50.000 Tunisiens et Marocains. L'examen de l'âge des migrants permet d'affirmer que ce sont avant tout des travailleurs dans la force de l'âge qui viennent en France. Cette migration est une migration de travailleurs adultes. Sur 220.000 individus au travail, l'on peut remarquer que 61,7 % sont de simples manœuvres, 30,7 % sont des ouvriers spécialisés et 7,6 % des ouvriers qualifiés ou des cadres. Cette statistique laisse de côté 10.000 individus occupant des

emplois divers (commerçants, fonctionnaires, artistes, écrivains, etc.).

La migration algérienne est donc, en majorité, une migration de travailleurs industriels non qualifiés ; cependant, il convient de noter l'évolution sensible qu'elle a subie depuis 1950, puisqu'à cette date le pourcentage des manœuvres était de 69 % et celui des ouvriers spécialisés, des ouvriers qualifiés et cadres de 31 % seulement (contre 38,3 % en 1960).

Le phénomène le plus frappant en ce qui concerne cette migration est d'autre part, son développement extrêmement rapide.

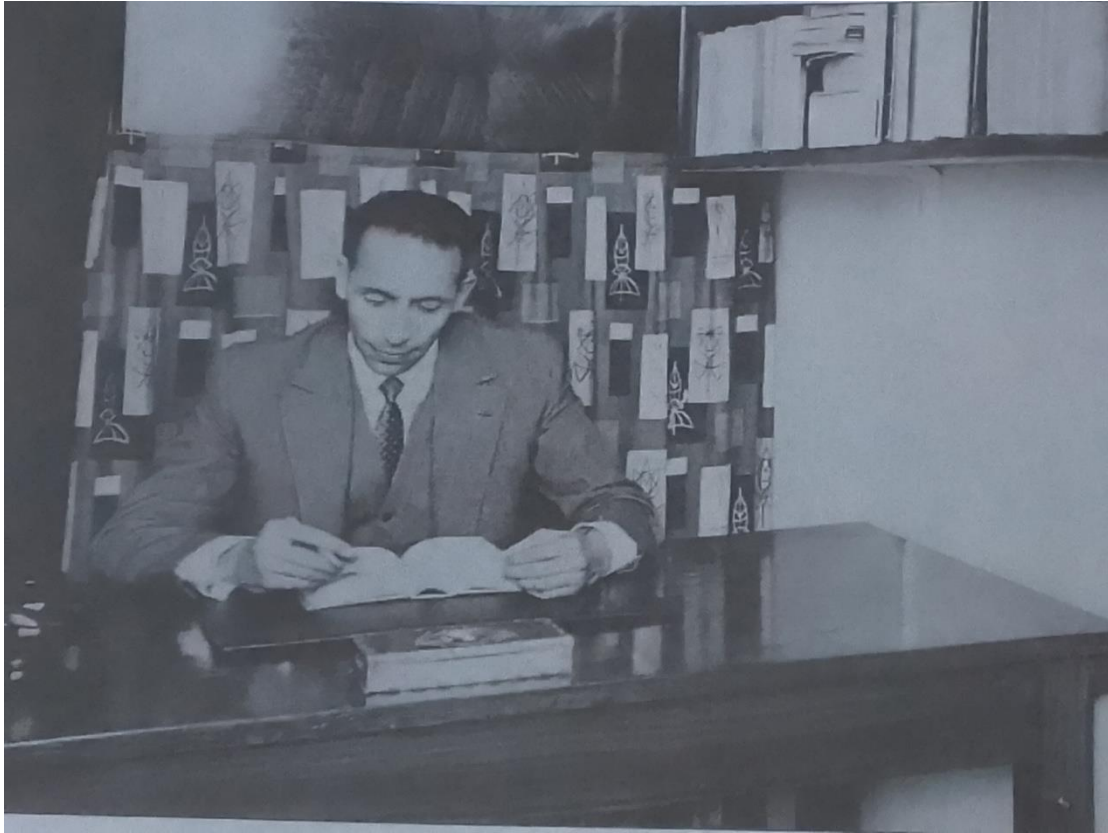
Il y avait en Métropole :

75.000	travailleurs	en 1940 ;
100.000	»	en 1948 ;
320.000	»	en 1958 ;
350.000	»	en 1960,

La migration algérienne en France, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 98°, semaine du 20 au 26 Octobre 1960, pp19 - 20.

الملحق رقم 02:

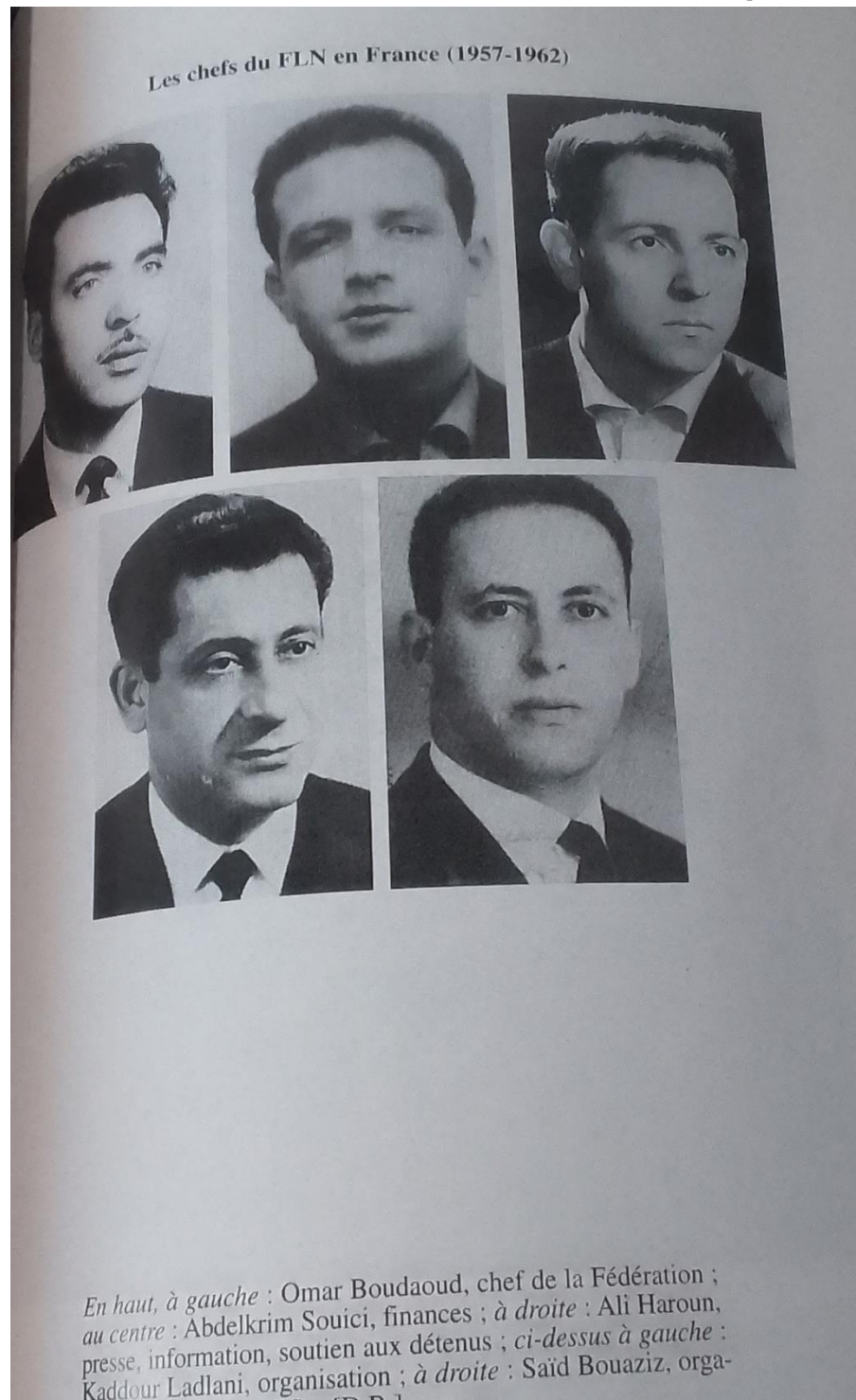
محمد بوضياف مؤسس النواة الأولى لـ"ف.ج.ت.و" بفرنسا.



Haroun, le second front écrits et documents de la fédération de France du FLN 1954 " 1962, Casbah éditions, Alger, 2021, p 698.

الملحق رقم 03:

قادة "ف.ج.ت.و" بفرنسا ما بين 1957 . 1962

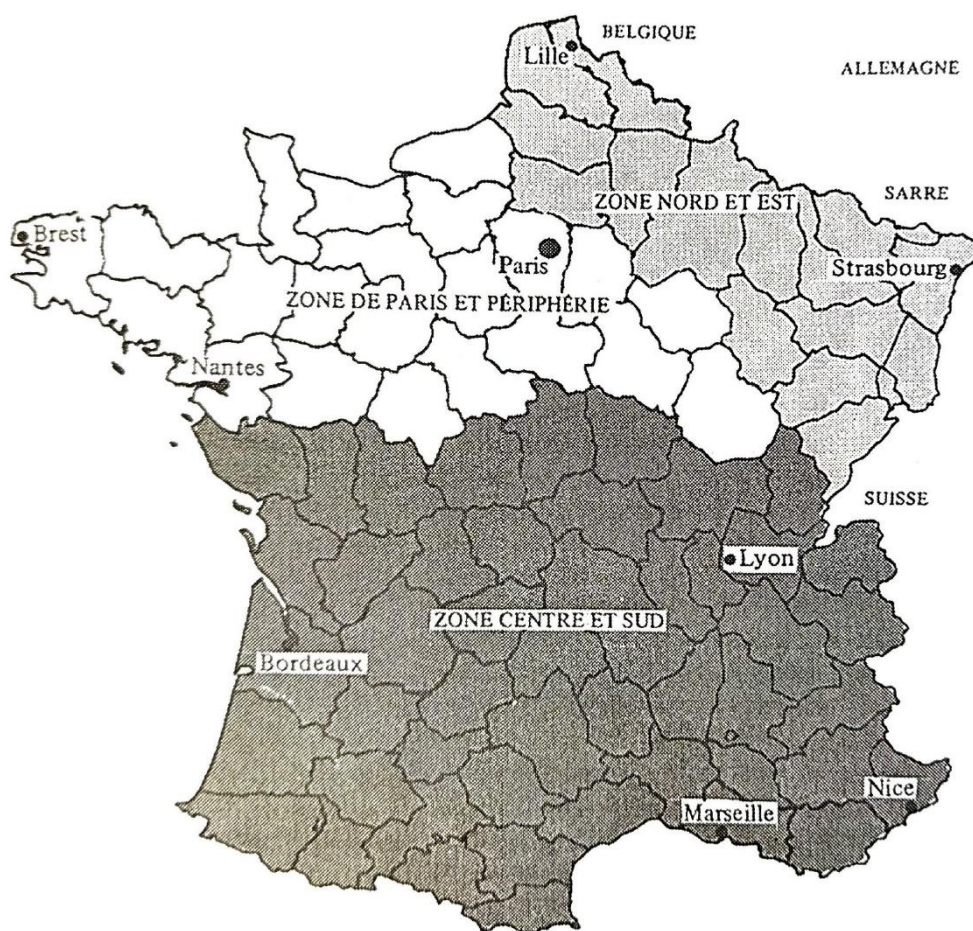


Haroun, la 7ème wilaya..., op, cit, p 417.

الملحق رقم 04:

تقسيم التراب الفرنسي إلى ثلاث مناطق ما بين 1954 . 1957.

DÉCOUPAGE DE LA STRUCTURE EN TROIS ZONES
NOVEMBRE 1954 - FIN 1957

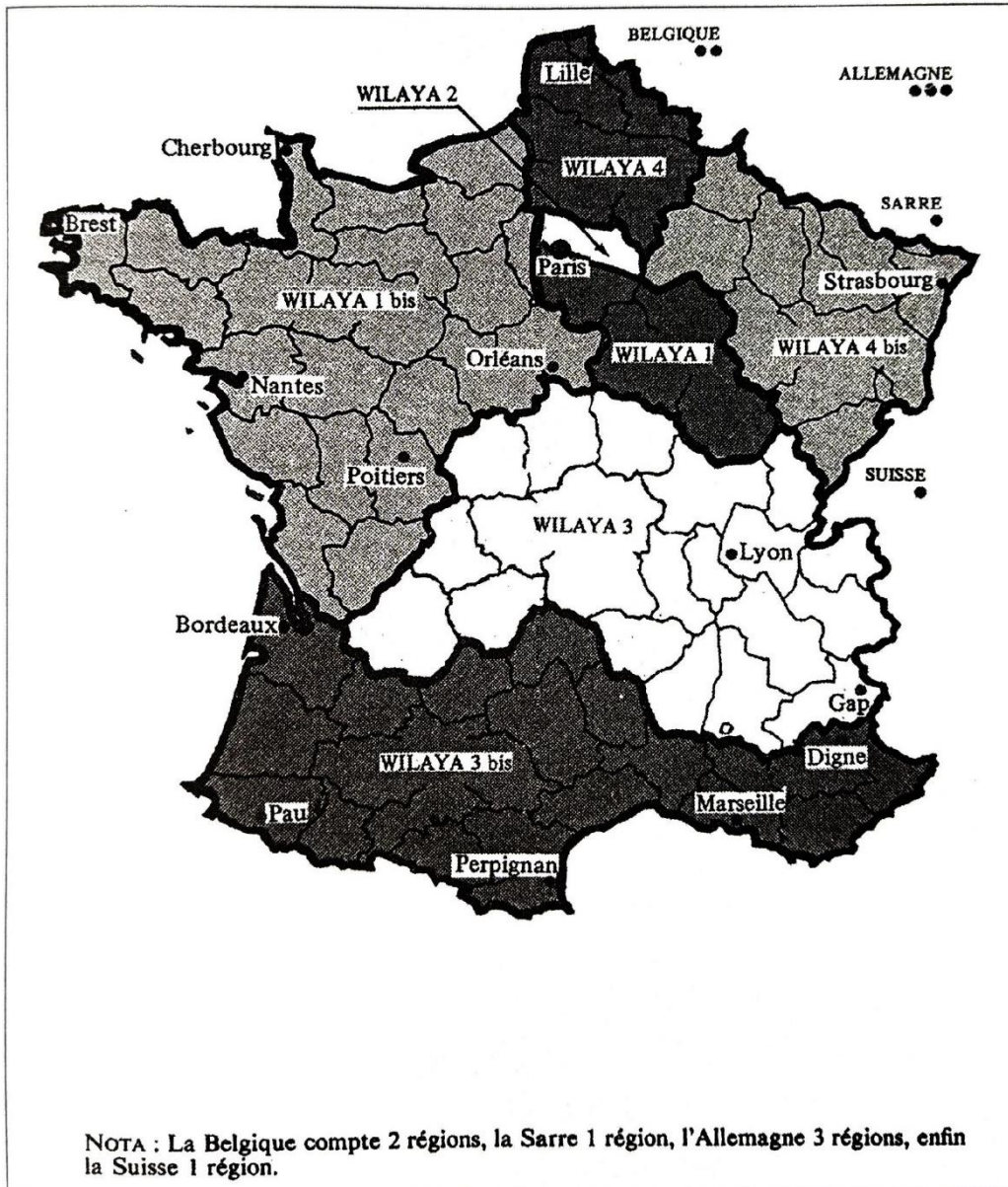


Haroun, la 7wilaya..., op, cit, p48.

الملحق رقم 05:

إعادة التقسيم الجغرافي لفرنسا في السنة الأخيرة للثورة 1961 . 1962 مع توسيع حدود العمليات إلى الدول الأوروبية المجاورة.

**DÉCOUPAGE DE LA STRUCTURE
OCTOBRE 1961 – MARS 1962**



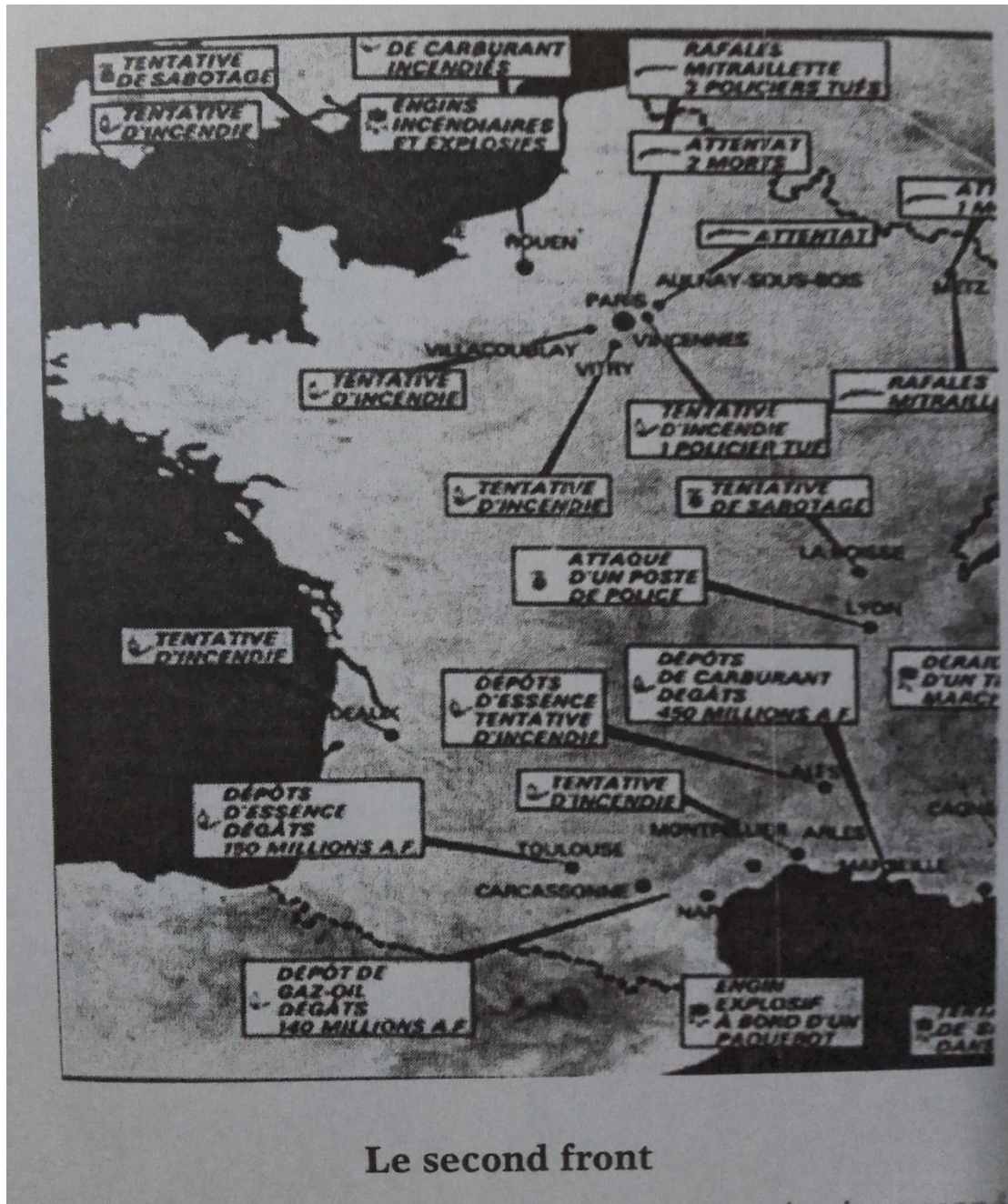
La France est divisée en 7 wilaya : 1 – 1 bis – 2 – 3 – 3 bis – 4 – 4 bis.

La Belgique comprend 2 régions. L'Allemagne 3 régions. La Suisse une région.

Haroun, le second front..., op, cit, p 525.

الملحق رقم 06:

فتح جبهة ثورية ثانية بفرنسا



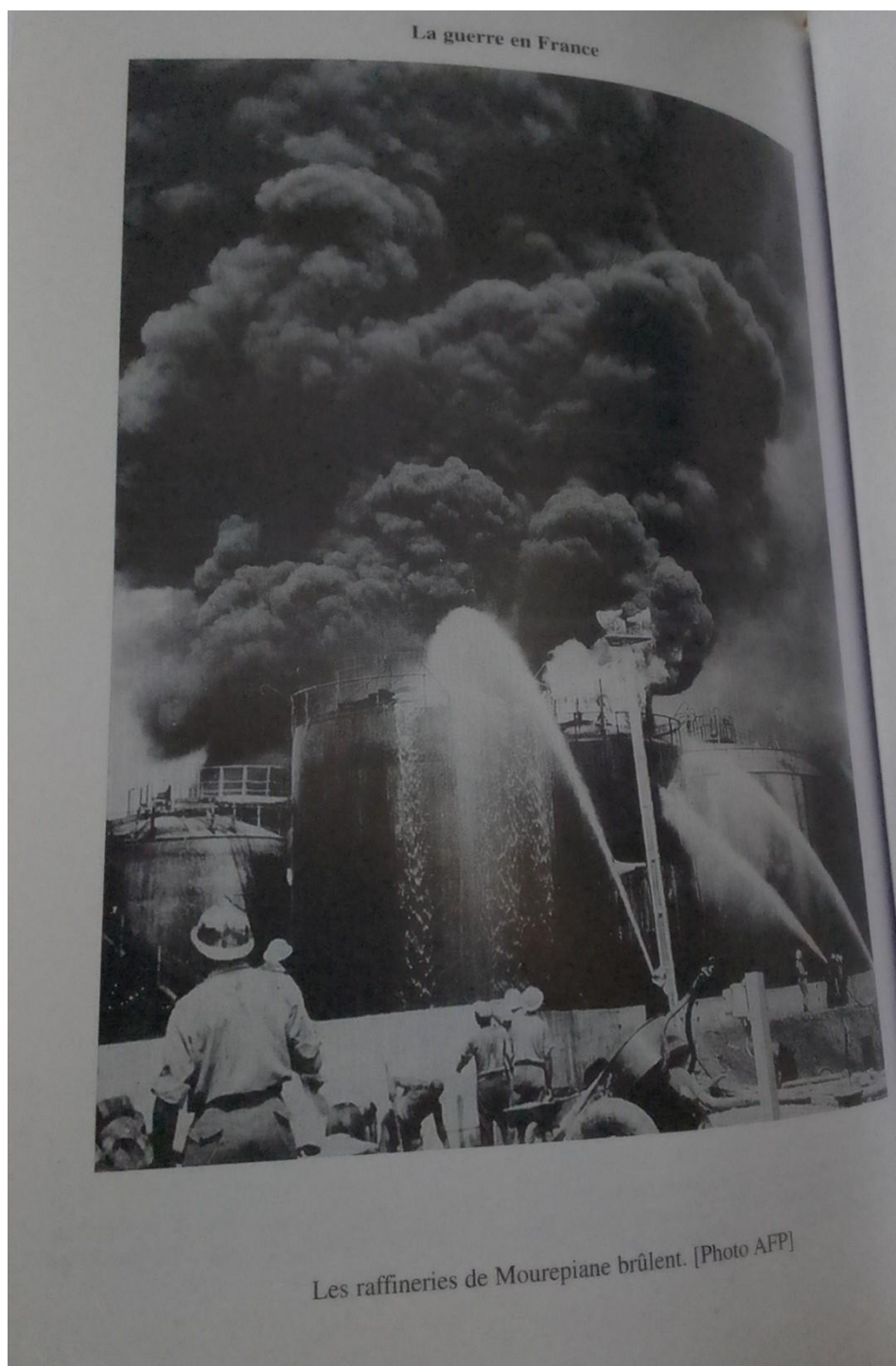
Benyounes , op, cit , p95.

الملحق رقم 07:



Haroun, le second frond ... ,op , cit , p 688.

تفجيرات موريبان النفطية بفرنسا



Haroun, le second front..., op, cit, p 489.

الملحق رقم 09:

تقرير مالي لكمية المداخل المتدفقة للمنطقة الأولى بمبالغ معتبرة ما يدل على استمرار تدفق الاشتراكات والتبرعات المالية من الجالية الجزائرية إلى داخل الوطن.

الجمهورية الجزائرية					
جهة التقرير الوطني الجزائري					
مالية (٦٦) منطقة (٤) ناحية (١)					
تقرير عام مالي سياسي - رقم ١٠/٣٧٦ لشهر ديسمبر ١٩٦٠					
الرقم ١٠					
المداخيل			المداخيل		
شخصية	٣٠٨٦١٠	٤٠٥٠٠٠	٤٠٥٠٠٠	٣١٠٠	٢٥٠٠٠
شخصية					
اعانة فاميلة					
اعانة الفدائيين					
اعانة المعلمين					
اعانة الاساتذة					
اعانة الشبيبة					
اعانة الطلاب					
اعانة لرجال الدرك					
اعانة المساجين					
اعانة الفقراء					
اعانة المعوقين					
جمع					
الباقى بعد توزيع					
المداخيل من التبرعات					
قسم	رقم (١٧)	رقم (٦٨)	رقم (٦٩)	رقم (٧٠)	جمع
المداخيل	١٥٠٠٠٠	٨٠٠٠٠			٢٣٠٠٠٠
المداخيل					
المداخيل					
المداخيل					
المداخيل من التبرعات					
قسم	لجنة مدنية	لجنة دبلوماسية	لجنة فنية	لجنة عسكرية	جمع
٦٧					
٦٨					
٦٩					
٧٠					
جمع					

المصدر: تقرير عام مالي سياسي رقم ١٠/٣٧٦ لشهر ديسمبر ١٩٦٠، الوثيقة رقم ٩٤٢.١، ٢٩ / ٠١ / ١٩٦٠، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر

الملحق رقم ١٠:

نموذج لجواز مرور لعبور مختلف الحدود والأقاليم

230

الولاية 06 المنطقة 04
جواز مرور / حرر في 14 فيفري 1959

ARMÉE ET FRONT DE LIBÉRATION
NATIONALE ALGÉRIENNE
Wilaya N° 06 AURES - NEMEMCHAS

جيش التحرير الوطني
الوطني الجزائري
ولاية رقم (١) أوراس النمامشة

ZONE de : 4 منطقة Sabana

جواز مسلم الى جواز مرور

Par ordre de : من طرف

Pour se rendre à : قاصدا

Valable du 14 - 1959 يوم من يوم

au sans fin الى يوم

Date : 14 - 1959 حرر في

NOM et Grade : اسم ورتبة الجواز

Signature

جواز مرور بالفرنسية ذهابا و إيابا صالح من 14 فيفري 1959 إلى أجل غير مسمى، الوثيقة رقم 230، 14 / 02 / 1959، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر.

الملحق رقم 11: تقسيم المهام تحضيراً لمظاهرات 17 أكتوبر 1961 بفرنسا

Comité de Coordination des Wilayas
Installé en France de janvier à octobre 1961
(Avant les manifestations du 17 octobre 1961)

Zouaoui Mohamed Coordinateur						
BABA Ahmed Responsable Contrôleur 1 (RC1)		Aberkane Younes Responsable Contrôleur 2 (RC2)			Amroun Saïd Responsable Contrôleur 3 (RC3)	
WILAYA 1	WILAYA 1B	WILAYA 2	WILAYA 2A	WILAYA 2B	WILAYA 3	WILAYA 3B
Mohmedi Mohand Sadek dit «Lunettes» «Ramond»	Mâamar Kaci dit «Moustache» dit Belkacem	Attaba Mohmed dit «Nordine» «Boboul»	Hamadene Lakhdar dit Spoutnik	Boudraâ Ahmed dit Mustpha Dit Tarzan	Bnyounes Mohand Akli dit Adalah Dit Daniel	Achab Yahia dit Antoine
Paris Rive gauche et banlieue sud jusqu'à Versaille	Toulouse Région de la Loire au sud, la Bretagne et la Normandie au nord et à l'ouest ver Dijon, Troyes, Auxere, Angoulême, etc	Paris Rive droite et Banlieue nord jusqu'à Creil dans l'Oise	Nord de la France Jusqu'à la manche à l'ouest, Mézières, à l'est et Beauvais au sud	Est de la France Mézières Est de la France jusqu'au Luxembourg, la Sarre et la Suisse	Lyon Centre de la France, de la frontière Suisse à l'Atlantique, et, au sud Bordeaux, Aurillac, Gap	Marseille Sud de la France, de l'Italie à l'Atlantique avec Nice, Perpignan, Bordeaux et Pau

Benyounes, Op, Cit, P124

الملحق رقم 12:

أعضاء ف.ج.ت.و في سجن فران بفرنسا (Fresnes)



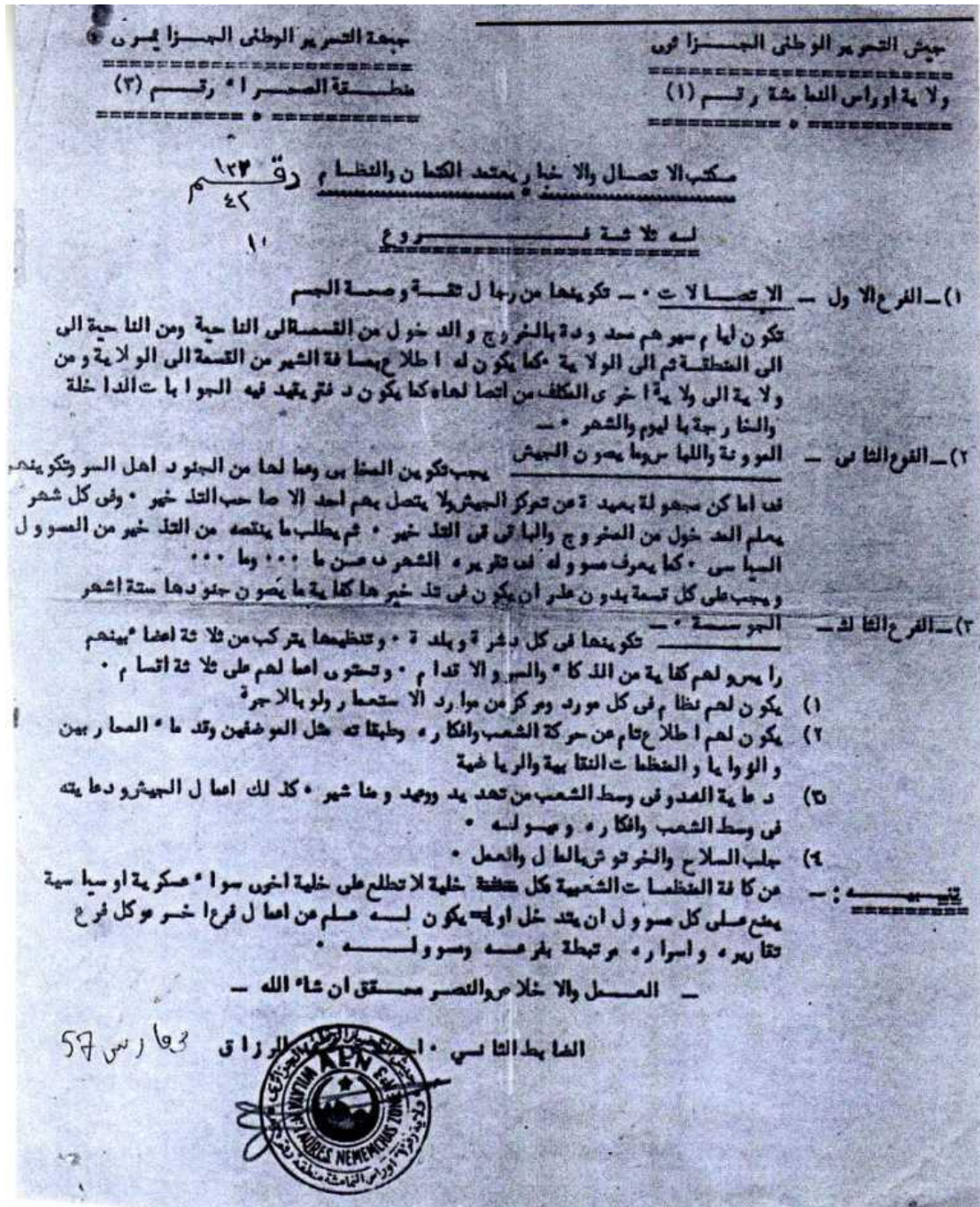
الونشي صالح، غراس عبد الرحمن بسجن فران .
قسم المساجين السياسيين 1959 - 1960

مشا

طي، مصدر سابق، ص 65.

الملحق رقم 13:

صورة لمدى الاحتراف التي كان يتمتع بها مكتب الاتصال أثناء الثورة



المصدر: مبدأ النظام والكتمان في مكتب الاتصال والأخبار، الوثيقة رقم 0019، التعليم رقم 123، 03 مارس 1957، متحف الولاية التاريخية السادسة العقيد شعباني بسكرة.

الملحق رقم 14

عمر بوداود رئيس ف.ج.ت.و بفرنسا رفقة عبد الكريم سويسى وعلي هارون.

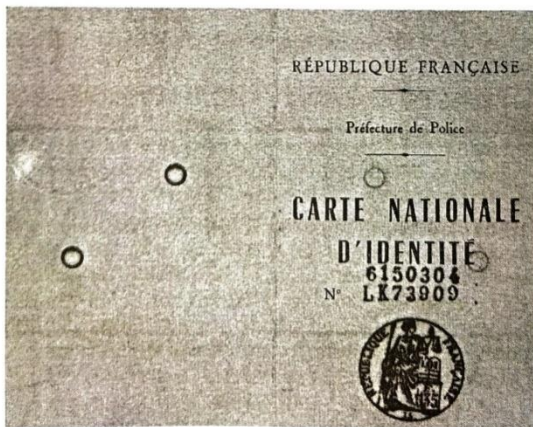


بوداود، مصدر سابق، ص ص 101 - 118.

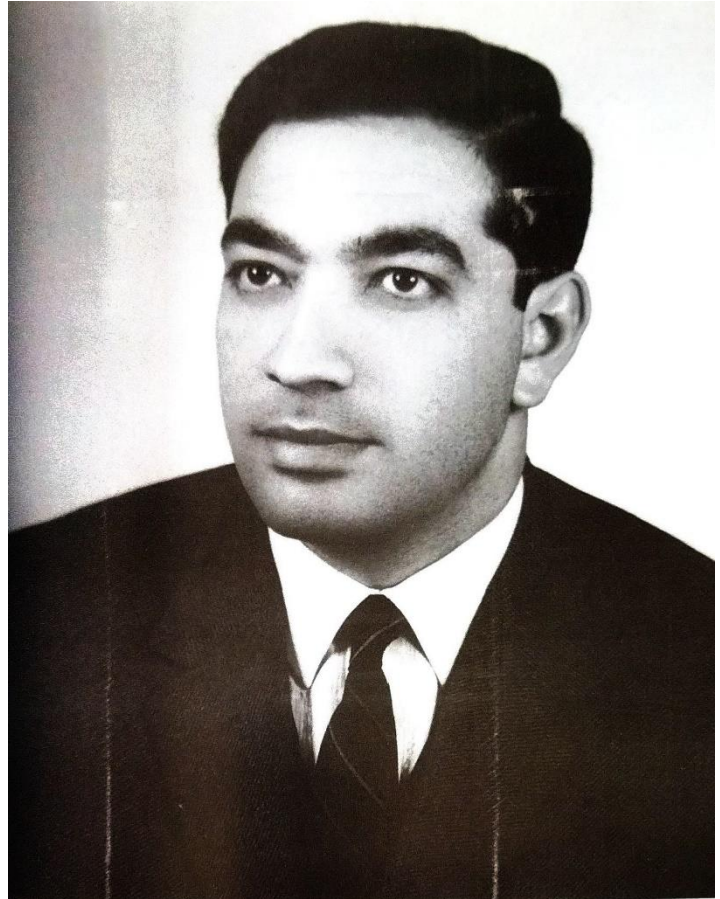
الملحق رقم 15:

محمد آكلي بن يونس المدعو دانيال

LA GUERRE D'ALGÉRIE EN FRANCE (1954-1962)



Benyounes, Op, Cit, P 97-206



Mohand Akli Benyounes à 22 ans.

الملحق رقم 16:

صور لمحمد غفير المدعو (موح كليشي)

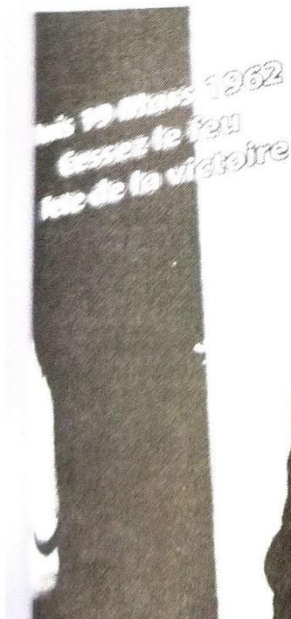
quelques photos de l'Auteur



Moh Clichy en Janvier 1956
Place Clichy
Paris 17 eme



Du 28 janvier au 4 février 1957 Grève des
8 jours. Moh-Clichy en Moto Supervisant le
mouvement dans tous les quartiers de la
banlieue nord de Paris Clichy - Levallois -
Saint Ouen - Asnières - Gennevilliers et
Paris 17eme



Ghafir, cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris..., op, cit,275

الملحق رقم 17:

بعض قادة ف.ج.ت. و في سجن فران (Fresnes) بفرنسا بعد حصولهم على النظام السياسي



- سجن Fresnes ، 1959 - من اليسار إلى اليمين: مشاطي، وصاح، ويطاط، ولبجاوي.

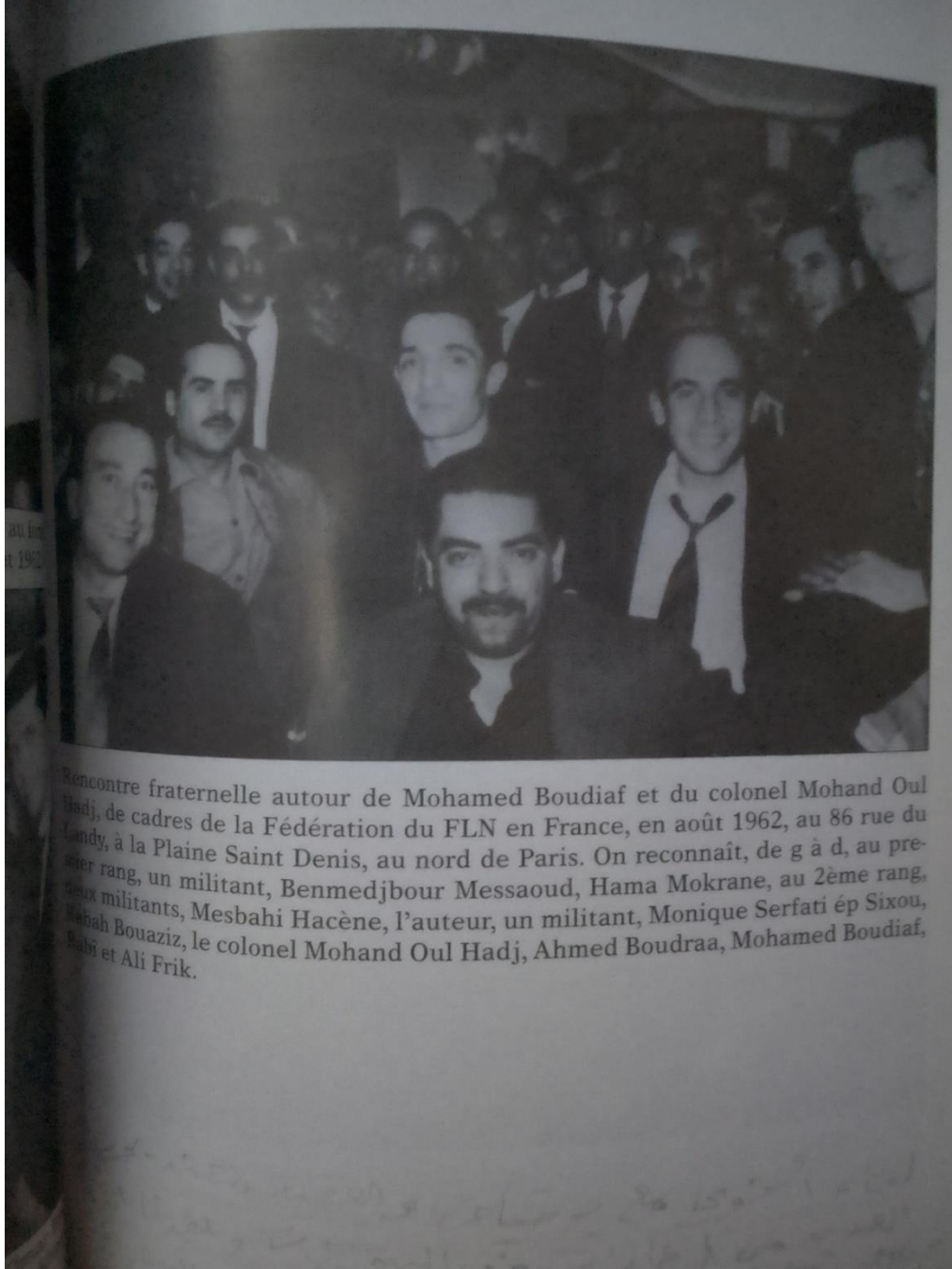


- سجن Fresnes ، 1967 - من اليسار إلى اليمين: طالب، وصالح، وآيت أحمد، وX، وأزقان، وآيت الحسين، وX، وقبائي، ودوم.

الوانشي، مصدر سابق، ص 139

الملحق رقم 18:

جانب من احتفالات الجالية الجزائرية في فرنسا بالاسقلال، لقاء أخوي بين "بن يونس" و "بوضياف" والعديد من إطارات "ف.ج.ت.و" في أوت 1962 بشارع سان دوني شمال لباريس.

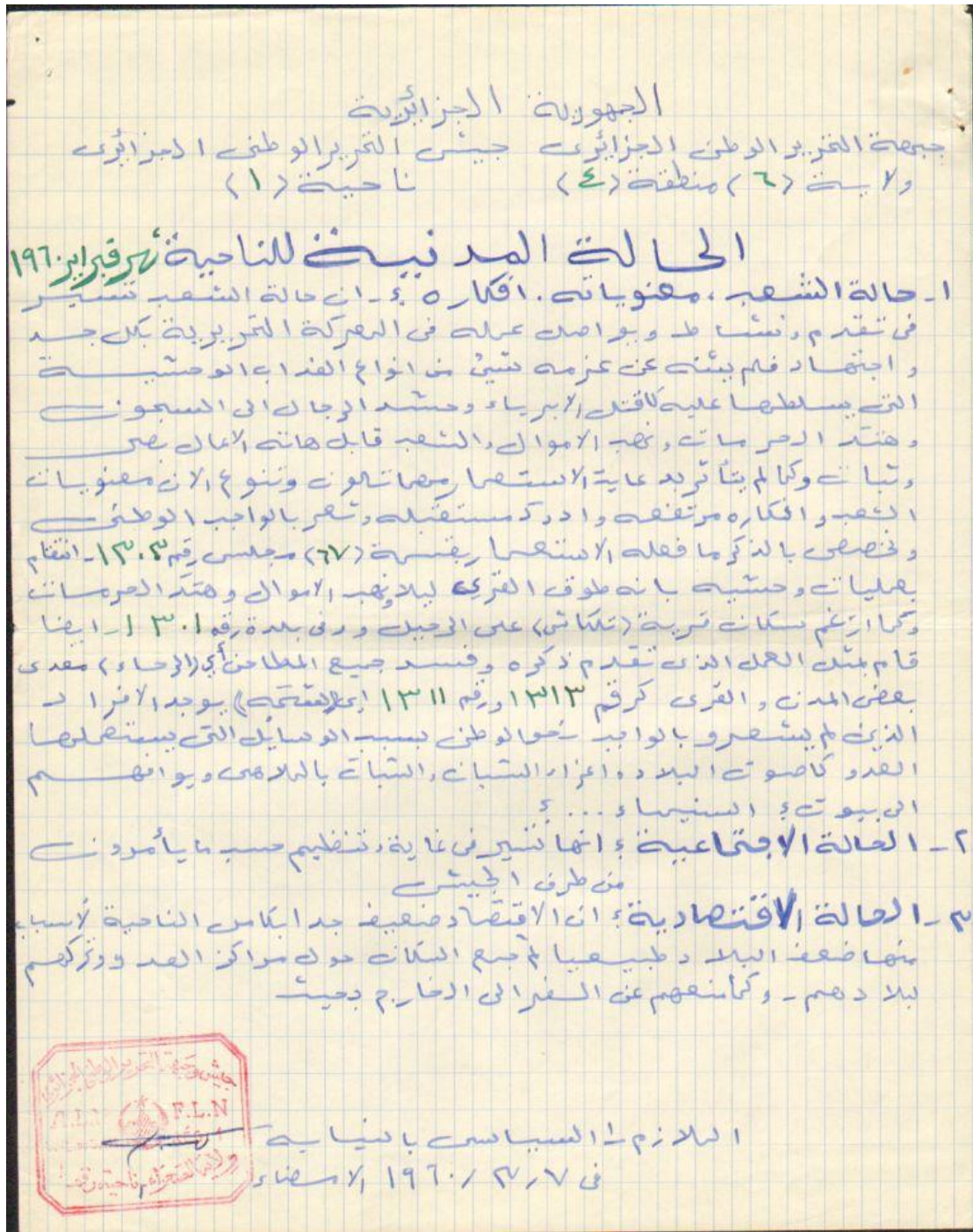


Rencontre fraternelle autour de Mohamed Boudiaf et du colonel Mohand Oul Hadj, de cadres de la Fédération du FLN en France, en août 1962, au 86 rue du Landy, à la Plaine Saint Denis, au nord de Paris. On reconnaît, de g à d, au premier rang, un militant, Benmedjbour Messaoud, Hama Mokrane, au 2ème rang, deux militants, Mesbahi Hacène, l'auteur, un militant, Monique Serfati ép Sixou, Babah Bouaziz, le colonel Mohand Oul Hadj, Ahmed Boudraa, Mohamed Boudiaf, Babli et Ali Frik.

Benyounes, op.cit, p 99.

الملحق رقم 19:

تقرير عن حالة الشعب الجزائري المادية والمعنوية في السنوات الأخيرة للثورة.



المصدر: تقرير عن الحالة المدنية للناحية الاولى، وثيقة رقم 1093، 1960/03/07، متحف الولاية التاريخية

السادسة، بسكرة، الجزائر.

الملحق رقم 20:

عودة اللاجئين الجزائريين من مختلف الدول إلى أرض الوطن بعد وقف إطلاق النار

131

في ١٥-١-١٩٦٢م

الجمهورية الجزائرية

جبهة جيش التحرير

الوطني

قيادة المنطقة - ٢

رقم ٨٢٨



تعليمات

موضوع: عودة اللاجئين

على جميع النواحي تنظيم لجان استقبال
للجائين الجزائريين العائدين إلى التراب الوطني .
ليكن في علمكم أنه تشكلت لجان اسعاف اللاجئين مدعومة
لهلال الاحمر والهيب الاحمر ، لكنه على منظمنا تتدخل
في هذه المسألة لتدل تلك اللجان على توجيه الاعانات
واعادة السكان الى ذويهم او الى ان يجهون . وعند ما
هل هؤلاء لاجئون الى التراب الوطني ،
على المسؤولين المحليين توجيه هؤلاء العائدين
وجيها ثوريا كما أن السكان مع سائر المواطنين
عن مكتب المنطقة الثانية

المصدر: تعليمة من "ج.ت.و" بضرورة تنظيم لجان لاستقبال الجزائريين العائدين إلى التراب الوطني، وثيقة رقم 125،

تعليمة رقم 828، 1962/05/01، متحف الولاية التاريخية السادسة، بسكرة، الجزائر.

قائمة

البيليوغرافيا

قائمة الببليوغرافيا:

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. سورة التوبة، الآية 20.

2. سورة النساء، الآية 100.

ثانيا: المصادر

I. الأرشيف:

1 -Centre des archives nationales, département de la conservation et traitement des Archives, Alger:

1. Biographi; d'Abdehamid Mehri, Sous- Série IX par Mme Mehareb Naima, imprimé et relié; archives nationales 2011, Service des études et recherches inventaire analytique "Fonds Mehri" 1955 – 1963.
2. Rapport sur citations à Marseille, Boite 02, Dossier 03¹⁵, le 31.11.1961.
3. Octobre 1961 à Paris, Boite 07, Dossier 01⁸, Le 20.10.1961.
4. Quelques rappels, Boite 07, Dossier 01¹, S.D.
5. Rapport sur situation Rayniond, Boite 01, Dossier 2.1.2, S.D.
6. Le militant du 1^{er} étage (coté nord), Boite 02, Dossier 03², Le 18.08.1961.
7. L'OAS en France, Boite 03, Dossier 01⁴, le 14.03. 1962.
8. Rapport sur Les manifestations dernier, Boite 07, Dossier 01⁸, le 20.10.1961.
9. Rapport d'activités Daniel, Boite 01, Dossier 02¹⁰, Paris le 05/12/1961.
10. Vue la situation à L'Arzac, Boite 02, Dossier 03⁰⁵01, paris 17/08/1961.

2 – (MNT) Archive nationale Tunisien:

A- Série K, carton 01, Dossier 43, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord, le conflit dans le monde arabe (Novembre 1956).

1. protestations contre l'arrestation des chefs FLN, manifestation féminine à Mahdia, le petit matin, du 01.11. 1956.
2. R.C. Doty, Durcissement a Paris de la politique nord Africaine, 29 Octobre 1956.
3. Raymond Aron, la force n'est qu'un moyen, le figaro, vendredi 02 Novembre 1956.

B - (MNT) Archive nationale Tunisien, Série SG, S/Série SG2, carton 195, Dossier 27, Correspondances relatives aux réunions d'ordres politiques et administratifs du "Comité de l'Afrique du nord" termes en France et netes sur les reformes de la fonction publique présenté à ce comité.

1. Décisions prises au cours des séances du 9 et II septembre 1946, 6^o session du comité, Orientation de la politique Française.
2. Questions ayant déjà fait l'objet d'un examen et d'une décision de principe du comité de l'Afrique du nord.

C - (MNT) Archive nationale Tunisien , Série K, carton 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).

1. Algérie, Moyen-Orient, ONU, Par le général Billotte ancien ministre de la défense nationale président de l'Association France-occident.
2. André Fontaine, inquiétude pour l'Algérie, de notre envoyé spécial.
3. André Morice, en Algérie, l'administration civile aussi doit faire son devoir.
4. Armée de libération nationale Wilaya N° IV FLN région N°1 novembre 1956, rapport moral.
5. Arrestation de chefs rebelles en Algérie, Paris-presse l'intransigeant, Mercredi 31 Juillet 1957.
6. Déclaration Bourguiba sur l'Algérie, 01.08.1957, (MNT), Sé K, cart 01, Dossier 49, Extraits de journaux concernant la situation politique en Afrique du nord (Aout 1957).
7. Jean Lartéguy, l'Algérie avant L'ONU, Lorsqu'ils furent arrêtés, Ben belle et Khidder étaient déjà supplantés par les chefs Kabyles, Change de têtes.
8. M. Bourguiba déclare a la revue "Newsweek", les français n'ont pas encore la volonté véritable de négocier en Algérie.
9. M. Mongi Slim préconise une fédération nord- africaine après reconnaissance de l'indépendance de l'Algérie, 31.07.1957.
10. Un important mandement de l'archevêque d'Alger, C'est dans un climat d'amitié que les problèmes les plus difficiles peuvent être résolus.
11. -Après le procès des libéraux, une déclaration de S.Exc., Mgr Léon-Etienne Duval archevêque d'Alger.
12. Bourguiba et l'Algérie", Bourguiba l'homme de la situation déclaration à l'envoyé de news week, le monde, du 01 aout 1957.

3 - Archive de la wilaya de Sétif:

A- L'Observateur du moyen - orient et du l'Afrique:

1. Apres les entretiens de Melun, l'observateur du moyen –orient et du l'Afrique, 08Janvier 1960, p05.

2. La crise entre dirigeants FLN les serveurs jugements de la "BASE", L'Observateur moyen orient- et du l'Afrique, 27 Juillet 1962, p12.
3. L'Algérie la France et le G.P.R.A comment le dialogue peut reprendre, observateur du moyen –orient et de l'Afrique, 15 Juillet 1960, pp 09 – 11.
4. Le dossier de FLN a LUNO, l'observateur du moyen –orient et du l'Afrique, 30 Septembre 1960.
5. Le sens des pleins pouvoirs pas d'abandon en Algérie par notre correspondant spécial l'observateur du moyen –orient et du l'Afrique, 05 Janvier 1960, pp09- 10.
6. L'internationalisation du problème algérien désapprobation et consignes de calme, l'observateur du moyen- orient et de l'Afrique, 02 Septembre 1960, 11.
7. Malaise croissant parmi les dirigeants mécontentement dans l'armée, l'observateur du moyen -orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p05.
8. Pierre Arnold, M. Fares a Paris le dorage du dispositif, L'observateur du moyen- Orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p04.
9. La crise entre dirigeants FLN les serveurs jugements de la "BASE", L'Observateur moyen orient- et du l'Afrique, 27 Juillet 1962, p12.
10. L'Algérie la France et le G.P.R.A comment le dialogue peut reprendre, observateur du moyen –orient et de l'Afrique, 15 Juillet 1960, pp 09 – 11.
11. Le dossier de FLN a LUNO, l'observateur du moyen –orient et du l'Afrique, 30 Septembre 1960.
12. L'internationalisation du problème algérien désapprobation et consignes de calme, l'observateur du moyen- orient et de l'Afrique, 02 Septembre 1960, 11.
13. Malaise croissant parmi les dirigeants mécontentement dans l'armée, l'observateur du moyen -orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p05.
14. Pierre Arnold, M. Fares a Paris le dorage du dispositif, L'observateur du moyen- Orient et du l'Afrique, 04 Mai 1962, p04.

B- La semaine en Algérie:

1. Déclaration du général de gaulle lors de son voyage dans le Sud-est, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 98°, semaine du 20 au 26 Octobre 1960, p01.
2. FLN et MNA, appel de la fédération de France du FLN aux militants du MNA, (voix de l'Algérie combattant- radio du Caire du 6.9.1958 à 19), la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, N 08°, p22.

3. La migration algérienne en France, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 98°, semaine du 20 au 26 Octobre 1960, pp19 - 20.
4. La rébellion a l'extérieure et l'aide extérieure a la rébellion, l'organisation extérieure du FLN reste au Caire, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie française, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 31°, semaine du 02 08 Mars 1959, pp22 - 23.
5. Le FLN après la réunion de tripoli, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 69°, semaine du 18 au 31 Janvier 1960, pp32 – 33.
6. Le FLN s'adresse a ses allies Français, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 48°, semaine du 06 Juillet au 23 Octobre 1959, p28.
7. Le FLN, ses alliés et l'ONU, la semaine en Algérie, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 08°, semaine du 08 au 14 Septembre 1958,
8. Le générale de Guelle et le problème Algérien, Une œuvre de longue haleine...inimaginable sans la présence et la situation de la France, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, délégation générale du gouvernement en Algérie, N 34°, semaine du 23 au 29 Mars 1958, p01.
9. Promotion des français-musulmans dans l'armée, la semaine en Algérie, N68°, du 11 au 17 Janvier 1960, p19.
10. Textes explicatifs de Ferhat Abbas commentant le communiqué du GPRA du 20 Novembre 1959 et adresse a toutes les wilayas, la semaine en Algérie, Miroir de l'Algérie Française, N64°, du 07 au 13 Décembre 1959, p32.

4 –Archive de la wilaya de Constantine :

A- EL-OUMA :

1. Activité du parti du peuple Algérien à Clichy, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans nord-africains, N°51, 01 Juin 1937, Paris, p04.
2. Activité du parti du peuple Algérien, nos meetings à paris, à Clichy, à Lyon, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans nord-africains, N°54, Vendredi 11 Mars 1938, Paris.
3. La situation des Nord- Africains en France et l'officine de la rue Lecomte jugées par une française, EL- OUMA, organe national de défense des intérêts des musulmans Algériens Marocains et Tunisiens, N° 65, Vendredi 22 Avril 1935.
4. Le PPA célèbre la mémoire de l'Emire Khaled, ancien capitaine e l'armée française mort en terre d'exil, EL- OUMA, organe national de

défense des intérêts des Musulmans Algériens Marocains et Tunisien. 1
Septembre 1947.

B- EL-Bark (L'Eclair) :

1. إثارة قضية الجزائر في الأمم المتحدة، ونظرية فرنسا حيالها . مناقشات وفود الدول في أمرها، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 66, 04 Décembre 1957, Paris, p03.
2. الإضراب العام أخفق هيئة الأمم تنظر في القضية، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 20, 20 Janvier 1957, Paris, p08.
3. ثوار الجزائر يفصلون عن القاهرة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 01^{er} année, N° 04, 26 Septembre 1956, Paris.
4. الجزائر، الرأي العام الدولي ومذبحة ملوزا، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 41, 12 Juin 1957, Paris, pp07- 08.
5. الجزائر والحكومة الفرنسية الجديدة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 43, 26 Juin 1957, Paris, p07
6. الجزائر ونظرية الرئيس الحبيب بورقيبة، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 39, 29 mai 1957, Paris.
7. حل قضية الجزائر في نظر فرنسا، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 01^{er} année, N° 08, 24 Octobre 1956, Paris, p05.
8. فرنسا تبسط حل قضية الجزائر، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 20, 16 Janvier 1957, Paris.
9. مشروع جديد لحل قضية الجزائر، El Bark (L'Eclair), journal hebdomadaire diffusé dans le moyen orient et en Afrique, 02^{eme} année, N° 47, 07 Aout 1957, Paris, p04.

C - AL DJAZAIR :

1. حوادث الحدود مع تونس، AL DJAZAIR, N° 04, 1^{ER} Année, 08 Aout 1958, Paris, P07.
2. دقت ساعة الاختيار، AL DJAZAIR, N° 01, 1^{ER} Année, 18 Juillet 1958, Paris, P02.

5. المتحف الوطني للمجاهد العقيد شعباني . متحف الولاية التاريخية السادسة . بسكرة:
1. مبدأ النظام والكتمان في مكتب الاتصال والأخبار، الوثيقة رقم 0019، التعليم رقم 123، 03 مارس 1957.
2. تصريح الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية رقم 98 على إثر انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، وثيقة رقم 1543، 1959/09/28.
3. تعليمية من "ج.ت.و" بضرورة تنظيم لجان لاستقبال الجزائريين العائدين إلى التراب الوطني، وثيقة رقم 125، تعليمية رقم 828، 1962/05/01.
4. تقرير سياسي عن الحالة المدنية في الجزائر، وثيقة رقم 1538، 1959 / 11 / 03.
5. تقرير عام عن الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري، وثيقة رقم 1538، 1959/11/03.
6. تقرير عن الحالة المدنية للناحية الاولى، وثيقة رقم 1093، 1960/03/07.
7. تقرير عن تدهور الأوضاع في الجزائر، القسمة 70، في جوان 1960، الوثيقة 1008، 08. 12. جوان 1960.
8. جواز مرور بالفرنسية ذهابا و إيابا صالحت من 14 فيفري 1959 إلى أجل غير مسمى، الوثيقة رقم 230، 1959 / 02 / 14.
9. نص تصريح الحكومة المؤقتة، وثيقة رقم 1401، 1960 / 01 / 01.
10. تقرير عام مالي سياسي رقم 10/376 لشهر ديسمبر 1960، الوثيقة رقم 942.1، 01 / 29 / 1960.
11. تقرير خاص بقائمة القومية والمساجين لشهر جويلية 1960، وثيقة رقم 950.1، 1960/08/09.

II. الجرائد باللغة العربية:

1. البصائر، العدد 04، 29 أوت 1947.
2. البصائر، العدد 219، 20 ماي 1955.
3. البصائر، العدد 227، 07 ماي سنة 1954.
4. المجاهد، العدد 22، بتاريخ 15 أفريل 1958، ص 10.
5. المجاهد، العدد 68، بتاريخ 05 أوت 1960.

6. "في كل ميدان معركة... وانتصار"، المجاهد، العدد 28، الجزء 01، الخميس 28 أوت 1958، ص 387.
7. "دماء الجزائريين في شوارع باريس"، جريدة المجاهد، عدد خاص 107، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، الجزء 4، 1 نوفمبر 1961.
8. ج.ت.و، حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في جريدة المجاهد، العدد 17، 01 فيفري 1957، ص 10.

III. الجرائد باللغة الفرنسية:

1. El Moujahid, 19 Avril 1964.
2. El Moujahid, V3, n°68, du 05- 08 – 1960.
3. Jacques Charby, "J'ai vécu a Fresnes avec les algériens", L'express, 02 Février 1961, pp 07- 08.
4. Le Combat, 26 aout 1958.
5. Le Monde, 26 aout 1958.
6. Le Monde, n°4564, 22 Septembre 1959.
7. Le parti communiste français face a la révolution algérienne, EL Moujahid, V1, H12, le 1^{er} avril 1958.
8. Les derniers détenus musulmans ont quitte le camp de Larsac, Le Monde, N°5358, Mardi 10 Avril 1962.
9. L'humanité, 26 aout 1958.

IV. المذكرات والكتب المصدرة:

1. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1952 . 1954)، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
2. الإبراهيمي أحمد طالب، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، الطبعة الثانية، دار الأمة للطبع، الجزائر، 1996.
3. الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري أحلام ومحن، الجزء الأول (1932. 1965)، الطبعة الأولى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
4. الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري، الجزء الأول، أحلام ومحن (1932. 1965)، دار القصبة، حيدرة، الجزائر، 2006.
5. الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإبراهيمي، الجزء الثاني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1997.
6. الإبراهيمي محمد البشير، الطرق الصوفية، الطبعة الأولى، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008.

7. أجيرون شارل روبير، المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871 . 1919، تر: حاج مسعود وع بلعربي، دار الكتاب، الجزائر، 2007.
8. إحدادن زهير، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 . 1962، الطبعة الأولى، مؤسسة إحدادن، القبة، الجزائر، 2007.
9. الأشرف مصطفى، أعلام ومعالم ومآثر عن الجزائر المنسية، تر: أحمد بن محمد بن علي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
10. الشيخ رأفت، تاريخ العرب المعاصر، د ط، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1990.
11. أمقران حسين عبد الحفيظ، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر، 1997.
12. آيت أحمد حسين، روح الاستقلال مذكرات مكافح (1942 . 1952)، ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002.
13. بريستير ايفه، في الجزائر يتكلم السلاح، نضال الشعب من أجل التحرير، تر: عبد الله كحيل، الطبعة الأولى، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1961.
14. بلعيد عبد السلام، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، منشورات الديوان الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
15. بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها روبر ميرل، ترجمة: الأخضر العفيف، دار الأدب، بيروت، دون تاريخ.
16. بن جديد الشاذلي، مذكرات الشاذلي بن جديد 1929 . 1979، ملامح حياة، الجزء الأول، تحرير: عبد العزيز بوباكير، دار القصة، الجزائر، 2011.
17. بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشطابية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
18. بن خدة بن يوسف، شهادات ومواقف، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر، 2007.
19. بن خدة بن يوسف، شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان، الجزائر، 2004.
20. بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة 1936. 1945، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، منشورات السائحي، الجزائر، 2008.
21. بن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، الفترة الثالثة 1947. 1954، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
22. بن نبي مالك، شهادات حول ثورة التحرير، تقديم: الصادق سلام، عالم الأفكار، الجزائر، 2016.

23. بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، (الطالب) الإعادة الرابعة 1427 هـ . 2006، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2004.
24. بن يونس محند آكلي، سبع سنوات في قلب المعركة ، حرب الجزائر في فرنسا 1954. 1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013.
25. بوداود عمر ،من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، ترجمة: أحمد بن محمود باكلي، دار القصبة، الجزائر، 2007.
26. بوداود عمر، الطريق إلى نوفمبر، المجلد الأول، الجزء الثالث، منشورات المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1981.
27. بوداود عمر، شهادة مسجلة حول مظاهرات 17 أكتوبر 1961، ترجمة: صالح فركوس.
28. بودينة مصطفى، الناجي من المفصلة، تر: عمر المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2009.
29. بورقعة لخضر، شاهد على اغتيال الثورة (مذكرات سي لخضر بورقعة)، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.
30. جبهة التحرير الوطني، النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1954. 1962، مطابع الحزب، وحدة رضا حوحو، دون تاريخ.
31. حزب جبهة التحرير الوطني، الطريق إلى نوفمبر، المجلد الأول، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
32. جرمان عمار، الحقيقة، مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، دون طبعة، دار الهدى، الجزائر، 2007.
33. جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنسي سليم الطيب المهري وآخرون، مرا: فريدة السوداني، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1946.
34. حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلولي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر، الجزائر، 1994.
35. حربي محمد، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل قصيرداغر، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1983.
36. حربي محمد، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية (1945 . 1962)، ترجمة: علي قسايسة وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.
37. خير الدين محمد، مذكرات الشيخ خير الدين، الجزء الأول، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.
38. دحلب سعد، المهمة من أجل استقلال الجزائر، طبع وزارة المجاهدين، 2008.

39. دوم أحمد، أحمد دوم من حي القصبة إلى سجن فرين 1945 . 1962) مذكرات (مناضل)، تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ترجمة: أحمد بن محمد باكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013.
40. ديغول شارل، مذكرات الأمل التجديد 1958 . 1962، ترجمة: سموحي فوق العادة، منشورات عويدات، لبنان، 1971.
41. الذيب فتحي، عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1990.
42. الزيري الطاهر، نصف قرن من الكفاح مذكرات قائد جزائري، الطبعة الأولى، الشروق للإعلام والنشر، دار الصحافة فريد زيوش، الجزائر، 2011.
43. سارتر جان بول، عارنا في الجزائر، ترجمة: عائدة وسهل إدريس، الطبعة الثانية، دار الآداب، بيروت، 1958.
44. سارتر جان بول، مواقف مناهضة للاستعمار، ترجمة: محمد معراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.
45. سطورا بن يامين، تاريخ الجزائر بعد الاستقلال، ترجمة: صباح ممدوح كعدان، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2012.
46. سطورا بنجامين ، مصالي الحاج 1898 . 1973، رائد الوطنية، ترجمة: صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 1999.
47. ظريف زهرة، مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني منطقة الجزائر المستقلة، تر: محمد ساري، دار الشهاب، الجزائر، 2014.
48. عباس فرحات، تشريح حرب، ترجمة: أحمد منور، نشر المسك، الجزائر، 2010.
49. عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها . ليل الاستعمار، تقديم: أبو بكر رحال، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روية، الجزائر، 2010.
50. عباس فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، دون تاريخ.
51. علاق هنري، مذكرات جزائرية، ترجمة: جناح مسعود، عزيزي عبد السلام، دار اليقظة للنشر، الجزائر، 2007.
52. فارس عبد الرحمن، الحقيقة المرة مذكرات سياسية (1945 . 1965)، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2007.
53. فافود شارل أندري، الثورة الجزائرية، ترجمة: عبد الرحمن كابوية، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.

54. فانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط، الطبعة الأولى، منشورات، ANEP ، الجزائر، 2004.
55. فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، روية الجزائر، 2008.
56. فانون فرانز، من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
57. فيرجاس جاك، جرائم الدولة الكوميديا القضائية، تعريب: حسين حيدر، الطبعة الأولى، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2013.
58. قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثاني، دار العثمانية، الجزائر، 2013.
59. قليل عمار، ملحمة الجزائر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار البعث، الجزائر، 1991.
60. قليل عمار، ملحمة الجزائر، الجزء الثالث، الدار العثمانية، الجزائر، 2013.
61. كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 . 1962، الطبعة الأولى، دار القصة، الجزائر، 2011.
62. كيوان عبد الرحمن، المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954 (ثلاثة نصوص أساسية لحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية)، ترجمة: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
63. لبجاوي محمد، حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971.
64. لوانشي أن ماري، صالح الوانشي مسيرة مناضل جزائري، طبعة خاصة (وزارة المجاهدين)، منشورات دحلب، الجزائر، 2013.
65. لوفين ميشيل، حملة أكتوبر العقابية اغتيال جماعي باريس 1961، ترجمة: عبد القادر بوزيدة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013.
66. مالك رضا، الجزائر في إيفيان المفاوضات السرية 1956 . 1962، ترجمة: فارس مغضوب، دار الفرابي، لبنان، 2003.
67. محساس أحمد علي، أحاديث مع علي أحمد محساس، الطبعة الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2012.
68. محساس أحمد، الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة: مسعود مسعود، محمد عباس، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003.
69. المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، الطبعة الثانية، المطبعة العربية، الجزائر، 1952.

70. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، مذكرات 1925 . 1954، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
71. المدني أحمد توفيق، رد الأديب على حملة الأكاذيب، دار البصائر، الجزائر، 2009.
72. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1963.
73. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، دون طبعة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 2001.
74. مشاطي محمد، مسار مناضل، ترجمة: زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010.
75. ميشيل لوفين، حملة أكتوبر العقابية، اغتيال جماعي باريس في 1961، ترجمة: عبد القادر بوزيدة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013.
76. مفدي زكريا، اللهب المقدس، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الطبعة الثانية، 1973.
77. الميلي محمد، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983.
78. مور هنري كليمون، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين UGEMA. 1955 . 1962
شهادات، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012.
79. الميلي محمد، فرانز فانون والثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
80. نايت بلقاسم مولود قاسم، ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخل وخارج (بعض مآثر الفاتح من نوفمبر)، الطبعة الأولى، دار الطباعة للنشر، الجزائر، 1984.
81. هارون علي، الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954 . 1962،
دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
82. الورثيلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 1992.

V. المصادر باللغة الفرنسية:

1. Abbas Farhet, l'Algérie devant le conflit mondial: le manifeste du peuple algérien, imp. Officielle, Alger, 1946.
2. Abbas Ferhat, la colonie vers la première, Paris, 1931.
3. Abbas Ferhat, La nuit coloniale, édition Julliard, Paris, 1962.
4. Abbas Ferhat, La nuit coloniale: guerre et révolution D'Algérie, édition Livres, Alger, 2001.
5. Abbas Ferhat, l'Indépendance confisqué, édition Garnier, France, 1984.
6. Agéron Charles Robert: Histoire de l'Algérie contemporaine, éd P.E.F, Paris, 1979.
7. Ait Ahmed Houcine, mémoires d'un combattant, Alger, 1990.
8. Ait Mokhtar Nacer Eddine, organisation spécial de l'ALN, manuscrit inédit, p01.

9. Ait Mokhtar Nacer Eddine, Gisela Goethner, la guerre d'Algérie en France, mémoires et combats 1956 – 1962, Chihab Editions, Alger, 2017.
10. Alleg Henri, La question, Minuit, Paris, 2008.
11. Alleg Henri, retour sur la question entretien avec Gilles Martin , Le temps des Cerises, septembre 2001.
12. Amokrane El Hassani Abdelhafid, memoires de combat, 1er édition, sarl Dar El Oumma, Alger, 1998.
13. André Julien Charles, une pensée anti-colonial, position 1914- 1979, Sindbad édition, Paris, 1979.
14. Ben Khadda BenYoucef, Alger capital de la résistance 1956 – 1957, édition Houma, 2002.
15. Ben Khedda Ben Youcef, L'Algérie à l'Indépendance, la crise de 1962, éditions Dahlab, Alger, 2000.
16. Benkhedda Benyoucef , la crise de 1962, l'Algérie a l'Indépendance, édition Dahleb, Alger, 1997.
17. Benkhedda Benyoucef, Abane-Ben M'hidi leur apport à la révolution algérienne, édition Dahleb, Alger, 2000.
18. Benkhedda Benyoucef, les origines du 1 er novembre 1954, Alger, 1989.
19. Boudaoud Omar, cinq Ans à la Tête de la fédération de France, du PPA au FLN, mémoires d'un combattant, édition Casbah, Alger, 2007.
20. Bourouiba Boualem, les syndicalistes Algériens leurs combat de l'éveil à libération 1936-1962, co- édition Dahleb- ENAG, Alger, 2001.
21. Collot Claude et Jean-Robert Henry, Le mouvement national Algérien :Textes 1 (1912- 1954), préface de Ahmed Maliou, édition Office des publication universitaires, Alger, 1978.
22. Crépeau Ivan, Mémoire d'un dinosaure trotskyste, secrétaire de Trotski en 1933, éditions L'Harmattan, Paris, 1999.
23. Courrier Yves, la guerre d'Algérie, Tome5, SGED, Paris, 2001.
24. CharbyJacques, les porteurs d'espoir, les réseaux de soutiens au FLN Pendant la guerre d'Algérie: les acteurs parlent, Chihab Edition, Alger, 2004.
25. Dahlab Saad, pour l'indépendance de l'Algérie, mission accomplie, édition Dahlad, Alger, 1990.
26. De Gaulle Charles, mémoires de guerre le salut 1944 – 1946 , Librairie Plon, France, 1959.
27. Doum Ahmed, de la Casbah d'Alger à la prison de Fresnes 1954-1962, préface de Ahmed Taleb - Ibrahimi, Casbah Editions, Alger, 2013,

- p64.Stora Benjamin, Messali haje, pionnier du nationalisme algérien, 2^e édition, l'Harmattan, Paris, 1986.
28. Duruy Albert, Etudes d'histoire Militaire, 1^{er} volume, éditeur Librairie Hachette et Cie, Paris, 1988.
29. Einaudi Jean – Luc, la bataille de Paris, Média- plus, Algérie, 1994.
30. EinaudiJean- Luc, La baille de Paris 17 octobre 1961, Alegria, Editions Média plus, Constantine,2010.
31. Einaudi Jean Luc, la bataille de Paris 17 Octobre 1961, édition Media-plus, Alger, 1994.
32. Farés Abderrahmane, la cruelle vérité, éditions Plon, Paris, 1982.
33. Ghafir Mohamed, Ma douleur, l'événement le plus douloureux de ma vie mon arrestation par la D.S.T le mercredi 08 Janvier 1958 à Paris, éditions Ourahmoune, Algérie, 2021.
34. Ghafir Mohammed, Cinquantenaire du 17 octobre 1961 à Paris droit d'évocation et de souvenance, préfaces Jean Luc Einaudi, Boualem Aidoun, Editions Encyclopedia, Alger, 2012.
35. Ghilahriz Louisette, Algérienne récit recueilli par Anne Nivat, Casbah Editions, Alger, 2006.
36. Harbi Mohammed, le FLN mirage et réalité des origines à la prise du pouvoir 1945 – 1962, ENAL, Alger, 1993.
37. Harbi Mohammed, Aux origines du Front de libération nationale: la Scission du P.P.A-M.T.L.D, éd. Christian Bourgois , Paris.
38. Harbi Mohammed, les archives de la révolution Algérienne, 1^{ère} édition, Paris, les éditions Jeune, 1985.
39. Harbi Mohammed, les archives de la révolution Algérienne, édition jeune Afrique, Paris, 1981.
40. Harbi Mohammed, une vie debout , mémoires politiques1945-1962, Tome 1, Casbah éditions, Alger, 2001, p97.
41. Harbi Mohammed, Une vie debout mémoires politiques 1945-1962 ,T 1,Edition de la découverte, Paris, 2001 .
42. Harbi Mohammed," Une conscience liber", les temps modernes, Paris, octobre-décembre 1990.
43. Haroun Ali, la 7^E Wilaya la guerre du FLN en France 1954 – 1962, Casbah Editions, Alger, 2005, p12.
44. Haroun Ali, L'été de la discorde Algérie 1962, Casbah éditions, Alger, 2000.
45. Haroun Ali, le second front écrits et documents de la fédération de France du FLN 1954 – 1962, Casbah éditions, Alger, 2021.

46. Houart Pierre, L'attitude de l'église dans la guerre d'Algérie 1954 – 1960, le livre Africain – Bruxelles, 1960.
47. Janson Francise et Collette, L'Algérie hors la loi, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection Bibliothèque du Magrabe, Editions ANEP, Alger, 2006.
48. Jeanson Francis, L'Algérie hors la loi, ministère de la culture, Alger, 2009.
49. Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme Algérien, Tom 02, édition, EDIF, Alger, 2003.
50. Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien 1919 -1939, Tome 1, édition EDIF, 2000, 2003.
51. Kiouane Abderrahmane, diplomatie de la guerre, édition Dahlab, Alger, 2000.
52. Kiouane Abderrahmane, Moments du Mouvement Nationale : textes et positions, éd. Dahleb , Alger, 1985.
53. Labdjaoui Mohamed, vérités sur la révolution algérienne, ANEP, Alger, 2005.
54. Lebjaoui Mohammed, Vérités sur la révolution algérienne, ANEP, Rouïba, Alger, 2005.
55. Lebjaoui Mohammed, vérités sur la révolution Algérienne, éditions Gallimard, Paris, 1970.
56. Levine Michel, Les Ratonnades d'octobre, un meurtre collectif à Paris en 1961, édition Ramsay, Paris, 1985.
57. Louanchi Anne Marie, Salah Louanchi parcours d'un militant algérien, Edition Dahlab, Alger, 1999.
58. Malek Ridha, L'Algérie à Evian, histoire des négociations secrètes 1956 – 1962, Edition du Seuil, Paris, 1995.
59. Méchati Mohammed, parcours d'un militant, Chihab éditions, Alger, 2009.
60. Merdaci Abdemadjid, GPRA un mandat historique 19 septembre 1958 -3 aout A962, les éditions du Champ libre, Algérie, 2018.
61. Meynie Gilbert et Harbi Mohammed, Le FLN documents et Histoire 1954-1962, édition Casbah, Alger, 2004.
62. Meynier Gilbert, histoire intérieure du FLN 1954-1962, Casbah éditions, Alger, 2003.
63. Meynier Gilbert, Harbi Mohamed, Histoire intérieure du FLN 1954-1962, Casbah édition, Alger, 2003.
64. Meziane Cherif Abderrahmane, la guerre d'Algérie en France, Mourepiane: L'Armée des ombres, préface de Jacques Verges, éditions Publisud, Paris, 2010.

65. Messali- Benkelfa Djanina, une vie partagée avec Messali Hadj, mon père, Hiber éditions, Alger, 2013.
66. Papon Maurice, les chevaux du pouvoir, le préfet de police du générale de Gaulle, ouvre ses dossiers 1958-1967, Platon, Paris, 1988.
67. Péju Marcel, le procès du réseau Janson, édition de la couverte et Syros, Paris, 2002.
68. Paulette Péju, Rotonardas Paris, Edition François Maspero, Paris, 2000.
69. Riceputi Fabrice, ici on noya les Algériens, la bataille de Jean-Luc Einaudi pour la reconnaissance du massacre policier et raciste du 17 Octobre 1961,"précédé de Une passion décoloniale" par Edwy Plenel, préface de Gilles Manceron, S D.
70. Sarter Jean Paul, position anticolonialistes, préface de Fatima Beldjorb, collection Voix de l'anticolonialisme, Edition ANEP, Alger, 2006.
71. Sartre Jean-Paul, Situations , Gallimard, Paris, 1964.
72. Stora Benjamin, Algérie histoire contemporaine 1830 – 1988, Casbah éditions, Alger, 2006.
73. Simon Jaques – Messali El Hadj (1898- 1974), La passion de l'Algérie libre, éd, tréasias, Paris, 1998.
74. Verges Jacques, la colonisation en procès, ministère de la culture, Alger, 2009.
75. Yefsah Abdelkader, Histoire politique de l'Algérie 1954 – 1984, ENAG éditions, Alger, 2016.
76. Zeggagh Mahand, prisonniers politiques du FLN en France 1954 – 1962, la prison, un champ de bataille, préface de Mohammed Harbi, Chihab Editions, Alger, 2015.

VI. المصادر الشفوية: (الروايات الشفهية والمقابلات الشخصية)

1. بلصير عيسى، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00، يوم 05 فيفري 2018.
2. بن زديرة عبد الله، شهادة شفوية، المتحف الوطني للمجاهد، بسكرة، 18 أكتوبر 2018.
3. بوسرية مكي، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 9.30 . 10.30، يوم 10 ديسمبر 2022.
4. أحمد بوضياف (حمادي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09: 30 . 12.30، 24 أكتوبر 2024.
5. زروال أحمد، مقابلة مع الباحثة، خنشلة، الساعة 10.00 . 11.15، 10 أكتوبر 2018.
6. شوال مسعود، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 09.15 . 10.30، 18 فيفري 2019.
7. الصغير سواسي، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 09.30 . 10.30، 18 ماي 2024.

8. عزوز مخلوف، مقابلة مع الباحثة، بسكرة ، الساعة 09.00 . 10.00 ، 11 فيفري 2019.
9. كشاد بشير، مقابلة مع الباحثة، بسكرة، الساعة 10.00 . 11.00 ، 09 ديسمبر 2022 .
10. غفير محمد (موح كليشي)، مقابلة مع الباحثة، سطيف، الساعة 9.30 . 11.30 ، 22 نوفمبر 2022.

ثالثا: المراجع:

I الكتب والمراجع باللغة العربية:

1. أبو عمران الشيخ، ومحمد جيجلي، الكشفة الإسلامية الجزائرية 1935 . 1955، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
2. الاتهامات المتبادلة بين مصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
3. أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 . 1962، دون طبعة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.
4. ألبير بيير، الصحافة، ترجمة: خير الدين عبد الصمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.
5. أولوا بيار ماري، فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
6. إيفينو لا بتريك، و بلانشايسجون، حرب الجزائر ملف وشهادات، ترجمة: بن داود سلامنية، الجزء الأول، دار الوعي للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
7. الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، الجزء الأول، دون طبعة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دون تاريخ.
8. باسطة أرزقي، مواقف وشهادات عن الثورة الجزائرية إيماننا بالله والإسلام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
9. برانش رافيل، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء ثورة التحرير الجزائرية، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، طبعة خاصة، دار أمد وكال للنشر، الجزائر، 2010.
10. بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1995.
11. بركات دليمة، من شهداء الثورة الجزائرية، المكتبة العصرية، الجزائر، 2002.
12. بريفيلي غي، النخلة الجزائرية الفرانكفونية (1880 . 1962)، ترجمة: مسعود حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

13. بزيان سعدي، جثث جزائرية تطفو فوق نهر السين، جوانب مضيئة من نضال عمالنا المهاجرين في سبيل استقلال الجزائر، ثورة الجزائر، أحداث وتأملات، جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية آثار الثورة في الأوراس، 1994.
14. بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بيغو إلى الجنرال أوساريس، دون طبعة، دار هومة، الجزائر، 2002.
15. بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة، 2005.
16. بزيان سعدي، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 . 10. 1961، منشورات ثالة، الجزائر، 2003.
17. بزيان سعدي، دور الطبقة الجزائرية العاملة في المهجر في ثورة نوفمبر 1954 (التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال)، مطبعة هومة، الجزائر، 2008.
18. بزيان سعدي، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، المجلد الثاني، منشورات ثالة، الجزائر، 2009.
19. بزيان سعدي، فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، الطبعة الأولى، دار نسيان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016.
20. بشيشي الأمين، دور الإعلام في معركة التحرير، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات جمعية أول نوفمبر 1954، باتنة، الجزائر، 1994.
21. بغداد خلوفي، نشاط الحركة الطلابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1954 . 1962)، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
22. بكواندت وليام، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954. 1958، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981.
23. بلاح بشير، تاريخ الجزائر في القرنين 1800 . 2000، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار قرطبة، الجزائر، 2016.
24. بلاسي أحمد نبيل، الاتجاه الغربي والجزائري ودورهما في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
25. بلاسي نبيل أحمد، تاريخ الهجرات الجزائرية إلى فرنسا ودوافعها (1912 . 1955)، كلية الآداب، جامعة الزقازقي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.
26. بلحاج صالح، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2008.

27. بلحاج صالح، جذور السلطة في الجزائر، الأزمات الداخلية لجبهة التحرير الوطني من 1956 إلى 1965، نشر بن مرابط، 2014 الجزائر، 2014.
28. بلحسين مبروك، المراسلات بين الداخل والخارج الجزائر . القاهرة 1954 . 1956، تر: الصادق عماري، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
29. بلوزاع براهيم، نظرة على الجزائريين 1947 و 1962، من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية (الزهرة ، الأسبوع، الصباح نموذجاً)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2015.
30. بلوفة عبد القادر جيلالي، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1939 . 1945) في عمالة وهران، الطبعة الأولى، دار الألمعية، الجزائر، 2011.
31. بن حودة بوعلام، الثورة الجزائرية (ثورة أول نوفمبر : معالمها الأساسية)، دار نعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
32. بن خليف عبد الوهاب، الوجيز في تاريخ الجزائر، تقديم: سليم قلاله، الطبعة الأولى، دار بني مزغنة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
33. بن قبي صالح، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ومحاضرات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
34. بن نادر الطيب، الجزائر حضارة وتاريخ الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
35. بوالطمين جودي الأخضر، لمحات في ثورة الجزائر، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
36. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.
37. بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.
38. بورغدة رمضان، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958 . 1962، منشورات نوبة للدراسات والبحوث، الجزائر، 2012.
39. بوشياخي شيخ، الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1954 . 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.
40. بوصفصاف عبد الكريم وآخرون، القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003.
41. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 . 1945)، الطبعة الأولى، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1981.

42. بوضرية عمر، تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954. 1962)، دار الإرشاد، الجزائر، 2013.
43. بوضياف عيسى، محمد بوضياف التحضير لأول نوفمبر 1954، الطبعة الأولى، دار الخليل القاسمي.
44. بوعزيز يحيى، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.
45. بوعزيز يحيى، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912 . 1948)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
46. بوعزيز يحيى، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946 . 1962، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2003.
47. بوعزيز يحيى، الثورة في الولاية الثالثة أول نوفمبر 1954. 19 مارس 1962، دار الأمة، الجزائر، 2004.
48. بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 - 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
49. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ، دون تاريخ.
50. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، الجزء الثالث، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
51. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008.
52. بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء الثاني، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر.
53. بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزء الثاني، دار الهدى، الجزائر، 2004.
54. بوقصة كمال، مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبية، ترجمة: ميشيل سطوف، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005.
55. بومالي أحسن، أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية 1954 . 1962، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

56. بومالي أحسن، أول نوفمبر 1954، بداية النهاية لخرافة الجزائر الفرنسية، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
57. بومالي حسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، ملتقى الوطني حول الإعلام والإعلام المضاد، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر.
58. بيجو مارسال، محاكمة شبكة جونسون، ترجمة: عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2012.
59. تابلت علي، 08 ماي 1945، الطبعة الثالثة، مطبعة ثالة، الجزائر، 1996.
60. تابلت علي، فرحات عباس رجل دولة، دار ثالة، الجزائر، 2007.
61. تريستان آن، صمت النهر أكتوبر 1961، ترجمة: مجموعة من المترجمين، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013.
62. تقية محمد، الثورة الجزائرية - المصدر - الرمز والمآل، ترجمة: عبد السلام عزيزي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010.
63. توشار جان، تاريخ الأفكار السياسية الاشتراكية - الليبرالية - القومية - السلفية، ترجمة وتحقيق: ناجي الدراوشة، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دار التكوين، دمشق، 2010.
64. جربال دحو، المنظمة الخاصة لفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، تاريخ الكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني في فرنسا (1956 - 1962)، ترجمة: سيناء بوزيدة، منشورات الشهاب، 2013.
65. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث - دراسة سوسيولوجية - ، ترجمة: فيصل عباس، مراجعة: خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1981.
66. جلال يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر: الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، الجزء الثاني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
67. الجندي خليفة، حوار حول الثورة، الجزء الثاني، موفم للنشر، الجزائر، 2008.
68. الجندي خليفة، حوار حول الثورة، دوافع نقل الثورة إلى فرنسا (الرد والردع)، موفم للنشر، الجزائر.
69. جوبيه عبد الكامل، قضايا الثورة الجزائرية في مجلة الآداب البيروتية 1954 - 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
70. حريزي موسى بن ابراهيم، الحرب النفسية ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء، دون طبعة، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2015.
71. حفظ الله أبوبكر، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954 - 1962، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013.

72. حفناوي باعلي، صورة الجزائر في عيون الرحالة وكتابات الغربيين، منشورات دار اليازوري العلمية، دون تاريخ.
73. حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية (1871 . 1962) مشارب ثقافية وإيديولوجية، الطبعة الأولى، الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين، قسنطينة . الجزائر، 1994.
74. حمادي عبد الله، الحركة الوطنية الطلابية الجزائرية 1871 . 1962، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
75. الحواس الوناس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927 . 1954، دون طبعة، دار شطايب، بوزريعة، الجزائر، 2013.
76. خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830 . 1962، ترجمة: عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2009.
77. خرنان مسعود، الوحدة المغاربية من خلال موثائق الثورة الجزائرية، القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة، دار الهدى، الجزائر.
78. خضير إدريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830 . 1962، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
79. الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
80. الخولي لطفي، عن الثورة في الثورة وبالثورة حوار مع بومدين، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، الجزائر، 1975.
81. خيضر إدريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830 . 1962)، الجزء الأول، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
82. دبش إسماعيل، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954 . 1962، دار هومة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1999.
83. الدرعي محمد، التطورات السياسية في الوطن العربي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، البليدة، دار المدني، الجزائر، 1995.
84. دسوقي ناهد، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين 1918 . 1939، د . ط، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2001.
85. ربيع حامد، الحرب النفسية في المنطقة العربية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974.

86. رخيلا عامر، 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسيرة الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
87. الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
88. الزبيري محمد العربي، الثورة في عاملها الأول، دار البعث، قسنطينة، 1984.
89. الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
90. الزبيري محمد العربي، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
91. زويير رشيد، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1956 . 1962، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
92. زوزو عبد الحميد، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي . التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837 . 1939، الجزء الثاني، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
93. زوزو عبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحريين 1914 . 1939 نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
94. زوزو عبد الحميد، المراجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، مجلد 05، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
95. زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا والجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1997.
96. سامعي إسماعيل، انتفاضة 8 ماي بقالة ومناطقها، قالمة، دار الهدى، الجزائر، 2004.
97. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.
98. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، دار البصائر، الجزائر، 2007.
99. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية 1830.1945، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
100. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 . 1930)، الجزء الثاني، 4 أجزاء، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

101. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 . 1930، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
102. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 . 1945، الجزء الثالث، الطبعة الاولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
103. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، دار البصائر، الجزائر، 2007.
104. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009.
105. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، 2007.
106. سعداوي مصطفى، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
107. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، الطبعة الثانية، الجزائر، عالم المعرفة، 2008.
108. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
109. سعيدوني نصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، الطبعة الثانية، عالم المعرفة، الجزائر، 2008.
110. سعيود أحمد، العمل الدبلوماسي لجهة التحرير الوطني 1954 . 1958، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.
111. سميح أحمد، حسن اسماعيل، الاستيطان اليهودي في الجزائر 1919 . 1962، ط1، دار الكتاب الجامعية، الجزائر، 2009.
112. شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 . 1956، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، 2013.
113. شريط الأمين، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919 . 1962)، د.م.ج، دار الطليعة، الجزائر، 1988.
114. شريط عبد الله، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، الجزء الثاني، 1961.
115. الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة المسلحة، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، دار القبة للنشر، الجزائر، 2002.
116. صاري أحمد ، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004.
117. صاري أحمد، دور المهاجرين الجزائريين في الثورة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002.

118. صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004.
119. صاري الجلالي، الهجرة الجزائرية نحو أوروبا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
120. صاري جيلالي، قداش محفوظ، الجزائر في التاريخ (05). المقاومة السياسية 1900. 1954 الطريق الإصلاحي والثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
121. الصديق محمد صالح، كيف ننسى وهذه جرائمهم؟، دار هومة، الجزائر، 2009.
122. الصديق محمد صالح، أيام خالدة في حياة الجزائر، الجزائر، 2009.
123. ضيف الله عقيلة، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954. 1962، الطبعة الأولى، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
124. الطويل عبد الستار، اليسار الأوروبي، دار الثقافة الجديد، القاهرة، دون تاريخ.
125. عباد صالح، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830. 1930، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
126. عباس محمد الشريف، من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.
127. عباس محمد شريف، من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2005.
128. عباس محمد، الثورة الجزائرية: نصر بلا ثمن، دار هومة، الجزائر، 2013.
129. عباس محمد، رواد الوطنية، (شهادة 28 شخصية وطنية)، الطبعة الثانية، دار هومة، الجزائر، 2009.
130. عبد الرحمن عواطف، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954). (1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
131. عربي عبد الرحمن، عالم الاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
132. العسلي بسام، جيش التحرير الوطني، دار النفائس، بيروت، 2010.
133. عطا الله شوقي، عبد الرزاق إبراهيمي، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة، 2000.
134. عطا الله شوقي، عبد الله عبد الرزاق إبراهيمي، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.

135. عفرون محرز، مذكرات من وراء القبور واقع ومأساة، الجزء الأول، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
136. العقاد صلاح، المغرب العربي (الجزائر، المغرب، تونس): دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1972.
137. عقيب محمد سعيد، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1954 . 1962، دار سنجاك الدين للكتاب، الجزائر، 2009.
138. عقيب محمد السعيد، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة، الطبعة الأولى، الشاطبية، الجزائر.
139. عقيب محمد السعيد، دور الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين خلال ثورة التحرير 1955. 1962، مؤسسة كوشار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
140. علوان محمد، القضية الجزائرية أمام الأمم المتحدة 1957 . 1958، ترجمة وتقديم: علي تابلت وآخرون، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
141. العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830. 1954، الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة . الجزائر، 1985.
142. عمامرة رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931. 1956 ورؤساؤها الثلاثة، الطبعة الأولى، 2004، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004.
143. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، دار ربحانة للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2002.
144. عميراوي أحמידة، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الطبعة الثانية، الجزائر، دار الهدى، 2004.
145. عميري ليندة، معركة فرنسا حرب الجزائر بفرنسا، ترجمة: برمالة فضيل، منشورات الشهاب، الجزائر، 2013.
146. عيناد رضوان تابت، 8 أيار/ماي 1945 والإبادة الجماعية في الجزائر، منشورات آنيب (ANEP)، الجزائر، 2005.
147. غراند مارتن سيفي، مسيحيون ضد استعمار الجزائر، دون طبعة، منشورات أمد وكمال، الجزائر، 2012.
148. غربي الغالي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954. 1962) دراسة في السياسات والممارسات، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

149. غولد زيغر أني راي، جذور حرب الجزائر 1940.1945، ترجمة: وردة لبنان، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005.
150. فافود شارل أندري، الثورة الجزائرية، ترجمة: عبد الرحمن وسالم محمد، منشورات دحلب، 2010.
151. فارس محمد، أبحاث في تاريخ الحركة النقاوية الجزائرية، جذورها، تطورها، مراحلها حتى 1962، مجلة من تاريخ الحركة النقاوية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين)، ط1، الجزائر، 1989.
152. فايد بشير، مجازر 8 ماي 1945 كما تحدث عنها البشير الإبراهيمي، سطيف، منظمة المجاهدين، 2009.
153. الفتلاوي سهيل حسن، المنظمات الدولية، بيروت، دار الفكر العربي، 2004.
154. فرسخ جورج، فرانسوا ميتران والقضايا العربية، الجزء الأول، دار أزال، بيروت، 1985.
155. فركوس صالح، جهاد الأمة الجزائرية، دار العلوم للنشر، الجزائر.
156. قداش محفوظ وصاري أحمد، الجزائر صمود ومقاومات 1830 . 1962، ترجمة: خليل أوزاينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
157. قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939 . 1951، تر: أحمد بن البار، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر، 2008.
158. قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة: أمحمد البار، الجزء الأول، دار الأمة للنشر والطباعة والتوزيع، 2008.
159. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 . 1945، ترجمة: محمد المعراجي، دار الأمة، الجزائر، 2016.
160. قناش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 . 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
161. قناش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 . 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
162. قناش محمد، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945، الجزائر، مطبعة حلب، 1990.
163. قولد زيغر أني راي، جذور حرب الجزائر (1940 . 1945) من فرنسا الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، ترجمة: وردة لبنان، مراجعة: حاج مسعود مسعود، دون طبعة، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2005.
164. كاتب كمال، أوروبيون أهالي ويهود بالجزائر 1830 . 1962 تمثيل وحقائق السكان، دار المعرفة، دون تاريخ.

165. كلود جوان، جنود جلادون، حرب الجزائر عندما يتحول العساكر إلى آلة تعذيب، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013.
166. كلود هنري وآخرون، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ترجمة: محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت.
167. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، الجزء الرابع، المؤسسة العربية للنشر، لبنان، 1979.
168. كيلر فريتز، تضامن الأمم المتحدة اليسار النمساوي والثورة الجزائرية 1958 . 1963، ترجمة: يوسف أعراب، دار خطاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 2014.
169. لميرل روبير، مذكرات أحمد بن بلة، تر " العفيف الأخضر، دار الأدب، بيروت، دون تاريخ.
170. لوكرتول أندري، جزائر الخمسينيات، شهادة قس، تر: عبد القادر بوزيدة لزهارى لبتر، د ط، الجزائر، دون سنة النشر.
171. لونيبي إبراهيم، مصالي الحاج في مواجهة جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، 2007.
172. لونيبي رابح، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، دون تاريخ.
173. لونيبي رابح، بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، (1830 . 1989)، الجزء الثاني، دار المعرفة، 2010.
174. لونيبي رابح، تحولات الحركة المصالية وتفسيرها، ملتقى إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
175. لونيبي رابح، رؤساء في ميزان التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2011.
176. ليزو كلود، العنف، التعذيب، الاستعمار، من أجل الذاكرة الجماعية، ترجمة: مصطفى ماضي وآخرون، الطبعة الأولى، دار القصة، الجزائر، 2007.
177. ماستر نيل ماك وجيم هاوس، باريس 1961: الجزائريون إرهاب الدولة والذاكرة، ترجمة: أحمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2013.
178. مانصيرون جيل، الحجب الثلاثي للمجزرة في كتاب مارسيل وبوليت بيجو، 17 أكتوبر ما يملكه الجزائريون، ترجمة: رشيدة خوازم، دار سيديا، الجزائر، 2013.
179. مرتاض عبد المالك، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية (1954 . 1962)، منشورات المركز للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر.
180. مسعود سيد علي حاج، التطور السياسي للثورة الجزائرية ما بين 1960 . 1962، الطبعة الأولى، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012.

181. مقالاتي عبد الله، في جذور الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010.
182. ملاح عمار، المرحلة الانتقالية للثورة من 19 مارس إلى سبتمبر 1962، دارالهدى للنشر، عين مليلة، 2005.
183. ملاح عمار، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
184. مناد طالب، الفكر السياسي عند جان بول سارتر وعلاقته بالثورة الجزائرية 1954 . 1962، دار خطاب، الجزائر، 2007.
185. مياي إبراهيم، مقتبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.
186. نجاري بوعلام، الجلادون 1830 . 1962، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، دون تاريخ.
187. نور عبد القادر وآخرون، حوار حول الثورة، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون، الرغبة، الجزائر، 1986.
188. نور عبد القادر، الحركة الطلابية أثناء الثورة الجزائرية (1954 . 1962) أحداث، آراء، شهادات، تعليق، وذكريات، الدار الخلدونية، الجزائر.
189. نوفل أحمد، الحرب النفسية من منظور إسلامي، ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987.
190. هامون هرفي، باتريك روتمان، حملة الحقائق المقاومة الفرنسية ضد حرب الجزائر، تر: عبد الرحمن كابوية، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.
191. هامون هيرفي، باتريك روتمان، حملة الحقائق (المقاومة داخل فرنسا للحرب الاستعمارية في الجزائر 1954 . 1962)، ترجمة: حسين العويدات، نور الدين سكوتي، الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت . لبنان، 1984.
192. هلال عمار، نشاط الطلبة إبان حرب التحرير 1954، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
193. الورطاسي قدور، أربع سنوات مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية، مطبعة البلاد، الرباط، دون تاريخ.
194. يوسف محمد، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، تر: حسين محمد الشريف بن دالي، الطبعة الثانية، دار ثالة، الجزائر، 2007.
195. يوسف محمد، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، تر: عبد المجيد بوجلة، موفم للنشر، الجزائر، 2001.

II. المراجع باللغة الفرنسية:

1. Abane Belaid ,l'Algérie en guerre , Abane Ramdane et les fusil de la rébellion, éditions Harmattan, Paris, 2008.
2. Abene Belaid, vérités sans tabous l(assassinat d'Abane Ramdane, qui? Comment?Pourquoi? Et après?, El Dar El Othmana Edition Distribution, Alger, 2017.
3. Abrous Mansour, contribution à l'histoire du mouvement étudiant algérien 1962-1982, Edition l'Harmattan, Paris, 2002.
4. Amer Amar Mohand, la crise du FLN de l'été 1962, indépendance nationale et enjeux de pouvoir, préface de Omar Carlier postface de Mohammed Harbi, Editions Frantz Fanon, Boumerdès, Algérie, 2003.
5. Amiri Linda, la Bataille de France, la guerre d'Algérie en France, édition Chihab, Alger, 2005.
6. Amiri Linda, la bataille de paris, Media – plus, Algérie, 1994.
7. Arond Rimond, la tragédie algérienne, 2dition ANEP, Alger, 2006.
8. Bel-Houcine Mabrouk, le courrier Alger- le Caire (1954-1962), et le congrès de la Soummam dans la révolution, Casbah édition, Alger, 2000.
9. Belloula Tayeb, les Algériens en France, leurs passé, leurs participation à la lutte de libération nationale, leurs perspectives, 1ere édition, Alger, E.N.A, 1965.
10. Ben Hamouda Boualem, la révolution algérienne du premier Novembre 1954, Dar El Noamane, Alger, Janvier 2012.
11. Benamara Kader, Fritz Keller, solidarité en action soutien européen à la résistance algérienne 1954 – 1963, édition Barkat,Vienne, Autriche, 2013.
12. Bennoune Mahfoud et Elkenz Ali, Le hazardeth 'histoire entretien avec belaid Abdeslam, tome1, édition Enag, Alger, 1990.
13. Biondi Jean-Pierre et Morin Gille, Les anticolonialistes 1881-1962, Editions Robert Laffont, Paris.
14. Blanchard Jean, le problème Algérien, réalité et perspectives, PUF, Paris, 1955.
15. Bouchakour Walid, sa position est plus qu'ambivalente, "El watan", avril22, 2017.
16. Bougherra Nassima, les rapports franco-allemands à l'épreuve de la question algérienne 1955 – 1963, Peter Lang, Bern, 2006.
17. Bourdieu Pièrre, Sociologie de l'Algérie, collections (que –sais-je?), 6eme édition, presses universitaires de France, Paris, 1980.
18. Braco Hélène, pour avoir dit non, Paris - méditerrané, 2003.
19. Branche Raphaël, L'embuscade de Palestro, Algérie 1956, Editions Casbah, Alger, 2011.

20. Chabrun Laurent, la guerre de l'ombre, RG contre FLN, préface de Benjamin Stora, Editions Jacob, Duvernet, Paris, 2001.
21. Chailley - Bert oseph, dix années de politique coloniale, librairie Armand Colin, Paris, 1902.
22. Chapeu Sybille, des chrétiens dans la guerre d'Algérie, l'action de la Mission de France, Dahleb Editions, Alger, 2010.
23. Chapsal Jacques, la vie politique en France depuis 1940 à 1958, 02ème éditions, Paris, Presses universitaires de France, 1966.
24. Charbun Laurent, la guerre de l'ombre , RG contre FLN, Editions Jacob Duvernet, Paris, 2011.
25. Chauffard Georges, les carnets secrets de la décolonisation, Edition Calmann, Lévy, France, 1972.
26. Chevalier Louis, le problème démographique nord- africain, travaux et document, cahier N°6, PUF, Paris.
27. Chevalier Louis, le problème démographique Nord-Africain, travaux et document, cahier N°6, PUF, Paris, 1947.
28. Chikh Slimane, l'Algérie en Arme ou le temps des certitudes, 2^{eme} édition, édition economica, Paris, 1981.
29. Collot Claude, Jean robert Henry ,le mouvement national Algérien textes 1912- 1954, édition L'harmattan, Paris, 1978.
30. Cornevin Marianne, Histoire de l'Afrique contemporaine de la deuxième guerre mondiale à nos jours, 2ème édition, édition Payot, Paris, 1978.
31. Danièle Minne, Djamila Amrane, la guerre d'Algérie (1954 – 1963) Femmes au combat, Editions Rahma, Alger , 1993.
32. Dany René, la partie et le tout, le PCF et la guerre Franco algérienne, Syllepse, Paris, 1990.
33. Demondion Pierre, les problèmes de l'emploi, 1^{ère} édition, édition Berger Levrault, Nancy, France, 1960.
34. Depont Octave , les troubles en Afrique du nord et les franchises indigènes en Algérie, Revue politique et parlementaire, Paris, 1935.
35. Derder Peggy, l'immigration Algérienne et les pouvoirs public dans le département de la Seine 1954 – 1962, Harmattan, 2005.
36. Dewerpe Alain, Charonne 8 Février 1962, Anthropologie historique d'un massacre d'Etat, Editions Gallimard, Paris, 2022.
37. Djabi Nasser, Lakhder Kaidi, une Histoire du syndicalisme algérien, édition Chihab, Alger, 2005. Fares Mohammed, Aissat Idi, documents et témoignages sur le syndicalisme algérien, préface Mahfoud Kaddache, Edition Zyriab – Enag, Alger, 2009.

38. Djerbal Daho, l'organisation Spéciale de la fédération de France du FLN , Histoire de la lutte Armée du FLN en France (1954 -1962), éditions Chihab, Algérie, 2012.
39. Duchemin Jacques, Histoire de FLN, Edition Mimouni, Alger, 2006, p295.
40. Duquesne Jacques, pour comprendre la guerre d'Algérie, édition Perrin, 2001 et 2003.
41. Duruy Albert, Etudes d'histoire Militaire, 1^{er} volume, éditeur Librairie Hachette et Cie, Paris, 1988.
42. Einaudi Jean Luc, la bataille de Paris, 17 octobre 1961, édition Media-plus-Constantine, Algérie 2010.
43. Elsenhans Hartmut, la guerre d'Algérie 1954 – 1962, la transition d'une France à une autre, le passage de la Iv^e à la V^e république, préface de Gilbert Meunier, traduction par Vincent Goupy, Editions EDIF, Alger, 2010.
44. Emmanuel Blanchard, Algériens et algériennes dans les manifestations D'Octobre 1961, Hal-Edition, France, 2014.
45. Etienne Maquin, le parti socialiste et la guerre d'Algérie 1954 -1962, édition l'Harmattan, Paris, 1990.
46. Evans Martin, Mémoire de la guerre d'Algérie, l'Harmattan éditions, Paris, novembre 2007.
47. Eveno Patrick et Planchais Jean, la guerre d'Algérie, nouv-édition, Editions la Phomic, Alger, 1990.
48. Felissi Karim Philipe, Jacques Vergés l'anticolonialiste, entretiens avec Philipe Karim Felissi, Chihab édition, Alger, 2005.
49. Flissi Karim, Jacques Verges l'anticolonialiste, édition du Félin, Paris, 2005.
50. Gallisot René, les accords d'Évian en conjoncture et en longue durée, édition Khartala, Paris, 1997.
51. Gendarne René, l'économie de l'Algérie, sous développement et politique de croissance, Armand Colin, Paris, 1959.
52. Goldzeiguer Annie Rey, aux origines de la guerre d'Algérie 1940 – 1945, édition Casbah, Alger, 2003.
53. Granmaison Olivier lecour, Le 17 octobre un crime d'état a Paris, Edition la dispute, Paris, 2001.
54. Grosser Alfred, la 4^{eme} république et sa politique extérieure, presse universitaire 02^{eme} édition, Paris, 1966.
55. Guentari Mohammed, l'organisation politico-administrative et Militaire de la révolution Algérienne de 1954 à 1962, vol 2, Office des Publications Universitaire, Alger, 2004.

56. Hajjat Abdellali, les frontières de l'identité national " l'injonction à l'assimilation en France métropolitaine et coloniale, éditions la Découverte, Paris, 2012.
57. Hamon Hervé et Rotman Patrick, les porteurs de valises, collection H comme histoire, édition Albin Michel, Paris, 2009.
58. Hautreux François-Xavier, la guerre d'Algérie des Harkis 1954 – 1962, Perrin editions, France, 2013.
59. Hifi Belkacem, l'immigration Algérienne origines et perspectives de non-retour, édition Harmattan, Paris, 1985.
60. Horne Alistair, histoire de la guerre d'Algérie, 4^{ém} édition, éditions Dahlab, Alger, 2007.
61. Houart Pierre, l'Attitude de l'église dans la guerre d'Algérie 1954 – 1962, éditions le livre Africain, Bruxelles, 1960.
62. House Jim et Mac master Neil, Paris 1961, les Algériens la terreur d'état et la mémoire, Edition Casbah, Alger, 2012.
63. Jauffret Jean Charles, la guerre d'Algérie par les documents, L'avertissement 1943-1946, Tome 1, préface du général Robert Bassac – Vincennes, Service historique de l'armée de terre, 1990.
64. Jurquet Jacques, Année de feu: l'Algérie 1954-1956, éditions l'Harmattan, Paris, 1997.
65. Jurquet Jacques, la révolution nationale algérienne , et la parti communiste français, Tom 03, édition Sedia, Algérie, 2010.
66. Kaddache Mahfoud, histoire du nationalisme Algérien 1919 – 1951, T2, 2^{eme}, édition S.N.E.D, Alger, 1981.
67. Kauffer Remi, OAS, une histoire d'une guerre franco-française, Edition du Seuil, Paris, 2002.
68. Keramane Hafid, la pacification, livre noire de six années de guerre en Algérie, préface de Nil Anderson, éditions Chihab, Alger, 2014.
69. Kergoat Jacques, Marceau pivert socialiste de gauche, édition de l'Atelier, Paris, 1994.
70. Khettab Rachid, les amis des frères, Dar Khettab, Alger.
71. Kouriba Nabhani, Jean Charbonneau Gal, des Africains s'interrogent, 1^{er} édition, éditions la Colombier, Paris, Janvier 1955.
72. Laffont Pièr, Histoire de la France en Algérie, 1^{ere} édition, librairie Plon, Paris.
73. Le Mire Henri, Histoire militaire de la guerre d'Algérie, édition Albin Michel, Paris, 1982.
74. Le Tourneau Roger, évolution politique de l'Afrique du nord Musulmane 1830 – 1961, 1^{ere} édition, Armand Colin, Paris, 1962.

75. Lefeuvre Daniel, Chère Algérie, comptes et mécomptes de la tutelle coloniale, société française d'histoire d'outre-mer, Paris, 1997.
76. Louis-marie morfaux, Jean Lefranc, nouveau vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines, Colin Armand, nouvelle édition, Paris, 2009.
77. Maddad Messaoud, Guerre d'Algérie chronologie et commentaire, ENAG, Alger, 1992.
78. Malye François, Stora Benjamin, François Mitterrand et la guerre d'Algérie, édition Sedia, Alger, 2001.
79. Mameri Khalfa, Abane Ramdane, le faux proces, 3^{ème} édition augmentée, Edition Mehdi, Tizi Ouzou, Algérie, 2007.
80. Mameri Khalfa, Aban Ramdane, documents et verité, 2^{ème} édition augmentée, Editions Mehdi, Tizi Ouzou, Algérie, 2007.
81. MameriKhalifa, Abane – Krim, de la double méprise au double assassinat, leçon et apaisement, 2^{ème} édition Augmentée, Editions El-Amel, 2017.
82. Martin Evans, Mémoire de la guerre d'Algérie, l'Harmattan, Paris, Novembre, 2007.
83. Minceron Gilles, la triple occultation d'un massacre, Edition Media-plus, Constantine, Algérie, 2012.
84. Montagnon Pierre, la guerre d'Algérie genèse et engrenage d'une tragédie 1954-1962, Editions Flammarion, Paris, 2004.
85. Moore Clément Henri, combat et solidarité estudiantin L'UGEMA 1955 – 1962, Casbah Editions, Alger, 2010.
86. Mouhoub Meriem Belabed, jeunesse, sports et revendications nationales Algérie 1940 –n 1962, publication du centre national d'études et de recherche sur le mouvement national et la révolution de 1^{er} novembre 1954, Imprimerie Houma, Alger, 2007.
87. Moussaoui Rossa, Alain Ruscio, l'humanité censurée 1954 -1962: un quotidien dans la guerre d'Algérie, Editions le Cherche Midi, Paris, 2012.
88. Muelle Raymond, 7Ans de guerre en France, quand le FLN frappait en métropole, Edition Patrimoine –France, 2001.
89. Nadjadi Boualem, les tortionnaires de 1830 à 1962, Editions ANEP, 2001.
90. Noushi André, la naissance du nationalisme Algérien 1914 – 1954, édition de minuit, Paris, 1962.
91. Omgba Richard Laurent, la littérature anticolonialiste française de 1914-1960, éditions l'Harmattan, Paris, 2004.

92. Pattie Sylvain, les camarades des frères "trotskistes et libertaires dans la guerre d'Algérie", préface de Harbi Mohammed, Casbah édition, Alger, 2006.
93. Perrault Gilles, Henri Curiel, un citoyen du tiers- monde, le monde Diplomatique, Avril 1998.
94. Pervillé Guy, Les Etudiants Algériens de L'Université Française 1830 - 1962, édition Casbah, Alger, 1997.
95. Pouillot Henri, le 17 octobre 1961 par les textes de l'époque, Edition les petits Matins, Paris, 2011.
96. Rager Jean- Jacques, L'émigration en France des musulmans d'Algérie principaux aspects démographiques, économiques et sociaux, documents Algériens, service d'Information, Alger, n 49-5, Juillet, 1956.
97. rager Jean Jacques, les musulmans Algériens en France et dans les pays islamique, Paris, 1950.
98. Rechem Belkacem, les musulmans Algériens dans l'Armée Française (1919 – 1945), édition L'Harmattan, Paris, 1996.
99. Righi Abdelaah, Ahmed Francis 1910 – 1968, le docteur en politique, Editions ANEP, Alger, 2007.
100. Roby Marcel, un siècle de radicalisme, presse Universitaire, Septentrion, 2004.
101. Schaefer René, révolution en Algérie, édition France empire, Paris, Sans date.
102. Simon Jacques, Algérie le passé, l'Algérie française, la révolution 1954- 1962, Harmattan, 2007.
103. Simon Jacques, l'immigration Algériennes en France, des origines à l'indépendance, édition Paris –Méditerranée, 2000.
104. Sirinelli Jean François, Intellectuels et passion française, manifestas et pétition au XXe siècle, Edition Gallimard, Paris, 1990.
105. Stora Benjamin, Histoire de l'Algérie coloniale (1830 -1954), la découverte, Paris, 1991.
106. Stora Benjamin, ils venaient ils venaient d'Algérie l'immigration algérienne en France 1912- 1992, édition Fayard, 1992.
107. Stora Benjamin, Mohammed Harbi, la guerre d'Algérie 1954 – 1962 la fin de l'amnésie, édition Chihab, Alger, 2004.
108. Stora Benjamin, Zakya Daoud , Ferhat Abbas une autre Algérie, édition Casbah, Alger, 1995.
109. Stora Benamine, la gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie, éditions la découverte, Paris, 1991.

110. Stora Benjamine, le transfert d'une mémoire, éditions Casbah, Alger, 2000.
111. Stora Benjamine, les immigrés algériens en France, une histoire politique 1912 – 1926, Editions Pluriel, Paris, 2009.
112. Suisini Jean – Jacques, Histoire de L'OAS, Time la table ronde, Paris, 1963.
113. Teguai Mohammed, L'Algérien guerre office des publications universitaires, Alger, 1979.
114. Theis Laurent et Ratte Philipe, la guerre d'Algérie ou le temps des méprises, maison mam, premier trimestre, Tours, 1974.
115. Tillon Germaine, L'Afrique bascule vers l'avenir, l'Algérie en 1957 et autres textes, les éditions de Minuis, Paris, 1960.
116. Tristan Anne, le silence du Fleuve, Octobre 1961, EDIF, Alger, 2000.
117. Ulloa Marie – Pierre, Francis Janson, un intellectuel en dissidence de la Résistance à la guerre d'Algerie, Berg international Editeurs, Paris, 2001.
118. Valat Rémy, les calots bleus et la bataille de Paris, Editions Michalon, Paris, 2007.
119. Valette Jacques, la France et l'Afrique du nord de 1914 à 1942, Séides, Paris, 1994.
120. Vernant Jean- Pierre, le PCF et la question Algérienne 1959, N°13, dans Vacarme, 2000.
121. Vidal- Nauet Pierre, la torture dans la république 1954 – 1962, collection grands-documents, Editions Hibr, Alger, 2012.
122. Weiss François, Doctrine et actions syndicales en Algérie, Besançon, Imprimerie moderne de l'Est, 1970.
123. Younes Karim, récits et témoignages de militants de la fédération du FLN de France, Chihab éditions, Alger, 2018.
124. Yousfi Mhamed, L'Algérie en marche, ENAL, Alger, 1985.
125. Yousfi M'Hamed, le complot: L'Algérie (1950-1954), Edition ENAL, Alger, 1986.

ثالثا. المعاجم والقواميس:

I باللغة العربية:

1. الحاج كميل، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000.

2. خطاب رشيد، أصدقاء الخاوة . الدعم العالمي للثورة التحريرية الوطنية الجزائرية، قاموس بيوغرافي، ترجمة: مصطفى ماضي، دار خطاب، الجزائر، 2013.
3. خطاب رشيد، الخاوة والرفاق، قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954 . 1962)، تر: محمد رضا بوخالفة، نسرين لولي، دار خطاب، الجزائر، 2013.
4. سعيان أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، عربي . انجليزي . فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، 2004.
5. شرفي عاشور، قاموس الثورة الجزائرية 1954 . 1962، تر: مختار عالم، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
6. العمري حمد سويلم، معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1958.
7. مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

II . باللغة الأجنبية:

1. Barreud Marc, dictionnaire des footballeurs étrangers du championnat professionnel français 1932 – 1997, édition Harmattan, Paris, 1998.
2. Cheurfi Achour, dictionnaire de la révolution algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique, Casbah Editions, Alger, 2011.
3. Stora Benjamin, Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens, édition Harmattan, 1985.

رابعاً:

. المقالات:

I . باللغة العربية:

1. أبو بكر الصديق حميدي، أصول الهجرة الجزائرية وتوزيعها بفرنسا والتأثير الإصلاحي في أوساطها، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد 11، جويلية ديسمبر 2014.
2. أوعامري مصطفى، الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920 . 1954، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016.
3. بارة عبد الرحمن، أضواء على واقع 25 أوت 1958 بفرنسا، مجلة 1 نوفمبر، ع160، 1998.
4. بديدة لزهر، فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، إشكالية التأسيس وتطور الهيكلة، مجلة البحوث والدراسات، العدد 11، السنة 08، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر، 2011.

5. بزيان سعدي، صفحات عن دور العمال في المهجر في ثورة نوفمبر 1954 الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، العدد 03، المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
6. بكار محمد، الصراع التاريخي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية من خلال الوثائق الفرنسية 1954 . 1955، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، ع 35، 2017.
7. بلعيد رابح، "موقف مصالي من الثورة الجزائرية"، في، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 04، جامعة الجزائر، 2003 . 2004.
8. بلفردي لجمال، الجزائر عشية الاستقلال وأزمة صيف 1962، الأطراف، المواقف، الإفرازات، مجلة الإحياء، المجلد 20، العدد 25، المركز الجامعي سي الحواس، بركة، جوان، 2020.
9. بليل محمد، مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954 . 1962 أمام الرأي العام البلجيكي . قراءة في وثائق أرشيفية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة 04، العدد 34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017.
10. بوهند خالد، النخبة الفرنسية المثقفة للاستعمار المناهضة للاستعمار، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 06، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2013.
11. تكران جيلالي، الصراع داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين الإصلاحية والثورية 1946 . 1950، مجلة المفكر، العدد 06، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2019.
12. جبهة التحرير الوطني، كفاح الطلبة، مجلة المقاومة الجزائرية، العدد 3، 03 ديسمبر 1956.
13. جيلالي تكران، فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، دراسة في التنظيم والهيكلية 1954 . 1957، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، العدد 19، 2018.
14. جيلالي شكران، الصراع داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بين الإصلاحية والثورية 1946 . 1950، العدد 06، مجلة المفكر، جامعة الجزائر 02، ديسمبر 2019.
15. حداد سارة: فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا (1954م-1962م)، مجلة قضايا تاريخية، العدد 01، 2016م.
16. حرز الله نادية، مجازر 8 ماي 1945، مجلة التاريخ، العدد 04، 1977.
17. الحسني عبد الحفيظ امقران، المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية؟ إلى ثورة التحرير الوطني 1900 . 1959، مجلة الثقافة، السنة الثامنة عشر، العدد 100، الجزائر، 1988.
18. خمري الجمعي، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ودور الأستاذ الفضيل الورتلاني، مجلة الحوار الفكري، العدد 05، أوت 2003.

19. زهاني البشير، علاقات الودادية العامة للعمال الجزائريين مع اليسار الفرنسي 1957 . 1962، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 05، العدد 01، جامعة باتنة، الجزائر، يناير 2022.
20. سعودي يسمينة، العقيد عميروش وإرساء قواعد التنظيم بالولاية الثالثة التاريخية 1957 . 1959، مجلة مجتمع تربية عمل، المجلد 08، العدد 01، جامعة الجزائر 02، سنة 2023.
21. سعيدوني نصر الدين، المسألة البربرية في الجزائر، مجلة عالم الفكر، مجلد 32، أبريل 2004.
22. سعيدوني نصر الدين، ذكرى وتضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير، مجلة الذاكرة، العدد 2، الجزائر، 1995.
23. سعيود أحمد، مساعي جبهة التحرير الوطني في التعريف بالقضية الجزائرية في الخارج، مجلة النائب، عدد خاص بالذكرى 50 للثورة، 2004.
24. شوقي سمير، التعذيب كأسلوب ممنهج أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة حوليات، جامعة الجزائر 01، المجلد 02، العدد 33، الجزائر، جوان 2019.
25. صاري أحمد، دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية، مجلة مصادر، العدد 01، 1999، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
26. عاشور محفوظ، نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958، مجلة تاريخ العلوم، الجزء 01، العدد 08، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، جوان 2017.
27. العربي إسماعيل، صفحة من نشاط جبهة التحرير الوطني تدويل القضية الجزائرية، مجلة الباحث، العدد 03، الجزائر، نوفمبر 1985.
28. عسال نور الدين، الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية والتعذيب إبان الثورة التحريرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 03، العدد 02، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، د ت.
29. عسال نور الدين، الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية والتعذيب إبان الثورة التحريرية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 03، العدد 02، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، دون تاريخ.
30. عسال نور الدين، المثقفون الفرنسيون والتعذيب، مجلة البوابة الجزائرية للمجلات العلمية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر.
31. علوان أمال، مساهمة الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية في الثورة التحريرية 1954 . 1962، مجلة عصور الجديدة، العدد 09، 2013.

32. عمراوي ليندة، نشاط الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا . أحمد دوم . وتأثيره على الثورة التحريرية 1954 . 1962، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 07، العدد 01، المسيلة، الجزائر، جوان 2023.
33. فارس محمد، تاريخ النقابية الجزائرية، الودادية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا، مجلة الثورة والعمال (اللسان المركزي للاتحاد العام للعمال الجزائريين)، العدد 423، السنة التاسعة والعشرون، 1985، ترجمة: عبد الله مباركية، دار القصبة، الجزائر، 2007.
34. قاسمي يوسف، مجازر 8 ماي 1945 الخلفيات والأبعاد، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد 15، بسكرة، الجزائر، أكتوبر 2008.
35. قبائلي هوارى، حركة الهجرة الجزائرية وفرنسا 1830 . 1962، مجلة المرفق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، ع 03، معسكر، الجزائر، 2010.
36. مريوش أحمد، مساهمة المهاجرين الجزائريين في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 وأثرها على دعم الثورة التحريرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 21، السداسي الأول 2010.
37. مقلاتي عبد الله، المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية (فرانسيس جونسون نموذجاً)، مجلة المصادر، العدد 21، 2010.
38. منقوش كريم، جرائم المنظمة المسلحة السرية OAS في الجزائر، مجلة المصادر، العدد 09، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة الفاتح نوفمبر 1954، الجزائر، جوان 2004.
39. هادي صباح نوري، حنان طلال جاسم، تنظيمات العمال والطلبة المهاجرين ودورهم في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، مجلة ديالي، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي، العدد 52، العراق، 2001.
40. ولد العروس طيب، المناضل الفرنسي هنري علاق وثورة التحرير الجزائرية، مجلة الموروث، العدد 02، مكتبة العالم العربي.

II . باللغة الأجنبية:

1. Benjamin Stora, la différenciation entre le FLN et le courant messaliste Eté 1954 – Décembre 1955, cahier de la méditerranée, 1983.
2. Boulouque Sylvain, les anarchiques français face aux guerres coloniales 1945 -1962, presses de l'atelier, 26270 loriol, France, 01 mars 2003.
3. El Corso Malika, 17 octobre 1961 un crime contre l'humanité, IN, el massadir, le centre national d'études et de recherche sur le mouvement

national et la révolution de 1 novembre 1954, numéro 21, 1^{er} semestre 2010.

خامسا:

. الرسائل الجامعية:

1. إيّدو شعبان، شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957 . 1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017 . 2018.
2. بن زروال جمعة، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية (1954 . 1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011 . 2012.
3. بن زروال جمعة، الحركة الوطنية الجزائرية المصالية وموقفها من الثورة (1954 . 1962)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ تخصص الثورة الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2002 . 2003.
4. جبلي الطاهر، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية 1954 . 1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة أبو بكر بلقايد، جامعة تلمسان، الجزائر، 2008 . 2009.
5. خلوفي بغداد، الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954 . 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2015.
6. خيثر عزيز، العمل النقابي بالجزائر ودوره في خدمة القضية الوطنية . الاتحاد العام للعمال الجزائريين أنموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بوزريعة، الجزائر، 2017.
7. زويدي لخضر، فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1957 . 1962، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006 . 2007.
8. شرقي محمد، أبرز القيادات السياسية والعسكرية في الثورة الجزائرية 1954 . 1962 دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005 . 2006.
9. صحراوي بلقاسم، معتقل قصر الطير 1956 . 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، الجزائر، 2005 . 2006.

10. عياش حورية، إستراتيجية الممارسة النقابية في مؤسسة الخطوط الجوية الجزائرية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2005 . 2006.
11. قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع ثورة التحرير الكبرى (1945 . 1964)، مذكرة نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 . 2002.
12. قليل مليكة، هجرة الجزائريين من الأوراس إلى فرنسا (1900 . 1930)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2009.
13. مريوش أحمد، الحركة الطلابية ودورها في القضية الجزائرية وثورة التحرير 1954، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005 . 2006.
14. منغور أحمد، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 . 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005 . 2006.

سادسا:

. الجرائد:

I . باللغة العربية:

1. أوعمران عمر، شهادة، يومية الشعب، العدد 6473، الجزائر، 20 . 08 . 1984.
2. بورقعة لخضر، شهادة الرائد بورقعة، يومية الشروق، العدد 2444، الجزائر، 1 . 11 . 2008، ص10.
3. جربال دحو، زينة حرايق مناضلة جزائرية قوية... ومظلومة، ترجمة: هيفاء زعيتير، جريدة السفير العربي، العدد 209، بيروت . لبنان، 26 سبتمبر 2016.
4. غفير محمد (موح كليشي)، المهاجرون الجزائريون احتضنوا الإضراب ب80 بالمائة، جريدة الشعب، العدد 16008، الأحد 20 جانفي 2013.
5. غفير محمد (موح كليشي)، 53 سنة على إضراب ال8 أيام محطة أخرى لانتصار القضية الجزائرية، جريدة الشعب، العدد 15098، الجزائر، الخميس 28 جانفي 2009.

II . الجرائد باللغة الفرنسية:

1. Bouzeghrane Nadjai, la légende d'un siecle, El Wattan, N⁰ 4074, 19 Avril 2004.
2. Castano Jose, le massacre des Harkis, on a ordre de ne pas les amener, le nouvel observateur, 21-10-2004.
3. Dans Vingtième siècle, Revue d'histoire 2004/3, N^o83, 2011.

سابعاً . المدونات:

1. البكوش سمير، ثورة التحرير الجزائرية خصوصياتها وموقف الفرنسيين منها، مداخلة بملتقى ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي . المنطلقات . الحقائق والأبعاد، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2006.
2. بوضربة عمر، قراءة في وثيقة فرنسية حول مجازر 8 ماي 1945 من خلال تقرير الجنرال دوفال، ملتقى مجازر 8 ماي 1945، منظمة المجاهدين، 2009.
3. بوعزيز يحيى، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير (1954 . 1960)، " الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، مج 2، ح 2، قصر الأمم من 8 إلى 10 ماي 1984، المنظمة الوطنية للمجاهدين، قطاع الإعلام والثقافة والتكوين.
4. قناش محمد، تأسيس نجم شمال إفريقيا، أعمال الملتقى الوطني حول نجم شمال إفريقيا والحركة الوطنية، المنعقد في باريس من 27 فيفري إلى 01 مارس 1987، منشورات الديوان الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
5. لونيسي رابح، "تحولات الحركة المصالية وتفسيرها"، أعمال الملتقى حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركة المناوئة، المنعقد بولاية البليدة، يومي 24 . 25 أفريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
6. مقدر نور الدين، التعذيب الاستعماري في الجزائر خلال الثورة التحريرية بين المعطى القانوني والتعنت الاستعماري، الملتقى الدولي للثورة التحريرية الكبرى دراسة قانونية وسياسية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ماي 2012.
7. يحيى محمد، النضال الوطني للمهاجرين الجزائريين بفرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة إبان مرحلة الاحتلال 1830 . 1962، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

ثامناً:

. الأقراس المضغوطة:

- 1 . رمضان رحموني، شريط وثائقي حول 17 أكتوبر 1961، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، الجزائر العاصمة.

الفهارس

- 1 . فهرس الآيات القرآنية.
- 2 . فهرس الأسماء والأعلام.
- 3 . فهرس المدن والأماكن.
- 4 . فهرس المحتويات.

1. فهرس الآيات القرآنية.

سورة التوبة، الآية 20.

سورة النساء، الآية 100.

2. فهرس الأسماء والأعلام.

أحمد سماش, 291	إبراهيم بلالي, 569
أحمد شرشاري, 343	إبراهيم مجبور, 252
أحمد طالب الإبراهيمي, 44, 69, 82, 176, 179,	أبو بكر بلقايد, 16, 214, 463
367, 371, 398, 404, 478	أبو شملة محمد الزين, 565
أحمد عبد الرحمن, 569	آبي بارتاز, 365
أحمد عماري, 272	آبي روبر ديفيزي, 365
أحمد عمراني, 251, 274, 275	أبير كارتورون, 365
أحمد عيساوي, 249, 251	أحسن علواش, 381
أحمد قايد, 419	أحمد أكرتون, 438
أحمد كاروش, 343	أحمد باشا, 79
أحمد مدغري, 419	أحمد بخات, 250, 257
أحمد مزغنة, 59, 91	أحمد بكات, 291
أحمد نسبة, 265, 266, 267	أحمد بلحسين, 529
أحمد واعمر, 421	أحمد بن بلة, 62, 370, 377, 452, 477, 509
أحمد يرماش, 500, 501	أحمد بوخروبة, 524, 525, 527
أدرار, 510	أحمد بوراس, 381
إدريس محمدي, 451	أحمد بومنجل, 80, 83, 191, 280, 404, 453
آدلفو جوزيف كامينسكي, 491	أحمد جيتور, 497
إدموند ميشلي, 292	أحمد حاج علي, 84
أدولف هتلر, 349	أحمد حدانو, 356
أرزقي بوخروبة, 544	أحمد دوم, 12, 14, 15, 63, 64, 66, 68, 69,
أرزقي بوشقة, 544	70, 71, 73, 187, 209, 244, 245, 246,
أزروبار, 421	249, 251, 254, 256, 273, 290, 366,
آسان, 379	371, 394, 396, 398, 401, 476, 478,
إسبانيا, 91, 221, 226, 276, 281, 539	505, 523, 529, 558, 580
اسماعيل عدور, 276	أحمد زبانة, 348
اعمير زقار, 524	أحمد زروال, 112, 247, 311, 312, 497,
أعومار تازيننت, 276	576

,152 ,151 ,150 ,149 ,148 ,144 ,142	إغيل مال, 379
,159 ,157,158 ,156 ,155 ,154 ,153	أفينيون, 335, 523, 527
,169 ,168 ,167 ,164 ,163 ,161 ,160	أكلي بانون, 444
,178 ,177 ,176 ,174 ,173 ,172 ,170	أكلي سلوم, 381
,187 ,186 ,184 ,182 ,181 ,180 ,179	الاتحاد السوفيتي, 51, 127, 140, 158, 163,
,195 ,194 ,192 ,191 ,190 ,189 ,188	352, 385, 419, 573
,202 ,201 ,200 ,199 ,198 ,197 ,196	الأردن, 163
,209 ,208 ,207 ,206 ,205 ,204 ,203	الاسكندرية, 33, 195, 213, 223, 424, 430
,218 ,217 ,216 ,215 ,214 ,213 ,212	الألزاس, 88, 272, 290, 501
,227 ,226 ,225 ,223 ,222 ,221 ,219	آلان دوسريتي, 280
,234 ,233 ,232 ,231 ,230 ,229 ,228	الأوراس, 16, 20, 34, 52, 66, 103, 525
,241 ,240 ,239 ,238 ,237 ,236 ,235	البرواقية, 357
,249 ,247 ,246 ,245 ,244 ,243 ,242	البشير الإبراهيمي, 44, 353, 355, 431, 514,
,258 ,257 ,256 ,255 ,254 ,253 ,251	518
,266 ,265 ,263 ,262 ,261 ,260 ,259	البشير الطيبي, 579
,280 ,279 ,275 ,273 ,272 ,270 ,268	البليدة, 1, 59, 65, 235, 236, 243, 428,
,291 ,290 ,289 ,287 ,286 ,285 ,284	552, 517
,299 ,298 ,297 ,296 ,294 ,293 ,292	ألبير شيانو, 548
,310 ,308 ,307 ,305 ,304 ,303 ,301	البيض, 155, 358, 360, 361
,317 ,316 ,315 ,314 ,313 ,312 ,311	التلاغمة, 550
,326 ,324 ,323 ,322 ,321 ,320 ,318	التيطري, 359
,338 ,335 ,334 ,333 ,331 ,330 ,329	الجزائر, 1, 4, 8, 15, 16, 19, 20, 21, 22,
,347 ,346 ,345 ,343 ,341 ,340 ,339	23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32,
,355 ,353 ,352 ,351 ,350 ,349 ,348	33, 35, 36, 37, 38, 39, 41, 43, 44, 45,
,362 ,361 ,360 ,359 ,358 ,357 ,356	46, 47, 48, 49, 50, 52, 53, 54, 57, 58,
,369 ,368 ,367 ,366 ,365 ,364 ,363	59, 60, 61, 63, 64, 65, 66, 67, 69, 70,
,378 ,377 ,376 ,375 ,374 ,373 ,371	71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80,
,385 ,384 ,383 ,382 ,381 ,380 ,379	81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 91, 94, 96,
,394 ,393 ,392 ,391 ,389 ,388 ,386	97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104,
,403 ,401 ,400 ,399 ,398 ,397 ,395	105, 106, 107, 109, 110, 111, 114,
,411 ,409 ,408 ,407 ,406 ,405 ,404	116, 117, 118, 119, 120, 121, 124,
,418 ,417 ,416 ,415 ,414 ,413 ,412	127, 128, 129, 130, 131, 132, 133,
,426 ,425 ,424 ,423 ,422 ,420 ,419	134, 135, 136, 137, 138, 140, 141,

العباسي عزوز, 451	,433 ,432 ,431 ,430 ,429 ,428 ,427
الفضيل الورثاني, 45, 450	,440 ,439 ,438 ,437 ,436 ,435 ,434
القبطان العيد, 360	,448 ,447 ,446 ,445 ,444 ,442 ,441
الكولونيل مرسي, 455	,456 ,455 ,454 ,453 ,452 ,450 ,449
اليمين زروال, 551	,466 ,465 ,463 ,462 ,460 ,459 ,458
أحمد حداد, 68	,476 ,475 ,474 ,473 ,472 ,469 ,468
أحمد يزيد, 68, 191, 445	,485 ,484 ,483 ,480 ,479 ,478 ,477
أمقران ولد عودية, 34	,492 ,491 ,490 ,489 ,488 ,487 ,486
إميل بيليسي, 324	,500 ,499 ,498 ,497 ,496 ,495 ,494
آن ماري, 246, 253, 379, 395	,510 ,509 ,508 ,507 ,506 ,505 ,504
أندري ديوا, 321	,518 ,517 ,516 ,515 ,514 ,513 ,511
أندري لاهيلون, 321	,525 ,524 ,523 ,522 ,521 ,520 ,519
أندريا باسرون, 315	,534 ,533 ,530 ,529 ,528 ,527 ,526
أوديت أندري, 491	,543 ,542 ,541 ,540 ,538 ,537 ,536
أوصديق, 340, 373, 438, 444, 447, 463,	,550 ,549 ,548 ,547 ,546 ,545 ,544
548, 556, 565, 566, 571	,560 ,557 ,555 ,554 ,553 ,552 ,551
آيت مدري, 438	,571 ,570 ,568 ,567 ,563 ,562 ,561
آيت مسعودان, 425	,580 ,579 ,578 ,576 ,574 ,573 ,572
إيدير بن يونس, 475	,601 ,600 ,585 ,584 ,583 ,582 ,581
إيدير يويو, 475	603 ,602
باريس دو بولارديار, 330	الحاج سليمان, 271
برنارد شو, 292	الحاج شرشالي, 71, 442
بشير بومعزة, 463, 584	الحبيب بورقيبة, 220, 399, 530
بشير كشاد, 247, 289, 290, 334, 560, 561	الربيع الربيع, 569
بصطالي أمير, 65	السعيد بوعزيز, 80, 404
بلعلي عيسى, 68	السيل وناس, 425
بلقاسم بن يحيى, 453, 464, 505	الشيخ خير الدين, 431, 452
بلقاسم راجيف, 65	الطالب مهدي, 66
بلوشراني عمر, 68	الطاهر العنابي, 528
بن باديس, 380	الطاهر بوسيف, 515
بن حسين مبروك, 84	الطيب بولحروف, 59, 60, 63, 81, 82, 367,
بن حليلة صالح, 576	398, 397
بن زوزو محمد, 343	الطبيبي البشير, 576

جعفر عبدس, 505	بن صيام إبراهيم, 80
جمال لعروسي, 373	بن عبد السلام رمضان, 475
جن ريم, 391	بن عبد الملك, 362, 361, 358
جورج شوفالو, 491	بن فرحات بوسعيد, 68
جون لوك اينودي, 15, 316	بن قوقام شريف, 475
جون لوي, 491	بن معيدي, 358
جون ماري, 491	بن مهل توفيق, 59
جيرمان تيون, 521	بن ميلود عزيز, 84
جيرو, 428	بوخار محمد, 500
جيلالي رجيمي, 520	بوشريط يحي, 475
جيلبار مايني, 64	بوقرة, 249
حافري تالا, 567	بول ايستولج, 348
حباشي, 358, 356, 355, 353	بولخروف يوسف, 506
حرموش سعيد, 506	بيار سيرجون, 294
حرمولال بوسته, 343	بيار شولي, 391
حسن شبلي, 369	بيار مامي, 534, 221
حسناوي عبد الله, 343	بيار هنري, 330
حسين المهداوي, 506, 478	بيتان فيشي, 349
حسين آيت أحمد, 15, 62, 353, 370, 389,	بيدينجر, 285
418, 516, 520, 555	بيرنارد يوداؤك, 365
حسين بن يونس, 475	بيزار, 370
حسين بوزاهر, 464	بيغليليه, 434
حسين بوصفر, 251	بيير نغار, 533, 237
حسين عسلة, 383	تافر بوخميس, 343
حسين لحول, 391	تشرشل, 516
حسين منجي, 453, 404, 83, 80, 64	توماس ولسن, 517, 426
حسيني سي الطيب, 474	جاك ديكلور, 41
حمادي أرزقي, 343	جاكلين جايغر, 371
حمادي محند أمقران, 343	جاكولين جايكر, 566
حمدي العربي, 500	جان أرفواس, 534
حمر العين, 254, 61	جان عمروش, 81
حميد وسعيد بلحسين, 281	جانين كاهين, 490
خليفة عبد القادر, 500	جانين كوريحي, 566

ستاندال, 372	خواني الحاج, 528, 529, 535
سرياح, 444, 485	دارلان, 429
سعداني مقران, 343	دانكيرك, 255
سعداوي محمد أورمضان, 276	دزآز عبد القادر, 497
سعيد عمرون, 68, 333	دوزني, 490
سعيد ملولي, 250	دومونديون, 28
سلاية مولود, 500	دييون, 34
سليمان عميرات, 252, 271	ديدين عباس, 484
سليمة بوعزيز, 506	ديمونزافار, 351
سليمة صحراوي, 281	ذهبية قاسي, 379
سمون بلومنتال, 491	رابح أوموسي, 66
سواسي الصغير, 435	رابح بوبريت, 381, 385
سي الجيلاني, 444	رابح بوعزيز, 284, 453, 478, 479, 499, 537
سي العربي, 68, 89, 527	رابح بيطاط, 356, 409, 410
سي عمر بولحية, 446	رابح مزيان الشريف, 527
سيدي علي مبارك, 80, 404	رزقي جمعة, 425
سيسيل مأويون, 490	رشيد لخروي, 528
شارف زيدان, 372	رشيد يحي, 442
شارف معبد, 451	رضا بسنطجي, 391
شارل ديغول, 336, 429, 463	رضا حوحو, 80, 82
شايب ماروك, 539	رمضان بن عبد السلام, 249, 476
شينز, 209, 490	روبيرت لأكوست, 266
صادق دحيليس, 279	روجر, 52, 219
صالح الوانشي, 8, 14, 69, 73, 82, 99, 152,	روجي فري, 292, 297
244, 246, 345, 379, 383, 391, 400,	روجي ويليوم, 328
404, 421, 478, 600, 601	ريمان مازور, 370
صالح بونيدر, 583	ريني ستيب, 566
صالح بوشمال, 272	زديرة عبد الله, 247
ضحاك مولود, 480	زهرة ظريف, 492, 493
عاشمي سوالي, 281	زولا, 372
عاشور قاسي, 251	زين العابدين مونجي, 59, 71, 505
عباس محمود, 565	زينة حرايق, 281, 310, 529
	ساعد شيشة, 266

عبدان رمضان, 71, 72, 83, 104, 105, 152,	علي جوادى, 250
190, 278, 279, 393, 401, 404, 407,	علي حلفاية, 247
452	علي خنشول, 63
عبد الحميد مهري, 191, 393, 406	علي كافي, 375, 467, 505
عبد الرحمن بن سعيد, 520	علي لابوانت, 279
عبد الرحمن سكالى, 539	علي محساس, 66, 360
عبد الرحمن غراس, 63, 64, 66, 68, 69, 73,	علي يحيى, 152, 360, 442
353, 355, 356, 364, 396, 397, 398	عليان حاميمى, 475
عبد الرحمن فارس, 81, 82, 110, 279, 280,	عمار العدلاني, 63, 478
463, 506, 582	عمار العنابى, 532
عبد الرحمن لخليفي, 343	عمار آيت الشيخ, 475
عبد الرحمن ماضوي, 356	عمار بلعيد, 569
عبد الرحمن مزيان الشريف, 14, 15, 395, 511,	عمار بن عدود, 274
524, 531, 532, 550	عمار بوقيفار, 254
عبد الرزاق شنتوف, 71, 395	عمار بوكيكر, 365
عبد العزيز بوتفليقة, 419	عمار حداد, 445, 460
عبد العزيز ثامر, 276	عمار خروبي, 343
عبد القادر بكوش, 276	عمار سباحي, 276
عبد الكريم منصوري, 454	عمار لعواري, 276
عبد اللطيف رحال, 484, 578	عمار نايت الشيخ, 440
عبد الله الحميد بن زين, 444	عمار يكورن, 248
عبد الله فيلالي, 250, 257, 258, 261	عمر أولحاج, 483
عبد المالك بن حبيلس, 65, 83, 191	عمر بلوشراني, 68
عبداس جعفر, 501	عمر بوداود, 8, 11, 14, 15, 27, 69, 83, 84,
عدّور اسماعيل, 497	85, 86, 87, 89, 93, 104, 155, 158,
عز الدين عزوز, 450	163, 183, 184, 219, 244, 248, 258,
عزّاب محند, 252, 271	276, 278, 287, 303, 318, 345, 373,
علال بن ابراهيم, 425	375, 421, 441, 442, 447, 453, 454,
علي بابا علي, 266	467, 478, 490, 498, 507, 509, 600,
علي بطروني, 529	601
علي بناي, 360	عمر جبالي, 251
علي بوشينة, 529	عمر حداد, 278
علي بومنجل, 24	

عمر حرايق, 274, 275, 310, 529, 530,	كامي كياك, 491
532, 537, 548	كلارك, 429
عمر عمار, 249	كلودين ناهوري, 566
عيسى بلبصير, 32, 247, 312	كوليت, 23, 207, 210, 229, 261
عيسى بلعلي, 63	كونييال, 285
غي بريفيلي, 176	كيريتشي, 294
غي بلوفي, 491	لجسن مخلوف, 569
غي دوموباسان, 372	لحسن كورتيز, 528
فاجمون, 553	لخديري علي, 83
فاطمة بدار, 312	لخضر بورقعة, 15, 81, 255, 267, 448
فاطمة بنت بن اعمر, 346	لويس بوجو, 280
فرانس فانون, 396	ليونار, 439
فرانسوا بشت, 391	مارسي, 20
فرانسوا بوسو, 365	مارسيل بريتون, 429
فرانسييس, 15, 23, 101, 141, 164, 166,	مارسيل ناجيلان, 439
191, 204, 205, 207, 208, 212, 213,	ماري كلود رادزييفسكي, 566
220, 221, 224, 236, 237, 261, 407,	مالك بن نبي, 28, 43, 334
478, 488	مامي إسماعيل, 356
فرانشي ديسيبيري, 39	مانين, 209, 490
فرانكلين روزفلت, 429, 516	مبروك بن زروقي, 276
فرحات صايد, 63	مبروك بوعراب, 251
فرحات عباس, 43, 49, 107, 134, 137, 173,	محفوظ قداش, 28, 30, 148, 362, 386, 391,
176, 194, 279, 347, 351, 355, 383,	427, 442, 517, 518, 552
386, 409, 413, 414, 415, 428, 429,	محمد الخامس, 399, 451, 452
430, 431, 484, 516, 522, 542, 543,	محمد الزواوي, 273, 300, 302, 576
560	محمد الشريف ساحلي, 66, 82, 395
فضيل بن سالم, 14, 63, 73, 396, 397, 398,	محمد الصغير أوكانو, 537
478	محمد الطاهر شرفاوي, 569
فطاس حسين, 476, 481	محمد العربي ماضي, 14
فيكتور هوجو, 372	محمد أمقران خليفاتي, 66
قبريال قراني, 491	محمد أوزناني, 539
قدور العدلاني, 14, 80, 86, 273, 295, 373,	محمد بلحواس, 529
404, 453	محمد بلعجوز, 513

محمد مغلاوي, 354	محمد بلوزداد, 354, 355, 520
محمد يزيد, 62, 63, 65, 162, 190	محمد بن صدوق, 272, 497
محمد يوسفى, 362, 498	محمد بوديا, 537
محمود مقراني, 343	محمد بوسيطي, 520
محمد أعراب, 248, 249, 475, 476	محمد بوضياف, 60, 62, 63, 65, 66, 67, 69
محمد آكلي بن يونس, 15, 38, 89, 154, 244	71, 74, 257, 356, 412, 443, 463, 477
248, 249, 471, 472, 503, 511, 602	506, 508, 555, 583
603	محمد حربي, 14, 15, 60, 62, 65, 66, 69
محمد آكلي بومدين, 61	71, 75, 80, 81, 82, 83, 99, 151, 152
محمد السعيد, 252, 271	178, 186, 191, 224, 229, 231, 243
مختار الصغير, 529	244, 246, 257, 258, 395, 397, 403
مختار العريبي, 524	433, 453
مختار حميدوش, 266	محمد خميسي, 81, 178, 187, 197, 280
مراد ديدوش, 60, 63, 522	546, 579
مراد طربوش, 14, 62, 63, 64, 65, 67, 69	محمد خيضر, 62, 370, 385, 412, 424, 508
73, 87, 169, 447, 478, 506	محمد ديب, 513
مسعود شوال, 247, 291, 575	محمد رباحي, 266
مصالي الحاج, 16, 29, 49, 53, 57, 60, 63	محمد زروالي, 425, 437
67, 71, 80, 91, 148, 220, 242, 243	محمد زروقي, 65, 67, 68
244, 254, 255, 257, 263, 267, 355	محمد شماس, 250
361, 367, 379, 384, 404, 424, 429	محمد عتابة, 502
431, 438, 440, 441, 447, 449, 479	محمد غفير, 9, 14, 15, 28, 38, 244, 304
481, 493, 517, 599	312, 326, 336, 472, 551, 568, 576
مصطفى الأشرف, 191, 370, 395	577, 583, 586, 602, 603
مصطفى بن بولعيد, 60	محمد فغول, 343
مصطفى عمرون, 62	محمد كلال, 282
مصطفى مازوني, 372	محمد لبجاوي, 14, 76, 79, 80, 87, 244
معمر قاسي, 556, 575, 577	372, 401, 404, 409, 478, 570
معمر هباز, 247	محمد محمدي الصادق, 556
مفدي زكرياء, 348, 349	محمد مرار, 63, 68
مكي بوسرية, 247, 312	محمد مشاطي, 8, 14, 15, 63, 139, 248
منجي زين العابدين, 59	259, 344, 345, 346, 354, 355, 378
مهدي معبد, 278	396, 397, 398, 478, 600, 601

میلود بوقندورة, 343	موح كليشي, 9, 28, 38, 304, 312, 326,
میلود هارون, 501	472, 551, 554, 564, 568, 569, 575,
نصر الدين آيت مختار, 15, 272, 274, 279,	576, 577, 578, 583, 585, 586, 602,
499	603
نور الدين بن سالم, 69, 73, 80, 404	موح ولحاج, 438
نوي هيسي, 68	موريس بابون, 15, 66, 80, 98, 109, 116,
هاشمي حمود, 438, 440	119, 288, 293, 294, 296, 297, 299,
هروي محمد, 252, 271	301, 302, 309, 313, 316, 317, 321,
هلين غينا, 490	326, 329, 332, 336, 404, 557,
هيونة بوجمعة, 500	موريس كوريج, 547
وجدي دمرجي, 450	موسى قبايلي, 218, 219, 496, 500,
وشريف بلقاسم, 419	موسى لقبايلي, 65, 78
ولد حمو عبد القادر, 252, 271	مولود أوراغي, 276, 343
ولد علي مجيد, 500	مولود آيت رايح, 343
ولد يونس أرزقي, 475	مولود بلهوان, 176, 458
ياسف سعدي, 279	ميشال بوفيار, 371, 566
يمينة إجري, 529	ميشال دوبري, 119, 284, 286, 292, 294,
يورغ بوشيرت, 278	336, 409, 568
يونس أبركان, 333	ميشال زافريان, 548, 566
يويو إيدير, 474	ميشال مولر, 491
	ميلود بلهادي, 266
3. فهرس المدن والأماكن.	
الأوراس, 16, 20, 34, 52, 66, 103, 525	أدرار, 510
البرواقية, 357	أزروبار, 421
البليدة, 1, 59, 65, 235, 236, 243, 428,	إسبانيا, 91, 221, 226, 276, 281, 539,
517, 552	إغيل مال, 379
البيض, 155, 358, 360, 361	أفينيون, 335, 523, 527
التلاغمة, 550	الاتحاد السوفيتي, 51, 127, 140, 158, 163,
التيطري, 359	352, 385, 419, 573
الجزائر, 1, 4, 8, 15, 16, 19, 20, 21, 22,	الأردن, 163
23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 32,	الاسكندرية, 33, 195, 213, 223, 424, 430,
33, 35, 36, 37, 38, 39, 41, 43, 44, 45,	الألراس, 88, 272, 290, 501
46, 47, 48, 49, 50, 52, 53, 54, 57, 58,	الأوبرا, 305, 326

,369 ,368 ,367 ,366 ,365 ,364 ,363	,70 ,69 ,67 ,66 ,65 ,64 ,63 ,61 ,60 ,59
,378 ,377 ,376 ,375 ,374 ,373 ,371	,80 ,79 ,78 ,77 ,76 ,75 ,74 ,73 ,72 ,71
,385 ,384 ,383 ,382 ,381 ,380 ,379	,96 ,94 ,91 ,87 ,86 ,85 ,84 ,83 ,82 ,81
,394 ,393 ,392 ,391 ,389 ,388 ,386	,104 ,103 ,102 ,101 ,100 ,99 ,98 ,97
,403 ,401 ,400 ,399 ,398 ,397 ,395	,114 ,111 ,110 ,109 ,107 ,106 ,105
,411 ,409 ,408 ,407 ,406 ,405 ,404	,124 ,121 ,120 ,119 ,118 ,117 ,116
,418 ,417 ,416 ,415 ,414 ,413 ,412	,133 ,132 ,131 ,130 ,129 ,128 ,127
,426 ,425 ,424 ,423 ,422 ,420 ,419	,141 ,140 ,138 ,137 ,136 ,135 ,134
,433 ,432 ,431 ,430 ,429 ,428 ,427	,152 ,151 ,150 ,149 ,148 ,144 ,142
,440 ,439 ,438 ,437 ,436 ,435 ,434	,159 ,157 ,158 ,156 ,155 ,154 ,153
,448 ,447 ,446 ,445 ,444 ,442 ,441	,169 ,168 ,167 ,164 ,163 ,161 ,160
,456 ,455 ,454 ,453 ,452 ,450 ,449	,178 ,177 ,176 ,174 ,173 ,172 ,170
,466 ,465 ,463 ,462 ,460 ,459 ,458	,187 ,186 ,184 ,182 ,181 ,180 ,179
,476 ,475 ,474 ,473 ,472 ,469 ,468	,195 ,194 ,192 ,191 ,190 ,189 ,188
,485 ,484 ,483 ,480 ,479 ,478 ,477	,202 ,201 ,200 ,199 ,198 ,197 ,196
,492 ,491 ,490 ,489 ,488 ,487 ,486	,209 ,208 ,207 ,206 ,205 ,204 ,203
,500 ,499 ,498 ,497 ,496 ,495 ,494	,218 ,217 ,216 ,215 ,214 ,213 ,212
,510 ,509 ,508 ,507 ,506 ,505 ,504	,227 ,226 ,225 ,223 ,222 ,221 ,219
,518 ,517 ,516 ,515 ,514 ,513 ,511	,234 ,233 ,232 ,231 ,230 ,229 ,228
,525 ,524 ,523 ,522 ,521 ,520 ,519	,241 ,240 ,239 ,238 ,237 ,236 ,235
,534 ,533 ,530 ,529 ,528 ,527 ,526	,249 ,247 ,246 ,245 ,244 ,243 ,242
,543 ,542 ,541 ,540 ,538 ,537 ,536	,258 ,257 ,256 ,255 ,254 ,253 ,251
,550 ,549 ,548 ,547 ,546 ,545 ,544	,266 ,265 ,263 ,262 ,261 ,260 ,259
,560 ,557 ,555 ,554 ,553 ,552 ,551	,280 ,279 ,275 ,273 ,272 ,270 ,268
,571 ,570 ,568 ,567 ,563 ,562 ,561	,291 ,290 ,289 ,287 ,286 ,285 ,284
,580 ,579 ,578 ,576 ,574 ,573 ,572	,299 ,298 ,297 ,296 ,294 ,293 ,292
,597 ,596 ,585 ,584 ,583 ,582 ,581	,310 ,308 ,307 ,305 ,304 ,303 ,301
600 ,599 ,598	,317 ,316 ,315 ,314 ,313 ,312 ,311
,279 ,136 ,133 ,125 ,101 ,9 ,1 ,الجمهورية	,326 ,324 ,323 ,322 ,321 ,320 ,318
,309 ,307 ,306 ,305 ,292 ,289 ,285	,338 ,335 ,334 ,333 ,331 ,330 ,329
,377 ,355 ,338 ,336 ,333 ,322 ,316	,347 ,346 ,345 ,343 ,341 ,340 ,339
,494 ,463 ,416 ,414 ,413 ,409 ,407	,355 ,353 ,352 ,351 ,350 ,349 ,348
555 ,547 ,538 ,498 ,497	,362 ,361 ,360 ,359 ,358 ,357 ,356

أوروبا, 8, 16, 19, 23, 25, 51, 54, 64, 66,	الحراش, 62, 377, 385, 387, 534
86, 123, 127, 132, 152, 160, 163,	الشلالة, 517
166, 173, 189, 193, 216, 225, 227,	الصين, 192
263, 305, 316, 319, 347, 350, 351,	العراق, 67
352, 373, 383, 385, 422, 426, 427,	العلمة, 511, 515, 525, 528, 550
455, 458, 465, 502, 517, 573,	القاهرة, 14, 32, 47, 60, 62, 65, 67, 71,
إيبيني, 558	72, 91, 107, 115, 117, 127, 163, 212,
أيت زمترر, 379	350, 352, 383, 392, 405, 406, 424,
آيت وانش, 379	426, 429, 441, 444, 445, 447, 450,
إيطاليا, 89, 192, 281, 351, 425,	459, 512, 517, 542, 553, 560, 582,
إيغيل إيمول, 364	القنادسة, 358
باتنة, 16, 20, 202, 242, 247, 255, 261,	الكونغو, 104, 355, 517
334, 399, 435	الكونكوردي, 305, 306
باريس, 13, 19, 21, 26, 28, 29, 30, 38,	اللورين, 88
39, 42, 43, 45, 46, 50, 52, 57, 61, 67,	ألمانيا, 11, 47, 53, 83, 86, 87, 143, 158,
68, 72, 73, 74, 80, 82, 83, 87, 88, 89,	159, 184, 192, 205, 210, 215, 224,
91, 94, 97, 106, 111, 112, 113, 114,	239, 279, 350, 352, 373, 381, 385,
115, 117, 121, 122, 126, 137, 139,	399, 423, 424, 432, 451, 454, 455,
142, 143, 148, 155, 156, 172, 176,	478, 488, 489, 535, 553, 572, 573,
177, 178, 179, 185, 186, 193, 197,	المدية, 357
201, 206, 208, 210, 218, 221, 223,	المغرب, 36, 38, 59, 83, 105, 127, 184,
224, 227, 229, 239, 245, 247, 248,	193, 218, 276, 278, 283, 293, 347,
249, 250, 251, 254, 255, 256, 258,	366, 370, 424, 444, 449, 450, 451,
259, 260, 267, 269, 272, 274, 278,	452, 454, 459, 478, 491, 500, 519,
282, 283, 285, 286, 287, 290, 293,	522
294, 295, 296, 297, 298, 299, 300,	المهدية, 530
301, 302, 303, 304, 305, 306, 307,	الميلية, 346
309, 312, 313, 314, 315, 316, 317,	الهند الصينية, 101, 133, 137, 218, 275,
318, 319, 320, 321, 322, 326, 327,	297, 445, 561
329, 330, 331, 332, 341, 350, 366,	الولايات المتحدة الأمريكية, 21, 127, 158, 163,
368, 372, 383, 394, 400, 411, 427,	351, 352, 429, 516, 530
431, 447, 452, 453, 456, 457, 458,	أمستردام, 132, 226
460, 472, 473, 475, 476, 479, 481,	أنغيان, 558

تونس, 12, 35, 38, 43, 59, 74, 83, 91,	484, 489, 490, 491, 497, 501, 502,
105, 123, 148, 150, 156, 158, 193,	503, 535, 539, 551, 554, 555, 556,
221, 229, 239, 265, 300, 310, 320,	558, 564, 569, 571, 575, 576, 578,
349, 350, 375, 393, 396, 400, 405,	579, 582, 585
406, 411, 424, 430, 435, 438, 449,	بال فونتتين, 357
450, 466, 468, 502, 519, 530, 531,	باندونغ, 193, 373
533, 535	براست, 87
تيزي وزو, 150, 343, 376, 379, 383, 384,	برج منايل, 438
385, 412, 413, 421, 425, 433, 435,	برلين, 158
472	بشار, 358, 510
تيشي, 585	بغداد, 16, 154, 187, 190, 195, 482,
تيقرزيت, 421, 426	بغلية, 426, 439
تينغير, 451	بل آيل سيرمير, 267
تينوفيل, 88	بلجيكا, 67, 72, 94, 155, 204, 205, 214,
جان كلود بيريز, 581	215, 226, 254, 277, 300, 367
جسر نوبي, 306, 328	بلغاريا, 419, 451
جنيف, 166, 568, 574	بلوزداد, 60, 354, 355, 443, 520, 552,
جينيفيلي, 113	بني ميزاب, 442
خراطة, 30, 352, 353, 432	بني ونيف, 358
دلس, 425, 437, 438	بودواو, 357
دمشق, 117, 121, 125, 348, 414, 429,	بوردو, 26, 29, 88, 89, 452, 537,
508	بوش دي رون, 541
دول, 19, 48, 51, 58, 72, 117, 127, 137,	بون, 115, 158, 327, 328, 465,
163, 170, 175, 189, 225, 226, 283,	بئر خادم, 357
374, 382, 429, 573	تاروغه, 421, 424
دومون, 558	تبسة, 247, 356
دونكاك, 88	ترنباش, 366
ديلاس, 542	تشيكوسلوفاكيا, 419
ديجون, 26, 89, 343, 501	تطوان, 276, 452
رباتو, 542	توتوفوال, 268
روبي, 88, 209	تولوز, 26, 66, 113, 122, 187, 496,
روما, 59, 351, 396, 397, 406	تولون, 352
ريين, 26	

376 زمورة,	159 شتوتغارت,
257 زيوريخ,	579 شوازي لوروا,
352 سان تروبي,	530 صفاقس,
305, 254 سان جيرمان,	278, 276 طانجة,
394 سان ريمو,	467, 466, 411, 376, 375, 191 طرابلس,
554, 516, 382 سان فرانسيسكو,	508, 506, 505, 468
113 سان ماندي,	529, 528, 422, 356, 334, 221, 83 عنابة,
340 سان موريس لاردواز,	350 عين آرنات,
328, 309, 307, 39 سان ميشال,	500, 474, 343 عين الحمام,
309 سانت أي واز,	551 عين الدفلي,
529, 525 سانت ايتيان,	358 عين الصفراء,
473, 472, 271, 270, 252 سانت دوني,	353 عين طاية,
481, 475, 474	338, 289 غوت,
558 سانتوان,	451, 450 فاس,
558 سانليس,	87 فرانكفورت,
483, 352, 181, 87 ستراسبورغ,	فرنسا, 8, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 18,
326, 304, 281, 38, 27, 14, 12 سطيف,	19, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28,
433, 432, 431, 429, 353, 352, 334	29, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39,
524, 516, 515, 511, 500, 466, 435	41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50,
567, 563, 552, 551, 550, 529, 525	51, 52, 53, 57, 58, 59, 60, 62, 63, 64,
585, 583, 569, 568	65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74,
550, 358, 348 سعيدة,	78, 79, 80, 82, 83, 84, 89, 91, 93, 94,
406, 356, 242 سكيكدة,	97, 99, 100, 101, 103, 104, 105, 106,
501, 476, 254, 71, 68, 66 سوشو,	107, 108, 109, 110, 111, 115, 116,
534 سوق أهراس,	117, 118, 119, 120, 121, 122, 123,
196, 193, 192, 166, 89, 83, 69 سويسرا,	124, 125, 127, 128, 129, 130, 131,
226, 223, 215, 214, 205, 203, 200	133, 134, 135, 136, 137, 138, 140,
490, 477, 465, 456, 374, 373, 281	141, 142, 144, 145, 146, 147, 148,
501, 491	149, 150, 152, 153, 154, 155, 156,
237, 234, 232, 86, 79, 16, 17 سيدي بلعباس,	157, 158, 160, 161, 163, 165, 166,
534	168, 169, 171, 172, 173, 174, 177,
346 سيدي بو عنابة,	178, 180, 181, 183, 184, 185, 186,
338, 289 شاتودو,	187, 188, 190, 191, 193, 194, 195,

,580 ,578 ,574 ,572 ,570 ,569 ,568	,205 ,204 ,203 ,201 ,199 ,197 ,196
,594 ,593 ,592 ,586 ,584 ,583 ,582	,214 ,213 ,212 ,211 ,210 ,208 ,207
600 ,599 ,598 ,597 ,596	,222 ,221 ,220 ,218 ,217 ,216 ,215
فوريباخ, 88 ,310	,231 ,230 ,229 ,228 ,227 ,226 ,223
قسطنطينة, 11 ,20 ,25 ,30 ,60 ,66 ,120	,243 ,242 ,239 ,237 ,235 ,233 ,232
,288 ,285 ,241 ,234 ,173 ,164 ,133	,253 ,252 ,250 ,249 ,248 ,247 ,244
,346 ,339 ,329 ,321 ,296 ,294 ,293	,262 ,261 ,259 ,258 ,257 ,256 ,255
,500 ,430 ,428 ,381 ,363 ,356 ,348	,276 ,273 ,269 ,268 ,267 ,265 ,263
581 ,572 ,551 ,550 ,534 ,529 ,520	,284 ,283 ,281 ,280 ,279 ,278 ,277
قصر البخاري, 357 ,429	,293 ,292 ,291 ,290 ,289 ,288 ,287
قصر الحلوف, 349	,304 ,299 ,298 ,297 ,296 ,295 ,294
قنزات, 28 ,551 ,554 ,569	,315 ,314 ,313 ,312 ,310 ,308 ,306
كليشي, 9 ,28 ,38 ,50 ,304 ,312 ,326	,329 ,326 ,325 ,321 ,319 ,317 ,316
,558 ,557 ,556 ,555 ,554 ,551 ,472	,342 ,338 ,336 ,334 ,333 ,331 ,330
,567 ,565 ,564 ,563 ,562 ,561 ,559	,351 ,350 ,349 ,348 ,347 ,346 ,345
,577 ,576 ,575 ,571 ,570 ,569 ,568	,365 ,364 ,360 ,359 ,355 ,354 ,353
600 ,599 ,586 ,585 ,583 ,579 ,578	,380 ,379 ,375 ,372 ,371 ,367 ,366
كولومب, 250 ,496	,393 ,390 ,389 ,385 ,383 ,382 ,381
كولومبيا, 192	,405 ,404 ,402 ,400 ,399 ,395 ,394
كولونيا, 110 ,193 ,239 ,283 ,373	,425 ,423 ,421 ,411 ,410 ,407 ,406
كومت, 88	,441 ,440 ,435 ,431 ,430 ,428 ,427
لابروفونس, 352	,452 ,449 ,447 ,445 ,444 ,443 ,442
لاجوليات, 538	,463 ,462 ,460 ,459 ,458 ,455 ,453
لادروم, 286	,474 ,473 ,472 ,468 ,467 ,466 ,465
لاغريزون, 579	,487 ,483 ,480 ,479 ,478 ,477 ,475
لاغوت, 332	,495 ,494 ,493 ,492 ,490 ,489 ,488
لافاييت, 551	,509 ,506 ,504 ,501 ,499 ,498 ,496
لنغواي, 88	,522 ,521 ,520 ,518 ,516 ,511 ,510
لواراي, 88	,531 ,529 ,527 ,526 ,525 ,524 ,523
لوتال فيل, 309	,539 ,538 ,537 ,535 ,534 ,533 ,532
لوكسمبورغ, 66 ,69 ,71	,547 ,545 ,544 ,543 ,542 ,541 ,540
لوهافر, 40 ,113	,556 ,555 ,554 ,553 ,551 ,550 ,548
لويس لوقراند, 505	,567 ,566 ,564 ,562 ,561 ,560 ,557

ليل, 29, 68, 87, 88, 161, 266, 302,	نابولي, 351
317, 347, 428, 431, 522	ناريون, 113, 114, 122
ليون, 26, 29, 38, 58, 63, 68, 72, 87, 88,	ناكازاكي, 352
89, 128, 129, 131, 137, 140, 178,	نانت, 87
239, 254, 277, 290, 332, 364, 368,	نانسي, 62, 65, 88, 474
400, 408, 453, 473, 479, 491, 503,	نوتردام دي لاغارد, 352
525, 527, 528, 529, 535, 537, 576,	نوترودا دو غرافشنو, 113
579	نيس, 88, 89, 247
مارسيليا, 122, 275	نيور, 58, 59, 140, 361
مستغانم, 361	هاقن, 464
مشريّة, 358	هورنو, 59, 62, 242, 266, 363, 392
معسكر, 22, 163, 276, 358, 549	هولندا, 192
مكناس, 451	هيروشيما, 352
موبارج, 88	هينري بينيولي, 327
موسكو, 426	واستفاليا, 464
مولون, 506, 508	وجدة, 276, 419, 452, 459
مونتمانبي, 558	وهران, 16, 25, 48, 154, 198, 218, 355,
مونفورون, 542	520, 428
ميشال غروس سبينتلي, 327	يفردون, 215
مينرفيل باليسترو, 357	يوغسلافيا, 156

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان	4
إهداء	5
المختصرات:	6
مقدمة:	6
الفصل التمهيدي:	13
التطور السياسي والإيديولوجي لدى المهاجرين الجزائريين بفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية.	13
المبحث الأول: تطور هجرة الجزائريين إلى فرنسا بعد 1945.	13
المبحث الثاني: مناطق استقرار المهاجرين الجزائريين بفرنسا.	20
المبحث الثالث: أوضاع المهاجرين الجزائريين بفرنسا قبيل اندلاع الثورة.	30
المبحث الرابع: الانعكاسات الإيجابية للهجرة على الجالية الجزائرية بفرنسا.	41
خاتمة:	Erreur ! Signet non défini.
الفصل الأول:	49
تنظيم وتطور الهيكلية السياسية والعسكرية للثورة التحريرية بفرنسا 1954 . 1962	49
المبحث الأول: جذور وظروف نشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1951 . 1954	49
المطلب الأول: جذور النشأة.	50
المطلب الثاني: ظروف نشأة فدرالية جبهة التحرير الوطني بالأراضي الفرنسية.	56
المبحث الثاني: التطور القيادي لفدرالية الجبهة بفرنسا وأهدافها 1955 . 1962	62
المطلب الأول: مراحل التطور القيادي لفدرالية جبهة التحرير الوطني.	62
المطلب الثاني: أهداف فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا.	80
المبحث الثالث: نجاح الفدرالية في تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي والمواقف المتباينة منه	97

المطلب الأول: تفعيل الكفاح الثوري في العمق الفرنسي.....	97
المطلب الثاني: ردود الفعل الفرنسية لوأد كفاح المهاجرين الجزائريين (المواقف المتباينة منه) .	113
خاتمة:.....	Erreur ! Signet non défini.
الفصل الثاني:.....	141
النضال السياسي والثوري للفئات الجماهيرية في فرنسا وآليات كفاحها.....	141
المبحث الأول: نضال الفئات العمالية المهاجرة.....	142
المطلب الأول: تبلور الكفاح السياسي للعمال الجزائريين في المهجر.....	142
المطلب الثاني: تأسيس الودادية العامة للعمال الجزائريين ومساهمتها في الكفاح الوطني.....	147
المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للعمال المهاجرين.....	154
المطلب الرابع: التقنيات المعتمدة من طرف الفدرالية في جمع الاشتراكات ومواجهة التحديات.....	161
خاتمة:.....	Erreur ! Signet non défini.
المبحث الثاني: نضال الفئات الطلابية المهاجرة.....	167
المطلب الأول: بؤادر النضال الوطني للطلبة المهاجرين الجزائريين.....	167
المطلب الثاني: تطور النضال الوطني للطلبة في فرنسا وظهور "إ.ع.ط.م.ج".....	169
المطلب الثالث: الإسهامات الثورية للطلبة المهاجرين.....	176
المطلب الرابع: التدابير الفرنسية في حق الطلبة الجزائريين بفرنسا وتحديدهم لها.....	191
خاتمة:.....	Erreur ! Signet non défini.
المبحث الثالث: نضال الفئات الفرنسية المثقفة.....	195
المطلب الأول: مظاهر دعم النخبة الفرنسية للقضية الجزائرية.....	195
المطلب الثاني: آليات كفاح الطبقات المثقفة ودعمها للثورة التحريرية.....	200
المطلب الثالث: أهم الشخصيات الفرنسية المساندة للثورة التحريرية.....	224
خاتمة:.....	Erreur ! Signet non défini.

237	الفصل الثالث:
237	سياسة الاحتواء الفرنسية لتطويق الثورة التحريرية بفرنسا وردود فعل ف.ج.ت.و.
238	المبحث الأول: تعميق محاور الصراع ضد فدرالية "ج.ت.و" (تفعيل دور ح.و.ج.)
238	المطلب الأول: بداية الصراع والمتسبب الأول في إشعاله
249	المطلب الثاني: مراحل الصراع وتطوراتها
259	المطلب الثالث: مصالي الحاج من مناهضة السياسة الاستعمارية إلى معارضة الثورة التحريرية ..
265	المبحث الثاني: إستراتيجية "ف.ج.ت.و" في إفشال المخططات الاستعمارية
265	المطلب الأول: الإستراتيجيات الإدارية
267	المطلب الثاني: الاستراتيجيات العسكرية
281	المطلب الثالث: الإستراتيجية الأمنية (صراع جبهة التحرير الوطني مع الحركى والخونة)
290	المطلب الرابع: الإستراتيجية السياسية (مظاهرات 17 أكتوبر 1961)
317	المبحث الثالث: جرائم الاستعمار الفرنسي ضد المهاجرين الجزائريين بفرنسا
317	المطلب الأول: التكتيف من إنشاء الأجهزة الأمنية ومراكز مراقبة جديدة
319	المطلب الثاني: الاستعانة بالطغاة من غلاة العناصر الأمنية
324	المطلب الثالث: القمع المبرمج لكل أشكال النضال
329	المطلب الرابع: الاعتقال العلني والاحتجاز السري والحرمان من أدنى شروط الحياة
Erreur ! Signet non défini.	خاتمة:
342	الفصل الرابع:
342	دور الشخصيات السياسية المهاجرة إلى فرنسا وإسهاماتها في الثورة التحريرية
343	المبحث الأول: محمد مشاطي
343	المطلب الأول: المولد والنشأة 1921 . 1945
351	المطلب الثاني: كفاحه السياسي في الجزائر

المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا	362
المطلب الرابع: حياته داخل السجن ثم فراره منه	367
المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال	374
خاتمة: Erreur ! Signet non défini.	
المبحث الثاني: صالح الوانشي	377
المطلب الأول: ظروف تنشأته الأولى	377
المطلب الثاني: مسيرته النضالية في الجزائر	381
المطلب الثالث: مسيرته النضالية في فرنسا	393
المطلب الرابع: بين إكمال مهامه بفرنسا والعودة إلى الجزائر	403
المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال	412
خاتمة: Erreur ! Signet non défini.	
المبحث الثالث: عمر بوداود	421
المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الفترة ما بين 1924 . 1946	421
المطلب الثاني: تطور نضاله الوطني خلال وبعد الحرب العالمية الثانية	426
المطلب الثالث: خروجه من السجن وعودته إلى العمل السياسي 1946 . 1950	438
المطلب الرابع: نضاله السياسي بفرنسا والمغرب الأقصى	445
المطلب الخامس: قيادته لفدرالية فرنسا لجهة التحرير الوطني وأهم إنجازاته 1957 . 1962	454
خاتمة: Erreur ! Signet non défini.	
خاتمة:	471
الفصل الخامس:	471
الشخصيات العسكرية المهاجرة إلى فرنسا وإسهاماتها في الثورة التحريرية.	471

المبحث الأول: محند آكلي بن يونس المدعو "دانيال". "Mohand Akli Ben Younes" dit "Daniel" 471

المبحث الأول: محند آكلي بن يونس المدعو "دانيال". 472

المطلب الأول: التحاقه بالثورة التحريرية وتعزيزه نفوذ "ج.ت.و" بفرنسا. 472

المطلب الثاني: دوره في هيكله فئات الجالية الجزائرية بفرنسا. 479

المطلب الثالث: دوره في دعم عصب الحرب ماليا وبشرياً. 485

المطلب الرابع: مساهمته في إنجاح إستراتيجيات الثورة السياسية والعسكرية بالمهجر. 491

المطلب الخامس: أهم مسؤولياته الثورية في فرنسا. 500

المطلب السادس: حياته بعد الاستقلال سنة 1962. 504

خاتمة: Erreur ! Signet non défini.

المبحث الثاني: عبد الرحمن مزيان شريف المدعو "علاوة" Abderrahmane Meziane "Cherif" dit Alaoua " 511

المطلب الأول: المولد والتنشئة الاجتماعية. 511

المطلب الثاني: حياته بعد الهجرة إلى فرنسا. 523

المطلب الثالث: التحاقه بصفوف الثورة التحريرية على الأراضي الفرنسية. 528

المطلب الرابع: دوره في العمليات العسكرية 25 أوت 1958. 538

المطلب الخامس: مسيرته النضالية في السجون الفرنسية. 545

خاتمة: Erreur ! Signet non défini.

المبحث الثالث: محمد غفير المدعو . موح كليشي "Mohammed Ghafir" dit "Mouh Klichy" 553

المطلب الأول: نشأته الاجتماعية في الجزائر وهجرته إلى فرنسا. 553

المطلب الثاني: اعتقاله والانتهاكات المنتهجة ضده. 559

566	المطلب الثالث: حياته الجديدة في السجون الفرنسية
571	المطلب الرابع: كفاحه ونضاله الثوري في فرنسا
581	المطلب الخامس: حياته بعد الاستقلال وإسهاماته في واجب الذاكرة
Erreur ! Signet non défini.	خاتمة:
588	خاتمة:
463	الملاحق
582	قائمة المصادر والمراجع
602	الفهارس
655	1. فهرس الآيات القرآنية
655	2. فهرس الأسماء والأعلام
663	3. فهرس المدن والأماكن
670	فهرس المحتويات:

الملخص :

إن التطرق لتاريخ الثورة التحريرية على الأراضي الفرنسية يفرض علينا الحديث عن رموز ساهمت بشكل أو بآخر في نجاح مسيرة النضال الثوري للمهاجرين الجزائريين في أوروبا عامة وفي فرنسا بشكل خاص، وإسهاماتهم البالغة في معركة تحرير البلاد من ويلات احتلال غاشم دام أزيد من 100 سنة، ارتكب خلالها ما لا يتخيله عقل، ولا يصدق من منطق، ولا يتحمله بشر.

شكلت الشخصيات الجزائرية المهاجرة بفرنسا سواء التي نشطت سياسيا أو عسكريا أو حتى في مجالات أخرى، مصدر دعم كبير للقضية الوطنية وللثورة التحريرية ماديا وبشريا، ومصدر خطر عظيم وتهديد مباشر للسلطات الفرنسية في عقر دارها، ومنطلقا حقيقيا لكسب تأييد الرأي العام العالمي وتدويل المسألة الجزائرية، حيث نجحت في تجنيد القوى الوطنية بالمهجر لصالح الكفاح الثوري، ودفعها للإسهام في إنجاحه ماديا ومعنويا، فشكلوا بذلك ملحمة نضال حقيقية ودفعوا قويا للثورة خارج حدودها الإقليمية، ومصدر فخر وإلهام للأجيال الحالية والمستقبلية.

لقد آمن هؤلاء الرجال بقضية وطنهم وأقسموا أن يعيشوا فوق الأرض أحراراً وأعزاً أو يموتون ويُدفنون تحتها شهداء، وهذا ما كان لهم في النهاية حيث نال الكثير منهم شرف الشهادة في سبيل الله والوطن، في حين عاش بعضهم في أحضان الحرية والاستقلال وحققوا حلم حياتهم بتحرير بلادهم من براثن الاستعمار، وشكلوا بذلك رموزا وطنية فاعلة ارتبط اسمها بتاريخ فدرالية جبهة التحرير الوطني والثورة التحريرية بفرنسا.

Abstract :

Analyzing the history of the liberation revolution in France requires a review of those individuals that played a role in assisting the revolutionary struggle of Algerian immigrants in Europe—primarily in France—and the significant role they had in the struggle to release the country from a savage occupation that lasted more than one century. In that time, things took place that no one could imagine—things that no reasoned argument could justify, and things that were difficult to bear.

Algerian expatriate communities in France, whether politically, military, or otherwise engaged, represented a fundamental source of material and human support for the national cause and liberation revolution. Because they also constituted a strategic threat to French authorities directly at their doorstep, they were vital for the French state to contain. Likewise, they enabled and facilitated a critical site for international solidarity and globalizing the Algerian question. Their monumental ability to mobilize nationalist forces abroad to act in support of the revolutionary struggle - both financial and moral - created a true epic of resistance. In the process, the Algerian expatriate community became a true extension of the revolution into the world beyond Algeria, establishing

a legacy of pride and inspiration for all present and future generations in Algeria.

These men fully embraced their country's cause, pledging to exist as free and honorable men, or to die and be buried as martyrs of this land. Ultimately, many achieved the status of martyrs under God's name and his nation, while others lived and revelled in freedom and independence, fulfilling what was the dream of a lifetime for all those who lived to free their own country from colonial rule. Thus, they have become lasting national symbols, whose names will always be linked to the FLN history and the liberation revolution in France.